

ابن سينا

الشفاء

الطبيبات

منشور في مكتبة آية الله العظمى الخميني

مطبعة ايران ۱۳۵۵ هـ ق

ابن سينا

التشفياء

الطبيعيات

- ٢- السماء والعالم
- ٣- الكون والفساد
- ٤- الأفعال والانفعالات

رامعه دندم له
الدكتور إبراهيم مذكور

شبكة كتب الشيعة

بتحقيق
الدكتور محمود قاسم
بمناسبة الذكرى الالفية للشيخ الرئيس

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالمطبعة

shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

مَنشُورَات مَكْتَبَةِ آيَةِ اللَّهِ الْعُظْمَى الْمُرَعَشِي الْجَنَفِي
قَمِ الْقَدَس - اِيْرَان ١٤٠٤ ق

الفهرس

صفحة
المقدمة ... ط — ق

الفن الثانى من الطبيعىات فى السماء والعالم

وهو مقالة واحدة فى عشرة فصول

الفصل الأول

فصل فى قوى الأجسام البسيطة والمركبة وأفعالها ... ١ — ٥

الفصل الثانى

فصل فى أصناف القوى والحركات البسيطة الأولى وإبانة أن الطبيعة الفلكية
خارجة عن الطبائع العنصرية ... ٦ — ١٥

الفصل الثالث

فصل فى الإشارة إلى أعيان الأجسام البسيطة وترتيبها وأوصافها وأشكالها
التي لها بالطبع ومخالفة الفلك لها ... ١٦ — ٢٥

الفصل الرابع

فصل فى أحوال الجسم المتحرك بالاستدارة ، وما يجوز عليه من أصناف التغير
وما لا يجوز ... ٢٦ — ٣٦

الفصل الخامس

فصل فى أحوال الكواكب ومحور القمر ... ٣٧ — ٤٤

الفصل السادس

فصل فى حركات الكواكب ... ٤٥ — ٣٩

الفصل السابع

فصل فى حشو الجسم السهاوى وما قاله الناس فى أحوال الأرض وسائر العناصر ... ٥٠ — ٥٧

الفصل الثامن

صفحة

فصل في مناقضة الآراء الباطلة المذكورة في تعليل سكون الأرض ... ٥٨ — ٦٣

الفصل التاسع

فصل في ذكر اختلاف الناس في الخفيف والثقيل واستنباط الرأى الحق
من بين آرائهم ٦٤ — ٦٩

الفصل العاشر

فصل في أن جملة الأجسام الملاقى بعضها بعضا إلى آخر ما لا يتناهى إليه جملة
واحدة ٧٠ — ٧٦

الفن الثالث من الطبيعيات

في الكون والفساد

وهو مقالة واحدة في خمسة عشر فصلا

الفصل الأول

فصل في اختلاف آراء الأقدمين في الكون والاستحالة وعناصرهما ... ٧٧ — ٨٥

الفصل الثانى

فصل في اقتصاص حجة كل فريق ٨٦ — ٩٣

الفصل الثالث

فصل في نقض حجج المخطئين منهم ٩٤ — ١٠٠

الفصل الرابع

فصل في إبطال قول أصحاب الكون ومن يقرب منهم ويشاركونهم في نفي
الاستحالة ١٠٠ — ١١١

الفصل الخامس

فصل في مناقضة أصحاب المحبة والغلبة ، والفائزين بأن الكون والفساد
بأجزاء غير الأجزاء الغير للمتجزئة من السطح واجتماعها وافتراقها ... ١١٢ — ١٢١

الفصل السادس

فصل في الفرق بين الكون والاستحالة ١٢٢ — ١٣٢

الفصل السابع

صفحة

فصل في إبطال مذهب محدث في اللزاج ١٣٣ — ١٣٩

الفصل الثامن

فصل في الكلام في النمو ١٤٠ — ١٤٦

الفصل التاسع

فصل في إثبات عدد الأسطوانات ١٤٧ — ١٥٩

الفصل العاشر

فصل في ذكر شكوك تلزم ما قيل ١٦٠ — ١٦٦

الفصل الحادى عشر

فصل في حل شطر من هذه الشكوك ١٦٧ — ١٧٥

الفصل الثانى عشر

فصل في حل قطعة أخرى من هذه الشكوك ١٧٦ — ١٨٢

الفصل الثالث عشر

فصل في حل باقى الشكوك ١٨٣ — ١٨٨

الفصل الرابع عشر

فصل في انفعالات العناصر بعضها من بعض واستحالاتها في حال البساطة
وفي حال التركيب ، وكيفية تصرفها تحت تأثير الأجسام العالية ١٨٩ — ١٩٤

الفصل الخامس عشر

فصل في أدوار الكون والفساد ١٩٥ — ٢٠٠

٢٠١ ١٨٩
see end of
book VI
they have
been written

الفن الرابع من الطبيعيات

في الأفعال والانفعالات

مقالتان

المقالة الأولى من هذا الفن تسعة فصول

الفصل الأول

صفحة

فصل في طبقات العناصر ٢٠٢ — ٢٠٤

الفصل الثاني

فصل في أحوال كلية من أحوال البحر ٢٠٥ — ٢١٠

الفصل الثالث

فصل في تعريف سبب تعاقب الحر والبرد ٢١١ — ٢١٤

الفصل الرابع

فصل في تعريف ما يقال من أن الأجسام، كلما زادت عظماء ازدادت شدة

وقوة ٢١٥ — ٢٢٠

الفصل الخامس

فصل في تعدد الأفعال والانفعالات للنسوبة إلى هذه الكيفيات الأربع ... ٢٢١ — ٢٢٢

الفصل السادس

فصل في النضج والشهوء والمفونة والاحتراق ٢٢٣ — ٢٢٧

الفصل السابع

فصل في الطبخ والشي والقلي والتبخير والتدخين والتصعيد والذوب والتلين

والاشتعال والتجبير والتفحم، وما يقبل ذلك وما لا يقبله ٢٢٨ — ٢٣٤

الفصل الثامن

فصل في الحل والعقد ٢٣٥ — ٢٤٠

الفصل التاسع

فصل في أصناف انفعالات الرطب واليابس ٢٤١ — ٢٤٨

المقالة الثانية

صفحة

هذه المقالة نصف فيها جملة القول فيما يتبع المزاج من الأحوال المختلفة

٢٤٩

وهي فصلان

الفصل الأول

فصل في ذكر اختلاف الناس في حدوث الكيفيات المحسوسة التي بعد الأربع

وفي نسبتها إلى المزاج ومناقضة المبطلين منهم ٢٥٠ — ٢٦٠

الفصل الثاني

فصل في تحقيق القول في توابع المزاج ٢٦١ — ٢٦٧

مقدمة

للدكتور إبراهيم صدكور

جمعنا في هذا المجلد — على غير عادة — ثلاثة فنون من طبيعيات الشفاء ، وهي : « السماء والعالم » ، « الكون والفساد » ، « الأفعال والانفعالات » . ولا شك في أنها متصلة ومتكاملة : ينصب أولها على الأجسام الطبيعية بسيطة كانت أو مركبة ، فيبين خصائصها ومكوناتها ؛ ويبحث ثانياً فيما قد يطرأ عليها من كون أو فساد ؛ ويعالج ثالثاً ما يلحقها من أعراض وانفعالات .

ولم يكن للعرب قبل الإسلام درس يعتد به ، ولا علم يعول عليه . وترجع معلوماتهم الطبيعية إلى ما أوحى به الملاحظة العابرة والتجربة اليومية ، وقضت به ظروف الحياة وأسباب العيش ، كعرفة مطالع النجوم ومقاربا وأنواء الكواكب وأمطارها^(١). ثم جاء الإسلام فوجه نظرهم إلى مافي الكون من عجائب وآيات ، ودعاهم إلى البحث والنظر . وامتدت فتوحاتهم شرقاً وغرباً ، فاتصلوا عن قرب بالحضارات القديمة والمعاصرة ، ووقفوا على علوم لا عهد لهم بها .

وما إن انتشرت الدعوة الإسلامية ، وهدأت حركة الغزو والفتح ، حتى أخذ العرب والمسلمون يدرسون ويبحثون . وظهرت في القرن الأول للهجرة دراسات دينية ولغوية ، إلا أن الحركة العلمية الحقة لم تبدأ إلا في القرن الثاني ، ثم أخذت تنمو وتترعرع طوال قرون ثلاثة . فامتد نشاطها ، وتنوعت فنونها ، وأمدتها الترجمة بمصادر شتى . وكان للعلوم الطبيعية فيها نصيب ملحوظ ، ولم يكن غريباً أن يبدأ العرب بالعلوم العملية كالطب والكيمياء ، ثم أضافوا إليها دراسات في الكون والفلسفة الطبيعية . وهنا كان المعتزلة رواداً ، كما كانوا دائماً في ميادين أخرى ، وعلى رأسهم أبو الهذيل العلاف (٢٣٤ هـ) أول قائل في الإسلام بنظرية الجزء الذي لا يتجزأ^(٢) ، وتلميذه النظام (٢٣١ هـ) الذي رفض هذه النظرية ، وقال بالكون والطفرة^(٣) ؛ وكانا يهدفان معاً إلى تقض بعض المبادئ التي قامت عليها الفلسفة الأرسطية .

(١) صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، القاهرة (بلا تاريخ) ، ص ٧٠ .

(٢) الأشمري . مقالات الإسلاميين . استانبول ١٩٣٠ ، ج ٢ ص ٣١٤ .

(٣) محمد عبد الهادي أبوريده ، إبراهيم بن سيار النظام ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ١١٣ - ١٢٩ .

وقد تغذت الدراسات الطبيعية في الإسلام بغذاء وفير ومتنوع ، فأخذت عن الهند والفرس ما أخذت ، وتأثرت بآراء كثير من مفكرى اليونان ، أمثال ديمقريطس ، وأبنادوقليس ، وزينون الرواقى ، وأفلاطون . ولكنها عولت التعويل كله على أرسطو الذى ترجمت كتبه الطبيعية الهامة إلى العربية .

(١) أرسطو الطبيعي :

لاشك في أن أرسطو يكمد بين مفكرى اليونان فيلسوف الطبيعة الأول ، عرض لجوانبها المختلفة، عضوية كانت أو غير عضوية ، وعالج ظواهرها في عالمى السماء والأرض . فجدّ في الكشف عنها ، وجمع ما أمكن من خصائصها ، معولا على الملاحظة والتجربة حيناً ، وعلى البرهنة والاستدلال حيناً آخر . وحاول أن يحدد ، في اختصار ، قوانين التغير والحركة . فاستعاد ما كان للدراسات الطبيعية من ازدهار لدى الأيونيين وغيرهم من المدارس السابقة لسقراط ، وامتد هذا النشاط بعده جيلاً أو جيلين على أيدي تلاميذه ، وأتباعه ، ثم فتر وتضاءل في القرون الخمسة التالية ، ولم يستأنف إلا في مدرسة الإسكندرية وعلى أيدي المشائين المحدثين . وقدر لآراء أرسطو الطبيعية أن تسود في القرون الوسطى ، إن في الفلسفة الإسلامية أو الفلسفة المسيحية ولدى مفكرى اليهود ، وبقيت تردّد إلى أن ظهرت الكشوف العلمية الحديثة في القرن السادس عشر .

وقد وضع أرسطو في الطبيعة عدة كتب ترجم معظمها إلى العربية ، وأدرك مفكرو الإسلام ما بينها من صلة ، فلاحظوا أن منها ما ينصب على المبادئ العامة ، وهو « كتاب السماء الطبيعي » ، وما ينصب على أمور خاصة ، « كتاب السماء » ، « الكون والفساد » ، « الآثار العلوية »^(١) . ويمنينا أن نقف قليلاً عند الكتب الثلاثة الأخيرة التى تتصل اتصالاً وثيقاً بكتب ابن سينا التى تقدم لها .

١ — فأما « كتاب السماء » ، أو « كتاب السماء والعالم » كما يسميه العرب ، فيقع في أربع مقالات . وأغلب الظن أن هذه التسمية سابقة على الإسلام ، وأنها وليدة خلط بين كتاب أرسطو وكتاب DeMondo لبوزيدويتوس (١٣٥ ق . م .) ، أجد رؤساء المدرسة المشائية المتأخرين ، لاسيما وفي كتاب أرسطو درس مستفيض

(١) الفارابى ، إحصاء العلوم ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٩٦ - ٩٧ .

للعالم^(١). وقد اشترك في ترجمة هذا الكتاب نفر من كبار المترجمين ، وهم ابن البطريق (٢١٥ هـ) ، وحنين بن إسحق (٢٦٣ هـ) ، وأبو بشر متى بن يونس (٣٢٨ هـ) . وترجم معه شرح الإسكندر الأفروديسي للمقالة الأولى ، وشرح تاهسطيوس للكتاب جميعه^(٢) . واحتفظت لنا المكتبات الأوربية بمخطوطين يشتملان على نصين لترجمة «كتاب السماء» ، متفاوتين في الدقة^(٣) ، ونشر الدكتور عبد الرحمن بدوي أحدهما منذ بضع سنوات^(٤) .

وما إن ترجم الكتاب إلى العربية حتى أخذ الباحثون يفيدون منه ، فاستعان به الكندي (٢٥٨ هـ) والرازي الطبيب (٣٠٩ هـ) في دراستهما الفلكية والطبيعية^(٥) ، وعلق عليه الفارابي (٣٣٩ هـ) تعليقا لم نعتز عليه بعد^(٦) ، وقد مهد ذلك كله لكتاب السماء والعالم لابن سينا (٤٢٨ هـ) .

٢ — وأما كتاب «الكون والفساد» فيشتمل على مقالتين ، واشترك في ترجمته أكثر من واحد ، لاسيما وقد كان العرب لا يقنعون بترجمة واحدة للمؤلف الواحد ، فيترجون عن السريانية كما يترجون عن اليونانية إن وجدوا فيها نصا . وفي مقدمة من أسهم في هذه الترجمة حنين بن إسحق ، وابنه إسحق بن حنين (٢٩٦ هـ) . وترجم مع كتاب «الكون والفساد» بعض شروحه القديمة ، وبخاصة شرح الإسكندر الأفروديسي ، وشرح لنا سطيوس ، وآخر ليحيى النحوى^(٧) . ولم نهند إلى شيء من ذلك بعد ، ونأمل أن يكشف البحث عنه يوماً . وقد أثارت ترجمته ما أثارت من درس وبحث في العالم العربي ، شأن مؤلفات أرسطو الأخرى . فوضع الكندي «رسالة في الكون والفساد»^(٨) ، وأشار الفارابي إلى

(١) Madkour, *Le phynique d' Aristote dans le monde arabe*, Congrès de philosophie (١) médiévale, Mendola 1964.

(٢) ابن النديم ، الفهرست ، القاهرة ١٩٣٠ ، ص ٣٥١ .

(٣) أحدهما في مكتبة باريس الأهلية تحت رقم (Fonds arabe 2281) ، والآخر في المتحف البريطاني تحت رقم (Add. orientales 7253) .

(٤) عبد الرحمن بدوي — دراسات إسلامية ، أرسطوطاليس ، في السماء والآثار العلوية ، القاهرة ١٩٦١ .

(٥) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٦١ ، ٤٢٠ .

(٦) ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، القاهرة ١٨٨٢ ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .

(٧) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٥١ .

(٨) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص ٢١٢ .

المؤلف الأرسطى فى بعض كتبه ، وأخذ عنه ما أخذ^(١) ، ولم يخرج ابن سينا ؛ كما سنرى ، على هذه السنة .

وأما « كتاب الآثار العلوية » فيقع فى أربع مقالات ، وقد ترجمه ابن البطريق إلى العربية منذ عهد مبكر ، وترجمت معه أيضا شروح قديمة ، أخصها شرح الإسكندر الأفروديسى^(٢) . وأبقى ازمن على مخطوط لترجمة ابن البطريق فى مكتبات استانبول^(٣) . وعليه عول الدكتور عبد الرحمن بدوى فى نشر كتاب الآثار العلوية منذ سنوات^(٤) . وفى العام الماضى أخرجه الأستاذ بشرائيتس إخراجا دقيقا محكما ، معولاً على الأصول العربية والعبرية واللاتينية واليونانية^(٥) .

ولكتاب « الآثار العلوية » شأن فى الدراسات الجيولوجية والجغرافية العربية ، فكان له صدى فى بعض رسائل الكندى فى الكريات والفلكيات^(٦) . وسيرا على سنن المشائين الأقدمين وضع له الفارابى شرحا مستقلا^(٧) . وسبق لنا أن قررنا أن ابن سينا فى كتابه « المعادن والآثار العلوية » قد التقى مع كثير من آراء أرسطو فى الرياح والسحاب ، والبخار والثلج والبرد ، وأنه ربط — كما صنع المعلم الأول — الجيولوجيا بالميتيورولوجيا^(٨) . ولم يخرج فلاسفة الأندلس على هذه السنة ، ولا ابن باجة^(٩) شرح على كتاب « الآثار العلوية » الأرسطى يعد للنشر منذ زمن^(١٠) ، ولا ابن رشد^(١١) شرح آخر عرف من قديم فى الفكر العبرى والفكر اللاتينى^(١٢) .

(ب) كتاب السماء والعالم لابن سينا

هو الفن الثانى من طبيعيات الشفاء ، يقع فى عشرة فصول ، ويكاد يدور حول ثلاث مسائل رئيسية ، وهى الأجسام الطبيعية ، والسماء ، والأرض . وينحوفه ابن سينا

(١) الفارابى ، إحصاء العلوم . ص ٩٧ ؛ الثمرة المرضية فى بعض الرسائل الفارابية ، ليدن ١٨٩٥ ، ص ٥١ .

(٢) ابن النديم — الفهرست ، ص ٣٥١ .

(٣) يانى جامع ١١٧٩ .

(٤) عبد الرحمن بدوى ، أرسطوطاليس ، القاهرة ١٩٦٠ .

(٥) كازيمير بترائيتس ، دار الشرق — بيروت ، ١٩٦٧ .

(٦) ابن النديم ، الفهرست ، ٣٥٩ ، ٣٦١ .

(٧) ابن أبى أصيبه ، عيون الأنباء ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

(٨) ابن سينا ، المعادن والآثار العلوية ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص (ز) .

(٩) يضطلع بهذا الاستاذ ماجد غزى .

(١٠) بترائيتس ، الآثار العلوية ، ص ١٦٦ .

منحى أقرب إلى التركيز منه إلى البسط والتفصيل ، يعنى بالمبادئ أكثر مما يعنى بالجزئيات .
 ويسلم بقدر منها مشروح في مظاهره ، ولا داعى لأن يعود إلى شرحه ، كملزمة الصورة
 للمادة ، ووحدة العالم ، ونهايته ، وقدمه . وكأنا مخاطب مشائين يعرفون أصول المذهب
 الأرسطى ، فهم فى غنى عن أن نوضح لهم . يشير إلى الملاحظة وينوّه بالأرصاد ، ولكنه
 يعول خاصة على البرهنة العقلية . ويستعين كماداته بالقسمة المنطقية التى تقود إلى نتيجة
 ملزمة ، وتمكن من إخماد الخصوم . ومع هذا ، يأتزم الإنصاف فى جدله ، فإن رأى أن
 حجته واهية لم يتردد فى الاعتراف بذلك . فيقول مثلاً لأنصار النار فيما أثير من مفاضلة
 بين النار والتراب : « لا القول الذى قالوه ، ولا الجواب الذى أجابنا به من جنس الكلام
 البرهانى (١) » . وقد يقع فى شيء من الاستطراد ، ثم يتدارك ويعود إلى ما كان فيه (٢) .
 ومؤلفه على كل حال أشد ضبطاً وأحسن تنسيقاً من « كتاب السماء » .

والأجسام فى رأيه ضربان : بسيطة وهى ما كانت حركتها دائرية ، ومركبة وهى
 ما كانت حركتها غير دائرية (٣) . ومنها خفيف يصعد إلى أعلى ، وثقيل ينزل إلى أسفل (٤) ،
 والحرار خفيف عادة ، والبارد ثقيل (٥) . والحركة الصاعدة تتجه نحو السماء ، والمهابطة
 تنزل إلى الأرض (٦) .

والسماء هى الجرم المحيط بالأرض ، وهى بسيطة ومتناهية ، وشكلها كروى (٧) .
 تتحرك بطبيعتها حركة مستديرة ، والحركات الدائرية أكمل الحركات (٨) . والسماء قديمة
 وإن تكن مبدعة ، فهى لا تقبل الكون ولا الفساد (٩) . وفيها أفلاك وكواكب ، وكلها
 متحركة ، تتحرك من الشرق إلى الغرب ، أو بالعكس ؛ ويظهر أن ابن سينا
 لا يسلم بأن الكواكب الثابتة فى كرة واحدة (١٠) . والكواكب مختلفة فى ألوانها
 وحركتها ، منها مضىء بنفسه كالشمس ، ومنها ما يستمد ضوءه من غيره كالقمر (١١) ،
 ويذهب إلى أن هناك كواكب لا تستمد ضوءها من الشمس (١٢) . ويستنكر ماذهب
 إليه بعض نصارى بغداد من أن سواد القمر يرجع إلى جانبه الذى لا يقابل الشمس (١٣) .

(١) ابن سينا - السماء والعالم ، القاهرة ١٩٦٨ : ص ٥٤ .

(٢) المصدر السابق ، انظر مثلاً ص ٤٩ . (٣) المصدر السابق ، ص ٧ ، ١١ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٢ . (٥) المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٦ . (٧) المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٨) المصدر السابق ص ٣٧ . (٩) المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ٤٦ . (١١) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(١٢) المصدر السابق ، ص ٤٨ . (١٣) المصدر السابق ، ص ٤٤ .

ولا يترسل في بيان عدد الكواكب ، ولا في ذكر أنواع حركتها ، لأنه وقف على هذا فنا خاصا من رياضيات الشفاء (١) .

والأرض في رأيه كروية أيضاً ، إلا أنها ثابتة غير متحركة ، فهي مركز العالم ، وكأنها في حال توازن بين الأفلاك المختلفة . ويبرهن ابن سينا على كروية الأرض ، كما صنع أرسطو . ويروقه خاصة برهان منظر السفينة التي لا ترى لأول وهلة جملة واحدة (٢) ويرد على القائلين بأن الأرض متحركة ، لأن الفلك يجذبها إلى الجهات المختلفة جذبا متشابهها فتبقى ثابتة (٣) . وعالم الأرض أدنى منزلة من عالم السماء ، ومكوناته هي العناصر الأربعة التي قال بها ابناءدوقليس من قديم ، وهي قابلة للكون والفساد (٤) ، ولا بكاد يشير ابن سينا إلى العنصر الخامس ، الذي شاء أرسطو أن يجعل منه مادة عالم السماء ، وهو الأثير (٥) .

* * *

لا نظننا في حاجة أن نشير إلى أن «كتاب السماء والعالم» مستمد أساسا من «كتاب السماء» ، ويكاد يعول عليه وحده . وكل ما بينهما من فارق هو أن ابن سينا يرى أن الدراسة الفلكية أولى بها أن تعرض في علم الهيئة ، وهو صناعة غير صناعة الطبيعيات ، لاسيما وهو في بحثه الفلكي متأثر بصاحب الجسطى بدرجة لا تقل عن تأثره بأرسطو . وسبق لنا أن لاحظنا أن ابن سينا لم يقف تقريبا عند فكرة العنصر الخامس (الأثير) ، وكأنه لا يأخذ بها ، لاسيما إذا أريد بها تفسير حركة الأفلاك والكواكب ، لأن عالم السماء تدبره نفوس مختارة بالطبع ، وهي مصدر حركته . هذا إلى أن عالم السماء في رأى ابن سينا مبدع ، والإبداع خلق من عدم ، وهذه نقطة دينية لا سبيل لفيلسوف مسلم أن يحيد عنها . والواقع أن أرسطو لم يقل بفكرة الأثير إلا في «كتاب السماء» ، ولم تصادف نجاحا لدى المشائين الأول ، وتردد المتأخرون في قبولها (٦) .

(ج) كتاب الكون والفساد لابن سينا :

هو الفن الثالث من طبيعيات الشفاء ، ويشتمل على خمسة عشر فصلا تقوم أساسا على الجدل والتاريخ ، ويطول فيها نفس المؤلف بقدر ما يقصر في «كتاب السماء والعالم» .

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠ ، ٣٧ . (٢) المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٦ . (٤) المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(٥) المصدر السابق ،

(٦) P. Moraux Aristote, Du Ciel, Paris 1963, P. L VI - LX.

فيعرض آراء الخصوم ويشرح حججهم ، ثم يشنّ بالرد عليها مستعينا بمنطقه غالبا ، ومفيدا أحيانا من بعض الملاحظات والتجارب . وجدله ضرب من التحليل اللفظي أو المنطقي الذي كان يعد في الماضي رياضة ذهنية ، قد لا نستسيغها نحن اليوم كثيرا . ولا غضاضة عليه في أن يتوقف إزاء ما لم يطمئن إليه أو ما لم يفهمه . ومن العسير أن نعتبر أقواله مصدرا تاريخيا ، لأنه لا يتحدث عن مدارس محددة ، ويكتفى بأن يسرد الرأي ، دون أن يعزوه إلى صاحبه ، وخلال مناقشات طويلة تتبعها في نحو خمسة فصول لم يذكر اسما واحدا من الفلاسفة السابقين لسقراط . وهو في تأريخه على كل حال عالة على أرسطو ، يأخذ عنه ويحاكي حواراه ، وقد يتوسع فيه بعض الشيء .

وسيرا على سنة المعلم الأول يحدد ابن سينا في الفصل الأول موضوع كتابه ، وهو ممن يؤمنون بالتغير ؛ ويرى أن عالم الأرض في تغير مستمر بعكس عالم السماء ، وليس تغيره إلا كونا وفسادا ، أو بعبارة أخرى وجودا وعدما . والقائلون بالتغير كثيرون ، ويمكن ردهم إلى فريقين : أنصار الوحدة ، وأنصار التعدد . فيذهب الأول إلى تفسير التغير في ضوء عنصر واحد كالماء أو الهواء ، ويذهب الآخرون إلى تفسيره في ضوء أكثر من عنصر (١) .

ويستعرض ابن سينا هذه المذاهب ، ويقف بوجه خاص عند مذهب الذرة وفكرة الكون ، فيفندهما تفنيدا تاما (٢) ، ولعله كان يصبو إلى بعض أنصارهما من مفكرى الإسلام (٣) . ويحلل نظرية المحبة والغلبة التي قال بها أبادوقليس ، ويبين ما فيها من نقص (٤) . وهو مع هذا يؤيد فكرة العناصر الأربعة ، ويجهد نفسه في دعمها ، ويستشهد بملاحظات وتجارب تثبت تحول بعضها إلى بعض (٥) . وعنده أن الأسطقسات أجسام بسيطة تتكون منها الأجسام المركبة ، وهي متعددة ومتناهية (٦) . ويفتن في بيان أنها أربعة لا تزيد ولا تنقص ، وإن عز عليه إثبات ذلك .

ويحاول تفسير الكون مفرقا بينه وبين الاستحالة من جانب ، وبينه وبين النمو من جانب آخر . فالكون تحول جوهر أدنى إلى جوهر أعلى ، في حين أن الاستحالة تغير في الكيفية مع بقاء أساس ثابت ؛ ففيها موضوع محسوس تطرأ عليه صفات جديدة ، بينما

(١) ابن سينا ، الكون والفساد ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٧٧ - ٨٥ .

(٢) المصدر السابق ، ٨٩ - ٩٤ ، ١٠١ - ١١١ ، ١١٢ - ١٢١ .

(٣) المصدر السابق ص (ط) (٤) المصدر السابق ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٢٢ - ١٢٤ (٦) المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

الموضوع غير محسوس في الكون^(١) . والنمو تغير في الحجم والمقدار ، فهو تغير مكاني دون نقلة مع بقاء طبيعة الجوهر ، والكون تغير في الجوهر نفسه . ويحاول أيضا أن يفرق بين الامتزاج والاختلاط ، فمن الامتزاج ينشأ جسم متجانس ، كل واحد من أجزائه شبيه بالكل وبأى جزء آخر . أما الاختلاط فهو مجرد تجاوز وتماس يبقى فيه كل من المختلطين قائماً بذاته^(٢) . والكون امتزاج دائماً ، ولا يحلو من فعل وانفعال ، فيتأثر المنفعل بالفاعل ، وينتج عن امتزاجهما صورة جديدة هي أشبه ما يكون بطبيعة وسطى بين الطبيعتين الأصليتين^(٣) ، وفي كل جوهر كيفية انفعالية يستعد بها لقبول فعل ما^(٤) . ولا سبيل إلى كون بدون قوة فاعلة ، فالسخن يستلزم حرارة تنصب على جوهر مستعد لقبولها^(٥) . والقوتان الفاعلتان هما الحار والبارد ، والقوتان المنفعلتان هما الرطب واليابس^(٦) . وتكون الأحياء وتنمو بفعل هذه القوى ، وهي تتلخص في العلل المادية ، والصورية ، والفاعلية . والناظية .

ولا يخضع الكون والفساد لعالم الأرض وحده ؛ بل هو خاضع أيضا لعالم السماء . فالفلك المحيط علة دوران الشمس الدائم حول الأرض ، وعلة تعاقب الليل والنهار ، وتعاقب الفصول ، وعلة الظواهر المتصلة بهذا التعاقب على وجه الأرض . يقول ابن سينا : « فالحرركات المستديرة السماوية المقربة لقوى الأجرام العالية والمبعدة هي أسباب أولى إلى الكون والفساد ، وعَوْدَاتُهَا ، لاحالة ، أسباب لعود أدوار الكون والفساد . والحركة الحافظة لنظام الأدوار والعودات ، الواصلة بينها ، والمسرعة بما لو ترك لأبطأ ولم يعدل تأثيره ، هي الحركة الأولى »^(٧) .

وفي هذا ما يفسر اطراد الظواهر الكونية وخضوعها لنظام ثابت ، وفيه ما قد يعين على شيء من التنبؤ بالمستقبل . وسبيله الرصد والحساب المبني عليه اللذان يسمحان بتتبع سير الكواكب والأفلاك ، واستنتاج ما يترتب عليه . ولكن الرصد ليس من الدقة بحيث ينتهي إلى أحكام يقينية ؛ هذا إلى أنه لا ينصب على وقائع جزئية ، وإنما يدور حول قضايا كلية ، وهذه لا تحقق ما ينشده القائلون بأحكام النجوم^(٨) . فينكر ابن

-
- | | |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) المصدر السابق ، ص ١٢٥ - ١٣٢ . | (٢) المصدر السابق ، ص ١٤٠ - ١٤٤ . |
| (٣) المصدر السابق ، ص ١٢٧ . | (٤) المصدر السابق ، ص ١٧٣ . |
| (٥) المصدر السابق ، ص ١٧٩ . | (٦) المصدر السابق ، ص ١٧٨ - ١٧٩ . |
| (٧) المصدر السابق ، ص ١٩٢ . | (٨) المصدر السابق ، ص ١٩٨ . |

سينا ، كما أنكر الفارابي من قبل ، التجيم ، ويرفض مالا يصح من أحكام النجوم (١) .
وكيفما كان سير الكون وانتظامه ، فإنه لا يتعارض مع القضاء الأزلي في شيء لأن هذا
القضاء « هو الفعل الأولى الإلهي الواحد المستعلي على الكل ، الذي منه ، تنشعب
المقدورات (٢) » .

* * *

يبدو ابن سينا هنا أيضاً مشائياً خلاصاً ، يأخذ عن أرسطو أولاً ، وقد يضم إليه
ما أضافه المشاعون . على أنه لا يتردد في أن يناقش هؤلاء ، ويرفض مالا يقره من آرائهم ،
وفي هذا ما يدعو إلى البسط والتطويل أحياناً .

وفي الكتاب الذي نقدم له أربعة فصول تدور حول شكوك أئمارها شراح أرسطو
السابقون ، ويحرص ابن سينا على مناقشتهم والفصل في مواطن الخلاف (٣) ، فيعرض مثلاً
لذلك الرأي القائل بأن البخار من طبيعة أخرى غير طبيعة الماء والهواء (٤) وهناك مسائل
لا تقبل التردد في نظره ، وهي تلك التي تتصل بالعوالم الدينية ، فيقطع بأن نظام الكون
لا يتعارض مع القضاء والقدر ، وبأننا لا نستطيع أن نكشف حجب الغيب ، ولا أن نتكهن
بالمستقبل في تفصيل ودقة .

(٥) كتاب الأفعال والانفعالات :

هو الفن الرابع من طبيعيات الشفاء ، ويقع في مقاليتين ، تحت أولاهما تسعة فصول ،
وتحت الثانية فصلان ، ولا يبدو في وضوح لم قسمه إلى مقاليتين مع أن الموضوع متصل ،
والكتاب كله أصغر حجماً من كل من الكتابين السابقين . وليس في قوائم كتب أرسطو
التي وصلتنا عنوان شبيه بهذا العنوان ، اللهم إلا إشارة غير صريحة في قائمة ديوجين
اللاثريسي ، ويمكن أن تصدق على « كتاب الكون والفساد » (٥) . على أن فكرة الفعل
والانفعال شائعة في فلسفة أرسطو ، وتكاد ترد في كتبه الطبيعية جميعها ، ولها شأن في
تفسير الكون والفساد أشرنا إليه من قبل (٦) . وكتاب ابن سينا الذي نقدم له يرجع في أغلبه

(١) Madkour, *Astrologie en terre d'Islam*, Congrès de Philosophie médiévale. Montreal' 1967.

(٢) ابن سينا الكون والفساد ، ص ١٩٦ .

(٣) المصدر السابق ، فصل ١٠ - ١٣ ، ص ١٦٠ - ١٨٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

(٥) Moraux, *Les Listes arciennes des ouvrages d'Aristote*, Louvain 1951, P. 45, 81, 82.

Maugler Aristote, *De la génération et de la Corruption* Paris 1966, P. VI.

(٦) ص ع .

إلى المقالة الرابعة وجزء من الثالثة من « كتاب الآثار العلوية » الأرسطي ، وكأننا شاء ابن سينا أن يقسم موضوع هذا الكتاب قسمين واضحين ، ينصب أحدهما على بعض الخواص الطبيعية الأرضية ، وسماه « الأفعال والانفعالات » ، وينصب الآخر على ما يتكون في باطن الأرض أو ما يحدث من ظواهر طبيعية بين السماء والأرض كالسحاب والرياح ، وسماه « المعادن والآثار العلوية » ، ووقف عليه الفن الخامس من طبيعيات الشفاء .

ويتحدث ابن سينا عن ملوحة ماء البحر ووزنه النوعي ، مبينا أنه أثقل من ماء النهر . والماء في طبيعته العنصرية حلو ، وإنما يكتسب الملوحة من اختلاطه بجسم آخر . وملوحة البحار مستمدة من الطبقات الأرضية التي اتصلت بها ، بدليل أننا نستطيع أن نقطر ماءها ونرشحه فيصير عذبا^(١) . ويعيب على أبنادوقليس قوله أن ملوحة البحر بسبب أنه عرق الأرض ، لأن هذا كلام شعري لا فلسفي ، وإن أمكن تأويله بأن هذه الملوحة شبيهة بالعرق الذي يستمد ملوحته من المواد المحترقة في البدن^(٢) . ويلاحظ أن هناك أما كن انحسرت عنها مياه البحار كالنجف في العراق ، وقد مثل أرسطو لهذا من قبل بدلتا مصر^(٣) .

وفصل ابن سينا القول في بعض مظاهر التغير المترتبة على الفعل والانفعال كالطبخ والقلى والنضج والنهوء ، والتجميد والتفحم ، والتصعيد والذوب ، والعفونة والاحتراق^(٤) . وهي تفصيلات تبدو اليوم غير ذات بال ، إلا أنها تؤذن بأن ابن سينا كان يؤمن بالتطور . فهو يرى مثلاً أن الأشياء قد تستعد بالعفونة لقبول صورة أخرى ، فتتولد منها أشياء جديدة من حيوان أو نبات^(٥) . ويعود إلى المزج فيتحدث عن أثره في الطعوم والروائح والمركبات ، وقد عرض له من قبل في كتاب « الكون والفساد »^(٦) . ويعبر عنه هنا بلفظ فيه شيء من اللبس ، فيسميه المزاج ، مع أنه عرض للأمزجة طويلاً في « كتاب القانون »^(٧) .

* * *

هذه هي كتب ابن سينا الثلاثة ، وقد أفاد منها الطبيعيون المعاصرون ، أمثال ابن الهيثم (٤٣٠ هـ) والبيروني (٤٣٩) ، وتأثر بها الباحثون المتأخرون ، وكان لها شأن

(١) ابن سينا ، الأفعال والانفعالات ، ص ٢٠٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٠٩ أرسطو ، الآثار العلوية ، طبعة بيروت ، ص ٤٧ .

(٤) ابن سينا ، المصدر السابق ، ص ٢٢٣ - ٢٣٤ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٢٦ (٦) ص ع .

(٧) ابن سينا ، القانون ، طبعة روما ، ص ٢ - ٥ .

في الدراسات 'الطبيعية العربية حتى أخريات القرن الماضي . وقد ترجت إلى اللاتينية في عهد مبكر ، منذ أخريات القرن الثاني عشر الميلادي ، وأخذ عنها فلاسفة اللاتين ما أخذوا ، واستعانوا بها بوجه خاص على فهم أرسطو .

ولاشك في أن نشرها اليوم يعين على فهمها بشكل أتم وأوضح ، ويمكن من ربطها بسلسلة الدراسات الطبيعية في التاريخ قديمه وحديثه . وقد اضطلع بتحقيقها الدكتور محمود قاسم ، ووقف عليها زمنا غير قصير ، وعول على عدة مخطوطات هي :

١ — مخطوط الأزهر : (ب) وهامشه (بـج) .

٢ — مخطوط دار الكتب : (د) .

٣ — مخطوط داماد الجديد : (سا) .

٤ — مخطوط المتحف البريطاني : (أ) .

٥ — نسخة طهران المطبوعة : (ط) .

وحرص الدكتور محمود قاسم على أن يلحق بالنص فهرسا للمصطلحات ، ويقينى أن قراءه يقدرّون ما أنفق من جهد وزمن ، ويرحبون بهذا التحقيق الذي كانوا يرتقبونه .

الفن الثاني من الطبيعيات

وهو مقالات واحدة في عشرة فصول

في السماء والعالم

الفصل الأول

فصل في

قوى الأجسام البسيطة والمركبة وأفعالها

الأجسام من جهة قواها لا تعقل إلا على أحد أقسام ثلاثة :

إما أن يكون الجسم واحداً لا تركيب فيه من جسمين ، وله قوة واحدة فقط ؛

وإما أن يكون الجسم واحداً لا تركيب فيه ، وله قوتان ؛

١٠. وإما أن يكون الجسم ذا تركيب من الأجسام تمازجت ، ويختص كل واحد منها بقوة ، سواء تفاعلت ، فحصل منها قوة واحدة مزاجية مشتركة ، أو لم تتفاعل .

وغرضنا أن نتكلم في القسم الثاني أنه كيف يمكن أن يوجد فنقول :

(١) في نسخة طهران : « الفن الثاني من الطبيعيات من كتاب الشفاء في السماء والعالم وهو مقالة واحدة عشرة فصول ثم يورد عناوين الفصول // صناعة : + في م ، د ، سا ، بج (٣) في د : « وهو في السماء ، // والعالم عشرة فصول » سقطت في د // + في م : في سا // (٣) وعشرة فصول : سا // سقطت في ب ، بج (٤) الفصل الأول في : م ، م ، د (١٠) أجسام : ب ، د (١١) يتفاعل : ب ، م ، د

إن هذا أيضاً يعقل على أقسام :

منها أن يكون القوتان أمرين غير صورة الجسم ، بل تابعان لها ، أو عارضان من خارج .

ومنها أن يكون أحدهما صورة ، والآخر لازماً أو عارضاً .

٥

ومنها أن لا يكونا عرضيين بل أمران يحصل من مجموعهما صورة واحدة للجسم ، بها الجسم نوع واحد . فلنجز الآن وجود القسمين الأولين ، ولنتأمل حال القسم الثالث .

وهذا القسم الثالث أيضاً يعقل على وجوه :

أما أن يكون كل واحد منهما مليئاً بإقامة مادته بالفعل جوهرًا قائماً أو يكون أحدهما كذلك ، أو لا يكون إلا مجموعهما كذلك . فإن كان كل واحد منهما مليئاً بإقامة المادة لو انفرد لزم من ذلك أن يكون المادة قد تقومت بأى واحد منهما شئت ، ويكون الآخر خارجاً عن تقويم المادة ، فيكون عرضاً ، فيكون كل واحد منهما صورة وعرضاً ، هذا خلف .

١٠

وإن كان المقوم أحدهما وحده كان الثانى عارضاً ، فلحق الأمر بأحد القسمين الأولين . وأما إن كان تقويمها للمادة أمراً ، يحصل عنهما بالشركة ، فمجموعهما ، بالحقبة ، هو الصورة ، وكل واحد منهما جزء الصورة . وكل واحد منهما لا يخلو إما أن يكون جزءاً متميزاً بنفسه لا كمعاني الجنس والفصل في الأمور البسيطة التي لا يتميز كل واحد منهما أمراً منفصلاً بنفسه ، بل يكون كأجزاء المركبات ، أو لا يكون كذلك . فإن لم يكن كذلك لم يكن واحد منهما يصدر عنه ، وحده ، فعل خاص

١٥

(٢) مصورة ، م // تابعين : م (٢) عارضين : م (٥) د : بل أمرين ، م : للأمرين
(٦) سا : لجوز (١١) سا ، د : انفردت // ط : ولو (١٢) د : تقوم (١٣) خلف : — في ط
(١٤) ب : وكان (١٥) د : لحصل (١٦) د : فشكل (١٧، ١٨) م : — لا // ط : ليس كل
(١٨) سا : — واحد

نوعى ؛ بل عسى أن يصدر عن المعنى الجنسى فعل جنسى (ثم نوعيته) بالمعنى الفضلى ،
مثلاً أن يكون الصادر عنه حركة مطلقة ، ويتخصص نوعها بشركة الفصل ؛ وهذا
مما لا ننكره .

- وأما الوجه الأول فهو محال ؛ وذلك لأن كل واحد منهما ليس ، وحده ، مقوماً
للمادة ، ولا أيضاً يتقوم بقريته ، وإلا فقريته أقدم منه ذاتاً ، وهو تابع لقريته .
وهذا مما لا ننكره ، أعنى أن يكون شيء من الهيئات يتقوم به هيئة
أخرى هو بعده فى الجسم البسيط ؛ بل هذا داخل فى أحد القسمين المذكورين . وإنما
ننكر أن يكون كل واحد منهما يتقوم بالآخر ، فيكون أقدم منه ، وأشد تأخراً عنه .
فبقى لا محالة أن الواحد منهما لا يتقوم إلا بالمادة ؛ إذ فرضنا أنها لا توجد إلا فيها .
وهو على ما فرضناه أيضاً غير مقوم له ، فالمادة أقدم منه ، لكنه أقدم من المركب
منهما ، أعنى من مجموع الهيئتين . وهذا المجموع هو المقوم للمادة بالفعل ، كما فرض .
فيكون ، بالحقبة أقدم من شيء هو مقوم للمادة ، فيكون أقدم من المادة ، وكانت
المادة أقدم منه ؛ هذا خلف .

- فقد ظهر استحالة هذا القسم ، فلا يجوز أن يكون صورتان ، ليست إحداها أقدم
من الأخرى ، يقمان المادة بالشركة . فإن كان قد يجوز أن يكون طبيعة واحدة بسيطة
يصدر عنها ، بما هى صورة ، قوة فعلية ، كما عن طبيعة الماء البرد المحسوس ، ويكون
عنها ، من جهة مادتها لمادتها قوة أخرى انفعالية ، كما للماء من الرطوبة . ويجوز أن
يكون قد تفيض عنها بحسب أين الجسم قوة مائلة ، وبحسب كيف الجسم قوة سخنة ، وتكون

(١) م : حقيق بدل جنسى . (٢) م : ما // م ، د ، سا : ينكره (٤) م : — الأول
// ط ، د : مقوماً وحده (٥) ط : يقوم // د : — أقدم منه ذاتاً وهو (٦) ط ، د :
ينكره // د : مما ، بدل ، ما (٧) د : — هو بعده فى الجسم (٨) م : إنما يتكرر ، وفى م ، سا :
لا ننكره (٩) فى ب : أنه لا يوجد // د : مقوم لها (١٠) فى ط : « أقدم من المركب » بدلا من
« أقدم منه » (١٢) فى د : فيكون أقدم // فى د : وكان (١٤) د : ليس أحدهما // ط : أحدهما ،
سا : أحدهما (١٥) ط : يقومان المادة // د : يقمان المادة // ط ، د : وإن (١٦) ط : كما يصدر

إحداها أقدم من الأخرى ؛ فإن المسخنة قبل المميلة ، حتى أن المكتسب سخونة بالعرض يميل إلى فوق ، أو يكونان معا ، ولكن إحداها سببها تلك الصورة لذاتها ، كالسخونة للنار ، والبرودة للماء ، والأخرى سببها الصورة مع عارض عرض لها مثل الميل ، إذا كان الجسم عرض له مفارقة مكانه الطبيعي . وإما أن يكونا معا ، ولا سبب إلا الصورة الواحدة ، فلا يمكن . وأنت قد علمت الفرق بين الصورة وبين هذه الأحوال قبل هذا الموضع .

وأنت تعلم من هذا أن الجسم في مكانه الطبيعي لا يكون سبب حركته موجوداً من حيث هو سبب حركته ؛ إذ لم يكن السبب صورته فقط ؛ بل صورته وشيء ، فلا يكون ، بالحقيقة ، شيء واحد هو سبب الحركة إلى المكان الطبيعي ، وسبب السكون . وبزول عنك الشك الذي يورده بعضهم . ويجب أن لا يشك في استحالة وقوع الأفعال المختلفة ؛ إذ كانت المادة واحدة والقوة واحدة ، والسبب الفاعلي واحداً . فتعلم أن القوة الواحدة يصدر عنها فعل واحد ، وأن الفاعل الطبيعي الواحد لا يصدر إلا عن قوة واحدة . فإن كان ذلك الفعل الطبيعي واحداً بالجنس ، كحركة الماء والأرض إلى أسفل ، فإن هاتين الحركتين واحدة بالجنس ، لا بالنوع ؛ لأنهما يشتركان ويفترقان في أمر ذاتي لهما .

أما الاشتراك فلأنهما يتوجهان من حيز الهواء إلى البعد عن الفلك .

وأما التباين فلأن نهاية كل واحدة منهما ليست نهاية الأخرى بالنوع ، وكانت القوة واحدة بالجنس لا بالنوع . فإن القوة الواحدة بالنوع إنما تحصل غاية واحدة بالنوع . [و] إذا كان الفعل الطبيعي واحداً بالنوع . فإنما تحصل غاية

(١) م ، ط ، د : أحدهما أقدم من الآخر (٢) م : أحدهما سببه (٣) م : الآخر سببه (١٠) م : عنه (١١) ط ، د : إذا كانت (١٣) سا : فكان (١٦) ب ، ط : فبأنهما ، ب : فأنهما (١٧) سا : وأما القياس // د : نهاية كل نهاية واحدة (١٨ ، ١٩) م : — وكانت القوة واحدة بالجنس لا بالنوع . فإن القوة الواحدة بالنوع // د : كانت (١٨) د : — الواحدة

- واحدة بالنوع . وأيضاً إذا كان الفعل الطبيعي واحداً بالنوع فببداؤه واحد بالنوع .
ولو كان مبدؤه واحداً بالجنس لكان البسيط الذى يشاركه فى نوع تلك الحركة
لا يشاركه فى العلة النوعية ؛ بل فى العلة الجنسية والقوة الجنسية ، ويخالفه فى زيادة
فصل لقوته . فذلك الفصل إما أن يخص فعل القوة ، أو لا يخص . فإن خصص
فليست الحركة فى نوعية الفعل ؛ وإن لم يخص فليس ذلك فصلاً للقوة من حيث هى
قوة توجب حكماً فى القوة ، من حيث هى قوة ، فيكون أمراً عرضياً لا فصلياً .
- ٥

(١) د : « وأيضاً إذا كان الفعل الطبيعي واحداً بالنوع » مكرر // ب : بالطبع
(٢) د : — الحركة (٣) م : — والقوة الجنسية (٤) فى م : فصل القوة // ، م : الفعل
(٦) « توجب حكماً فى القوة من حيث هى قوة » سقطت فى « سا »

الفصل الثاني

فصل في

أصناف القوى والحركات البسيطة الأولى وإبانه أن الطبيعة

الفلكية خارجة عن الطبائع المنصيرية

قد عرف مما سلف أنه إذا كانت حركة طبيعية مستقيمة افترض للحركات الطبيعية
أجناس ثلاثة : جنس المتحرك من الوسط و جنس المتحرك إلى الوسط ، و جنس المتحرك
على الوسط .

فلنعلم أنه ليس يجب أن يكون المتحرك من الوسط لا محالة إنما يتحرك من عين
الوسط ؛ فإنه إذا كان من موضع آخر لكنه يبعد بحركته عن الوسط فهو يتحرك
إلى الوسط ، ولا المتحرك إلى الوسط هو الذي ينتهي لا محالة بحركته إلى عين الوسط .
فإنه ، وإن لم يكن يقرب بحركته إلى الوسط فهو متحرك إلى الوسط ، وليس
كل ما يتحرك إلى شيء يصل .

والمتحرك على الوسط ليس يجب ، لا محالة ، أن يكون الوسط مركزاً له ، فإنه ،
وإن لم يكن مركزاً له ، وكان في ضمنه ، فهو متحرك على الوسط ؛ إذ يتحرك حوله بوجهما
إلا واحداً بعينه ، هو من جملة المتحركات على الوسط ، وهو المحدد للكل . فإن الوسط

(١) م ، ط : الفصل الثاني (٢) سا ، ب ، د : فصل في (٤) م : خارج (٥) ط ، د : عرفت //
« سا » : فيما سلف // د : ما سلف // م : — مستقيمة (٧) م : إلى الوسط (٨) د ، ط : فليعلم
(٩) ط : كان في // م : سقطت الجملة « من موضع آخر لكنه يبعد بحركته عن الوسط » وفيها
زيادة أخرى هي : « يقرب بحركته إلى الوسط (١٠) في م : عن الوسط // في م : — ولا للمتحرك
إلى الوسط // م : — « إلى » الثانية (١١) م ، د : وإن كان // « فهو متحرك إلى الوسط » :
مكررة في م (١٢) ط : « كلما » بدل كل ما (١٤) د : « مراكر » بدلا من « مركزا له » // م : وإن
كان // د : أو كان (١٥) م : فهو (١٥) ط : « وهذا هو المحدد »

يجب أن يكون مركزاً له . وأما غير ذلك الواحد فربما كان المستدير المتحرك على الوسط ليس مركزه وسط حركة المتحرك إلى الوسط ، وعن الوسط ، فلا يكون هو الذى بالقياس إليه يتحدد الوسط الفاعل للجهات الطبيعية للحركات المستقيمة . وإذا كان المتحرك متحركاً حول هذا الوسط ، وليس هو مركزه ، فيعرض له تارة أن يكون أقرب منه ، وتارة أن يكون أبعد منه . وليس ذلك لأنه يتحرك إلى الوسط أو عن الوسط ؛ لأنه ليس يتوجه بحركته إلى ذلك القرب والبعد توجهاً ذاتياً ؛ بل إنما يتحرك ، وهو على مداره ، لكن عرض أن يكون جزء من مداره أقرب من الوسط المذكور وجزء أبعد ، كما أن الأجزاء مداره قريباً وبعداً من أشياء يكاد لا ينتهى بالقوة ، وليس حركته إليها بالقصد الأول ، بل القصد الأول فى حركته حفظ مداره ، ثم يعرض منه ذلك . ولو كان بالقصد الأول لكان يقف عند حصول المقصود ولا يفارقه ، ولكن يتحرك إليه من أقرب المسافات ، وهو المستقيم ، لا على إنحراف . وعلى أن هذا القرب والبعد ليس يعرض لجملة المتحرك على الوسط ؛ إنما يعرض لجزء من المتحرك على الوسط ، ليس هو جزءاً منفصلاً متحركاً بنفسه ؛ بل هو جزء موهوم متحرك بالعرض ، لو كان أيضاً غير موهوم . وأما السكلية فإنما تتحرك فى الوضع .

فإذا كان ذلك كذلك ولم يكن هناك متحرك ، ولا حركة بالذات إلى جهة يتحرك إليها بالقصد الأول ، فكيف يكون حركة حقيقية إلى الوسط ، أو عن الوسط ، حتى يشنع بذلك بعض المتقربين إلى العامة من النصارى وهو يشعر ؟

فالتحرك بالطباع إلى الوسط هو الذى يسمى ثقيلًا ، والمرسل منه هو الذى من

(٢) «إلى الوسط» مكررة فى م (٣) د : يتحدد الوسيط (٤) د :- حول (٤) د :- «له تارة» (٤، هـ) د : أقرب إليه (هـ) د : وليس كذلك // م : «أو عن الوسط» مكررة (٧) م : مدار // م : ولكن (٨) ط . د : يكاد أن (٨) م : حركة (١٠) م : لا يفارقه (١٤) ط : أيضاً + مقارنته // ط : + بل كان مجاوراً له // ب : فاما . (١٥) م : وإذا كان // م : لم يكن // د : هنا // د : فلا (١٦) د : + أو شبه حركة يتحرك إليها // ط : حركته (١٨) س ، ب : بالطباع ، د فى ط : بالطبيع

شأنه ، إذا فارق مكانه الطبيعي ، ولم يعرض له مفسد ولا مانع ، أن يبلغ الوسط ، فيكون راسبا تحت الأجسام كلها .

والمتحرك بالطباع عن الوسط هو الذي يسمى خفيفا ، والمرسل منه هو الذي من شأنه ، إذا فارق مكانه الطبيعي ، وحصل في ناحية الوسط ، ولم يعرض له مفسد ولا مانع ، أن يعود فيتحرك حتى يبلغ أبعد حدود حركات الأجسام الطبيعية من فوق ، فيكون طافيا فوق الأجسام المستقيمة الحركة كلها . وأما الثقيل على الإضافة ، والخفيف على الإضافة ، فكل على قسمين .

ولنذكر قسمي الثقيل بالإضافة :

فأحدهما الذي هو بطباعه متحرك في أكثر المسافة الممتدة من حدى الحركة المستقيمة حركة إلى الوسط لكنه لا يبلغه . وقد يعرض له أن يتحرك عن الوسط ولا يكون تانك الحركتان متضادين ، كما ظنه بعضهم ؛ لأنهما ينتهيان إلى طرف واحد ونهاية واحدة ، وهذا مثل الماء . فإنه إذا حصل في حيز النار والهواء ، تحرك بينهما إلى الوسط ، ولم يبلغه ؛ وإذا حصل في حيز الأرض بالحقيقة ، وهو الوسط ، مثلا ، تحرك عنه بالطبع ليطفو عليه ، فهو من هذه الجهة ثقيل مضاف ، ومن جهة أنه إذا قيس إلى الأرض نفسها ، فكانت الأرض سابقة له إلى الوسط وأشد ميلا إلى الوسط ، فيصير عند الأرض خفيفا ؛ وهي أيضا ثقيلة بالإضافة من هذا الوجه . وهذا الوجه يقرب من الأول ، وليس به ؛ فإن هذا باعتباره ، وهو يشارك الأرض في حركتها إلى الوسط . ولكنه يبطل ، ويتخلف عنها . وأما ذلك فباعتباره من حيث لا يريد من الوسط الحد الذي تريده الأرض بعينه . وهذا الاعتبار غير ذلك . وكيف لا ، وربما شارك

(١) م ، - : له (٣) د : بالطباع // م : حقيقيا // سا : والمرسل إليه (٤) د : لا مانع له (٥) م ، يعوق (٦ ، ٧) سا : - والخفيف على الإضافة // سا : - على الإضافة (٩) د : وأحدهما // د ، سا : هو الذي (١٠) ط : حركته // سا : - أن (١١) : سا : سنيان إلى طرف واحد (١٢) د ، ط : يتحرك (١٥) سا ، د : الأرض نفسه // د ، ب : وكانت (١٦) ط : خفيفة // سا ، ب : وهو أيضا ثقيل . (١٨) ط ، د ، سا ، ب : عنه // ب : على الوسط

البطء السريع في الغاية، إذا كان اختلاف ماينها للصغر والكبر؟
وهكذا يجب أن يتحقق، في جنبه، الخفيف المضاف أيضاً.

ولفظيا الخفة والثقل قد يعنى بكل واحدة منهما أمران.

- أحدها : أن يكون الشيء من شأنه أنه إذا كان في غير الحيز الطبيعي تحرك بميل فيه طبيعي إلى إحدى الجهتين . وإذا عني بالثقل والخفة ذلك كانت الأجسام المستقيمة الحركة دائماً ثقيلة أو خفيفة .

والثاني : أن يكون ذلك الميل لها بالفعل . فإذا كان ذلك كذلك لم تكن الأجسام، في مواضعها الطبيعية ، بثقيلة ولا خفيفة .

- وأما الجسم المتحرك بالطبع على الاستدارة فإنه لاثقل ولا خفيف . لا بالوجه المقول بالفعل ، ولا بالوجه المقول بالقوة . وهذا الجسم قد سلف منا إثباته بالوجه البرهاني ، وبيننا أنه أقدم وجوداً من هذه الأجسام الأخرى . فإن هذه الأجسام طبايعها لا توجد مطبوعة على أيون يريدها إلا بعد أن توجد أما كنها الطبيعية . ويكون ذلك لا على أنها علل لاحداث أما كنها الطبيعية فإنه لا يصير طبيعية ، أو يكون لها أحياز طبيعية ؛ وإنما يتحدد أما كنها بهذا الجسم . فهذا الجسم أقدم بالذات من معنى هو مع هذه الأجسام لايتأخر عنها . وما هو أقدم من مع فهو أقدم . والأولى أن يكون (أتم) البسيطين أقدم ، و(أتم) الحركتين البسيطيتين هو المستدير ، والأولى أن يكون أقدم البسيطين لأقدم الجسمين ، وذلك لأن الحركات الطبيعية البسيطة يجب أن تكون للأجسام البسيطة . فإن المركبة إن كان لها مبدأ حركة بسيطة طبيعية لم يخل : إما أن

(١) م : للصغير والكبير (٢) م : يحقق // م : حينه (٣) ط : لفظيا (٤) ط : حيز الخير // ط : يتحرك
(٥) ط : فإذا // م : أما لنقل (٦) م : للحركة (٧) م : يكن (١٠) د : « بالنوع » بدلا « من بالقوة » // سا : وهذا الوجه (١٢) ط : متبوعة // م ، سا : تريدها (١٣) ط : وقد يكون ذلك
(١٥) د : في معنى (١٦) ط : الحركتين البسيطتين (١٧) م : - البسيطين // ط : يكون

يكون إنما يصدر ذلك عن قوة تحدث عن امتزاج قوى ، فيكون مقتضاها ممتزجا عن مقتضيات القوى البسيطة ، فإما أن تتمايع ، وأما أن يغلب واحد ، وإما أن تتناوب . فإن تمانعت فلا حركة ، وإن غلب واحد فذلك الواحد هو قوة الجسم البسيط المتقدم ، لا قوة المركب ؛ لكن حركة مشوبة بإبطاء لا محالة لمقاومة القوى الأخرى ، والمشوبة بالإبطاء غير صرفة ، ولا بسيطة مطلقة . وإن تناوبت فالحركة مركبة من حركات .
 ٥ وكل بسيطة منها فهي عن بسيطة ، هي علمتها وقتا ما .

وإما أن لا يكون من قوة ممتزجة من قواها ، بل يكون المزاج يلزمه استعداد أن يقبل قوة يصدر عنها نوع من التحريك آخر ، فلا تكون هذه الحركة ، بالحقيقة ، طبيعية ؛ وذلك لأنها قاهرة لمقتضى القوى الطبيعية الأولية في الجسم ، فإن تلك القوى تقتضى جهة أو تقتضى تمانعا وسكونا ، كما بيناه الآن . وهذا إنما يصدر عن ذلك ويصرف عنه قسراً ؛ فتكون هذه القوة دخيلة على القوى الطبيعية كما تدخل الحرارة على الأرض والماء فتصدعهما . وهناك قوة يرجحن بها . لكنها تغلب ، كما أن الإرادة أيضا توجب خلاف مقتضى الجسم من الحركة .
 ١٠

وإذا كان كذلك فتكون هذه القوة الطارئة لا تفعل حركة طبيعية ؛ بل تفعل حركة مضادة للطبيعية . وليس علينا الآن أن نتكلم في أن هذا يجوز وجوده أو لا يجوز . فإنه من حيث يجوز حدوث قوى بعد المزاج الأول هي صورته لا غريبة عرضية ، فيستحيل أن هذا يجوز وجوده . ومن حيث يظن أنه لا يجوز أن يكون الشيء يُعد لضده ومخالفه بالطبع ، فيظن أن هذا لا يجوز وجوده ، وخصوصا على سبيل ما يستكمل الجسم الطبيعي به نوعا ؛ بل إن كان ولا بد فلسفيا من خارج ولمبدأ غريب وغير
 ١٥

(١) ط: يحدث// سا: «قواها» بدلا من مقتضاها (٢) ط: عن مقتضاها// م: تمانع// ط: يتناوب
 (٣) سا: القوة// ط: البسيطة (٤) م: ولكن// م: مشوية (٦) د: فهو عن
 (٨) ط: فلا يكون (٩) م ، ط: يقتضى (١٠) م: وتكون ، بدلا من «سكونا»
 (١٠) م: يصد (١١) سا: قهرا// م: ويكون// م ، ط: يدخل (١٤) م ، ط ، سا:
 فيكون// ط: بل يفعل (١٥) م: للطبيعة// م: «إلا» بدلا من «الآن» (١٦) د: + حدوث وجوده
 قوى// م: هو صورته// «غريبة عرضية فيستحيل» مطبوعة في م// د: - غريبة (١٧) ب:
 فيتخيل// ط: من حيث به (١٨) م: مخالفة (١٩) د: له نوعان// ط. سا: وإن كان

مكمل النوع ؛ بل طارئ بعد استكمال النوع ، وعلى أن تحريك هذه القوة يتوجه إلى مكان ما ، ويكون لذلك المكان جسم طبيعي وبسيط . وهذه القوة تحرك إليه أيضا جسما بالطبع . فإن كان الجسم الطبيعي الذي لذلك المكان موجودا في هذا المركب فالحركة بحسب البسيط ؛ وإن لم يكن موجودا كان مكان واحد تقتضيه بالطبع أجسام كثيرة ، وهذا محال ؛ اللهم إلا أن يكون ذلك التحريك هو في حيز غير مختلف بالطبع ، مثل حركتنا في الهواء . ومثل هذه الحركة لا تكون طبيعية ؛ لأن الطبيعية لا تخرج عن ميل بالطبع إلى ميل بالطبع .

- وأما الإرادة فلها غايات غير طبيعية ، وإذا كانت الحركات البسيطة الطبيعية يكون للأجسام البسيطة ، كانت الحركات البسيطة إما مستقيمة وإما مستديرة ؛ إذ المسافات البسيطة إما مستقيمة وإما مستديرة ؛ وأما المنحنية ، وإن كانت محصلة النهايات ، فليس تحصل النهايات بها تحصلا واجبا ، إذ يجوز أن تكون تلك النهايات لمنحنيات أخرى لانهاية لها ؛ وأما المستقيمة فليست كذلك . وإذا كان كذلك فلا يتعين لطبيعة البسائط سلوك بين نهايتين للمنحنيات على نوع منها ، دون نوع . وأما المستقيمة فيتعين منها ذلك ، وإن كانت غير متعينة النهايات ، من حيث هي مستقيمة . غير أن لك أخذ المنحنى غير بسيط ؛ لأن المنحنى لا يكون في نفسه أيضا متشابه الأجزاء ، كان محيطا أو مقطوعا والبسيط متشابه .

فبين أن الحركات المستديرة والمستقيمة البسيطة هي للأجسام البسيطة ، كما أن الأجسام البسيطة حركاتها الطبيعية إما مستقيمة وإما مستديرة .

- (١) ط : طا // ساء ب : للنوع (٢) ط : متوجه // د : بسيط (٤) ط : يقتضيه
(٦) د : هذا الهواء // ب : الطبيعة // د : - لأن الطبيعية (٨) ط : الإرادات
(٩) م : وكانت . (٩ ، ١٠) سا : - إذ المسافات البسيطة إما مستقيمة وإما مستديرة (١١) سا ، ط ،
د : فإن كانت // ط : ليست (١١) ب : تتحصل (١٢) م : للمنحنيات . // م : - وإذا كان كذلك
(١٣) سا : سكون // م : من نهايتين (١٤) د : وذلك . (١٥) ب : وعلى أن المأخذ المنحنى غير بسيط ،
يج : وعلى أن المأخذ المنحنى عن بسيط ط : وعلى أن مأخذ المنحنى ، د : سقط « غير بسيط ، لأن المنحنى »
// يج : في نفسه أيضا لا يكون متشابه (١٦) د : « مقلوبا » بدلا من « مقطوعا »
(١٨) د : إما مستديرة أو مستقيمة (١٨) د : إما مستديرة وإما مستقيمة

ولما كان لا يمكن أن تكون مستقيمة إلا كانت جهة ، ولا تكون جهة إلا كان محيط بالطبع ، ولا يكون محيط بالطبع إلا أن يوجد المستدير المتحرك على الاستدارة ، على ما سلف لك من جميع ذلك ، والمستقيمة الطبيعية موجودة فالمستديرة موجودة . والأجسام التي لها في طباعها ميل مستدير ، كانت كثيرة أو واحدة ، فإنها جنس يخالف الأجسام المستقيمة الحركة بالطبع خلافا طبيعيا ، كما قد وقفت عليه من الأقاويل السالفة . ولكنها إذا اقتضت بعد ذلك ، مواضع في الطبع مختلفة ، وجهات في الحركة مختلفة ، فبالحرى أن تختلف بالنوع .

والأجسام التي إذا حصلت مع أجسام أخرى بالتوهم ، في حيز واحد ، فتحركت هذه إلى الوسط ميلا ، وتلك لم تتحرك ؛ بل سكنت ، أو تحركت عن الوسط ، أو سكن بعضها وتحرك الآخر عن الوسط ، وذلك لها بالطبع ؛ فإنها متخالفة للطباع بالذات . فتكون المتحركات إلى الوسط جنسا ، والمتحركات عن الوسط جنسا يخالف ذلك الجنس الآخر . لكنها ، إن وجدت بعد ذلك ، مختلفة بالطبع ، حتى يكون الواحد يقتضى موضعا طبيعيا فوق أو تحت الآخر ، وواحد يتحرك أبعد ، وواحد يتحرك أقرب ، وواحد يبقى ميلا ، وآخر يزول ميلا ، وذلك لها بالطبع ؛ فهي مختلفة الأنواع بالطبع ؛ فيسقط بهذا مناقضة من قال : لم أوجبتم اختلاف طباع الأجسام باختلاف حركاتها ، ثم جعلتم الأفلاك طبيعة واحدة خامسة ؟ فإننا لم نجعلها واحدة بالنوع .

وكذلك إذا كانت الحركة عن الوسط ، أو إلى الوسط ، معنى كالجنس فلا تصير الأجسام بها متفقة إلا في معنى جنسى . وأما التخصيص بموضع بعينه طبيعى فهو

(المعنى النوعي)

(١) د : حركة مستقيمة (٤) ط : طباعها (٥) ط : يخالف للأجسام (٦) ط ، د : في الحركات (٧) م ، ط : يختلف (٨) ط : فالأجسام // م : - إذا (٩) م : مثلا // د : وتحركت // ط : من الوسط (١١) م : ط : فيكون (١٢، ١١) ط : يكون جنسا يخالفه ذلك الجنس جنسا يخالف الخ (١٤) د : مثله // د : - آخر يزول ميلا // ط : وواحد يزول // ب ، ب : بخ : - بالطبع (١٥) د : « فليسقط » بدلا من يسقط // م : بها // د : لم وجدت اختلاف (١٦) ب ، ب : بخ : طبيعية (١٧) م : كان // بخ : « وإذا كان كذلك كانت » وهو الأرجح . // ط ، د : يصير (١٨) د : بمعنى

وعلى هذا ، ما يخالف الماء الأرض في الطبع ؛ لأن حركتيهما ليستا إلى حقيقة المركز إلا للقهر أو لوقوع الخلاء ، لو لم ينجذب الماء إذا زال عنه الأرض ، ولتلازم الصفائح على النحو المذكور ، وإلا فحركة الماء إلى حيز غير حيز حركة الأرض ، فهما واحد بالجنس ، لا بالنوع .

- وإذا عرض لجسم واحد ، باعتبار مكانين ، حركتان إحداها عن الوسط ، والأخرى إلى الوسط مثلاً ، كالهواء ، على مذهب المشائين ، لو أدخل في حيز النار لهبط ، وإذا أدخل في حيز الماء صعد ، فليس يجب أن يكون مخالفاً لطبيعته ؛ لأن ذلك له عند حيزين مختلفين ، وغايته حيز واحد هو الطبيعي له .

- وأما أنه هل إذا كانت حركة توجد غير طبيعية لجسم ، فيجب أن تكون طبيعية لجسم آخر ، فهو شيء لم يُبرهن عندي بعد إلى هذه الغاية ، ولا أراه واجباً . وعسى أن يقول ١٠ فيه غيرى ما ليس عندي .

ويسقط ، بمعرفة هذه الأصول ، سؤال من ظن أنه يقول شيئاً ، فقال : إن كان اختلاف الحركات يوجب اختلاف الأجسام في الطبايع ، فاتفاقها يوجب الاتفاق ، فالأرض على طبيعة الماء .

- أما أولاً فلأن اتفاق الحركات في الجنس إنما يوجب اتفاق الطبايع في الجنس فقط ، ١٥ إن أوجب اتفاقاً ، وهاتان الحركتان متفقتان في الجنس ، فيجب أن توجبا اتفاق الطبايع في الجنس لا في النوع .

وأما ثانياً فلأن اختلاف الأشياء في معانيها الذاتية واللازمة للذاتية يوجب الاختلاف

(١) م : حركتهما ليست (٢) د : القهر // م : وليلازم . (٣) م : سقطت «حيز» الأولى // م : حيز الثانية هي «جزء» (٦) م ، ب : سقطت «لو أدخل في حيز النار لهبط» (٧) م : لطبيعة (٨) د : خير (٩) م : كانت له // م : أن يكون // سا : طبيعته (١٠) م : يتبرهن (١٢) م : لمعرفة (١٣) م : واتفاقها (١٥) م : الاتفاق الحركات (١٥ ، ١٦) م : سقط منها : «فقط إن أوجب اتفاقاً ، وهاتان الحركتان متفقتان في الجنس ، فيجب أن توجبا اتفاق الطبايع في الجنس (١٦) د إن أوجب // في د : سقط : «فيجب أن توجبا اتفاق الطبايع في الجنس» (١٨) د : اللازمة الذاتية

في النوع ؛ والاتفاق في ذلك لا يوجب الاتفاق ، وإلا لكانت المتجانسات متفقة النوع .
ومع ذلك ، فقد قاس هذا الإنسان قياساً ردياً فقال : إن أمكن في الأجرام
البسيطة ، التي ليس نوع طبيعتها نوعاً واحداً ، أن تتحرك حركة بسيطة نوعها بالطبع نوع
واحد ، انعكس انعكاس النقيض ، فأمكن أن يكون للأشياء التي لا تتحرك حركة طبيعية
واحدة بالنوع بسيطة نوع واحد طبيعي . فجعل ماظنه عكس النقيض تالياً لمقدمة
هي عكس نقيضها .

وإنما غلط في هذا العكس ؛ لأنه أخذ القضية ممكنة ، وظنها وجودية أو ضرورية ،
فأوجب عكسها . وهذا النوع من عكس النقيض لا يصح في المقدمات الممكنة ، إذا
جعلت الممكنة جهة ، ولم تجعل جزءاً من المحمول ، كما لو قال قائل : إن أمكن الجواهر
المختلفة التي ليست طبيعة نوعها طبيعة واحدة ، أن تشترك في ماهية مشتركة واحدة ،
أو صفة واحدة ، أمكن للأشياء التي لا تشترك في ماهية واحدة وصفة واحدة أن تكون
طبيعتها ونوعها واحداً .

وإذا كان هذا العكس لا يصح فاعلم أن ماقله لا يجب . وأما إن جعل الممكن
جزءاً من المحمول صح العكس . ولكن لم يكن مايريده ، وكان عكس نقيض تلك
المقدمة أن ما ليس يمكن أن يتحرك حركة بسيطة واحدة نوعها واحد ، فليس من الأجرام
البسيطة التي ليس نوع طبيعتها نوعاً واحداً . وهذا حق . فقد عُلِمَ من هذا أن الطبيعة
السمائية مخالفة لهذه الطبايع في مبادئ الحركات ، فيجب أن تكون مخالفة لها في الأمور
النوعية التي تتعلق بما يتعلق به الاختلاف . ولكن الحرارة والبرودة لازمتان منعكستان

(١ ، ٢) د : سقط منها « والاتفاق في ذلك » إلى قوله : ومع ذلك // م : للمتجانسان // ب :
متفقات (٢) م : يقال // م : الأجسام (٣) ط ، د : يتحرك (٤) ط : ينعكس بها // ط : أمكن أيضاً
// م : الأشياء // د : - لا (٧) م : غلط // ط ، د : « المقدمة » بدلا من « القضية » // م : - أو
(٨) م : للمقدمة (٩) م ، ط : يجعل // م : - قائل (١٠) م : طبيعية // م : سقطت « طبيعة » الثانية
(١١) م : د : أمكن الأشياء // ط : يشترك (١٢) م : أو نوعها (١٣) م : فإذا هذا العكس //
د : فإذا . (١٤) م : جزء // ط : يزيده (١٥) د : يمكن (١٧) م : يكون // ط : مخالفته (١٨) م : معلق
// م : لكن // م ، د : لازمان منعكسان

على الخفة والثقل . فالمادة إذا أمعن فيها التسخين خفت . فإذا خفت سخنت . فلا خفيف إلا وهو حار . ويعرض لها إذا بردت بشدة أن تثقل . وإذا ثقلت بشدة أن تبرد . فلا ثقيل إلا وهو بارد . فيكون الحر والبرد منعكسين على الثقل والخفة ، كالإشفاق وغير ذلك مما يوجد في الثقيل والخفيف .

- ٥ فالجسم ، الذي فيه مبدأ حركة مستديرة ، لآحار ولا بارد . فيسقط بذلك سؤال من يرى مشاركات بين الطبيعة الخامسة وغيرها ليست مما ينعكس على الثقل والخفة . والذي ظن ، وقال إن الهواء يصعد من حيز الماء ، ويهبط من حيز النار ، فيكون جسم واحد متضاد الحركة ، ومع ذلك لا يضاد ذاته ، فتضاد الحركات لا يوجد تضاد الطبايع — فأول ما فيه أننا قد بينا أن هاتين الحركتين غير متضادتين بالحقيقة . وأما بعد ذلك فقد يعرض عن شيء واحد أفعال متقابلة لأحوال متقابلة . فتارة يسكن ، وتارة يتحرك . ١٠ إنما يوجب التضاد إذا كان الحال واحدة فيصدر عنها حركات متضادة ، فنعلم أن فيها مبادئ متضادة . وأما إذا كانت الأحوال متقابلة فيجوز أن يكون مبدأ مثل هاتين الحركتين جميعاً صورة واحدة ، وقوة واحدة هي الطالبة لمكان بعينه ، فيوجب حركتين متخالفتين أو متضادتين نحو مكان واحد بحالين متضادين فيها . وليست هذه الأجسام تكون متضادة الصور بأن تعرض لها في أحوال متضادة ؛ ١٥ بل أن تكون متضادة في حركاتها التي بالطبع عن حيز ، فيكون بين حركاتها
- غاية الخلاف .

(١) م : النقل (٣) م : ينعكسا (٣) سقط من د من قوله « إلا وهو بارد » إلى قوله في الثقيل « (٤) م : لا كالآشفاف // سا : كالشفاف . (٨) ط : مضاد // م : فيضاد

(١٠) م ، سا ، مقابلة (الأولى والثانية) (١١) م : فعلم (١٢) في « م » زيادة « وأما إذا كانت الأحوال متقابلة ، فيجوز أن يكون مبدأ . فنعلم أن فيها مبادئ متضادة . (١٤) م . مثل (١٤) م . « الغالبة » بدلا من « الطالبة » (١٤) م . بعيد

(١٦) م ، لحالين // ب . متضادين (١٧) م : « الصورتان » بدلا من الصور بأن // ط ، م ، مور متضادة // م // بتضاد ط : بتضاد .

الفصل الثالث

فصل في

الإشارة إلى أعيان الأجسام البسيطة

وترتيبها وأوصافها وأشكالها التي لها بالطبع ومخالفة الفلك لها

والآن فليس يخفى عليك فيما تشاهده أن الحركة الصاعدة بالطبع تتجه نحو السماء ،
وأن الهابطة بالطبع تتجه نحو الأرض ، وتعلم أن الأرض ليس تنزل من السماء منزلة
المحيط ، والسماء لا تنزل عند الأرض منزلة المركز . ولو كان كذلك لكان لك أن توقع
بنظرك أو تاراً على قسيّ من الأرض تعدو السماء ولا تناله ، كما لك أن تفعله بالسماء .
وإذا لم تكن الأرض بمنزلة المحيط ، ولا بد على القوانين التي علمتها ، من أن يكون
أحدهما بمنزلة المحيط . فالسماء هو الجرم الذي بمنزلة المحيط ، وهو أيضاً يتحرك على الاستدارة ،
شاركاً بالكواكب ، وغاربا . فتكون السماء هو الجرم البسيط المتقدم المتحرك
بالاستدارة المذكورة حاله ، وليس في طباعه أن يتحرك على الاستقامة . وحركته هذه
المستديرة هي التي له بطباعه .

وأما التي للنار فيها فليست ، كما علمت ، حركة قسرية ولا طبيعية ، ولا حركة
في ذات النار ، بل حركة المحمول ، وحركة مابالعرض لكون الشيء ملازماً للمتحرك .

(١) م ، ط . الفصل الثالث (٤) د : لها (٥) ب : مما // ط ، يتجه م ، د ، ينزل (٧) سقط
من د : « المحيط والسماء لا ينزل عند الأرض منزلة . (٧) م . يوقع (٨) م . بعدد
(٨) م ، ط : يناله // : يفعله ، في ، و ب . يفعل (٩) ط . وإن لم تكن // في د . فإذا لم تكن
// م ، ط . يكن // ط : فلا بد // م . عملها // ط : من القوانين »
(١٠) م : سقط منها « فتكون السماء هو الجرم الذي بمنزلة المحيط وفي « د » زيادة . الذي هو .
(١١) م : « الحرام » بدلا من الجرم (١٢) ط ، د : المذكور . (١٢) د : حركته (١٥) د : المحمولة
// د : « لكن » بدلا من « لكون » // ط يلزم

- والسماوات قد يلحقها مثل هذه الحركة . وأنت تعلم هذا إذا تحققت علم الهيئة الذى يظن من أمر السماء أنها مركبة من أرض ونار ، ويتبع تضاد تقيضيهما فى الحركة أن يستدير ؛ إذ يقتضى أحد عنصريه التصعد ويقتضى الآخر التهبط ، فيحصل منه جذب ودفع ، فتحصل حركة مستديرة ، كما للسبيكة المذابة . فإن الحرارة الغريبة فى السبيكة تتكلف التصعد ، والثقل يقاومها ، فتحدث هناك حركة مستديرة — فهو ظن باطل .
- وذلك لأن الجسم الواحد إذا حدث فيه ميلان إلى جهتين فإما أن يتأنا ، وإما أن يغلب أحدهما ، وإما أن تختلف الأجزاء فى ذلك ، كما فى السبيكة ؛ فإن الجزء المستقر منه يغلبه الحر ، فيصعده بالإغلاء . فإذا علا حدث فيه ميل إلى حيزه الطبيعى ، وإنما يشتد عند مقاربة المستقر . ولأجل اشتداد القوة عند المقاربة ما كان منع الحجر النازل أصعب من إشالة المستقر ، على ما أشرنا إليه قبل .
- وإذا حدث هذا الميل بقوة قاوم مقتضى التسخين فنزل إلى أسفل ونحا مستقره . وقد عرض لما كان أسفل مثل ما عرض له من التصعد ، وأعانه مزاحمة النازل الحامى للتوقف ، وقد عرفت التوقف ، فحدثت حركة مستديرة تكون استدارتها لاعلى المستقر ؛ بل فيما بين المستقر وبين العلو .
- وأما السماوية فلو حدثت فيها استدارة ، للسبب المذكور ، لكان بذلك يقع منها فيما بين جهتي العلو والسفل ، لا على الوسط ؛ إذ نسبة الوسط إلى المتحرك عنه والمتحرك إليه واحد .

(١) ط : الحركات (٢) م ، سا : تقيضهما (٣) م . (٤) م : رفع // م ، ط : ويحصل .
 (٥) سا : تتلف ، ط : بكلف // ب . د : التصعيد // م : يقاومه // م ، ط : يحدث (٧) م ، — المستقر // م : « الجزء » بدلا « من الحر » (٨) م ، د : فيصعد // م : « بالأعلى » بدلا من « بالإغلاء » .
 // م : علا // م ، ط ، د : إنما (٩) م : مفارقة المستقر ، وفى « ب » مقارنة // م : المفارقة وفى ب : للمقارنة (١٠) سا ، ب ، د : وعلى (١١) ط : وإن حدث ، وفى سا : إذ // ط : يقاوم // م : فزال ، وفى ب ، سا : قال // ط : الأسفل // م : مستقرة (١٢) د : التصعيد // د : كان + الحامى // د : التصعيد // د : أعانته // سا : مزاحمه
 (١٣) ط : حركة مستقيمة مستديرة (١٥) م . بذلك (١٦) م . فيماس بين (١٦) م : سقط منها . عنه والمتحرك

وأيضاً فنرى أن النار التي في جوهر الفلك تطلب تصعيداً إلى أى حد ، وإلى
 (أى غاية) ، وكيف تحدد ذلك الحد قبل الجسم المستدير الحركة ، ويلزم جميع ما قيل
 للجاهل بالجهات فيما سلف .

والذين قالوا أيضاً إنها قد حدث فيها قوة مزاجية محركة هذه الحركة البسيطة فقد
 ٥ أخطأوا ؛ وذلك لأن القوة المزاجية توجب من جنس يوجب ما عنه امتزجت بحسب
 الغالب ، أو يمنع الطرفين .

ولست المستديرة البسيطة من جنس المستقيمة ، ولا هي امتزاج من مستقيمين
 متقابلين . فيعرف من هذا خطأ قول من ظن أنه يقول شيئاً ، فقال : إن السماء يلزمها
 أن تتحرك على الاستدارة ، وإن كانت مركبة من نار وأرض ؛ إذ لا يمكنها أن
 ١٠ تتحرك ، على الاستقامة لاتصال كرتيها ، ولا أن تسكن لتجاذب قواها ؛ والذين قالوا
 إنها ليست مزاجية بل قوة أخرى استعد لها الجسم بالمزاج ، فهي تتحرك على الاستدارة ،
 وقد عرفت استحالة ما قالوه ، حين علمت أن مثل هذه القوة لا تكون بسيطة التحريك .
 فالذين قالوا إن لها نفساً تحركها حركة خلاف مقتضى طباعها فقد جعلوا الجرم السماوي
 في تعب دائم ؛ إذ كان جمعه يقتضى ، عن الحركة الصادرة عن تحريك نفسه ، حركة
 ١٥ أو سكوناً .

وهؤلاء كلهم جعلوا السماء في غير الموضع الطبيعي . وذلك لأنه ليس في الحيز
 المشترك بين بسائطه ، الذي هو حيز المركب ، على ما علمت ، ولا في حيز غالب ،
 فقد جعلوا حصوله هناك لقاسر ضرورة .

(١) م : فيرى // د : نرى // م : يطلب (١) : سا : إلى حد وأى غاية
 (٢) م ، سا : يحدد ، وفي ط : يحدث (٤) سا : - قد (٥) م : أخطأ // م : موجب .
 // سا : - يوجب (٦) د : أوضع (٧) د : - البسيطة // سا : « امتناع » بدلا
 من « امتزاج » (٨) د : - هذا (١٠) م ، ط : يتحرك // م : يسكن (١٢) ط ، د :
 فقد عرفت م ، ط : لا يكون (١٣) د : والذين // د : إذا (١٦ ، ١٧) م : الحد المشترك
 (١٧) م : جزء غالب (١٨) د : القاهر

هذا ولما كان الحق هو أن السماء بسيطة، وأنها متناهية، فالواجب أن يكون شكلها الطبيعي كريا. والواجب أن يكون الطبيعي موجوداً لها، وإلا لو وجد لها غير الطبيعي لكان يقبل جرمها الإزالة عن الشكل الطبيعي، وكان يقبل التمديد والتحريك على الاستقامة، إلى جهات الاستقامة، وبالقسر. وكل ما قسر عن موضعه الطبيعي بالاستقامة فله أن يتحرك إليه بالاستقامة، كما علمت في الأصول التي أخذتها، فيكون في طبيعة الفلك حركة مستقيمة.

وقد قيل إنه ليس كذلك. فيجب أن يكون الشكل الموجود للفلك مستديراً فيحيط به سطوح مستديرة، والجسم الذي يتحرك إلى الفلك بالطبع يجب أن يتحرك إليه بميل متشابه، ومع ذلك هو بسيط، ويقتضى شكلاً بسيطاً مستديراً، ويجد مكاناً مستديراً، فيجب أن يجد هذا الجسم أيضاً الشكل البسيط الذي له، وكذلك ما في ضمنه على الترتيب، إلا أن يكون تحت من شأنه أن يقبل الكون والفساد، وأن يتصل به ما استحال إليه، وينفصل منه ما استحال عنه. ثم يكون بحيث يعتبر في طبيعته المصير إلى الشكل الذي يقتضيه طبعه أو غيره بسهولة، كالأرض لأنها، ببس طبيعتها، عسرة القبول للشكل، بطيئة الترك له، ومع ذلك فهي قابلة للكون والفساد. فإذا انثلم منها شيء بقي الباقي على غير شكله الطبيعي، لو كان عليه، أو شكله القسري إذا كان عارضاً له، وكذلك الذي ينضاف إليه مما هو كائن أرضاً، ولم يكن أرضاً. وقد أوجبوا لأسباب أن لا يكون شكله طبيعياً. ويجب أن تتذكر الشبهة المذكورة في باب كون كل جسم بسيط ذا شكل طبيعي وحلها، فإن ذلك يحتاج إليه في هذا الموضع.

(١) م، سا : - هو (٢) م : - وإلا لوجد لها (٣) سا : فكان يقبل (٤) د : على جهات // ط : إلى جهة // م، ط، سا : وكلما (٧) ط : فقد (٨) ط : للفلك بالطبع . (٩) م : - بسيطاً // د : ويجده (١٠) د : «محا» بدل من «ما في» (١١) د : إلى أن يكون // م : تمت، في / ط، سا : يحدث (١١) ط، سا : عنه ما // م : «يفسر» بدلا من «يمتد» // سا : التصير «بدلاً من المصير» (١٣) ط : طبيعته // سا : ببس طبيعتها // ب سا، ط، د : بطى (١٤) د ب، سا، ط، د : فهو قابل. // ب م سا، ط، د : منه (١٥) م : أيضاً (١٦) ط، ي : أوجبت الأسباب، وفي سا : أوجب لأسباب (١٧) م : تذكر، وفي د . يتذكر // في هامش نسخة ب شرح : معنى في السماع في الفصل الذي يثبت فيه أن لكل جسم جزءاً واحداً طبيعياً (١٨) ب، سا . محتاج

وإذا كان كذلك جاز أن ينتلم شكله الطبيعي بهذا السبب . لكن الجوهر ليس بهذه الصفة. ويشبه أن يكون ما يلي الفلك من العناصر لا يستحيل إلى طبيعة أخرى ؛ لأن الفلك لا يحيله أو يحيل كله . وأما جرم آخر غريب فلا يبلغ أن يبعد عن مكانه الطبيعي هذا البعد كله ، حتى تحصل هناك جرمية ، فتغير الجسم الموجود هناك . وإن بلغ ذلك الحد جزء منه كان بأن ينفع أولى منه بأن يفعل فيه ؛ بل الواجب أن لا يميل إلى أن يبلغ الحد الأقصى ، بل ينفع دون ذلك ، ولا ينتلم بمخالطته الجنبية التي تلي الفلك ، فيكون سطحه ذلك سطح جسم كرى .

وأما أن ذلك ليس يجوز أن يكون أزلماً باقياً دائماً ؛ بل يدخل في الكون والفساد ، فليس على سبيل أن يقبلها هناك ؛ بل على وجه آخر يذكر في موضعه .
 ١٠ وأما السطح الذي يلي الأرض ، أو يلي جسماً يلي الأرض ، فيشبه أن يعرض له هذا الانثلام بالمخالطة المضرة .

وما كان رطباً سيالاً فإن سطحه الذي يلي رطباً مثله يجب أن يحفظ شكله الطبيعي المستدير . ولو لم يكن سطح الماء مستديراً لكانت السفن إذا ظهرت من بعد تظهر بجملتها ، لكن ترى أصغر ، ولا يظهر منها أولاً جزء دون جزء . وليس الأمر كذلك ؛ بل إنما يظهر أولاً طرف السكان ثم صدر السفينة . ولو كان الماء مستقيماً لكان الجزء الوسط منه أقرب إلى المركز المتحرك إليه بالطبع من الجزئين الطرفين ؛ فكان يجب أن يميل الجزءان الطرفان إلى الوسط ، وإن لم يكن ذلك ليصلا إليه ، كما قلنا ؛ بل ليكون لهما إليه النسبة المتشابهة المذكورة . وتلك النسبة لا مانع لها ،

(١) سا . يتسلم . (٢) م : الجو (٣) ب : يحيله (الثانية) (٤) م ، ط : « جزء » منه بدلا من جرمية // م : — الموجود (٦) ط . يميل م . الحد // د : فلا // ط . لمخالطته (٧) ط ، د : الجسم الكروي . (٩) م : « أن يقبلها » مطبوسة . وفي د أن يقبلها // م ، سا . — فليس (١٠) سا : — أو يلي حسباً يلي الأرض : م . المخالطة المضرة ، وفي سا . للفضوشه .

(١٢) م : بطيئاً ميلاً (١٣) د . تظاهرت // ط . يظهر (١٦) سا : « المركز » مطبوسة

في طباع الماء عن أن تنال بدافع أجزائه إلى المركز ، تدافعا مستويا . فحينئذ يكون بعد سطحه عن المركز بعداً واحداً ، فيكون مستديراً .

وأما الجسم اليابس فينثلم ، ولا يستوى عن اثلامه بالسيلان . والذي ينطبق عليه من الرطب يتشكل بشكله . فيكون الجسم اليابس يلزمه أن تنثلم استدارة سطحه .

وَأما الرطب فيلزمه ذلك من حيث يلي اليابس وينطبق عليه ، ولا يلزمه من حيث لا يلي اليابس .

لكن اليابس ، وإن كان كذلك ، فليس يبلغ أن يخرج جملته ، عن كرية تلحقها ، خارجاً عنها ، هذه التضاريس . وهذا سيتضح في العلم الرصدى من التعاليم .

فهذه الأجسام كرات بعضها في بعض ، أوفى أحكام كرات ، وجملتها كرة واحدة .

وكيف لا ، والميل إلى المحيط متشابه ، والهرب عنه إلى الوسط متشابه . والوسط المتشابه يوجب شكلاً مستديراً ، كما أن اللقاء المتشابه المستدير يوجب شكلاً مستديراً ، ولو كان بيضياً وعدسياً فيتحرك البيضى ، لأعلى قطره الأطول ، والعدسى لأعلى قطره الأقصر ، حركة وضعية ، وجب من ذلك أن يكون متحركاً في خلاء موجود ضرورة ، ولو تحركا على القطرين المذكورين لم تكن حركتهما في الخلاء . ولكن كان فرض حركة لهما غير تلك الحركة ، وفرض إزالة قطريهما عن وضعه ، يقتضى خلاء ضرورة .

وأما الحركة المستديرة في جسم مستدير فلا توجب ذلك بإيجاب ولا يوجب فرض .

ونحن في هذا الحيز الذى نحن فيه نجد الأجسام بالقسمة الأولى على قسمين :

-
- (١) ط . طبائع // م ، ب ، ط . ينال // م . يدافعا (٣) سا : من اثلامه (٤) م ، ط . ينثلم (٥) م ، ب . ط من حيث يلي الرطب // ط : لا يلي اليابس (٧ ، ٨) م . كونه يلحقها . (٨) ط : التعاليم الحسية . (١٠) د : يشابه // د : التوسط // ط : التشابه (١١) أن ، سقطت في جميع النسخ ماعدا في « ط » // د : للمستدير (١٢) ط . أو عدسيا // في جميع النسخ ماعدا نج . فيتحرك (١٢) « أو عدسيا » // في جمع النسخ ماعدا نج : فيتحرك // م « الأول » بدلا من « الأطول » (١٤) م : لم يكن // ب : ما ولكن // م : نج . عن تلك (١٥) م : قطريهما (١٦) م : يوجب // م : « توجه فرض » // سا : . ولا نحن فيه بوجه فرض . (١٧) سا ، - الذى نحن فيه // م . بالقوة الأولى (١٧) نج : قسم // د . قسما

جسم يميل إلى أسفل من ميزنا ، ويثقل علينا .

وجسم لا يميل إلى أسفل ، بل ، إن كان ، يميل إلى فوق .

ونجد المائل إلى أسفل إما متماسكا مفرط الثقل ، أو الغالب عليه ذلك المتماصك غير القابل للتشكيل بسهولة ، فيكون هذا أرضا أو الغالب فيه أرض ، وإما رطبا سيالا ، أو الغالب فيه ذلك ، فيكون هذا ماء ، أو الغالب فيه الماء . فلا نجد غير هذين . ولا نجد البسيط الثقيل غير أرض وماء . وما سواهما فهو مركب . وأحدهما غالب في جوهره .

وأما الجسم الآخر فنجد قسامين :

منه ما يحرق ويحترق أو الغالب فيه ذلك .

ومنه ما هو غير محرق أو الغالب فيه .

فنجد البسيط المشتعل علينا ، من جهة ، جواً محرقاً ، وجواً غير محرق ، أو الغالب فيه ذلك .

وأما سائر ذلك فمركبات . فالجو المحرق نسميه نارا ، والغير المحرق نسميه هواء . ولا يمكن أن يكون في القسمة شيء غير هذه الأجسام الأربعة الخارجة من قسامين :

أحدهما : مائل إلى أسفل بذاته : إما متكاثف وإما سيال .

والثاني : مائل إلى فوق إما محرق وإما غير محرق .

فنجد الأجسام البسيطة بهذه القسمة أربعة . ولا يمنع أن تكون قسمة أخرى

(٢) م // م - . يميل « الثانية » (٣) م : النقل (٤) سا ، ب ، د . الغير القابل (٤) ط : الشكل
// ب ، ط : الأرض (٤ ، هـ) م : سيالارطيا (٦) م : نجد + فيه // م : « ولا » // ط . الأرض والماء
(٩) سا . - « ومنه ما هو غير محرق أو الغالب فيه ذلك » // م : - ذلك
(١٢ ، ١١) ب : - أو الغالب فيه ذلك (١٣) م : غير المحرق (١٤) د : عن هذه (١٦) سا . وإما محرق
// د : أو غير (١٧) م ، ط : أن يكون

توجب عدداً آخر . ولا أيضاً ندعى أن قسمتنا هذه هى بفصول حقيقية ، بل أردنا بهذا نوعاً من التعريف ، وتركنا الاستقصاء إلى مابعد فإن لقائل أن يقول : بل الأجسام الصاعدة منها ماهى متكاثفة ، ومنها ماهى سيالة ، والأجسام النازلة منها ماهى محرقة، ومنها ماهى غير محرقة .

هـ فإن قال قائل هذا فنحن إلى أن نتكلف الاستقصاء فى هذا المعنى نجيبه ، فنقول :

إن المحرق النازل كحجارة محمأة لا نجد الحى فيه إلا غريباً ، وذلك الحى يحاول تصعيده لكنه لا يطاوع ثقله . ألا ترى أنه لو جرى أجزاء صغاراً لصعد ، وإن تكلف الزيادة فى إحماؤه فإنه يصعد أيضاً ، وإن كان كثيراً فإنه إذا ترك وفارقه العلة المسخنة ، لم يبق حامياً ؛ بل برد ونزل ، مع أنه يبقى جوهره .

١٠ والمتكاثف الصاعد لا يلبث صاعداً إذا زال القسر عنه أو فارقه الحى ؛ بل ينزل .

فيكون هى النازل وصعود المتماسك أمرين غريبين عنهما .

ونحن نتكلم فى المعانى التى تصدر عن طبائع الأشياء أنفسها ، وكذلك إذا تأملت سائر الأقسام التى نورد تجدها بأمور عارضة غريبة لافصلية ، ولا عوارض لازمة . فلنقتنع بما ذكرناه فى أن ناراً ، وأرضاً ، وماء ، وهواء ، فنجد الأرض ترسب تحت الماء ، ويطفو عليها طبعاً ؛ ونجد الهواء يميل ميلاً شديداً مادام تحت الماء ، وإذا علاه وقف فلم يمل إلى جهة . ونجد النار ، سواء كانت صرفة لانتحس ، أو مخالطة للأرضية ، فتشف ، تكون صاعدة . والصرفة لاتشف . ولهذا ما يكون الذى على الذبالة من الشعلة كأنه

(١) م ، ط : يوجب // م : يدعى (٢) د . الاستقصاء . (٢) م : القائل يقول

(٣) م : وأما الأجسام (٤) م . - ومنها ماهى غير محرقة . (٥) م . - إلى ، وفى ط زيادة

هى « فى البحث » عن هذا المعنى (٦) د : فيها (٧) د : يطارق // ط : يرى // ط . يتكلف

(٨) ط : كبيراً // ب : وإنه // م : إذا نزل (٩) م : يزل // فى ط . يتد . ويتزل : وفى د . برد

(١٢) (١٢) س . فى أنفسها (١٣) ب : تجدها // م . لوأزمه // ط . ولنقتنع (١٤) م : يرسب (١٥) س ،

د ، ب . - يعليه (١٥) ط . نجد (١٦) م لم يميل // ط د : فتشرق ، - فى س (١٧) م ، فيكون

// ط ، د : تشرق // م : الذبالة .

خلاء أو هواء . وهو أشد إحراقاً وقوة ؛ إذ هو أقرب إلى الصرافة والقوة ، فيفعل إشفاقاً أكثر . فإذا لم يقدر أن يفعل إشفاقاً فعل نوراً وإضاءة . وكثير من الأشياء المشقة إذا أزيل عنها الإشفاق بالسحق والدق وإحداث سطوح كثيرة يبطل بها الاتصال المعين على الإشفاق ابيضت أو أشرقت ، مثل الزجاج المدقوق والماء المزبد والجمد المحرور ، وإن كان هذا ليس حجة على ما تقوله من أمر النار ، فنرجع فنقول :

فالنار الصرفة والدخانية متحركة في الهواء إلى فوق ، ونجدها كلما كانت أكبر حركة كانت حركتها أشد وأسرع ، ولو كان ذلك لضغط ما يحويها قسراً مرجحنا إلى أسفل كان الأكبر أبطأ قبولاً لذلك وأضعف (وكذلك إن كانت العلة جذياً . ويخص الدفع أن المدفوع لا يشتد أخيراً والطبيعة يشتد أخيراً . ولو كانت الحركة بالضغط لما كان ، رجحان النار أشد من ، أرجحان الهواء ، في حيزه ، فإن المضغوط لا تكون قوة حركته أقوى من قوة حركة الضاغطة ، مع علمك أنه لا يصلح أن يكون للجسمين المتخلفين بالطبع مكان واحد بالطبع . ويجتمع من هذه الجملة أن الحار أميل إلى فوق ، والبارد أميل إلى أسفل ، وما هو أيبس أشد في جهته إمعانا . فقد علمت أن ما هو أيبس من الحارين فهو أسخن . وستعلم هل الأمر في جنبه البرد كذلك ، أم ليس كذلك ، علماً عن قريب .

وما أعجب قول من ظن أن النار البسيطة في مكانها الطبيعي هادية لا تحرق ، وإنما هي كالنار التي تكون في المركبات ، وأما اللهب فهو إفراط ، وليس يعلم أن

(١) في سا : ففعل (٢) سا : وإذا (٣) م : ذيل // د : عنه // ط : وأحدث // د : « يبطل » مكررة (٤) م : الجهد (٥) ب ، ط : المحرور // د : المحرد // د : يقولونه // د : بل نرجع // د : فيقول (٦) ط : النار // ط : متحركين // م : أكثر (٧) د : - حركة . (٨) م ، ط ، د : الأكثر // ط ، د : وأضعف - حركة (٨) سا : كذلك // د : جذب (٩) م ، ط : يشد // م : أجزاء // ط : ولو كان (١٠) م ، د : ارتما // د ، ط : وارتما // د : كرتها // م : - من // سا : منه من أرجحان // م : لا يكون . (١٤) د : وستعلم // ط : هذا الأمر (١٦) سا ، د : الطبيعة // ط : يحرق (١٧) د : « كإزالة » بدلا من « كالنار التي لا » // سا : من المركبات وفي د : في المركب

الاشتداد المحرق في حرارة اللهب لا بد أن تكون له علة . فإن كانت تلك العلة هي الحركة فيجب أن يكون الماء النازل بالسرعة قد يسخن .

وأما إن قالوا إن هناك شيئاً مسخناً من خارج فليدل عليه ، فإنه لا شيء يبلغ من إسخانه بسخونة أن يسخن جوهر النار ؛ بل إن كان لا بد فبفتحريكه . ثم مع ذلك ، فإن اللهب ليس نارا صرفة ، بل مركبة مع اسطقس بارد ، ويكتنفها مبردات . ثم مع ذلك فقد نسي أن تلك النار العالية لو كانت غير محرقة لما اشتعلت الأدخنة مستحيلة إلى الرجوم وإلى الشهب والعلامات الهائلة .

وهذه الأجسام الأربعة سيتضح من أمرها أنها قابلة للسكون والفساد . وإنما الواجب أن نبحث عن حال الجسم الخامس أنه هل هو كذلك أو ليس .

(١) ط : مكون م ، سا : على الحركة (٢) م : - للماء (٣) ب : واما ن ما قالوا // سا : فلتدل (٤،٣) د : فهو إسخانه (٤) ب ، ط : ولا بد // م ، ب ، ط : - ثم (٥) م ، ب : استقص // ط : وتكتنفه // سا : ويكيفه // ب ، م : ويكتنفه (٦) ط : الغاية (٧) سا : للرجوم .

الفصل الرابع

فصل في

أحوال الجسم المتحرك بالاستدارة

وما يجوز عليه من أصناف التغير وما لا يجوز

٥ نقول أولاً إن الجسم الذي ليس فيه مبدأ حركة مستقيمة بالطبع ، فليس من شأنه أن ينخرق؛ وذلك لأن الانخراق لا يمكن أن يوجد إلا بحركة من الأجزاء على استقامة ، أو مركبة من استقامات من جهات النافذ الخارق ، وبالجملة من جهات الخرق . وكل جسم قابل للحركة المستقيمة قسراً ففيه مبدأ حركة مستقيمة طبعاً ؛ إذ قد عرفت أن مالا ميل له فلا يقبل القسر ألبتة .

١٠ وإذا كانت الأجزاء ، التي تقسر عن ميل لها ممانع للقسر ، مائلة إلى جهة الالتئام عن الخرق ، أو أمكن لها ذلك ، فيكون فيها مبدأ ميل إلى الالتئام . وذلك على الاستقامة ضرورة . فكل جسم منخرق ففيه مبدأ ميل مستقيم . فما ليس فيه مبدأ ميل مستقيم فليس قابلاً للخرق . فالجسم المحدد للجهات الذي فيه مبدأ ميل مستدير فقط ليس قابلاً للخرق .

١٥ ومن هذا يعلم أنه ليس برطب ولا يابس ، فإن الرطب هو الذي يتشكل وينخرق بسرعة ، واليابس هو الذي يقبل ذلك ببطء .

(١) الفصل الرابع هكذا في كل من « م » ، « ط » . (٥) د : ليس (الثانية) (٦) سا : يتحرق م// : ينخرق م// : الانخراق // د : الاستقامة (٧) ط : الخارق // ط : الحرق (٨) د : + قد ينحرف (بعد كلمة طبعاً) // د : - إذ قد عرفت (٩) م ، سا : - ألبتة (١٠) م : صانع (١٢) م : منحرف // د : منحرف // سا : فعنه مبدأ (١٣) سا : للحرق (١٤) سا : للحرق (١٥) سا : وإن (١٦) ط : يقبل ذلك بسرعة

ثم نقول إن كل جسم قابل للكون والفساد ففيه مبدأ حركة مستقيمة ، وذلك لأنه إذا حصل متكونا لم يخل إما أن يكون تكوّنه في الحيز الذي يخصه بالطبع ، أو في حيز آخر . فإن كان تكوّنه في حيز آخر فإما أن يقف فيه بالطبع ، فيكون غير آحيزه الطبيعي طبيعياً له ، وهذا محال ؛ وإما أن يتحرك عنه بالطبع إلى حيزه ، وذلك ، كما علمت ، بميل مستقيم ؛ إذ لا يجتمع الميل إلى الشيء مع الميل عنه ، وفي كل انتقال إلى حيز ما ، سوى الانتقال المستقيم ، ميل عن ذلك الحيز .

وإن كان تكوّنه في حيزه الطبيعي فلا يخلو إما أن يصادف الحيز ، وفيه جسم غيره بالعدد ، أو يصادفه ولا جسم آخر فيه غيره .

فإن ورد على حيزه فشغله هو بكليته ، أو هو ومعه جسم آخر من طبيعته ، فكان حيزه ، قبل ذلك ، خالياً ، وذلك محال .

وإن صادفه مشغولاً بجسم آخر ، ودفعه هو عنه وأخرجه ، ثم استحال هو إلى مكانه ، يكون حيزه ذلك مما يصار إليه ويشغل بالحركة ، فيكون من الأحياز التي إليها حركة شاغلة ، فيكون من الأحياز التي إليها حركات مستقيمة ، فإما أن تكون ، حينئذ ، غاية الجهة ، أو دون الغاية . وفي الحالين يكون محتاجاً في أن يتحدد ، على ما علمت ، بجسم

غير الجسم الذي يشغله ، وفي حيز غيره ، فيكون من شأن حيز هذا الجسم أن يكون حيزاً يشغله بالطبع جسم من شأنه أن يصرف عنه ، فيكون من شأنه أن يتحرك إليه بالاستقامة ، كما علمت .

وهذا الجسم المتكون هو الجسم الذي هذا مكانه الذي يشغله بالطبع . وهذا الجسم فيه مبدأ حركة مستقيمة .

(٢) سا : لم يخلو (٣) م : وإن (٥) م ، د : في (٧) ط : الحيز الطبيعي (٨) سا : تصادفه (٩) م ، ب : - هو (الأولى) // وفي « د » : وهو (١١) م : ودفعه هو وأخرجه // سا ، د : ودفعه هو وأخرجه عنه (١٢) ط : فيكون (الأولى) // م ، سا : - ذلك // ط : ويشغله // د : ويشغل (١٣) ب : وإما (١٤) م : يتحدد // سا ، ط : علمته (١٦) ط : ينصرف (١٨) د : + « هو جسم من شأنه أن يفرق » ثم هو يكرر « فهذا الجسم هو الجسم الذي هذا مكانه » // ط ، د : فهذا

وبقي وجه داخل في بعض هذه، الأقسام، وهو أن يكون هذا الجسم، بعد تكونه، خارقاً، بحصوله، للجسم الشاغل لهذا الحيز الذي هو كالكل له أي إلى المتكون. فيكون الجسم الذي خرقة قابلاً للحركة على الاستقامة. وهذا مشارك له من طبيعته بعد التكون. فهذا أيضاً قابل للحركة على الاستقامة.

وإذا كانت الأقسام هي هذه، وكان بعضها محالاً وبعضها يوجب مبدءاً حركة مستقيمة، فكل جسم متكون ففيه مبدءاً حركة مستقيمة، وكل جسم ليس فيه مبدءاً حركة مستقيمة فليس يتمكن.

فالجسم الذي فيه مبدءاً حركة مستديرة بالطبع ليس يتمكن من جسم آخر وفي حيز جسم آخر، بل هو مبدع، ولذلك يحفظ الزمان فلا يخل. ولذلك لا يحتاج إلى جسم يحدد جهته؛ بل هو يحدد الجهات، فلا يزول عن حيزه. ولو زال لم يكن هو المحدد بالذات للجهة.

ونقول إن طبيعته لا ضد لها، وإلا لكان لنوعية الأمر اللازم عن طبيعته ضد؛ فإن اللازم النوعي عن الضد ضد اللازم النوعي للضد، ولو لم يكن ضداً له لكان إما موافقاً لا مقابلة بينهما؛ فيكون معنى عاماً ليس لزومه عن أحد الضدين، من حيث هو ضد. فإنه لو كان لزومه متعلقاً بخصوصية الضد، التي هو بها ضد، لكان لا يعرض، ولا يلزم للضد الآخر. فإذاً لا يكون تعلقه بخصوصية، فبقي أن يكون إنما يتعلق بمعنى، أو يلزم معنى ذلك المعنى غير المعنى الذي يخصه؛ وهو لاحق للمعنى العام، واللاحق للعام عام يتخصص بتخصيص العام.

(١) ط: يتي (٢) م: خارقاً // ط، د: لحصوله (٢) ب: ط: «أي إلى» وسقطت «أي» في م، سا، د (٣) م، ب: حرقة // سا: مشاركا // ب: في طبيعة (٥) سا: - الأقسام // سا: فكان (٦) سا: فته // ط، د: فكل (٨) م: تكررت الجملة: « فالجسم الذي فيه مبدءاً حركة مستديرة بالطبع فليس يتمكن » // م: فليس // ط: ولا في (٩) سا: وكذلك // ط: يتخل وفي « سا »: يخل (١٠) م: يحدد الجهات // د: المجدد (١٢) م: إلا لكان // سا: لسرعة الأمر // ب: لسرعته (١٤) ط: موافقاً أو مقابلاً (١٦) د: بخصوصية الضد (١٧) سا: ذ: فهو // م: العاى // م، ط: - يتخصص (١٨) ط: - بتخصيص

فالنوعى المتخصص لا يجوز أن يكون لازما للضدين . والحركة المستديرة المشار إليها هي نوعية ؛ بل شخصية ، فلا تكون لازمة لطبيعته ولضدها . فبقى أن يكون اللانها متقابلين ، ومحال أن يتقابلا كالمضامين ؛ إذ فعل الضد وعارضه لا يشترط فى وجوده له أن يكون مفعولا بالقياس إلى ماهية ما يعرض عن ضده ، ولا مشروطا فى وجوده أن يكون معه . ومحال أن يكون يتقابل كالعدم والملكة ، حتى يكون أحدهما لازما ، وهو الحركة المستديرة ، والآخر إنما يلزمه عدم هذه الحركة ، ولا يلزم عنه حركة أصلا ، التى لو لزم لكنت مقابلة له . فىكون الآخر إذا وجد القوة المضادة للقوة الفاعلة المستديرة حاصلة فى المادة ، فكانت المادة المتجسمة بها لامبدأ حركة فيها ألبنة ، وهذا محال ؛ أو يكون مبدأ حركته قوة وصورة غير تلك القوة المضادة للصورة التى هي مبدأ المستديرة ، ويكون فى جسم واحد مبدأ مسكن ومبدأ محرك ، وهذا محال ؛ بل ١٠ يكون الجسم البسيط إنما يتقوم بصورتين . وهذا ، كما بيناه ، محال .

فإذا لم يكن ضدها يفعل فعلا عدميا ولا مضافا ، والإيجاب والسلب لا يليق بهذا الموضع ، بقى أن يفعل فعلا مضادا أو متوسطا ، وإذا كان متوسطا موجودا كان مضادا لا محالة موجودا وكان له مبدأ ؛ فكان الضد فى الطبيعة عن القوة المحركة على الاستدارة . فكان ذلك أولى أن يكون ضدا . ١٥

على أنه لا واسطة بين حركة مستديرة وبين كل ما يفرض ضدا لها . وقد تبين هذا من قبل . فبين أن الصورة الفلكية البسيطة لا مضاد لها . فبالحرى أن لا يكون الفلك متكونا من بسيط ؛ بل هو مبدع ؛ وذلك لأنه إن كان متكونا عن جسم آخر ،

(١) ب : فالحركة (٢) م ، ط : يكون // م : للطبيعة (٣) ب ، نج : - فى (٥) سا : مقابل عدم ، ط : متقابلا كالعدم // د : لازم (٦) م : - يلزم (٧) م ، د : متقابلة // ط : الفاعلة + الحركة (٨) د : وكانت // م : فيه (٩) م : حركة // م : للصورة (١٠) ب : للمستدير // ط : فىكون (١٢) م : والسلب والإيجاب (١٣) م : متوسطا (الثانية) // م ، سا : - له // د : وكان (الثانية) (١٥) د : استدارة (١٦) م : وقد بين (١٦ - ١٨) سقط من « د » : وقد تبين هذا من قبل إلى قوله « متكونا من » (١٨) م . سا : متكونا من // ط . د : متكونا عن

ولاحالة أن لذلك الجسم مادة ، لم يخل : إما أن تكون تلك المادة ، قبل حدوث صورة جوهر الفلك ، خالية ، أو تكون لابسة لصورة أخرى .

فإن كانت خالية كانت مادة بلا صورة ألبنة ، وهذا محال .

وإن كانت لابسة لصورة أخرى ، فلا تخلو إما أن تكون مضادة لهذه الصورة لا تجامعها ، وترتفع بحدوثها ، فيكون للصورة الفلكية ضد ، وليس لها ضد ، أو تكون تلك الصورة لا تنافي الصورة الفلكية ؛ بل تجامعها ، فنكون تلك هي الصورة الفلكية المقومة لمادة الفلك ، وهذا أمر طارئ ولاحق مما تتقوم مادة الفلك دونه بتلك الصورة ، فلا تكون هذه صورة الفلك . والقوة الأولى فيه لا يكون حدوثها كونا للفلك ؛ بل استكمالاً للجوهر الفلكي .

ثم ننظر أنه هل تكون المادة الفلكية ، مع تلك الصورة قابلة للحركة المستقيمة وغير ذلك ، أو لا تكون . فإن لم تكن ؛ بل كانت ، مع تلك الصورة ، لازمة لحيز التحديد غير منخرقة ، ولا قابلة للعوارض التي تتعلق بالحركة المستقيمة ، فقد كان الفلك موجودا قبل تكونه . وإن لم يكن كذلك ؛ بل كان في ذلك الوقت ، غير لازم لحيز التحديد ، وقابلا للمستقيبات ، لم يكن مع وجود الحركات المستقيمة وإمكانها ، يحدد حيز ، وهذا خلف .

وبالجملة ، فإن الذي نتحدد به الجهات للحركات المستقيمة لا يجوز أن لا يكون موجودا وتكون المستقيبات موجودة ؛ بل الحق أن مادة الصورة الفلكية موقوفة

(١) ط : م ، سا : - آخر ولا محالة // م ، ط ، د : م . ط : يكون (٢) سا : لانسته // ط : بصورة (٤) ب : فإن كانت // سا : لانسته // ط : يكون (٥) م ، ط ، د ، بجامعها وترتفع // م ، سا : الصورة // سا ، د : - الفلكية (٧) م : يقوم (٨) م ، سا ، د : يكون هذا // ط : فلا يكون ، وفي د : ولا يكون (١٠) ط : ينظر // ط : يكون (١١) ط ، سا : يكون // د : وإن لم (١٢) د : التجديد // سا متخوفه م : منخرقة // ط : يتعلق (١٣) م : تكوينه // د : لازمة (١٤) د ، وهامش ط : أما كتبها // سا : إيمانها م : عدد (١٦) ط : بالجملة // ط م ، سا ، ب ، ط . د : أن لا يكون ، وفي بخ : أن يكون // م ، ط : ويكون

على صورتها . فلهذا قيل ليس لها عنصر أى شيء قابل للضدين ، لا أنه لا مادة هناك قابلة للصورة . وبهذا حكم الأكترون ، واتفقوا على أنه ليس عنصر الفلك عنصر الأجرام الكائنة الفاسدة .

وليس إذا اتفقا في أن السماوية ذات جسمية ، والأرضية كذلك ، يلزم أن يكونا

- قد اتفقا في العنصر ، كما ظن بعضهم . فإنه ليس إذا اشترك شيان في معنى جامع يجب أن يكون استعداد ذلك المعنى في كليهما واحدا ، وإلا كانت الحيوانية تستعد في الناس لمثل ما تستعد في الحمير ، ولكانت طبيعة اللونية تستعد في البياض لمثل ما تستعد له في السواد . وهب أن طبيعة المقدار فيها نوع واحد مستعد لأشياء متفقة ، فليس المقدار نفسه هو الموضوع والمادة ؛ بل هناك طبيعة ومقدار . فإن صح أن المقدار واحد لا يختلف طبيعته فيهما لم يصح أن المادتين الحاملتين للمقدار طبيعتهما واحدة في النوع .
- ١٠ وليس إذا اشتركا في قبول المقدار يجب أن يشتركا في كل استعداد .

فليس إذا اتفق شيان في أمر وجب أن يتفقا في كل أمر ؛ بل لا استعداد في هذه المادة لغير هذه الصورة . ولو كان لها استعداد صورة أخرى لكان في طبيعة هذا الجسم أن يقبل الكون والفساد إلى المستقيمت ، وعرض ما ذكرناه من المحالات .

- والذى ظن أنه يناقض هذا بأن أرى أشياء لا تتكون عن أضداد ، وصوراً
- ١٥ جوهرية تنكون عن الإعدام كالإنسانية والفرسية ، وأشياء أخرى ، فإنه لم يعلم أولاً أنه ليس المراد بقولنا إن الجوهر يكون عن ضده جملة الجواهر ؛ بل معناه أن الصورة الجوهرية تبطل عن هيولائها بضدها ، وتحدث بعد ضدها . ولم يعلم أنا لسنا نقول هذا

(١) م ، سا ، د : صورته // سا ، د : له (٢) د ، سا : قابلا (٣) ط : الأجسام (٤) م : اتفقا
(٥) م ، سا : - يجب (٦) ب : كلاهما (٦) ب ، سا : لكانت // م : تستوجب // م :
(٧) تستعد في م // ط : يستعد ، وفي ب ، سا : مستعد // د : الطبيعة // سا : « الكونية »
بدلا من اللونية // م : - ما (٨) ط ، ب : ومستعد (٩ ، ١٠) م : - فيها نوع // م ، د ،
سا : - واحد (١٠) م : فيها // م ، د : فلم // م : وطبيعتهما (١١) م ، ط : الاستعداد
(١٢) سا : موجب (١٤) م : ذكرنا (١٥) ط : يظن // م : يتكون (١٦) م : الفرسة
(١٧) م : الصور (١٨) ط : يبطل // د : هولانها // م : ويحدث

في كل جوهر ، بل إنما نقول في الجواهر المركبة من مادة وصورة ؛ ولا كل الجواهر المركبة بهذه الصفة ؛ بل جواهر الأجسام البسيطة التي لا شيء هناك إلا مادة وصورة بسيطتان ؛ فإن المادة قبل تكون الجسم البسيط عن مادته لا يخلو إما أن يكون لا صورة فيها ، وهذا محال ؛ أو يكون لها صورة لم تبطل فيكون إما أن الثاني ليس ببسيط بل مركب الصورة ، وإما إن كان بسيطا كانت بساطته مما قد (تم) بالصورة الأولى ؛ وهذا الثاني لازم عارض لا حاجة إليه في تقومه . فليس هناك تكون ؛ بل استحالة

واستكمال .

فأما إن كانت هناك صورة فبطلت بوجود هذا ، فذلك الصورة هي الضد لها ، وليس الضد كل ما ليس الشيء . فقد يجتمع مع الشيء في المادة ما ليس هو ، مثل الطعم مع اللون ، ولا كل ما لا يجتمع بمضاد ؛ فإن كثيراً مما لا يجتمع ليست بمتضادة ؛ بل أن يكون في المادة قبول لها . ولا كل ما ليس الشيء ولا يجتمع ، وفي المادة قبول لها ؛ فإن الصورة الإنسانية والفرسية بهذه الصفة وليستا بمتضادتين . وذلك لأن المادة ، وإن كانت قابلة لهما ، فليس قبولاً أولياً بقوة للقبول مشتركة أو قوتين متوافقتين معاً ؛ بل كل واحد منهما مما يحتاج المادة ، في أن (تم) استعدادها له ، إلى أمور توجد له . فإذا حصل استعداد أحدهما بطل استعداد الآخر ؛ بل يجب أن يكون الاستعداد لهما معاً استعداداً أولياً ، حتى يكون ضداً ، ويكون لقوة واحدة مشتركة فمضاد الواحد واحد ، على ما يصح في الفلسفة الأولى .

وبعد هذا كله ، فلا يجب أن يكون خلاف أبعد من خلافه . والذي يدعيه هذا

(١) م : نقوله // م : الجوهر ، وفي د : جواهر (٢) سا : بجواهر // م : - لا // سا : بسيطتين
(٥) د : أولى (٧) ط : أو استكمال (٨) سا ، ط ، د : وأما (١٠) م ، د ، سا ، ط : - بمضاد
// د : فليست (١١) م ، با ، ط ، د : - الشيء (١٢) م : والفرسة (١٣) م : يقوم للقبول
// م : مشتركا // ط : متوافقتين // ب : واحدة (١٤) د : - له // ب : لها (١٥) ب :
أحديهما // ب : الأخرى // سا : « جميعا » بدلا من « معا » (١٦) م : تضادا لواحد واحد
(١٨) ط : فيجب أن لا يكون

المتكاف من أن في الفلك طبيعة تضاد مثل التقييد والتغير فقد أجيب عنه . ومع ذلك ، فلا كثير منع منا لأن تكون لموارض الفلك ولواحقه أضداد لا تستحيل إليها ، مادامت طبيعته موجودة كالحلاوة للعسل . فإن الحلاوة وإن كان لها ضد ، فإن العسل غير قابل له في ظاهر الأمر ، وإنما كلامنا في صورته ، وأنه لا ضد لها ، وأنها لا تتغير ولا تتغير الأمور اللاحقة لها ، وإن كان لها أضداد ، كما أنه لو كان طبيعة العسل بحيث لا تفسد صورته لبقيت الحلاوة فيه دائماً لا تستحيل .

والذي قيل إنكم إنما تستدلون على أن طبيعة السماء لا ضد لها لأجل حركتها ، ثم تقولون إن طبيعتها نفس ، وإن حركتها صادرة عن الاختيار ، وتارة تقولون إن تحركها أمر مباين للمادة أصلاً غير متناهي القوة ، فإن كان محركها نفساً أو أمراً مبايناً فليس محركها طبيعياً . فما تنكرون أن يكون لطبيعتها ضد فإنه لا سبيل إلى إثبات ذلك من حركة تصدر عن نفس أو مباين آخر ، لا عن طبيعة .

فالجواب عن ذلك أن جوهر السماء صورته وطبيعته هي هذه النفس اللازم لها هذا الاختيار بالطبع . فإنك ستعلم في العلوم الكلية أن كل اختيار فما لم يلزم لم يكن اختياراً صادقاً . لكن ربما لزم عن أسباب خارجة تبطل وتكون . وربما كان مبدؤه بعقل ذاتي طبيعي .

وقد علم أن النفس لا ضد لها ، وأنها إذا كانت صورة مادة ، ولم يكن لها ضد يبطل بالنفس ، ولم يصح أن تتعري المادة عن صورة أصلاً — استحالة أن تكون هذه الصورة من شأن المادة أن تفارقها .

(١) د : أجب (٢) م : فلا كسر // سا : فلا كثر // م ، ط : يستحيل // م : — إليها
(٤) د : صورة (٥) د : فلا (٦) م ، ط ، د : يفسد // ط ، م ، د : يستحيل (٧) ط : —
إنكم // د : يستدلون (٨) م : يقولون ، وفي سا : يقول // م : يقولون (الثانية) (٨) سا : تبين //
د : بأن // م ، سا : — كان (١٠) د : وليس // م ، سا : ينكرون // ط : لإبانتته (١١) ط : يصدر
(١٢) د : اللازمة (١٤) ط : لزمه // سا ، د : من (١٥ ، ١٤) ط : لتقل ذاتي طبيعي
(١٦) ط : قد // (١٧) م : يتعري // ب ، د ، ط : الصورة (١٨) م : يفارقها

فهذا التشنيع ، وهو (أن مبدأ هذه الحركة نفس) ، هو الذى يؤكد أن مبدأ هذه الحركة لا ضده .

وأما المحرك غير المتناهى القوة فليس هو المحرك الذى فيه كلامنا هنا ؛ بل هو المحرك المصرف للنفس تحت مثاله الكلى تصريفه المنشوق إلى التقبل به والاستكمال بالتشبه به ، كما ستعلمه . ٥

فقد بان أن هذا الجرم لا يقبل الكون والفساد ، فلا يقبل النمو . فإن قابل النمو فى طبعه الكون ، فهو غير قابل للاستحالات المؤدية إلى تغير الطبيعة ، فإن من الاستحالات ما هو سبيل إلى تغير الجوهر ، مثل تسخن الماء ، فإنه لا يزال يشتد حتى يفقد الماء صورته .

وإذ قد عرفنا هذا الجسم وأنه غير متكون ، فقد ظهر أنه غير فاسد ؛ إذ قد ظهر أن صورته موقوفة على مادته . ١٠

على أنا نقول : إن كل فاسد متكون ، وكل متكون جسمانى فاسد فلا يجوز أن يكون شئ جسمانى متكونا ولا يفسد ألبته ، وشئ جسمانى تفسد صورته عن مادته ، ثم لا يتكون ألبته . وذلك لأن المادة الموضوعة للصورة لا يخلو إما أن يجب مقارنتها لتلك الصورة أو لا يجب . فإن لم يجب كانت المادة ، باعتبار طباعها ، جازيا عليها أن توجد لها الصورة وأن لا توجد . فإن وجدت لها الصورة ، وليس تجب لطباعها أن تكون لها الاحالة ، ولا أيضا يمتنع ، فهى ممكن فى طباعها أن يوجد لها الصورة وأن لا يوجد لها . ١٥

(٣) : ب ، ط ، د : الفير // د : كلامنا فيه // م ، سا : هاهنا (٤) م : المنصرف // ط ، د : مثال // ب : تصرف // سا ، ب : الثقيل (٦ ، ٧) ب ، سا : قابل النمو قابل فى طبعه الكون ، وفى ط : بل فى طبيعته الكون ، وفى د : فإن قابل النمو فى طبيعته الكون // سا : غير // م : تغيير (٨) سا : هو مثل (١٠) سا : قد فرغنا عن // د : قد (١٢) سا ، د : فلا (١٣) ط : متلوننا ولا // سا : فلا يفسد // م ، ط : يفسد (الثانية) (١٤) د : أن يكون (١٥) د : بحسب اعتبار (١٦) م ، ط : يوجد // م : وإن كانت لا توجد (١٧) م ، ط : يكون // م : له (١٨) سا ، د : - « لها » الثانية

فلنتنظر الآن أنه هل يكون في قوتها أن تكون لها هذه الصورة دائماً أم لا .

فنقول : إن كان يمكن ذلك فلا يخلو إما أن يمكن لا كون هذه الصورة لها دائماً أو لا يمكن .

فإن كان في قوتها أن يكون لها الصورة دائماً ، وليس في قوتها أن لا يكون لها

- الصورة دائماً ؛ بل تكون قوتها على عدم الصورة محدودة ، وجب أن يكون ما يتعدى ذلك الحد يجب فيه وجود الصورة ويمتنع لا وجودها ، والمادة والأحوال تلك بعينها ، وهذا محال ، وهذا خلاف الوضع . فبقى أنها ، إن كانت تقوى على وجود الصورة لها دائماً فتقوى أيضاً على عدم الصورة لها دائماً . وما يقوى عليه الشيء فإنه إذا فرض موجوداً أمكن أن يعرض منه كذب . وأما المحال فلا يعرض . لكن هذا المعنى الممكن موجود ، ويعرض منه المحال على ما نبينه . فلنفرض أن ما يقوى عليه يكون ، وهو وجود الصورة دائماً ، وهو مع ذلك يقوى على عدم الصورة دائماً ؛ فلا يستحيل أن يكون مما يقوى عليه وقتاً ما . فإن استحال أن يكون ما يقوى عليه لم يكن ما يقوى عليه مقويا عليه . فإن المقوى عليه إنما يكون مقويا عليه عند فرض مقابله موجوداً . فإن كان كون مقابله موجوداً يمنع القوة عليه ، فلا قوة عليه ألبتة . لكنه يستحيل ، بعد فرض القوة الأولى ، أن يفرض القوة الثانية بالفعل ، وإلا لكانت الصورة ، في زمان غير متناه ، موجودة ولا موجودة معا . فإذا كان هذا محالاً ، فالوضع ليس يكذب غير محال ، بل هو محال . فمحال أن تكون المادة يقوى على أن يكون لها صورة زماناً بلا نهاية ، وهي مع ذلك تقوى على أن يكون لها تلك الصورة .

(٢) ط : يمكن ان لا كون (٤) سا : وإن // م : إذ لا تكون (٥) ط : يكون // ب ،
ج ، د : محدوداً // م ، سا بما يتعدى (٦) م : ويمتنع // م : وجوده (٧) « هذا » الثانية
سقطت في سا ، د // د : ب ، سا ، د : فقد بقي // ط : يقوى (٨) م : - دائماً (٩) م : فلا يعرض لهذا
المعنى الممكن الموجود (١١) سا : - هو // م : مما يقوى (١٣) د : بأن المقوى (١٤) ط : // فلا قوة
عليه ألبتة مكررة // سا : مع فرض (١٥) د : - بالفعل (١٦) سا : عين محال // م ، ط يكون
(١٨) م : لا يقوى

فبيّن أنه لامادة من المواد تقوى على حفظ صورة لها إمكان عدم زمانا بلا نهاية .
وهذا تبين أنه لا يقوى على أنه يعدم لها صورة زمانا بلا نهاية ، فليس شيء مما يفسد
لا يتكون ألبته ، ولا شيء مما يتكون يفسد ألبته .

وليس لقايل أن يقول إنه إنما عرض المحال لأنك فرضت للمقابل وجوداً
مع المقابل .

قيل له : إنما عرض المحال لأنه وجب فرض المقابل موجوداً مع المقابل ، حين
فرضنا المشكوك فيه موجوداً ، ليتبين لنا الخلف .

(١) ط : فتبين // ط : ليس ولا مادة // م ، ط : يقوى // د : إن كان عدم (٢) ط : وكذلك
يتبين ، وفي د : وبذلك يتبين ، وفي « م » وهذا يتبين // م : مقوى // م : يقدم // د : فاشيء
(٣) م : - ولا شيء مما يتكون يفسد ألبته (٦) ط : فقليل له ، وفي ب : فيقال له //
(٧) د : موجود // د : أن الخلف

الفصل الخامس

فصل في

أحوال الكواكب ومحو القمر

- إن هذا الجسم السماوي يدل الحس على أنه يتضمن أجراما مخالفة له في النسبة إلى الرؤية . فإن عامته مُشَفَّ يفند فيه البصر . وفيه أجسام مرئية لذاتها مضيئة ، كالشمس والقمر والكواكب . وبعضها في الترتيب فوق بعض ؛ إذ نشاهد بعضها منها يكسف بعضها ، ونشاهد بعضها بفعل اختلاف المنظر ، على ما تشهد به صناعة الرصد ، وبعضها لا يفعل ذلك . ونجد لطائفة من الكواكب ، مع الحركة التي تخصها ، وضعا محفوظا لبعضها ، عند بعض ، وطائفة تخالف ذلك . ونجدها تتحرك من المشرق إلى المغرب ثم تتحرك أيضا من المغرب إلى المشرق . وذلك مما لا يتحقق إلا على وجوه ستعد في صناعة بعده الصنعة ، فيتحقق من هذا أن هناك حركات مختلفة .

- فتبين بهذا الاعتبار أن الكواكب أجرام غير الأفلاك التي تحملها . ثم نعلم أنها لا محالة من جنس الجوهر الذي لا يتكون ؛ بل من جنس الجوهر المبدع ؛ إذ قد قلنا إن المتكونات ما حالها ، واتضح من ذلك أن المتكونات لا تتخلل الأجسام غير المتكونة تخللا كالشيء الغريب فتكون ، لا محالة ، بسيطة ؛ إذ المركبات متكونة ، فتكون أشكالها كرية ، على ما يرى بالحقيقة .

(١) م ، ط : الفصل الخامس (٤) م ، ب ، ج : - إن // م : تخالفه // م ، د : - له
(٥) م : وإن // ط مشقة // م : المصير (٦) م ، د : يكشف // د : - « ونشاهد بعضها
(٧) م ، ط : يشهد ، وفي د : شهد (٨) م ، ط : يخصها // م : لبعض
(٩) م ، ط ، د : يتحرك (١٠) م : سبعة (١٣) د : الجواهر التي لا يتكون // م : -
قد (١٤) م ، د : يتحلل // د : الغير (١٥) م ، د ، سا ، ب : تحللا // م ، ط : فيكون

والقمر من جملة هذه الأجرام ، له لون غير الضوء يتبين له إذا انقطع عنه النور الذى يوجب الحدس ، فى أول الأمر ، أن مبدأ وقوعه عليه من الشمس ، حتى إنه يتقدر ويتسمت بحسب ما يوجبه وضعه من الشمس ، قربا وبعدا . ثم يحقق التأمل ذلك الحدس وإذا توسطت الأرض بينهما انكسف .

٥ وأما سائر الكواكب فكثيراً ما يظن أنها تقتبس النور من الشمس . وأنا أحسب أنها مضيئة بأنفسها وإلا لتبدل شكل الضوء المقتبس فيها بحسب الأوضاع ، وخصوصاً فى الزهرة ، وعطارد ، اللهم إلا أن نجعل ذلك الضوء نافذاً فيها . فإن كانت ذات لون لم ينفذ فيما أدى فى كليتهما على السواء ، بل أقام على الوجه الذى يلى الشمس . وإن لم يكن لها لون كانت مشقة لا تضىء ، كليتهما ، بل من حيث تنعكس عنه . وهذا
١٠ الرأى منى يكاد يقارب اليقين .

وأما القمر فلا نشك فى أن ضوءه ونوره مقتبساً من الشمس ، وأنه فى جوهره ، ذو لون إلى العتمة المشبعة سواداً . أما هو فإن كانت تلك العتمة ذات نور أيضاً فليس نورها بذلك النور الذى يحس به من بعيد . ويشبه أن يكون جوهره بحيث إذا وقع عليه ضوء الشمس فى جهة استضاء سائر سطحه استضاءة ما . وإن كان ليس بذلك التلمع . فلذلك ليس يشبه لونه عند الكسوف لونه ، وهو بعد هلال . فإن ما وراء المستهل منه ، أعنى ما يصل إليه ضوء الشمس يكون أكثر إضاءة منه إذا كان كاشفاً . وقد توصل بعض الناس من ثبوت اللون لبعض الأجرام السماوية ، أو تسليمنا أنها مبصرة ،

(١) د : — له (٢) م : أو مبدأ // ط : جهة الشمس (٤) سا ، ب ، د : كشف
(٥) سا : نظن (٦) م : — وإلا // د : منها (٧) م ، ط : يجعل // م : « نافعا » بدلا من
« نافذا » . (٨، ٧) ب : وإن كانت ذاته (٨) د : لقام (٩) ط : مشقة مضيئة // سا : بكليتهما // م ،
ب ، ط : ينعكس (١٠) د : « معنى » بدلا من « منى » // وفى م : منى
(١١) د : تشككه // ط : ضوءه . فإنه (١٢) م : القيمة المشقة // سا ، ط : « ما » بدلا من «أما»
// م : القيمة // ب ، د // ط عن ذات (١٣) ب : بذاك // ب : نحس (١٥) م : البليغ ،
وفى ط : البليغ (١٥) سا : يشبه // م : هذا (١٦) د : كاشفاً (١٧) م ، د : يوصل //
م : ييوت // م : — اللون

أن أوجب من ذلك أن تكون ملموسة ، وأورد قياسا يشبه القياسات التعليمية وما
أبعده منها فقال : إن المشائين يسمون أنه لا مبصر إلا وهو لامس ، ولا ينعكس . فقوة
اللمس أقدم من قوة البصر . لكن نسبة قوة البصر إلى المبصرات كنسبة قوة اللمس
إلى الملموسات . فإذا بدلنا يكون نسبة الملموس إلى المبصر كنسبة اللمس إلى البصر ،
لكن اللمس أقدم وجوداً في كل شيء من البصر ، فالملموس أقدم من المبصر . وكما أنه لا يكون
الشيء ذا بصر إلا إذا كان ذا لمس ، فكذلك لا يكون مبصراً إلا وهو ملموس .

فالذي نقوله في جواب هذه المغالطة المفتعلة ، التي لاشك أن صاحبها كان يقف
على أنه يتكلفها متعسفاً ، أنه لو كان بيننا أنه ، إذا كانت أشياء متناسبة ، وإذا
بدلت تكون متناسبة ، لم يحتج إلى أن يُقام عليه برهان ، وقد احتيج . وإن كان إذا
أقيم عليه البرهان ، على جنس منه ، قام على نظائره من الأمور الداخلة في جنس آخر ،
لكان لما أقيم عليه البرهان في الهندسة ، أغنى عن أن يُقام عليه البرهان في العدد .
وليس كذلك بل احتيج إلى استئناف برهان عليه في صناعة العدد . وكذلك إذ أقيم
عليه البرهان في الهندسة والعدد ، ولم يقم عليه في الأشياء الطبيعية ، لم يلزم قبوله .

وبعد ذلك ، فإن إبدال النسبة إنما يكون في الأشياء التي تكون من جنس واحد
تكون فيها النسبة محفوظة في حالتها الأصل والإبدال ، وتكون نسبة في معنى واحد بعينه
محصل ، وللنسبة حقيقة معقولة مشتركة فيها . مثال ذلك أنه لما علم أن لكل مقدار
إلى كل مقدار نسبة النسبة التي هي محدودة في خامسة كتاب الأسطقسات لأوقليدس ؛
ولكل عدد إلى كل عدد نسبة النسبة التي هي محدودة في سابعة كتاب الأسطقسات

(١) ط : قياسات (٢) م : أبعد (٤) ط : المبصرات (٥) سا : « إلى » بدلا من « في »
// ب : فتكا ، (٨) « ط » : « كان أشياء // سا ، ب ، ط : فإذا (٩) م ، ط : يكون // م : -
إلى // ط : أو إن كان (١٠) ط : فقد قام (١١) ب : من البرهان (الأولى والثانية) // م : أغنى من //
(١٢) سا : « اشتقاق » بدلا من استئناف // سا : فلذلك (١٣) ط ، د : عليها
(١٥) ط : ويكون (١٦) م : والنسبة // م : مشترك (١٧) ط : بخامسة (١٧) سقط في
« سا » من ولكل عدد إلى كلمة « لأوقليدس » // د : « إلى كل عدد » مكررة في د
// م : - النسبة

لأوقليدس ، وعلم أنه كما أن للأول عند الثاني نسبة ، وللثالث عند الرابع نسبة ؛
فكذلك لاشك أن للأول عند الثالث نسبة من ذلك الجنس ، وللثاني عند الرابع نسبة
من ذلك الجنس . ثم بعد ذلك وقع الاشتغال بتكلف أن نبين أن هذه النسبة مقايسة
لتلك النسبة لانتخالفها .

- ٥ لكن الأمور الطبيعية ليس يجب أن يكون فيما بينها النسبة المعتبرة في المقادير
والأعداد ، من حيث هي طبيعته ، لامن حيث هي مقدرة أو ممدودة . فإن كان لبعضها
إلى بعض نسبة ما فليس يجب أن يكون تلك النسبة محفوظة في جميع الطبيعيات
في الجنس ، فضلا عن النوع . فنسبة البصر إلى المبصر هي أنه قوة تدرك اللون الذي
فيه ، وليست هذه النسبة نسبة اللمس إلى الملموس في النوع ؛ بل في الجنس من حيث
١٠ أنها مدركتان إدراكا حسيًا . ثم ليست هذه النسبة موجودة بين البصر واللمس ،
لاجنسيًا ولا نوعيًا ؛ بل هناك نسبة أخرى لانشابها تين ، وهي نسبة وجودها
في الحيوان ، وأحدهما قبل . وليست هذه النسبة مما يوجد بين المبصر والملموس على
النحو الذي ينفع هذا المتشكك ، لأنه ، وإن تكلفنا أن نجعل النسبة من جنس واحد ،
وهي النسبة إلى الحيوان بأنه للحيوان ، كان الإبدال فيه أن وجود الملموس للحيوان
١٥ متقدم على وجود المبصر له ؛ إذ يجوز أن لا يبصر الحيوان شيئًا ، مع جواز أن يلمس ،
ولا ينعكس .

وهذا مسلم لا ينفع في أن مامن طباعه أن يلمس مطلقا قبل ما من طباعه أن يبصر .
وإن احتال فلم ينسب واحداً واحداً نسبة مطلقة ، بل زاد ، فقال : إن وجود اللمس

(٢) م : سقط : لاشك أن للأول عند الثالث نسبة من ذلك الجنس و « (٣) سا : الاشتغال
// ب : ثم وقع بعد ذلك (٤) م ، ط ، د : يخالفها (٥) م ، سا : ليست (٦) سا : طبيعة
// سا : بعضها (٨) سا : فصلا // د : عن الموضوع // م ، ط : يدرك (١٠) ب : أنها
قوتان (١١) سا : لاجنسا ولا نوعا // د : « هي » بدلا من « وهي » (١٢) م : بما
(١٣) ط : يجعل (١٧) ط : ولا ينفع // سا : قيل (١٨) م : - واحدا م : « إن وجود
البصر قبل وجود اللمس

قبل وجود البصر ؛ لأنه في الحيوان كذا ، ولا وجود لها إلا في الحيوان ، فيكون ذلك أقدم من هذا مطلقا ، ويكون إنما ذكر الحيوان لا لأن يكون معتبرا في المحمول ، بل مأخوذاً وسطا حتى تكون النسبة بين البصر والمبصر مشاكلة للنسبة بين اللامس والملبوس — سلمنا مثلاً ذلك . لكن لم يكن من جنسها النسبة المبدلة ، التي لو كان من جنسها أيضاً ، لم يكن الإبدال بينا ما لم يبرهن على أن من الناس من لا يسلم ذلك ؛ إذ يرى أن في بعض الأجسام إبصاراً ولا لمس ، وهو الفلك . فإنه إنما يتقدم للمس الإبصار في الحيوان المركب . وصاحب هذا الاعتراض يميل إلى هذا الرأي ميلاً ظاهراً .

- ونعود إلى ما كنا فيه فنقول : وأما المحو الذي في وجه القمر فهو مما بالحرى أن يقع فيه إشكال . وعسى الظنون التي يمكن أن ترى فيه هي أنه لا يخلو إما أن يكون ذلك في جوهره أو خارجاً عن جوهره . فإن كان في جوهره فلا يخلو إما أن يكون امتناعه عن قبول الضوء قائماً عليه هو بسبب أنه مشف ، أو ليس هو بسبب أنه مشف ، ولكنه إنما لا يقبله لأنه غير مستعد لذلك بسبب خشونة مقابلة للصقالة ، أو ثلثه ، أو كيفية أخرى مانعة لقبول النور إما في جوهره وإما لأمر عرض له خارجاً .
- فإن لم يكن في جوهره لم يخل إما أن يكون بسبب ستر ساتر إياه عن البصر ، أو بسبب تشكّل يعرض له ، كما يعرض للمرأة من وقوع أشباح أشياء فيها ، إذا رؤيت تلك الأشياء فيها لم تر معها براقاً ؛ وإن كان بسبب ستر ساتر إياه عن البصر لم يخل : إما أن يكون الساتر شيئاً من الأجسام الموجودة تحت الأجرام السماوية في حيز العناصر ، أو من الأجسام السماوية .

(١) سا : لا وجود (٢) سا : - ويكون (٣) م ، ط : يكون
(٤،٣) د ، ط : البصر واللمس مشاكلة للنسبة بين البصر والملبوس (٤) م : البصر والملبوس
// ب : - لكن (٦) م : إبصار ؛ وفي « سا » إقصاء // م ، سا : - إنما // د : ولأنه //
(٨) سا : « يجرى » بدلا من « بالحرى » (١٠) م : - « أو خارجاً عن جوهره »
(١١) م : - عليه م : نسب // م : أو بسبب هؤلاء (١٢) سا : بكّة (١٣) م : « إما في
جوهرة » مكررة (١٤) م : « النضر » بدلا من البصر // م : - بسبب // م ، سا ، ب : المرأى ،
ط : للمرآت (١٥) م ، ط ، ب : فيه // م : ريث (١٦) سا : اشتياقية (١٦) م ، ب ، سا : فيه
// سا : - ستر (١٧) م : - في (١٨،١٧) م : السماوية

فيكاد أن تكون هذه الأجسام هي التي تصلح أن تكون ظنوننا في هذا الأمر ، وإن كان كل قسم رأياً رآه فريق . والأقسام المنتشرة من كون ذلك شيئاً في جوهره تفسد كلها بما قدمنا من القول فيه من أن الأجسام السماوية لا تركيب فيها ، وأن كل جرم منها بسيط متفق الطبايع على أتم أحواله التي يمكن أن تكون له في جوهره والقسم المنسوب إلى انطباع الأشياء فيه .

وما قيل إن البحار والجبال يتصور فيه فيبطل بأن الأشباح لا تحفظ في المرائي هيئاتها مع حركة المرائي ، طولاً وعرضاً ، ومع اختلاف مقامات الناظرين ، والخيال الذي في القمر محفوظ . وعلى أن المرائي ، التي تصلح لأن ترى مضيئة ينعكس عنها الضوء ، لا تصلح للتخييل ، ولا يجتمعان فيه . فإن ما ينعكس عنه الضوء إلى البصر لا يؤدي الخيال ، وما يؤدي الخيال لا ينعكس عنه الضوء إلى البصر .

والقسم المنسوب إلى ستر سائر واقف تحت فلك القمر يفسد مما يجب من ذلك من حصول اختلاف المنظر ، ولزوم أن يكون السائر تارة يرى سائراً ، وتارة غير سائر ، وأن يكون الموضع الذي يستره من جرم القمر مختلفاً بحسب اختلاف مقامات الناظرين . وإن كان من جوهر الدخان والبخار ، كما يظن ، لم يحفظ على الدوام صورة واحدة لاحتالة . فبقى القسم الأخير ، وهو أن السبب في ذلك قيام أجسام من جوهر الأجسام السماوية قريبة المكان جدا من القمر ، في طبيعتها أن تحفظ بحركتها وضماً واحداً من القمر فيما بينه وبين المركز ، وأنها من الصغر بحيث لا يرى كل واحد منها ؛ بل ترى مجملتها

(١) م : أن // م ، ط : يصلح // م ، ط : يكون (٢) سا : فالأقسام (٣) م : يفسد كله // سا : من (الاولى) // د : منه // م : السماوية // م : فيه (الاولى) (٤) م ، ط : يكون // م ، سا : له (٥) سا : المنسرب (٦) م : لأن الأشباح // م ، ط : يحفظ (٥ ، ٦) ط : المرءة (٦ ، ٧) م : الخيال الذي بالقسم // م : على أن (٨) ط . المرءة وفي السسخ الأخرى ما عدا : المرائي // م ، ط : يصلح // م ، ط : يرى (٩) ط : للتخييل ، وفي « سا » : لتخييل // د : « فإنما » بدلا من فإن ما (٩ ، ١٠) في م : سقط « لا يؤدي الخيال وما يؤدي الخيال لا ينعكس عنه الضوء إلى البصر » (١١) ط : لما يجب // م : عن (١٢) م : تارة (١٣) د : اختلافات (١٤) م : الدوم (١٥) ط : الأجسام (الاولى) // م : الأقسام السماوية (١٦) م : قرينة . // ط : يحفظ (١٧) م : قالها // م ، ط ، د : يرى مجملتها

على نحو مخصوص من الشكل المجتمع لها ، وأنها إما أن تكون عديمة الضوء أو تكون أضعف أشراقاً من القمر ، فترى بالقياس إليه ، في حال إضاءته ، مظلمة غير مضبنة .

- والعجب ممن ظن أن ذلك انمحاق وانفعال عرض للقمر من مماسة النار ، ولم يعلم أن جرم القمر لا يماس النار ألبتة ، وأنه في فلك تدويره وفي فلك حامل ، وبين حامله وبين حيز العناصر بعد معتد به ؛ وأن قطعا من قطوع كرتة التي تتحرك بخلاف حركة حامله هو الذي يلي النار ، وهو الذي حركته شبيهة بحركة الكل ؛ وأنه لو كان حامل تدويره الخارج المركز مماساً للنار لكانت النار والهواء الأعلى يتبعه في الحركة . لكن ليس كذلك ؛ بل إنما يتبع حركة موافقة لحركة الكل ، والدليل على ذلك حركات الشهب الثاقبة . ذوات الذوائب ، التي علمنا من أحوالها أنها في الهواء الأعلى ، وأنها تتحرك بحركة ذلك الهواء إلى الغرب . وليست تلك الحركة للهواء بذاته ، ولا للنار ؛ إذ لها مبدأ حركة مستقيمة . فذلك لها بالعرض ، على ما علمت .

- فيكون الجسم السماوي الذي يماس الهواء الأعلى حركته تلك الحركة ، فلا يكون حامل تدوير القمر وجرمه هو ذلك المماس ؛ بل يكون ذلك الجرم الأخير حجاباً نخينا بين النار وبين القمر ، وعلى أن ذلك الجرم مصون عن أن يسحقه ساحق ، وأن يحق صقالته ماحق .

ولو كانت النار هي السبب فيه لكان مرور الدهر الطويل مما يزيد فيه ، ويؤدي آخر الأمر ، إلى انمحاق القمر على التمام . وهذا مما تكذبه الأرصاد المتوالية .

(١) م : - عديمة الضوء أو تكون (٢) م : أضائته // م : - مظلمة (١٣) د : انسخان // ب : مماسه (٤) م : تدوير . // ط : وفلك تدويره في فلك حامله (٥) د : حيز النار // م : الذي يتحرك . (٧) ب ، ط : لكان (٨ ، ٩) م : وليس كذلك (٩) م . ط : الذوائب (١١) م ، ط ، د : يتحرك // د : بذاتها (١٣) د : تماس // ط : الآخر (١٦) م : صفاته // سا : صقاله . (١٧) د : فيه + منه // م : - الطويل (١٩) م : احماق // م ، ط ، د : يكذبه .

والشأن أن ذلك الانحاق لا يكون شيئاً عرض ابتداء في زمان ؛ بل مادام القمر فيجب أن يكون من حكمه ما تعلم .

وقد حسب بعض من أدرك زماننا ممن شاخ في الفلسفة العامة الموجودة في نصارى بغداد أن هذا السواد هو تأدي من السواد الذي يكون في القمر من الجانب الذي لا يلي الشمس ، ولا يستضيء بها ، ولم يشعر هذا القائل أنه لو كان كذلك لكان ذلك الخيال مما لا ينقطع ويتفرق في صفحة القمر ، بل يكون لبابه عند المركز ، ثم لا يزال يتدرج إلى البياض . ولم يعلم أن ذلك مما يكون في أوائل الاستهلال ، وحيث ذلك الجانب مضيء كونه عند تبدر القمر . ونحن نرى القمر إذا أخذ يزيد ضوؤه ، فإن تلك الثلم من صورة المحو فيه تكون محفوظة ؛ ويكون ظهور شكل المحو وشكل الضوء على نسبة محفوظة إلى التبدر . ولم يعلم أن السواد والظلمة لا يشف من جانب الجسم الأسود إلى جانب له آخر ؛ بل ظن أنه خرج وجها وأبدع قولاً .

هذا وأقول ، على سبيل الظن ، أنه يشبه أن يكون لكل كوكب ، مع الضوء المشرق منه ، لون بحسب ذلك اللون ، يختلف أيضاً الضوء المحسوس لها ، فيوجد إشراق بعضها إلى الحمرة ، وبعضها إلى الرصاصية ، وبعضها إلى الخضرة . وكأن الشعاع والنور لا يكون إلا في جرم له خاصية لون . فإن النار إنما يشرق دخانه ، وهو في جوهره ذو لون ما . ويختلف المرئي من اللهب باختلاف اللون الذي يخاطه النور الناري . وليس هذا شيئاً أجزم به جزماً .

فاذا قد تكلمنا في جواهر الكواكب ومخالفاتها للأفلاك في لونها ، فخرى بنا أن نتكلم في حركاتها التي تخصها .

(٢) سا ، ط ، د : يعلم (٣) م : العامة (٤) تأدي هكذا في « ب » أما في م ، سا ، ط فهي « تأدي » وفي د . تأدي (٥) م ، ط : العاقل // م : لو كان ذلك // م : - لكان ذلك .
(٦) ط : ولا يتفرق م : صفيحة // ب : بيانه . // سا : يتدرج (٨) م : لونه
// م ، ط : الظلم (٩) م : فيكون (١٠) ب : تعلم . // سا : يسف (١١) د : - آخر //
// م : يظن // د : واندفع قولاً (١٢) م : هذا فيقول // سا : بهذا أقول
(١٣) د : لونا // م ، سا : - اللون (١٤) م : الرصاصية (١٥) د : - إلا // م : - لون
// سا ، د : ذا لون (١٦) م : اختلاف (١٨) سا : فإذا // ب ، ط : وإذا (١٩) د : يتكلم

الفصل السادس

فصل في

حركات الكواكب

الظنون المظنونة في هذا المعنى ، بعد القول بأن في الأجرام السماوية حركة ، ثلاثة :

- ٥ ظنٌ من يرى أن الجرم الفلكي ساكن ، والحركة للكواكب خارقة متدرجة أو غير متدرجة .

وظنٌ من يرى أن الجرم الفلكي متحرك والكواكب متحركة خلاف حركة الجرم خارقة له .

ظنٌ من يرى أن الكواكب مغروزة في الجرم الفلكي لا يخرق ألبتة ؛ بل إنما

- ١٠ يتحرك بحركتها ، على أنه لا حركة في الأجرام السماوية إلا الحركة التي جعلناها الوضعية ، ولا انتقالية هناك ألبتة .

وأصحاب هذا الرأي أيضا قد تشعبوا شعبا :

فمنهم من زعم أن الكوكب ، مع ذلك هو المبدأ الأول لفيضان قوة التحريك عنه ، كالقلب مثلا أو الدماغ في الحيوان مع سكونه ؛ ومنهم من رأى مبدأ الحركة في جرم السماء ؛ إذ كان المتحرك نفسه هو بالذات .

١٥

(١) م ، ط : الفصل السادس (٥) ط : خارقة له // م ، س ، ب : خارقة ، د // خادمة // في د تكرر // ظنٌ من يرى إلى قوله « غير متدرجة » (٦) في م : - « أو غير متدرجة » (٨) م : الجزم (١٠) م : تحركت // د : - يشرك (١٢) م : شبيه (١٣) م : الكواكب (١٤) س : - مثلا (١٥) م ، ب : - كان

ومنهم من رأى أن بعض الأجسام السماوية تنبعث قوى حركاتها عن كواكبها ،
وهي التي تكون الحركة الملتزمة لها إنما تلتزم من عدة أكر وكوكب واحد ، مثل أكر
الكواكب التي يسمونها المنحيرة ، وأن بعض الأجسام السماوية بخلاف ذلك ، وهي التي
تكون الحركة الملتزمة إنما تلتزم من كرة واحدة وكواكب عدة ، مثل كرة الكواكب
التي يسمونها الثابتة . على أنى لم يتبين لى بيانا واضحا أن الكواكب الثابتة في كرة
واحدة ، أو في كرات ، منطبق بعضها على بعض إلا باقناعات . وعسى أن يكون ذلك
واضحا لغيرى .

وهؤلاء الذين جعلوا الكواكب غير مفارقة لمواضعها ظنوا ، مع ذلك ، فيها ظنونا :
فمنهم من قال إنها لا حظ لها في الحركة أصلا .

ومنهم من قال إن لها حظا في الحركة ، إلا أن الجسم ، الذي تتحرك هي فيه الحركة
التي بها ، يتحرك هو أيضا مثل حركتها ، فيعرض أن لا تفارق مكانها ، مثل السابح في الماء
إذا سبج مواجها سمت مسيل الماء . فإن له أن يسكن سكونا يعرض منه أن يسبقه
السيل ، ويقف هو في موضعه . وله أن يفعل خلاف هذا . فإن كان هذا التوقف منه سكونا
للمحالة ، فمخالفه ، وهو مجاراته للسلان ، حركة ، مع أنه لا يخرق الماء ولا يفارق ما يلقاه
منه ، وكذلك حال الكواكب .

وأما نحن فقد فرغنا عن إبانة امتناع انخراق الجسم السماوى ، فكفينا أن
نتكلف أمرا ليس بذلك المعتاد والمسلم ، وهو أنه ، إن تحرك ، فحركته إما أن تكون بتدحرج
أو على استمرار ؛ وأن نقول إن القول بالدرجة يكذبه ثبات المحوفى القمر إلى جهتنا ، بعد

(٢) م للحركة // م : « الجسم » بدلا « من تلتزم » // سا : ميل // م : أكثر
(٤) م : - الحركة // م : يلتزم // ب : الكرة . (٥) م : الثانية (٦) د : واحد
// سا : - في // ب : منطو // سا : منطوى (٧) م : واضحة (١٠) ب : من الحركة
(١١) ط ، د : يتحرك هي // م ، ط ، د : يفارق // م : السابح (١٢) م : سنج // م : سميت
(١٣) م : الوقف (١٤) م : فخالفته // ط : محاذاته (١٦) ط : فأما // سا : - امتناع // م :
وكفينا // سا : فيكفينا (١٧) ب ، ط : المعتاد المسلم // د : المعتاد المسلم // سا : تتدرج (١٨) د :
أوعده على استمرار

القول بأنه ليس في وجه القمر ذلك المحو ، إنما هو لأجل سائر ، وأن القو بالاستمرار ردى ،
يؤدى إلى أنه لو كان استمرار لأعطت الطبيعة آلات ؛ كأنه قد صح أن هذه الحركة
لا تكون إلا بالآلات ، أو لا تسهل إلا بالآلات ، أو صح أن كل حركة تحتاج أن يُعطى لها آلة .
فحينئذ يجب أن تكون الطبيعة أعطت لهذه الحركة أيضا آلات . أو نقول : إنه لو كانت
الثوابت تتحرك لكان يجب أن تكون سرعتها وبطؤها بقدر كبر مداراتها وصغرها ،
فيصير ذلك علة ؛ كأنه لا يمكن أن يكون كل كوكب إنما رتب في دائرة تليق بسرعه
وبطئه يتوافق معا ، من غير أن كان ذلك علة السرعة والبطء ؛ كأنه لا يمكن أن تكون
السرعة والبطء لعلل أخرى . ثم يجعل مركز كل كوكب في مدار يليق بسرعه ،
أو يتفق ذلك من غير أن يكون علة .

- ١٠ فنحن لا نحتاج أن نقول شيئا من هذا الجنس ، فإنه كله ضعيف ، أو هو غاية في القوة ،
إلا أنا لم نفهم وجه كونه قويا ، ولا معلومنا تشمروا لإبادة ذلك إبادة يعتديها ؛ بل يكفيننا
أن نقول إن جرم السماء لا ينخرق .
ويجب أن يُعتقد أيضا أن الكوكب نفسه يجب أن يدور على نفسه ، لما عُرف
من أحوال الأجرام السماوية .

- ١٥ وأما أن للكواكب والأفلاك حركة مخالفة للحركة الكلية ، وأن ذلك كيف يلتم
وكيف يمكن ، فيجب أن يؤخر الأمر فيه إلى أن تقتبس من الصناعة المنسوبة إلى
المجسطى ، صورة هذه الحركات . ثم نكر ونوضح أن ذلك كيف يمكن ، مع منع الخرق ،
وأن الميول التي يُظن أنها تتحرك عليها الكرات ، ثم تنعطف ، راجعة من غير تمام
الدور ، وكيف يمكن .

(١) سقط في م ، سا ، ب « وأن نقول إن القول » // م ، سا ، ب : — وأن نقول لها دوإن
القول « حتى كلمة « سائر » (٢) د : نبات // د : كأن ، وفي ط : كأنها (٣) م ، ط : يكون
// د : بالآلات (الثانية) // م ، ب : يحتاج // م : له (٤) م ، ط : يكون (٥) م ، ط ، د
يتحرك // ط : يكون (٦) ط : يليق (٧) م ، سا ، ب : بطؤه ، وفي « ط » : بطؤه // م ،
ب ، د : لوافى . (٩) ط : يحصل ذلك (٨) م : ويتفق (١١) ط : « لأنفهم » ، وفي د : لم يفهم //
ط : إباتته (الأولى والثانية) (١٢) م : ينخرق (١٣) ب : — أيضا // م ، د : الكواكب نفسه
وفي ط : الكواكب // ط : نفسها (الثانية) (١٥) د : أو الأفلاك // د : يلتم (١٦) م : الأمر
في ذلك // م ، سا : يقتبس (١٧) د : — يمكن // د : الخرق (١٨) م ، ط : يتحرك . ينعطف

فإن الذى يرى من حركة الكواكب حتى تكون تارة بطيئة الحركة ، لالتى بسبب الرجوع والاستقامة والإقامة ، وبسبب الأوج والحضيض من الخارج المركز ، بل الذى ينسب إلى مركز فلك التدوير ، وأنه ليس يقطع من الدائرة المائلة فى أزمنة سواء قسباً سواء ؛ بل إنما يقطع ذلك بالقياس إلى دائرة أخرى ومركز آخر . أما للقمر ٥ فالدائرة المائلة ومركز الأرض . وأما للأخرى فالفلك المعدل للمسير ومركزه الذى هو غير مركز الحامل والأرض كيف هو .

وبين أن جميع ذلك بالعرض ، لا بالذات ؛ إذ لا يجوز أن يختلف تحريك قوة بسيطة جسماً بسيطاً فى حد واحد (لغاية واحدة مختلفاً) إلا الذى إذا أوجبت الطبيعة اختلافاً فيه استمر على اختلافه مشتداً فيه بالحمية ، كما تختلف الأجسام البسيطة المستقيمة الحركة ، حتى تكون فى ابتدائها أبطأ وفى آخرها أسرع . ١٠

فذلك أول شيء ليس فى حد واحد ؛ بل فى حدود مختلفة . وتلك الحمية لاتعود وهنا ألبتة . على أن لتلك الحمية أسباباً عرقها لا يمكن أن تكون موجودة فى الأجرام السماوية .

ومما جرت العادة أن نتكلم فيه فى مثل هذا الموضع أنه لم صار النيران أقل أفلاكاً وسائر الكواكب أكثر أفلاكاً ؛ ولم كانت كرة الكواكب الثابتة كثيرة الكواكب ١٥ وكرة غيرها واحدة الكوكب ؟

فيقولون فى الأول إن الأشرف والأفضل لا يحتاج ، فى تنعيم فعله إلى آلات ، وإن احتاج ، احتاج إلى الأقل ؛ وفى الثانى إن الطبيعة عدلت ، فجعلت حيث الحركة واحدة

(١) ط : د ، وإن (٣) م : التى تنسب // ط : فإنه (٤) ، سا ، ب : سوا قسباً سوا

(٤) ط : ومركز ، (٥) ط ، د : الفلك المسمى // د : - للمسير (٧) م : وتبين

(٨) م : مقدار واحد . (٩) ب ، ط : يختلف // (١٠) م : - أبطأ // د : أخرها

(١٤) ط : يتكلم (١٦) ب ، ط : واحدة (١٦، ١٥) فى م : - الكواكب النابتة كثيرة الكواكب وكرة غيرها واحدة . (١٧) سا ، م : الأفضل والأشرف (١٨) ط : أقل

أجساماً كثيرة ، وحيث الحركات كثيرة جسماً واحداً ، لئلا يجمع مؤوثة حركات كثيرة مع مؤوثة ثقل أجسام كثيرة .

وهذان الجوابان كالمقنعين ، وثانيتها أضعف كثيراً ؛ بل هو ردىء جداً . فإن هذا إنما يكون حيث يكون الحمل أو الحركة متعباً . وهناك الحركة ، كما يتضح لك بعد ، لذيدة مُربحة جداً ، والمحمول لا ثقل له ولا خفة ، ولا ميل بوجه من الوجوه ، ولا ممانعة • للتحريك . فلو اجتمعت حركات كثيرة وأجسام كثيرة منقولة ما كان يعرض هناك مؤوثة وتعب لا يعرض مع التخفيف بتوحيد أحدها .

هذا هو الذى يلوح لى . ويشبه أن يكون عند غيرى فيه بيان لا يلزمه ماقلته . وعلى أن القمر قد بان من أمره ، فى البحث المستقصى الذى حاوله بطليموس ، أنه أكثر أفلاكا من كثير من الخمسة .

١٠

ويجب أن تعلم أن وجود كل واحد من الأفلاك والكواكب ، على ماهى عليه من الكثرة والقلة ، والموضع والمجاورة ، والصغر والكبر ، هو على ماينبغى فى نظام الكل ولا يجوز غيره ، إلا أن القوة البشرية قاصرة عن إدراك جميع ذلك ، وإنما تدرك من ضايات ذلك ومناقبه أموراً يسيرة ؛ مثل الحكمة فى الميل والأوج والحضيض ، وأحوال القمر عند الشمس فى الليل ، وغير ذلك ، مما نذكره فى مواضع أخرى .

وقد وجب علينا الآن أن نتكلم فى أوضاع العناصر تحت السماء .

١٥

(٢) سا : - ثقل (٣) سا : «وبأنها» بدلا من «وثانيتها» (٤) م : بحيث // م : منتفيا // سا : لدندنة (٥) م : مزيجة وفى سا : مرئجة ، وفى «د» : مركبة (٦) د : منقورة // د : هناك يعرض . (١١) ط : يعلم . (١٢) سا ، د : القلة والكثرة (١٣) م ، ط : يدرك (١٤) ط : الحكمة التى . (١٦) م : - وجب

الفصل السابع

فصل في

حشو الجسم السماوى وما قاله الناس فى أحوال الأرض

وسائر العناصر

٥ تقول إن الجرم المتحرك بالاستدارة حركة وضعية يلزم ضرورة أن يكون فيه اختلاف حال عند الحركة . فإن ثبات الأحوال كلها مدافع للحركة مقابل لها ؛ إذ هذه الحركة لاتتعلق بالكيف والكم وغير ذلك ؛ بل لايتوهم له تعلق إلا بمكان أو جهات ، والمكان والجهات لا يكون لجسم منفرد وحده .

أما المكان فلا بدّ ، فى وجوده ، من الجسم الذى المكان نهايته .

١٠ وأما الجهات فلا بدّ من أن تكون مقيسة إلى حدود ، كما بينا ، قاعة إما فى خلاء أو فى ملاء . والخلاء مستحيل ؛ فالملاء واجب .

ثم هذا الجسم هو المحدد لجهات الحركات المستقيمة ، وسنبين فضل بيان بعد ، أن مثل هذا الجسم لا يوجد ، خارجاً عنه ، جسم متحرك بالاستقامة ، ولا جسم آخر إلا محيطاً به ومن حكمه ، فيكون ، لاحالة ، فيه مبدأ حركة مستديرة ، ويكون من جنس هذا الجسم ، ويكون من الطبيعة التى الكلام فيها .

(١) فى م ، ط : الفصل السابع (٥) م : تلزم (٦) م ، سا : - حال // سا : فانبات .

(٧) ط : يتعلق // ط : ليتوهم لها (٨) م : الجسم (١٠) ط : « فلا بد فى وجودها »
وفى د : فلا بد فى جوده // ط : يكون (١١) ب : يستحيل (١٢) م : المحدود // سا : فصل
(١٣) م ، ب : ميل // م : بالاستقامة + بالاسقاط (١٤) ط : فى حكمه // م ، سا : ويكون (الأولى)

فإذا كان كذلك لم يكن الجسم في نسبته المتبدلة في الحركة متصوراً بالقياس إلى جسم خارج عنه ، فبقي أن يكون إلى جسم داخل فيه . وينبغي أن يكون ذلك الجسم ساكناً يتحرك هذا عليه ، حتى يصح اختلاف نسبته إليه . فإنه إن كان متحركاً جاز أن تختلف النسبة إليه ، مع سكون من الجسم الآخر . وأما الساكن فلا تختلف النسبة إليه إلا للتحرك .

فالنسبة المحتاج إليها ، حتى يصح أن تكون نسبتها للتحرك اختلاف نسبة خاصة ، هي النسبة إلى الساكن .

فلهذا ينبغي أن يكون دور هذه الأجسام على جسم في الحشو ساكن بطبعه ، لكننا قلنا إنه من المستحيل أن يكون جسم لا مبدأ حركة فيه . وهذا الجسم الذي كلامنا فيه يجب أن يكون ساكناً . فكيف يستمر ذلك ؟

فنقول : إن كون الجسم ساكناً لا يمانع كونه وفيه مبدأ حركة ، بمعنى أنه لو فارق مكانه الطبيعي ، إما بكليته أو بأجزائه ، لتحرك بالطبع ، لكن الكلية فرض ؛ بل وجد ساكناً وبالطبع ، ولو كان أمراً قسرياً لم يكن عليه ، في الأمر الذي أو مانا إليه ، اعتماد ، فيجب ، لاحالة ، أن يكون في موضعه الطبيعي ، ويكون من شأن أجزائه أن تتحرك إليه بالاستدارة لو فارقت . وهذا هو الأرض لاحالة . وليس يجوز أن يكون حاشي الجرم السماوي بالاستدارة حشواً ما مالنا ، بحيث يتشابه فيه ما يماس الحركة السريعة وما يبعد عنها . فإنه لو كان مثلاً جوهرراً واحداً لتخلخل منه ما يماس الحركة وتخلل وسخن ولطف ، على طول الأيام ، واستحال جوهره عن المشابهة ، كما يعرض من

(١) د : فإنه // ط ، د . هذا الجسم // ط : النسبة // سا : متصور .

(٤) م ، ط : يختلف // ط ، د : - إليه (٦) د : بالنسبة // ط ، م : يكون // ط : بسببها (٨) م : دون (٩) سا ، ط ، ب : « بيننا » بدلا « من قلنا » (١٠) م : فكيف ثم (١١) د : فيقول // م : يعني // م : لو كان (١٢) م : يحرك ، وفي : سا : تحرك // د : - فرض (١٣) م : قسرا // م : « الأجل » بدلا من « الأمر » (١٥) م ، ط : يتحرك (١٦ ، ١٥) سقط في « م » من « لو فارقت » إلى قوله « بالاستدارة » (١٦) م : - ما (١٨) م : وتخلل // م : من المشابهة .

أفعالنا لو أثبتنا على جزء من الأجسام التي قبلنا بسحق أو حك أو تمخض وخضخضه ، ولم نزل نفعل ذلك حتى يسحق ، ثم لم نزل نداوم عليه ، لم يلبث أن يستحيل ناراً . فكيف ماتعرض له أشد من الذى فى مقدورنا .

فإن كان الجسم الطبيعى الموجود هناك ، فى طبعه الأول ، من جنس الذى فى الوسط ، فيلزم أن لا يكون ثابتاً على نفسه وجوهره ، ولا يجوز أن يكون وقت من الأوقات هو الأول الذى استحال فيه إلى جنس وجوهر آخر نارى ؛ لأن كل وقت يفرضه نجده ، وقد تقدم عليه ، فى قدرة الله تعالى ، زمان طويل ، فيلزم من ذلك أن يكون دائماً الأعلى جنس المتوسط وجوهره ، وهذا محال . فيكون كأنه إن كان من جنسه وجوهره ولم يكن ألبنة من جنس جوهره ، فلا يصح أن يقال : إنه إن كان من جنسه ، واستحال عنه ؛ بل يلزم من ذلك ضرورة أن يكون ذلك الجرم المماس ليس من جنس الأرض ، ولا من جوهره ؛ بل يجب أن يكون ذلك الجرم نارياً حيث كان . ولا يجوز أن يكون ، فى موضع آخر فى المواضع الداخلة فى الفلك ، أسطقس للنار ، فيعرض أن يكون الأسطقس النارى أكبر من القدر الذى تنفى العناصر بمعادلته ؛ إذ أسطقس النار إنما يكون أسطقس النار إذا كان ، هو نفسه ، وحده معادلاً لعنصر عنصر فى القوة ، فإن زاد عليه نار أخرى كان فوق المعادلة . والذى هو فوق المعادلة هو غير معادل ، وغير المعادل إما بالضعف والنقصان فيستحيل ؛ وإما بالزيادة والفضل ، فيحيل واحداً من المعادلة التى تلزم . من تقريرنا أن يكون للنار هو بالزيادة فيكون سائر العناصر مبتلاة منه بالإحالة وليس يختلف .

(١) م : وحك ، وفى د : يستحق // سا : تمخض ، وفى «ط» : تمخض (٢) م : ولم يزل يفعل // م : يزل يداوم (٤) سا : طبيعة (٤ — ٦) م : سقط فيها من قوله «من جنس» إلى «الوقت الأول» (٦) ط + لأنه يصير بالحركة ناراً (٦ ، ٧) م : يفرضه يجده . (٧) م : — تعالى (٨) م : سقط «فيكون كأنه» إلى وجوهره (٨ ، ٩) د : سقط من قوله « وجوهره وهذا محال » إلى قوله « إن كان من جنسه » (١٠) م ، ب : الجزء من المماس // م : وليس (١١) ب : — من (١٢) ب : استقص (١٣) ط : اسقطس // م : أكثر من ، وفى «ب» : أكبر فى // ط : ينى // سا : لمعادلته (١٤ ، ١٣) م : — إنما يكون اسقطس النار (١٤) د : فى نفسه // د : لعنصر غير (١٥) ط : ناراً . (١٦) د : بالزيادة والنقصان (١٧) م ، ط : يلزم // م : تقديرنا (١٨) م : — يختلف .

فإنَّ الحشو مختلف ، والجرم الدائم السكون بالحري أن يكون عادماً ، في طباعه ،
الجزء ، وأن يكون مستحقاً لكامله ذلك بدوام سكونه . والمبتلى بمرافقة جرم آخر
دائم الحركة بالحري أن يكون واحداً بطباعه للجزء ، وأن يكون مستحفظاً لكامله ذلك
بدوام حركته . وبالحري أن يكون تالئ كل واحد منهما جرماً يقارته في الطبيعة ، وليس
هو ، فتكون النار متلوة إلى الوسط بالهواء ، والأرض متلوة إلى فوق بالماء ، وأن تكون
صورة الهواء بحيث يفيض عنها بعض الكيفيات مشابهة للنار ، وبعضها غير مشابهة ، حتى
لا تكون الصورة الهوائية هي النارية . ولهذا ما كان الهواء حاراً رطباً ، وأن يكون حال
الماء عند الأرض كذلك . ولهذا ما كان الماء بارداً رطباً ، وأن يكون المتجاوران متناسبين
في كيفية ، وأن يكون الأضداد متباعدة في المكان .

- ١٠ فهذا هو الوصف المحكم ، وعليه الوجود . لكن الناس قد اختلفوا أيضاً ، وخالفوا
الحق في أمر هذا الحشو ، وخصوصاً في أمر الأرض من جملتها . فإن الأرض اختلف
في عددها ، وفي شكلها ، وفي حركتها ، وفي سكونها ، وفي موضعها .
- فطبقات من القدماء المائلين إلى القول بالأضداد ، وبأن الضدين مبدآن للكل ،
الواقفين من ذلك إلى جنبه القول بالخير والشر ، والنور والظلمة ، أفرطوا في تمجيد
النار ، وتعظيم شأنها ، وأهلوها للتقديس والتسبيح ، وكل ذلك لنورها وإضاءتها :
١٥ ورأوا الأرض مظلمة لا يستضيء باطنها بالفعل ، ولا بالقوة ، فأهلوها للتحقير والذم .
ثم رأوا أن الوحدة والثبات والتوسط من المعاني الواقعة في حيز الخير والفضيلة ، وأضدادها

(١) ط ، د : فإن // د : طباعها (٢) م : للجزى // م : بدام // د : بموافقة .

(٤) ب : جرم // في د : وبالحري أن يكون تالئ الحركة بالحري أنه يكون واحداً بطباعه في الطبيعة // ب
// يقاربه (٥) م ، ط : فيكون // م متلوا (الأولى والثانية) (٦) م ، ط : يكون // سا : شابهته ، وفي م :
متشابهة م ، ط : مشابهته (الثانية) وفي « د » : متشابهة (٧) م : هي (٨) م : المال

(٩) م : كيفيته . (١٠) سا : البرصف ، وفي « ب » : الرصف // ط : ولكن // م : اختلفوا فيه .

(١٣) م : وطبقات (١٤) م : عن ذلك وفي « ط » : في ذلك ، وفي د : - من ذلك .

(١٥) ط : إضاءتها (١٦) م : الحيز

من المعاني الواقعة في حيز الشر والذيلة ، فجعلوا النار موصوفة بالوحدة وبالسكون وبالتوسط في المكان ، وجعلوا الأرض موصوفة بالكثرة والحركة والوقوع في الطرف .

وقالوا إن في العالم أرضين كثيرة ، وإنها هي التي تتوسط بين أبصارنا وبين النيران ، فيكسفهما بالستر ، لا بالحو .

وهؤلاء قد تكلفوا مالا يستقيم لهم . وكيف السبيل إلى أن يوجد في النار كل معنى واقع في حيز الخير ، وفي الأرض كل معنى واقع في حيز الشر ، ومتى يمكن هذا ؟ فإن النار مفرطة الكيفية مفسدة ، والأرض معتدلة ولا تفسد ؛ والنار أسرع حركة في المكان القريب من الأرض ، وأقبل للعدم أو التفرق فلا يظهر للحس . والأرض أبطأ حركة ، وأثبت وجوداً في الحيز القريب . ثم حيز الأرض حيز الحياة وحيز النشوء للنبات والحيوان . وحيز النار مضاد لذلك . ٥ ١٠

ولا يبعد أن نجد للأرض من الأوصاف المحمودة عدد مانجد للنار . وهب أن الحس البصرى يثنى على النار ؛ فلنسمع مايقوله الحس المسمى . وليس الاستحسان أشرف من الاستنفاع ، كما أنه ليس الحسن غير النافع أفضل من النافع غير الحسن ، أعنى بالحسن الحسن المنظرى .

على أنه لا القول الذي قالوه ، ولا الجواب الذي أجبنا به من جنس الكلام البرهاني . لكن الأصول توجب علينا أن نعتقد أن الأرض واحدة إلى أن نوضح ذلك . فنقول إن الأرضين كلها صورتها الطبيعية واحدة ، وقد علم من قبل أن الأشياء التي ١٥

(٣) ط : بين (٤) م فيكسفهما // م ، ط : بالحق (٦) م : الحيز // م : يكون (٧) د : لا تفسد (٨) م ، ط : الغريب // د : والتفرق . (٩) ط : حيز (الأولى) م : حيز الأرض // م : الشر ، وفي « سا » البشر (١٠) د : حصاد لذلك (١١) ط : نجد (الأولى والثانية) م // د : عدد الحد . (١٢) م : فيسمع ، وفي ط : فليسمع (١٣) ط ، د : الغير النافع // ط ، د : الغير الحسن // م : بالحس (١٦) م ، ط : يوجب // د : يوضح

صورتها واحدة فإن الحيز الطبيعي لها واحد ، بحيث يجوز أن تجتمع كلها فيه — علما على وجه بالغ في التحقق والتبيين .

فيعلم من ذلك أن الأرضين الأخرى لا تثبت في مواضع أخرى بالطبع ، ولا عائق لها غير الحيز الطبيعي .

و نقول أيضاً إن الأرض الحاصلة في مكانها الطبيعي لا تتحرك بالاستقامة لما علم قبل ،
ولا تتحرك بالطبع على الاستدارة ؛ إذ الأرض لها في طبيعتها مبدأ حركة مستقيمة .

وقد بينا أنه ولا جسم واحد يجتمع فيه مبدأ حركتي الاستقامة والاستدارة .

والأعجب قول من قال إن الأرض دائمة الهبوط فما بال المدرة تلتحقها ؛ والجوهر الأرضي كلما كان أكبر كان أسبق وأسرع حركة ، إن تحرك ، فما ظنك بكلمة الأرض ؟

على أنا قد فرغنا من إيضاح تناهي الجهات التي إليها الحركة بالطبع .

فأما القائلون إنها تتحرك بالاستدارة ، والفلك ساكن ، وإن الشمس والكواكب تشرق عليها وتغرب ، بسبب اختلاف محاذيات أجزاء الأرض المتحركة إياها ، وهي ما كنه ، وأما هي في أنفسها فلا تشرق ولا تغرب — فيفسد قولهم بما بيناه من سكون الأرض ، وبأن المدرة تقع على الأرض على عمود ، وهو مسقط محاذ لمحاذيه .

ولو كان ما قالوه حقا لوجب في المدرة أن لا تنزل على عمود وشا قول ألبتة ؛ بل إن كان ولا بد فتنزل منحرفة . ولو كانت الأرض تتحرك هذه الحركة السريعة لكانت المدرة تتأخر عن المحاذاة ، ولما كان بعد مسقط السهم المرمى إلى المغرب من الرامي بعد مسقط السهم المرمى إلى المشرق من الرامي .

وأما مقاله الفرقة المذكورة في أمر توسط النار دون الأرض فنعم ما أجابهم عنه العلم

(٢) ب : واليقين (٣) ب : فعلم // م ، ط : يثبت // (٤) ط : ، عن الحيز (٥) م ، ط :
د : يتحرك // م : — لما علم قبل . (٦) م ، ط : يتحرك // ب : لها (٧) م : آخر كي الاستقامة
(٨) م ، ط ، د : يلحقها // م : الجوهر (٩) م : أن يتحرك ، وفي ط : من أن يتحرك
(١١) ط : وأما (١٢) م : لسبب // م : المتحرك . (١٤) م : مسقطه // م : + لخله //
سا : مجلاه (١٥) د : لا تنزل // سا ، م : وسا قول // م — بل (١٦) م ، ط : فيتنزل منحرفا // د :
أو لو // ط : يتحرك // م ، ط : يتحرك (١٧) ط : المحاذات // د : لما كان (١٦ ، ١٧) ط . المشرق ... المغرب
(١٩) ط : أجاب // م : — عنه :

الأول؛ إذ قال : هب أن النار متقدمة بالشرف ، وهب أن الشرف يقتضى التوسط ، وهب أنه قد لازم من ذلك أن النار في الوسط، أليس إنما يلزم الوسط الشرقي . وأما الوسط المقدارى فلا مزية له ، إنما للمزية للوسط في الترتيب ، فالنار قابلة للتوسط في الترتيب . فإن رتبتهما في أواسط مراتب الأجسام ، ومرتبة الأرض في آخر الترتيب .

فهذا يعطيكم مرادكم مع التقابل بما عليه الوجود ، حتى تطيب أنفسكم بتوسط النار، ولا تحوجون ، لذلك ، إلى مخالفة الشكل .

وأما القائلون بسكون الأرض فقد اختلفوا في سببه .

فقائل إنها في خلاء ، وجهة مستقرها غير متناهية ، فلا محيط لها .

وقائل إنها محفوفة محمولة على ماء غمر يقلها .

وقائل إنها طبليية الشكل مسطحة القعر منبسطة ، وذلك سبب سكونها ، وإن الثقيل إذا انبسط اندغم ، مثل الرصاصة إذا بسطتها طفت على الماء ، وإن جمعتهارسبت ، وكذلك حال الأرض على الماء والهواء .

وقائل إنها ، وإن كانت طبليية ، فحدها إلى أسفل وبسطها إلى فوق . ولذلك ما يكون القطع المشترك بين الأفق وبين الشمس خطا مستقيما في الرؤية ، ولا قوسا .

وقائل إنها كرية ، وإنها سا كنة لاتتحرك ، وإنما لاتتحرك لأن الفلك يجذبها إلى الجهات جذبا متشابها ، فلا تكون جهة أولى بأن تنجذب إليها من جهة ، كما يحكى عن صنم كان في بيت مغناطيسى الحيطان والقرار والسقف ، وكان قد قام في وسط البيت منجذبا إلى السطوح الستة بالسوية .

(١) إذا // م : مقدمة // م : « يقتضى التوسط » مطبوسة (٢) م ، د : ليس // ب : لازم // سا : الوسط الشرقى (٣) م : والنار // سا ، بخ : مائله (٤) م : ترتيبها (٥) ط : يطيب (٦) د : فلا يخرجون وفى م : ولا تخرجون (٨) م : خلاف جهة // سا : ستقرها (٩) م : — على (١٠) م : مسطحه منبسطة (١١) م : اندغم // د : وسبب (١٢) ط . مع الماء (١٣) م : قابل // م : بسطها . (٤) د م : بين الأرض (١٤) سا : لا قوسا (١٥) م ، ط : يتحرك // سا : إلى الفلك (١٦) د : ولانكون ، وفى م ، ط : ولا يكون // م ، ط : ينجذب (١٧) ط ، ب : مغناطيس (١٨) ط : د : الست

وقائل إن السبب في قيامها تساوى استحقاق الجهات أن يكون إليها ميل ، وإن لم يكن جذب .

وقائل إن السبب في قيامها التناقص الحركات السماوية بها ، كما يعرض لمدرّة أو جفنة تراب تجعل في قينة ، ثم تدار على قطبين إدارة سريعة ، فيعرض أن يثبت الجسم الثقيل في الوسط لالتفاف الدفع المتشابه عليه من كل جانب .

وهذه المذاهب كلها رديئة ، وكلها تجتمع في أن تجعل الأرض مقسورة على القيام في الوسط . وكيف يكون الشيء مقسورا إلا في غير موضعه الطبيعي ؟ وكيف يكون الجسم محبوسا في موضع غير طبيعي إلا وله موضع إليه يحن ؟ وما كان يكون حال الأرض لو حصل في ذلك الموضع الطبيعي وهل كان يقف أيضا ، أو يهبط الهبوط المتوهم ؟

١٠ فإن كان يقف ولا يهبط ، ولا يستنكر ذلك ، (ولا يطلب له علة من العلل المذكورة ، فلم صار الموضع ، الذي هو فيه مذ كان وإليه يتحرك أجزاءه يطلب لوقوفه فيه علة ، غير أنه مكانه الطبيعي الذي تشاقه أجزاءه إذا فارقه .

وإن كان لا يقف أيضا هناك ، أعنى في الوضع الآخر له ؛ بل ويهرب عنه . فالوضع الطبيعي ليس بموضع طبيعي ، بل موضع مهروب عنه ، هذا خلف .

١٥ ثم يلزم كل قول خاص محال خاص .

-
- (١) م : يساوى (٢) م ، د : لها // ط : جاذب (٣) سا : - بها ، وفي ب : لها .
(٤) م : يجمل ، وفي ط : جمل // سا : عينيه // ط : يدار (٥) م : الالتفاف الوقع .
ط : على ذلك (٦) م : ردى // ط : يجتمع ... يجمل (٨) سا : - طبيعي .
(١٠) سا : لا يهبط ولا يقف // سا : علل (١١) م ، ط : يتحرك (١١) د : جزاؤه .
(١٢) م : يشاقه // ط : أجزاءه (١٣) م ، سا : تهرب (١٤) م : فهرب (١٥) د : - هذا .

الفصل الثامن

فصل فى

مناقضة الآراء الباطلة المذكورة فى تعليل سكون الأرض

فأما الجاعل سبب قيام الأرض وسكونها كونها غير متناهية ، وأنها يدغم نفسها ،
٥ فقد عرف فساد مذهبه لما عرف من استحالة وجود جسم غير متناه .

وأما الجاعل سبب ذلك إقلال الماء إياها ، وثباتها عليه لتجوفها ، فيوضح بطلان
قوله إحواجه إيانا إلى أن نكر ، راجعين ، فى تعرف سبب قيام ما ليس قيامه ووقوفه
أبعد من الشبهة من قيام الأرض ووقوفها ، وذلك هو الماء . فإن الإشكال قائم فى سبب
قيام الماء واستقراره ، حتى يتبع ذلك استقلاله بحمل الأرض ، اللهم إلا أن يلتجأ فى أمر الماء
١٠ إلى مثل المحال الذى التجبىء إليه فى أمر الأرض من كونه غير متناه من الجهة التى بيننا .

فيكون الجواب ما قدمناه . ومع ذلك ، فما السبب الحاقن والممكن للهواء فى الأرض ؟
وما السبب المجوف للأرض ؟ وهل هذه الأشياء لوازم طبيعية لجوهر الأرض ، أعنى أن
يكون فيه الهواء ، أو لجوهر الهواء أن يكون فى الأرض ، أو لجوهر الأرض أن يكون
مجوف الشكل ؟ أما الهواء فطلبه ، لمكانه الطبيعى ، هو من حيث يحوجه إلى الانفصال
عن الأرض ، ولو بالزلازل والخسف . وأما الأرض فهى تهبط دائماً عن معدن الهواء ،
١٥ وشكلها شكل البساطة . وقد علمت أنه مستدير .

(١) م ، ط : الفصل الثامن (٤) سا ، د : كونه غير متناه ، وأنه نفسه // ب : يدم
(٥) م ، ط : عرف // د : إلى عرف (٧) م : نكرر (٨) د : - أبعد (٩) سا ، د : يلتجىء
(١٠) ب ، ط : - مثل المحال // د ، سا : التجأ // ط : لا من الجهة (١١) م : الحاقن
(١٢) سا ، د : الأسباب // سا : يعنى (١٣) سا : بجوهر الهواء (١٤) سا : يتجوف // د :
وطلبه // م : - هو (١٥) سا : الزلازل // سا : فهو يهبط (١٦) د : البساط

فإن لم يكن ذلك لازماً طبيعياً فهو عارض بعد الأمر الطبيعي. فما كان يرى أنه يكون إن لم يعرض هذا العارض أو وقوف، حيث الأرض فيه، أو حركة.

فإن كان وقوف قبل هذا السبب فما الحاجة إلى هذا السبب.

وإن كان حركة فكيف جاءت القوة الهوائية فنفت فيه وأقامته؟ وكيف كان

تكون تلك الحركة، وإلى أى غاية كانت تكون؟

وكذلك الكلام على جاعل الأرض مسطحة البسيط مقابل للبسيط الحامل إيانا.

فأما القائل بجذب الفلك للأرض من الجهات بالسواء فيفسد مذهبه وقوله

من وجوه.

أحدها: أنا نتوهم أن هذا الجذب قد زال، فلا يخلو إما أن يقف حينئذ الأرض

في الوسط، أو يتحرك:

فإن تحرك فلا محالة أنه يتحرك إلى الفلك. فإن هؤلاء يرون أيضاً أن الفلك

محيط، وأن الأرض في المركز. فإن تحرك إلى الفلك، فقد انقلبت حركتها صاعدة بالطبع، وهذا محال.

وإن وقف صارت العلة التي أعطوها لوقوف الأرض، هي بحيث لو لم تكن لكان

وقوف أيضاً. والشئ الذي لا يحتاج في أن يكون نفسه إلى أن يكون ذلك الشئ

فليس ذلك الشئ بعلة للشئ المستغنى عنه ألبتة. فهذا الجذب إذاً ليس بعلة لسكون الأرض.

وأيضاً فإن الشئ الأصغر أسرع انجذاباً من الشئ الأكبر، قال بال المدرة

لاتنجذب إلى الفلك، بل تهرب عنه إلى المركز؟

(٤) د : كانت (٥) م ، ط : يكون (الأولى والثانية) (٦) م : - المقابل للبسيط

(٧) ط : قوله ومذهبه (٩) م : يقف // م : الأرض حينئذ (١٠) م ، ط : يتحرك

(١١) ط : تحركت // د : « مقولاً » بدلاً من « هؤلاء » (١٢) ط : تحركت

(١٤) سا : فإن // م : وهى // سا ، د : - هى // م ، ط : يكن (١٥) سا : « الأرض »

بدلاً من « أيضاً » // د : - لا (١٦) م : المشى (الثانية) // م ، ط : إذن (١٩) م ، ط : يهرب

وأیضا فإن الشيء الأقرب أولى بالانجذاب من الشيء الأبعد ، إذا كان من طبعه ؛
والمدة للمدرة فوق أقرب إلى الفلك ، فهي أولى بأن تنجذب إلى جهة قربها من
كلية الأرض .

وأیضا فإن الحركة الطبيعية المستقيمة ، كما قد علمت ، إنما تكون إلى جهة القرار بالطبع ،
والمدة إنما تتحرك لتستقر ؛ ومستقرها إما إلى الفلك ، وإما إلى حيث يتوهم المركز ،
لكن ليس إلى الفلك ، وإلا لكانت الجهة المخالفة لحركتها أولى بها ، فإنها أقرب .
فهي إذن إنما تتحرك إلى المركز لتسكن بالطبع . ويقرب من هذا مناقضة من جعل
السبب تساوى الجهات فى الاستحقاق ، كأنها لو كانت مختلفة لكان واحد منها أولى
مما كان يكون ذلك الأولى الذى ليس هو جهة مكان طبيعى موجود أو غير ذلك . فإن
كان جهة هي مكان طبيعى فيكون للأرض شيء ، لو كان ، لكان مكانا طبيعيا ، فتكون
الأرض موجودة وليس لها مكان طبيعى موجود . فإلى أين تتحرك أجزاء الأرض ؟
وأجزاء الأرض كيف لاتصير جهة من السماء أولى بها من جهة ، لأنها أقرب من جهة ؟
ولم لاتقف النار فى الوسط لهذه العلة بعينها ؟ فمضى أن يقول القائل لأنها لاتوجد فى الوسط
الحقيقى . فكذلك المدرة يجب ألا تميل إلى الوسط .

ثم مما ينبغى أن يعطوه لنا هو سبب حصول الأرض فى هذا الوسط إلى أن صار
بحيث تكافأت الجهات عليه ، فأبطلت ميله ، وأوجبت سكونه . أطلبيعة توجب ذلك
أو قسر أو اختيار وبخت ؟ فإن كانت المحصلة إياها فيه هو مقتضى طبيعته فالسكون فيه
مقتضى طبيعته .

(٢) م ، ط : يتجذب (٤) ط : - الطبيعية // م ، سا ، د : كما قد علم // ط : يكون
(٥) م ، ط ، د : يتحرك // م ، ط : ليستقر (٦) م : ولالكات (٧) ب ، سا : إذا // م ،
ط ، د : يتحرك ليسكن (٧) م : ويهرب (٨) د : « الاستحقاق » مكررة (٩) م : فإكان // م ،
سا : د : - ليس (٩ ، ١٠) فى « م » سقط ابتداء من « أو غير ذلك » إلى قوله « فليس لها
مكان طبيعى موجود » (١١) م ، ط : يتحرك (١٢) ط ، م : يصير // م : لها // م ، ط : يقف
(١٤) ط : وكذلك المدرة // م ، ط : يميل (١٥) م : صارت ، وقى ط : يصار
(١٦) م : قد تكافأت (١٦) م : طبعه (١٧) م : « ويجب » بدلا من « وبخت »
(١٨ ، ١٧) ط : طبيعة // م : - فالسكون فيه مقتضى طبيعته .

وإن قالوا سبب قاسر لم يمكنهم أن يسيروا إلى هذا السبب ، فإن الأجسام المكتنفة للأرض ليس لها أن تفسر ميل الأرض دفعا . ولو كان المصير إلى هنالك لكلية الأرض قسراً لكان لجزئياتها قسرا . ولو كان هبوط المدرة قسرا ودفعا من الهواء المكتنف لما كانت ترجحن على الموانع من الحركة ، والهواء الذى يكتنفه لا يرجحن ألبتة ، حتى يجعل الهواء دافعا فيدفعها ، ولكان الأصغر أشد اندفاعا ، ٥ ولكان كلما بعد من مبدأ الحركة صار أبطأ . فإن القسرى كذلك . فإذ ليس شيء من هذه التوالى ، فليست كلية الأرض محصلة هناك قسرا ، وأيضا لا اختيارا ، إذ لا اختيار لها .

وأما البخت فليس أمراً يعتد بدوامه ؛ بل الأمور البختية لها أسباب متقدمة ، إما طبيعية ، وإما قسرية ، وإما اختيارية ؛ وعلى ما علمت . وهذا المعنى لا يتقدمه سبب ١٠ من هذه . وليس يصح من هذه الأقسام إلا حصوله هناك بالطبع . فإن كانت الطبيعة حصيلة فيه ثم لا تهربه عنه ، فكفى بذلك بيانا لصدور الأمر عن الطبيعة ، وكونه سكونا طبيعيا .

وأما جواب من ظن أن سكونها فى الوسط على نحو سكون التراب وسط قنينة مدارة فقريب من هذا . فإن مصير الأرض إلى الوسط لو كان يقسره لكان حكم المدرة ١٥ فى أن يكون أصغرها أسرع اندفاعا ، وأبعدها عن المحيط أبطأ حركة ، هو الحكم المذكور . وأيضا فإن القنينة ما بالها توسط التراب ، دون الهواء والماء الذى فيها ؟ فإن جعل السبب فى ذلك الثقل بقى السؤال فى الثقل ، وبقي أن يطلب السبب فى أن كان

(١) ط : بسبب // ط : يمكنهم إلى // م ، ب : يسيروا (٢) ط : تفسير // م - ميل // م : إلى هنالك (٣) ط : بكلية (٤) ط : كان ترجحن (٥) م : ولو كان (٨) د : إذا (٩) م : لها ، ط : البحث (١٢) د : حصلت // د : - فيه ، « ط » : فيها ، وفى « د » و « سا » : بها (١٥) م ، سا : مداراة // م : فقربت // م : قسرا (١٦) ب : وهو (١٧) م : بوسط (١٨) سا : فعل // سا : المقل // م ، سا : المستقبل

الثقل يتوسط دون الخفيف ، إلا أن يقال إن الثقل في القنينة ينحدر من الجهة الفوقانية بالطبع وبالدفع . فإذا توسط دفع أيضا من الهواء المدار ، ولم يمكن أن يخرق ذلك الهواء . فإن الهواء ، وبالجملة كل دقيق متخلخل ، يعرض له عند شدة الحركة من المقاومة ألا ينخرق بل ربما حرق . فإذا اكتنف التراب ، من فوق ومن تحت ، هذان السببان تحيرو وقف .

فإن كان السبب في الأرض هذا ، وهو أن بعض الجهات له أن يفارقه بالطبع ، وبعضها ليس يمكنه أن يخرقه ، فتكون الجهات المتشابهة تختلف عليه ، في أن جهة يهرب عنها ، جهة مثلها يشنأها بالطبع ، لكن يمنع لمقاوم ؛ وهذا خلاف ما ادعوه .

وإن كان السبب ليس يعاون هرب ودفع من جهة دون جهة بل ليس الا الدفع .
 ١٠ فإذا كان يكون لولا الدفع ؟ أكان يميل إلى ناحية من نواحي الفلك بعينها ميلا مطلقا ، حتى كان يختلف استحقاق جهات متشابهة لليل إليها ، وهذا محال ، أو غير مطلق ، بل متخصصة بالقرب على ما قلناه في جزئيات العناصر ، فتكون ، بالجملة ، طبيعة الأرض خفيفة ، فلا يكون الثقل مسبب اندفاعها بالقسر إلى الوسط ، ويكون حكم النار حكمها ؛ فيلزم أن تكون النار إذا وسطت التف عليها الدفع ، فلم يقدر على الصعود وما بال هذا الدفع لا يحس به وقوته هذه القوة ؟ وما بال هذا الدفع لا يجعل حركة السحب والرياح إلى جهة بعينها ، ولا يجعل انتقالنا إلى المغرب أسهل علينا من انتقالنا إلى المشرق ؟

(١) م : ينحدر (٢) م : يحرق ، وفي « سا » : يخوف (٣) م ، سا : رقيق ، وفي « سا » : - دقيق (٤) ب : يحرق ، وفي « سا » : يتحرق // م ، د : يلى // ط : خرق (٥) سا : تحيز // ط : وتوقف (٧) م ، ط : يختلف (١٠) د : فاذاك // في د تكررت : « فاذاك كان يكون لولا الدفع // سا : ليل (وفي) د : للثل (١٢) م : جرمت // ط : فيكون // م : حقيقية (١٣) م : بسبب (١٤) م : « التالى » بدلا من « النار » م // ط : يكون // سا : توسطت // د : التفث عليها بالدفع (١٥) م : - به (١٦) ط : جهة المغرب

والذى ظن أن ظاهر الأرض مسطح ، لما رآه من استقامة الفصل المشترك بين جرم الشمس وبين الأفق ، فلم يشعر بأن القسي الصغار من الدوائر الكبار ترى في الحس خطوطاً مستقيمة ؛ بل لم يشعر أن الدائرة المرسمة على كرة إذا قطعت كرة ونظر إليها لا من قطب تلك الدائرة بل من نقطة ، على تلك الدائرة ، رؤى القطع مستقيماً ، ومع ذلك فإن علم الرصد يكذبه ، وموجب الطبيعة البسيطة يخالفه .

وكما قد اختلفت الآراء في سبب قيام الأرض وغير ذلك ؛ فكذلك قد اختلفت في حركات النار والهواء إلى فوق ، وما يرسب في الماء ، وما لا يرسب . والمدخل إلى تعرفها معاودة جل من أحكام الثقيل والخفيف .

(١) ط : الفضل (٢) ط : يرى (٤) د : عن تلك // م : درى وفي بح : رأى

(٦) د : كما // ط : اختلف (٨) د : الثقل

الفصل التاسع

فصل في

ذكر اختلاف الناس في الخفيف والثقيل

واستنباط الرأي الحق من بين آرائهم

- ٥ [الخفيف المطلق هو الذي في طباعه أن يتحرك إلى غاية البعد عن المركز ؛ ويقتضى طبعه أن يقف طافيا بحركته فوق الأجرام كلها . وأعنى بالطافى ليس كل وضع فوق جسم ؛ بل وضعاً يصلح أن يكون منتهى حركة .
- والثقيل المطلق ما يقابله حق المقابلة ، فتكون حركته أسرع حركة ، لميله إلى غاية البعد عن المحيط خارقاً كل جسم غيره ؛ فيقتضى أن يقف راسباً تحت الأجسام كلها .
- ١٠ لكن للخفيف وأيضاً للثقيل ، أحوال ثلاثة :
- حال حصوله في المكان الذي يؤمه .
- وحال حركته مرسله إليه .
- وحال وقوفه ممنوعاً عنه .

- ففي حال حصوله في المكان الذي يؤمه هو غير مائل عنه بالفعل ، ولا بالقوة .
- ١٥ ولو كان مائلاً عنه بالفعل لما كان ذلك المكان مستقره الطبيعي . ولو كان مائلاً عنه بالقوة لكان يجوز أن يخرج إلى الفعل ، فيميل بالفعل عن موضعه الطبيعي ، اللهم إلا أن يجعل القوة بالقياس إلى القاسر ، وإلى ميل قسرى ، لا إلى ميل طبيعي . فالجسم

(١) م ، ط : الفصل التاسع (٤) د - بين (٥) ب : مقتضى (٨) ط : فيكون // سا :
حركته (الثانية) (١٠) م : للتخفيف (١٢) ط : مرسل

الثقيل أو الخفيف لا يوجد فيه ، حال حصوله في الحيز الطبيعي ميل ألبته .

وأما في الحالين الآخرين ففيه ميل لا محالة . لكنه ، في حال صدور الحركة عن ميله ، هو ذو ميل مرسل عامل . وفي الحالة الأخرى هو ذو ميل ممنوع عن أن يكون عاملا .

فإن عني بالخفيف مثلا ماله ميل عامل إلى فوق بالفعل ، فلا الممنوع خفيف

- بالفعل ، ولا الحاصل في مكانه خفيف بالفعل . وإن عني بالخفيف ماله ميل بالفعل إلى فوق ، كيف كان ، فالتحرك والممنوع كلاهما خفيفان بالفعل ، والحاصل في مكانه الطبيعي غير خفيف بالفعل . وإن عني بالخفيف ماله في ذاته الصورة الطبيعية التي هي مبدأ الحركة ، والميل إلى فوق حال ما يجب الحركة إلى فوق ، والسكون هناك حال ما يجب ذلك ، فهذا الجسم في جميع الأحوال خفيف بالقوة .

- ١٠ ولأن اسم الخفيف يطلق على هذه المعاني الثلاثة اطلاق الاسم المتشابهة فخرى أن يقع منه غلط لا يقع إذا فصل هذا التفصيل . وكذلك الحال في جنبة الثقيل .

ويجب أن يكون استعمالنا للقطعة الخفيف والثقيل ، إذا أردنا أن نميز به صور الأجرام الطبيعية ، استعمالا يدل به على المعنى الثالث الجامع ، وأن يكون استعمالنا دينك إذا دللنا على أفعالهما إنما هو على المعنى الثاني .

- ١٥ فنقول . إنه قد عرض للناس اختلاف في حركة الهواء في الماء إلى فوق ، وحركة النار في الهواء إلى فوق ، وحركة الخشبة وما أشبهها في الهواء إلى أسفل ، على حكم ماله وزن وثقل ، وطفوها في الماء ، بحيث لو أرسبت فيه قسرا لطفت على حكم ماله خفة وعدم وزن .

(١) م : إليه (٣،٢) د : من ميله // سا : ذو مثل // « هو » الأولى سقطت من « سا »

(٤) م ، ط : عالم (٦) ط : للممنوع (٧) م : - الطبيعي (٨) م ، ط : يجب

(١٠) م ، ط : اسم المتشابه (١١) م : - لا يقع // م : فضل . وفي « سا » قصر (١١) ط ، د : وكذا الحال (١٢) م ، ط : للنظر // م : - أن (١٣) د : - به (١٣،١٢) في بخ : وإذا أردنا أن نميز به صورة الأجرام الطبيعية ويجب أن يكون استعمالنا للفظ الخفيف والثقيل استعمالا // م ، د : - به

فقائل إن الأجسام كلها ثقال ، ومتفاوتة في ذلك ، وتتحرك هابطة ، لكن الأثقل يسبق ، ويضغط الأخف إلى فوق ، حتى يتمد له الاستقرار في السفلى أو الاستمرار إليه .

وقائل إن المقل هو التخلخل ، والتخلخل علته خللاء .

وقائل إن المقل هو اللين ، كما أن المهبط هو الصلابة .

وقائل إن كثرة الملاء واندماج الأجزاء هو المرسب ، وإن قلة ذلك ، كان خللاء أو غير خللاء ، هو علة ضد ذلك .

وقائل إن الأشكال المتحددة الصنوبرية هي مبدأ الحركة إلى فوق لسهولة الخرق والتمكن من النفوذ ، وإن التكعيب ، وبالجملة انفراج الزوايا واستعراض السطوح هو السبب في الثقل .

ومنهم من جعل النفوذ إلى فوق الكرة كأن كل نقطة من الكرة زاوية حادة .
وقائل إن خللاء يجذب إليه الأجسام جذبا يسبق بالأثقل ، فيترتب فيه الأجسام على الترتيب الذي يتوسط فيه الأثقل ، ثم يحيط به الأخف فالأخف .

وأما ما يرسب في الهواء ، ولا يرسب في الماء ، فمنهم من جعل السبب في طفو الشيء في الماء ، وفي الهواء أيضا ، إقلال الناريات المصعدة إياه من تحته ، كما أن الرطوبة الغالية تقل من الأجسام مالا تقله الهادئة .

قالوا : على أن كل رطوبة فإن فيها غليانا ما غير محسوس . وما يتصعد من الغليان هو مقل الثقيل ، حتى أن المنبسط من الرصاصة تتناوله مقلات أكثر عددا مما يتناوله المجتمع منها فتقله .

(١) ب : فقابل // د : فقال م ، ط ، د : يتحرك

(٣) م : التخلخل (التخلخل الثانية) // م : يج : « علل » بدلا من علته ، وفي سا : يتخلل وفي د : تحلل الهواء (٥) د : الترسيب سا : نجلاء (٧) م : لسهولة له الخرق ، وفي د : هو الخرق (٨) م : المتكمن // ب : دون التكعيب // ط : التكعيب (٩) م : الثقيل (١٠) د : للكرة : (١١) م ، ط : فترتب // م ط : به (١٤) سا : إحلال الناريات // م ، د : المتصعدة // ط إياها // د : من تحت // م ، ب ، د : العالية (١٥) د : الهاوية (١٦) م ، سا : غليا تاما // م ، سا ، ط : مما // سا : صقل ، وفي د : يقبل (١٧) م : المنبسط // ط الرصاصة ط ، د : يتناول (١٧، ١٨) م : يتناول المجتمع // د : ففها // ط : فيقله

قالوا : ولهذا ما استقلت السحب في علو الهواء وهي مائية ثقيلة .

فنقول: إن هذه المذاهب كلها تجعل حركة هذه الأجسام حركة عرضية قسرية، فإن كان ذلك لدفع أو جذب كان الأكبر لا محالة أبطأ حركة، وليس كذلك، وكان المندفع كلما بعد عن المبدأ وهنت سرعته ، وليس كذلك . وكان إذا اتخذنا جسماً مجوفاً من ذهب يزن وزن مصمت من أبنوس كان رسوبهما في الماء سواء ، ولم يكن المجوف الذهبي يطفو إن كان الطفو قسرياً ، لضغط الماء لما هو أخف منه ، واجتماعه / تحته فيزعجه .

وأما الخلاء فلا شيء منه أولى بالتحلية ، عن الثقل منه بالحبس له ، فلا حيز فيه هو أولى بوقوف الأرض عنده من حيز آخر . ولو كان كثرة الخلاء وحدها علة للحركة إلى فوق لكانت الأرض الكبيرة أخف من الصغيرة ، أو لو كان كثرة الماء وحدها علة للحركة إلى أسفل لكانت النار الكبيرة أبطأ حركة إلى فوق . ولو كان السبب في ذلك — أما في الخفة فيكون الخلاء أكثر من الماء ، وأما في الثقل فيكون الماء أكثر من الخلاء — لكانت العلة ، في أيهما كان إنما هي سبب للنقصان موجب الكثرة ، لاسبب لفضاء يوجب الكثرة . فإن عدم السبب سبب لعدم المسبب ، لاسبب لمضاده .

فإذا زاد الخلاء مثلاً على الماء لم يخل إما أن يكون الزيادة مانعة عن أمر لو أكثر الماء لفعله ، أو موجباً بنفسه أمراً . فإن كل زيادة توجب المنع ، فيكون أقصى ما توجبه أن تمنع الحركة إلى أسفل ، أو تبطئ بها . وإن كان هناك زيادة الخلاء موجبة للحركة

(٣) سا : الأكثر (٤) د : فكان . // ب اتحد بدلا من « اتخذنا »

(٧) م ، سا د : بالتحلية // م ، سا ، ب ، د بالجنس . (٧) م : ولا خير ، وفي د :

فلا خير (٨) // د : هو أخرى بوقوف // م . جزء آخر . (٩) سا : الكثيرة

(٩) م : ولو كان // سا : وحده (١٠) سا : الكثيرة // د : أبطأ اللاء

حركة // ب ، سا : فيكون الخلاء // ب : أما الخلاء في الخفة (١١) د : النقل // م ، د ، سا ، ب

فيكون (١٢) ط : لكن العلة سا : كانت // م : هو سبب ، وفي د « السبب لنقصان (١٣) // م :

م : لمطار يوجب (١٤) م : لمضارة (١٥) ط : يكون الزيارة م : عن أمر (١٦) ط : فإن

كان زيادته يوجب (١٧) م ، ط : يوجه أن يوجه أن يمنع // د : تبطئ ما

إلى فوق كالعلة المحركة ، والملاء موجبا للحركة إلى أسفل كالعلة المحركة ، ويكون الحكم للغالب منهما ، عرض مالا يحتاج أن نكرره من استحالة كون الخلاء علة محركة ، فقد أبطلنا ذلك في بعض الفصول المشتمل عليها الفن الأول ، فليقرأ من هناك .

ومع هذا ، فكان يجب أن تكون النار الصغيرة والكبيرة متساويتى الخفة ، وكذلك الأرض الصغيرة والكبيرة ، إذ النسبة بين الخلاء والملاء في كليهما محفوظة . ٥

ولو كان اللين سبب الخفة لكان الحديد أثقل من الآنك ، بل من الزئبق .
وأما الأشكال المتحددة فإنها تصلح أن تكون مواتية للحركة ، وإما سبباً للحركة فكيف يكون ؟ وما هذا إلا أن يقول قائل إن السيف إنما قطع لأنه كان حاداً . وليس تكفى حدة السيف في أن يقطع ، بل يحتاج إلى محرك غير الحدة يقطع بالحدة .
ثم صارت الأشكال المتحددة ، لأنها متحددة تختص حرفها بجهة دون جهة ؟ ولم لم يكن عدم الحدة علة لعدم هذا النفاذ . بل صار علة للثقل ، والنفاذ إلى جهة أخرى ، كما قالوا في المدرة على أن نفاذ المدرة ليس بدون هذا النفاذ . فان اعتبروا سكون كلية الأرض فليعتبروا من جهة النار سكون كليتها ، ولا يلتفتوا إلى حركة النيران الجزئية أو يلتفتوا أيضاً إلى الأرضين الجزئية . ولم لم يرسب الخشبة في الهواء والناريات المقلدة فيها أكثر ؟ ولم إذا جعلت الخشبة في قعر الماء ، حيث تماس الأرض ولا يتوهم هناك الغليان المذكور تندفع طافية ؟ ١٠

فواضح من جميع ما أوأنا إليه أن هذه الوجوه كلها فاسدة . وأما نحن فنقول إن

-
- (١) د : إن كان // م : هناك // م ، سا : موجبا (٢، ١) م : الحكم الغالب ، فد : للحكم الغالب
(٤) د متساويتين (٦) سا ، ب : « لما كان الحديد أخف » ولى د : « لكان الحديد أخف
(٧) ط : يصلح : ط : موالية (٨) ب ، ط : يقطع (٩، ٨) ب : حاد وسقطت « كان » .
(٩) ط : فيقطع بالحدة (١٠) سا ، ط : خرقتها (١٢، ١١) سقط في سا : « بل صار علة للثقل »
والنفاذ إلى جهة أخرى ، كما قالوا في الدرة ، على أن نفاذ الدرة ليس بدون هذا النفاذ » .
(١٢) م : « بدور » بدلا من « بدون » سا : وإن اعتبروا (١٣) م : و يلتفتوا
(١٤) // لم ط ساد : يرسب تحت . (١٤) ط : الماهية // لم : أكبر
(١٦) ط : يندفع (١٧) م : أدنا // م : سقوط : « كلها فاسدة وأما نحن فنقول إن كل
حركة // سا : في هذه // ط : تأمم لكان وفي (د ، م) : نيم .

- كل حركة من هذه فإنما هي (تم) للكان الطبيعي ، وإن كل جسم إذا حصل في حيزه الطبيعي لم يبق له ميل . فإذا كان الخشب يرسب في الهواء لم يكن للهوائية التي فيه ميل ألبنة ، فلم يكن فيه مقاومة للأرضية والمائية التي فيه ألبنة ، فغلبت تلك بميلها الموجود بالتعل . فإذا حصل في الماء انبعث الميل الطبيعي للهواء إلى فوق ، فإن قوى وقاوم دفع الخشب إلى فوق ، وإن عجز أذعن للهبوط قسراً . والذهب المجوف ، الذي حكينا أمره ، إنما يقله الهواء الذي فيه إباء أن يستقر في الحيز الغريب ، وهو في الأبنوس أقل والعمام والرصاص المنبسطة إنما لا يرسب ، لأنه يحتاج أن ينحى من تحته هواء — أو ماء كثيراً ، وذلك لا يطيعه . فإن اجتمع كان ما تحته مما يدفعه أقل ، وثقله المنحى ، على ذلك القدر من الماء ، أكثر من ثقل ما يخص مثل ذلك الماء من المنبسط الرقيق .
- ١٠ فعلى هذا ينبغي أن يتصور حكم الثقيل والخفيف .

إذ قد تكلمنا في الأركان التي تتفق منها كلية العالم ، فخرى بنا أن نعلم أن العالم الجسماني هو واحد أو ههنا عوالم كثيرة .

(١) ط : فإن كان (٢) ط : + يرسب (٣) م : « فعلت تلك // سا ، ب ، : بمثلها .
(٤) ط : فإن كان حصل (٤) م : حصلت (٥) د : فإن عجز وأذعن (٦) سا : يسبقه بدلا من
« يستقر » // م : الجزء // ط : القريب (٧) م : إنما // م : ينحى .
(٨) م : مما // م : نقله (٩) م : ثقل (١١) د : وإذا قد // م : يتفق (١٢) ط : هو // م ،
سا ، ب : وههنا .

الفصل العاشر

فصل في

أن جملة الأجسام الملاقى بمضها لبعض ، إلى آخر

ما يتناهى إليه ، جملة واحدة

قد قال كثير من الناس إن العوالم كثيرة .

٥

فمنهم من أساق إليه من أصول فاسدة ، لكنها مناسبة للعلم الطبيعي .

ومنهم من أساق إليه من أصول فاسدة ، وغير مناسبة للعلم الطبيعي ؛ بل هي

فلسفية ومنطقية .

فأما الطبقة الأولى فقد كان عندهم أن هاهنا خلاء بغير نهاية وأجزاء لا تتجزأ ،

وأنها تتحرك في للخلاء حركات غير مضبوطة ، وأنها يعرض لها اجتماعات في أحياز غير

١٠

محصة ، وأن اجتماعاتها تؤدي إلى ائتلاف هيئات عوالم غير معدودة . وهذا المذهب

ينفسخ عن قريب إذا تذكرت ما عرفته من الأصول المقررة في تناهي الجهات وتحددها

وتحدد أصناف الحركات ، فيمتنع بذلك انسياق هذه الأصول بهم إلى إثبات عوالم

غير متناهية .

وأما المذهب الآخر فقد قال متقلدوه: إن قولنا عالم غير قولنا هذا العالم في المعنى ، كما أن قولنا

١٥

(١) م ، ط : الفصل العاشر (٢) م : الجملة ، وهي ساقط في ط (٣) ب ، ط : .- اللاحقة // م بعضا

٤//ب : مالا يتناهى (٥) ط : فقد (٩) ط . وأما // م : غير نهاية // م : — وأجزاء لا تتجزأ ،

في ب : « أجرام » وفي سا : « أجراما » ، وفي ط زيادة : ... لا تتجزأ بغير نهاية .

(١٠) ط : يتحرك ط : « اجتماعها » وفي « م » وأنها اجتماعاتها (١٢) د . + إذا

قريب إذا تذكرت // م : المفردة

إنسان غير قولنا هذا الإنسان في المعنى، ولا حقيقة لهذه الغيرية إلا أن يكون قولنا هذا الإنسان. يفارق قولنا الإنسان فإن قولنا هذا الإنسان يدل على شخص واحد بالعدد بعينه، وإذا كانت المخالفة بهذا كان قولنا الإنسان يدل على معنى جائز في طباعه أن يحمل على كثيرين. وكذلك قولنا العالم يدل على معنى جائز في طباعه أن يُحمل على كثيرين. لكن العالم ليس من المعاني التي، إذا فرضت الكثرة موجودة فيه فرض أمر جائز، كان ذلك على سبيل التكون واحداً بعد آخر، لأنه عندهم غير مكون من شيء، بل هو عندهم أبدى؛ فيكون، إذا فرض كثرة فرض أبديات، وإذا كانت أبديات استحال ألا تكون موجودة في وقت من الأوقات، وإذا استحال لا كونه، وجب كونه.

- قالوا: وهذا حكم عام في جميع الأمور الأبدية؛ إذ الممكن وجوده أزليا في الأبديات واجب. فإن الممكن لا يعرض من فرضه محال وإذا فرض موجودا فرض ما هو غير موجود، لكنه ممكن، وجب أن يكون والأزلى ممتنع العدم، فإذا فرض موجوداً فرض ما هو غير موجود لكنه ممكن وجب أن يكون موجودا دائماً. فإذا فرض ذلك الفرض وجب أن يكون مع ذلك الفرض ليس ذلك الفرض، وهذا خلف. ولزم الخلف من فرض وجوده ممكنا غير موجود فاذاً الممكن في الأزليات واجب.
- ١٠ فإذا كان كذلك لم يجوز أن نقول إن العالم واحد، إذ كان يصح فرض الكثرة فيه صحة وجوب.
- ١٥

فهذه طريقة المذهب الثاني، وهي فاسدة المأخذ، وإنما أتى هؤلاء من قبل ظنهم

(١) د: لتلك الغيرية (٢) ط: وبان، وفي سا: بان د: «حدا» بدلا من «يدل» م: بعينه. (٤) سا: سقط منها: «وكذلك قولنا العالم» إلى قوله «كثيرين» (٥) ط: الكثيرة. (٦) د: آخر جائز (٧) م: وإذا كانت أبديات، // م، ط: يكون (٨) ط: فإذا (٩) سا: إن الممكن (٩) سقط من م: «في الأبديات» إلى قوله «أن يكون» (١٣) م سا: — وجب أن يكون مع ذلك الفرض (١٤) د: فإن الممكن، وفي سا: فإذا الممكنات (١٥) م، ط: يقول // م، د: واحداً (١٧) م: وهذه، في سا، د: فهذا.

أن كل ما يخالف الجزئي الشخصي فهو كلي بمعنى واحد، وهو الذي يصح وجود الكثرة فيه .

ونحن فقد بينا في صناعة أخرى أن الجزئي هو الشيء الذي يمتنع تعقل ماهيته محمولة على كثيرين، والذي باإزائه هو الذي لا يمتنع ذلك فيه. وليس إذا لم يمتنع ذلك من جهة صورته ،
أو من جهة ما تعقل صورته ، لم يمتنع من جهة أخرى . فإن الصورة الصالحة ، من حيث
هي صورة ، تعقل لأن يكون منها عدد في مواد والمعقول والمفهوم الصالح، من حيث هو معقول
ومفهوم، أن يطابق به عدة، تتوقف أمور في حصول ما هو مجوز ومستصلح حصولا بالفعل،
إلى أن يكون من المواد ما يفصل عن حمل صورة واحدة، ولو أنه امتنع وجود الحديد
إلا القدر المطبوع منه سيف واحد لم يغن كون صورة السيف صالحة لأن تتشكل بها
مواد حديدية كثيرة في أن توجد سيوف فوق ذلك السيف الواحد . أو هب أن المعقول
من الإنسان ممكن أن يطابق عدة ناس فإن اتفق أن يكون للإنسان إلا الواحد لم يغن
ذلك في أن تجعل هذه المطابقة للكثرة موجودة بالفعل .

وكذلك الحكم في أمر العالم . فمن المسلم أن صورته صورة لا يمتنع كونها هي هي ،
أو كونها معقولة من أن تكون محمولة على كثرة . لكنه يمتنع وجود مادة مستعدة لذلك .
أليس يعرض مع ذلك أن يمتنع وجود عوالم كثيرة ؟ نعم لو كان كل ما هو ممكن باعتبار
نفسه لا يعرض له أن يصير ممتنعاً بسبب ، وواجبا بسبب ، لكان الأمر كذلك . لكن
الأمور التي هي بطبيعتها ممكنة فإنها ممنوعة بأسباب منها ما يفرض عليها الامتناع ، ومنها
ما يفرض عليها الوجوب .

(٣) ط : مهيته أن يكون (٥) م : ولم يمتنع (٦) م : أن يكون // م : عدداً .
// م : أو مواداً // م : أو المعقول (٧) م ، ط ، د : يتوقف // ط : الأمور

(٨) سا ، ط : بفضل // ط : من حمل (٩) م د : يغن // م ، ط : يتشكل
(١٠) م ، سا : جديدة ، وفي ب : جديد // م ، ط : يوجد // ط : وهب (١١) ط د :
يطابق به // م ، د : يمن (١٢) م : لكثرة موجود ، وفي سا : لكثرة موجودة (١٣) د :
فكذلك (١٤) م ، ط : يكون (١٧) سا : بطباعها // سا : « مميزة » بدلا من ممنوعة // م :
يفترض ، وفي ط د : يفرض (١٨) م : يفترض وفي د ، ط : يمرض

فهذا ما نقوله في بيان أن هذه الحجج غير موجبة لما يذهبون إليه . وبقى أن نوضح أن الدعوى بنفسها كاذبة ؛ بل باطلة . ولنتقدم لذلك حال التعرف للأحياز الطبيعية للأجسام البسيطة ؛ إذ المركبات تتلوها في الأحكام ، ولنبين أنها كيف يجب أن تكون .

ف نقول إن الأحياز الطبيعية للأجسام البسيطة هي الأحياز التي تقتضيها هذه

- الأجسام حالة ما هي غير ممنوعة في أوضاعها وأشكالها عن الأمر الطبيعي . فاختلف
- الوضع والشكل قد يحوج الجرم إلى أن لا يطابق مكانه الطبيعي ، فإذا كان كذلك فالأحياز الطبيعية للأجسام البسيطة مرتبة بعضها على بعض ، بحسب المجاورات الطبيعية ، ترتيب مستدير على مستدير مثلا ، إن كان يصح فيه توهم أبعاد مبطورة .

فإذا كانت الأحياز الطبيعية على هذه الجملة ، وكانت الأحياز الغير الطبيعية

- للأجسام هي أحياز أجسام أخرى بالطبع إذ لا حيز إلا وله جسم طبيعي ، كما لا جسم طبيعي إلا وله حيز طبيعي .

وهذا كله مفروغ منه فيما سلف فلا يوجد حيز غير الواقع في هذا النمط

من الترتيب .

فإن كانت العوالم كثيرة وجب أن تكون الأحياز الطبيعية لكل طبقة أجسام

- عوالم ، بحيث يجتمع منها ، لو فرضت أبعاد مبطورة ، ما يحكي الكرة ، فتكون جماعة
- أحياز كرية تحمل جماعة أجسام عالم .

فأما أن يكون بينها خلاء ، أو ملاء ويحشو ما بينها جسم ، واختلاء ممتنع ضرورة

(١) ب : - هذه // د : الحجة // م : ينتهون (٢) م : التعريف (٣) م ، م ، د : يتلوها // م : يكون

(٥) م : - فاختلاف (٦) م : الحرام (٦،٥) سقط في د : « فإن اختلاف الوضع والشكل » إلى قوله

« فإذا كان كذلك فالأحياز » (٦) م : - لا ، وفي سا : ألا // م : فإذا كان كذلك (٨) م : إذ

(١٠) م : - إذ . (١١) م : - إلا وله حيز طبيعي (١٢) ط ، د : مفروغ عنه

(١٤) سا : وهب // م : أن لا . (١٥) م : منه // ط : فيكون (١٦) م : يحمل

(١٧) م ، سا : منها خلاء . وفي د : منها // ط : وحشو ، وفي م : يحشو ما بينها

والجسم الحاشي يكون ، لا محالة ، إما في حيز طبيعي له أو غير طبيعي له ؛ بل طبيعي لغيره ، فيكون ، على كل حال ، حيزه مستديرا . لكن ذلك محال ؛ إذ فرضنا المجموع غير منحصر في كرة واحدة ، فلا أحياز كرية كثيرة لطبقات أجسام مختلفة . فالحيز الجامع واحد . والمنحيز المجموع واحد .

هـ هذا هو البيان المطلق . وأما إن جعل كل عالم في الصورة كالعالم الآخر حتى تكون في كل عالم أرض ونار وماء وهواء وسماء كما في الآخر ، عرض أن تكون الأجسام المتفقة في النوع تأوى إلى أما كن طبيعية متباينة في الوضع أو بالطبع وهذا قد دللنا على بطلانه ؛ بل يجب ، كما أوضحناه في الأصول الكلية أن يكون مكان الأرضين مكانا يصح أن يجتمع فيه جملة كرة واحدة وتملأه ، وكذلك مكان كل واحد من العناصر . وإذا كان كذلك كان الأرض مثلا إما مقسورة الحصول في الجميع ، فلاموضع طبيعي لها ، وهذا محال ؛ أو يكون أيها طبيعيا في الجميع ، وقد بينا إحالة ذلك ؛ أو يكون موضعها الطبيعي واحدا بعينه ، وقد قسرت إلى مواضع أخرى . فكيف خلصت عن الأجسام المحددة للجهات التي لا تنخرق ؟ وما الذي ميز بينها ؟ ويعرض أن تكون طبيعة واحدة تتحرك بالطبع إلى جهات متضادة .

١٥ وليس يعذر في هذا الباب كون الأرض كثيرة بالعدد ، حتى تكون لها أمكنة كثيرة بالعدد كلها تشترك في أنها وسط ، كما أن الأرضين كلها تشترك في أنها أرض ؛ وذلك أنه ، وإن كان لاشك في أن الأجسام الكثيرة بالعدد لها أمكنة كثيرة العدد ،

(١) : - يكون م : طبيعي لغيره (٢) سا : حيز مستديرا // م ، سا : إذا (٣) م : لأحياز // سا : لطيفات (٤، ٣) د : والحيز الجامع // م : فالحيز المجموع (٦) د : كما في الأرض (٧، ٦) ط . يكون للأجسام (٧) م ، سا د : - إلى ، وفي ط : مأوى وأماكن // م ، ب : أو باقي الطبع (٨) م : - بل (٩) م : « بشيء واحد » بدلا من « كرة واحدة // م ، « يتحرك » سا ، ب ويملؤه ، وفي د : ويملاؤه (١١) م : ولا موضوع // ، ط ب ، سا ، د : له // د : أن يكون أيها // ط : أمكنتها طبيعيا (١٣) م : حصات // م : ينخرق وفي د : تنحرف // م : وأما الذي (١٤، ١٣) م ، ط : أن يكون طبيعة . (١٥) ط : يقدر ، وفي سا : بعده // سا ، د : الأرضين (١٦) م ، ط : يشترك // سا : أن (٩) م : شك

ولكن يجب أن تكون كثيرة على نحو يجعل الكل — لو اجتمع كان الممكن شيئاً واحداً ومكاناً واحداً بالعدد، على ما بيناه. وهذا الاجتماع مما لا مانع له عنه في طبعه. فإن الطبيعة الواحدة المتشابهة لا تقتضى الافتراق والتباين. ثم كيف صارت السموات مختلفة الأمكنة وما الذى فرق بين أحيازها، حتى صارت الأوساط كثيرة بالعدد؟

٥. وقد تقرر من الأصول المتقدمة أن السموات علة لتحديد سائر الأمكنة، فلا تكون سائر الأمكنة علة لتحديد حيزها. فينبغى أن يكون لاختلاف أحيازها، بحيث لا تتجاوز ولا تحصل في حيز مشترك علة غير طبيعتها، وغير الأجسام الأخرى التى إنما تتحدد أمكنتها بها. ولا محاله أن ذلك قسر إن لم يكن أمراً طبيعياً، لا طبيعياً من جهة الجرم، ولا طبيعياً من جهة الأجسام الأخرى. وقد منعنا أن ينقصر هذا الجرم في الانتقال المكاني.

٦٠.

فإذا استحال أن يكون للمحددات المتشابهة الطباع أحياز متباينة بالطبع لا بالقسر، الذى هو أيضاً مستحيل، استحال أوساط كثيرة.

فبهذه الأشياء، نوضح أن لا عوامل كثيرة متجانسة طبائع البسيطة. وإذا قد بينا أن الجسم السماوى هو الجسم المحدد للحركات المستقيمة مشتملاً عليها، ولا جسم خارجاً عنه مبايناً له في عالم آخر، فبقى أنه، إن كان جسم آخر فيكون محيطاً به، فلا يخلو إما أن يكون ساكناً لا مبدأ حركة فيه، وقد قلنا إن كل جسم فيه مبدأ حركة، وإما أن يكون فيه مبدأ حركة مستقيمة، وقد قلنا إن الأجسام التى فيها مبادئ حركة مستقيمة إنما وجودها في ضمن الجسم المحدد للجهات

١٥

-
- (١) م، سا : كرة على (٢) ط : أو مكاناً // سا، د : ممانع
(٣) ط : يقتضى // د : الاقتران // م : الأماكن (٤) م : « واما الذى، وفى ط :
والشئ، وفى سا، د : وإيش (٥) م : يقرر // سا : علته // م : يحدد، وفى سا :
تحدد (٦) م : يحدد // سا : فيجب // م : يتجاوز. (٧) ولا يحصل // سا : — تحصل.
(٩) ط : الآخر // ط : الجوم + السماوى // م : يتفر (١١) د : المشابهة // م : أحيازاً
// م : إلا (١٢) سا، د : استحالت. (١٣) سا : فهذه ... توضح، وفى ط : يوضح
// ب، ط : إذا (١٦) م : ولا يخلو. (١٧) ط : فقد (١٨) م : الجسم

لا خارجا عنه ؛ وإما أن يكون فيه مبدأ حركة مستديرة ، فتكون مشاركة لها في الجنس .

ونحن لا نمنع كثرة الأجسام المستديرة الحركة ، فيجب أن يكون آخر هذا العالم بالقياس منا لأجسام كثيرة مستديرة الحركة ، والعالم متناه ، لا بد له من جسم هو آخر الأجسام وتكون جملة ما بين الوسط وذلك الجسم هو كلية العالم ، ولا جسم خارجاً عنه ، ولا هيولى غير متجسمة ؛ إذ لا وجود للهيولى ، بلا صورة . فلا تكون إذن مادة خارجة

تصور بصورة العالمية، فتكون صورة العالمية مخصوصة بمادة واحدة يلتئم منها أمور محصورة في عالم واحد ، فلا يكون في الإمكان وجود عالم كثيرة، فيكون العالم واحداً (تاما) محصلا فيه أصناف الطبائع البسيطة الممكن وجودها ، والحركات المستديرة والمستقيمة

مستمرة إلى الأكوان والتراكيب منها ، ويكون صانعها مليا بأن يبلغ بالواحد (كمال) (الواجب) في الحكمة على مقتضى الإمكان في طباع الوجود من غير حاجة إلى تكثير له .

آخر كتاب السماء والعالم . والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد النبي وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وسلم تسليماً دائماً كثيراً .

(١) م : - مبدأ // م ، ط : فيكون // سا : لما في الجنس .

(٢) نج : لأجسام كثيرة مستديرة ، وفي ب ، ط : لأجسام مستديرة (٤، ٣) وفي م سقط بعد ذلك من قوله « والعالم متناه » إلى قوله « ولا جسم خارجاً عنه » (٥) د : هيولا // م : ولا مصورة وفي سا : ولا صورة (٦) ط : يصور // م : - فتكون صورة العالمية ، وفي ط : فتكون الصورة .. // د : جملة أمور (٧) م : ولا يكون (٩) م : منه // م : - ويكون صانعها // م فإن يبلغ بالواحد (١٠) م : طبائع (١١، ١٢) // م : - والله أعلم وينتهي الفن الثاني في م : بالعبارة الآتية وهي : « آخر كتاب السماء والعالم والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد النبي وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً . أما نهايته في « ط » فهي : « ثم الفن الثاني من الطبيعيات ويتلوه الفن الثالث في الكون والفساد بمون الله ، والحمد لله وحده وصلواته على نبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله أجمعين وسلم تسليماً كثيراً . أما في « د » فنهايتها هي : ثم الفن الثاني من جملة الطبيعيات والحمد لله رب العالمين .

الفن الثالث من الطبيعيات

في الكون والفساد

وهو مقالة واحدة في خمسة عشر فصلاً

الفصل الأول

فصل في

٥

اختلاف آراء الأقدمين في الكون والاستحالة وعناصرها

- قد فرغنا من تحديد الأمور العامة للطبيعيات وتعريفها ، وفرغنا من تحديد الأجسام التي هي أجزاء أولية للعالم ، ومنها ينتظم هذا الكل الذي هو واحد ، والأجزاء الأولية للعالم بسائط لا محالة ؛ وبيننا أن بعض هذه البسائط لا يقبل الكون والفساد ، وهي البسائط التي في جواهرها مبادئ حركات مستديرة . ولم يتضح لنا من حال الأجسام المستقيمة الحركة أنها قابلة للكون والفساد أو غير قابلة . نعم قد أوضحنا أن الأجسام التي في طباعها أن تقبل
- ١٠

(٣، ١) م : الفن الثالث من الطبيعيات في الكون والفساد مقالة واحدة خمسة عشر فصلاً وفي ط : + بسم الله الرحمن الرحيم . الفن الثالث في الكون والفساد وهو مقالة واحدة خمسة عشر فصلاً . أما في د : فالعنوان هو : الفن الثالث في الكون والفساد وهو مقالة واحدة .

(٤) م ، ط : الفصل الأول (٦) ط : الأقدمين المتقدمين (٧) ط : تعديد (١١) ط : طبائعها // م ، ط : يقبل .

الكون والفساد في طباعها أن تتحرك على الاستقامة . فيجب من ذلك لمن حسن النظر أن بعض الأجسام المتحركة على الاستقامة يقبل الكون والفساد فيكون بعض الأجسام البسيطة قابلة للكون والفساد .

وأما أن ذلك كيف يجب فلأن الأجسام المستقيمة الحركة لامبدأ للحركة المستديرة فيها ، وهي في أمكنتها الطبيعية ساكنة في الأين والوضع ، جميعا ، واختصاص الجزء المفروض بجهة مفروضة يكون إما لأمر عارض قاسر وإما للطبع . والأمر العارض القاسر إما أن يكون قد اتفق ابتداء الحدوث هناك ، أو بالقرب منه ، فاختص به ، أو اتفق أن نقله ناقل إليه ، ولا يجوز أن يكون ذلك الأمر بالطبع ، فقد عرفته . ولا يجوز أن يكون ذلك كله لنقل ناقل ، حتى لو لم يكن ناقل لما كان لجزء منه اختصاص ألبته . ١٠

وبالجملة فإن القسرى يعرض على طبيعي . فلو كانت الأرض أو غيرها من الاسطوانات أزلية لم يجب أن يكون مصروقة الأجزاء كلها دائماً تحت نقل قاسر ، ووجب أن يكون لها وضع يقتضيه أمر غير القاسر الناقل ؛ بل يجوز أن يكون ذلك في بعض الأجزاء ، فبقى أن يكون العمدة فيه أن الجزء إن كان ، في ابتداء تكونه ، حاصلًا في حيز يخصص حدوثه فيه عن بعض العلل لوجود ما يكون عنه به فلما كان أول حدوثه في ذلك الحيز ، أو في حيز يؤديه التحريك الطبيعي منه إلى ذلك الموضع من موضع كليته ، صار ذلك الموضع مختصاً به على ما علمته سالفا . ١٥

(٢،١) م ، د : أحسن الظن // ط : المتحرك // م ، ط : فيكون . (٤) م : فكيف ، وفي سا : أما ذلك كيف . (٥) م : وجميعها (٦) سا : أو اختصاص // م : الأمر // سا : - للطبع (٧) م : القاسي // ط : القاسر العارض (٨) ط : فيختص // م : أو نقله ، وفي سا : أن نقل // سا : - أن يكون (١٠) م ، سا : إليه (١١) ط : فلو كان (١٢) ب : الاستقصات ، وفي د : الاستقصات // د : معرفة الجزء ، وفي سا : مصروفة الأجزاء ، وفي ب : صرفة // م : بحيث // د : نقل (١٣) م : الناقل القاسر (١٤) م ، د : العدة // م : - إن (١٥) م : مخصص ، وفي ط : بتخصيص // د : فيه // ب : عنه فيه (١٧) ط : كلية // م ، سا : - ذلك // ب : الوضع من

وأما المركبة فلاشك أنها من حيث هي مركبة فقد تكونت بعد مالم تكن ، فيجب أن يكون في طباعها ، لا محالة ، أن تفسد ؛ إذ قد بينا لك أن كل كائن جسماني فاسد .
فقد اتضح من هذا أن الكون والفساد موجود . وقد كان اتضح لك قبل ذلك الفرق بين الكون وبين الاستحالة ، وبين النمو والذبول في ماهياتها . وإنما بقي لك الآن تعرف وجود كل واحد منها .

فمن الناس من منع وجود جميع ذلك ؛ بل منع وجود الحركة .

أما من أبطل الحركة المكانية والوضعية فلا كثير فائدة لنا في الاشتغال بمناقضته ، وإن كانت العادة قد جرت بها . فإن لنا ، بمناقضيه آراء قيلت في أمور ليس الحكم فيها يبين ، شغلا شاغلا عن تكلف ما بيان وجوده يغني عن إباته . وأما هذه الباقية فإن الشغل في إبانة وجودها مما ينبغي أن يعتد به .

فقد منع قوم الكون ، وزعموا أن البسائط ، مثل الأرض والنار والهواء والماء ، فإن جواهرها لا تفسد ، بل لا شيء منها يوجد صرفا في طبيعته ، بل هو مركب من الطبيع التي ينسب إليها ومن طبائع أخرى . لكنه إنما يسمى بالغالب . فلا أرض صرفا ولا نار صرفا ، ولا ماء صرفا ، ولا هواء صرفا ؛ بل كل واحد منها مختلط من الجميع ، ويعرض له في وقت ملاقة غيره إياه مما الغالب فيه غير الغالب فيه ، أن يبرز ويظهر فيه ما هو مغلوب للملاقة الذي من جنس المغلوب فيه غالب ، وظهوره بأن يتحرك إلى مقاومة ماغلبه وعلاه ، فيستعلي عليه . وإذا تحرك إلى ذلك عرض للنظام الذي كان يحصل باجتماع الغوالب والمغلوبات أن يحيل ويستحيل .

(١) د : أنها مركبة // م ، ط : بكين (٢) م ، ط : يفسد // م : وإذا (٣) د : فقد كان
(٤) ط : مهيأتها (٥) د : يعرف (٦) د : لمناقضة (٨) س ، ب : آراء ضلت (٨) م : - الحكم
(١١) م : والمواد (١٢) م ، ط : يفسد (١٣) د : من طبائع // م : ولأرض (١٤) ط : ناراً // م :
- ولا هواء صرفا (١٥) د : يتميز ملاقة (١٦) ط : لملاقات (١٧) م : ما عليه // د : - وعلاه .
// د : فإذا تحرك ، وفي « ط » : يتحرك // ب : النظام

والحس إنما يشاهد من جملة ذلك غالب الأجزاء التي تبرز وتظهر فيحسب أن جميعه استحال إلى الغالب ، بأن صارت مثلاً ، الخشبة أو غيرها ناراً . ولا يشاهد الأجزاء التي تتفرق من الجوهر الآخر كال دخان مثلاً ، نعم إنما يشاهد بقية بقيت من الأول بحالها ، أو يشاهد ما يتبقى من الأول — وقد تفرق وتشتت ، أو بطلت تلك الصورة التي كانت له — بقاء الرماد .

وأما جوهر الماء فلن يصير ناراً ألبنة ، ولا جوهر النار يصير ماءً ألبنة ، بل يتفرق ، ويغيب عن الحس فيرى ما يظهر ويبرز للحس ، فيظن أنه بجملته استحال .

فهؤلاء الطبقة يرون أن النار لا تكون من شيء بل الكائن منها يبرز ويستعلى للحس ليس على أنه حدث ، بل على أنه ظهر ، ويرون أنه لا استحالة ألبنة ، وإن الماء ليس بسخن بالحقيقة من النار ، بل تخالطه أجزاء نارية فإذا لقيتها إليه في أول ما يظنها يستحيل لقاء أجزاء محرقة وأجزاء مبردة لقاء لا يميز الحس بين أفرادها ، فيتخيل هناك أمراً بين الحر الشديد والبرد الشديد ، وهو الفتور . فان كثرت الأجزاء النارية بلغ الأمر إلى أن يحرق .

قالوا : وليست الشعرة الواحدة تسود بعينها وتبيض ، بل مرة تجرى فيها ، ومن غذائها ، أجزاء يغلب عليها في ظاهرها سواد يخالطها ويعلوها فيبيضها . وإن الدكنة ليست لونا متوسطا بين السواد والبياض ، بل مختلطا فيهما ، بل تكون أجزاء تسود

(١) د : هذين جملة // د : ويظهر // م : فيجب (٢) ط : الجميع // ط ، د : صار

(٣) ب ، ط : ولا نشاهد . (٤) ب : يخاله ويشاهد ط ، د بحاله // م : ينبغي

(٦) سا : الجوهر المائي (٧) د : قبرا وفي د : وراء // م : للحس ط : ما يبرز ويظهر

(٨) م : يرون // م : عن شيء // م : ويستعلى ، وفي ط : يستعجل

(٩) م : حدوث ، وفي « د » حيث // ط : على // وترون . (١٠) ط : يخالطه .

(١١) د : لمسها اليد // م : إليه // د : ما يظنها من النار // سا : لقي // م : محرقة // د :

وآخر رده (١٢) ط : بين أجزائها // ب : فيستحيل هناك (١٣) د : وإن // د : « كثرت »

مكررة (١٣) // ، ط : بحرق (١٤) ط : أو قالوا ليست ، وفي د : وقالوا وليست // م : بحرق //

سا : « وقت » بدلا من « وفي » (١٥) هكذا في م ، د : وفي ط : غذائها // سا : سواراً //

م : خالطها // م : فيبقيها // م : الذكية ، وفي « د » : النكتة (١٦) م : منها // م : سوء .

وأجزاء بيضا فيختلطان ويبرزان ، فلا يميز الحس بينهما ، وإذا لم يميز الحس تخيل المجتمع لونا واحداً .

ومن هؤلاء من يرى أن الجزء الحار مثلاً ليس فيه حامل ومحمول ، حتى يكون هناك جوهر وحرارة محمولة فيه ؛ بل يجعل الحرارة جزءاً بنفسها .

- ومنهم من يرى أن هناك حاملاً ومحمولاً ، لكنه ليس من شأن الحامل أن يفارقه المحمول ألبتة .

ويشبه أن يكون بإزاء هؤلاء قوم يرون ما يسمى كونا ، ولا يرون للاستحالة وجوداً ألبتة ، حتى يمنعوا أن يكون الماء يسخن ، وهو ماء ، ألبتة ؛ بل إذا سخن فقد استحال ذاته ، وأنه مادام ماء ، ويرى أنه سخن ، فهو مختلط .

- ١٠ وقد ألجأ بعض المطالبات واحداً من المتفلسفة ، على مذهب نصارى بغداد ، إلى أن قال بذلك .

وهنا قوم يرون الاستحالة ، ولا يرون كونا ألبتة ، وأكثر هؤلاء هم الذين يقولون بعنصر واحد ، إما نار . وإما ماء ، وإما هواء ، وإما شيء متوسط بين هواء ونار وماء .

- ١٥ فإن رأوا أن العنصر نار مثلاً كونوا عنه الأشياء بالتكاثف فقط ؛ حتى أنه إذا تكثف حداً من التكاثف صار هواء . فإن تعداه إلى حد آخر صار ماء . وإن تعداه إلى آخر حدود التكاثف صار أرضاً ، ولا يجوزون . مع ذلك ، أن تكون جوهرية

(١) م : بيض يختلطان ويبرزان // ط : يتخيل (٣) م ، ط : ولا يحمل (٤) سا : يحمل //

ط : جزءاً وجوهاً ، وفي د ، سا : جزءاً نفسها وجوهاً بنفسها (٥) ط : يرون وجود .

(٧) سا ، د : لاستحالة وفي م : الاستحالة (٩) م : — ذاته // د ، سا : سخين .

(١١) م : ذلك (١٣) م : وإما هواء وإما ماء // ب : شيئاً متوسطاً (١٤) م : ونار وهواء .

(١٥) م : + وأما // د : — فإن ، و«ب» : وإن // م : كونه (١٦) م : جدا // د : هواء فقط (١٧، ١٦) م : — حد آخر صار ماء ، وإن تعداه إلى (١٧) م ، ط : يكون

النارية الذاتية تبطل ؛ بل عندهم أن الأرض نار محفوظة في جوهرها مسلوب عنها عارض التخلخل المفرط .

وإن رأوا أن العنصر أرض أقاموا التخلخل بدل التكاثف ، وعملوا بالعكس .
وإن رأوه شيئاً آخر عملوا فيه الضدين من التكاثف والتخلخل ، فجعلوه بحيث ، إذا
تكاثف ، عنصراً أكثف منه ، وإذا تخلخل صار عنصراً ألطف منه وأخف ،
من غير بطلان جوهريته .

وهنا أيضاً قوم ينكرون وجود الكون ويثبتون الاستحالة ، مع فرضهم
عناصر فوق واحد . فمنهم من يفرض العنصر الأرض والنار ؛ ومنهم من يفرضه الأرض
والماء ؛ ومنهم من يفرضه الأرض والهواء والنار ، ويلغى الماء ، فإن الماء عنده ليس
إلا هواء قد تكاثف .

ومنهم من يقول بالأربع ومع ذلك فيقول بالاستحالة : ولا يرى العناصر تقبل
كوناً ألبنة .

لكن القائلين بهذا القول قد ينقضون قول أنفسهم ؛ إذ يبدو لهم أن يجعلوا القوة
المسماة عندهم محبة وألفة قوة من شأنها أن تتسلط مرة على العناصر الأربعة فتوحيدها
جسماً متشابه الجوهر يسمونه الكرة . ثم إذا عاد سلطان القوة المضادة لها ، وهي التي
يسمونها تارة عداوة وتارة غلبة ، وتارة بغضة ، فرقا طبائع أربع ، فتكون العناصر
الأربعة إذا حصلت في سلطان المحبة قد فسدت صورها التي بها هذه الأربع ،
وقد منع من ذلك .

-
- (١) م : النار // م : بان محفوظة (٤) م : وإن رأوا // م : الضد (٥) سا ، د : ألطف وأخف منه
(٦) م : - أيضاً (٨) سا ، ب ، د : واحدة : // م : منهم (الأولى) // يفرض العنصر الأرض .
(٩) ط : فالذي يفرض الأرض والهواء والنار // د : ويلقى // م : ضده د (١٠) م : وقد
(١١) م : بالأربعة // م ، د : يقول // د : ويرى // ط : يقبل (١٣) م : القائلون // م :
إذ يبدو // د : يبدو أنهم (١٤) م ، ط : يتسلط // سا ، ب : فتوحيدها (١٥) م : وإذا .
(١٦) ط : يسموها ، وفي ، سا : نسميه ، وفي ب : يسميه وفي د : يسمونه .
(١٧) م : فقد // م : الأربعه

وبالجملة فإن طبيعة قوة قبول الانسلاخ وهذا اللبس موجودة في العناصر، وموقوفة، في الخروح إلى العقل، على غلبة من محبة موجودة، أو غلبة مفرقة. وهذا شأن القابل للكون والفساد.

- وأكثر من قال بالعناصر الكثيرة يلزمه أن ينكر الاستحالة في الكيفيات الفاعلة والمنفعلة، لأن منهم من لا يرى لها وجوداً، ومنهم من يراها نفس العناصر
- أولازمة للعناصر لتفارقها، فكيف تستحيل فيها، وهو لا يرى أن شيئاً من العناصر يستحيل؟

وهنا قوم يريدون أن يميزوا بين الكون والاستحالة بوجه لا يتميز؛ وذلك لأنهم يضعون مبادئ الأجسام كلها أجراماً، غير متجزئة، أو سطوحاً.

- فأما جاعلوها أجراماً غير متجزئة فيقولون إنها غير متخالفة إلا بالشكل، وإن جوهرها جوهر واحد بالطبع، وإنها لا تنقسم، لأنها لا تقبل القسمة الإضافية؛ بل لا تقبل قسمة الانفصال لصلابتها التي هي عدم تخلل الخلاء عندهم؛ إذ الانفصال بين الملاء والملاء إنما هو عندهم بالخلاء.

- قالوا، وإن هذه إنما تصدر عنها أفعال مختلفة لأجل أشكال مختلفة. لكن ليس من شأن شيء منها أن ينسلخ عن شكله. ولا يتحاشون أن يجعلوها مختلفة بالصغر والكبر.
- ثم منهم من يرى الأشكال متناهية، ومنهم من يراها غير متناهية، ويقتنون في أن الأجزاء غير متناهية، وأنها تتحرك حركات كيف اتفق.

(١) د: طبعه (٢) د: غلبة معرفة (٣، ٢) م: القابل في الكون والفساد (هـ) ب: لا // د: ليس العناصر (٦) م، ط: يفارقها // م، ط: يستحيل // م: وهو لا أن، وفي ط: فهو لا يرى.

(٨) ط: يتميزوا (٩) م: أجزاء ما ب: وأما // غ: أجزاء // د: غير متجزز // سا: فيقول // ط: بالأشكال // د: فإن // ب: الإنقسام الإضافي // م، ط: يقبل

(١٢) ط: الانفصال (١٤) م، ط: يصدر // ط: اشكالها (١٥) ط: فلا // ط: بالصغير والكبير (١٦) د: لا يراها متناهية (١٧) د: - وأنها // م، ط، د: يتحرك // ط: اتفقت

فمنهم من يرى حركاتها حادثة عن حركات قبلها بلانهاية ، كل حركة عن صدمة عن حركة عن صدمة ، وأنها ربما ارتبكت واجتمعت فتحابست عن الحركة .

ومنهم من يرى لبعض أشكالها خفة ، ولبعضها ثقلا . وكلهم لا يرون لطبائع هذه الأجرام كونا ولا فساداً . ولكنهم يرون أن للمركبات منها كونا وفساداً ، وأن كونها عنها وفسادها إليها ، وأن الكون هو باجتماعها ، وأن فسادها باقتراقها ، وأن استحالاتها باختلاف الوضع والترتيب لتلك الأجزاء في المجتمع منها .

أما الترتيب فمثاله أن هذه الأجزاء لو كانت حروفاً مثلاً ، فوقع منها ترتيب في الجهات على مثال هجاء مليك ، ثم حال التركيب ، فصار على هجاء كلم .. فحينئذ لم يكن عندهم قد فسد ؛ إذ لم يتفرق . ولكن يكون عندهم قد استحال .

وأما الوضع فأن يكون مثلاً كلاهما مليكا ، لكن أحدهما قد كتب فيه الحروف على الترتيب المكتوب وجاهت رؤوس الحروف تلك الجهات لها ، والآخر إن حرفت أوضاع الحروف عن ذلك ، فكتب مثلاً هكذا مبيك ، حتى صارت اللام جهتها إلى غير جهة الكاف .

وهؤلاء قد تمدوا هذا إلى أن جعلوا الاستحالة أمراً بالقياس إلى الإدراك والإحساس ، لا على أنها موجودة في طبائع الأمور . وقالوا ، وذلك كاللون المحسوس في طوق الحمامة . فإنه إذا كان على وضع ما من الناظر إليه رؤى أسود ، وإذا صار له منه وضع آخر رؤى أرجوانياً ، وأنه ليس في نفسه سواداً ولا أرجوانية ؛ بل ذلك له بالقياس إلى الناظر .

(٢) ارتبكت // د : فاضجت // م : - فتحابست (٣) م ، سا : طبائع ولا فساداً

(٤) د : إليه (٥) ط : باقتراق (٨) سا ، د : - مثال // م : كلهم بدلاً من كلم (٩) سا : إن لم .

(١٠) م : مليك // م : - قد (١١) ط : رؤوس // ط : يتلك // م : الجهاد // م : سا ، ط ، ب

(١٢) م : على ذلك // د : - مبيك : د (١٣) ط : - إلى (١٥) د : قالوا (١٦) م : موضع

وفى ط ، د : الفيرا (١٧) م : وقع

فهؤلاء أصحاب الأجرام غير المتجزئة . وأما أصحاب السطوح فإنهم يرون الكون
باجتماعها والاستحالة لشيء قريب مما يقوله هؤلاء . ويحملون مبادئ السطوح
سطوحاً مثلثة .

- فهؤلاء بالجملة يرون أنهم أثبتوا كونا ، ولم يثبتوه . وذلك لأن الطبائع إذا كانت
محفوظة في البسائط متشكلة في الجواهر ، فلا يفعل الاجتماع والافتراق أمرا غير زيادة
حجم وعظم ومخالفة هيئة شكل . وذلك إما تغير في الكم أو في الكيف .
- وأما النمو فلم يبلغنا فيه مذهب نذكره خارج عن مذهب الفرقة المنكرة للحركة
أصلا ، وإن كان النمو من حقة أن تنبعث فيه شكوك .
- ويكفي في عرضنا هذا من تعدد هذه المذاهب ما عددناه . فبالحرى أن نشغل
الآن بتعدد القياسات الفاسدة التي دعت هؤلاء إلى اعتقاد هذه المذاهب ، ثم نقبل
على فسخها وفسخ نتائجها من أنفسها .

(٢) ط ، د : بشيء // د : مبادئ مكررة (٤) ط . يرون بالجملة // سا : كريا (٥) د : فالافتراق .
// ط : أمر (٦) ط ، د : + أما في الجوهر // د : - أو في الكم (٧) سا ، د : قال واما
// سا : - فيه // : مذهب فيه // د : - نذكره ، وفي م : نذكره // سا : خارجا (٨،٧) ط : للحركة
أيضا . (٨) م ، ط : ينبعث (٩) م ، د : عرضنا // ط : وبالحرى // م ، د : يشتغل (١٠) م : يقبل
(١١) ط : عن أنفسها ، وفي د : على أنفسها .

الفصل الثاني

فصل في

اقتصاص حجة كل فريق

٥ أما أصحاب الكون فقد دعاهم إلى ذلك أنه من المستحيل أن يتكون شيء من لا شيء ، إذ اللا شيء لا يكون موضوعا للشيء . فإذا كان كذلك فالتكون ، إن كان موجودا ، فتكونه عن شيء . فقد كان الشيء قبل تكونه . والتكون هو ما لم يكن قبل تكونه . فالتكون غير متكون ، هذا خلف .

١٠ وإذا قد صح بالعيان أنه قد يكون شيء عن شيء فليس التكون ما يذهب إليه ؛ بل هو البروز عن الكون . وحسب بعضهم أن الاستعداد لأكون بلا نهاية يحوج إلى أن يكون العنصر المستعد له بغير نهاية ، فجعل الأجزاء المتشابهة عنده لما يكون عنه أجزاء بلا نهاية ، كيلا يضطر تنهى المادة إلى انقطاع الكون .

وأما أصحاب الأسطقس الواحد فإن جميعهم اشتركوا ، أول شيء ، في حجة واحدة . فقالوا : لما رأينا الأشياء الطبيعية يتغير بعضها إلى بعض ، وكل متغير فإن له سببا ثابتا في التغير هو الذي يتغير من حال إلى حال ، فيجب من ذلك أن يكون لجميع الأجسام الطبيعية شيء مشترك محفوظ ، وهو عنصرها .

(١) م ، ط : الفصل الثاني (٤) ط : وأما (٤ ، ٥) ط : الشيء من اللا شيء // د : عن .
(٦) م : فتكونه // ط : فالتكون (٨) م : فإذا // سا : ذهبت // ط : بما يذهب // د : ذهب
(٩) ط : وجد بعضهم // سا : لا يكون بلا (١٠) د : فيجعل // م : لما يكون عنها ،
وفي «سا» لما تكون منه (١٢) ب : الاستقصى بخ : في شيء (١٣) سا : يتبين // سا : لها
(١٤) ط : شيئا // سا : ثانيا

ثم مال كل واحد منهم إلى اختيار عنصر واحد . فيشبه أن يكون أقدمهم من رأى أن العنصر الواحد هو الماء . ودعاه إلى ذلك ظنه أن العنصر ينبغي أن يكون مطاوعا للتشكل والتخليق حتى يكون منه ما هو عنصر له . فكل ما هو أشد مطاوعة لذلك فهو أولى بالعنصرية . ثم وجد هذه المطاوعة كأنها فصل خاص بالرطوبة ؛ والناس كلهم يعتقدون أن الرطوبة ماء ، أو شيء الغالب عليه الماء ، فجعل الماء البسيط هو العنصر . ٥

قال ولهذا ما نرى الحيوانات لا تتخلق إلا من الرطب ، وهو المني .

والذين رأوا أن الاسطقس هو الأرض ، وهم قليل وغريب ، فقد دعاهم إلى ذلك وجود جلّ الكائنات الطبيعية مستقرة على الأرض متحركة إلى مكان الأرض بالطبع ، فحكموا من ذلك أن الأرضية هي جوهر الكائنات كلها .

- وأما الذين رأوا أن الأسطقس نار فقد دعاهم إلى ذلك ما ظنوه من كبر جوهره ، ١٠ كأنهم استحقروا حجم الأرض والماء والهواء في جنبه ؛ إذ السموات المشعة والكواكب المضيئة كلها عندهم نارية . وحكموا بأن الجرم الأكبر مقدارا هو الأولى أن يكون عنصرا ، وخصوصا ولا جسم أصرف في طبيعته من النار ، وأن الحرارة هي المدرة في الكائنات كلها ، وما الهواء إلا نار مقترنة ببرد البخار ، وما البخار إلا ماء متحلل . وما الماء إلا نار مكثفة ، وهواء مكثفا ماء . ولو كان للبرد عنصر يتصور به ، ١٥ ولم يكن البرد أمرا عرضيا يعرض لذلك العنصر الواحد ، لكان في العناصر بارد، برده في وزن شدة حر النار .

(١) سا : مشبهه (٢) سا : - الواحد (٣) م : التحايق // د : وكل (٤) ط : فعل (٥) م : - فجعل الماء (٦) م : يرى // ط : ما يرى أن الحيوانات يتخلق // م : يتخلق // د : من الطب (٧) ب : الاستقصى // سا : القليل (٨) ب ، د : وجودم // ط : ومتحركة (٩) ب : الاستقصى // م : - من كبر جوهره (١٠) م : السمويات (١٢) د : - كلها // د : أن الحرم (١٣) ط : فإن ، وقد سقطت من « سا » (١٤) م : وماء الهواء // م : وأما النجار . (١٥) ط : متخلخل // م : وأما الماء // د : ناره // م : تكثفا // ب : مكثفا وماء وهواء ط : مكثفا (١٦) م ، سا ، ط : لم يكن (١٧) وزان : مكثفا في جميع النسخ ولعلها وزن .

وأما القائلون بالهواء فقد دعاهم إلى ذلك مثل ما دعا القائلين بالماء إلى القول به .
وقالوا إن معنى الرطوبة أثبت في الهواء منه في الماء ، وذلك لأن مطاوعته للمعنى المذكور
أشد . وما الماء إلا هواء متكاثف ، والمتكاثف أقرب إلى اليبس منه إلى التخلخل .
وأما الأرض فهي ما عرض له التكاثف الشديد ، كما نراه من انعقاد كثير من المياه
السائلة حجارة . وأما النار فليست إلا هواء اشتدت به الحرارة ، فرام سموا .

وأما القائلون بالبخر فدعاهم إلى ذلك أنهم رأوا جرما نسبته إلى العناصر نسبة
الوسط ، وأنه تفضى به درجة من التخلخل إلى الهوائية ، ودرجة أخرى إلى النارية ،
ثم تفضى به درجة من التكاثف إلى للمائية ، ودرجة أخرى إلى الأرضية ، وأنه ليست
هذه الخاصية لغيره ، وأن العنصر هو الذى تتساوى نسبته إلى غيره لا غير .

وهؤلاء كلهم فقد اشتركوا في حجة واحدة هي التي ذكرناها .

وأما القائلون بالأرض والنار فدعاهم إلى ذلك أن سائر الأسطوانات تستحيل آخر
الأمر إلى هذين الطرفين ، والطرفان لا يستحيلان إلى أسطوانات أخرى خارجة عنهما .
فهما اللذان ينحل سائرهما إليهما ، ولا ينحلان إلى شيء آخر . فهما الأسطوانات . ولذلك
هما البالغان في طبيعة الخفة والثقل ، والآخرا يقران عنهما . وإذا لا حركة أسطونية
إلا اثنتان فالأغلب في الاثنتين هو الأسطوقس . والنار والأرض بالقياس إلى غيرهما
أغلبان ، ولا شيء أغلب معهما . ثم الهواء نار خامدة مفترقة مثقلة بالماء المتبخر ، والماء
أرض متحللة سيالة خالطتها نارية ، فهي أخف من الأرض .

(١) ط : دعى (٣) م : وأما الماء // سا : اللبس (٤) سا : فهو // م : يراه .

(٦) د : - بالبخر (٧) م : يقضى // د : فإنه (٨) سا : به : فإنه (٩) م ، سا : الخاصة //
م ، ط ، د : يتساوى (١٠) ط : قد // د : وهي (١١) د : الأرض والماء // سا : - والنار // ب :
الاستقصات // م ، ط ، سا يستحيل (١٢) ب : استقصات (١٣) م : سواهما ، وفي ط ، ب : إليهما
سائرهما // ب : يتحللان // ب : الاستقصان (١٤) ب : فهما // سا : « باتفاق » بدلا من
« البالغان » // ط : بالغان . (١٤) ب : استقصية (١٥) د : ثنتان // سا : بالأغلب // ب : الاستقص

(١٦) م : غالبان د : خامد (١٧) سا ، ط ، د : خالطها

وأما القائلون بالأرض والماء فقد دعاهم إلى ذلك تساوى حاجة المركبات إلى الرطب واليابس . فكما أنها تحتاج إلى الرطب لتقبل التخليق ، كذلك تحتاج إلى اليابس ليحفظ التخليق . فإن الرطب كما أنه سهل القبول لذلك فهو أيضاً سهل الخلع له . واليابس كما أنه صعب القبول لذلك فهو أيضاً صعب الخلع له . وإذا تخمر اليابس بالرطب استفاد المركب من الرطب حسن مطاوعته للتخليق ، ومن اليابس شدة استحقاقه له .
 ٥ . واليابس والرطب في المشاهدة هما الأرض والماء لا غير . وأما الهواء فبخارى مائى . وأما النار فهو أسخنه الحركة .

وأما القائل بالأربعة مع الغلبة والمحبة فقد دعاه إلى القول بالأربعة أنه لا شيء منها أولى بأن يجعل عنصراً لصاحبه من صاحبه أن يجعل عنصراً له ، وأن القوى الأولى هي الأربع ، والمزاوجات الصحيحة منها هي أربع ، على ما سنحقق القول فيه بعد .
 ١٠ .

ثم هذه الأربعة لا تتكون منها الكائنات ولا تفسد إليها إلا باجتماع من أجزائها إلى المركب ، واقتراق من المركب إليها . ولن يجتمع منها المركب إلا باقتراق يقع فيها ؛ وأنه لا سبيل إلى الظن بأن شيئاً ينفع بنفسه إلى اجتماع أو اقتراق ؛ إذ كل منفعل فإنما يخرج من القوة إلى الفعل فاعل ؛ وأنه من المستحيل أن تكون طبيعة واحدة بسيطة يصدر عنها في موضوعات بأعيانها جمع وتفرق معا ، وإن كانت الطبيعة المركبة لا يبعد أن يصدر ذلك عنها . ولكن إنما يصدر حينئذ كل واحد منهما عن جزء من المركب خاص ، فيكون الجمع يصدر عنه عن جزء ، والتفريق عن آخر . ويكون المصدران الأوليان لذينك الفعلين هما الجزءان اللذان يجب أن يكونا مختلفين في الطبع ،
 ١٥ .

(٢) م : يحتاج // م : لتقبله (٣) د : + كذلك يحتاج إلى الرطب بتقبل التخليق
 // د : - ليحفظ التخليق + فكما أنه يحتاج إلى الرطب ليحفظ التخليق (٤) د : - كما أنه
 // ط : الترك له (٥) د : جنس مطاوعة // ط : مطاوعة . (٦) د : فاليابس .
 (٧) سا : وأما الماء // د : فبخار // ط : سخنه (٨) م : القائلون // د : مع المحبة والغلبة //
 سا : - فقد // م : دعاهم // م : الأربعة له (٩) م : - من صاحبه (١٠) د : والمناوحت الصحيحة // د
 على أربع // د : يتحقق (١١) ط : يتكون ، وفي د : تكون // م ، ط : يفسد / د : بالإجماع
 (١٣) د : بأن الشيء د : مقول بنفسه // م : أو كل (١٤) ط ، د : ! فاعل + فيه (١٤) م ،
 ط : يكون (١٥) م : - في // د : موضوعاتها // سا : تفرق // د : تفرق منها .
 (١٦) م : - ذلك // م : منها

لأن فعليهما مختلفان في الطباع ، ويكون كل واحد إما قوة مجردة ، وإما قوة في جسم .
وأخرى ما تسمى به القوة الجماعية هي الألفة والمحبة ، وأولى ما تسمى به القوة المفرقة
المشتتة الموجبة تباعدا بين المتشاكلات هو الغلبة والبغضة والعداوة .

قالوا فيجب ضرورة أن يكون ههنا أسطقسات أربعة تتصرف فيها الغلبة والمحبة ،
وإذ التصرف إنما هو بالجمع والتفريق ، وذلك لا يوجب تغيرا في الجوهر ، فلا سبب لإيقاع
تغير في جوهر العناصر . فلذلك ما لا يرى هذا القائل أن العناصر يستحيل بعضها
إلى بعض البتة ، ولا يراها تقبل كونا وفسادا . وليس يقتصر من فصولها على الكيفيات
الأربع فقط ؛ بل يرى لها في ذواتها الفصول من جميع الكيفيات الأخرى . لكنه
يرأها أربعا لا غير . فهي عنده متناهية العدد والمقدار .

وأما أصحاب السطوح فيشبهه أن يكون داعيهم إلى ذلك هو ما اعتقدوه من أن
تكوّن الأشياء عن العناصر إنما هو بنوع التركيب ، وذلك التركيب إنما هو نتيجة
الفعل والانفعال ، وأن ذلك الفعل والانفعال باللقاء والتماس ؛ وأن التماس الأول للأجسام
إنما هو بالسطوح . فيكون أول فعل وانفعال عند التركيب إنما هو للسطوح . وما كان
أول ذينك فيه فهو العنصر . فالسطوح هي العناصر . ولأن العناصر ينبغي أن تكون
بحيث تتركب منها الكائنات تركيبا لا يؤدي إلى المحال ، والسطوح التي تحيط بها غير
الخطوط المستقيمة يؤدي تأليفها لا محالة إلى فرج تبقى بينها ، فينبغي أن يكون السطوح
الأولى مستقيمة الضلوع . وليس في المستقيم الأضلاع شيء أقدم من المثلث . ويمكن أن

(١) سا ، ب : واحدة (٢) د : وأخرى // ط : يسمى // م ، ب : وأولى مكان ...
// ب : الجماعة هو (٣،٢) د : المعرفة المسبقة // م : من . (٤) د : استقصات أربع //
م ينصرف ، // في ط يتصرف // د : المحبة والبغضة . (٥) ط : تغير (٦) م : فذلك (٧) سا :
تراها // م ، ط : يقبل . (٨) سا : نرى // د : + مع الأربع (٩) ط : وهي
(١١) م : يكون الأشياء // ط : - إنما هو (١٢) د : فإن // د : - ذلك // د : فمن التماس
(١٤، ١٥) د : - قوله « العناصر ولأن » إلى قوله « والسطوح » (١٧) م ، ط : المستقيمة
// د : فيمكن

يؤلف من المثلث سائر الأشكال المستقيمة الخطوط ، كما يمكن أن يحل إليها ، فتكون السطوح العنصرية هي السطوح المثلثة ، ثم يؤلف منها تأليف يكون منه شكل مائي ، وشكل هوائي ، وشكل نارى ، وشكل أرضى .

فأما النارى فهو الذى يحيط به أربع قواعد ومثلثات ، فتكون صنوبرية نفاذة قطاعة مستعدة للحركة .

وأما الهوائى فالذى يحيط به عشرون قاعدة مثلثات ، فكون شديد الانبساط للإحاطة .

وأما المائى فالذى يحيط به ثمانى قواعد مثلثات .

وأما الأرضى فهو مكعب ، والمكعب أضلاعه مربعات تأتلف بالقوة من مثلثات ، وهو لتكميبيه غير نافذ ، ولا ثاقب . فلذلك هو غير مسخن .

فإن جعلوا تأليفه بالفعل أيضاً من مثلثات وجب أن يوجدوا للنار جزءاً من الأرض . وكذلك إن جعلوا هذه السطوح منقسمة ، وجب أن يمكنوا من إيجاد كل عنصر فى العنصر الآخر .

قالوا : وأما السماوى فيحيط به اثنتا عشرة قاعدة مخمسات ، كل مخمس مؤلف من خمسة مثلثات .

ويشبه أن يكون داعيهم إلى ذلك شدة حرصهم على العلوم الرياضية وإيضاح المذاهب فيها لهم ، وانفلاق الطبيعة عليهم ؛ إذ كان نظرهم فى الطبيعيات ، والزمان

(١) م ، ط : يكون (٢) ب : المثلثة // م ، سا : تأليفاً // م : يكون منها (٤) ب ، ط : وأما النارى // د . صورته // م ، ط : فيكون (٦) ط : فهو الذى . (٨) م : الذى (٩) م : الأرض (١٢) د : يتمكنوا // ط : اتخذ (١٤) ب : اثنا عشر ، د : عشر قواعد (١٥) سا : ثلاثة (١٧) د : المذهب // م ، د : إذا كان

ذلك الزمان والفلسفة في الابتداء نظر المبتدى والشاى . والذى لم يتمرن ويتدرب فهو بعد فى الأمانى ، فراموا أن يتأولوا المشكل من الواضح .

وهذه الخمسات الخمسة ستقف عليها فى إحدى الجمل الرياضية فى هذا الكتاب .
ويشبه أن يكون فى تكثير العناصر وتوحيدها مذاهب كثيرة غير ما ذكرناها
لم نحضرنا فى الحال . ٥

وأما أصحاب الأجرام الغير المتجزئة فإن الفيلسوف الذى هذب مبادئ هذه الصنائع فقد أسهب يثنى عليهم ، ويقرظهم ، على تخطيطته إياهم ، ويقدمهم على سائر الطوائف ، وخصوصاً على أصحاب السطوح ، قائلاً إنهم أخذوا مبادئ محسوسة مقرا بها ونسقوا عليها القول نوعاً من النسق ، ثم حافظوا على أصولهم ، ولم يزيغوا عنها فى أكثر الأمر . وذلك لأنهم اعترفوا بوجود الحركة ، ثم صاروا إلى إثبات الخلاء ، لا كالكاذبين أخذوا أخذاً مسلماً أن لا خلاء ، وأوجبوا منه أن لا حركة . وذلك أن هؤلاء ساعدوا أولئك على ما وضعوه مسلماً من أن الحركة والقسمه متعلقة بالخلاء . ثم كان وجود الحركة أظهر وأعرف من عدم الخلاء ؛ لأن هذا لا يشك فيه صحيح الرأى ، وفى ذلك موضع شك كثير . فتشبت هؤلاء إنما هو بجنبته أوضح من جنبه تشبت أولئك . فقد فاقوا أولئك فى هذا الاختيار . ١٥

ومن هناك قالوا : إن مالا خلاء فيه فلا يتكرر ، ولا ينقسم . فكل جزء لا ينقسم ، وفاقوا أصحاب السطوح بأن أصحاب السطوح قد تذبذبوا ، وانبتوا فى الوسط : وذلك

(١) م : - ذلك الزمان // ب ، ط : لم يتدرب ولم يتمرن // سا : هو (٢) م ، د : فرموا // م : يأولوا ، وفى ط : يتأولوا // م : الشكل (٣) م ، ط : المجسمات (٤) م : ذكرناه (٥) م : يحضرنا ، وفى د : لم يحضرنا فى الحال ذكرها . (٦) م ، سا : غير (٧) م ، ب : لقد // ط : حتى يثنى // م تخطيطه ، وفى ط : تخطيطه // سا ، ط : تقدمهم . (٨) د : - على (٩) م : خاضوا (١٠) سا ، ب : - لا (١١) سا : أخذوا حداً // د : فأجبوا . (١٢) م : وصفوه // د : أن // م : التفسير (١٣) ط : أعرف وأظهر (١٤) م : بجنبه // م : - من // م : هؤلاء (١٥) سا : الاختيار (١٦) د : ولا ينكسر // د : وكل : (١٧) م ، د : وقالوا د : فأثبتوا

لأن نسبة الأجرام إلى السطوح هي كنسبة السطوح إلى الخطوط ، وكنسبة الخطوط إلى النقط ، وإنه إن صح تركيب الأجسام من السطوح فلا مانع من تركيب السطوح من الخطوط والخطوط من النقط . فإما أن يبطل تركيب المتصل من الغير المتجزئات ، وإما أن يقال بالتركيب من النقط . فإن بطل التركيب من النقط ، فقد بطل التركيب من سائر مالا يتجزأ ، من النحو الذي تركب عليه . وبقي أن الجسم يتناهي في القسمة إلى أجسام لا تتجزأ ، وإن صح ذلك النحو من التركيب فالنقط هي الأوائل لا السطوح . ولأن تؤلف الأجسام من أجسام لا تتجزأ صلابة ، لا فقدان اتصال ومساحة ، أقرب إلى الصواب من أن تؤلف عما لا اتصال له في جهة التأليف .

وهؤلاء أيضاً فقد بدوا عنده سائر الآخرين في أن كان لهم سبيل إلى التفرقة بين الكون والفساد والاستحالة ، ولم يكن لأولئك المذكورين .
 فاما حجة هؤلاء فقد ذكرناها فيما سلف ، وأومأنا إلى سبب الغلط فيها .

(٢) م : إن (٢) م :- والخطوط من // م : غير (٦٠٥) « من النحو الذي » إلى قوله : إلى أجسام لا تتجزأ . (٧) م ، ط : يؤلف // د : تؤلف من (٨) سا ، د : مما ، (٩) ط : عند // د : التفريق (١٠) د : بين الكون والاستحالة (١١) د : - سبب

الفصل الثالث

فصل في

نقض حجج المخطئين منهم

قد بقي الآن أن نشير إلى سبب الغلط في حجة حجة من الحجج المقتضية .

٥ أما القائلون بالكون والتداخل ، وأن الكون ظهور الكامن ، فالسبب في غلطهم هو ظنهم أنه إذا كان مسلماً أن الشيء لا يكون عن لاشيء فقد صح أن كل شيء يكون عن مشابهه في الطبع ، وأنه إذا كان مسلماً أن لاشيء لا يكون موضوعاً لشيء استحال أن يكون الشيء عن لاشيء .

١٠ أما الأول فلنضعه مسلماً ، فيجوز أن يكون الشيء لم يتكون عن لاشيء ، ولكن تكون عن الشيء ، لكن عن شيء ليس مثله في النوع ولا مشابهه في الطبع ، ويكون مع ذلك لم يتكون عن لاشيء .

وما قوله في اليد والرجل وفي البيت وفي الكرسي ؟ هل هذه الأشياء متكونة عن لاشيء ؟ فإن كانت عن لاشيء فقد بطلت المقدمة . وإن كانت عن شيء ، فهل ذلك الشيء مثل أم ليس بمثل ؟ وليس يمكن أن يقال إن الوجه متكون عن الوجه ، والكرسي عن الكرسي ، تكونا بالحقيقة إلا بالعرض ، وعلى أن الشيء عن الشيء يقال كما يقال إن الكرسي

١٥

(١) م ، ط : الفصل الثالث (٤) ط : فقد // ط : نشير أيضاً // ط : المقتضية (٦) د : هو ظنهم بأنه // د : لا يكون عن شيء (٧) م : مشابهة // م : اللاشيء (٩) م : فليضعه ، وفي د : فلنصف (١٠) م ، ب ، د : يكون // ط : لكن يكون // سا : ليس // د : - مثله // م ، د : مشابهة (١١) د : لم يتكون من الشيء (١٢) م : وما قولهم // د ، سا : وأما قوله ، // م ، سا : - وفي البيت // سا ، ط : وهل (١٣) د : - فإن كانت عن لاشيء (١٤) م : مثل (الثانية) (١٥) د : يكونا .

عن الخشب ، وهو غير شبيه . وكيف يكون الموضوع شبيهاً بالركب منه ومن الصورة ، وقد تكون كما تكون عن شيء قبله بطلت صورته لقبول صورة هذا ، كما يتخذ من الباب كرسى ، فيكون ليس أيضاً عن الشبيه .

وأما المقدمة الأخرى ، وهى أن لاشيء لا يكون موضوعاً للشيء فإنما يصح هذا إذا قيل إنه كان عنه ، وهو موجود فيه . وأما إذا كان الوضع أن الشيء كان من لاشيء ، أى بعد لاشيء لم يصير لاشيء موضوعاً للشيء ، والأولى أن يقال حينئذ لا عن شيء ، حتى لاتقع هذه الشبهة . على أنه ليس تقيض قولنا إن الشيء كان عن الشيء هو أن الشيء كان لا عن شيء ، أو كان لا عن شيء ؛ بل إن الشيء لم يكن عن شيء . وهذا إذا كان الشيء مراداً به أمراً بعينه . وأما إن كان مهملًا فلا تقيض حقيقاً له ، وإن كان بمعنى العموم ، حتى يكون كأنه قال كل شيء يكون عن شيء ، فليس تقيضه أن الشيء لا يكون عن شيء . وذلك لأن معنى هذا أن كل شيء لا يكون عن شيء . وهذه المقدمة ضد الأولى ، لا تقيضها .

وأما الحجة التى يشترك فيها مثبتوا أسطقس واحد ، وهى أن هذه المسألة بالأسطقسات يتغير بعضها إلى بعض ، فلا بد من شيء ثابت ، فإنما أثبتت لهم أن شيئاً مشتركاً ، ولم تثبت أنه جسم طبيعى ذو صورة مقيمة إياه بالفعل ، حتى يطلب بعد ذلك أنه أى الأجسام ، وترجم فيه الظنون ؛ بل يجوز أن يكون ذلك الشيء جوهرًا قابلاً لصورة واحدٍ من العناصر يصير جسماً طبيعياً بتلك الصورة ، وإذا سلخها اكتسب أخرى .

(٢) م : وقد يكون كما يكون // م : بقبول (٣) سا : كرسيا // د : أيضا ليس .
(٤) م : اللاشيء // م : موضوعاً لشيء // ط ، د ، ب : - فإنما يصح (٥) م : عن لا .
(٦) م : لم يصير اللاشيء // م : لا يكون // د : فالأولى // ط : + لا يكون موضوعاً للشيء إذا قيل
(٧) م ، ط : يقع // سا : هلى أنه لا يقتضى (٨) ب : كان لا شيء أو كان // د : لو كان
(٩) سا . ب : أمر // ط : وأما أنه إن // سا ، د : م : حقيقى (١٠) د : نقضه ، وفى سا : يقتضيه //
م : إذ الشيء (١١) م : ذلك أن (١٢) م : يقتضيه (١٣) د : فأما الحجة // ب : استقم // د :
- المسألة (١٤) ب : بالاستقصات // سا ، د : أثبت (١٥) م ، ط : ثبت // م : مقيمة له // سا : بطلت
(١٦) ط : من أى // م : يرحم (١٧) سا ، ط : سلخها اكتسبت

ثم مرجح الماء من بينهم ، لما فيه من قبول الشكل ، يفسد اختياره الماء لما فيه من التخلية عن الشكل . فإن جعل تكاثفه حافظاً للشكل فقد جعل تكاثفه مزيلاً عنه الصفة التي لها صلحت للأسطوقسية ، ومرجح الهواء مخاطب بمثل ذلك . ومرجح الأرض يفسد مقدمته لما في الأرض من امتناع الاجتماع بعد الاقتراق والامتناع عن قبول الشكل ، وأنه ليس كل متكون فإنما الأرضية غالبية عليه .

فهيها متكونات هوائية ومتكونات مائية . وكثير من المتكونات لا يرسب في الماء ، ولو كانت الأرضية غالبية لرسب جميعها . ومع ذلك فليس إذا رسب كل متكون دل على ذلك أكثر من أن الأرضية غالبية فيه ؛ ولم يدل على أن لاخليط للأرض فيه . فإن الغالب غير المنفرد فربما كان امتزاج من عدة ، وواحد منها غالب بالقوة أو بالكمية .

وأما القائلون بترجيح النار فقد اعتمدوا فيه الكبير ، وظنوا أنهم صححوا الكبير بكبر السموات وعظمها . فما يدرينا أن السموات كلها نارية حتى عسى أن يصح ما يقولونه؟ وما الذي يجب اختصاص النار بالعنصرية لحاجة الكائنات إلى الحرارة . كأنها لا تحتاج إلى الرطوبة ، وكأنها لا تحتاج إلى اعتدال من الحرارة بمزاج البرودة؟ وأما في أن النار قد تمخض ناراً من أنها هي العنصر ، فإنه إن كان الماء ناراً مستجيلاً ، أو كانت الأرض ناراً غير محضة ، فيكون من النار ما ليس بمحض . وأما إذا أخذت النار التي هي مجاورة للفلك فالذي يدل على محوضتها يدل أيضاً على محوضة الأرض المجاورة للمركز . ومع هذا كله ، فما المانع من أن يكون كل واحد من هذه أسطقسا ،

(١) د : الشكل بعنه اختيار (٢) م : عن المشكل // د : فان جملة (٣) ب : اننى بها // م : أصلح // ب : للاستقصية . (٤) سا : تفسد // م : من قبول (٥) د : - عليه . (٦) د : + ومتكونات هوائية // ب : فكثير // د : المتكونات الأرضية (٨) م : دل على ذلك // ب : الأرض (٩) سا : المفرد (١١) م : فيها // د : الأكثر (١٢، ١١) سا ، ط : الكثرة بكثرة (١٢) م : فن يدرينا ، وف د : وما يدرينا (١٤) ط : يحتاج (١٥) م : تمخضت // سا ، ب ، د : أنه هو // ط : العنصرية (١٦، ١٧) سا : أحدث النار م : - التي (١٨) م : - من // ب : استقصا وف ط : الاسطفسات

لكن الواقع في جوار الفلك لا يرتفع إليه من البواق ما يشوبه ، وأما التي عند المركز فإن الشعاات الفلكية والتأثيرات السماوية تمزج بعضها ببعض بما يفيض من المياه ، وما يصعد من الأبخرة والأدخنة الدائمة الحدوث ، فلا تبقى صرفه . وهذا لا يستبين من أمره أنه ممنوع محال .

- وَأما القائلون بالبخار لأنه متوسط بين العناصر ونسبته إلى الأطراف البعيدة نسبة واحدة ، وإن كانت مختلفة ، بالتخلخل والتكاثف ، فمن سلم لهم أن الشيء ، إذا كانت نسبته إلى أشياء أخرى هذه النسبة كان أولى أن يكون عنصراً . ولو كان هذا حقاً ، لكان كل واحد من العناصر بهذه الصفة ؛ وذلك لأن الهواء أيضاً إذا يبس كان ناراً ، وإذا يبس أشد كان أرضاً ، وإذا برد كان بخاراً ، وإذا برد أشد كان ماء . ولا فرق إلا أن الانتقال هناك بمتقابلين ، وهما التكاثف والتخلخل ، والانتقال هنا بغير متقابلين . ٥
- إلا أنه ليس بيناً بنفسه أنه يجب أن يكون المتوسط الذي ينتقل إلى الأطراف بمتقابلين هو الأسطقس الأول ، لا غير . ١٠

- على أن البخار ليس شيئاً إلا ماء قد تفرق وانبسط ، كما أنه ليس الغبار والدخان إلا أرضاً تفرق وانبسط . وليس هو عنصراً خامساً ، أو بعنصر خامس ؛ بل هو فئات بعض العناصر وبثائته ، مع بقاء نوعه . وإنه لو أنسلخ نوعه في ذلك الطريق لانسَلَخَ إلى الهوائية لا غير ، ولم ينسَلَخَ إلى البخارية . ١٥

ولا يلتفت إلى ما يقوله من يظن أن الأسطقس لا يستحيل إلى آخر إلا بتوسط ،

(١) د : جواز (٢) م ، ط : يمزج

(٣) ب : من الأدخنة والأبخرة // م ، ط : يبقى (٦) م : وإن كانت مختلفة نسبة واحدة .

(٨) م : بهذا (٩) م : - وإذا برد كان بخاراً // ط : فلا (١٠) د : والتحليل (١١) سا : تنتقل

إليه (١٢) ب : الاستقص (١٣) م : يفرق (١٤ ، ١٣) م : - كما أنه ليس الغبار والدخان إلا أرضاً تفرق

وانبسط (١٤) م : فليس (١٥) د : وبثاته (١٦) م : ينسَلَخَ (١٧) ط : ظن // ب : الاستقص // د : إلى أجزاء

فلا بد من بخار. فإن المسألة مع البخارية قائمة . ويلزم أن يكون بين كل أسطسين وسط آخر ، وليس كذلك ؛ بل السكون أمر يكون دفعه بلا توسط ؛ بل البخار مثل الغبار إلا أن البخار والدخان إنما تفرقا عن سبب حار ، والغبار عن سبب ساهاك . فإذا جعل البخار متوسطا فبالحرى أن يجعل الدخان متوسطا ، إن لم يجعل البخار متوسطا من العناصر ، لأنه ظاهر من حاله أنه متفرق فقط ، وتصير حينئذ الأجسام المعتبر فيها هذه المناسبات ستة . فلا يكون البخار وسطا بين العناصر ؛ بل ليس البخار من حيث هو بخار وسطا بين الماء والهواء ، وإلا لكان مكانه الطبيعي فوق مكان الماء دون مكان الهواء ، فلا يكون خارقا بحركته للهواء ، والهواء نفسه لا يتحرك في الهواء ؛ بل يقف بالطبع ، ولو في أقرب حيزه من الهواء .

٥

فإن قيل : فلأن لا يخرق الهواء ، وهو ماء ، أولى .

١٠

فنقول : إن الماء يعرض له أن يقصره الحرّ بالتحريك إلى فوق ، وربما قصر أجراما ثقل من الماء ، كقطع خشب راسبة إذا اشتعلت أضعدها النار القوية في الجو .

وليس هذا حكم البخار فإنه ليس يكون البخار ، على قولهم ، شيئا عرض له عارض حرارة مصعدة ؛ بل جوهر البخار هذا الجوهر ، ومعنى اسمه هذا المعنى ، حتى إذا بطل عنه هذا المعنى لم يكن إلا ماء قد كان قصر على التصعد . فإن لم يكن ذلك له بالقصر كان بالطبع . فكان يجب أن لا يكون مكانه الطبيعي إلا فوق الماء دون الهواء ؛ فما كانت حركته الطبيعية تجاوز ذلك الحد ، وتخرق الهواء ، فإن كان هذا التصعد والسخونة عارضين للبخار ، بحيث لو زال بقي البخار ، فالقول ما قلناه من أن البخار ماء مبثوث .

١٥

(١) ط ، د : البخار // ب : استقصين (٢) م : ليس // د : أو يكون دفعه .

(٣) د : يفرق // ط ، د : يفرق عن // سا : وإذا // ب وإن // سا : نجعل (٤، ٥) د : بين العناصر // م : فيفرق فقط // م ، ط : يصير // سا : — الأجسام // م : المعتبرة (٦) د : « منه » بدلا من ستة // ط : ولا يكون // (٧) سا : متوسطا // م ط : وسط // م : كان مكانه . (١١) د : الجزء ط : قصر الحر // د : « آخر إما » بدلا من « أجراما » (١٢) د : أضعدها // م : بالقوة (١٣) م : بأنه (١٤) د : بل جور (١٥) د : وقد كان (١٦، ١٥) سا . بخ : بل كان بالطبع (١٦) ط : وكان // د : فلما كانت (١٧) م ، ط : يجاور ... ويخرق

وأما القائل بالمحبة والغلبة فلأنه لا يرى كونا ، ولا فسادا للعناصر ، ثم ينسى ذلك ، فيجعل العناصر قد تستحيل عند غلبة المحبة وتأحيدها إياها ، وجمعها لها ككرة هي مخالفة في الطباع للعناصر . وكذلك تستحيل الكرة ، فتتفرق إلى العناصر . فيكون الاجتماع عنده يردها إلى المادة المشتركة لا محالة ، ويفسخ عنها صورة العناصر ، ويكسوها صورة المكرة ؛ والافتراق يخلع صورة الكرة عنها إلى صورة العناصر . ويلزم من وجه أن ٥ يجعل المحبة محركا حركة خارجة عن الطبع ، وهي طبيعة التحريك عنده .

أما أنه كيف تصير علة لذلك فلأن الطبيعي من حركات العناصر عند الجميع ، وعند قائل هذا القول ، يوجب تباعد بعضها عن بعض ، ومفارقتها بأن تنزل الأرض ، وتصعد النار ؛ وإذا تحركت إلى الاتحاد فقد أخرجت عن طبيعتها . والمحبة أيضا ، تصير عنده مفرقة ، ويتحاشى من ذلك . ١٠

أما كيف يلزم أن تكون مفرقة فلأنها تفرق بين المادة وصور العناصر ، فتكون قد فرقت بين ما هو أشد مجاورة من مجاورة الأجسام المتلاقية أو المتصلة بعضها ببعض . وأيضا فلأنها لا تجتمع إلا فرقت أي جمع نسب إليها .

وأما القائلون بالأرض والنار فقد أضلهم ظنهم أنه لا استحالة إلا على طريق الاستقامة . وهم ، مع ذلك ، يسمون أن الماء له استحالة إلى جهة الأرض ، وأخرى ١٥ إلى جهة الهواء والنار . فلو كان اعتبار الاستحالة مقصوراً على استقامة من جهة إلى جهة ، من غير انعكاس ، لكانت المائية إنما تتجه في استحالتها مثلاً إلى الهوائية وإلى النارية ، ولا تنعكس ، حتى تكون الهوائية تتجه إلى المائية ، والمائية إلى الأرضية .

(١) م ، د : فإنه لا يرى . (٢) م ، ط : يستحيل // ب ، سا : - لها (٣) م : فيفرق ، وفي سا : فيتفرق (٤) د : عند (٦) د : طبيعته (٧) م ، ط : يصير // د : فذلك لأن (٨) م ، ط : ينزل (٩) ط : ويصعد // ب : الاتحاد // ط : خرجت (١٠) م ، ط : يصير (١١) م ، ط : يكون // سا : فلا يفرق // م : والصورة // سا : صورة // ط : الصورة التي للعناصر . // م ، ط : فيكون (١٢) م : تفرقت // د : - هو // د : والمتصلة (١٣) م ، ط : يجتمع . (١٧) د : - مثلاً (١٨) م : الأرض بدلا من « الأرضية »

فإذا كان كذلك فلا واجب أن تكون النار تأخذ في استحالتها، لو كانت مستحيلة إلى عنصر آخر أخذاً مستمراً في استقامة استحالة الهوائية إليها ؛ بل يجوز أن يكون بعكس ذلك ، وهو الذى يتصل باستمرار استقامة استحالة الهوائية إلى المائية ، حتى تكون النار منعكسة باستحالتها إلى الهوائية .

* * *

وأما المقتصرون على الأرض والماء فقد جعلوا العنصر هو البرد . ومعلوم أنه لا متكون عن مجرد ماء وأرض إلا الطين ، وأن أصناف الطين لن يستغنى في تميز بعضها عن بعض عن مخالطة الحار الطابخ . وليس إذا كان للمركب شيء به يقبل الصورة ، وشيء به يحفظ فقد كفى ذلك ؛ فإن أقل ما يحتاج إليه المركب هو الشكل والتخطيط ، بل قد يحتاج إلى قوى وأحوال أخرى ، خصوصاً في النبات والحيوان .
ولا شيء كالخار الغريزي في إعانة القوى على حفظ النوع والشخص .

فأما أصحاب السطوح فقد غلطوا ؛ إذ ظنوا أن الانفعال أولاً هو فيما يلي الشيء أولاً ؛ بل الانفعال فيما من شأنه أن ينفع . ولو كان كذلك لكان السطح يتحرك من محرك الجسم بالملاقاة قبل الجسم ، وكان البياض أيضاً يسخن قبل الجسم ، ولكن يجوز أن تكون نفس المماسسة منفعة بالسخونة ؛ إذ هي مؤدية إلى ذلك ، وبها تنفع .

(١) د : فلا أوجب (٢) د: العنصر الآخر (٦) سا : - جعلوا (٧) م ، ط : لا يتكون // د :
«أن يشفق» بدلا من «لن يستغنى» // د : «غير» بدلا من «تميز» (٨) م : الطافح // د : فليس
م//المركب // د : - به (١٢) م : الأفعال . (١٣، ١٤) د : تحرك الجسم (١٤) ط ، د : بالملاقات
(١٥) م ، ط : يكون // م ، ط ، د : ينفع .

الفصل الرابع

فصل في

إبطال قول أصحاب الكمون ومن يقرب منهم

ويشاركهم في نفي الاستعالة

- وإذ ليس نقض القياس المنتج لمطلوب ما كافيا في نقض المطلوب نفسه . وكيف
وربما أنتج صادق عن مواد كواذب ، وربما أنتج صادق لا عن قياس صحيح في
صورته ؟ فبالحرى أن نشتغل بنقض مذهب مذهب نفسه لتوصل من ذلك إلى تحقيق
التفرقة بين الكون والفساد وبين سائر الحركات ، ونستعد لتحقيق القول في عدد
العناصر وطبائعها ، وفي الفعل والانفعال ، والامتزاج .
- ولنبداً بمذهب أصحاب الكمون :
- ١٠ أما الطبقة القائلة منهم إن في كل جسم مزجا من أجزاء كامنة لا تتناهي ، فيكذبهم
ما علم قبل من امتناع وجود جرم متناه مؤلف من أجزاء فيه بلا نهاية ، كانت أجزاما
أو غير أجزام ، كانت متساوية الكبير ، إن كانت أجزاما ، أو مختلفة .
- وأما القائلة منهم بتناهي ذلك ، مجوزة أن يكون عن كل ماء نار أو أرض أو غير
ذلك ، على سبيل الانتقاض ، فيفسد مذهبها أحاطتنا بأن الماء إذا انتقضت عنه الأجزاء
- ١٥

(١) م ، ط : الفصل الرابع (٤) سا : ويشاكلهم (٥) سا : كيف (٦) في م : وربما أنتج
صادق عن مواد كواذب // مكررة (٧) م : يشتغل // م : - مذهب // م : ليتوصل (٨) ط : ويستحق
لتحقيق (١١) سا ، د : الطائفة // م ، ط ، د : لا يتناهي (١٢) م : ما قيل ، وفي ب ، ط : ما علم
من قبل // م ، ط : مؤلفا (١٣) ب : متساوية السك (١٤) م : القائل مجوزا ، وفي ط :
مجوز // ، سا ، د : وأرمس (١٥) سا : الابتعاض // م ، ط ، د : مذهبه .

النارية المتناهية بقى هناك ماء ، إن استحال ناراً لم يكن كون كل نار عن ماء إنما هو بسبيل الانتقاص والتميز ، بل على سبيل سلخ الصورة ؛ وإن امتنع عن الاستحالة لم يكن كل ماء من شأنه أن يكون عنه نار أو هواء . وأن اضطر إلى أن يقول إن هذا الاختلاط بحيث لا يتأتى كمال التميز فيه ، لم يخل إما أن يكون جميع الأجزاء النارية التي في الماء والهواء سواء في شدة الملازمة للأجزاء المائية ، أو بعضها أزم ، وبعضها أسلس طاعة للتميز . فإن كان الجميع سواء في ذلك ، وجازت المفصلة على جزء جازت أيضاً على كل جزء . وإن كان بعض الأجزاء ليس من شأنه أن يفصل فإن كان ذلك لطبيعة النارية فالآخر مثله ؛ وإن كان لطبيعة مضافة إليها فهو غلط آخر ، والكلام عليه ، وفي مخالطته ومفاصلته ثابت . ومع ذلك ، فيبقى الذي لا يفصل في طائفة من الماء تصير به تلك الطائفة ماء لا يتكون عنه نار .

٥

١٠

وأما إن قيل أن الماء يتكون عنه نار أو هواء إلى أن تتميز الأجزاء المائية ، ويبقى ماء صرفاً لا يتكون عنه نار بعد ذلك — وهو قول غير قول المخاطبين في هذا الوقت — فلا يلزم هؤلاء شيء مما قلنا ألبتة ، وكانت مخاطبتهم من وجه آخر ، وبالكلام المشترك المخاطبة جميع من رأى أن الأشياء التي نسميها نحن الاستحالة ، إنما هي بروز من الكوامن ، أو مداخلة مبتدأة . وذلك لأن الماء إذا سخن لمجاورة النار ففيه ظن من يرى أن ناريات فيه قد برزت ، وظن من يرى أن ناريات قد نفذت فيه ، وداخلته من النار المجاورة . والشركة بين المذهبين إنما هي في شيء واحد ، وهو أن الماء لم يستحل حاراً ،

١٥

(١) د : هناك (٢) م : الانتقاص في التميز // ط : التميز .

(٣) سا : ناراً . د : وإن (٤) م : التميز // سا : نخلو // وفي م ، ب ، سا ، ط ، فلم يخل

(٥) م ، ب : أو الهواء // ط ، د : سواسية // د : شد // م : سا ، ب : شدة الملاقاة // سا :

الأجزاء // م ، ب : للتمييز // م : سواء (٦) سا ، ب ، د : جاز (٧) ط : الأجزاء + منه .

(٨) د : كانت // م : خاط // م : عليه في (٩) ط ، د : يصير (١٠) سا : ناراً (١١) م : — إن .

(١٣) م : قلناه // د : وما الكلام (١٤) د : به + على // سا ، د : استحالات // ط :

إنما هو // ط : يبروز (١٥) م : مجاورة ، وفي ط : بمجاورة (١٦) سا : وقد // سا : ترى //

ط : فقد // م : يقذف (١٧) ط : إنما هو // ط : يستحيل .

ولكن الحار نار يخالطه والفرق بينهما أن أحدهما يرى أن النار قد كانت في الماء ، لكنها كانت كامنة ، والثاني أن النار لم تكن فيه ، ولكن الآن قد خالطته . فيجب أن نوضح فساد كل واحد من المذهبين .

- فأما المذهب الأول فما يوضح فسادَه تأمل حال هذا الكون وما معناه . فإن جوزوا فيه تداخل الأجسام فقد ارتكبوا المحال الذي بان فسادَه من كل وجه . وإن لم يجوزوا ذلك ، ولكن أواموا إلى مجاورة ، ومخالطة تكون ، ويكون الكامن هو المستبطن من الأجزاء ، وهذا الاستبطان لا يعقل منه إلا انحصارها في باطن الجسم وبعدها عن بسيطه وظاهره ، فيجب أن يكون باطن الماء مكانا للكامن من النيران ، وتكون كيفية ذلك المكان مثل كيفيته الماء المسخن الذي لا يفعل تسخينه أمراً غير إبراز الكامن فيه إلى ظاهره ؛ بل يجب أن يكون أسخن من ذلك بكثير ، وذلك لأن الانحصار في الباطن أجمع من الانتشار في الظاهر . والمعول على تصديق هذه القضية وتكذيبها هو على الحس . فإن ظاهر الماء وباطنه ، وأى حد وجزء أخذت منه ، هو من طبيعة واحدة متشابهة .

- وكذلك حال الأجسام السود والبيض ، والحلوة والمرّة وغير ذلك ؛ فإنها يوجد منها ما يقبل الاستحالة إلى الضد ، مع دلالة الحس على تشابه أجزائه ، وأنه إذا استحال أيضاً إلى الضد لا يكون ذلك بأن يبرز شيء إلى الظاهر ، ويمكن ضده في الباطن ، بل يكون إذا سخن أيضاً ظاهر البارد فإن باطنه أيضاً سخين . فإن كان الكامن كافياً

(١) // ، ط يخالطه // م ، ط : قد كانت (٢) م ، ط : يكن // د : خالطه (٤) سا : وأما // م : يوضح // ط ، د : يبين فسادَه . (٦) م : مجاوزة // م ، ط : يكون // سا ، ط : وتكون الكامن (٧) د — : « من الأجزاء » ط ؛ سا فهذا (٨) م : بسيطة // م ، ط : ويكون (٨) م : + باطن الماء مكانا للكامن من النيران ويكون (٩) م ، ط : الثانية كيفيته (١٠) م : وذلك (١١) م — في الباطن // م ، ط : المقول (١٢) ب : + على . // ب : هو + على // ب : وأى جزء وحد ، وفي ط : وأى جزء فيها // د : في طبيعة (١٥) د : — ما (١٦) د : ويمكن ضده (١٦، ١٧) م : — بل ، وفي ط : بل يمكن أن يكون ، وفي د : بل يمكن إذا (١٧) ب : — وإن

بالمداخلة التي هي محالة ، فيجب أنها إذا انفكت حتى يخلص البارد من الحار ، والحار من البارد ، أن تأخذ في كل حال مكانا أعظم وليس كذلك . فإن الانفكاك الذي يخلص الحار ظاهرا من البارد قد يتبعه ويلزمه العظم . وأما الانفكاك الذي يميز البرد فإنه ينقص الحجم نقصانا بيّنا للحس : فإن كان ظهور البرد يوجب فرط مداخلة ، والمداخلة توجب زيادة خفاء ، فيكون الاستعلان استخفاء .

على أن المداخلة تقضى على المتداخلين بحكم واحد . فإن حكم كل واحد منهما من الآخر حكم الآخر منه .

وإن كان الكامن كامنا بالمجاورة فلا محالة أن للكامن حيزا يختص به ، وأن الكامن باطنه ضد ظاهره ، أعنى باطنه الجرمي وليس هذا بوجود في الحس ، وليس هذا الوجود إلا وجودا حسيا . فليس هذا بوجود أصلا . ثم ما بال الماء مثلا إذا أراد أن يبرز الكامن منه من الهواء احتاج ذلك الهواء إلى مكان أعظم من المكان الذي احتاج إليه وهو في الماء ؟ ومعلوم أنه إذا كان على حجمه وقدره المتقدم لم يحتاج إلا إلى مثل مكانه . فلا يخلو إما أن تزداد تلك الأجزاء حجما ، أو يحدث هواء جديد ، أو يقع خلاء .

لكنها إن ازدادت حجما فقد يعرض للأجزاء المذكورة أن تنفعل بغير التميز ، وهذا خلاف أصل المذهب . ولا محالة أن ازدياد حجمها تابع لانفعال يعرض لها ، أو مقارن يقارنها . وظاهر أن العلة لذلك هو التسخين ، وهذا إثبات للاستحالة . وليس للاستحالة عندهم وجه لإثبات .

وإن صار الهواء أكبر هواء مضاف إليه حدث فقد حدث هواء جديد ؛ ولزم

(١) سا : مخالطة محالة // م : - والحار سا : فإنه (٢) د : فليس (٣) م : فيقبعه وفي « ب » : فقد يتبعه (٤) م : نقصا (٥) د : مداخلته // م : حقا (٦) بخ : تقضى إلى // (٨) ط : فإن ، ب : وإذا كان (الأولى والثانية) (٩) د : الموجود (١١) ب : فيه من (١٢) م : قدرة (١٣) م ، ط : يزداد . // سا . هواء أجديدا (١٤) سا . ويقع // ب : وإذا كان // (١٥) م : فقد عرض // د : - فقد // ب : فكان يعرض وفي ط . نعرض وفي سا . عرض // م // ط . د : ينفعل // د : تغير // م : التميز (٧) ب ، د : - أن // م : فليس (١٩) م : ويلتزم

القول بالكون مع القول بالاستحالة . وكذلك الاعتبار العكسى إذا حدث من الحار بارد ، وطلب حجما أصغر .

- وأما الخلاء ووقوعه فلا هو حق ، ولا هم يقولون به . ونحن نشاهد مشاهدة لا يمكن دفعها من استحالة الماء اللطيف حجرا صلبا وهو أرض أو أرضى . فإن كانت هذه الأجزاء الصلبة موجودة فى الماء كامنة فكان يجب أن تفعل فى الماء من الخثورة ما يفعله سحقنا هذا الحجر وتهيئنا إياه وفرجنا إياه بقدر من الماء المقطر المصعد الصافى قدره أضعاف ذلك . وكما أمعن هذا المزج وزادت الأجزاء تصغرا ازداد الماء خثورة . فكان يجب أن يكون فى شئ من الماء الأول ، ظاهره أو باطنه ، خثورة ما لا أقل من الخثورة التى نجدها عند مزجنا إياها به .

- وكذلك قد يمكن أن تتخذ مياه حارة محل الحجارة مياهها سيالة فى الحال . ولم لا والمادة مشتركة قابلة لكلا الأمرين ؟ فأين هذه الأجزاء السيالة من الحجر فى باطنه أو ظاهره ؟ وهل أكبر ما يُظن بالسكان أنه مغلوب ، فكيف صار غالبا ولم يحدث له زيادة باستحالة أو كون . فإن كانت الأجزاء الرطبة مغلوبة المقدار فى الحجم ، فكيف صار مقدارها غالبا عند الانحلال ولم يحدث شئ ؟

- وإن كانت مساوية معادلة ، وكانت مغلوبة فى الظاهر فلم ليست غالبة فى الباطن . وإن كانت النار الباطنة هى الجسم الذى لا يحرق ولا يسخن ، ثم إذا جاوزه فغلب فأبرزه صار محرقا مسخنا ، والماء الباطن على صفة أخرى فقد ثبتت الاستحالة له ؛

(١) ط : وهكذا الاعتبار (٣) م : - ووقوعه
(٤) ط : رفعها (٥) سا : - كامنة // م ، ط ، د : يفعل .
(٦) م : - الحجر وتهيئنا (٧) م : تصغيرا (٨) م : خثورا // م : وكان (٩) سا : لا أول
م : إياه (١٠) م ، ط ، د : يتخذ // سا : حادة // م : يحل (١٢) م ، ط : أكثر // سا :
نظن // م ، ط : يحدث (١٣) ط : الرطبة (١٥) د : متساوية // م : غالبة (١٦) كان // سا ، د :
هو (١٦) د : - جاوزه فغلب // ط : وغلب (١٧) م : قد ثبت ، وفى ط ، د : فقد ثبت // د : ثبت + له .

إذ صار ما لا يحرق بكيفيته محرقا بكيفيته ، اللهم إلا أن يلتجئوا إلى أن الحركة تحرق بالشكل النافذ ، فيتركوا قولهم .

وأيضاً فإن كل واحد من الأجزاء البسيطة في الخليط لا يخلو إما أن يكون مما لا يتجزأ أصلاً كالنقطة ، فيلزم أن لا ينتظم منه ومن غيره متصل ، وقد فرغ من هذا . وإن كان جسماً فيلزمه لا محالة شكل ؛ فإن لكل جسم طبيعي شكلاً طبيعياً . ويلزمه أن يكون شكله مستديراً ؛ لأنه بسيط ضرورة ، ولأنه لا يفعل ، فلا يغلب على شكله ألبته . وإذا كانت أشكالها مستديرة لزم أن يقع هناك فرج خالية . وهذا مخالف للحق ، ولذهبهم جميعاً .

ومما يجب أن يؤخذوا به حال الكامن ، وأنه ما الذي يوجب بروزه ، أقوة طبيعية له ، فيجب أن لا يتأخر إلى وقت ، أو سبب من خارج ؟ وذلك السبب من خارج إن كان حركة فلا يخلو إما أن يؤثر فيه أثر أو يحدث فيه قوة حركة وانبعث يتبع ذلك الأثر وتلك القوة حركة منه ، فيكون قد انفعل عندهم الشيء انفعالا في الأثر ، واستحال فيه ، وصحت الاستحالة ، أو يكون تحرك بلا أثر ينفذ من المحرك إلى المتحرك ، بل إنما يحرك بجذب أو دفع ، أو غير ذلك . فإن كان الجذب أو الدفع بحماسة وجب أن يكون المحرك إلى خارج قد نفذ أولاً إلى غور الجسم فلاقي كل جزء من الكامن الذي يبرز . فيجب أن يكون كل مستحيل عندما يستحيل يعظم حجمه لنفوذ الجاذب أو الدافع فيه ، وإن كان لا يحتاج إلى مماسة ؛ بل إلى حد ما من المجاورة .

(١) م : إذا // م : - محرقا // ط : بكيفية ، وفي د : ليس يحرق بكيفية محرقا بكيفية // م : سا : - بكيفية (الثانية) وفي ط : يحرق (٣) م : - لا (٦) م ، د لا ينفعل + فلا ينفعل
(٧) سا ، د : يكون هناك (٩) ط : يؤخذوا (١) ، وفي « د » آخذوا // د : « بردا » بدلا من « بروزه » (١٠) د : أمي قوة // ط : وقت ما // م : أم سبب (١١) د : - كان حركة وفي « سا » حركة + أو حركة ، // في د : إن حركها ب ، د : فيها (١٢) م : - قوة .
// د : قوة // سا : منها // م ، ب : عندها . (١٣) م ، ب : - فيه ط : وصت // م : يتحرك ، وفي « د » : قد يحركه // ب : يتقدمه
(١٤) سا ، د : المحرك منه (١٥) م : والدفع بغير مماسة // ط : بمماسته // ط : فقد .
// د : ان كور الجسم (١٦) ط : جزء من المحرك في الكامن .

ونحن نشاهد أن مجاورة الحار تسخن ، ومجاورة البارد تبرد . ونعلم أن الكامن
ممكنه ، قوى كثيرة ، وإنما تقل في الظاهر . فإن كان المبرز هو مجاورة الشبيه ، كيف
كانت ، فلم لا تحرك الأجزاء الكامنة المتجانسة المتجاورة بعضها بعضا إلى البروز ، إن
كان سبب البروز والظهور مجاورة الشبيه ؟ وإن كان المجانس ليس سببا للبروز لأنه
مجانس فقط ؛ بل لأنه مجانس بارز فهو محرك نحو جهته (ويميل) نحو مقاربه ، فلأن يجذب
الكامن إلى مجاورة الأقرب إليه الكامن ، أولى من أن يجذب إلى مجاور تحول بينه
وبينه بالضد الآخر ، اللهم إلا إن قيل إن السبب في ذلك أمران :

أحدهما : هرب الضد الظاهر إلى خلاف جهة الضد .

والثاني : انتقال الضد الآخر الباطن إلى شبيهه الذى هو ضد المارب .

- فيجب أيضا أن يكون الظاهر البارز يهرب من الكامن اللهم، إلا أن يجعل الأغلب
أجذب . ومعلوم أن الذى يلي جسما من جهة واحدة يتحرك إليها بالاستقامة هو ما يساويه .
تم إن فصل شيء فهو مبين لذلك خارج عنه لا ينفع أن يقال باشتداد القوى عند ازدياد
المجاورات وهو استحالة ثم إن لم يكن الضد عند الاستحالة . يمكن ، ولكنه يكون مخالطا
لضده مخالطة غالبية ، فإذا أراد أن يستحيل المستحيل لتحلل هو ، وفارق ظاهر المستحيل ،
أو ظاهره وباطنه ، فيبقى الضد الآخر صرفا - لم يخل إما أن يكون مع تحلله يسد ضده
مسده أو لا يسد مسده . فإن لم يسد مسده وجب أن يكون كل مستحيل ينقص حجمه
أو يكون كل مستحيل يتخلخل وينتفش . وإن كان قد يسد ضده مسده ، على سبيل

(١) م ، ط : يسخن . . . يبرد (٢) م : ممكنة كثير // ن : قوى كثير // د : مجاورة الشبيهة

(٣) د : يتحرك الأجزاء // م : المجاورة (٤) د : الشبيهة (٥) م : إلى جهة ، وفى د . إلى جهته

// م : ميل // م : مقاومة (٦) د : منه إليه الكامن (٧) د : بال ضد الظاهر

(٩) ب : شبهه (١٠) سا ، د : عن الكامن (١١) م : تحرك

(١٢) م ، ب : نصل ، وفى سا : فضل ، وفى د : حصل // ب : هو . // ط : أو يقال ،

وفى « د » إذ يقال // سا : بانسداد . (١٤) ط : وإذا // د : فإذا أرادت

(١٥) م : فبقى // سا : مع تحلله (١٧) م : يتحلل // م وينفس ، وفى سا : ينتفش

// م : - ضده .

الورود من خارج ، لا على سبيل البروز ، فلم صار الشيء الذى يبرد بعد الحرارة ينقص حجمه ، اللهم إلا أن يكون الذى يتحلل حاره ، ويظهر بارده لا يسد ضده مسده ، ويكون الذى يتحلل بارده ، بالضد وهذا تحكم . ومع هذا كله ، فإن ذلك البارد يسخن مرة أخرى ، والحرار يبرد مرة أخرى ، كل ليس دون الأول ، ويجب أن يكون دونه ؛ لأن التحلل صرفه ومحضه ، أو ترك فيه من الضد شيئاً يسيراً .

وأما المذهب الذى يخالف الكون ، ومع ذلك يشابهه فى أحكام ، وهو أن الحار مثلاً لن يبرد بالانكشاف عن بارد كمين ، ولكن يرد عليه من خارج ما يخالطه ، وهو بارد ، فيغلب عليه البارد ؛ والبارد لن يسخن بالانكشاف عن حار كمين ، لكن يرد عليه من خارج ما يخالطه وهو حار ؛ وأنه ربما كان بعض الأجسام قوى القوة فى كفاءته ، فيكون القليل منه فى المقدار يظهر قوة كثيرة ، كمن يورد عفرانا قليلاً على لبن كثير فيصبغه . فربما لم يكن للوارد كبير أثر فى زيادة الحجم ، وكان له كبير أثر فى زيادة الأثر .

وقد يجوز أن يكون الضد الوارد طارداً لصدّه ، وربما احتاج إلى أن يطرد ما يساويه فى المقدار . وربما احتاج أن يطرد ما هو أكثر منه . وربما بقى أن يطرد ما هو أقل منه ، حتى يظهر أثره . وربما لم يحتج أن يطرد شيئاً ألبتة ؛ بل جاء بزيادة . وهذا المذهب ليس بمذهب ضعيف .

فما يدل على فساد هذا المذهب أن جبلاً من كبريت تمسه نار صغيرة قدر شعلة

(١) ط : ينقض (٢) م : يتحلل جاره // د : ينحل (٣) د : - والذى // د : تحلل ، وفى م :

يتحل // د : باردة لصد // م : يحكم // ط : - فان // (٤) د : برد (٥) م : بعضه

// سا : يترك ، وفى د : ترسب . (٦) م : هو (٧) ب : - لن // د : يرد

(٨) د : عليه النار // ط : لم يسخن ، وفى د : أن يسخن (٩) ط ، د : ولكن

// ط : فانه (١٠) م : عفرانا (١١) ط : فى لبن // ط ، د : كثير أثر (١٢، ١١) ب : أثر كبير

(١٣) د : لصد // م : - أن ، وفى د : - إلى (١٤) م : وما يساويه // ط : إلى أن .

(١٦) م : ليس مذهبا ضعيفا (١٧) م : بمسه .

مصباح ثم تنحى عنه بمجلة مبعدة، فيشتعل كله نارا . فإن كانت الاستحالة إنما هي ورود المخالط من المجاور ، فيجب أن يكون الوارد عليه لا أكثر من جميع تلك الشعلة ؛ بل نعلم أن الماسة لن تقع إلا في زمان غير ذي قدر . والمنفعل عن الشعلة المداخل للكبريت لن يكون ، إن كان ، إلا جزءا لا قدر له . فهذا الآخر كله إما أن يكون حادثا عن الاستحالة ، أو يكون على سبيل الكمون المذكور . وقد بطل الكمون فبقيت الاستحالة .

وإن كانت النار اليسيرة القدر تفعل تسخيننا وإحراقا شديداً لشدة قوتها فعود الشيء إلى البرد لا يخلو إما أن يكون بمفارقة تلك النار اليسيرة ، فيجب أن لا يكون نقصان الحجم الكائن عند البرد أمراً محسوساً ؛ بل بقدر ما انفصل . وإن كان بورود البارد، ويحتاج ضرورة إلى بارد كثير حتى يغلب تلك النار اليسيرة أو يخرجها ، فيجب أن يكون المقدار محفوظاً ، إن لم يكن زائداً ، اللهم إلا أن تجمل النارية إذا انفصلت استصحبت شيئاً كثيراً من الجسم . فما بالها ، إذا سخنت مرة أخرى وجاءت يسيرة صرفة ، وليس معها الرقيق المستصحب أعادت ذلك الحجم بحاله ؟ وإن كان الجمد إذا وضع عليه شيء فبرد ذلك الشيء تتحلل أجزاء منه ومخالطته إياه ، وكان المداخل يطرد مثل نفسه وجب أن تحفظ الحجم أو يطرد أكثر من نفسه وجب أن يكون المعيد إلى الحالة الأولى بالمخالطة حاراً أكثر من البارد الداخل ؛ فكان الحار أضعف ، في القوة ، من البارد .

-
- (١) م : ينحى // د : وإن // سا ، ب ، ط ، د : كان لا استحالة // سا ، نج ، ط ، د : وإنما هو
(٣) م ، ط : يعلم // م ، ط : يقع . // سا ، م ، د : والمنفصل ، وفي ط : والمنفصلة
// د : المداخلة (٤) نج ، د : أن يكون // ب : « الآخر » بدلا من « إلا جزءاً » ، وفي د :
الأجزاء (و) في جميع النسخ ما عدا « ب » : فهذا الأجزاء .
(٧) م : يفعل // م : إحراقا وتسخينا وفي ط : أو إحراقا // د : شديدة .
(٨) د : « التي وإن » مكان « الشيء إلى » // م : الأجزاء اليسيرة (٩) ب : ورود // د :
لورود النار (١٠) ط : فيحتاج // (١١) ط : يجمل // م ، سا : النار (١٢) // ط :
مستصحبته (١٣) م : الجهد (١٤) م : ومخالطتها (١٥) م : أو كان يطرد (١٦) د : المخالطة .

وهذا لا يستمر على هذا الأصل . فإنهم يحوجون إلى أن يجعلوا قليل النارية كثير القوة . ومع ذلك ، فما السبب في انفصال أجزاء الحار عن الحار في جهة ما يجاوره ، وانفصال أجزاء البارد عن البارد في مثلها ؟ فإن كان السبب فيه حركة طبيعية ، فيجب أن يكون في جهة واحدة لا غير . وإن كان السبب فيه أمرا من خارج يسلب تلك الأجزاء عن مقرها فلا أن يسلبها عن غير الجنس أولى . فلم لا ينسلب عن المجاور ؛ بل يتمكن فيه وينسلب عن الأصل ؟ وكيف يتسخن الهواء بالحركة الصرفة ، أو الماء بالمخضضة ويزداد حجمه ، حتى إن المخضض ينشق ، وليس هناك وارد ألبته ؟ وكيف يرد هناك وارد ، والجسم يشاهد أنه متحرك عن مركزه ، منسبطا بحيث يرى متدافعا من كل جهة ، لا من جهة واحدة ، بحيث يقوى على أن يدفع شيئا إذا أراد أن ينفذ فيه ؟ وكيف ينفذ جسم في جسم وهو مملوء دافع عن نفسه ، إلا بقوة شديدة أقوى من قوته في مستقره ، فيقدر على تفريق اتصاله ونفوذه فيه ، وليس يحيط بالجسم المحرك المخوض أو المخضض شيء حاله هذه الحالة ؟

وجملة النار المسخن بها ما يسخن أيضا ضعيفة المقاومة تدفع بأدنى قوة . فكيف يكون لها ، لو كان التسخين بها لا بالمخض ، أن تقدر أجزاءها على خرق الجسم المجتمع في الإناء الصلب وتحريكه والنفوذ فيه ، حتى تختلط به ، ثم تبلغ أن توجب تموجه بالمدخلة تمرىجا انبساطيا يقاوم كل صلب ؟ ثم كيف يدخل منه في الإناء الصلب إلا قدر ما يسع ، إما في خلاء أو في مكان أخلاء عن غيره لنفسه ؟ فإذا امتلأ لم يكن يدخل ، فلم يجب انشقاق ؛ لأنه الانشقاق هو بسبب أن المحشو في الإناء ليس يسع الإناء

(١) م : فهذا // ب : محوجون ، وفي د : محجون (٢) م : - عن الحار .
 (٣) م : الباردة (الأولى) // د : في ذلك (٤) سا : أمر (٥) م : من مقرها // ط : كان أولى // ب : يسلب // سا : المجاوز (٦) م ، ط : والماء // م ، سا : للمخض (٨) نج : وارد + الجسم // م : يتحرك (٩) م : - لا من جهة واحدة // م ، ط : وبحيث (١٠) م : فكيف // د : - في جسم // م ، سا : - وهو (١١) ب ، سا : إيصاله // سا : الجسم (١٢، ١١) م : المخوض - أو (١٣) ب : المسخنة // د : المقاومة // م ، ط : يدفع (١٤) م : بالمخض ، وفي د : بمخضه // م ، ط : يقدر (١٥) سا : والإناء // م : يوجب ، وفي ط ، د : سا : يوجب (١٥-١٦) سا : تمرىجه .. تمرىجا ب : تمرىجا (١٦) د : انبساطا // م : يقدر (١٧) د : أخلاء (١٨) م : ليس يسع الإناء

ومالم يدخل في حشوه ، بعد ذلك ، شيء فمن المحال أن يكون باطنه لا يسع غيره ، بحيث ينشق عنه ، بل إنما يكون لا يسعه ، بحيث لا يدخل فيه . فإن دافع فإما يدافع الداخل . فيجب إما أن يقل الإناء ، وإما أن يشقه حيث المدخل . وربما كان الإقلال أيسر مؤونة من شق آنية من حديد أو نحاس . فلم لا يقل ، بل يشق في موضع غير مدخله ؟

- وأنت إذا تأملت تولّد نفاخات الغليان المحشوة جرماً مندفعاً إلى فوق ينشق عنه الغالى ، ويتنفش هو في الجو ، تولداً بعد تولد ، بحيث لو جمع حجم الجميع لبلغ أمراً عظيماً ، صدقت بأن ذلك ليس لنار تداخله ، وصدقت بصحة القول بالاستحالة في الكيف ، والاستحالة في الكم ، ورأيت الشيء يصير أضعافاً مضاعفة بنفسه من غير زيادة جرم عليه .

(١) م : مالم (٢) د : المدخل (٤) د : أو نحاس . (٥) سا : الفليات // م : المحسوبة
(٦) ط : وينتفش ، وفي د : وينشق // سا ، د : حجمه . (٧) م : صدقت أن // د :
لناء // م ، ط : يداخله (٧) م : فالاستحالة ، وفي سا : في الاستحالة .

الفصل الخامس

فصل في

مناقضة أصحاب المحبة والغلبة ، والقائلين إن الكون والفساد

بأجزاء غير الأجزاء الغير المتجزئة من السطح

واجتماعها واقتراقها

٥

وأما مذهب صاحب القول بالمحبة والغلبة فالحق ينقضه بما يشاهد من استحالة العناصر بعضها إلى بعض ، وهو نفسه ينقض قوله ؛ إذ يرى أن للمحبة سلطاناً عليها يجمعها إلى طبيعة واحدة ؛ فلا تكون ناراً ولا هواء ولا ماء ، ولا أرضاً . ثم إذا عادت الغلبة متسلطة فرقت ، فأحدثت العناصر فتكون صور هذه العناصر من شأنها أن تنسلخ عنها باستيلاء المحبة .

١٠

ثم يجب أن تكون ، على مذهبه ، الألوان لا أكثر من أربعة ؛ لأنها تكون بعدد العناصر . وكذلك سائر القوى النباتية والحيوانية .

وأما مذهب من يرى أن عنصراً واحداً ، يوجب الاستحالة بالفعل والانفعال ، ولا يوجب كوناً ، فقد يبطل بما نتحققه من أن اليابس وحده لا يتكون منه الكائنات

م ، ط : الفصل الخامس - العنوان الذي اخترناه هو ما جاء في بخ : (٣ - ٤ ، ٥) م : باقتراق الأجزاء غير المتجزئة والسطوح واجتماعها // م : واقتراقها وفي ط : هو مثل عنوان « م » مع « الغير المتجزئة » أو السطوح وفي د : مناقضة أصحاب المحبة والغلبة والقائلين إن الكون والفساد باقتراق الأجزاء الغير متجزئة أو السطح واجتماعها (٦) أصحاب بخ // م : والمحبة (٧) سا ، د : المحبة . (٨) م ، ط : فلا يكون (٩) م : وأحدثت ، وفر « د » : وأحدث (١٠) م ، ط : ينسلخ . (١١) ط : يكون (١٢) م : - والحيوانية (١٣) سا : - مذهب // بخ : يوجب ، وبقيّة النسخ : فيوجب (١٤) ط : يحققه

إن لم يخالطه رطب ، ولا الرطب وحده ، إن لم يخالطه يابس ، ولا الرطب واليابس ولا حرّ هناك ، ولا برد ؛ وأنه لا كون للمتولدات لا عن بارد صرف ، ولا عن حار صرف . فإن الكائنات لو كانت إحدى هذه لم يكن إلا ناراً ، أو أرضاً ، أو هواء ، أو ماء في طبيعته . وليس الأمر كذلك .

- هـ فإذا كانت هذه العناصر والأصول نسبتها إلى الكائنات النسبة وأما نسبة بعضها إلى بعض ، كما يعترفون به ، كاقتهم ، أو يلزمهم ، وإن لم يعترفوا به - أن كل واحد منها إذا فرض الاسطقس الأول كان راجعاً إلى الآخر بالاستحالة ، ومرجوعاً إليه - فلا يكون كونه أصلاً أولى من كونه فرعاً .

- فإن كانت نسبة بعضها إلى بعض ، في كون بعضها عن بعض ، وبطلان كيفية الكائن عنه عند وجود كيفية الكائن الآخر ، نسبة واحدة ، ونسبتها إلى الكائنات نسبة واحدة - فليس بعضها أقدم فيما بينها من بعض ، ولا بالقياس إلى الكائن .
- ١٠ فكفى بهذا المذهب خطأ أن يجعل النار عارضة للماء ، وهو ماء ، أو المائية عارضة للنار ، وهي نار .

فلننقض الآن مذهب القائلين بالأجرام الغير المتجزئة .

- أما مذهب السطوح فهو أرك وأضعف . وقد سلف من أقولنا ما هو كفاية في إبطاله .
- ١٥

وأما ما قيل في مناقضتهم إن السطح ، لو كان له ثقل ، لكان يجب له أن يكون

(٢) ط : للمتولدات عن بارد // م : « نار » (٥) سا : وإذا

(٦) م : يعترف (٧) م : الاسطقسين ، وفي ب : الاستقص سا : بالإستحالة - إليه // د : مرجوعاً // م ، ب : ولا يكون (٩) د ، ب : فإذا كانت ، وفي ط : وإذا (١٠) د : كيفية دخول (١١) م : فيماس (١٢) م ، ب : وكفى // ط : النارية // سا ، د : وهو نار (١٤) م : غير المتجزئة (١٥) م ، سا : فأما ، وفي ط : وأما (١٦، ١٥) د . - فهو أرك وأضعف . وقد سلف من أقولنا « إلى قوله وأما ما قيل في مناقضتهم إن السطح » (١٥) ط : وهو أرك (١٧) م : أبطلهم أن السطح وفي « ط » مناقضاتهم

للخط . ثم للنقطة ثقل . ثم اشتغل بأن النقطة لا ثقل لها ، بأنها لا تنقسم وبغير ذلك مما لا يوضح عدمها للثقل — فليس ذك بياناً برهانياً ، بل نوعاً من التمثيل والأحرى الأولى . فلا حاجة بنا إلى سلوك ذلك المسلك .

وأما مذهب القائلين بالأجرام الغير المتجزئة وأشكالها فنقض مذهبهم

٥ من وجوه :

من ذلك أنهم إذا جعلوا هذه الأجرام متشابهة الطبع وفي غاية الصلابة ، حتى لا تنقسم ، فلا يخلو ، بعد وضعهم ذلك، أن يقولوا : إن أشكال هذه الأجرام ومقاديرها أمور لا تقتضيها طبيعتها ؛ بل تعرض لها من خارج . فإن كانت تقتضيها طبيعتها ، وطبيعتها واحدة ، فيجب أن تكون أشكالها ومقاديرها واحدة غير مختلفة. وإن كان ذلك قد عرض لها من خارج فطباعها مستعدة لأن تقبل التقطيع والتشكيل من خارج، فطباعها بحيث تقبل القسمة والاتصال ، فيجب أن يكون كل جزء منها بحيث يجوز عليه الفصل في نفسه والوصل بغيره .

وأيضاً ، إذا كانت هذه الأجزاء مختلفة بالصغر والكبر فغير مستحيل أن تنقسم سطوحها المحيطة بمماسات سطوح أخرى ؛ فتكون حينئذ سطوح من جسم واحد غير سطوح أحدها لا محالة ، ويكون المحاط بسطوح أحدها ، لا محالة ، غير المحاط بسطوح التي هي غير لها . وتكون متصلة مع الغيرية بأن لها حداً مشتركاً . وطبيعة كل جسم طبيعة جرم منها خارج عنها . فتكون الجائزات عليها واحدة ، فيكون من طبيعة ذلك

(١) د : النقطة // م ، ط ، د : ينقسم . (٢) م : نوع (٣) م : والأخرى // م : ولا حاجة — بنا

(٤) م : غير // ب : مذاهم . (٦) م : — أنهم // د : الطبايع

(٧) م ، ط ، د : ينقسم // د : وضعهم — ذلك . (٨) سا : — لا

(٨) م ، سا ، د : فقتضيا (٩) د : — وطبيعتها وفي ب : فطبيعتها // م ، ط : يكون

(١٠) م ، د : — قد // م : وطباعها // م ، ط : يقبل (١٣) م : الأجرام مختلفة .

// م ، ط ، د : ينقسم (١٤) المحيط بها // ط : بمماسات ، وفي د : بمماسات // م ، ط : فيكون

// سا : واحدة (١٥) م : — أحدها لا محالة // ط : أحدها (الثانية) (١٦) ط : غيرها // د

فقط : الغير له // د . فطبيعة (١٧) م ، ط : فيكون

الخارج جواز الاتصال بما اتصل به منها من طبيعته . فإن لم يتصل به فلعائق
قسرى غريب .

وقد قالوا أيضاً: إن هذه الأجرام يتألف منها أولاً الهواء والماء والأرض والنار .
ثم بعد ذلك تتألف منها سائر المركبات بتأليف ثان ، وإن الهواء والماء والأرض
والنار تتكون بعضها من بعض على سبيل الافتراق والاجتماع ، وإن كان قوم منهم قالوا
إن النار لا يتكون منها شيء آخر .

وقالوا : إن هذه الأربعة العناصر قد تتقوم من أجرام متشكلة الشكل ، مختلفة
في العظم والصغر . فالمثلثات المقومة للهواء مخالفة في العظم للمثلثات المقومة للماء ، وأنه
ليس الأرض كلها من مكعبات ؛ بل قد يكون فيها مثلثات ، لكنها كبيرة ،
ولا الهواء كله من مثلثات ؛ بل قد يكون فيها مكعبات ، لكنها صغيرة . وبعضهم
جعل للنار أجزاء كرية ، وبعضهم جعلها من مثلثات صنوبرية تحفظ شكلها . وبعضهم
لم يجعل لها شكلاً محفوظاً منها ؛ بل جعلها متبدلة الأشكال بما فيها من لطافة
تنبسط بها وتلتحم .

ومن جعل النار كرية جعلها كرية ، لتتمكن من سرعة الحركة . ولم يعلم أن الكرية
تعين في التدرج ، وأن الزاوية الحادة أعون منها في النفود سوياً ، وأن النار لا تسمو
متدرجة .

ومن جعلها صنوبرية جعل طرفها الذى يلي فوق حاد التقطع .
وجعلوا الأرض مكعبة لتكون باردة وغير نافذة . ولم يعلموا أن الأرض أيضاً

(١) م : - منها // د : ما من (٤) م : يتألف
(٧) م ، ب : وإن // م ، ط : يتقوم // م : متشبكة (٨) م : مختلفة // م : - العظم
// د : للهواء (٩) سا : صلبات // د : كثيرة (١٠) م : كلها // د : بل قد يكون منها مكعبات
لكنها كثيرة صغيرة (١١) م ، ط : يحفظ .
(١٢) ط : لطايفه (١٣) م ، ط ، د : يلتحم (١٤) م ، ط : ليتمكن // سا : يعلموا (١٥) م : الزوايا
// سا : شوياء ، وفي د : السوء سوياً فان // م يسمى (١٧) م : يحمل // سا : - يلي (١٨) م : - أن الأرض

سريعة الحركة إذا فارقت مكانها أسوة النار ، وأن النار تسكن أيضاً . ولم يعلموا أيضاً أن الإحراق ، وإن كان بتفريق الزاوية للاتصال ، والتكعب بعدم ذلك ، فيجب في الأرض أن لا تحرق فقط ، لا أن توجب ضده ، وهو أن يبرد . ولم يعلموا أنه إن كان الإحراق بالزاوية فالتبريد يجب أن يكون بضد شكل الزاوية . ولا شكل يضاد شكلاً . ولم يعلموا أن الصنوبرى يلاقى بتسطيحه أكثر مما يلاقى بزاويته .

وكان يجب أن يكون أكثر أحوال النار أن لا يخرق ، وذلك بأن يلاقى بالبسيط . وإذا قد حكينا صورة مذهبهم فلنرجع إلى الوضع الذى فارقناه من إلزامهم بغير هذه الأجرام ، فنقول :

إنهم إذا كونوا من الهواء ماء لهم ، ضرورة ، أن يصغروا المثلثات وينقصوها ، والنقصان عندهم لا يكون إلا بأخذ شيء وهضمه من المنقوص ، فيجب أن ينقسم بالانفصال .

وكيف جوزوا أن يكون من الأرض ماء ، والأرض من مكعبات والماء من مثلثات . وكانهم جوزوا أن يتثلث المكعب . فقد وجب ، كما قلنا بديا .

وأيضاً ، فإن ذا العشرين قاعدة ، وهو الهواء إذا استحال ماء يتركب ثمانية ثمانية من أجزائه ، وفضلت أربعة لا تستحيل ماء . وليس شيء من أجزائه أولى بأن ينبعث إلى تركيب الهوائية منه من الآخر ، حتى يفضل أربعة بأعيانها يلزم أن يتركب منها لا محالة نار أو جسم آخر ، إن أمكن ، أو يتعطل تركيبه ولا يكون شيئاً ألبته . وعندهم

(١) ط : بسكن // ب : — أيضاً (٢) م : الإحراق وإن // م : الاتصال // د : بالتكعب وفى سا : والتكعب (٣) د : برد (٤) م : — الإحراق // سا ، د : والتبريد (٥) د : — أن // م ، ط : ل ضد ، وفى د : لضده // م ، د : الزاوية وفى « ب » : ذى زاوية (٥) م : بتسطيحه ، فى « د » : بتسطيحه // ط : بزاوية (٧) ب بوان // د : تغير (٩) م : بالماء // م : ينقصونها . (١٠) م ، ب : المنقوص (١١) د : بانفصال (١٢) د : فكيف // د : فى الأرض // د : وإنما من مثلثات (١٣) سا : يثلث (١٤) د : استحالت // سا : فركبت بمائية . (١٥) م ، ط : يستحيل (١٧) سا : وجسم // م ، سا : وإن // م : فلا // ط : شيء

أن لا تركيب إلا وهو أحد هذه العناصر أو المركبات منها . والماء إذا صار هواء صار أعظم حجماً، وصارت المثلثات أكبر . فكيف يكون ذلك إلا أن يكون قد تخللها جسم غريب ، فلا يكون ذلك هواء بسيطاً، أو يكون قد تخللها خلاء تباعدت به تباعداً يحصل به الحجم الهوائى ؟ فيلزم من ذلك أن يكون نوع من الجمع والتفريق يوجب أن يكون بين الأجرام بعد فلان محدود ، ونوع آخر يوجب خلافه ، حتى يكون الجمع والنضد والتأليف نفسه مما يوجب فى طباع تلك الأجرام أن يهرب بعضها من بعض هرباً إلى بعد غير محدود ؛ فيحدث لها حركات عن طبيعتها ، لا عن قاسر هى حركات متضادة متخالفة بها ينسبط إلى حد محدود ، وهذا كله محال .

- فإن كان الماء إنما كان ماء من قبل أن صار هواء بأشياء تخللت الآن عند استحالتة هواء ولم يستحل هواء ، وتلك الأشياء المتخلقة كانت هى الجامعة المفرقة ما بين الأجزاء التى تباعدت عند استحالتها هواء ، فلم يستحيل الهواء مرة أخرى من غير أن يكون فيه تلك المتخلفات ، ومن غير أن يأتىها شيء من خارج ؟
- ثم إن كانت التراكيب من هذه الأجرام من غير أحوال وشروط أخرى وحدود توجب الطبيعة تقديرها على حدود محدودة من القرب والبعد توجب مغايرة فى الطبايع فواجب ، ضرورة ، أن يكون التغير فى الطبايع غير متناه ضرورة ؛ لأنه وإن كان لنا أن نجعل لكل طبيعة حداً فى اللطافة والتخلخل ، وفى وقوع الخلاء فى خله فلذلك الحد عرض إذا تعداه صار فى تخوم غيره . فيكون كل واحد من ذلك متناهياً ، لا سيما إن كانت العناصر هى الأربعة على ما سلموها ، وكان لكل منها فى ذلك منها حد لا يعدوه ، فكانت الحدود ، ولا محالة ، محدودة بين أطراف .

(١) د : ألا هو // م : - طار هواء // م : صارت (٤) د : والتقدير (٥) ب : به للأجرام // م : ثلاثى // د : محدد أو نوع // سا ، د : يصير الجمع // م : والفضل (٦) د : بما يوجب (٧) د : - غير (٩) : تختلف (٩ ، ١٠) ط : عن استحالتة (١٠) م : - فلائن كان الماء إنما كان ماء من // م : يستحيل // م : المختلفة (١١) م : يستحل (١٤) م ، ط : يوجب // د : حد محدود (١٧) م ، ط : يوجب (١٨) : - كان // م : حداً من (١٨) م ، سا ، د : فلذلك . (١٨) م ، سا : - هى // م ، سا : - منها // م ، ط : يتعداه (١٩) م ، ط : وكانت . ط : لا محالة // سا ، ب : معدودة // م : من أطراف .

فإذا أخذنا بين الأجرام بعداً أكثر من البعد الذى بين أجزاء النار مثلاً وجب أن يحدث نوع آخر من التأليف خارجاً عن تأليف الأربعة . وليس لازدياد حدود الأبعاد (حد ونهاية) اللهم إلا أن يجعلوا لبعض الأربعة حداً فى التخلخل . غير متناه ، حتى إذا كانت أجزاء أربعة يكون منها الصنوبرية النارية ، وواحد منها بالحجاز والآخر بالعراق والباقيان على مثل ذلك من بعد ، ما كان من الجملة نار واحدة .

٥

والعجب العجيب تجويزهم أن يكون جسم واحد من أجزاء متباعدة متفرقة فى الخلاء ولو ببعد قريب . فإن الافتراق إذا حصل لم تحصل منه نار واحدة ولا أرض واحدة إلا فى غلط الحس . وإذا لم تكن نار واحدة موجودة لم تكن نيران كثيرة بالفعل . فمافى تأليف النار والهواء من تلك الأجزاء ، والصورة هذه الصورة ؟

١٠

ثم لو اضطر مضطر أجزاء المؤلف من أربع قواعد مثلثات ، حتى اجتمعت وتلاقت ، لم يخل إما أن تبقى النارية ، فتكون النارية ليس التخلخل بالخلاء شرطاً فى وجودها ، أو تبطل ، فيكون تأليف موجود ، وليس عنصر أولى به من عنصر . وقد منعه وبئس ماعملوا ، إذ كانت هذه الأجرام بأفرادها لا كيفية لها عندهم ، ونحدث كيفيتها بالاجتماع . وكان يجب أن يكون تأكيد الاجتماع أعمل فى تظاهرها على حدوث الكيفية منها .

١٥

ثم من العجائب أن يكون الأجرام لا كيفية لواحد واحد منها فى مجموعها حرارة أو برودة . وليس ذلك ألينة فى فرد فرد من ذلك المجموع ، حتى لو مست الجملة ،

(١) نجد فى المخطوط « د » فى ورقة ٤٦٣ وجه : تكراراً كبيراً ، إذ يعود بنا مرة أخرى إلى الوراء ص ٥ من المخطوط ثم يتصل الكلام مرة أخرى ابتداء من ورقة ٤٦٦ وجه فى ثلثها الأخير // سا : أخذنا ، وفى ط : أخذنا ما ، وفى د : أخذ بعد بين // سا ، د : بعد . (٢) م ، ط : فليس // ط : للازدياد (٣) د : البعض .

// سا ، د : الأربع . (٥) سا : الباقيات // د : مثال // د : البعد // ط : كان . (٧) م : - لم تحصل // م : والأرض // م : غلط (٨) م ، ط : يكن // سا ، ب : موجودة واحدة (١٠) ط ، د : - لو // د : مع أربع // سا : - حتى اجتمعت (١١) م ، ط : يبقى . . . فيكون // سا : التحلل (١٢) م ، ط : يبطل // ، ط : أولاً // ط : - به (١٣، ١٤) م ، سا : ويتبين ماعملوا (١٣) م ، ط : يحدث // د : بالاجتماع (١٤) ب : فكان (١٥) ط : - العجائب // م ، سا : الاجرام ، وفى د : - الفلكية (١٦) د : - ذلك // م ، سا ، ط ، د : - فرد الثانية .

ولم يشك أن كل واحد من أجزائها إنما يلاقى حينئذ ما يساويه ، فإن كان ذلك الواحد لا يؤثر فيما يلاقيه ، وكذلك كل واحد آخر ، فيكون ليس عن آحاد التماسات فعل وانفعال ؛ بل سلامة ، والجملة غير سالمة ولا مسلمة . وإن كان الاجتماع يوجب أن تحدث الحرارة سارية في الجميع ، حتى تكون في كل فرد أيضا لمجاورة قرينه ما لو انفرد عنه لم يكن . فيكون من شأنها أن يستحيل في الكيف . وقد امتنعوا من ذلك ، وهو ٥ يضاد متوخاهم في مذهبهم .

ثم لا يشك في أن للأجرام حركات طبيعية . فإن كانت الحركات الطبيعية تصدر عن جواهرها وجب أن تكون حركاتها متفقة ، وأن لا يكون في العالم حركتان طبيعيتان متضادتان . وإن كانت تصدر عنها لأشكالها ، وأشكالها غير متناهية عند بعضهم ، فالحركات الطبيعية كثيرة جدا ، وليس كذلك على ما علمت ، وأيضا فإن ١٠ الحركات الطبيعية غير متناهية . وقد أوضحنا أنها لا تكون إلا متناهية . وهي متناهية عند آخرين منهم ، ولكن كثيرة جدا ، فوجب أن تكون أصناف الحركات الطبيعية المتضادة موجودة . وقد عرف من حالها أنها إنما تصدر عن قوى متضادة ، فيجب أن يكون في الأشكال أشكال متضادة . وقد منع ذلك .

وأما ما ظنوه من أن عديم الزاوية ضد لذي الزاوية فيجب أن يكون للمستدير ضد ، ١٥ وليس كذلك ؛ فإنه إن كان للمستدير ضد ففرضنا المستدير نوعا واحدا ، أو فرضنا من المستدير نوعا واحدا وجب أن يكون اصدار المستدير أنواعا من الأشكال بغير نهاية ، وأمرنا جنسيا أعم من كل شكل مضلع منوع ، وضد الواحد في النوع واحد في النوع .

// د : يوشك الجملة ، ولم يوشك الجملة ، ولم يوشك .

(٣) م : مسلمة // سا : فإن // م : يحدث (٤) م ، ط : يكون // م : قرينة // ط : بمجاورة // م : عنها (٧) ط : نشك // ط : يصدر (٩) سا : متضادتين (١٠، ١١) سقط في م : // كثيرة جداً ، وليس كذلك على ما علمت ، وأيضا فإن الحركات الطبيعية (١٣) م ، ط : يكون // ط : عرفت . لأنها تصدر (١٥) م ، ب : فأما // م : العديم ، وفي سا : عدم (١٦) م ، ب ، سا : فليس // ط : فرضنا (الأولى) (١٧) ط ، د : — أو فرضنا من المستدير نوعا واحداً (١٨) ب ، ط : أو أمرا ، وفي د : أمر // ب ، ط ، د : الشكل المضلع المتنوع

وأما كون هذه الأجزاء غير متناهية ، وخصوصا على قول من يقول إن صورها متناهية ، فإن ذلك بين البطلان مما قيل في أمر غير المتناهي .

فأما الذين يعترضون على هؤلاء ، ويقولون أن الاجتماع والافتراق لا يغير الطبايع والصور ، كما أن الذهب إذا سحل ثم جمع فإن هذا ليس باعتراض صحيح . فإنهم يقولون إن السحل لا يرد الذهب إلى أول التأليف الذي يكون به ذهباً ، بل هذا الذهب المحسوس عندهم ذهب كثير وهذا الماء المحسوس عندهم مياه كثيرة متجاوزة ، وإن أول اجتماع ذهبي ودمائي غير محسوس ، فكيف يحس بالتفريق إذا وقع فيه . وتركيب الترياق من أدوية مختلفة يحدث فيها صورة الترياقية بالاجتماع ، ثم لا يقدر بعد امتزاجها على أن يقسمها الحس ، ألبتة ، قسمة بحيث تخرج الأقسام عن الترياقية ؟ وليس في ذلك أن الترياقية لم تحدث عن اجتماع وامتزاج .

وكذلك الذي يقال لهؤلاء إن الهواء لا شكل له والماء لا شكل له ، وإنه يقبل كل شكل . أما أولا فهو كاذب . فإن الماء إذا لم يعرض له عارض باللقاء تشكل كرياً . وكذلك الهواء وجميع البسائط .

وأما ثانياً فإن هؤلاء إنما يوجبون الشكل المذكور للماء الواحد بالتأليف الأول ، وما بعد ذلك فلا يمنعون ألبتة أن تتألف الجملة الكثيرة منه على أشكال يتفق لها ، ولا يوجبون لمجموع المياه شكلاً يوجبونه لأول تأليف المياه .

وكذلك ما قيل من أن الجسم السائل ينعقد حجراً ، والمتحجر يستحيل ماء من غير

(٣) م : - والافتراق // م : بغير (٤) في جميع النسخ : كل سحل ومعناه قشر ، وفي ط : سهك .

(٥) م : التمثل (٦) م : ذهب كثير وهذا الماء المحسوس عندهم // م : متجاوزة

(٧) د : إما في غير محسوس // م : وكيف // م ، سا : تركيب ، وفي ط : ويتركب .

(٨) ط : امتزاجها + واجتماعها (٩) ب ، د : للحس // م : - بحيث (١٠) م ، ب ، - لم .

(١١) م : - والماء لا شكل له (١٢) سا : فهذا كاذب // م : يشكل ، وفي « ط » : يتشكل .

(١٤) د : أولا (١٦) ط : مجموع // ط : يوجبون // سا : الماء (١٧) م : يسيل .

اجتماع ، ولا افتراق ، ولا انقلاب من هيئة ووضع . فإنه إن زيد في هذه المقدرة شرط الإدراك بالحس ، حتى يصدق ويسلم ، لم يلزم شيء ؛ لأنه ليس يجب ، إذا لم يكن افتراق واجتماع محسوس ، أن لا يكون ألبته . وإن لم يشترط بل ادعى أنه لم يحدث فيها اجتماع وافتراق واختلاف ترتيب ووضع ، ولا ما لا يدركه الحس ، لم يسلم .

- فهذه الاعتراضات عليهم أشبه بالنكاف والتعنت ، فلنرجع الآن إلى التفرقة بين الكون والاستحالة .

(١) د : والافتراق والانقلاب // سا : من وضع وهيئة // ط : او وضع (٢) سا ، ب : نصدق ونسلم (٤) سا : - ما (٥) د : بالتكليف // ب : تفرقة .

الفصل السادس

فصل في

الفرق بين الكون والاستحالة

قد علم أن غرضنا في مناقضة هؤلاء إنما كان بسبب تفصيل أمر الكون والاستحالة ، ثم أحوجنا ، لذلك ، إلى أن تكلمنا في أمر العناصر ، وناقضنا مذاهب في العناصر بعين مناقضتنا إياها على غرض لنا آخر ، وهو معرفة العناصر . والأولى بنا أن نقدم ، أول شيء ، أمر الكون والاستحالة فنقول :

إن المشاهدة تؤدي بنا إلى أن نحكم بأن ماء سيالا يتحجر . وقد دلت التجربة على أن قوما يسيلون الحجارة ماء ، ويعقدون المياه حجارة ، وأن الهواء الصافي من غير انجذاب بخارات إليه ينعقد سحابا ، فيسيل ماء وثلجا . وهذا شيء يشاهد في قمم الجبال الباردة ، وقد شاهدنا الهواء الصافي أصفى ما يكون . وبالجملة ، على ما يكون في الشتاء من الصفاء ، ينعقد دفعة من غير بخار يتصعد إليه ، أو ضباب ينساق نحوه ، فيصير سحابا أسحم ، ويلقى الأرض ويرتكم عليه ثلجا بكليته ، ومقدار ذلك مقدار رمية في رمية ، فيعود الهواء صافيا لحظة ، ثم ينعقد . ويدوم هذا الدور حتى إنه ينتضد ، من هذا الوجه ، على تلك البقعة ثلج عظيم ، لوسال لغمر واديا كبيرا ، وليس إلا هواء استحال ثلجا وماء .

نحوه ١٢

(٤) م : تفضيل (٥) د : أخرجنا لذلك (٦) // سا : تعين ، وفي « د » : بغير م : - والأولى بنا سا // ط ، د : - بنا (٧) م : يقدم (٨) ط : يؤدي // سا : لا تتجر ، وفي م : تتحجر (٩) د : « وأن » مكررة (١٠) م ، سا : انجياز ، وفي « د » : الجذاب // ط : بخارات البتة .
(١٢) سا : « ينساق » بدلا من « ينساق » (١٣) م ، سا : ويرتكم // ب ، د : - مقداراً الثانية (١٤) م ، سا : - في رمية // ط ، د : فيصير الهواء // م ، سا : ويلزم (١٥) سا : في هذا .

وقد يوضع القدح في الجمد مهنّدا فيه ، ويترك فلا يزال يجتمع على صفحته الباطنة من القطر ، اجتماعا بعد اجتماع ، حتى يمتلئ ماء . وليس ذلك على سبيل الرش . فإن الرش من الماء الحار أولى . وأيضاً فإن هذا القدح ، أو آلة أخرى تجرى مجراه ، إذا لم يهّدم كله في الجمد ؛ بل بقي منه طرف مجاوز ، لا على الجمد ، اجتمع أيضاً على طرفه القطر ؛ لأن البرد ينتهي إليه . فيكون ذلك على سبيل إحالة الهواء ماء على سبيل الرش ؛ إذ الرش تكون حيث يلاقى الإناء الراشح فقط . وربما كان ذلك الجمد لم يتحلل منه شيء ولم يعدم ؛ بل كلما كان الجمد أبعد من التحلل كان هذا المعنى أغزر ، وبالعكس هذا يستحيل الماء هواء بالتسخن .

وأما استحالة الأجرام ناراً فمثل السكر إذا ألح عليه بالنفخ وخنق الهواء ، فلم يترك أن يخرج ويدخل ؛ فإنه ، عن قريب ، يستحيل مافيه نارا محرقة . ١٠

وقد علمت كيف يستحيل دهن البلسان في دفعة واحدة نارا . وليس ذلك إلا باستحالة مافيه من العناصر . والخطب إذا كان رطباً عصى النار ، فاجتمع منه دخان كثير هو الأجزاء العاصية منه . وإذا كان يابساً لم يجتمع منه شيء ، أو كان قليل الاجتماع بالنسبة إلى ما يجتمع من الرطب . وليس يمكن أن ينسب هذا إلى أن الأجزاء الأرضية في الرطب أكثر ، فالثقل الذي يصعد بالتسر فيه أغزر ، فإنه ربما كان اليابس أثقل ، ويكون ما يندخن منه وما يترمد جميعاً أقل ؛ بل المائية عسرة الاستحالة إلى النار لشدة المضادة ، وممانعة لما يقارنها من الاستحالة ، والأرضية اليابسة أشد استحالة إلى النارية ١٥

(١) م : متهد ما (٢) ط : إذ الرش (٣) م : الماء الحاد // م : القدح وله وفي ب ، د : وآلة // م ، ط م : تجرى د : مجراها (٤) ط ، د : مجاور د : - على الجمد اجتماع أيضاً على (٥) م : شيء إليه د : لا على سبيل الرش (٦) م : في التخلخل . (٨) د : للتسخن . (٩) م ، د : ينحى عليه ب ، د : ولم يترك (١٠) د : ويحرق ، وفي د : وحرق (١١) م ، سا : - في (١٢) د : الاستحالة ما فيه // د : النار (١٣) سا : هي (١٤) م ، سا ، ط : - أن (١٥) م : الرطبة // د : فالثقل // د : ثقل (١٦) م : فيكون // م : يتسخن // د : - منه ، وفي ط : عنه // م يتبرد د : عسيرة // سا : النارية (١٧) ب . ممانعة

ولو كانا لا يستحيلان معاً ؛ بل يتصعدان فقط لكان الدخان عنهما واحدا إذا جمع .
فأذن الدخان في أحدهما أقل ، مع أنه ليس في الترمد أكثر . فقد استحال مافيه من
الأرضية إلى غير الأرضية ، ولا غالب هناك إلا النار ، فقد استحال إلى النارية .

وظاهر بين من هذا وما أشبهه بأن هذا ، إذا لم يكن على سبيل الكون ، ولا على
سبيل الاجتماع والافتراق ، لم يكن إلا على سبيل الاستحالة في الجوهر . فالعناصر
يستحيل بعضها إلى بعض . والمركبات قد تستحيل ما كان من هذا النوع إلى نوع آخر .
كالخطة تستحيل دما ، والدم يستحيل عظاما ودماغا وغير ذلك .

فما كان من هذه الجملة يبقى نوع الجوهر من حيث هذا المشار إليه ثابتا ، كالماء
يسخن ، وهو ثابت بشخصه فهو استحالة . وما كان لا يبقى نوعه عند تغيره ، كما ضربناه
من المثل ، فهو فساد . ١٠

فالكون المطلق هو الكون الجوهري ، والكون المفيد كقولهم كاز أبض
أو كان أسود فهو استحالة ؛ أو شيء آخر من التغيرات التي ليست في .
وهذا شيء بحسب المواضع .

وقد كان بعضهم يرى كون أشرف الاسطقسين وأكثرها وجودية عن أحسنهما
كونا مطلقا ، وعكسه كونا مقيدا . وقد رأوا أيضاً آراء أخرى لا حاجة بنا إلى
اقتصاصها وتقضها فإن إضاعة من التبذير . ١٥

ثم لا يجوز أن يكون كون الجرم واقعا عن لاجرم . فإنك تعلم أن ما يكون عنه
الجسم لا يكون إلا الجوهر المادي ، والجوهر المادي لا ينفرد بمجردا .

(١) د : يتصعدان // د : - الدخان عنها واحدا

(٢) م : فإذا الدخان // ب ، ط ، د : الترميد (٣) د : النار (٤) م : فظاهر // د :
من // م : + أن هذا وما أشبهه // م ، ط : الكون (٥) م : والعناصر (٦) سا : تستحل
د : - إلى نوع (٧) م ، ط : يستحيل (الثانية) (٧) ط ، د : عظاما ولحما (٨) د :
الجوهري // د : هو المشار // سا : ثانيا (٩) بخ // - // د المسخن ثابت . (١٢) د : فكان
أسود // ط ، د : فهو الاستحالة (١٤) سا : قد // م : الاسطقس ، وفي «د» الاستقص // سا م ، ط :
أحسنهما ، وفي «د» أخصهما (١٥) سا : كريا مقيدا // سا : فيجعل الأشد محسوسة أولى بالوجود
وبأن يكون كونه وفساده مطلقين وغير ذلك محالا (١٦) د : الصناعة // البروز كلمة غير واضحة هي
حاربها ؟ (١٧) م : - عنه (١٨) د : « الحرام » بدلا من « الجوهر » (الأولى) // م : يتعدد بمجردا

وكل جرم يقبل كله أو بعضه الكون والفساد فليس بأزلى أما إن قبل بكليته فلا شك فيه . وإن قبل جزء منه ، وهو مشارك له في نوعه ، فطبيعة نوعه قابلة للكون والفساد .

وقد بينا من قبل أن ما كان كذلك فليس غير كائن ؛ وما ليس غير كائن مما هو موجود فليس بأزلى . فعناصر الكون والفساد غير أزلية ، بل وجودها عن كون بعضها من بعض .

فجرى بنا الآن أن نتعرف الفعل والانفعال كيف يجرى بين هذه . والفعل في هذا الموضع يعنى به تحريكاً في الكيف ويعنى بالانفعال تحركاً فيه ، على نحو ما علمت من صورة ذلك في مواضع أخرى . فنقول إن ذلك يكون بمماسة . فانه لو لم يكن بسبب مماسة لم يخل إما أن يكون بنسبة أخرى وضعية ، أو يكون كيف اتفق . ١٠ ولا يجوز أن يقال إن ذلك كيف اتفق ، وإلا لكان الجرم يسخن قبلنا مما يسخنه قبلنا بالمضادة ، كيف كان وضعه منه . فكان الجسم يسخن لأن ناراً مثلاً موجودة تبعد عشرين فرسخاً عنه .

فأما إن كان على نسبة وضع آخر غير للمماسة يقتضى نوعاً من المحاذاة والقرب فإن للمتوسط ، إذا كان لا يسخن ولا يبرد ، لم يسخن المنفعل إلا بعد أيضاً ، ولم يبرد . ١٥ وإن سخن المتوسط فهو المؤثر القريب ، ويؤثر بمماسة لا محالة .

فالفعل والانفعال إنما يجرى بين الأجسام التي عندنا الفاعل بعضها في بعض ،

(١) ط : إما أن يكون قبل بكليته (٢،١) م : قبل (٢) م : - فطبيعة نوعه (٤) د : - أن .

(٥) د : ليس أزلية//د : - بل ، // م : من كونه (٧) م : يتعرف // م : من هذه .

(٨) سا : فتعني (الأولى) // م : والانفعال يعنى به // م : تحريكاً (الثانية) د : - فيه (٩) م :

سا يوضع // م : مماسة//د : فإنه أن (١٠) م : وصفية//م : - إن (١٢،١١) د : اتفق ويجوز .

(١١) د : - مما يسخنه قبلنا (١٢) ط : وكيف . م : موجودة بمد

(١٣) م : - عنه (١٤) ط : المحاذات أو القرب (١٥) د : ولا يبرد لم يسخن د : ولم يرد

(١٦) م : مماسة .

إذا كانت بينهما مماسة ، ولأجل ذلك جرت العادة بأن يخص هذا المعنى في هذا الوضع بالمماسية ، حتى إذا التقى جسمان ، ولم يؤثر أحدهما في الآخر ، لم يسم ، في هذا الوضع ، مماسة . وإن كان أحدهما لا يؤثر ولا يتأثر قيل إنه يماس المتأثر عنه ، ولا يماسه المتأثر . فكأن المماسية في هذا الوضع ملاقة مؤثر . ولا بد من أن يكون له وضع . ويلزمه أن يكون ذا ثقل وخفة ؛ إذ قد تبين أن الأجسام القابلة للتركيب والمزج . لهذه الصفة . وقد يطولون في هذا المعنى بما لا فائدة فيه .

فالفاعل من هذه الأجسام يفعل بالمماسية .

وقال قوم من الأقدمين إن الفاعل مالم ينفذ في ثقب خالية من المنفعل لم يفعل فيه . ولم يدروا أن غاية ما تنفيده هذه الثقب هي التمكن من زيادة اللقاء فإن حصل اللقاء من غير ثقب حصل الفعل في المنفعل ، وكان المغير بالذات هو اللقاء والمماسية . لكن الفاعل كلما كان أكثر مخالطة . كان الانفعال أفشى . والأجسام العنصرية إذا تلاققت فعل بعضها في بعض فكان كل واحد منها يفعل بضرورته ، وينفعل بمادته ، كالسيف يقطع بحديثه ويفل وينشلم بحديثه . ويفعل كل واحد منهما في ضده في النوع الشبيه له في الجنس المشارك في قوة مادته . وهذا الانفعال لا يزال يستمر إلى أحد أمرين :

إما أن يغلب بعضها بعضاً ، فيحيله إلى جوهره ، فيكون كوناً في نوع الغالب وفساداً للمغلوب .

وإما أن لا يبلغ الأمر بأحدهما . أن يغلب على الآخر حتى يحيل جوهره ؛ بل يحيل كلفيته إلى حد ليستقر الفعل والانفعال عليه ، ويحدث كيفية متشابهة فيها تسمى

(١) م : إذا كان // م : - ولأجل ذلك في هذا الموضع بالمماسية

(٣) م : وكأن (٤) ط : ملاقات مؤثرة // : - من (٧) م : والفاعل (٨) د : في المنفعل // م : - لم (٩) سا : هذا الثقب // م : المتكهن ، وفي سا ، ط : التمكن (١٠) سا : المعين (١٣) سا : تحديده ، وفي م // بحديثه ط : بضده في ضده م : الشبيه به .

(١٦) م : فساد الملول (١٧) م : قبل جوهره د : يغلب (١٨) م : «حد» مطبوسة // م ، ط : ويحدث // سا : فيها

المزاج ، وهذا الاجتماع يسمى الامتزاج . فإن وقع اجتماع كباين دقيق الخنطة والشعير ، ولم يجر فيما بينهما فعل أو انفعال فلم يسم ذلك امتزاجاً ، بل تركيباً واختلاطاً . ومن الناس من يستعمل في هذا الموضع لفظة الاختلاط مكان لفظة الامتزاج .

ثم قد أجمع المشاءون عن آخرهم أن الامتزاج لا يقع إذا كان البسيطان محفوظين ، ولو كانت البسائط تحفظ على حالها لما كان يوجب اجتماعهما لحماية أو عظمية ؛ بل لكان المركب إنما تخفى بسائطه حساً ، وهي موجودة فيه ، حتى لو كان الحس البصرى في غاية القوة على الإدراك ، لكان ذلك الإنسان يرى في اللحم ماء وأرضاً وناراً وهواء متميزات . فلا يكون حينئذ اللحم بالحقيقة لحمًا ؛ بل بحسب رؤية إنسان دون إنسان . قالوا : ولا إذا فسد أحدهما ، ولا إذا فسد كلاهما ؛ فإن الفاسدين لا يصلح أن يقال لهما ممتزجين ، ولا الفاسد والباقي .

ثم قال المعلم الأول ، بعد ذلك ، فالممتزجات ثابتة بالقوة . وقال ولكن الممتزجات قوتها ثابتة ، وعنى بالقوة الفعلية التي هي الصورة ولم يعن أنها تكون موجودة بالقوة التي تعتبر في الانفعالات التي تكون للمادة في ذاتها . فإن الرجل إنما أراد أن يدل على أمر يكون لها ، مع أنها لا تفسد . وإنما يكون ذلك إذا بقيت لها قوتها التي هي صورتها الذاتية . وأما القوة التي بمعنى الاستعداد في المادة فإنها تكون مع الفساد والرجوع إلى المادة ، أو قد تكون مع الفساد . فإنها لو فسدت أيضاً لكانت ثابتة بتلك القوة . فإن الفاسد هو ، بالقوة ، بشيء الذي كان أولاً ، ويرجع إليه .

ولكن المفسرون يتبلبلون في ذلك بسبب اضطرابهم في التفرقة بين الصور

(١) م : فإن - وقع اجتماع // ب : وقع امتزاج (٢،١) د : لم يجر // م ، سا : - فيما // م ، سا : لم يسم // م : - امتزاجا (٣) م : الوضع (٤) ب ، ط ، د : المشاءون // م اجتماع (٥) م ، ط : يحفظ (٦) م ، ط : يخفى // ط : حتى + أنه // م : الجسد البصرى (٧) د : - على // م : متميزات (٨) م : يجب رؤية (٧،٨،٩) سقط من م : « وقالوا : ولا إذا » إلى قوله « والباقي » (٩) سا : وإن الفاسدين // ط : من ولا الباقي (١٠) سا : - ثم // د : العلم الأول // سا : بل الممتزجات // ط : أو قال // د : للممتزجات (١١) م : لم يبين أنها في « د » : ولم يفن (١٢) // د : يصير ، وفي سا ، بصير // سا : بالانفعالات (١٤) د : بالذاتية // د : التي تعنى (١٥) // د : - والرجوع إلى المادة أو قد كور مع الفساد وقد شطبت هذه الكلمات من نسخة ط // م قد // د : وإنما لو فسرت (١٦) // د : الفساد // د : يرجع (١٧) سا : لكن // م : المفسرون

والأعراض الدالة على التفرقة بين الصور الطبيعية لهذه الأجرام وبين كيفياتها . ولظنهم أن هذه الكيفيات كلها أو بعضها صور لهذه الأجرام ، مع أنها تقبل الاشتداد والضعف ، فيقول أمثلهم طريقة : إن كيفياتها تكون محفوظة ومكسورة السورات ، فتكون الأجسام بالقوة خوالص .

٥ فلننظر في قولهم هذا ، فنقول : لا يخلو إما يعنوا بها ، وهي مثلاً ماء وأرض ثابتة بالقوة ، ماء وأرضاً ، أو على حكم كمالات الماء والأرض .

فإن جعلوها بالقوة ماء وأرضاً فقد فسدت . لسكنهم يقولون إنها لا تفسد ؛ بل سوراتها تنكسر وحجياتها تضعف . ومع ذلك فإن بعضهم يرى أن النار العنصرية غير ذات سورة . ولا محالة أن سوراتها تنكسر بتغير . وذلك التغير إما أن يكون لسلخ الماء ، مثلاً ، الصورة المائية ، حتى يصير لا ماء ، أو مع بقاء الصورة المائية حتى يكون الماء ماء والأرض أرضاً . فإن صارت بهذا التغير غير ماء وغير أرض فهذا فساد . وإن كان الماء ماء والأرض أرضاً ، ولم تبطل عن كل واحد منهما صورته التي إذا بطلت لم يكن ذلك ماء ، وهذا أرضاً ، لم تكن الاستحالة في طبيعة النوع ، وخصوصاً وقد سلموا أن الصور الجوهرية لا تقبل الأشد والأضعف .

١٥ وإن كانت الأرض قد انتقصت أرضيتها حتى صارت أرضاً ناقصة ، وكانت الأرضية تقبل الأشد والأضعف ، فإنما تنتقص أرضيتها لا محالة ، بدخول طبيعة أخرى ، لولا دخولها كانت تلك الطبيعة خالصة . والآن إنما دخل شطر منها ، فتكون مع أنها أرض ناقصة ، شيئاً آخر كمنار أو ماء مثلاً ناقصاً ، فيكون شيء واحد ناراً أو أرضاً معاً

(١) م : الصورة // م : الدال (٢) م ، سا : صورة // م : يقبل // ط : لا تقبل (٣) م السوارب (٤) م ، ط : فيكون (٦،٥) م : + أو ثابتة بالقوة ماء وأرضاً // د : - أو ثابتة بالقوة . (٨) م : ينكسر (٩،٨) د : - « وحجياتها تضعف » إلى قوله : « ولا محالة أن سوراتها تنكسر » (١٠) ط : للصورة // ط : بقاء صورة (١١) سا : عند التغير (١٢) د : - ماء // م ، سا ، ط : لم تبطل م : صورة // م ، - التي // م : يكن (١٤) ط : الصورة الجوهرية ، (١٥) م ، سا : فإن // م ، د : كان (١٦) ط : وإنما نقص وفي « م » : نقصت ، وفي « ب » سا : نقص (١٧) م ، ط : فيكون (١٨) // ط ، د : ناراً وأرضاً

ناقضتين . ويكون بالقياس إلى النار الصرفة أرضاً ، وبالقياس إلى الأرض الصرفة ناراً ، وهذا محال . فإن النار في عرض ناريتها ليست أرضاً ألبتة ، والأرض في عرض أرضيتها أرض ليست ناراً ألبتة .

- على أنهم يعترفون أن هذا الانكسار ليس إلا في الحر والبرد والرطوبة واليبوسة . وأنت تعلم أن الماء لا تزول مائيته بأن يسخن شديداً ، ويغلي فضلاً عن أن يفتر ، فيكون التغيير ، الذي يعرض ، إنما هو في الكمال الثاني للماء ، لا الكمال الأول الذي هو به ماء . فإذا كانت هذه الاستحالة لا تبطل طبيعة النوع فليست هذه هي الاستحالة التي في الجوهر . فهي لا محالة في كيف جوهر غير محفوظ في أنه مكيف .

- وأما المعلم الأول فقال إن قواها لا تبطل ، وعنى بها صورها وطبائنها التي هي مبادئ لهذه الكالات الثانية التي ، إذا زال العائق ، صدرت عنها الأفعال التي لها .
١٠ فحسب هؤلاء أنه يعنى القوى الاستعدادية ، ولو أن الهيولى الأولى كان يجوز أن تبقى مجردة لكانت قوى الأسطقسات الاستعدادية ، التي بها يقال للشيء إنه بالقوة نار أو أرض أو غير ذلك ، لا تبطل ، فضلاً عن المزاج الذي يصرح أنه ليس فيه فساد . فما تكون الفائدة في هذا الكلام ؟ .

- ١٥ فينبغي لنا أن نصرح ، عن الذي يحومون [حوله] ، ولا يدركونه ، أن كل واحد من الأسطقسات له صورة جوهرية بها هو ماهو ، ويتبع هذه الصورة الجوهرية كالات من باب الكيف ومن باب الكم ، ومن باب الأين ، فيتخصص كل جسم منها ببرد أو حر من جهة تلك الصورة ، ويبس ورطوبة من جهة المادة المقترنة بالصورة ، وبقدر من الكم

(١) م : ناقصين ، وفي «ب» ناقص ، وفي سا : ناقصا .

(٢) سا ، د : - أرضا ، وبالقياس إلى الأرض الصرفة ناراً (٣) ب ، ط ، د : وليست ،

(٣) م : - أرض (٤) د : - ليس (٥) د : تزول ما يليه // م : - ويغلي ، وفي ط : أو يغلي .

(٧) م : وإذا // م : في الاستحالة // د : - التي (٨) د : - غير (٩) م : - لا ، وفي «د»

قواتها لا تبطل // م ، ط ، د : مباد (١٠) م ، سا : الثابتة (١١) د : فحسبوا (١٢) ب ، د :

الاستقصات (١٥) سا : تصرح (١٥) فهكذا في «سا» بدلا من «حوله» ، وفي بقية النسخ : حومة

(١٦) ب ، د : الاستقصات (١٧) سا : ومن باب الأين (١٨) ب : ويبس // سا : مقترنة بالصورة .

طبيعى ، وبحركة طبيعية وسكون طبيعى ، فتكون تلك الصورة يفيض عنها فى ذات ذلك الجسم قوى ، بعضها مما لها بالقياس إلى المنفعل ، كالحرارة والبرودة الطبيعيتين ؛ وبعضها بالقياس إلى الفاعل للشكل كاليبوسة والرطوبة الطبيعيتين ؛ وبعضها بالقياس إلى الأجسام المكتنفة له ، كالحركة والسكون الطبيعيين .

• وإن الماء إنما يفيض ، فى جوهره ، عنه البرد إذا كان على طبيعته ، ولم يعق عائق كماء ينحدر إذا كان على طبيعته ولم يعق ، وإنه قد تفوته هذه الكيفية بقاسر فيسخن ، كما تفوته تلك الحركة وميلها بقاسر راجع إلى فوق محدث فيه ميلا غريباً .

وكما أن الماء إذا سخن فتصعد بالسخونة ، أو سخنت الأجزاء الأرضية أيضاً فتصعدت بالسخونة ، وكانت السخونة محدثة للميل إلى فوق ، لذلك إذا انبعثت السخونة عن الطباع أحدثت ذلك الميل عن الطباع . هذا إن سلم أن صعود الماء وصعود أجزاء الأرض إنما هو لتسخنها ، لا بمخالطة النارية المصعدة إياها . وسنوضح ذلك فى فن آخر . وإنما أوردنا ما أوردناه من ذلك تمثيلاً لا وضعاً .

ولو كانت البرودة المحسوسة صورة المائية لكانت المائية تفقد صورتها وهى مغلاة ، وليس كذلك ؛ بل هى عند الغليان ماء بعد . ولو كانت الرطوبة المحسوسة أيضاً صورة الماء لكان الجامد قد خرج عن طبيعة الماء وصورته ، وصار إما أسطقسا آخر ، وإما مركباً . وليس أحدهما .

ولو كان الميل الذى بالفعل صورة الماء لكان الماء المرجوح إلى فوق ، وقد صح أنه

-
- (١) ط : الطبيعى // ب : بحركة // م ، ط : فيكون // د : ويفيض
(٢،٣) د : - « المنفعل كالحرارة » إلى قوله « وبعضها بالقياس إلى » (٢) سا : - بالقياس (الاولى) (٣) م : الشكل ، وفى ط ، سا ، إلى المشكل // سا : كالرطوبة واليبوسة (٤،٣) د : - « وبعضها بالقياس إلى الأجسام » إلى قوله « كالحركة والسكون الطبيعيين » (٥) م ، ط : - له // كل النسخ ما عدا ط : - عائق (٦) م : - كماء ينحدر إذا كان على طبيعته ولم يعق // م : يعوقه // د : مسخن (٧) م ، ط : يفوته // م : ومثلاً // م ، د : زاج // ط ، د : فيحدث فيه (٨) م ، ط : فيصعد // ب : تصعد (٩) ب ، د : لكانت // د : - السخونة // د : انبعث (١١) م : من الطباع // ط : الطباع // ط ، د : - ذلك (١١) ط : لتسخينها // م : إلا بمخالطها (١٢) م : - ما أوردناه // م : فعلاً (١٥) سا : الحامل // نج : عن صورة الماء وطبيعته // د : - وصورته // ب ، د : استقصا (١٦) سا : المثل // سا : الفعل صورة لكان الماء ، وفى م : - لكان الماء // سا : المدرج

ينفذ ، بعد مفارقة الراج ، بميل يحدث فيه ، إما فاقد الصورة المائية ، وإما مجتمعاً فيه بالفعل ميلان : ميل مصعد وميل مهبط ، كل منهما بالفعل .

- وقد بان ، مما سلف ، أن الطبيعة غير هذا الميل ؛ بل هي مبدأ لهذا الميل . وكذلك فاعلم أن الطبيعة غير الكيف المذكور ؛ بل هي مبدأه . وقد علمت أن الطبيعة ، ليست مبدأ للحركة المكانية والسكون فيها فقط ؛ بل هي مبدأ لجميع الحركات التي بالطبع ، والسكونات التي بالطبع . وكذلك فاعلم أن طبيعة الماء هي التي تغير الماء إلى هذا الكيف وتحفظه عليه ؛ وأن تلك الطبيعة ، إذ لا اسم لها ، فيستعار لها من الفعل الصادر عنها اسم ، فتارة تسمى ثقلاً ، وتارة تسمى برودة ورطوبة . فإنها إذا اعتبر ما صدر عنها من الميل المهبط سميت ثقلاً ، وإنما هي مبدأ للثقل . وإذا اعتبر ما يصدر عنها من الكيفية سميت برداً ، وإنما هي مبدأ البرد . وهذا كما يسمى قوة في الإنسان نظقاً ١٠ أوضحكاً ، وإنما هي مبدأ النطق والضحك .

- وإذ قدمنا هذه المقدمات فنقول : إن الطبيعة المائية محفوظة في المتزج . وأما الكيفيات فهي منتقصة ، لا باطلة بطلاناً تاماً . فهذا القدر هو القدر من الاستحالة التي يوجبها المزاج ، فتكون السمالات التي تكون لكل نوع من العناصر معدومة بالفعل موجودة بالقوة القريبة ، كقوة النار على الضوء ، لا قوة الماء على الضوء . فلا تكون ١٥ العناصر موجودة بحالها مطلقاً ، محفوظة على ما هي عليه ، ولا فاسدة كلها ، ولا فاسدة بعضها . فيكون كل اسطقس من جهة نوعه ، أنه ماء مثلاً جسماً طبيعياً بصفة ؛ ومن جهة

(١) م :- فيه // سا : مجتمع فيه . (٣) م ، سا ، ط : فيها // د :- أن الطبيعة غير الكيف غير هذا الميل ، بل هي مبدأ هذا الميل (٤) م :- غير الكيف المذكور بل هي مبدأه . وقد علمت أن الطبيعة : (٦) د :- والسكونات التي بالطبع // م : فكذلك // م : الطبيعة الماء ، وفي د : طبيعة الهواء هو // ط ، م : يغير (٧) د : تحفظ . (٨) ط ، د : يصدر (٩) د : فإذا // م : صدر (١٠) ط : هذا (١١) د : إنما (١٢ ، ١٣ ، ١٤) سقط في م من «وأما الكيفيات» إلى قوله «لكل نوع» (١٣) سا : منتقضة ، وفي ط ، ب : منتقصة ، وفي د : منتقصة (١٥) م : ولا قوة // م ، ط : يكون // د : لا قوة الماء على (١٦) د : لحالها ب ، د : استقص (١٧) م : مثل حجم ب ، د : استقصا

كأله الثاني، أنه مثلا بارد بالفعل ، ركنا من أركان (العالم كاملا)؛ ومن جهة أنه انكسر بالمزاج أسطقسا في المركب . وكلما كانت الأجزاء أشد تصفرا كان أقرب إلى المزاج ؛ لأن كل واحد يكون أذعن للانفعال عما يكفه ، ويكون كل واحد أوصل في التأثير إلى كل واحد . فلذلك ما كانت الرطوبة أسهل امتزاجا إذا لم تكن لزجة . فإن المزجة أعسر انفصالا وانقسامًا . وأما الكبير مع الكبير فما يعسر وقوع الانفعال بينهما لضعف ما قلناه في الصغير . والكبير مع الصغير يفسد الصغير ، ولا يختلط به . وربما كان الصغير يؤثر في الكبير من غير أن يكون له قدر محسوس ، حتى يقال إنه قد اختلط به ، كما يفعله أصحاب دعوى الأكسير . فإنهم يبيضون نحاسا كثيرا برصاص مكلس يسير ، وبزرنينخ مصعد يسير ، فيكون كأنه يفعل فيه بلا زمان ويختلط به .

-
- (١) م : « ركنا من أركان » شبه مطبوسة (٢) ط : تصفيرا (٣) سا : يكفه ، وفي «م» يكتنفه ، وفي سا : يكفه (٤) م : عن كل // سا ، د : فمكذلك (٤-٦) // ط : « امتزاجا إذا لم يكن » حتى قوله : « ما قلناه » م : (٤) ب : امتزاجيا // م : لزوجة (٥) م : انفصالا .
- (٥) م : - مع الكبير // م : بينها (٦) د : قلنا // د : الصغر // د : ولا يحيط به .
- (٧) م : - يؤثر في الكبير // ط : مؤثرا // د ، ب : - قد (٨) د : يبيضوا .
- (٩) سا : كلس .

الفصل السابع

فصل في

إبطال مذهب محدث في المزاج

ولكن قوما قد اخترعوا ، في قرب زماننا ، مذهبا غريبا عجيبا ، وقالوا إن البسائط ، إذا امتزجت وانفعل بعضها ببعض ، تأدى ذلك بها إلى أن تخلع صورها ، فلا يكون لواحد منها صورته الخاصة ، وتلبس حينئذ صورة واحدة ، فيصير لها هيولى واحدة وصورة واحدة .

فمنهم من جعل تلك الصورة أمرا متوسطا بين صورها ذات (الحية) ، ويرى أن المتزج يستعد بذلك لقبول الصورة النوعية التي للمركبات .

ومنهم من جعل تلك الصورة صورة أخرى هي صورة النوعيات ، وجعل المزاج ١٠ أمرا عارضا لا صورة .

ولو كان هذا الرأي حقا ، لكان المركب ، إذا تسلطت عليه النار ، فعلت فيه فعلا متشابهها ، فلم يكن القرع والإنيق يميزه إلى شيء قاطر متبخر لا يثبت على النار ألبتة ، وإلى شيء أرضى لا يقطر ألبتة . فإنه ، إن كان كل جزء منه كالآخر ، تساوى

(١) م ، ط : الفصل السابع // سا ، ب ، ط د : فصل في (٤) م : - قد // سا : عجيبا غريبا .
(٥) م : - وانفعل بعضها ببعض // م : يتأدى ذلك بها // م ، ط : يخلع // ط : صدرها .
(٦) م : الخاصة // م ، ط : يلبس // م : - حينئذ (٧،٦) م : هيولى واحدة صورة .
(٨) م : جبل (١٠) د : فالتوعيات (١٢) د : المركبات // سا ، ب ، ط : تسلط ، وفي د : سلط // د : عليه فلا (١٣) سا ، بج : غيره إلى شيء // م : «مسجر» بدلا من «متبخر» (١٤) م : ولا يقطر ، وفي د : لا يفعل // د : - منه كالآخر // م : يساوى

الاستعداد في جميعه ؛ أو إن اختلف فعسى أن يكون اختلافه بالأشد والأضعف ، حتى كان بعض الأجزاء أسرع استعدادا ، وبعضها أبطأ استعدادا . ومع ذلك ، فما كان يكون ذلك فيها ، وهي متلبسة بصورة واحدة لا تمايز بينها ؛ بل لابد من تمايز . وذلك التمايز لا يخلو إما أن يكون بأمور عرضية ، أو صور جوهرية .

٥ فإن كانت أمورا عرضية فإما أن تكون من الأعراض التي تلزم طبيعة الشيء ، أو من الأعراض الواردة من خارج .

فإن كانت من الأعراض التي تلزم طبيعة الشيء فالطبائع التي تلزمها أعراض مختلفة هي مختلفة .

١٠ وإن كانت من أعراض وردت عليها من خارج فإما أن تكون الأجزاء الأرضية ، مثلا ، تقتضى ، في كل مثل ذلك التركيب ، أن تكون ، إذا امتزجت ، يعرض لها من خارج دائما مثل ذلك العارض ، أولا يقتضى . فإن كانت تقتضى وجب من ذلك أن يكون لها ، عند الامتزاج ، خاصية استعداد لقبول ذلك ، أو خاصية استعداد لحفظ ذلك ، ليس ذلك لغيرها .

١٥ وذلك الاستعداد إما أن يكون أمراً جوهرياً ، فيتمايز الجوهر ، فتكون البسائط متميزة في المركب بجواهرها ، أو أمراً عرضياً ، فيعود الكلام من رأس .

وإما أن لا تكون الأجزاء الأرضية ، مثلا ، تقتضى ، في كل مركب ، مثل ذلك التركيب ، أن تكون إذا امتزجت يلزمها من خارج ؛ بل ذلك قد يتفق في بعضها

(١) ط : - أو ، وفي د : وإن اختلف // م : اختلافها (٣) م : - وهي // ب ، د : مكتسبة ، وفي سا : - متلبسة // سا : بينها (٤) . د : بصور (٥) م ، ط : يلزم (٧) سا ، ب ، ط ، د : كان // م ، ط : يلزمها : // د : أعراضها // د : وهي (٩) ب ، ط ، د : كان // م ، يكون // سا : - وردت . (١٠) د : عرضت (١١) م : يقتضى // م : - فإن كانت تقتضى // ط : كان يقتضى . (١٢) د : وخاصية (١٤) سا : بالجوهر (١٥) م : بجوهرها (١٦) سا : أرضية // م ، ط : يقتضى

اتفاقا . ولو كان كذلك لكان ذلك الأقل ، ولم يكن كل مثل ذلك التركيب موجبا لاختلاف ذلك التميز ، وكان يمكن أن يوجد من اللحوم لحم من نوعه يقطر كله ، أو يرسب كله ، ولا يقطر . وكذلك كان يجب أن لا يكون التحليل معينا للحيوانات والنبات بإفناء مادة وإبقاء مادة ، أعنى فناء المتحلل الرطب ، وإبقاء اليابس .

ثم لننظر أن هذه العناصر ، إذا اجتمعت ، فما الذى يبطل صورها الجوهرية .
 فلا يخلو إما أن يظن أن النار ، مثلا ، تبطل صورة الأرض منها ، أو شيء خارج عنها ، يكون ذلك الشيء من شأنه أن يبطل صورتها إذا اجتمعت . فإن كانت النار تبطل صورة الأرض ، فإما أن تكون مبطلّة لصورة الأرض وناريتها موجودة ، أو مبطلّة وناريتها معدومة .

فإن أبطلت ، والنار معدومة ، فيكون إبطالها الصورة الأرضية بعد عدم النارية .
 أو مع عدم النارية . وعدم ناريتها في هذا الموضع إنما هو أيضا بسبب الأرض . والكلام في ذلك هو الكلام بعينه . فيكون حاصل ما ذكرناه أنه لما عدمت النارية والأرضية أبطلت إحداها صورة الأخرى ، وهذا محال .

وإما أن يكون شيء آخر خارج هو الذى يبطل صورة كل واحد منهما إذا اجتمعت .

فإن كان يحتاج في أبطال الصورة النارية ، مثلا ، وإعطاء الصورة الأخرى ، إلى الأرض ، والأرض موجودة ، أو الأرض معدومة ، فقد دخلت الأرض في هذه المعونة ، وعاد الكلام من رأس .

وإن كان لا يحتاج فلا حاجة إلى المزاج في سلب الصورة النارية وإعطاء الصورة

الأخرى ؛ بل البسيط يجوز أن تتكون عنه الكائنات بلا مزاج .

(١) م - ذلك // م : د // سا : لكان ذلك بالأقل // سا ، ب ، ط ، د : التركيبات موجبة .

(٣) ط : مغنيا ، وفي سا : مقسا // د : للحيوان (هـ) د : إذا امتزجت .

(٦) سا : نظن // م ، ط : يبطل (٦-٨) د : - « منها أو شيء » إلى « صورة الأرض »

(٦) سا : عنهما (٨) د : - تكون ، وفي م ، ط : يكون (١١) م : - أو مع عدم النارية :

(١٢) بخ : أو الأرضية (١٣) سا ، ب ، ط : أبطل أحدهما صورة الآخر // د : أبطل .

(١٤) د : واحدة // م : منها (١٥) سا : وإعطائه (١٦) م : أو للأرض (١٩) م ، ط : يتكون

وأما الاستحالة فلا يلزم فيها مثل هذا القول . فإن النار ، مثلا ، إذا كانت علة لتسخين مادة الأرض كانت علة ، وهي نار بالفعل ؛ وتسخن بسخونة موجودة فيها ، وإن انتقصت ؛ لأنها أيضا تقبل البرد بمادتها عن الأرض بالفعل . فتكون فاعلة بهيئة ومنفصلة بمادة . وتكون الهيئة ، عندما تفعل في المادة ، موجودة ، والمادة عندما تفعل موجودة ، فلا يعرض فيها هذا الشك .

لكن من الأمور المشكلة التي بالحرى أن تورد شكاً يؤيد القول الذي يختاره ويورده أصحاب هذا المذهب المحدث هو أنه إن كان الممتزج لا تتغير جواهر بسائطه ، وإنما تتغير كالاتها ، فتكون النار فيه موجودة ولكنها مفترقة قليلا ، والماء موجوداً ، ولكنه مسخن قليلا ، ثم يستفيد بالمزاج صوراً زائدة على صور البسائط ، وتكون تلك الصور ليست من الصور ، التي لا تسرى في الكل ، من الصور الاجتماعية ، مثل صورة التأليف كالأشكال والأعداد . فإن المغناطيسية واللحمية مثلا ليست من الصور التي تكون من هيئات اجتماع آحاد عدد أو آحاد مقادير ، حتى تكون للجملة ، أولا لواحد من آحاد الجملة . وإذا كان كذلك كانت هذه الصور سارية في كل جزء ، وكان الجزء الموجود من الأسطوانات في المركب ، وهو نار مستحيلة ولم تفسد ، قد اكتسب صورة اللحمية ، فيكون من شأن النار في نفسها ، إذا عرض لها نوع من الاستحالة ، أن تصير لها . وكذلك كل واحد من البسائط ، فيكون نوع من الكيف المحسوس ، وحد من

(٢) ب ، د : لتسخن (٢) سا : وهي بالفعل نار // م ، ط : يسخن (٣) م ، ط : يقبل // م : فيكون (٤،٣) ط : بهيئته ... بمادته (٤) وفي م ، ط : يفعل // م : عندما تفعل (الثانية) . (٥) م : عنها ، وفي د : منها . (٦) م ، ط : يورد // م : يؤثر القول ، وفي د : يزيد (٧) م : - ويورده ، وفي سا ، د : تورده // م : وهو // م ، ط ، سا : جوهر (٨) م ، ط : كما لأنه (٨) م ، ط : يتغير // م ، ط : فيكون // د : ولكنها مبردة // ط : موجود (٩) م ، سا : لكنه // ط : متسخن // م : صورة واحدة ، وفي سا : صوراً زائلة (١٠) م ، ط : الصورة // ط : يسرى ، وفي « د » لارى . // سا : صور (١١) م : والأشكال (١٣) سا ، الصورة // ط : كان (١٤) م : الاستقصات ، وفي ب ، د : الاستقصات // سا : « بارد » بدلا من « نار » // م ، ط : يفسد // سا ، ب ، ط ، د : اكتسبت (١٥) ط ، د : يصير (١٦) م : كذلك + حال .

حدود التوسط فيه بين الرطب واليابس ، والحر والبارد يعدّ الأجسام العنصرية لقبول اللحمية ، ولا تمنعها عن ذلك صورها ، كما لا يمنع صورة الأرض في الجزء المتدخن أن تقبل حرارة مصعّدة . فيكون حينئذ من شأن البسائط أن تقبل صورة هذه الأنواع وإن لم تتركب ؛ بل إذا استحالت فقط . فلا يكون إلى التركيب والمزاج حاجة ألبتة ، فنقول :

- أما أولاً فليس اعتراض هذه الشبهة على أحد المذهبين أولى من اعتراضها على الآخر . فإن صاحب هذا المذهب المخترع أيضاً يرى أن اجتماع العناصر شرط في حصول الصورة للتركيب بسبب ما يقع بينها من الفعل والانفعال ، وأنها أولاً يعرض لها الفعل والانفعال في كفيّاتها ، ثم يعرض لها أن تخلع صورة ، وتلبس صورة ، ولولا ذلك لما كان لتركيبها فائدة . وإذا تركبت فإنما يقع بينها تغير في كفيّاتها بالزيادة والنقصان ، حتى تستقر على الأمر الذي هو المزاج . ثم تحدث صورة أخرى يعد لها المزاج ؛ إذ لا يكون ما يظن أنه وارد بعد المزاج إلا المفرد . وكيف ما كان فذلك لاستحالتها في كفيّتها ، فيجب أيضاً من ذلك أن تلك الاستحالة إذا عرضت للمفرد منها قبل المفرد وحده تلك الصورة ، أو إن كان لا يقبلها ؛ لأن تلك الاستحالة يستحيل فيها إلا أن تتصغر أجزاؤها ، إلا أن تتجاوز فاعلة ومنفعلة على أوضاع مخصوصة ، وأن تكون تلك الصورة مستحيلة أن تستحفظ إلا بتلك المجاورة ، وأن الصورة لا تحل مادة لا تستحفظها ، أو غير هذا من العلل والمعاذير — فهو جواب مشترك للطائفتين معاً .

على أنه يشبه أن تكون الحدود المحتاج إليها من المزاج في تهيئة المادة لقبول الصورة

-
- (١) م : المتوسط فيه من // م : بعد (٢) م : ولا يمنعها من // د : - كما // م ، ط : يمنع // م : - صورة (٣) م : يقبل // ط : صور (٤) م : - وإن // م : يترتب ، وفي ط : يتركب // م ، د : استحالة // م : المركب (٦) د : المحدث بدلا من « المخترع » (٧) سا : بينهما . (٨) م ، ط : يخلع ... ويلبس (٩) د : فإذا (١٠) م ، ط : يستقر // د ، ب : - ثم . // بخ ، د : نو يحدث // ب ، د : او بدلا من « إذ » (١١) سا : نظن // ب : وأنه // د : - إلا المفرد // ط ، سا : - المفرد (١٣) سا ، ط : لا يقبله // سا : لا يستحيل (١٤) م ، د : يتجاوز // م : فاعلها ومنفعلها // م : محسوسة // م ، ط : يكون (١٥) م ، ط : يستحفظ . // ط ، د : - لا (١٦) سا ، د : المقادير // د : فهذا جواب (١٧) م ، ط : يكون

التركيبية لا تحصل ولا تبقى إلا بالمزاج. فهذا هو الذى يجب أن يعقل من أموجود البسائط
فى المركبات ؛ والذى يقع من الاضطراب فى إعراب القدماء عنه هو مالا يتميز لبعضهم
الصور التى بها النار نار والماء ماء عن هذه الكمالات التابعة.

على أن هؤلاء إذا سئلوا فقل لهم : ماتعون بقولكم إن الماء بارد ورطب إذا حد؟
ثم الماء هل هو برد بالفعل أم برد بالقوة ؟

فيقولون إننا نعى بذلك برداً بالقوة ، ولسنا نعى به البرد بالفعل . فيكون أخذهم البرد
فى حد الماء مصروفاً إلى وجود معنى فى المائية يقوى الماء على أن يبرد ؛ ومحال أن يبرد ،
ولا يتبرد . فيكون المأخوذ فى حد الماء هو القوة التى يصدر عنها التبريد بالفعل للماء ولما
يجاوره . وليس هذه القوة على البرد بالفعل كقوة النار على البرد بالفعل . وذلك لأن
النار تحتاج إلى أن تنسلخ صورتها عن مادة وتلبس صورة أخرى ، حتى تكون لها
هذه القوة .

وأما الماء فهذه القوة فيه قريبة جداً من الفعل لا تحتاج ، فى صدور الفعل منها ، إلا
إلى زوال المانع . فهذه القوة ليست قوة الهيمولى ؛ بل هى صورة زائدة على الهيمولى ،
فاعلة للبرد فى الماء . وفيما ينفع عنه بتوسطه .

وهم إذا قالوا إن العناصر بالامتزاج تنكسر حياتها ، وتصير بالقوة هى ما هى إنما
يعنون هذه القوة القريبة . فهذه القوة القريبة هى فصل حد كل واحد منهما . وإذا بقي
للشئ فصل حده لم تفسد صورته لاحالة .

(١) ب : نعقل // يخنعقل (٢) سا : إغراب // د : - هو (٣) سا : الصورة // م : التابعة .
(٤) د : رطب // طحدد (٦) ط : إنما (٧) م : فى الثانية // ط : فى الماء - به // د : يتبرد :
(٨، ٩) م : والماء تجاوزه (٩) سا : لقوة // سا : - بالفعل // م : وليس ذلك // وفى « ب » :
وذلك فإن (١٠) م ، ط : يحتاج ... ينسلخ ... يلبس ... يكون (١٢ ، ١٣) د : - « فيه قريبة
جداً » إلى قوله « فهذه القوة // وفى (١٢) ط : عنها (١٣) د : - قوة // ط : هى قوة صورة زائد .
(١٥) م ، ط : ينكسر // د : جسامتها // م ، ط : ويصير (١٧) ط : - حد // د : منها
// م : شئ فضل // م : يفسد // ط : فلم

فهم ، من وجه ، قد يشيرون إلى هذا ، وإن لم يتفق لهم التصريح به .
ثم هذا المزاج على وجوه :

إما أن يكون الحار من البسائط يسخن البارد مقدار ما يبرد البارد الحار . حتى يحصل أمر متوسط بين حميتي البرد والحار ، وكذلك بين الرطوبة واليبوسة ، فيسمى هذا الامتزاج معتدلاً مطلقاً .

فإن كان اعتدال بين الحار والبرد ، ولم يكن بين الرطوبة واليبوسة ، بل غلبت الرطوبة ، قيل مزاج رطب ، أو غلبت اليبوسة ، قيل مزاج يابس .

وإن كان الأمر بالعكس ، فكان اعتدال بين الرطوبة واليبوسة ، ولم يكن بين الحرارة والبرودة ، بل غلب الحار أو البرد قيل مزاج حار ، أو مزاج بارد .

فتكون هذه أمزجة خارجة عن الاعتدال خروجاً بسيطاً ، وذلك إذا استقر الفعل والانفعال على غلبة من أحد طرفي مضاد وعلى اعتدال بين الطرفين الآخرين . وبإزائها أربعة أخرى مركبة ، وذلك عندما لا يقع بين طرفي مضادة من المضادين اعتدال ، بل يكون الاستقرار على غلبتين ، فيكون حار يابس ، وبارد يابس ، وحار رطب ، وبارد رطب ؛ فتكون جميع الأمزجة تسعة ، معتدلة ، وأربعة بسائط ، وأربعة مركبات .

فإذ قد قلنا في الكون والاستحالة وما يتصل بهما ، وفرغنا من جميع ذلك فبالحرى أن نتكلم في النمو .

(٣) د : « يبرد البارد » مكررة // م : والحار . (٤) ط : هو متوسط // م : من حميتي ، وفي « د » بين جهتي (الأولى والثانية) . (٨) ط ، د : فإن // سا : الاعتدال (٩) ط : غلبت // سا : - مزاج . (١٠) م ، ط : فيكون (١١) د : طرفي مادة // م : على . (١٢) م : المضادين (١٣) م ، ط : فيكون // د : سبعة // ط : واحد معتدل (١٦) م : النحو

الفصل الثامن

فصل في

الكلام في النمو

- وأما النمو فإنه لا يكون إلا بزيادة ما ، ولا كل زيادة . فإن المتكاثف ، كالماء ، إذا
استحال هواء ، فزاد حجمه ، فقد فسد وحدث شيء آخر مع حجمه ، ولم يكن موصوفاً
بحركة الازدياد التي عرضت ؛ ولا أيقفاً إذا كان الموصوف باقياً ولم ينصف إليه زيادة
من خارج مثل الماء إذا تخلخل عند استحالته إلى السخونة ، وهو ماء بعد ؛ ولا كل
زيادة منضمة فإنه إذا التصق بالجسم جسم ، أو زيد على ماء ماء ، وكل واحد من المزيد
عليهما ساكن ، لم يستحل شيئاً ؛ وإنما انضاف إليه زيادة ، فلا يكون ذلك حركة النمو ؛ بل
يجب أن يكون الشيء الباقي بالنوع تحرك بكميته إلى الازدياد بما يدخل عليه ، ولا كل
ما كان أيضاً كذلك ؛ فإن الشيخ بعد وقوف النمو قد يسمن ، كما أن النامي في سن
النمو قد يهزل . وليس زيادة السمن من النمو ، كما ليس نقصان الهزال من الذبول ؛ بل
يجب أن يكون ذلك الازدياد مستمراً على تناسب مؤد إلى كمال النشوء ، ويكون الوارد
قد فسد واستحال إلى مشاكلة المورد عليه ، والمورود عليه قد نما ممتداً في الأقطار
متجهاً إلى كمال النشوء .

فيجب أن يكون هذا الوارد يداخل المورد عليه ، نافذاً في خلل تحدثه في جسمه

(١) م ، ط : الفصل الثامن (٣) سا : وهو الكلام (٦) د : الأزياد // ط : عرضت + نامياً
// م : يتصف إليه (٨) سا : متضمنة // ب ، د : أُلزق ، وفي بخ : الترق // سا : - جسم .
(٩) م : انضافت ، وفي « سا » : تضاف (١٠) ط ، م : الشيء الباقي + إما // د :
في النوع (١١) د : شيخ (١٢) م : وليست (١٣) م : كمال الشيء (١٤) ط : واستحال + كله .
// ط : نمتي // (١٥) م : النشاء (١٦) سا : إلى خلل :

يندفع له المورد عليه إلى أقطاره على نسبة واحدة في نوعه ، والنوع باق في شخصه .

ولو كان نفوذه في الخلاء لما كان يحتاج الجسم ، في أن يزداد ، إلى امتلاء مافيه من الأبعاد الخالية ؛ بل كان حجمه واحداً ، كانت الأبعاد خالية أو لم تكن .

وهذه الحركة مما تنسب إلى المتحرك بها من النبات والحيوان من جهة الحر . فإن

- ٥ الحيوان ، والنبات أيضاً ، قوامه من نفس وبدن . وهذا إنما يعرض العروض الأول للبدن ، ويعرض لبدنه من جهة مقداره . فهنا هيولى النامى الحامل لصورة جسمية ، وهاهنا للمقدار الذى لتلك الهيولى ، وههنا الصورة الشكلية الخلقية المحيطة بذلك المقدار . والهيولى دائمة التبدل ، فيشكل من أمرها . ولا يبعد أن يظن بها أنها عساها أن تأبى التحلل على كل قديم منها ، ويحصل للشخص في وقت من الأوقات جملة مادة غير الجملة الأولى . فلا تكون مادته هي الباقية الثابتة ، حتى يكون النمو والزيادة منسوباً إليها .
- ١٠ نسبة أولية .

فمن هذا لا يبعد أن لا ينسب النمو إلى مادة واحدة بعينها . وأيضاً ، فإن المادة

- لا تنمو ، لأن مادة واحدة بعينها ، وإن بقيت بقاء الدهر ، فإنها لا تصير بسبب النمو أعظم ، بل الأعظم هو المجتمع منها ومن الزيادة . وهى مع الزيادة على القدر الذى كانت عليه قبل الزيادة . وإنما الأزيد هو شيء آخر ، وهو هذا المجموع ؛ وهذا المجموع من حيث
- ١٥ هو مجموع إنما حدث الآن بانضمام الزيادة إلى الأصل . فلا المادة نامية ولا الزيادة .

وأيضاً فإن المقدار المحمول في المادة حكمه ، في الأمرين جميعاً ، هذا الحكم .

(٣) م : واحد // م ، ط : يكن (٤) ط : جهة الجزء (٥) د : قوله من // ط : التماء إنما .

(٦) د : الصورة (٧) م : وعنها الصورة (٨) د ، ط ، سا : دائم // ط ، د : أمره

// سا : نظن // ط ، د : به أنه // ط ، د : عساه // م : يأتي ، وفي ط ، د : يأبى (٩) سا : قد

نم // ط ، د : منه // ط : فيحصل (١٠) ط : فلا يكون (١٢) سا ، ط : بعينه (١٣) م : ينمى (١٣) د :

« إلا زيادة وحدة » بدلا من « لأن مادة واحدة » // ط : يصير (١٤) سا : - وهى مع الزيادة

(١٥) م : - وهذا المجموع .

والصورة أيضاً يقبح ما يظن فيها من أنها تحفظ تبديل للمادة ، حتى يكون البناء المركب من الآجر إذا انتزع منه آجرة آجرة ، حتى يبدل الآجر كله يكون هو بعينه البناء الأول بالعدد ، ويكون الشكل والصورة ، تنتقل ، وهي واحدة بعينها بالعدد من مادة إلى أخرى . وهذا من المحال ؛ بل إنما (نتم) ذلك بأن تبطل الصورة الأولى من البناء مع انتقاض حاملها ، وتحدث صورة أخرى شبيهة بالأولى . وهذا شيء قد سلف منا بيانه .

وأيضاً إن تبدل بعض المادة ، فيجب أن يعلم أن الصورة ليست واحدة بعينها . ولا يلتفت إلى ما يقولون . وذلك أن الباقي من الصورة في بعض الباقي من المادة هو جزء الصورة . ولعمري إنه لم يحدث إلا من جهة ليس كلامنا في مثلها . وأما البعض الآخر من الصورة ، وهي التي في المادة المتجددة ، فليس هو الأول بعينه ، كما علمت في متبدل المادة بأسرها ، وإنما هو مثل الأول . وإذا كان صورة الكل في هذا الموضع هي جملة الباقية والحادثة ، وليست هي الجملة الباقية ، والصورة الباقية بجملتها هي جملة باقية ، فليست الصورة باقية عند النمو . فينبغي لنا أن نطلب المخلص من هذه الشبهة ، فنقول :

يجب أن نعلم أن أنواع النبات والحيوان لا يستبدل ألبتة منها جميع المادة ، ولا يتحلل عنها جميع المادة ؛ بل يتحلل ، في أول الأمر ، اللطيف المتحلل منه ، ويستمد بدله . وإن تحلل الكثيف منه فإنما يتحلل آخر الأمر . ويتحلل القليل منه ، ويبقى في الجملة على الاستمرار ما يستحفظ القوى والصور الواجبة . والنفس إن كانت محتاجة في قوامها إلى المادة ، أو كانت محتاجة ، في أفعالها الأولى ، إلى المادة ، فإن انضم إليها

(١) م : يفتح : في سا : يصح // ط : تنحفظ (٢) سا : - الآجر // ط : آجر ، آجر وفي م : آخره آخره // ط : يتبدل // م : الآخر ، وفي ط : الأجزاء // م : كان يكون (٣) سا : ينتقل // م : - من مادة (٤) د : يتم // م : - بأن (٥) ط : ويحدث (٦) م : يبدل (٧) ط : لأن ط : هو // م : هي (٨) م ، سا : مثله // سا : - البعض (١٠) م : المتبدل // م : الأولى (٣) م : إذا // ط ، د : - كان (١١) د : هو جملة ، وفي ط « الجملة » // سا : - وليست هي الجملة الباقية (١٢) م : الملخص (١٣) ط : يعلم // سا : « نوع » بدلا من « منها » (١٤) ط : - « ولا يتحلل عنها جميع المادة » // ط : المتحلل منها د : المتخلل منه // م : منها (الثانية) (١٥) ط : الآخر . (١٦) ط : والصورة . (١٧) ب : وكانت

شيء استحال إليها ، وزاد فيها وفي كمالات القوة المستحفظة بالاولى التى هى قائمة بالمادة .
 فيكون كأن في كمالات تلك القوة شيئاً قديماً وشيئاً منضافاً إليه ، أو تكون الصورة
 والقوة هى تلك القديمة ، وإنما انضاف إليها كمالاتها ، وتكون الجملة ليست هى القديمة
 بل حادثة من القوى ، ويكون الأول لم يبطل ؛ وإنما انضاف إليه ما صار به أكمل .

- ولو كانت المادة تتبدل لكانت الأنداب والشامات قد تبدلت . فالباقي فى الشخص
 من مادته هو ما تستحفظ به الصورة الاولى الأصلية . ومن الصور القائمة فى المادة التى
 لا تتبدل بنها صورة النوع . وأما القوى التى هى الكمالات الثانية لصورة النوع فقد
 ينضاف إليها الزيادة والمقادير . فقد تكون الاولى منها المحفوظة بالمادة المحفوظة باقية ،
 وتنضاف إليها زيادة تتميز عن الاول فى القوام والاستحكام لتأخره . فيكون هو أيضا
 معرضا للتحلل قبل المادة الاولى .

١٠

وأما الشكل والخلقة فمن جملة أمور عارضة لازمة للصورة النوعية ، أو عارضة
 غير لازمة .

- فالباقي فى هذه الحركة التى هى النمو ، هو الصورة النوعية ، والزايد هو المقدار
 فى أول الأمر ، ثم الصورة الشكلية والخلقية لأجل المقدار . فإنها تصير أزيد لأن الصورة
 الواحدة الشكلية بعينها تصير أصغر وأكبر . فإنها تكون فى المقدار الذى هو أخص
 أصغر ، وفى الأزيد أكبر . والمقدار أيضا كذلك قد لا يكون أولا ناقصا ، ثم إذا
 أضيف إليه الغذاء المنمى صار أعظم ؛ لأنه مجموع مقدارين ، لا أن المضاف إليه نفسه
 صار أعظم ؛ بل هو كما كان . إنما الأعظم هو المجموع . وأما الشيء الذى له هذه المادة ،

١٥

- (١) سا : بالاول
 (٢) م ، ط : كانه ... شيء قديم و شيء منضاف
 وفى « د » كأن ... شيء قديم و شيء منضاف // م ، ط : أو يكون (٤، ٣) م : - « إليها كمالاتها ..
 إلى قوله » وإنما انضاف « // د : من حادثة (٥) ط : يتبدل // د : الأبدان // د : - الشخصى
 من (٦) ط : ومن الصورة (٧) م : - وأما القوى التى هى الكمالات الثانية لصورة النوع .
 (٨) سا ، بخ : الاول (٩) م ، ط : ينضاف // م : حيز عن (١٠) سا ، د : يعرض التحلل // د :
 فى الاولى (١٤) م : « الاول » بدلا من « أول الأمر » // سا : أو الخلقية // م : يصير .
 (١٥) م ، ط : يصير // م : وأقصر (١٦) سا : وفى المقدار // م : فلا يكون .
 (١٧) م : - المنمى // د : للمضاف إليه .

حين له هذا الشكل ، فهو نوع الشيء ، وهو باق واحدا بعينه بلا اختلاف ، وهو الذى
تصير مادته مادة مضافا إليها زيادة ولا ينمو . فإن النمو والازدياد فى الحجم ليس
مما يعرض لمثلها من الصور الطبيعية التى ليست مقدارا ولا عرضا من الأعراض
الذاتية للمقدار .

٥ ولا المقدار نفسه ينمو . فإنه كما كان فى نفسه ، والزيادة لم تجعله أعظم ؛ بل أحدثت
مجموعا منه ، ومعها عظيما .

وأما الصورة الشكلية فهى التى تنمى ، أى أن كل جزء من الصورة يصير أعظم
مما كان ، ولا كذلك المادة ولا المقدار .

فالمتحرك أولا هو النوع ، وحركته هى فى صورة الشكل والخلقة بوساطة المادة
ثم المقدار النامى . فالنوع هو النامى ، أى هو الزائد فى مقدار خلقته بسبب مادته ومقدارها . ١٠

فهكذا ينبغى أن يعقل أمر النمو . والنامى هو الغذاء . وهو غذاء ومنم . وهو غذاء
من جهة ما هو شبيه بالشيء بالقوة يقوم بدل ما يتحلل منه . وهو منم من جهة ماله
مقدار يزيد فى مقدار النامى . والغذاء هو الذى يقوم بدل ما يتحلل بالاستحالة إلى نوعه .

فقد يقال له غذاء ، وهو بعد بالقوة مثل الخنطة . وقد يقال له غذاء إذا لم يحتاج إلى غير
الالتصاق والانقصاد فقط ، وقد حصل له التشبه فى الكيف . وقد يقال له غذاء ، وقد ١٥
غذا وصار لحما . والغذاء (تم) منفعة فى كونه غذاء بأن يتشبه ويلتصق ، فأسمى بدل
ما يتحلل . فإن لم يتشبه كمادة البرص ، كان غذاء ، لا فى كمال أحواله . وإن تشبه

(١) م : حتى // سا ، د : من حيث هو باق واحد (٢) م : منضافا // م : ينمى (٣) د : بمثلها // سا :
من (٤) سا ، د : الثابتة المقدار (٥) م : ينمى // د : فإنه كما كان فى نفسه + ينمو .
// م ، ط : يجعله (٧) م : ينمى // ط : الصورة الشكلية (٩) م : - مى // سا : بوساطته
(١٠) سا : الذى هو الزائد // سا : مقاديرها (١) د ، ط : فهو غذاء // د : منمى // سا : - وهو غذاء
(الثانية) // سا : منمى (١٤) م : فقد يقال (الأولى) // د : بعد // سا : يحتاج (١٥) سا : -
فقط // سا : النسبة بدلا من « التشبه » (١٦) ط : غذى // م ، ط ، د : يتم // ب ، سا : فأثما
(١٨) م : وإن لم يتشبه (الثانية) ط : وإن تشبه

ولم يلتصق كمادة الاستسقاء الزقي لم يكن غذاء بالفعل نافعا في كمال أحواله ؛ بل يجب أن يتشبه ويلتصق معا ، حتى يغذو غذاء طبيعيا .

والغذاء الأول ، أعنى التشبه بالقوة هو جوهر لا محالة . فإنه يستحيل أن يكون غير الجوهر جوهرًا بالقوة . ويجب أن يكون جوهرًا غير ممتنع عن أن يكون له مقدار طبيعي ، وإلا لم يتكون عنه جسم طبيعي . فلا يخلو إما أن يكون ذلك له بالفعل عند ما هو شبيه بالقوة ، أو يكون بالقوة . فإن كان بالقوة فهو هيولى مجردة ، ويستحيل قوامها إلا مقارنا لصورة جسمانية . فهى ، إذن ، تكون مقارنة لصورة جسمانية ، وتلك الصورة الجسمية تزول عند قبولها هذه الصورة .

ولا نطول الكلام في بيان أن تلك الصورة تكون صورة جسمية له ، لا لغيره ، وإلا كان مع هذه الهيولى هيولى أخرى في صورة واحدة ، وصار جسمان في جسم ، ١٠ وغير ذلك .

فليس إلى ذلك للمحصلين حاجة ؛ بل يكفيننا أن نعلم أن تلك الهيولى ، لما قارنتها صورة جسمية ، قبل هذه ، فقد كانت الجسمية موجودة لها قبل ؛ وكان الشبيه بالقوة جسما بالفعل ، ولا يجوز أن يكون الجسم الكلى العام ؛ فإن ذلك لا وجود له إلا فى الوهم ؛ بل هو جسم ما شخصى . فغذاء كل جسم شخصى ، ومبدأ إحالة الغذاء موجود فى المعتدى ؛ ١٥ لأن القوة المشبهة موجودة فيه ؛ ومبدأ النمو ، وهو الذى يلصق بالنامى ما هو يزيد فى كميته ، هو أيضا فى النامى . لكن كمية الغذاء شئ يصير أيضا كمية المعتدى أكبر . فهو أيضا مبدأ للنمو ، وهو فى الغذاء .

(١) د : الذق ، وفى « سا » اللحمى // د : بالعقل (٢) ط ، سا : يغذو (٣) م : هى (٥) د : فلا يخلوا // ط : له ذلك (٧) د : لا مقارنا // م : مقارنة بصورة // ب وبخ : وهى // م : — تكون // ط : يكون مقارنته (٨) م ، ط : يزول (٩) د ، سا : — تكون (١٠) د : هيولى آخر (١٢) م : فى ذلك (١٣) ط : + وكانبقى أن الشبيه (١٣) جميع النسخ ما عدا م ، ب : جسم ، وهنا زيادة فى ط : وكان الشبيه بالقوة يصير جسما بالفعل (١٥) م ، ط : حالة الغذاء (١٦) م : — هو (الثانية) (١٧) سا : وهو // سا : — أيضا (الثانية) // م ، د : أكثر

وقد يتفق أن يكون الذى به يقع النمو محيلا . وذلك إذا لم تقدر القوة المشبهة أن تكمل تشبيهه في جوهره وكيفه ، أو يكون أول ما يرد يؤثر في البدن ، ثم يكر عليه البدن فيؤثر فيه ، ويحمله إذا كان قد استرخت قوته في موافقة من المقتضى ، مثل النوم ؛ فإنه يغذو النامى ويسخنه معا والمربى بالفعل شبيه بالفعل ، والمربى الذى هو بعد غذاء لم يستحل شبيه بالقوة . وربما كان ضداً أو متوسطاً ، وربما لم يكن ضداً ؛ فإن الحنطة ليست ضداً للدم ، وإنما هي غذاء من طريق ماهى حنطة ، لامن طريق ماهى حار وبارد فقط .

فليكن هذا كافياً فيما يجب أن نقول في أمر المربى والمنمى وهو الغذاء من حيث له مقدار يزيد فيما يغذوه . فخرى بنا الآن أن تنتقل إلى إيضاح القول في الأسطقات وعددها .

(١) م : محلا ، وفى سا ، د : محيلا // م ، ط : يقدر (٢) م ، ط : يكمل // ب : تشبهه // ط ، د : كيفيته // ط : فيؤثر (٣) ط : ويجعله بدلا من « ويحمله » // م : مريحة ، وفى سا استوجب بدلا من « استرخت » (٤ ، ٣) م : مثل النوع . (٤) ب : سببه بالفعل (٥) د : - ضدا (الثانية) (٦) د : فالحنطة (٧) ط : حارة وباردة (٩) ط : تنقل // م ، د : الاستقسات ، وفى ب : الاستقسات .

الفصل التاسع

فصل في

إبانة عدد الأسطقات

وقد سبق منا القول إنه لا يصح أن يكون الأسطقس واحداً ، وكيف يكون ذلك . وقد علمت أنه لا يصح أن يكون ماهو في جوهره نار ماء ، أو ماء نارا ، أو أرض هواء ، أو هواء أرضا . وكيف يكون ذلك ، وههنا فعل وانفعال بقوى متضادة لا تنبعث عن صورة متفقة ؛ بل إنما تنبعث عن صورة مختلفة . والصورة المختلفة تستحق تنويعات مختلفة ، ولا فضل لصورة على أخرى ، حتى يجعل تركيبها مع العنصر اسطقسا بالتخصيص دون غيره .

- ١٠ وإذ هذان المتضح الذي لاشك فيه فتضح ، لاشك فيه ، أن الأسطقس ليس بواحد . فهو إذن كثير . ومعلوم أنه ليس بكثير غير متناه . فبقي أن تكون الأسطقات كثيرة متناهية .

- وينبغي أن تكون ذات صور يصدر عنها ، فيما بينها ، فعل وانفعال ، حتى تكون أسطقات تتكون منها المركبات بالامتزاج ، وأن تكون الكيفيات الصادرة عن صورها أقدم الكيفيات المتفاعلة ، ولأنها أسطقات لهذه الأجسام المحسوسة ليست أسطقات
- ١٥

(١) م ط : الفصل التاسع ، وفي د : فصل التاسع ، وفي بقية النسخ « فصل في »
(٣) د ، ب : الاستقصات (٤) م ، ب : الاستقص (٥) م : ماء نارا (الأولى) // أو نار ماء (الثانية)
(٦) م ، ط : ينبعث (٧) ط ، د : صور مختلفة والصور // ط : تستحق (٨) د : فصل // م : تركيبها
// م ، د : استقصا // م : بالتحقيق (١٠) م ، ب : الاستقص (١١) سا ، ب : فهو إذا
م ، ب : الاستقصات (١٣) م ، ط : أن يكون ... يصدر (١٤) م ، ب : استقصات // م ، ط :
يتكون // م : بالكيفيات (١٥) ط : أقدم من // م ، ب : استقصات

للأجسام الموهومة ، فيجب أن تكون الكيفيات التي تخصها كيفيات محسوسة .
ومن شأن الحاس أن يشعر بفعلها فيه .

والكيفيات المحسوسة متصنفة بحسب تصنيف الحواس ، لكن الكيفيات التي
تخص حس البصر كالألوان ، أو حس السمع كالأصوات ، أو حس الشم كالروائح ،
أو حس الذوق كالطعوم ، ليست من الكيفيات الأولى في هذه الأجسام العنصرية ،
ولا من المشترك فيها . فإن المركبات أنفسها قد توجد خالية عن أطرافها ووسايطها .
وإنما تحدث في المركبات ، بعد تفاعل يقع منها في كيفيات قبلها . وهذا يدل عليه
الاستقراء الصناعي .

وأما الكيفيات الموهومة فلا يخلو عنها وعن وسايطها جسم من الأجسام المستقيمة
الحركة . ولا جسم منها إلا وطرف من أطراف مضادتها موجود فيه ، أو ضده ، أو هو
قابل له أو لضده . فينبغي أن تكون الفصول الأولى للأجسام الأولى منها محصلة بهذه
الكيفيات ، دون الطعوم والروائح والألوان .

وأما الكيفيات الأخرى المتقدمة لسائر الكيفيات مما لا يحس إحساساً أولياً باللمس
مثل الشكل ، ومثل الخفة والثقل ، وأشياء سنعدها ، فإنها لا تفيد الفصول التي نحن
في طلبها .

أما الشكل فلأن الطبيعي فيه متشابه البسايط ، فلا ينفصل به ، ولو كان مختلفاً أيضاً
لما صلح أن يقع به فعل أو انفعال . والقسرى أبعد من ذلك .

وأما الخفة والثقل فبالحرى أن تفيد الفصول للأجسام الأسطقسية . لكنه لا يفيد

(١) في سا: سقط: «ليست اسطقسات للأجسام الموهوبة فيجب أن تكون زيادة في م وهي : أن
تكون متصنفة بحسب تصنيف الحواس لكن» // سا : - الكيفيات التي تخصها // إلى قوله تصنيف
(٤) ط : يحص // سا: حسن (٥) م : بحس (الذوق) (٦) م : توصد // م : - خالية (٧) م ، ط :
يحدث // م ، سا : بينها // م : «أنات» بدلا «كيفيات (١٠) ط : موجودة (١١) م ، ط : يكون
// م : الفضول // ط : لهذه (١٣) ب : حجبا لا يحس // ب : فما (١٧٠١٤) م ، ط : يفيد
(١٦) سا : تنفصل (١٧) ط : يصلح (١٨) ب : الاستقصية

ولا واحد منها الفصل الذى هو به أسطقس . فإن الفصل الذى به الأسطقس أسطقس هو الذى به يفعل وينفعل الفعل والانفعال الذى به يتم المزاج ، وذانك فى الكيف ، لأن الأسطقس إنما هو أسطقس للمتزج ، ولا فعل ولا انفعال ، فى باب الكيف ، يصدر عن الخفة والنقل . وإنما توجب الخفة والنقل بالذات انفعالا فى الحركة المكانية .

- و يجب هنا أن نتذكر ما سلف من قولنا إن الماء ، مثلا ، ليس كونه ماء هو كونه
 أسطقسا ، وليس كونه أسطقسا هو كونه جزءا من العالم ، وله قياس إلى تقويمه العالم
 وله قياس إلى تقويمه المركب . ومن حيث هو ماء يجب أن يكون فى طباعه أن يرجحن ، وأن
 يكون باردا رطبا إذا لم يعق ، ومن حيث هو جزء من العالم فالأنفع له النقل المحصل له فى حيزه
 الطبيعى ، وهو الأعون له على استكمال معنى كونه جزءا من العالم . ومن حيث هو جزء من المركب
 وأسطقس فلا يعين فيه النقل الذى له ، ولا الخفة التى له ، اللذان بهما تصير ، إلى موضعه ،
 كل المعونة ؛ بل كأنهما يناقضان مناقضة ما للنفعة المطلوبة فى الأسطقس من حيث هو
 أسطقس عند كونه أسطقسا . إنما يكون الأولى به مفارقتة لمكانه الطبيعى ، ومصيره إلى
 مشابهة أصداده ؛ بل إنما يكون الأنفع له والأعون إن كان ماء ، أن يكون باردا رطبا يفعل
 بهما وينفعل ، حتى يستفيد المزاج . وإن كان نارا فضد ذلك ، وهو أن يكون حارا يابساً .
 وأما ثقل ذاك وخفة هذا فقليل (النفع) أو مضادا النفع فيما يحتاج إليه فى (المزاج) ؛ لأنهما يدعوان
 إلى التباين والتناهى ، لا إلى الاجتماع والتلازم ، ولا لهما فى الاجتماع تأثير فى المجتمع سار فيه .

(١) ط : للفصل م ، ب : استقص // د : - الاستقص استقص // ب ، م : الاستقص استقص
 (٢) د : يتم به // ط ، د : وذلك ، (٣) م ، ب : الاستقص ... استقص // م ، ط :
 للمزاج (٤) م ، د ، سا : إنما (٤) م ، ط : يوجب // ط : المكانية + لافى الكيف
 (٦) م ، ب : استقصا // م : - اسطقسا هو كونه // ط : جزء // ب : - له قياس د : +
 وذلك لأنه فى نفسه ماء ، ط : العالمى // سا : - له (الناحية) (٧) د : من حيث ما هو // م : - فى
 (٨) سا : - من // ط : للعالم // سا : من حيز (٩) م : لاهون (١٠) م ، ب : استقص د : «العين»
 بدلا من فلا يعين // د : الذى له بدلا من «الذات بهما» // م ، ط : بصير (١١) د : من الإسطقس // م ، ب :
 الاستقص (١٢) م ، ب : استقص // د : فإن الأسطقس عند كونه استقسا // م ، ب : استقصا // م :
 الأولى بمفارقتة (١٣) م : الأعوان // د : - ماء أن يكون (١٤) د : ذلك (١٥) م : - هذا // م :
 مضاد النفع // سا ، د : فا (١٦) ط ، د : التبادى ، وفى م : التبارى د : + والتبادى لا إلى
 الاجتماع (١٦) د : التلازم

وكذلك إن كانت من الكيفيات كيفيات ، مثل الثقل والخفة ، لا تقع في الفعل والافعال ، فلا تكون داخلة في الفصول التي بها تصير الأجسام البسيطة أسطقسات من حيث تصير أسطقسات .

ثم إن الكيفيات المنسوبة إلى اللمس مختلفة المراتب . فليس كلها في درجة واحدة ؛ بل بعضها أقدم من بعض . ويشتمل على جملتها هذا التعديد ؛ وذلك أن الكيفيات الملموسة هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، واللطافة والغلظ ، والزوجة والمهاشة والجفاف والبلة ، والصلابة واللين ، والخشونة والملاسة .

واللطف يقع على معنيين: أحدهما رقة القوام ، والآخر قبول القسمة إلى أجزاء صغيرة جدا . والغلظ يقابلها ويشبه أن يكون التخلخل مشابها لللطيف بالمعنى الأول ، إلا أن التخلخل يستدعى معنى زائداً على الرقة ، وإن كان تابعاً لها ، حتى تكون الرقة تدل عليه دلالة الملزوم .

والتخلخل يدل عليه دلالة المتضمن . وذلك لأن التخلخل هو اسم واقع على معنيين . أحدهما : أن تكون المادة انبسطت في الكم مترققة . فيتضمن هذا المعنى مع الرقة إزدیاد حجم ، وتكون فيه إضافة إلى شيء آخر ، أو غير يكون أصغر حجماً .

وأما الآخر فكالماء للهواء . أما الغير فكالماء الواحد لنفسه ، إذا كان أشد تكاثفاً فصار أشد تخلخلًا ، ولو لم تكن هذه الإضافة لكان الأولى بالمعنى اسم اللطافة والرقة .

ويقال تخلخل لتباعد أجزاء الجسم بعضها عن بعض على فرج يشغلها ما هو اللطف من الجسم ، وتكون جملة الاتصال بينها لم تفقد ؛ بل بين أجزائها تعلق ثابت ،

(١) د: لا ينفل سا : كان: (٢، ١) م : الاتفعال والفعل // ط: يصير // م: ب: استقصات (٤) د: اللمسي (٥) م : فإن بعضها : (٩) سا ، د : يقابلها // ط : اللطف (١٠) م : تابعا له (١١) م : لا له الملزوم (١٢) م : على دلالة (١٣) م : مترققة (١٤) م ، سا ، د : يكون // م : - إلى ، وفي ط : إضافة شيء إلى // م : أو غير أو يكون ، وفي سا ، ط ، د : أو غير شيء (١٥) سا : أما // م : فكالماء // ط : والهواء (١٦) سا : فيكون أشد (١٦) م : بهذه (٩) م ، ط : ويكون // ط : بينهما // د : ينقل // د : بعلو

فلا يتبرأ بعضها من بعض تبرؤا تاما . وهذا غير مشتغل به في هذا الغرض .

لكن اللطيف ، والمتخلخل على أول الوجهين ، وفيه الكلام ، غير نافع في الفعل والانفعال إلا بالعرض ، وهما جاريان مجرى الخفة والثقل ؛ ويكادان يلزامهما ، حتى أن كل ماهو أثقل فهو أغلظ وأشد تكاثفا .

- وأما الزوجة فإنها كيفية مزاجية لا بسيطة . وذلك أن اللزج هو ما يسهل تشكله ، بأي شكل أزيد ، ويعسر تفريقه ، بل يمتد متصلا . فهو مؤلف من رطب ويابس شديدي الالتحام والامتزاج . فإذا عانه من الرطب ، واستمسك من اليابس ، وإنك إن أخذت ترابا وماء ، وجهدت في جمعها بالدق والتخمير ، حتى اشتد امتزاجهما ، حدث لك جسم لزج .

- ١٠ والهش ، الذي يخالفه ، هو الذي يصعب تشكله . ويسهل تفريقه . وذلك لغلبة اليابس فيه ، وقلة الرطب ، مع ضعف المزاج .

وأما البلة فمعلوم أن سببها رطوبة جسم رطب يمازج غيره . فإن ههنا رطب الجوهر ومبتلا ومنثقما .

فرطب الجوهر هو الجسم الذي كيفية الرطوبة تقارن مادته ، ويكون كونها له كونا أوليا ، مثل الماء .

١٥

وأما المبتل فهو الذي إنما يرطب برطوبة جسم غيره . وتلك الرطوبة لذلك الجسم أولية . لكن ذلك الجسم قد قارنه ، فقل إنه مبتل ، فيصلح أن يخص باسم المبتل

(١) م : يبرأ // سا : - من بعض . // في النسخ الأخرى تبرأ وفي ج متبردا (٢) سا : أحد وجهين ، وفي د : أحد الوجهين . (٣) ط ، د : ويكادان يلزاماه . وفي ب ، م : يلزاماه (٥) ج : لأن اللزج // م : بشكله ، وفي « ب » : تشكيكه (٦) د : يسهل تمويقه (٧) سا : فالإزعان ، وفي « د » فاذا عانة // سا : والاستمسك (٧ ، ٨) م : إذا أخذت (٨) ب ، ط : ماء وترابا (٨) ب : جمها // د : بالرق // م ، ب : مزاجهما (١٢) م : بمناع غيره // سا : وإن ههنا (١٣) ط ، د : ومبتل ومنثق (١٤) م : فالرطب الجوهر سا ، ط : رطيب // م ، ط ، سا : كيفيته // م ، ط يقارن // م : لوكونا (١٦) سا : ترطب // د : - غيره . وتلك الرطوبة // ج : غير // ج ، سا : تلك (١٧) سا : يختص

ما كان هذا الاسم جاريا على ظاهره ويصلح أن يقال على التعميم ، حتى يكون المبتل هو كل جسم مترطب رطوبة غريبة .

لكن المنتفع لا يكون منتفعا إلا بأن يكون الرطب الغريب جرى فيه ، ونفذ إلى باطنه . فالمنتفع من الوجه الأول كالنوع من المبتل ، ومن الوجه الثاني هو مباين له ، غير داخل فيه .

وقد يكون الجسم اليابس رطبا أو منتفعا ، ولا سواء رطوبة الغصن النضير ، ورطوبة الذاوى اليابس النقيع . فان جوهر هذا يابس ، وقد نفذ فيه رطب غريب ، وذلك جوهره رطب من نفسه ، فالجاف بازاء المبتل ، كما أن اليابس بازاء الرطب .

والصلابة واللين أيضاً من الكيفيات المزاجية . وذلك أن اللين هو الذى يقبل الغمز إلى باطنه ، ويكون له قوام غير سيال ينتقل عن وضعه ، ولا يقبل امتداد اللزج ولا يكون له سرعة تفرقه وتشكله : فيكون قبوله الغمز من الرطوبة ، وتماسكه من اليبوسة .

وأما الملاسة فنماها هو طبيعى ؛ ومنها ما هو مكتسب . والطبيعى لازم لكل جسم بسيط ، لوجوب إحاطة سطح واحد به تميز مختلفة الأجزاء فى التواء ، والانخفاض ، وبالجملة غير مختلفة الوضع ، فلا تختلف به الأجسام البسيطة .

لكن الملاسة قد تعتبر فى طبيعة الأجسام من جهة أخرى . وذلك أن من الأجسام ما يسهل تفريقه على الملاسة حتى يكون تمليسه سهلا على أى تفريق كان . فتكون الفصول التى تقع فيه إما أملس وإما سهل الحركة إلى الملاسة ، وهذا يتبع رطوبة جوهر الشيء .

(١) ط ، د : هذا الجسم (٢) ط : برطوبة (٣) م : المنتفع // م : منتفعا // م : إلا أن :
(٤) فالمنتفع (٦) د : - أو // م ، سا : منتفعا (٧) م : - الذاوى (٨) م ، سا ، ط : والجاف
// سا : الرطيب (١٠) سا ، ط : فينتقل // ط : من وضعه // م : امتزاج اللزاج
(١١) م : مختلف الوضع // ط : يختلف (١٦) م ، ط . يعتبر (١٧) د : سهل // م : - يكون
// م ، ط : فيكون (١٨) م ، ط : يقع // ط : فيها // م : ملساً ، وفى « د » : أملسا
// سا : سهلة

والخشونة ، في الجملة ، تقابل ذلك . فالملاسة والخشونة بالجملة ، لا يدخلان في الفعل والانفعال .

وبعد ذلك ، فالطبيعي لا يختلف به الأجسام ، والمواتى والعاصى يتبع الرطوبة واليبوسة التى فيه . فيرجع أكثر هذه الأشياء إلى الرطوبة واليبوسة ، لكن الرطوبة قد تقال للبلّة ، وقد تقال للكيفية ، وكلامنا في رطوبة الكيفية .

ويتبع بعض الأجسام الرطوبة الجوهر أمر ، وهو الملاصقة والملازمة لما يمس من جنسه كما للماء ، حتى أن الجمهور يظنون أن الرطوبة حقيقة ههنا . لكنهم يشاهدون أن الجسم كلما كان أرق كان أقل التصاقا واستمساكا بما يلامسه ، وكلما كان أغلظ كان أشد وأكثر ملازمة .

- ١٠ والماء اللطيف الجيد إذا غمر فيه الإصبع كان ما يلزم الأصبع منه أقل مما يلزم من الماء الغليظ أو الدهن أو العسل . فإذن هذه الخاصية لا تلزم الجسم من جهة ما هو رطب مطلقا ، وإلا لكان ما هو أرطب وأرق من الرطوبات أشد لزوما والتصاقا ؛ بل هو لازم للكثافة والغلظ إذا اقترن بالرطوبة ؛ بل تبقى للرطوبة سهولة التحدد بغيرها والتشكل بغيرها ، مع سهولة الترك وضعف الإمساك ، كما أن اليابس يلزمه الثبات على ما يؤتاه من الشكل ، مع معاوقة في قبوله .

١٥ فيجب أن يتحقق أن الرطوبة هي الكيفية التى بها يكون الجسم قابلا للنحو الأول من القبول ، واليبوسة هي التى بها يكون الجسم قابلا للنحو الثانى من القبول . فلا يستبعد أن يكون الهواء رطبا ، وإن كان لا يلتصق ؛ إذ الالتصاق ليس لنفس

(١) م ، ط : يقابل (٣) م : - لا . (٤ ، ٥) م ، ط : يقال
(٦) ط : تماسه (٧) ب ، سا : كالماء (١٠) م : واما اللطيف (١١) م : إذن فهذه
// م ، ط : يلزم (١٢) ط ، د : هذا لازم (١٣) ط : اقتربنا // م ، ط : يبق
(١٤ ، ١٣) سا ، ب ، د : بغيره // د : - والتشكل بغيرها . (١٤) ط : الاستمساك
(١٤ ، ١٥) سا : نواه من الشكل (١٥) د : مع من (١٦) سا : فوجب //
د : - الجسم // ط : لنحو (١٧) ط ، د : هي + الكيفية // ط : لنحو .

كون الشيء رطباً، بل للغلظ . والهواء إذا غلظ، فصار ماء ، صار أيضاً على صفة الملازمة والاتصاق .

فالكيفيات الملموسة الأولى هي هذه الأربعة :

اثنتان منها فاعلتان ، وهما الحرارة والبرودة ، ولكونهما فاعلتين ما تحدان بالفعل ، بأن يقال إن الحرارة هي التي تفرق بين المختلفات ، وتجمع بين المتشاكلات ، كما تفعله النار . والبرودة هي التي تجمع بين المتشاكلات وغير المتشاكلات كما يفعل الماء .

واثنتان منفعلتان وهما الرطوبة واليبوسة . ولكونهما منفعلتين ما تحدان بالانفعال فقط . فيقال إن الرطوبة هي الكيفية التي بها يكون الجسم سهل الانحصار والتشكل بشكل الحاوي الغريب ، وسهل الترك له . واليبوسة هي الكيفية التي بها يعسر انحصار الجسم وتشكله من غيره ، وبها يعسر تركه لذلك . ولذلك فإن الجسمين الرطبين يسهل اتصالهما مع التماس ، ويصعب ، أو لا يمكن ، تفريقهما عن التماس المحفوظ إلى أن يتفرقا بل عن الاتصال بسهولة جدا . واليابس بالخلاف من ذلك .

فهذا ما تسمى تانك فاعلتين وهاتان منفعلتين ، وإن كان الحار والبارد كل واحد منهما يفعل في الآخر . كما يفعل منه . وكذلك كل واحد من الرطب واليابس يفعل في الآخر ، ويفعل منه . لكنه إذا قيس الحار والبارد إلى الرطب واليابس وجد الرطب واليابس لا يؤثران فيهما ، ووجدوا يؤثران في الرطب واليابس ، مما نعلمه بعد من حال الحل والعقد وغير ذلك .

-
- (١) سا : ماء صار ، وفي ط : وصار ، // وفي « د » : - فصار (٣) م : والكيفيات .
(٤) م : فاعلتان // م ، ب : فاعلتين // م : - ما // م ، ط : يحدان (٥) د : بالعقل
(٦) م ، ط : يفعله // سا : يفعله الماء (٧) م : ها // ط : - ما // م ، ط : يحدان
(٨) سا ، د : - فقط // م : سهل الانحصار (٩) د : القريب // د : يعتبر انحصار .
(١٠) سا ، د : تركها // م : - لذلك // وفي ط ، د : وكذلك (١١) م : انقصالها // ب :
فلا يمكن تفريقهما (١٢) م ، ط : - بل // سا ، د : في ذلك (١٣) م ، ط : يسمى // د :
فاعلتان // د : منفعلتان // سا : فإن كان (١٤) سا ، د : عنه .
(١٦، ١٥) سا : الرطيب (١٦) ط : كما تعلمه // م : بعيد .

فهذه الأربعة هي الأوائل . ويتركب منها أربع مزاجات صحيحة . فيكون من الأجرام للبيئة جرم تتبع طبيعته كيفية الحر واليبوسة ، وآخر تتبع طبيعته الحر والرطوبة ؛ وآخر تتبع طبيعته البرد والرطوبة ؛ وآخر تتبع طبيعته البرد واليبوسة . فتكون هذه الأسطقات .

- والأرض هي الجسم الظاهر من أمره أنه بسيط يابس . وبمخالطته يكون كل جسم يابسا . والماء ظاهر من أمره أنه بارد رطب ، وبمخالطته ، يكون غيره باردا رطبا .
والهواء ظاهر من أمره أنه بسيط رطب .
والنار ظاهر من أمرها أنها بسيطة حارة .

- لكن الأرض في طبيعتها البرد أيضاً ، وذلك أنها إذا تركت وطباعها ، وأزيل عنها تسخين الشمس ، أو سبب آخر ، وجدت باردة اللمس . وإنما تسخن بسبب غريب .
وكيف لا ، والثقل لا يوافق الحرارة ؟ وجميع الأجسام الغالب فيها الأرضية تبرد الأبدان .

- والهواء إذا ترك وطباعه ، ولم يبرد بسبب مخالطة أبخرة نزول عنها الحرارة المصعدة ، وتعود إلى طبيعة الماء ، كان حارا . وكيف لا يكون كذلك والماء إذا أريد أن يحال هواء سخن فضل تسخين ؟ فإذا استحكم فيه التسخين كان هواء .

وأما النار فإنها ليست سهلة القبول للأشكال ؛ بل هي منحصرة بذاتها . فهي يابسة . لكن إثبات حرّ الهواء وبيس النار ، وخصوصاً بيس النار ، وإيضاح القول فيه يصعب . وسنأتي فيه بالممكن .

- (١) م : مزاجات (٢) م ، ط : يتبع // م : الحرارة (٣، ٢) في النسخ الأخرى ماعدا م ، د : سقطت الأجزاء الآتية : وآخر تتبع طبيعته الحر والرطوبة وآخر تتبع طبيعته البرد (٣) د : والأخر (الأولى) (٤) م ، ب : الأسطقات .
- (٥) سا : والجسم هو الأرض // م ، ط ، د : هو الجسم // د : - أنه (٦) م : يابس //
- م : - والماء // ب : ولخالطته (١٠) سا ، ط : وأنها // م ، ط : يسخن (١١) م ، ط : يبرد .
- (١٣) ط ، د : لم // د : مخالطته (١٤) م : الماء // ط : يحيل // سا : - وإنما كان هواء .
- (١٦) سا : وأما البارد (١٧) سا : حد (١٨) م : صعب // م ، سا : وسيأتي

وقد قيل إن اللهيب والغليان لما كان كل واحد منهما إفراط حرارة ، وكان الجمود إفراط برد ، وكان الجمود خاصة البارد والرطب ؛ فكذلك اللهيب والغليان خاصة الحار اليابس . وهذا قول لست أفهمه حق الفهم ، وعسى أن يكون غيرى بحقته ويفهمه . وذلك لأن الغليان فليس إفراط حر ؛ بل إن كان ولا بد فهو حركة تعرض للرطب عن الحر المفرط . ولا اللهيب إفراط الحر ؛ بل إضاءه تعرض عن إفراط الحر في الدخان فإن سمي اشتداد الحر لهيباً فلا مضايقة فيه . والجمود ليس إفراط برد ؛ بل أثر يعرض من إفراط البرد لافي كل جسم ؛ بل في الرطب . ولا الجمود ضد الغليان لأن الغليان حركة إلى فوق . وتضادها الحركة إلى أسفل إذا كانت تضعه . فأما الجمود فليس هو حركة . فلعل الواجب أن يجعل الجمود اجتماع المادة إلى حجم صغير مع عصيان على الحاصر المشكل ، والغليان انبساطها إلى حجم كبير مع ترقق وطاعة لحصر المشكل . فإن كان كذلك كان الخلاف بينهما ما بين التكاثف والتخلخل .

ولم يستمر ما يقولونه . ثم ليس مما يجب ضرورة أن يكون الضد يعرض للضد ؛ فإن الأضداد قد تشترك في أمور منها الموضوع .

وقد علمت في كتب المنطق أن مثل هذا الكلام كلام مقنع لا محقق ، وجدلى لا برهاني . ويشبه أن يكون لما تشككت به على هذا القول جواب ، لكني لم أحصله بعد ، ولم أفهمه . فالأولى أن نشغل بتبيين ييس النار ، ونجعل الطريق إليه إبانة أنها لا تقبل الحصر والتحديد . ويكون بياننا أنها لا تقبل الحصر والتحديد ، لا من جهة المحسوس ؛ وذلك لأن النار المحسوسة غير صرفة . ومع ذلك ، فإنه يعرض للأجسام في

(٢، ١) م : - « لما كان كل واحد منهما » إلى قوله « فكذلك اللهيب والغليان » (٣) د : غير

(٤) سا ، د : لأنه // جميع النسخ : فليس // سا ، ط : يمرض .

(٨) ب : ومضادها // م ، ط : ويضادها (٨) م : نصفه . وفي سا ، ب ، ط : بصفة : // م :

- هو ، وفي ط : هو بحركة (٩) ب : وهل // م : الحاضر ، وفي « د » الحاصل (١٠) م : ترفق ، وفي د :

توقف // ط : يحصر (١٢) ط : الضد (الثانية) (١٣) م : د : بشرك ، وفي ط : يشترك (١٤) د : يتحقق .

(١٥) د : لا برهان // سا : تشكك (١٦) م : - أن // م ، سا : بتبين // م ، ط : يجعل //

م : للطريق (١٧) ط : يقبل (الأولى) // سا ، د : - ويكون بياننا أنها لا تقبل الحصر والتحديد .

// م ، ط : يقبل (الثانية) (١٨) م ، : مترفة

غير مواضعها الطبيعية أن تحفظ أشكالها المواتية للحركة ، كالماء المصبوب في انصبابه ؛ بل نجعل بياننا ذلك بضرب من القياس ، وهو أن النار لا يشك في أنها حارة . فلا يخلو إما أن تكون حارة رطبة أو حارة يابسة لا تسهل طاعها للحصر من غيرها .

فإن كانت حارة رطبة فهي من جوهر الهواء ، وإذا كانت من جوهر الهواء لزم

- أن يكون مكانها مكان الهواء ، فيلزم أن لا تكون النار هاربة عن حيز الهواء إلى حيز آخر ، فهي إذن حارة يابسة .

وقد يقول على هذا قائل إن الهواء نفسه ، إذا سخن ، ارتفع عن حيز هذا الهواء للمعتدل الحر ، والبخار أيضاً يرتفع ، ويطلب مكاناً فوق مكان الهواء ، وهو بعد أشبه بالماء من الهواء بالماء ، وإنما يصعده الحر المفرط ، فالحر المفرط هو سبب أن تكون النار هاربة عن حيز هذا الهواء ، الذي ليس حرّه بمفرط ، وإن كان من طبيعته ١٠ كالماء ، الذي هو دونه في المكان ، إذا سخن فإنه يهرب عن موضع الماء والهواء جميعاً هرباً إلى فوق ، كالهواء نفسه إذا سخن ، فما كان من الهواء أسخن من سائر الهواء فهو هارب عن حيزه للمعتدل بسخونته .

فنقول مجيبين : إن الحيز المطلوب إن كان من طبيعة الحيز المهروب عنه لا يخالفه

فطلب ذلك والهرب عن هذا محال . ١٥

وإن كان ليس من طبيعته ، فهو ، لا محالة ، حيز لغير الهواء . وليس يمكن

أن يكون حيزاً إلا لمفرط الحرارة إذا كان هذا المتصعد إنما يتصعد لأنه مفرط الحرارة .

فيكون حيز ما هو مفرط الحرارة حيزاً غير حيز الهواء . ولا شك أن ذلك هو حيز

(١) م ، ط : يحفظ // ط : للحركات (٢) ط : يجمل // م : يضرب // سا ، ب : نشك

(٣) م ، ط : يكون // م ، ط : يسهل . (٤) م : - وإذا كانت من جوهر الهواء // ب :

وإن كانت (٥) سا : فلزم // م ، ط : يكون // م : من حيز . (٩) ط : فإن الحر

// م ، ط : يكون (١٠) ط : هارباً // ط : طبيعة نفسه (١٢) م : الهواء سخن .

(١٣) ب ، ط ، د : حيز // م ، ب : سخونته (١٤) ب : إذا كان ، وفي ط : إذا كان .

// سا ، د : في طبيعته // د : مخالفه (١٦) د : فهو لاء (١٧) م : لفرط ، وفي « سا » .

للمفرط // د : أو كان // سا : - هذا

النار ، فتكون النار غير الهواء في الطبع ، والهواء المتسخن هو يطلب غير حيز الهواء ، كما أن الماء المتسخن يطلب غير حيز الماء . ولكن ذلك الحيز حيز لجرم آخر لاحتمال ، بالغ فيه الكيفية المصعدة للهواء وللماء عن حيزهما ، وليس يطلب شيء منهما حيز نفسه . وفي طلبهما حيزاً آخر لإثبات حيز آخر لجسم آخر ، وهو النار . ولا يجوز أن يكون الحيز واحداً إلا أن الأسخن يطلب منه ما هو أرفع ؛ وذلك لأن الأرفع إما أن يتحدد بمحد جسم شامل ، أو حد جسم مشمول ؛ إذ لاوجه لإثبات الخلاء ، ولا لإثبات الأبعاد .

فإن كان ذلك الأرفع والأدون يتحدد بتحديد جسم شامل متعين ، أو مشمول متعين ليس هو حد جسم شامل للأدنى ، أو مشمول في الأدنى ، فالأرفع والأدنى مكانان مختلفان ، فلهما جسمان ، بالطبع ، مختلفان . وإن كان يتحدد بشامل واحد في الطبع فلا مكان أرفع وأدون ؛ بل المكان ذلك أو أجزاؤه إن أخذت على وجه التوسع ، وأجزاؤه متفقة في القرب والبعد ، والعلو والسفل .

فبين من هذا أن النار حارة يابسة . لكن سلطان النار الحرارة ، وسلطان الهواء الرطوبة ، وسلطان الماء البرودة ، وسلطان الأرض اليبوسة . وبالحري أن يكون الماء والأرض بالقياس إلى الهواء يابسين . فإن اليرد يقتضي الجمود والتكاثف . ولولا الحرارة الخارجة لكان الماء جامداً . لكنه بالقياس إلى الأرض رطب . فإنه إما سيال بذاته ، وإما شديد الاستعداد للسيلان ، من أدنى سبب خارج ، والبرد الذي يجمد به الماء

(١) م ، ط : فيكون النار // سا : المسخن // م ، سا - هو ، وفي ط : إما هو (٢) سا : المسخن // سا ، د : لكن // م ، سا - آخر (٣) م : المبعدة للهواء ، وفي سا : المنفرة وفي د : المنفرة // م - وللماء ، وفي ب د : وللماء // م : من حيزهما // م ، ط : ليس . // سا ، ب ، ط : وليس (٥) م - إلا أن // م : - وذلك لأن الأرفع // م : فإنما (٦) د : يتحدد . (٧) م : ولإثبات (٨) م : - ذلك // د : يتحدد (٩) ط : فليس (١٠) م : وإن تحدد (١٣) سا : فتبين // د : مادة يابسة // م : الحرارة النار (١٤) م : وسلطان الماء البرودة وسلطان الهواء الرطوبة . (١٧) ط : يجمد بها

إن أردت الحق وترك العادات فليس إلا برداً مستفاداً في الهواء من الماء والأرض .
 فإذا صار الهواء بحيث لا يسيل الماء استولت طبيعة الماء والأرض على الماء ،
 وعاونهما الهواء ، إما بالتبريد وإما بإزالة التسخين ، فجمد من الماء ظاهره أولاً لاحتقان
 الحار في باطنه ، ثم لا يزال يجمد حتى يستولى الجمود على جميعه لطبيعة البرد الذي أولى
 العناصر به الماء ، وأولى الآثار به الإجماد .

وطبيعة الماء والأرض هما اللذان يحدثان برداً في الهواء ، يعود ذلك البرد معيناً
 لطبيعة الماء على إحداث كيفية البرد في نفس الماء على قدر يتأدى إلى الإجماد .

والنار والهواء ، بالقياس إلى الجامدات ، متخلخلان رطبان ، لكن النار ،
 بالقياس إلى الهواء ، يابسة ، لأنها أبعد عن قبول التشكيل والاتصال مع المماسمة من الهواء .
 فهذا هو الحق الذي يجب أن يعتقد .

وقد يتمتع لسماع هذا الفصل الأخير قوم لا تشغل قلوبنا بهم . ويزيدهم امتعاضاً
 ما نريد أن نذكره من تحقيق ذلك فيما يستقبلنا من الكلام . ثم ههنا شكوك .

(١) م : « زارت » بدلا من « إن أردت » م : الأرض والماء . م : طبيعة الأرض على
 (٣) سا ، د : وعاونه (٤) د : وعلى (٦) ب : في الأرض . (٧،٦) في م معييا للطبيعة
 (٨) ط : فالنار (٩) سا . ط ، د : يابس لأنه // ط ، د : من قبول // ب : التشكل
 (١٠) ط : يعتقد فيه (١١) د : بسماع // م : الآخر // ط : يشغل (١٢) سا : نذكر
 // م : يستقبلها .

الفصل العاشر

فصل قى

ذكر شكوك تلزم ما قيل

بالحرى أن تبع هذا الفصل بذكر شكوك لم نتعرض لها ، ثم نعقبها بالكلام الفصل .
من ذلك أمر حدود الكيفيات الأربع ورسومها .

فإن الحرارة ليست إنما تفرق المختلفات ؛ بل قد تفرق المتشاكلة ، كما تفعل بالماء .
فإنها تفرقه تصعيداً . وأيضاً فإن النار قد تجمع المختلفة . فإنها تزيد بياض البيض وصفرتها
تلازماً ، ثم بالحقيقة . ولا أحد الفعلين لها فعل أول وذلك لأن فعلها الأول تسيليل الجامد
من الرطوبات بالبرد وتحليله ، ثم تصعيده وتبخيره .

فإن كانت المجتمعات مختلفة في قبول التحليل والتبخير ، بأن كان بعضها أسرع فيه ،
وبعضها أبطأ ، أو كان بعضها قابلاً ، وبعضها غير قابل ، عرض عن ذلك أن بادر
الأسرع دون الأبطأ ، والقابل دون غير القابل إلى التصعد والتبخير ، فيعرض
منه الاقتراق .

ولو كانت هذه الأشياء متشاكلة في الاستعداد لهذا المعنى لم يمكن النار أن تفرق

(١) م ، ط ، ع : الفصل العاشر (٢) في سا ، ب : فصل في (٤) سا : وبالحرى // ط :
تبع // م : - لها (٦) م : - ليست // م : يفرق (الأولى والثانية) // م ، ط : يفعل (٧) ط :
فإنه يفرقه (٨) صفرتها في جميع النسخ (٨) م : - ثم // ب : فلا أحد // ط : واحد // سا :
تسيليل الحامل (٩) م : تصعده وتبخيره (١٠) د : والتبخير // م : التبخير (١١) ط : أن يبادر
(١٢) د : التبخير // م ، ط . التبخير // سا ، ط ، د ، يعرض ، وفي « ب » : فعرض
(١٤) م : يمكن النار ، // ط : للنار // م ، ط : يفرق

بينها . وأيضاً فإن الحار يفعل في البارد والبارد في الحار ، ولا يفعل الحار في الحار ولا البارد في البارد . وكذلك الرطب يفعل في اليابس ، واليابس في الرطب ، ولا يفعل الرطب في الرطب ، ولا اليابس في اليابس . وإذا كان الحار والبارد يفعل كل منهما في الآخر ، وكل واحد منهما أيضاً يفعل عن الآخر ، وكذلك الرطب واليابس ، فليس إحدى الطبيعتين أولى بأن تخص بالفعل من الأخرى ، ولا أولى بأن تخص بالانفعال من الأخرى .

ومن ذلك الشك في أمر النار ويبسها ، والهواء وحره ، والأرض وبردها . فإن لقائل أن يقول : إنه ليس يجب أن يكون جميع ماتوجبه القسمة ، ولا ينكره العقل في أول النظر ، حاضراً موجوداً . فعسى أن لا يمكن أن يكون شيء هو حار رطب ، أو شيء هو بارد يابس ؛ ليس لأن العقل وحده يمنع عن اجتماع الحرارة والرطوبة ، والبرودة واليبوسة ، منعه عن اجتماع الحار والبارد ، والرطب واليابس ، ولكن الأمر ليس يعقل بديهية . فإن ههنا أمور لا تمنع الازدواجات عن وجودها ، ولا بديهية العقل ، ويمنع الحق وجودها . فإنه ليس يمتنع ، في أول العقل ، أن يكون حار ، بالطبع ، في لحاجة الشفاء ، وليس هذا بموجود ألبتة .

ولو كانت القسمة تعتبر ويلتفت إليها لكان يجوز أن نقول : إن من العناصر ما هو حار يابس خفيف ، ومنها ما هو حار يابس ثقيل ، ومنها ما هو حار رطب خفيف ، ومنها حار رطب ثقيل ، وكنا نحكم أن كل ما لا تمنع القسمة الجمع بينه ، كما بين الحرارة والثقيل في أول العقل ، فإن المستحصل منه بالقسمة موجود في الأعيان . فكما أن الثقل لا يختلط

(١) // م ، سا : بينهما // سا : النار في الحار // سا : - والبارد في الحار (٢) سا : - في البارد : (٣) د : وإذا (٤) د : يفعل عن // م : في اليابس (٥) م ، بح : الطبيعتين // م ، ط : يخص // ط : الأولى من أن // م ، ط : يخص (الثانية) (٧) ط : وحرها ، وفي : وجوه (٨) د : - أن يقول // ط : يوجبه (٩) سا : حاصل موجودا // ب : رطبها (١٠) م : - ليس (١١) ط : من اجتماع (١٢) م ، ط : يمتنع (١٣) د ، ب : ولا يمتنع الحق (١٤) سا ، د : وهذا ليس (١٥) ط : يعتبر // م ، ط ، د : يقول (١٦) د : - ومنها ما هو حار يابس ثقيل (١٧) م ، ط : يمتنع ، وفي (د) : يجتمع (١٨) م : - لا

الحرارة ، مع كونه غير مضاد للحرارة ، ولا مقابل ، ولا محكوم عليه ببديهية العقل أنه مناف ؛ فكذلك يجوز أن تكون الرطوبة واليبوسة لا تتخالط الحرارة ، ولا تتخالط البرودة ، فيكون ، حينئذ ، الموجود أنقص من المقسوم .

ومع هذا ، فلم يستوف أصحاب هذه القسمة قسمتهم ؛ بل بنحسوا القسمة حقها ، وذلك لأنه لا يخلو إما أن تكون الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة الأسطقسية لا تكون إلا خالصة صرفة ، أو قد تكون منكسرة .

فإن كانت لا تكون إلا خالصة صرفة وجب أن تكون حرارة أسطقس أقل من حرارة أسطقس آخر . فإن الذي هو أقل حرارة ليست حرارته خالصة بالقياس إلى حرارة ما هو أشد حرارة ؛ بل الأقل حرارة يكون ، بالقياس إلى الخالص الحرارة ، فثراً أو بارداً ، وإن كان قد تكون في الكيفيات الأولى كيفية غير خالصة ، ويكون منها ما هو دون النهاية . وقد حصل هنا قسم قد ضيع ، وذلك أن أصول المزاجات حينئذ لا تكون أربعة ؛ بل تكون أكثر من ذلك . فيكون حار وبارد ومتوسط أو منكسر ، ورطب ويابس ومتوسط أو منكسر . فينبغي أن تتحدد المزاجات من هناك . فتكون حينئذ الازدواجات أكثر من العدد المذكور . ثم يكون الهواء ، مثلاً ، رطباً معتدلاً في الحر والبرد ؛ والنار حارة معتدلة في الرطوبة واليبوسة ، والأرض يابسة معتدلة في الحر والبرد . وعلى أن يكون هنا عناصر أخرى منها ما هو بارد ومعتدل في الرطوبة واليبوسة ، ويكون حار رطب غير الهواء ، وكأنه البخار أو شيء آخر ؛ ويابس غير الأرض ، وكأنه الجمد أو شيء آخر ؛ وحار شديد اليبوسة ، وكأنه الدخان أو شيء آخر .

(١) ب : بضرورة العقل (٢) سا : مناف / م ، ط : يكون (٣) سا : أو لا (٤) سا : تستوف (٥) ع : أو البرودة أو الرطوبة أو اليبوسة / م ، ب : الاستقصية / م : يكون (٦) ب : وقد ع ، ط : قد / ط : لا خالصة (٧) م ، ع ، ط : يكون م : يكون / ط ، ع : أن لا تكون / م ، ب : استقص (٨) م ، ب : استقص (٩) ع : الخالص حرارة (١١) م : المزاجات : د / : فقد (١٢) م ، ط : يكون (١٣، ١٢) م : ورطب ويابس ومتوسط أو منكسر (١٣) م : يتحدد ، وفي ط : يتخذ / ب : من ثم بدلا من «من هناك» / م : فيكون (١٤) م : والنار (١٤ ، ١٥) ع : والنار حاراً معتدلاً (١٥) ع : والأرض يابسة معتدلاً / ط : الحرارة والبرودة (١٧) ع : فكأنه (الأولى والثانية) (١٨) ط : وبارد يابس

ثم من الواجب أن ننظر في أمر النار التي يدعى أنها تحت الفلك ، وأنها في هيئة الجو ، ولكنها شديدة الحر ، حتى أنها تحرق ما يصل إليها ، هل تلك الحرارة لها من جوهرها ، أم تعرض لها بسبب تحريك الفلك ؟

فإن كانت بسبب تحريك الفلك ، فما جوهر ذلك الجسم في نفسه الذي عرض له ما عرض ؟ فإن كان جوهره هواء لكنه سخن ، فيشبه أن تكون نسبة النار إلى الهواء هي بعينها نسبة الجمد إلى الماء ، فلا يكون مفارقا له بالفصل ؛ بل تكون مفارقتها له بعرض من الأعراض .

وإن كان الحق ما يدعى قوم من أنها فاترة لا تحرق ، فبماذا تفارق الجو ؟ وأما النار التي عندنا فهي بالاتفاق غير تلك النار .

فإن كانت هذه التي عندنا تلك ، وقد عرض لها اشتداد في الحر للحركة ، وإضاءة للاشتعال في الدخان ، فبماذا تخالف الهواء ، حتى تنسل عنه ، وتطفو عليه حارة في الحركة المسخنة ، فيسخن لذلك ؟

وإن كان معنى النار في هذه غير معنى النار هناك فهذا إما أسطقس وإما مركب . فإن كان أسطقسا فقد زاد عدد الأسطقسات . وإن كان مركبا فلم صار المركب في كيفيته أقوى من البسيط ؟ ولم صار الحر يصعد ما مكانه الطبيعي هو السفلى ، كما يصعد الماء والدخان وفيهما طبيعة مهبطة ، لكنها تغلب بهذه الكيفية ؟
ثم البرد لا يفعل ضد ذلك في إهباط النار .

(٢) ط ، سا : شديد // ء : الجو // ط يحرق // ط ، ء : أهل (٣) م ، د : يمرض // ط ، ء : أو يمرض . (٥) م ، ط : يكون (٦) م : - هي // م : بالفعل // م مفارقتها (٨) ء : - من // ب : ولا تحرق // ء : فيما يفارق // ط ! يفارق // سا : الحر (٩) سا ، ط ، ء : فهو (١٠) ط ، ء : فإن كان // م : استعداد (١١) ط : إضاءته // م : الاشتغال // ط : يخالف // ط ، م ، ء ينسل عنه ... يطفو // سا ، ط : حارا (١٢) سا ، ب : فتسخن (١٣) ء : غيره // م ، ب استقص (١٤) ب : الاستقصات // م ، د : « المركب » بدلا من « مركبا » // م كيفية فيه ، وفي سا : أقوى في كيفيته ، وفي د : أقوى كيفية (١٦) م ، ط : يغلب

وهل يجوز من هذا أن يقال : ليست النار إلا هواء مسخن جدا ، فهو يرتفع عما هو أبرد منه كالبخار ؛ فإنه ماء مسخن جدا ، فهو يرتفع عما هو أبرد منه ، وليس العنصر إلا الهواء والماء والأرض ؟ فالمسخن من الهواء نار ، والمسخن من الماء بخار ، والمسخن من الأرض دخان . وكل مسخن فإنه يصعد إلى فوق ، لكن مسخن الماء شيء هو في طبيعته قوى البرد ، سريع إليه التبرد ، فيقصر عن مسخن الأرض الذي هو أقل تبردا ، في الطبع ، وإبطاء . وكلاهما يقصر عن مسخن الهواء ، الذي هو إما معتدل وإما إلى الحر . فسخن الهواء يسبق ذنك إلى الحيز الذي ليس فيه إلا الهواء المسخن جدا بالحركة ، حتى هو نار .

هذا ، وأيضا لم لا نقول إن الأجسام التي تحت الفلك كلها جسم واحد من مادة وصورة ١٠
توجب الكون تحت الفلك ، ثم تعرض لها بعد ذلك هذه الكيفيات ؟ فما يلي الفلك ، ويكون حيث الحركة ، يلطف ويسخن بسبب من خارج ، لا من جوهره ، وما يبعد ، ويكون حيث السكون يبرد ، ويثقل بضد ذلك السبب . فيعرض من ذلك أن يختلف ذلك الواحد اختلافا بكيفيات تعرض له من خارج ، لا من طبيعته وصورته . فإن طبيعته وصورته هي التي صار بها جسما طبيعيا متحيزا في ضمن الفلك ؛ لأنه لا يقتضى طبعها غير ذلك الوضع . ١٥

ومما يحق أن نورد شكاً ، على ما قيل في إثبات هذه الأربع ، أن الخلوص إلى إثبات الكيفيات الأربع المذكورة ، حتى ظن بسببها أن المزواجيات أربع ، وأن العناصر لذلك أربعة - إنما كان بسبب الرجوع إلى الحس وتقديم المس على غيره ، ورجوع الكيفيات

(٢٠١) : م ، سا : فا برد منه // ط : هو شيء (٥) سا : يسرع // ع : يقصر عنه // ب ، ط : بردا (٦) ب : وإما معتدل . (٧) سا ، ع : فيه الهواء المسخن // م : وإما (بالحركة) (٩) م : - هذا ، وفي ط سا ، م : وهذا أيضا // ط : يقول ، وفي « ع » يقولون (١٠) ط : يوجب // سا : مما // ب : فيها // د : ط ، د : تحت // ط م : تلطف وتسخن (١٣) سا : اختلاف الكيفيات // م ، د : لها // م ، ع : من طبيعتها وصورها // م : من طبيعتها : وإذ // م ، ط ، ع : طبيعتها (١٤) م ، ط ، د : وصورتها // م ، ط ، د : صارت // ط ، د : به // هي : توجد في جميع النسخ // م - لأنه (١٧) سا : نسبتها // ط : أربعة ، وفي سا : أنفع

الملبوسة إلى هذه الأربع . فيجب أن يكون المعنى الذى نسميه رطوبة هو المعنى الملموس ،
لامعنى آخر يشاركه فى هذا الاسم . ثم المعنى الذى يشترك فيه الماء والهواء ، الذى يسمى
رطوبة ، ليس هو الرطوبة الملموسة . وذلك لأن هذا المعنى ، الذى يسمونه الرطوبة ،
ليس وجوده فى الهواء وجود الحرارة والبرودة المحسوستين ، فى أن هاتين قد يجوز أن
يستحيل الهواء من كل واحدة منهما إلى أخرى ، ويكون الهواء هواء . فإن الهواء ،
إذا سخن ، أو برد ، لم يجب بذلك أن يكون قد استحال فى جوهره وأما الهواء ، إذا بلغ
من تكاثفه إلى أن ييبس ، أو من تخلخله حتى يصير ناراً عندكم ، لم يكن حينئذ هواء .
فالهواء المحاصر ، الذى نسميه هواء ، لا يباينه المعنى الذى نسميه رطوبة الذى يشارك فيه
الماء عندكم .

١٠ فإذا كانت الحال كذلك وجب أن يكون الهواء دائماً بحيث تلمس رطوبته ،
وإن كان لا يجب دائماً أن تلمس حرارته أو برودته ؛ إذ تانك تزايلانه ، وهذا يلزمه .
ولو كانت هذه الرطوبة ملبوسة لكان يجب ، إذا كان هواء معتدل ، لا حار ولا بارد ،
وكان ساكناً لا حركة فيه ، أن يكون اللامس تلمس رطوبته ؛ إذ الرطوبة لا تفارقه ،
كما يلمس ما تسميه العامة رطوبة من الماء .

١٥ ولو كان الهواء دائماً بحيث تلمس رطوبته لكان الهواء دائماً محسوساً ، ولو كان
الهواء دائماً محسوساً لكان الجمهور لا يشكون فى وجوده ، ولا يظنون هذا الفضاء ، الذى
بين الأرض والسماء ، خالياً إذا لم يوجد فيه ربح أو غيم ، وما ينسب إليه حر وبرد . كما إذا
برد أو سخن أحسوا به على أنه مؤثر فى البدن برداً أو حرّاً ، أو أن هناك برداً أو حرّاً .

(١) ط يسميه (٢) : فيشاركه ، : وفى د : يشارك (٣) ط ، د : نسميه (٤) م : المحسوسة
(٥) ط ، د : واحد // ط ، د : آخر ، وفى سا : الآخر (٦) ب : وبرد (٧) ط : ييبس ،
وفى د : يلبس . (٨) م : الحاضر // م ، د : يسميه هؤلاء // م : - لا // ب : يتأفى ، وفى
« د » : يتأفاه // د ، سا م يسمونه (٩) سا : فإذا كان ، وفى « ب » : وإذا كانت ، وفى
« د » : وإذا كان // ط ، م : يلمس // سا ، د ، م : ان يكون دائماً أن يلمس // ٢ ، ط : يلمس // سا ،
د : يلزمه (١٢) ب ، م . فلو // ٢ : بحيث (١٣) م ، ط : يفارقه (١٤) م : يسميه (١٥) م ، ط :
يلمس // ط : رطوبة // ٢ : كان (١٧) د : من الأرض // ط : كما + أنه (١٨) ط : فأحسوا ،
وفى « سا » : أو حسوا // ط ، د : إذا كان هناك برد أو حر .

فبين أن سبيل هذه الرطوبة ، في أنها ملموسة ، خلاف سبيل الحرارة والبرودة في أنها ملموسة . فإذا كان كذلك لم يكن البناء على أمر صحيح .

ثم ما معنى قول القائل إن الرطوبة سريعة كذا ، أو عسرة كذا وكذا ، وإن اليبوسة بالضد في الأمرين ؟ فإن السريع والعسير وما يقابلهما إنما هو بالقياس إلى غيره ، وليس له حد محدود . فيجب أيضاً أن لا يكون الشيء مطلقاً رطباً أو يابساً ؛ بل بالقياس إلى غيره . على أن صناعة المنطق منعت أن توجد في حدود الأمور غير المضافة معان مضافة ، على أنها أجزاء لحدّها .

فهذه ، وما أشبهها ، شبه من حقها أن تحل ، أو يشعر بها ، حتى يكون القضاء على الأمر بحسب مراعاة جانبها .

فلنتشغل الآن بما يجب أن نعتمده . ١٠

(٣) ٢ ، سا : - وكذا (٤) ط : العسير (٥) سا : - أيضاً . (٦) ب ، ط ، د . الغير المضافة // وط : مع أن صناعة (٧) ٢ : يحل ، وفي ط : يحل // ط : نشمر . (١٠) سا : يتمد .

الفصل الحادى عشر

فصل فى

حل شطر من هذه الشكوك

تقول إن تحديدنا الأمور التى هى محسوسة بالحقيقة تحديد بحدود ناقصة . وأعنى

- ٥ بالمحسوس بالحقيقة ما ليس إحساسه بواسطة محسوس ، أو بالعرض . فإن تكلفنا لها حدوداً ، أو شروحاً أسماء ، فربما حددناها أو رسمناها بإضافات أو اعتبارات لا يدل شئ منها ، بالحقيقة ، على ماهياتها ؛ بل على أمور تلزمها .

ولذلك من البعيد أن يقدر على أن يُحدّد الصفرة والحمرة والخضرة ، بل السواد

والبياض . لكنه إذا كان السواد والبياض طرفين رسمًا بسهولة لتأثيرهما فى الإبصار على

- ١٠ الاطلاق الذى يحتاج أن يقدر مثله من الأوساط ، فيعسر . وذلك التأثير بالحقيقة أمر ليس هو مقوماً لماهية السواد والبياض ؛ ولا من فهم ذلك فهم أن الشئ سواد وبياض ، اللهم إلا أن يكون قد أحس السواد وتخيله ، ثم أحس هذا الفعل منه فجعله علامة له .

ولذلك يجب أن يعرف حال البرودة والحرارة بالحقيقة ، وأن الحدود التى قيلت

حدود غير محققة ، ولا محكمة ؛ بل إنما تقال بقياسها إلى أفعال لها فى أمور من المركبات

- ١٥ عندنا أو فى البسائط ، وإلا فلا اقتدار على تحديدهما تحديداً حقيقياً .

(١) م ، ط : الفصل الحادى عشر ، وفى د : - الفصل (٣) د : حل شك (٥) م : محسوسة // د

وبالعرض // م : - لها (٦) سا ، ط ، د : واعتبارات (٨) ط : مهيأتها (٧) م ، ط ، د : يلزمها

(٨) سا . تقدر ، وفى « ب » : تقدر // م ، م ، ط : يحد ، (٩) م : - لكنه إذا كان السواد

والبياض // م طرف // د : لتأثيرها // ط : فى الأوساط . (١٠) سا : أمراً (١١) ط : مهيبة .

(١٣) م : - فهم // د : - « ذلك فهم » (١٢) سا ، د : بالسواد // م : يجمله ، وفى « ط » فجعل

(١٣) ط ، د : وكذلك // سا : فإن (١٤) م ، ط : يقال // سا ، ط : أفعالها ، وفى سا ،

أفعال لها .

وبالحري أن تكون الحرارة ، كما تجمع بعض المتجانسات ، فقد تفرق بعض المتجانسات ، كما ترمد الحطب ، وتفرقه . لكن يجب أن يفهم ماقلوه على ما أقوله :

إن الحرارة تفعل في الأجسام البسيطة وتفعل في الأجسام المركبة ؛ والجسم الواحد البسيط يجتمع ، فيستحيل أن يقال إن النار تجمعه ؛ لأن قولنا كذا يجمع كذا . معناه أنه يجمع ما ليس بمجتمع . والبسيط المذكور مجتمع الأجزاء متشاكلها . وأما أمر التفريق فلا مدخل له في اعتبار البسيط ؛ وذلك لأن التفريق إنما قيل بالقياس إلى الأشياء المختلفة فهذا الفصل المنسوب إلى الحار من جمع وتفریق إنما يقال بالقياس إلى جسم فيه متشاكلات متفرقة ، ومختلفات مجتمعة .

والجسم الذي جعل فعل الحار بالقياس إليه هو المركب القابل لفعل النار . وهذا المركب لا يجوز أن تكون أجزاؤه متشابهة الانفعال التحريكى عن الحار . فإن الجسم المتشابه الانفعال عن تحريك قوة واحدة محرّكة ، كالخار ، هو بسيط من حيث الاستعداد لذلك الانفعال . وكيف لا يكون بسيطاً ، ولو كان مركباً كانت أجزاؤه مختلفة في استحقاق الأماكن الطبيعية الخاصة بها . والخار إذا فرّق فإنما يفرّق بتحريك يحدث في الأجزاء المختلفة ؛ ولا سواء قبول الخفيف والثقيل للتحريك إلى الجهات . فإذاً يجب أن يكون هذا المركب مختلف الاستعداد . فيكون أول ما يستحيل أجزاؤه ؛ ويستحيل بالسخونة . وكل جزء أسرع فيه التسخن كان أسرع إلى التصعد . فيعرض أن ينفصل بعض الأجزاء إلى حيز العلو أسرع ، وبعضها أبطأ ، أو لا يقبل بعضها ما يتصعد به . فليس كل الأجسام

(١) م ، ط : يكون // م : يفرق (٢) ط ، د : ترمد // م ، ط : يفرقه // د : فإ .

(٣) م ، ط . يفعل (الأولى والثانية) (٤، ٥) م ، ط : يجتمع : يستحيل (٦) م : - يجمع كذا

(٨) سقط من النسخة د ابتداء من قوله « متفرقة ومختلفات مجتمعة » إلى قوله أنه ليس

كله على سبيل نفور ومخالطة في ص ١٧٠ (٩) سا : « فعل » بدلاً من « جعل »

(١٠) م ، ط : يكون // سا : على الحار : عن تحرك // سا : قوة تحركه (١٢) م : - لذلك

الانفعال (١٣) م : الخاصة (١٥) ط : أجزاؤه // سا : - أجزاؤه و (١٦) م : يفصل

(١٧) سا : ولا يقبل // ط ، د : فإذاً ليس .

يقبل التصعيد والتبخير بالذات . نعم قد يتفق أن يكون مالا يقبل التصعيد مخالطاً لما
يتصعد مخالطة شديدة ، فيسبق تصعيد الحار بما يخالطه تفريقه بينهما ؛ ويكون المتصعد
أغلب ، فيصعد ذلك الآخر تبعاً له . وإذا فعلت الحرارة هذا الفعل عرض أن تفاصلت
المختلطات ضرورة ، وصار كل إلى حيز واحد يليق به ، فيجتمع فيه . فإن كانت رطبة
الجواهر قابلة للاتصال بسهولة كان اجتماعها اتصالاً ؛ وإن كانت يابسة لا تتصل بسرعة
كان اجتماعها حصولها في حيز واحد ، وإن لم يكن اتصالاً .

على أن النار في قوتها أن تسيل أكثر الأجسام حتى الرماد والطلق والنورة والملح
والحديد تسيل إذابة ، وخصوصاً إذا أعينت بما يزيد لها اشتعالاً كالكبريت والزرنيخ
والأملاح الحادة .

١٠ وأما ما ظن من أن النار تفرق الماء فليس كذلك . فإن النار لا تفرق الماء ماء ؛
بل إذا أحالت جزءاً منه هواء فرقت بينه وبين الماء الذي ليس من طبعه . ثم يلزم من
ذلك أن تختلط بذلك الهواء أجزاء مائية ، فتصعد مع الهواء ، ويكون مجموع ذلك بخاراً .

على أن من الناس من ظن أن البخار هو طبيعة أخرى غير الماء والهواء وغير
المختلط منهما . وأما ما يتعلق به من عقد البيض فليس عقده جمعه ؛ بل هو إحالة له في
قوامه . ثم إن النار ستفرق ذلك عن قريب ، يعرف ذلك أصحاب حل التقطير .

١٥

وأما الذهب فإنه ليس لا يفرقه النار إذا أذابته ، لأنه متشابه الجوهر ، ولا لأنه
متشابه الانفعال ، ولا لأن النار من شأنها أن لا تفرق المركبات ، ولكن لأن الامتزاج

(١) سا : التصعد والتسخين // سا : يكون سيالاً (٢) ط فيسبق // سا : لما
(٣) سا : فإذا (٤) ب ، ط : وإن (٥) م ، ط : يتصل (٦) سا : فإن (٨) سا :
تسيل // م : اشتغلا ، وفي سا : استقلالا (١٠) سا ، م : أما // ط : يظن // م : يفرق
(الأولى والثانية) (١١) ط : - ماء // سا : حال ، وفي ط ، ب : أحوال // ط : جزء //
ط : فرق (١٢) م : يختلط ، وفي ط : يختلط // م ، ط : فيصعد ، وفي ب : فتصعد
(١٣) م : - غير (١٤) م : الحالة (١٥) م : سيفرق // م : من قريب // ط عنقريب
// م : اليقطير (١٦) سا : أذابه . (١) م ، ط : يفرق

في جوهر الذهب والتلازم بين بسائطه شديداً جداً ، فكلمة مال شيء منه إلى التصعد حبسه المائل إلى التحدّر ، فيحدث من ذلك حركة دوران وغليان ، فتكون النار قد أوجبت تأثيراً مختلفاً . لكن هناك عائق آخر ، والأمور التي تنسب إلى القوى والكيفيات الطبيعية ، وخصوصاً العنصرية ، تنسب إليها بشرط ألا يكون عائق . فإن الخفة إنما يقال لها إنها تصعد بشرط ألا يكون عائق ، والثقل كذلك إنما يقال له ينزل بشرط أن لا يكون عائق ومانع . فكذلك المأخوذ في حد النار من تفريق كذا ، وجمع كذا .

وأما ما قيل في حديث الفعل والانفعال فلمعمرى إن الاعتبار إذا توجه نحو الأضداد كانت متفاعلة ، وكانت نسبة الحر إلى البرد في الفعل والانفعال قريبة من نسبة الرطب إلى اليابس في الفعل والانفعال ، وإن كان لقائل أن يقول : ليس يجب أن تكون الأضداد كلها متفاعلة ؛ بل من الأضداد ما يتبع أضداداً أخرى ، مثل الأبيض والأسود . فإن اللون الأبيض لا يحيل الأسود إلى البياض ، ولا بالعكس ؛ بل بالمخالطة ، فتكون استحالتهم تابعة لاستحالة الحال في أضداد قبلهما .

ولا يبعد أن يكون له أن يقول : يشبه أن يكون الرطب واليابس من ذلك القبيل . فإننا لم نشاهد رطباً رطباً اليابس ، أو يابساً يابساً الرطب بالإحالة دون المخالطة ؛ أما الرطب فبلاً ، وأما اليابس فنشفاً ، وأما الحار والبارد فيفعل أحدهما في الآخر بالإحالة ، من غير أن يتغير الجوهر في نوعه أصلاً ، كما قد صححنا من إحالة الحار للبارد أنه ليس كله على سبيل نفوذ ومخالطة . فيشبه أن يكون ، على قول هذا القائل ، أن تكون استحالة الأجسام

(٢) م : جنسه // م : يحدث (٣) م ، ط : فيكون (٣) ط : فالأمور // م : ينسبه (٤، ٥) م : سقط من م : «تنسب إليها بشرط» إلى قوله : إنها تصعد (٥) سا : وإنما (الثانية) (٦) م ، سا : ممانع // ط : وكذلك (٧) م : - ما // م : من حدث ، وفي ط : من حديث (٨) م : - متفاعله وكانت // م ، ط : قريباً (٩) م : فإن لقائل // م ، ط : يكون (١٠) م : أضداد (١١) م ، ط : فيكون (١٢) سا ، ب ، ط : قبلها (١٣) ب : - أن يكون له (١٥) م : فلا // م : فيشفا (١٦) عند كلمة « للبارد » تنتهي الفقرة الطويلة التي سقطت من مخطوطة «د» في ص ١٦٨ (١٧) م ، سا ، د : - أن يكون // م ، ط : يكون (الثانية) .

البسيطة في الرطوبة واليبوسة تابعة لاستحالة أخرى ، أو لكون وفساد. ولا يكون للرطب أن يحيل إلى اليبوسة من غير فساد الجوهر ، أو من غير استحالة تتقدمها ، ولا لليابس أن يحيل إلى الرطوبة من غير فساد أو استحالة ، كما للحار أن يحيل البارد ، والبارد أن يحيل الحار ، وغير ذلك . فإن الماء إذا صار أرضاً لم يكن ذلك لاستحالة أولية في رطوبة أو يبوسة ؛ بل لاستحالة الصورة الجوهرية التي تتبعها الكيفيات على ما بيناه . فيكون

٥ لما استحالت الصورة الجوهرية استحالت ما يتبعها ؛ بأن فاض عن الصورة الجوهرية الحادثة ضد ما كان فاض عن الصورة الجوهرية الفاسدة ، كما أن الهواء إذا استحال ماء ، فنزل ، لم تكن الحركة المتسلسلة حادثة عن ضد الحركة المتصاعدة الأولى ؛ بل عن الصورة المعاندة للصورة الموجبة للتصعد .

١٠ وأما الماء إذا جمد ، ويبس ، فليس ذلك له عن يبوسة فعلت في رطوبة ؛ بل عن البرد . فيكون البرد هو الذي أوجب اليبس . ويكون الحر بإزائه هو الذي يوجب الترطيب والتسييل . فتكون هاتان الكيفيتان منفعلتين عن الحر والبرد ، ولا تنفعل إحداها عن الأخرى انفعالا أولياً ، والحر والبرد ينفعل أحدهما عن الآخر انفعالا أولياً . فهذا قول ، إن أراد مريد أن يدفع الشك به ، عسرت مقاومته .

١٥ لكننا نسلم أن الرطب من شأنه أن يرطب اليابس ، واليابس من شأنه أن يببس الرطب . ونقول بعد ذلك أولاً ، إلى أن نورد جواباً آخر ، إن هذا النحو من الفعل والانفعال لا يصلح أن يلتفت إليه في التحديدات ، وإنما نجد القوى بانفعال وانفعالات

-
- (١) سا : فكون (٢) سا : يستحيل // ط : يتقدمها ، وفي م : يعتديها .
(٣) سا : يستحيل (٤) سا ، د : وإن (٥) د : الاستحالة // م ، ط : يتبعها // بخ :
الكيفيتان (٦) ط : استحالة (الأولى) // د م - الجوهرية (٧) م - فاض // د : الفاسد // سا : ونزل
(٨) م ، ط : يكن // م : المستقلة // م : من (٩) د : وللصورة العرضية (١١) ب : أوجب (الثانية)
(١٢) م : فكون ، وفي ط : فيكون // د : منفعلتان (١٣ ، ١٢) ط ، د : ولا ينفعل أحدهما
من الآخر (١٦) د : انفعالا أولياً // د : « والحر والبرد ينفعل أحدهما عن الآخر » مكررة
(١٤) ط : وهذا (١٥) د : يبس (١٦) م : ويقول ، وفي ط : ونقوله .
(١٧) م ، ط : يحد ، وفي سا : وإنما نجد // سا : بالأنفعال والانفعالات

على غير هذا النمط ، وذلك لأننا إذا أردنا أن نحدد الرطب استحالة أن نأخذه في حد نفسه ، واستحالة أيضاً أن نأخذ ضده في حده ؛ وذلك لأن ضده ليس بأعرف منه ، فكيف نفسه ؟ وإنما يجب أن يؤخذ في الحدود والرسوم ما هو أعرف من الشيء . وأيضاً إذا أخذنا ضده في حده ، وكان ضده أيضاً إذا حدد على نحو حدّه ، حدّه به ، وأخذ هو في حده . نكون قد أدرنا التعريف ، وعاد الأمر إلى تعريف الشيء بنفسه . مثاله إذا أردنا أن نحدد الحرارة ، فقلنا هو الذى يسخن البارد ، ونكون قد أخذنا التسخين وهو التحرير الذى هو إثارة الحرارة ، فى حد الحرارة ، فنكون قد أخذنا الحرارة فى حد الحرارة ، وأخذنا أيضاً البارد فى حد الحرارة . وكذلك الحال فى جانب البارد ، والبارد ليس بأعرف من الحر ، ولا الحر من البارد .

وإذا كان قانون الحد ما ذكرناه ، وكنا نحدد الحرارة من حيث فعلها ، أو نعرفها من حيث فعلها ذلك الفعل الذى فى ضدها ، فقلنا إن الحار ما يسخن البارد ، واحتجنا أن نقول : والبارد ما يبرد الحار ، فنكون قد أخذنا الحار فى حد البارد المأخوذ فى حد الحار . وهذا أمر مردود .

فبين أن نحو هذه الأفعال لا تؤخذ فى حدّ هذه القوى ، ولا فى تعريفاتها التى تناسب الحدود ؛ بل إنما تنسب القوى فى حدودها إلى أفعال وانفعالات تصدر عنها يكون تفهيمها ليس دائراً على تفهيم الحدود . فإن الحار والبارد تصدر عنهما أفعال ليست نفس التسخين والتبريد ، ولا دائراً عليهما . وتلك الأفعال مشهورة .

(١) ط : ينحد // م : يأخذ (٢) سا : بأعرق (٣، ٢) د : فكيف نفسه // ط ، د : نأخذ (٤) ط : « إذا أخذ » بدلا « من إذا حد » م // م : على نحو حده // م : هو (٥) م : مثاله + أيضا (٦) ط : ويكون // م : التسخين // د : التجريد (٧) م ، ط ، سا : فيكون (١٠) د : نجد (١٠) م : يبرفها ، وفى سا : تعرضها // م : حيث + هو (١١، ١٠) د : أو نعرفها من حيث فعلها ذلك الفعل (١٢) م : ط : فيكون // د : - الحار // سا : والمأخوذ (١٤) م ، ب : هذا الانفعال // م ، ط ، د : يؤخذ ، وفى « سا » يوجد // م : تعريفها (١٥) م ، ط : ينسب // ب ، ط ، د : وانفعال // ط : تفهيمها (١٦) ط : تفهيم // م ، ط : يصدر // د : عنها . (١٧) م : دائرة

والرطب واليابس ليسا كذلك ألبتة ، ولا يتصور الرطب إلا من جهة سهولة قبول الشكل ، وسهولة الاتصال ، وسهولة تركهما . واليابس من جهة عسر قبول الأمرين وعسر الترك لهما . وهذه الأحوال منسوبة إلى الانفعال . فإن أريد أن يعرف الفعل الذى لكل واحد منهما ، على حسب التضاد ، أو الانفعال الذى على حسب ذلك إن سلم ذلك ، لم يكن تعريفاً حقيقياً به .

٥

وأما الحار والبارد فإن عرفنا بالانفعال المذكور ، الذى يجرى بينهما ، لم يكن تعريفاً حقيقياً ؛ بل يجب أن يكون تعريفهما على النحو الذى قيل فى الحار والبارد ؛ يقال لهما كينيتان فاعلتان ليس بالقياس إلى كل شيء ؛ ولكن بالقياس إلى هذه الأجسام المركبة المشاهدة . فإنها تفعل فيها أفعالا ظاهرة مما قيل ، ولا تنفعل انفعالا إلا عن الضد . وإذا قيل للرطب واليابس انفعاليان فليس بالقياس إلى كل شيء ؛ بل بالقياس إلى هذه الأجسام المشاهدة . فإنها لاتفعل فيها إلا ما ينسب إلى الفعل والانفعال التضادى ، ولا تفعل فيها شيئاً آخر ؛ بل تنفعل منها بسهولة أو عسر .

١٠

وبعد هذا ، فالذى يجب أن يعتمد فى هذا شيء آخر ، وهو أن قولنا كيفية انفعالية يعنى بذلك الكيفية التى بها يكون الجوهر مستعداً لانفعال ما ، إما على سهولة أو على صعوبة . ونعنى بقولنا كيفية غير انفعالية ما ليس بها يكون هذا الاستعداد . ونعنى بالفعالية الكيفية التى بها يفعل فى المستعد فعلا ما .

١٠

وأما بالجملة فإن الكيفية نفسها لاتنفعل ألبتة ، ووحدها لا تفعل ؛ إذ لا توجد وحدها .

(١) م ، ط ، د : ليس (٢) سا : الأشكال ، وفى ط : التشكل (٣) ب : وإن أريد // ط : أردت ط : تعرف // ط ، د : بالفعل (٤) ب : والانفعال (٥) ب : به (٧) م : - فى (٨) ب : لكن (٩) سا : وإنما // جميع النسخ : مما قيل ولعلها « كما قيل » (١٠) م : الرطب // جميع النسخ : انفعالياتان // م : - إلى كل شيء بل بالقياس // ط ، د : إلى كل شيء + بالقياس (١١) ط : يفعل // م ، ب : فيها ، وفى ب : منها (١٢) ط : شيء (١٣ ، ١٢) سا : - من قوله : تنفعل منها بسهولة إلى قوله « يعتمد فى هذا شيء آخر » (١٤) م : - بها // م : وإما على ، بدلا من « أو على » (١٥) م : - يكون (١٧) سا : ووحدها ، وفى د : ووجدها // ط ، د : يوجد

وإنما تفعل بأن تماس أو تحاذى ، أو يكون لها النسبة [فى النصبه] التى بها يصح الفعل .

ثم الحرارة والبرودة ليستا من الكيفيات التى بها يستعد الجوهر لانفعال ما ، خصوصاً ما أورد فى الشك . وذلك لأن الحر ليس استعداداً للبرد لأنه حار ، كيف والبرد يبطل الحر؟ ومادام هو حاراً فيمتنع أن يصير بارداً . فالحر يمنع وجود البرد ، لأن يعد له المادة ؛ بل المادة مستعدة بنفسها لقبول البرد المعلوم فيها . لكنه يتفق أن يقارن تلك الحالة وجود الحر الذى يضاد البرد ، ويمانعه ، ويستحيل وجوده معه .

وكذلك حال الرطوبة عند اليبس . وليست الرطوبة انفعالية ؛ لأن الرطب قد ينفعل إلى اليبس ، وهو رطب ؛ بل بأن تزول رطوبته . وهذا النمط لا يجعل الكيفية انفعالية ؛ بل نحو النمط الذى للرطوبة فى قبول جسمها التشكيل والتوصيل بسهولة . فإن الجوهر يقبل بالرطوبة هذا التأثير ، وهو رطب ، ويبقى له ذلك ما بقيت الرطوبة .

ومع ذلك ، فإن اليابس والرطب موضوعان للحر والبرد ، ويفعل كل واحد منهما فيه فعلاً تابعاً للتسخين والتبريد . والرطب واليابس لا يفعلان فى الحار والبارد شيئاً إلا بالعرض ، مثل الخلق المنسوب إلى الرطوبة . والخلق هو إما على وجه يضطر الحار إلى هيئة من الاجتماع والتشكل مضادة لمقتضى طبيعته ، إذا كانت يابسة ، فلا يجب

(١) م ، ط : يفعل بأن تماس أو يحاذى // يج ، ط ، د : كلمة غير واضحة تشبه أن تكون (فى النصبه) // د : - التى (٢) سا : بهما يستعد // ط : للانفعال (٣) د : - ما : سا : لأن الحار // ب : وكيف (٤) ط : هو + وهو // م : لأن // سا : - المادة (٥) ط : تلك الحار (٦) م : وجود الجزء (٧) م : حالة // ب : التيبس (٨) ب : التيبس // م ، ط : يزول (٩) فى جميع النسخ : نحو النمط . والمعنى غير واضح ، ولعله : « هو » // ط : بالتشكيل (١٠) م ، سا ، د : ينفعل بالرطوبة // م : - له ذلك ما بقيت (١١) سا : موضوعاً // سا ، ب : البرد يفعل كل (١٣) سا : مثل الجنس والحق هو (١٥) م ، سا : ماهية من // ط ، د : التشكيل // سا : إذ // م : فلا يجب

إلا إذا بطلت طبيعته، وإما على ضئيل أن لا ينفعل الرطب لكثرتة إذا قوبلت بالقوة المحيلة، فلا يستحيل إلى مادة تحفظ الحار، فلا يتولد حار بعد . وإذا انفصل الحاصل من الحار، صاعداً، لم يكن مدد يحفظ اتصاله، كما يعرض عند كثرة دهن السراج . وهذا في المركبات . وإذا شئت أن تتحقق فعلية الحار والبارد، ولا فعلية الرطب واليابس، فانظر ما يعتريك من ملاسة الطبيعتين .

•

(١) ط : « لكرامة » بدلا من « لكثرتة » (٢) م ، سا : حفظ // سا : وإذا ، وفي « د » : فإذا (٤) م ، ط : يتحقق // سا : فلا فعلية (٥) ط : فانظر + إلى // م ، د : الطبقتين

الفصل الثاني عشر

فصل في

حل قطعة أخرى من هذه الشكوك

وأما الشك ، الذي أورد بعد هذا ، فالجواب عنه أن إيجابنا وجود عناصر أربعة ليس المعول فيه كله على القسمة ؛ بل على قسمة يتبعها وجود . فإن الشيء إذا أوردته العقل في القسمة ، ثم دل عليه الوجود ، لم يكن أظهر منه .

وقد وجدنا الحر والبرد يلازمان الكيفيتين المنفعلتين ، ليس إنما يلازم الواحد منهما الرطوبة دون اليبوسة ، أو اليبوسة دون الرطوبة . فقد رأينا اليابس يسخن ، ورأيناه يبرد . وكذلك رأينا الجسم الرطب يسخن ، ورأيناه يبرد . فلم يكن اجتماع البرد مع الرطوبة واليبوسة ، أو اجتماع الحر مع الرطوبة واليبوسة ، مستكراً ، في العقل المفطور ، وفي الوجود المحسوس ، إذا كانت المادة تحتل ذلك ، وكانت ازدواجات ممكنة في الوجود .

وأما حديث التكثير بازدواجات تقع من مفرط ومعتدل ، فنقول في جوابه إن المادة البسيطة ، إذا كانت فيها قوة مسخنة ، وكان من شأنها أن تقبل السخونة ، فمن المحال أن لا تسخن السخونة التي في طباعها أن تقبلها إلا لعائق . وذلك لأن من شأن المسخن ، إذا بقي مالمس فيه سخونة ، وهو يقبلها ، أن تحدث فيه سخونة .

والسخونة مسخنة ؛ إذ من شأن السخونة ، إذا لاقى مادة ، أن تحدث فيها سخونة

(١) م ، ط : الفصل الثاني عشر ، وفي د : فصل الثاني عشر (٥) د : المقول // م : - كله // م : الفعل (٦) ط : ولم يكن (٨) « أو اليبوسة دون الرطوبة » مكررة في نسخة سا (٩) م : - الرطب (١٠) سا : والتيس (الأولى) (١١) م : في الوجود (الأولى) // م : يحتمل // سا : فكانت (١٢) م : الكثير ، وفي « د » التكثير // م ، ط : يقع (١٣) م : فيهما ، وفي « د » : فيه // م ، ط : يقبل (١٤) ط ، سا : المحال - أن يكون // سا : يقبله (١٥) سا : يجذب فيه (١٦) م ، ط : يحدث ، وفي « سا » يجذب

أخرى . فكيف إذا كانت في نفس المادة واحتملت سخونة أخرى ؟ فهذه القوة المسخنة ، إذا أحدثت حداً من السخونة ، فبعد ذلك إذا لم تغد سخونة ، والسخونة الموجودة أيضاً في المادة إذا لم تغد سخونة بعد التي أفادت ، فإِما لأصل أن طباعها ليس تفيد السخونة في القابل إلا وقتاً ما ، وبحال ما ، وقد فرضنا القوة مسخنة بطباعها ، وكذلك السخونة الحاصلة منها التي تحدث عنها سخونة فيما يلاقيها ؛ وإِما لأن المادة لا تقبل ، وقد فرضنا أنها تقبل أكثر من الحد الموجود في الفاتر والمعتدل ؛ بل نحسبها كذلك . وإذا كانت حارة كان إِمعانها في التسخن ، عند وجود ما بوجوده تكون السخونة ، أولى منها إذا كانت باردة ؛ وأما لعائق . ونحن لا نمنع ذلك . إِمّا نتكلم على مقتضى الطباع . فإن القوة المبردة في الماء يجوز أن تعاق في التبريد أصلاً ، فضلاً عن أن يبالغ في التبريد ؛ وربما كان العائق داخلاً ، وربما كان خارجاً . فإِذا لعائق ، ولا امتناع قبول في المادة عن أن تسخن زيادة سخونة عن تلك القوة بعينها ، وعن السخونة الحادثة فيها إلى الغاية التي من شأنها أن تبلغها حادثاً فيها السخونة عن السخونة التي لاحائل بينها وبينها ، التي هي أولى أن تحدث فيها سخونة من سخونة خارجة قائمة فاعلة في جسم ملاق لإحداث الميل الطبيعي لليل بعد الميل ، على سبيل الختمية ، كما قد عرفته - فواجب أن يكون الأمر فيها بالقاء الغاية . وليس هذا ، كما يعلم ، من حال القوة المصعدة للنار الصغيرة فإنها لا تبلغ الغاية الممكنة في الإسراع . فإن ذلك لعائق من خارج ، وهو ما فيه الحركة ؛ فإنه يمتنع عن الانحراق له ، ويقاومه ، فلا يقدر مثل تلك القوة أن تحرق فوق ذلك .

(٢) د : أحدث // ط : يقدر // م : - والسخونة (٣) م ، ط : يفيد (٤) م ، د : القوة المسخنة // بخ : فكذلك (٥) ط : التي يحدث // ط : يقبل (٦) د : بل في الفاتر // سا ، د : - بل // ط : يسخن كذلك // سا ، نحسبها // د : إذا (٧) م ، ط : التسخين ، وفي سا ، ب : السخن // م ، ط : يكون السخونة // سا : لا نعلم ذلك (٩) م ، ط : يعاق (١٠) ب : - في // م : - عن (١١) م ، ط : يسخن // م : من تلك (١٢) م ، ط : يبلغها // م : - عن السخونة (١٣) م ، ط : يحدث // سا : - فاعله // سا : يلاق (١٤) سا : وكما ، وفي ب : كما قد // م ، سا : - قد (١٥) سا : الغاية الممكنة // سا : وهذا ليس (١٦) م ، ط : يبلغ // د : - فإن ذلك لعائق « إلى قوله » الحركة فإنه (١٧) م ، د : الانحراف // بخ مثل تلك ، وفي النسخة الأخرى بتلك // ط : ينحرق م : - فوق

فيعرض في فعله من العائق قصور لا يعرض لما هو أكثر وأقل قبولاً للمقاومة . ولو لم تكن مقاومته من جهة المتوسط لكانت الحركات كلها متشابهة ، كما مر لك في مواضع أخرى .

وكذلك لو لم تكن في الماء مقاومة للتسخن لكان يسخن بلا فتور (غاية) السخونة عند لقاء المسخن . .

فيجب من هذا أنه إذا لم يكن مانع كانت المواد المتسخنة عن القوة المسخنة الموجودة فيها تتسخن على السوية . فإذا كان بعض الأسطوانات لا يبلغ (الغاية) في التسخن الطبيعي عن طبيعته ، وليس عائق من خارج ، فهناك عائق من أمر فيه عن طبعه . وليس يجوز أن تكون الطبيعة وحدها عائقة ، وموجبة . فيجب أن يكون بوساطة أمر آخر يفيض عنها . فتكون القوة ، إذا كان من شأنها أن تسخن وترطب معاً عاقت الرطوبة المادة ١٠ عن أن تقبل السخونة عن تلك القوة إلى (غاية) الحد ، بل قعدت بها وكانت المادة لا تبقى رطبة إذا أفرط فيها الحر ، فتكون الرطوبة التي تفيض عن القوة تجعل للمادة حداً محدوداً في استعداد قبول الحرارة .

ولقائل أن يقول إن المادة ، وإن كانت مستعدة ، فإنها لا تخرج إلى الفعل إلا عن قوى تقوى على إخراجها إلى الفعل . فإن المتوسط مستعد أيضاً للانحراف الأشد . والماء ١٥ مستعد للتسخن الأشد ، ولا يكفيه ذلك ما لم يكن قوة تقوى عليه ، لأنه مستعد لأمر

-
- (١) سا : ا كبر // د : قبول // د : - لو (٢) م ، ط : يكن // د : مقاومة
(٤) د للمسخن ، وفي م « للمسخن » // م ، د . لكانت تسخن // م : وغاية
السخونة (٥) سا : بقاء (٦) د ، إذ لم يكن // د : لكانت // سا : المادة // م : - عن
القوة المسخنة (٧) م : تسخن // سا « البيوسة » بدلا من « السوية » // ب د : وإذا // م كانت
// م ، ب : الأسطوانات // د : في المسخن (٨) م : طبيعة // م ، ط ، : طبيعته (٩) م ، ط :
يكون (١٠) ط : فيكون // م ، ط : يسخن ويرطب (١١) م ، ط : يقبل // م السخونة + عن
السخونة // م ، قيدت كانت ، وفي سافقبلت به ، وفي د : قعدت كانت // ط : يبقى (١٢) ط :
فيكون // م : - التي // م ، ط : يجمل (١٣) م : وقبول (١٤) م ، ط : يخرج
(١٥) م : مقو على (١٦) م : يكفنه // م ، ط : يقوى // بخ : مستعد + الصورة

عن (علة فاعلة ذات قوة محدودة) فإذا كانت القوة ليس لها أن تسخن أكثر من حد ، أو يحرق أكثر من حد ، لم يكف استعداد المادة .

فنقول : إن تصور ماقلناه ، على الحقيقة ، يغنى عن إيراد هذا الشك ؛ وذلك لأن القوة إذا كان من شأنها أن تسخن ، ووجد القابل المستعد بلا معاوقة ، استحال أن لايسخن ، وأن لايقوى على أن لايسخن . فهذه القوة ، بعد أن وجدت منها السخونة ، لم يبطل عنها أنها توجد السخونة في القابل للتسخن عنها كل وقت . ووجود ما وجد من السخونة المقدرة عنها لا يمنع القابل عن أن يكون قابلا للسخونة . وكذلك السخونة الموجودة فيها من شأنها أن توجد السخونة في أى مادة لاقتها قابلة للسخونة ولا مانع لها .

١٠ فإذا كانت المادة الخارجة تسخن عن تلك السخونة فالمادة الملاقية أولى لا محالة . فيجب أن يحدث عن القوة في المادة ، بعدما حدث من السخونة ، سخونة زائدة ، في طباعها أن تقبلها ، وفي طباع القوة والسخونة أن تحدثها ، لامن حيث هي زيادة أولية ، بل من حيث هي سخونة .. فإن تلك الزيادة سخونة ، لاشيء آخر ، كما أن لو سخنا آخر انضاف إليه لكان يفيد سخونة .

١٥ والقوة والسخونة من شأنها أن توجد السخونة كل وقت لذاتها ، لا لسبب ، إن كان عنها سخونة أو لم يكن . والسخونة التي وجدت عنها لا تمنع أن تفيض عنها أيضاً السخونة في طباعها . ذلك والتأخر إلى وقت ثان ، على سبيل الوقوف ، لا معنى له . فإن

(١) م ، ط : يسخن (٢) سا : الماء (٣) سا : - إن // م : يعنى . (٤) ط : كانت // ط : يسخن (٥) في نسخة عج فقط : على أن لايسخن (الثانية) وفي بقية النسخ : أن يسخن // د : وجد (٦) د : لم تبطل // ط : يبطل منها // م ، ط : يوجد // ط : للتسخين (٧) ب : عنها (٨) م ، ط . يوجد // سا : في للمادة أى مادة // ط : لأنها قابلة (١٠) ط : يسخن // ط . سخونة + أخرى (١٢) م ، د : يقبلها // د : وفي طباعها // م ، ط : يحدثها (١٣) د : لشيء (١٤) م : يضاف (١٥) م ، ط : يوجد // م : لسببه ، وفي ط : « : بسبب // ب : - إن (١٥ ، ١٦) د : - « إن كان عنها سخونة أو لم يكن (١٦) م ، ط : يمنع // م ، ط : يفيض (١٧) ط ، سا // ط : في طباعها // م : فانه

في الزمان الذي بينهما لم يكن عائق زال ، فيجب أن يحدث ذلك بلا تأخير
يفعله وقوف .

وليس حال الحرق كذلك . فإن الحرق وجوده أن يكون شيئاً بعد شيء ؛ إذ لا قرار
للحركة ، ولا لما يجري مجرى الحركة . ثم النحر ، وإن كان قابلاً بمادته فهو مقاوم بصورته
مقاومة شديدة أو غير شديدة . ولهذا لا ينحرق الماء والهواء عن الشوط إذا رام إسراع
الحرق وترك طريق الرفق ، لأنه يقبل قليلاً قليلاً لما فيه من المقاومة وتسخين الماء ، إنما
يكون شيئاً بعد شيء ؛ لأن في أول الملاقاة يكون الماء بارداً ، والبرد يمنع استعداد المادة
للضد مادام ثابتاً ، فيحدث أولاً في زمان تفرضه أولاً حرارة ما بقدر الاستعداد المعوق .
ثم يكون الفاعل ، بعد ذلك ، حرارة من خارج وحرارة في الماء يتعاونان على الإحالة .
ويكون البرد المعاق أقل ، فيكون في الزمان الثاني يستحيل أسرع وأشد ؛ وذلك لأن
حال الفاعل والقابل معاً في الزمانين مختلفان .

وليس هكذا الحال في مسألتنا نحن . على أننا لا نناقش في أن يستمر ازدياد
التسخين في مادة الهواء عن القوة وعن السخونة الحاصلة في زمان على الاتصال . ولكن
ذلك أيضاً غير موجود .

وقول القائل إن السخونة تسخن إلى حد ما لا يقوى على أكثر من ذلك ، وإن
كان ممكناً في الوجود وفي طباع المادة ، قول لا يلتفت إليه . فإن ذلك إنما يكون إذا
قيس إلى مقاوم . وأما إذا لم يكن مقاوم فهذا القول محال ؛ لأنه إذا حدثت فيه سخونة

(١) ط : فزال // سا : فوجب (٢) يفعله وقوف ، وفي د : ولعله وقوف (٣) ط :
الحرق // م ، ط . الحرق (الثانية) (٤) م : ولما يجري (٤) سا : لمادته (٥) سا : الشوط
وفي النسخ الأخرى : السوط (٦) م ، ط : الحرق (٦) د : الرقيق (٧) د : الأول الملاقاة // ط :
الملاقات (٨) ب : يفرض ، وفي م : يفرضه // د : - ما // م ما لا يقدر (١١) م : مختلفة ، وفي سا ،
مختلفين (١٢) بيخ : ذلك الحال (١٣) سا ، ط ، د : التسخين // م : - عن القوة وعن (١٥) م ،
ط : يسخن (١٦) م : انطاع ، وفي د : طباعها (١٧) م : حدث

لم تكن عاتقة عن أن تحدث عنه أخرى إلى أن يستوفى الحد الذى فى قوة المادة قبوله ،
إذا لم يكن مانع ، وهو الحد الذى للنار مثلاً ، فلا يكون هناك تحدّد دون النهاية البالغة .

وإذا قد بينّا هذا فبالحرى أن نعود إلى مسألتنا فنقول :

- قد بان أن بعض الأجسام البسيطة ، إذا كانت فيه قوة تسخن وترطب بالطبع ،
وكان فى جسم آخر أيضاً مثلها ، لم يجز أن يكون أحد الجسمين حاراً رطباً على حد ،
والآخر أقل فى أحدهما أو كليهما ، أو أكثر ؛ بل يجب أن لا يتشابه فى ذلك إلا لعائق
فإن لم يتشابه ، ولا عائق من خارج ، فإنما يجوز أن لا يتشابه فى كيفية واحدة حين
لا يكون هناك عائق من خارج إلا لعوق من الكيفية الثانية ، فيكون العائق وجود
الكيفية الثانية التى تفيض عن تلك القوة بعينها . فإنها تمنع المادة منعاً ما ، وتعاوقها
عن الاستكمال ، وتنقص الاستعداد النقص المنسوب إلى المعاوقة ، فتصير لها المادة
غير قابلة إلا بشدة وعسر ، وإن كانت الطبيعة فاعلة .

لكن لقائل أن يقول : إن العوق أيضاً يجب أن يبلغ الغاية ، [أولاً يكون
أصلاً ، فإن نسبة العوق إلى القوة والمادة نسبة التسخين إليهما ، وكما أن التسخين يبلغ الغاية]
إذا لم يكن عوق ، كذلك العوق يجب أن يبلغ الغاية :

- فنقول : نعم إذا لم يكن للعوق عائق . وأما القوة المسخنة فمعاوقة للعوق ، فلا تبلغ

الحد الأقصى

وإذا كان كذلك انحل الشك المذكور .

- (١) ط : عائق // م ، ط : يحدث // ب : أخرى عنه (٢) د : فاذ (٤) سا ، د : فيها
// سا : الطبع . (٦) سا : كلاهما (٧) م : أن يتشابه (٨) سا : تعوق (٩) م ، ط : يفيض
// م : يمنع // ط : ويعاوقها (١٠) سا : وتنقص // م المعاونة // م ، ط : فيصير (١١) ط ،
د : أشدة (١٢ - ١٤) ما بين المعقوفتين يوجد فى نسختي ط ، د فقط . (١٥) م ، ط : يبلغ

ولقائل أن يقول : إنه كيف يمكن أن ينبعث عن مبدأ واحد قوتان تعاقب إحداها الأخرى ، وتتقابلان وتتنازعان ، والمادة واحدة غير مختلفة ؟
فنقول : إن ذلك ليس على سبيل المقابلة ؛ بل على سبيل تقدير استعداد المادة ، ومعنى العوق هو هذا المعنى ، وهو أن وجوده يجعل المادة محدودة الاستعداد . وذلك لأن الحرارة ، إذا أخذت مرة صرفة ، ومرة متوسطة ، فلأن إحداها تكون مع يبوسة ، والأخرى مع الرطوبة . وكذلك البرودة . فحينئذ تعود الأقسام إلى الأربع .

(٢) سا : ويتقابلان (٣) د : + بل على سبيل المقابلة // د : القدير // سا : الماء
(٤) سا : - المعنى (٥) سا : إذا احدث // م : أحدهما (٦) م : + وكذلك الرطوبة
// م : الأربعة .

الفصل الثالث عشر

فصل في

حل باقى الشكوك

وأما الشك المذكور فى التماس البيان لإثبات كون النار مفارقة للهواء ، لا بأنها أشد منه سخونة ، وهى من طبعه ؛ بل بالفصل الذاتى ، فقد فُرىغ من ذلك .

٥

وبين أن هناك مكاناً لجسم طبيعى غير الهواء وأنه حار .

وأما ما أخذ فى التشكك كالتسليم من فنور النار البسيطة فأمر لا يقول به إلا المتعصر فى الصناعة . فلذلك لا يلزم إلا من قال إن المركب أقوى من البسيط فى الكيفية .

على أن لقائل أن يقول متأولاً : إن المركب قد يعرض له أن يكون أقوى من

البسيط فى الكيفية ، إذا كانت هناك أسباب أخرى . توجب الازدياد فى الكيفية غير الذى فى الطبع ، فيتظاهر الطبع والوارد والمرفد إياه على تقوية الكيفية ، وإن كان هذا القول ربما لم يلتفت إليه .

١٠

وأما ما سئل عن أمر النار التى هناك ، أعنى عند الفلك ، وهل السخونة أمر يعرض لها من حركة الفلك ، وهى فى نفسها غير حارة ، أم هى فى نفسها حارة فى طبيعتها ؟ فقول :

١٥

(١ ، ٢) م ، ط ، د : الفصل الثالث عشر ، وفى سا ، ب فصل فى (٤) ب : مفارقاً // م : - لا (٥) ط : وهو من طبيعتها ، وفى بقية النسخ « وهو من طبعه » // م بالفضل (٧) د : « وأما ما أخذ » مكررة فى « د » // د : المتسلم + المسلم // د : يقول به + فى التشكك (٩) م : قوى (١٠) د ، سا : - إذا كانت هناك أسباب أخرى . (١٠) م ، ط : كان // م ، ط : يوجب (١١) ب : التى فى // ط ، د : الموقد (١٣) د : - عند (١٤) سا : تعرض // ط : أو هى // د : - « ا » هى فى نفسها حارة .

إنه لا يمتنع أن يكون التحريك يسخن ما ليس بسخين في طبيعته وتكون مع ذلك ، طبيعته الذاتية محفوظة ، ويكون ما تغير المتسخن إلا في السخونة . ولا يمتنع أن يكون التحريك يحيل طبيعة المتحرك إلى الصورة النارية ابتداء ، لو وجد خالياً عنها ، أو يكون التحريك سبب دوامها مدة وجودها ، مثل الحك المشعل . فإنه لشدة التسخين يعد المادة لقبول الصورة النارية ، ويعاوق الاستعداد المقابل له فيكون الحك سبباً ، بوجه ما ، للصورة النارية ، لا لتسخن أول شيء له طبيعة قائمة غير موجبة للسخونة . وإنما يسخن من خارج فقط بل لإفادة الطبيعة التي هي مبدأ السخونة بنفسها ، حتى لو توهم الحك زائلاً ، والتحريك باطلاً ، بقى الجسم على الصورة النارية ، إلا أن يرد شيء مفسد للصورة النارية مقاوم لها . ولو كانت هذه النسبة من المحاكاة والتحريك دائمة لكان وجوب لبس الصورة النارية دائماً .

فالمادة التي هناك ملبسة صورة النارية بمعاوضة من حركة الفلك ، ولا مضادة في طباعها لذلك . ولو كان في طبيعة ذلك الجسم شيء مضاد لذلك لكان التحريك الذي هناك يبطل تلك الطبيعة للمضادة بفرط التسخن الذي هناك . هذا إن كان التحريك مسخناً ، وإن لم يكن مسخناً فالشبهة زائلة من كل وجه ، إذ كانت الشبهة في أن ذلك الجوهر الذي هناك ، إذ قد عرض له التسخن من خارج ، فليس ذلك له طبيعياً . وذلك لأنه عرض له الحك فسخره . والحك عرضي فالسخونة عرضية .

فالجيب عن ذلك يقول :

إن السبب الخارج العارض قد يكون سبباً لصورة طبيعية يتنوع بها المادة .

(١) م : تسخين م : ويكون (٢) م ، ط ، د : يغير // ط : تمتنع (٣) ط ، د : صورة (٤) سا : مثال ، وفي «د» . بأمثال (٥) ط ، د : صورة (٦) م ، ط : صورة // د : سخن (٧) د : الإفادة (٨) د : صورة (٩) د : أو التحريك (١١) سا : مكتسبة // سا : لمعاوضة .
// سا : مضاد (١٣) م : - يبطل // م يفرط // ط : إذا كان // د : كان + ذلك (١٤) سا : إن كانت (١٥) سا ، د : - إذ // ط ، د : التسخين // سا : من خارج التسخن // سا ، د : وليس (١٦) م ، سا : ذلك // ط : لتسخنه // م ، سا : عرض // م ، سا : والسخونة (١٨) م : لعارض ، وفي سا : العارض من الخارج . // م ، ط : يتنوع //

ويتضح هذا فضل إيضاح في الصناعة الحكيمة الإلهية . ونعم ما أوجبت العناية الإلهية إسكان النار في حيز الحركة ، وإلا لكان كل ما تنوهم أنه يحصل هناك ، مما ليس بنار من الأجسام العنصرية ينقلب ناراً فيتحرك إلى حيز النار الأخرى ، إن لم يكن حيزه تلك المجاورة ، ويعقبه غيره . فلا تزال النارية تتضاعف حتى تفسد ما ليس بنار .

٥

وأما التشكك المبني على أن الحار ماباله يصعد قبل استحالة صورته الطبيعية ، كما يصعد البخار والدخان . والبارد لا يفعل ذلك ، فقد يمكن أن يجاب عنه بوجوه من الأجوبة :

من ذلك أن الحار ، في الجملة ، أقوى من البارد . ولذلك مالا يطاق النار . والماء والجمد لا يبلغ واحد منهما من برده الطبيعي أن لا يطاق ، وقد يبلغ ذلك من حره العرضي ، فكيف الشيء الذي في طبيعته حار ! فيشبه أن يكون الحار لقوته يغلب مقتضى جوهر الشيء وطبيعته ، ولا يقدر عليه البارد ، أو يشبه أن يكون البرد يهبط أيضاً ما يعرض له ، وإن لم يحل المعروض له عن جوهره ، ولم يغيره ، كما إذا استحال الهواء ضباباً عن برد فأنحدر ، وهو بعد ضباب . فلا يبعد أن يقال إن الضباب هواء قد برد ، ومال إلى أسفل ، ولم تبطل صورته الذاتية ، كما لم تبطل صورة الماء في الجمد ، أو يكون الشيء البارد الذي يتصعد بالتسخين هو أرض وماء قد يقبلان حراً أشد من حر الهواء ، ولا يكونان قد فسداً بعد فساداً تاماً . فيظهر صعودهما في الهواء ، ومجاورتها إياه .

١٠

١٥

(١) م ، ط : أفضل // ط : الحكمة // ط : أوجب . (٢) م ، ط : يتوهم وفي سا ، د : فيوجه إليه (٣) د : تنقلب // ط : - حيز // م ، ب : الآخر // م ، ب ، سا : حيزها (٤) سا : تلك النارية // م ، ط : يتضاعف (٥) م ، ط : يفسد (٦) ط ، د : البشكك // م : - أن . (٧) سا : تفعل (٩) م : أن النار // م : ما يطاق // سا ، د : « البارد » بدلا من النار ببحر الهواء وفي ط « الماء » بدلا من « النار » (١٠) ط : والنار . (١١) بخ : حرّة الطبيعي // ط : فكيف + يكون // م : الذي + هو // ط : في طبعه (١٣) سا ، ط ، د : أيضا يهبط // سا : يحك ، وفي «د» يحل // ط : الشيء المعروض (١٥) م : بدر // م ، ط : يبطل (الأولى والثانية) (١٦) م : هو ماء وأرض (١٧) سا : حرّا + هو // م : // م : بعد فقد فسد // م : صعودها (١٨) م : أو مجاورتهما // د : مجاوزتها

ولعل الهواء والنار ليسا يقبلان من البرد ما يصيران به أبرد من الماء ، حتى يريا نافذين في الماء هبوطا . ولعل ما يبرد من النار يعرض له أن ينحدر من حيزه إلى حيز الهواء . لكنه اذا انحدر لم يكن ذلك محسوساً ؛ لأن النار البسيطة غير محسوسة .

ولعل الضباب هواء متبرد متكاثف ، لكنه ليس مستحيلا بعد إلى المائية .
• وأيضاً فلنأخذ أن يقول إن البخار والدخان يصعدان على سبيل مرافقة النارية وبالقسر على ما قلنا قبل .

وبالجملة إن صعودا بالمرافقة لم يلزم السؤال ، وإن صعودا ، لا بالمرافقة ؛ بل للاستحالة في الكيفية فقط ، فالفرق ما قيل .

* * *

• وأما الشك المبني على استحالة أن يكون ماتحت الفلك طبيعة واحدة ، وإنما يختلف بالأعراض ، فيبطله وجود الحركات الطبيعية متضادة لوجود المركز والمحيط . والجسم للمتساكل الطبيعية النوعية لا تختلف حركاته الطبيعية ؛ إذ لا تختلف قواه الأصلية .

• وأما ما نظن أن الكون يبرد الحركة ؛ إذ الحركة تسخن فذلك باطل . فإننا قد بينا أن السكون عدم الحركة ، وعدم العلة علة لعدم المعلول ، لا لضد مقابل له ، فإن الحركة إذا كانت توجب حرارة ، كان لا يكون حركة هو أن لا توجد حرارة .

• وأما أن توجد برودة ؛ فيحتاج إلى علة ، فيشبه أن يكون الجسم الساكن البعيد

(١) د : النار والهواء . (٣) م : ولا أن النار (٤) م : مبرد // ط : متكاثف متبرد
وفي « د » متبرد ومتكاثف (٥) م ط : - وأيضا (٦) م : صعد (٧، ٨) سا : - وإن صعودا ،
لا بالمرافقة بل للاستحالة إلى قوله : فالفرق ما قيل // ط : بالاستحالة (١٠) ط : عدم استحالة
// م : يجب الفلك (١١) م : للوجود (١٢) م : المشاكل // م ، ط : يختلف الأولى والثانية
(١٣) م . ب ، ط : يظن (١٣ ، ١٤) م ، ب ، د : - يبرد الحركة : إلى قوله :
« أن السكون » (١٥) ط : - كان . وفي « د » : فإن لا يكون // م ، ط ، د : يوجب
(١٦) م : يوجد

من الحركة قوى الاستعداد لقبول القوة المبرزة من الأشياء الكاسية للمواد صورها ،
ويكون ضعيف الاستعداد لقبول الطبيعة المسخنة ، بل يحتاج إلى معاون من حرارة مماسة
أو حركة ، حتى يستعد ، فينال من واهب الصور ما يستعد له . وسنظنب في هذا حين
نتكلم في الفلسفة الأولى .

* * *

وأما الشبهة المبنية على حال اللس فيجب أن تقدم لحلها مقدمة ، ونقول : إن قولنا
إن الرطوبة سهلة القبول والترك هو على سبيل التجور . فإن السهل والصعب يكاد أن
يكون من المضاف . وليست الرطوبة من المضاف .

ولكن يجب أن نعلم أن الرطب هو الذى لا مانع له ، فى طباعه ، ألبتة عن قبول الشكل
والانحصار والاتصال ؛ وعن رفضه ، مع زوال القاسر راجعا إلى الجهة التى له أن يتحرك
إليها ، والشكل الذى له أن يتشكل بالطبع به .

واليابس هو الذى فى طباعه ممانع ، إلا أن فى طباعه إمكان قبول ذلك عند تكلف
بجشمه القاسر إياه ، فتكون نسبة الرطوبة ، من هذا الوجه ، ومن حيث هى هكذا ،
إلى اليبوسة قريبا من نسبة الأمر العدمى إلى الأمر الوجودى . فيكون الإحساس
بالرطوبة ليس إلا أن لا يرى مانع ومقاوم ، وباليبوسة أن يرى مانع ومقاوم .

فالرطوبة وحدها لا تثبت عند الحس من جهة اللس وحده جسما ، واليبوسة
تثبت ذلك .

(١) (ب ، سا : الكاسية // ط ، ذ : المواد (٢) ضعف // م : معاونه
(٣) د : استعد (الثانية) (٦) سا : فنقول (٧) م : التجويز (٧ ، ٨) م : يكاذن يكونان (٨) سا : -
وليست الرطوبة من المضاف (٩) م : تعلم ، وف : ط : يعلم // م ، سا : - البتة (١١) سا : - به
(١٢) م : مانع (١٣) م ، سا ، ط : فيكون . // م : من حيث (١٥) م : باليبوسة
(١٦) سا : بالرطوبة // م ، ط : يثبت // م : الجهة . (١٨) م : ط : يثبت ،

وإذا نسبنا أحد الطرفين إلى الحس بالذات كفانا أمر مقابله العدى في أمر المزاوجة
بل لو وجدنا بالحس اللسى كيفيتين (تمت) المزاوجة الرباعية من مضادتين وبين
قنية وعدم .

فليكن هذا مبلغ ما نقوله في حل الشكوك المذكورة على الاختصار .

صورة معقولة في شيء منقسم ، فإذا فرضنا في الشيء المنقسم أقساما عرض للصورة أن تنقسم ، فحينئذ لا يخلو إما أن يكون الجزعان متشابهين أو غير متشابهين ، فإن كانا متشابهين فكيف يجتمع منهما ما ليس هما ، إذ الكل من حيث هو كل ليس هو الجزء ، إلا أن يكون ذلك الكل شيئا يحصل منهما من جهة الزيادة في المقدار أو الزيادة في العدد لا من جهة الصورة ، فحينئذ تكون الصورة المعقولة شكلاماً أو عدداً ما ، وليس كل صورة معقولة بشكل أو عدد ، وتصير حينئذ الصورة خيالية لا معقولة .

وأنت تعلم أنه ليس يمكن أن يقال ، إن كل واحد من الجزئين هو بعينه الكل ، كيف والثاني داخل في معنى الكل وخارج عن معنى الجزء الآخر . فمن البين الواضح أن الواحد منهما وحده ليس يدل على نفس معنى التمام ، وإن كانا غير متشابهين .
 فليُنظر كيف يمكن أن يكون ذلك ، وكيف يمكن أن تكون للصورة المعقولة أجزاء غير متشابهة . فإنه ليس يمكن أن تكون الأجزاء غير المتشابهة إلا أجزاء الحد التي هي الأجناس والفصول ، وتلزم من هذا محالات منها أن كل جزء من الجسم يقبل القسمة أيضاً في القوة قبولاً غير متناه ، فيجب أن تكون الأجناس والفصول في القوة غير متناهية وهذا محال . وقد صح أن الأجناس والفصول الذاتية للشيء الواحد ليست في القوة غير متناهية ، ولأنه ليس يمكن أن يكون فيه توهم القسمة يفرز الجنس والفصل ، بل مما لا نشك فيه أنه إذا كان هناك جنس وفصل يستحقان تميزاً في المحل أن ذلك التمييز لا يتوقف إلى توهم القسمة ، فيجب أن تكون الأجناس والفصول بالفعل أيضاً غير متناهية . وقد صح أن الأجناس والفصول وأجزاء الحد للشيء الواحد متناهية من كل وجه . ولو كانت الأجناس والفصول يجوز لها أن تكون غير متناهية بالفعل ، لما كان يجوز أن تجتمع في الجسم اجتماعاً على هذه الصورة ، فإن ذلك يوجب أن يكون الجسم الواحد انفصل بأجزاء غير متناهية بالفعل . وأيضاً

(٣) هما : بهما ك .

(٦) عدداً ما : عدداً ك ، م .

(٩) كيف : وكيف ك ، م .

(١٢) غير (الثانية) : الفيرد ، ف ، م .

(١٥) وقد : فقد ف . (١٦) فيه : ساقطة من ف || يفرز : يقرر م .

(١٩-٢٠) بالفعل والفصول : ساقطة من م .

(٢٢) انفصل : انفصل د .

لتكن القسمة مما قد وقع من جهة ، فأفرزت من جانب جنسا ومن جانب فصلا .
 فلو غيرنا القسمة لم يخل إما أن يقع منها في كل جانب نصف جنس ونصف
 فصل أو يوجب انتقال الجنس والفصل إلى القسمين ، فيميل الجنس والفصل كل
 إلى قسم من القسمة ، فيكون فرضنا الوهمي أو قسمتنا الفرضية تدور بمكان
 الجنس والفصل ، وكان يتحيز كل واحد منهما إلى جهة ما بحسب إرادة مرید
 من خارج فيه . على أن ذلك أيضا لا يغني ، فإنه يمكننا أن نوقع قسما في قسم.
 وأيضا ليس كل معقول يمكن أن ينقسم إلى معقولات أبسط منه ، فإن ههنا
 معقولات هي أبسط المعقولات ، وهي مبادئ التركيب في سائر المعقولات ، وليس
 لها أجناس ولا فصول ، ولا هي منقسمة في الكم ، ولا هي منقسمة في المعنى .
 ١٠ فإذا لم يمكن أن تكون الأجزاء المفروضة متشابهة كل واحد منها هو في
 معنى الكل ، وإنما يحصل الكل بالاجتماع فقط ، ولا أيضا يمكن أن تكون غير
 متشابهة فليس يمكن أن تنقسم الصورة المعقولة .

وإذا لم يمكن أن تنقسم الصورة المعقولة ولا أن تحل طرفا من المقادير غير
 منقسم ولا بد لها من قابل فينا ، فلا بد من أن نحكم أن محل المعقولات جوهر
 ليس يحسم ، ولا أيضا متلقيها منا قوة في جسم ، فإنها يلحقها ما يلحق الجسم
 ١٥ من الانقسام ثم يتبعه سائر المحالات ، بل متلى الصورة المعقولة منا جوهر غير جسماني .
 ولنا أن نبرهن على هذا ببرهان آخر فنقول : إن القوة العقلية هو ذا تجرد
 المعقولات عن الكم المحدود والأين والوضع وسائر ما قيل من قبل ، فيجب أن
 ننظر في ذات هذه الصورة الثبوتية عن الوضع كيف هي مجردة عنه أبالقياس إلى

(١) فأفرزت : فأفرز د ، ك .

(٢) كل : ساقطة من د ، ك .

(٣) أو يوجب : أولوجب ف .

(٤) فرضنا : فرضاد .

(٥) يتحيز : يحزم .

(٦) أيضا : ساقطة من ك ، م .

(١١) بالاجتماع : بالاجتماع م .

(١٢) المعقولة : المعقول د || تحل : كل د .

(١٥) ولا أيضا : وليس أيضا د .

(١٦) منا جوهر : جوهر تمام .

(١٧) ذا : ذود || تجرد : يجرد ف .

(١٩) أبالقياس : بالقياس د ، م .

(١٨) من قبل : ساقطة من م .

الشيء المأخوذ منه أو بالقياس إلى الشيء الآخذ ، أعنى أن وجود هذه الحقيقة المعقولة المتجردة عن الوضع هل هو في الوجود الخارجى أو في الوجود المتصور في الجوهر العاقل . ومحال أن نقول : إنها كذلك في الوجود الخارجى ، فبقي أن نقول : إنها إنما هي مفارقة للوضع والأين عند وجودها في العقل . فإذا وجدت في العقل لم تكن ذات وضع وبحيث تقع إليها إشارة أو تجزؤ أو انقسام أو شيء .
 مما أشبه هذا المعنى ، فلا يمكن أن تكون في جسم . وأيضا إذا انطبعت الصورة الأحادية غير المنقسمة التي هي لأشياء غير منقسمة في المعنى في مادة منقسمة ذات جهات ، فلا يخلو إما أن لا تكون ولا لشيء من أجزائها التي تفرض فيها بحسب جهاتها نسبة إلى الشيء المعقول الواحد الذات غير المنقسم المجرد عن المادة ، أو تكون لكل واحد من أجزائها التي تفرض نسبة أو تكون لبعض دون بعض .
 ١٠ فإن لم تكن ولا لشيء منها فلا لكلها ، فإن ما يجتمع عن مبادئ مبادئ وإن كان لبعضها دون بعض فالبعض الذى لا نسبة له ليس هو من معناه في شيء وإن كان لكل جزء يفرض فيه نسبة ما ، فلما أن يكون لكل جزء يفرض فيه نسبة إلى الذات كما هي أو إلى جزء من الذات ، فإن كان لكل جزء يفرض نسبة إلى الذات كما هي ، فليست الأجزاء إذن أجزاء معنى المعقول ، بل كل واحد منها معقول .
 ١٥ في نفسه مفردا ؛ وإن كان كل جزء له نسبة غير نسبة الجزء الآخر إلى الذات ، فمعلوم أن الذات منقسمة في المعقول وقد وضعناها غير منقسمة ، هذا خلف ؛ وإن كان نسبة كل واحد إلى شيء من الذات غير ما إليه نسبة الآخر ، فانقسام الذات أظهر . ومن هذا تبين أن الصور المنطبعة في المادة الجسمانية لا تكون

(٥) أو تجزؤ : تجزؤ ؛ أو تحيزك || أو انقسام : وانقسام ف ، م ؛ انقسام ك .

(٧) غير (الأولى) : الفريد ، ف ، ك

(٩) غير : الفريد ، ف ، ك

(١٠) نسبة : ساقطة من ف ، م || لبعض : لبعضها د .

(١٣) فيه (الأولى) : فيها ك ؛ ساقطة من د ، م || يفرض : يعرض م || فيه (الثانية) : فيها ك ؛

ساقطة من م .

(١٤-١٥) كما هي الذات : ساقطة من م .

(١٥) هي : هو د ، ك .

(١٨) كان : كانت م || غير ما إليه : غيرها إليه ك .

(١٩) تبين : يتبين ف .

إلا أشباحا لأمر جزئية منقسمة ، ولكل جزء منها نسبة بالفعل أو بالقوة إلى جزء منه .

وأیضا فإن الشئ المتکثر فی أجزاء الحد ، له من جهة التمام وحدة ما تنقسم . فلینظر أن ذلك الوجود الواحدی ، من حیث هو واحد ما ، کیف یرسم فی المنقسم ویكون الكلام فیها وفیما لا ینقسم بالحد واحدا .

وأیضا فإنه قد صح لنا أن المعقولات المفروضة التي من شأن القوة الناطقة أن تعقل بالفعل واحدا واحدا منها غیر متناهية بالقوة . وقد صح لنا أن الشئ الذی یقوى على أمور غیر متناهية بالقوة لا یجوز أن یكون جسما ولا قوة فی جسم ، قد برهن على هذا فی الننون الماضية . فلا یجوز إذن أن تكون الذات المتصورة للمعقولات قائمة فی جسم البتة ، ولا فعلها کائن فی جسم ولا بجسم . وليس لقائل أن یقول : كذلك المتخیلات ، فذلك خطأ ، فإنه ليس للقوة الحيوانية أن تتخیل أى شئ اتفق مما لانهاية له فی أى وقت كان ما لم یقرن بها تصريف القوة الناطقة . ولا لقائل أن یقول : إن هذه القوة أى العقلية قابلة لا فاعلة ، وأنتم إنما أثبتتم تناهی القوة الفاعلة ، والناس لا یشكون فی جواز وجود قوة قابلة غیر متناهية كما للهوى . فنقول : إنك تعلم أن قبول النفس الناطقة فی كثير من أشياء لانهاية لها قبول بعد تصرف فعلی .

ولنستشهد أيضا على ما بیناه بالكلام الناظر فی جوهر النفس الناطقة وفی أخص فعل له بدلائل من أحوال أفعال أخرى له مناسبة لما ذكرناه . فنقول : إن القوة العقلية لو كانت تعقل بالآلة الجسدانية حتى یكون فعلها الخاص إنما یستتم ب استعمال تلك الآلة الجسدانية ، لكان یجب أن لا تعقل ذاتها وأن لا تعقل الآلة وأن

(٢) منه : منها ف . (٣) وحدة ما : وحدة تمام .

(٤) واحدا : واحدك ، م . (٨) برهن : یبرهن م .

(٩) إذن : ساقطة من م

(١٠) کائن : کائنا ف ، م . (١١) فإنه : لأنه م .

(١٢) یقرن : یقرن ف .

(١٥) تعلم : ستعلم د ، ف || أشياء : الأشياء م .

(١٦) فعلی : ساقطة من د .

(١٧) ولنستشهد : فنستشهدك ؛ واستشهد م || بالكلام : فی الكلام ك .

(١٨) ذكرناه : ذکرنا ف || فنقول : ونقول د .

(١٩) تعقل : تفعل م .

لا تعقل أنها عقلت ، فإنه ليس لها بينها وبين ذاتها آلة ، وليس لها بينها وبين
آلتها آلة ، وليس لها بينها وبين أنها عقلت آلة ، لكنها تعقل ذاتها وآلتها التي تلحق
لها ولأنها عقلت فإذن تعقل بذاتها لا بآلة ، بل قد نحقق فنقول : لا يخلو إما
أن يكون تعقلها آلتها لوجود ذات صورة آلتها تلك ، أو لوجود صورة أخرى
مخالفة لها بالعدد ، وهي أيضا فيها وفي آلتها ، أو لوجود صورة أخرى غير صورة
آلتها تلك بالنوع ، وهي فيها وفي آلتها. فإن كانت لوجود صورة آلتها فصورة آلتها في
آلتها وفيها بالشركة دائما . فيجب أن تعقل آلتها دائما . إذ كانت إنما تعقلها لوصول
الصورة إليها ، وإن كان لوجود صورة لآلتها غير تلك الصورة بالعدد فذلك
باطل . أما أولا فلأن المغايرة بين أشياء تدخل في حد واحد ، إما لاختلاف المواد
والأحوال والأعراض ، وإما لاختلاف ما بين الكلي والجزئي والجبرد هن المادة
والموجود في المادة . وليس ههنا اختلاف مواد وأعراض ، فإن المادة واحدة والأعراض
لموجودة واحدة ؛ وليس ههنا اختلاف التجريد والوجود في المادة ، فإن كليهما
في المادة ؛ وليس ههنا اختلاف الخصوص والعموم لأن إحدهما إن استفادت
جزئية فإنما تستفيد الجزئية بسبب المادة الجزئية واللواحق التي تلحقها من جهة المادة
التي فيها . وهذا المعنى لا يختص بإحدهما دون الأخرى ، ولا يلزم هذا على إدراك
النفس ذاتها ، فإنها تدرك دائما ذاتها ، وإن كانت قد تدركها في الأغلب مقارنة
للأجسام التي هي معها على ما بيناه . وأنت تعلم أنه لا يجوز أن يكون لوجود صورة
أخرى غير صورة آلتها ، فإن هذا أشد استحالة ، لأن الصورة المعقولة إذا حلت
الجوهر العاقل جعلته عاقلا لما تلك الصورة صورته أو لما تلك الصورة مضافة إليه ،

(١) لها (الأولى) : ساقطة من ك .

(٣) بل : ساقطة من ك || فنقول : ونقول د || إما ساقطة من د .

(٤) تعقلها : تعلقها || ذات : ساقطة من ك ، م .

(٦) كانت : كان م .

(٧) تعقلها : تعقل ك .

(١٠) لا اختلاف : الاختلاف م .

(١٢) والوجود : والموجود م .

(١٣) اختلاف الخصوص : اختلاف التجريد والخصوص د || إحدهما : أحدهما د ، ك ، م .

(١٤) تستفيد : تستفيدة ك .

(١٥) بإحدهما : بأحدهما د ، ك ، م || الأخرى : الآخر د ، ك ، م .

(١٦) كانت : كان د ، ك .

(١٩) عاقلا : ساقطة من د .

فتكون صورة المضاف داخلة في هذه الصورة . وهذه الصورة المعقولة ليست صورة هذه الآلة ولا أيضا صورة شيء مضاف إليها بالذات ، لأن ذات هذه الآلة جوهر ونحن إنما نأخذ ونعتبر صورة ذاته ، والجوهر في ذاته غير مضاف البتة .

فهنا برهان واضح على أنه لا يجوز أن يدرك المدرك بالآلة آله في الإدراك . ولهذا فإن الحس إنما يحس شيئا خارجا ولا يحس ذاته ، ولا آله ولا إحساسه . وكذلك الخيال لا يتخيل ذاته ولا فعله البتة ، بل إن تخيل آله تخيلها لا على نحو يخصه وأنها لا محالة له دون غيره ، إلا أن يكون الحس يورد عليه صورة آله أو أمكن ، فيكون حينئذ إنما يحكى خيالا مأخوذا من الحس غير مضاف عنده إلى شيء حتى لو لم يكن هو آله لم يتخيله .

وأيضا مما يشهد لنا بهذا ويقنع فيه أن القوى الدراكة بالآلات يعرض لها من إدامة العمل أن تكل ، لأجل أن الآلات تكلها إدامة الحركة وتفسد مزاجها الذي هو جوهرها وطبيعتها ، والأمور القوية الشاقة الإدراك توهنها ، وربما أفسدتها ولا تترك عقبيها الأضعف منها لا نغماسها في الانفعال عن الشاق ، كالحال في الحس فإن المحسوسات الشاقة والمتكررة تضعفه وربما أفسدته كالضوء للبصر والرعد الشديد للسمع . ولا يقوى الحس عند إدراك القوى على إدراك الضعيف ، فإن المبصر ضوئا عظيما لا يبصر معه ولا عقبيه نورا ضعيفا ، والسامع صوتا عظيما لا يسمع معه ولا عقبيه صوتا ضعيفا ، ومن ذاق الحلاوة الشديدة لا يحس بعدها بالضعيفة . والأمر في القوة العقلية بالعكس ، فإن إدامتها للعقل وتصورها للأمور التي هي أقوى يكسبها

(٢) أيضا : ساقطة منك ، م .

(٣) نأخذ : نحدد ، ك ؛ نجد م || ونعتبر : ونمبر د .

(٤) برهان : البرهان ف || آله : البتة ك ، م .

(٦) إن تخيل آله تخيلها لا : تخيلت آله تخيله لا د .

(٧) يخصه : يخصه ا م || وأنها : وأنه د ، ك ، م || له : لهام || غيره : غيرها م .

(١٠) مما يشهد : ما يشهد د .

(١٢) أفسدتها : نفسدها ك .

(١٣) عقبيها : عقبا ك

(١٦) لا يبصر : ساقطة من م || معه ... عظيما : ساقطة من م .

(١٦-١٧) ولا عقبيه : وعقبيه ف ، م .

(١٧) ذاق : ذات م .

(١٨) للعقل : للفعل ك .

- قوة وسهولة قبول لما بعدها مما هو أضعف منها ؛ فإن عرض لها في بعض الأوقات
ملال أو كلال فذلك لاستعانة العقل بالخيال المستعمل للآلة التي تكل فلا تخلم العقل ،
ولو كان لغير هذا لكان يقع دائما وفي أكثر الأمر والأمر بالضد .
- وأبضا فإن أجزاء البدن كلها تأخذ في الضعف من قواها بعد منتهى النشوء والوقوف ،
وذلك دون الأربعين أو عند الأربعين . وهذه القوة المدركة للمعقولات إنما تقوى •
بعد ذلك في أكثر الأمر ، ولو كانت من القوى البدنية لكان يجب دائما في كل
حال أن تضعف حينئذ . لكن ليس يجب ذلك إلا في أحوال وموافاة عوائق
دون جميع الأحوال ، فليست هي إذن من القوة البدنية .
- ومن هذه الأشياء يتبين أن كل قوة تدرك بآلة فلا تدرك ذاتها ولا آلتها ولا إدراكها ،
ويضعفها تضاعف الفعل ، ولا تدرك الضعيف إثر القوى ، والقوى يوهنها ويضعف •
فعلها عن ضعف آلات فعلها ، والقوة العقلية بخلاف ذلك كله .
- وأما الذي يتوهم من أن النفس إذا كانت تنسى معقولاتها ولا تفعل فعلها
مع مرض البدن وعند الشيخوخة فذلك لها بسبب أن فعلها لا يتم إلا بالبدن ،
فظن غير ضروري ولا حق ، وذلك أنه قد يمكن أن يجتمع الأمران جميعا ، فتكون
النفس لها فعل بذاتها إذا لم يعق عائق ولم يصرف عنه صارف ، وأنها أيضا ١٥
قد ترك فعلها الخاص مع حال يعرض للبدن فلا تفعل حينئذ فعلها وتصرف عنه ،
ويستمر القولان من غير تناقض . وإن كان كذلك لم يكن إلى هذا الاعتراض
التفات . ولكننا نقول : إن جوهر النفس له فعلان : فعل له بالقياس إلى البدن ، وهو
السياسة ، وفعل له بالقياس إلى ذاته وإلى مبادئه وهو الإدراك بالعقل ؛ وهما
متعاقدان متمانعان ، فإنه إذا اشتغل بأحدهما انصرف عن الآخر ، ويصعب ٢٠

(٣) وفي : أو في ف .

(٤) النشوء : النشوء د .

(٦) أكثر : الأكثر م .

(٧) يجب : ساقطة من ك .

(٨) فليست : فليس د ، ك ، م || هي : ساقطة من ف ، م .

(٩) يتبين : تبين د ، ف ، ك .

(١٠) الضعيف : الضعف م .

(١١) عن : عند ف || آلات فعلها : الآلات ك ؛ الآلات فعلها م .

(١٥) صارف : ساقطة من م .

(١٦) وتصرف : وتصرف ك .

(١٧) وإن : وإذا ف .

(١٨) له (الثانية) : ساقطة من م .

(١٩) له : ساقطة من م .

عليه الجمع بين الأمرين . وشواغله من جهة البدن هي : الإحساس والتمثيل والشهوات والغضب والخوف والغم والفرح والوجع .

وأنت تعلم هذا بأنك إذا أخذت تفكر في معقول تعطل عليك كل شيء من هذه ، إلا أن تغلب هي النفس وتقسرها رادة إياها إلى جهتها . وأنت تعلم أن الحس يمنع النفس عن التعقل ، فإن النفس إذا أكبّت على المحسوس شغلت عن المعقول من غير أن يكون أصاب آلة العقل أو ذاته آفة بوجهه ؛ وتعلم أن السبب في ذلك هو اشتغال النفس بفعل دون فعل ، فكذلك الحال والسبب إذا عرض أن تعطلت أفعال العتلى عند المرض : ولو كانت الملكة العقلية المكتسبة قد بطلت وفسدت لأجل الآلة ، لكان رجوع الآلة إلى حالها يحوج إلى اكتساب من رأس . وليس الأمر كذلك ، فإنه قد تعود النفس إلى ملكتها وهيئتها عاقلة بجميع ما عاقته بحالها إذا عاد البدن إلى سلامته ، فقد كان إذن ما كسبته موجودا معها بنوع مما إلا أنها كانت مشغولة عنه . وليس اختلاف جهتي فعل النفس فقط يوجب في أفعالها التمانع ، بل تكثر أفعال جهة واحدة قد يوجب ذلك بعينه . فإن الخوف يغفل عن الوجع والشهوة تسد عن الغضب ، والغضب يصرف عن الخوف ، والسبب في جميع ذلك واحد وهو انصراف النفس بالكلية إلى أمر واحد . ١٥

فبين من هذا أنه ليس يجب إذا لم يفعل شيء فعله عند اشتغاله بشيء أن لا يكون فاعلا فعله إلا عند وجود ذلك الشيء المشتغل به . ولنا أن نتوسع في بيان هذا الباب ، إلا أن الإمعان في المطلوب بعد بلوغ الكفاية منسوب إلى التكلف لما لا يحتاج إليه . فقد ظهر من أصولنا التي قررنا أن النفس ليست منطبعة في البدن ولا قائمة به ، فيجب أن يكون اختصاصها به على سبيل مقتضى هيئة فيها جزئية جاذبة إلى الاشتغال بسياسة البدن الجزئي ، لعناية ذاتية مختصة به ، صارت النفس عليها كما وجدت مع وجود بدنها الخاص بهيئته ومزاجه . ٢٥

(١) البدن : الأبدان م || هي : ساقطة من د ، ك ، م .

(٢) والوجع : والوجع ك . (٤) وتقسرها : وتقرها د .

(٦) ذاته : ذاتها د ، ك . (٧) فكذلك : فلذلك م .

(٩) رأس : الرأس ك ، م . (١٢) أفعالها : أفعال د ، ك .

(١٣) قد : فقد د || يغفل : يعقل م .

(١٤) تسد : تصد د ، م ؛ ساقطة من ك .

(٢٠) به (الثانية) : ساقطة من د . (٢١) لعناية : بعناية ك .

(٢٢) بهيئته : بهيئته ك .

الفصل الثالث

يشتمل على مسألتين : إحداهما كيفية انتفاع النفس الإنسانية بالحواس ، والثانية إثبات حدوثها .

- إن القوى الحيوانية تعين النفس الناطقة في أشياء منها : أن يورد الحس من جملتها عليها الجزئيات فتحصل لها من الجزئيات أمور أربعة : أحدها انتزاع الذهن الكليات المفردة عن الجزئيات على سبيل تجريد لمعانيها عن المادة وعلائق المادة ولواحقها ومراعاة المشترك فيه والمتباين به والذاتي وجوده والعرضي وجوده ، فتحدث للنفس من ذلك مبادئ التصور وذلك بمعاونة استعماله للخيال والوهم . والثاني إيقاع النفس مناسبات بين هذه الكليات المفردة على مثل سلب أو إيجاب ، فها كان التأليف فيها بسلب أو إيجاب أوليا بينا بنفسه أخذه ، وما كان ليس كذلك تركه إلى مصادفة الواسطة . والثالث ١٠ تحصيل المقدمات التجريبية ، وهو أن نجد بالحس محمولا لازم الحكم لموضوع ما كان حكمه لإيجابا أو سلبا أو تاليا موجب الاتصال أو مسلوبه أو موجب العناد أو مسلوبه ، وليس ذلك في بعض الأحيان دون بعض ولا على سبيل المساواة ، بل دائما وجودا يسكن النفس إلى أن بين طبيعة هذا الموضوع وهذا المحمول هذه النسبة ، وأن طبيعة هذا التالى تلزم هذا المقدم أو تنافيه لذاته لا بالاتفاق ، فيكون ١٥ ذلك اعتقادا حاصلًا من حس وقياس كما هو مبين في الفنون المنطقية . والرابع لأخبار التى يقع بها التصديق لشدة التوتر .

فالنفس الإنسانية تستعين بالبدن لتحصيل هذه المبادئ للتصور والتصديق ،

(١) الفصل الثالث : فصل ٣ ف .

(٣) حدوثها : حدوثه د .

(٦) عن (الأولى) : من ك || وعلائق : وعن علائق د || ولواحقها : ولواحقه د .

(٨) استعماله : استعمال ك ، م || للخيال : الخيال ك ، م || لإيقاع : بإيقاع د ، ك ، م .

(٩) الكليات : الكليات د || مثل : ساقطة من د || فيها : فيه ف .

(١٠) أخذه : أخذه م .

(١٥) وأن طبيعة : أو طبيعة د .

(١٨) للتصور : التصور م .

ثم إذا حصلت لها رجعت إلى ذاتها ، فإن تعرض لها شيء من القوى التي دونها شاغلة إياها بما يليها من الأحوال شغلتها عن فعلها فأضربت عن فعلها ، وإن لم تشغلها فلا تحتاج إليها بعد ذلك في خاص أفعالها إلا في أمور تحتاج فيها خاصة إلى أن تعاود القوى الخيالية مرة أخرى وذلك لاقتناص مبدأ غير الذي حصل أو معاونة بتمثيل الغرض في الخيال ليستحكم تمثله بمعونه في العقل ، وهذا مما يقع في الابتداء ولا يقع بعده إلا قليلا . فأما إذا استكملت النفس وقويت فإنها تنفرد بأفعلها على الإطلاق ، وتكون القوى الحسية والخيالية وسائر القوى البدنية صارفة إياها عن فعلها ، مثل أن الإنسان قد يحتاج إلى دابة وآلات ليتوصل بها إلى مقصداً ، فإذا وصل إليه ثم عرض من الأسباب ما يعوقه عن مفارقتها صار السبب الموصل بعينه عائقا . ونقول : إن الأنفس الإنسانية لم تكن قائمة مفارقة للأبدان ثم حصلت في الأبدان ، لأن الأنفس الإنسانية متفقة في النوع والمعنى ، فإذا فرض أن لها وجودا ليس حادثا مع حدوث الأبدان ، بل هو وجود مفرد ، لم يجوز أن تكون النفس في ذلك الوجود متكررة . وذلك لأن تكثر الأشياء إما أن يكون من جهة الماهية والصورة ، ولما أن يكون من جهة النسبة إلى العنصر والمادة المتكررة بما تتكرر به من الأمكنة التي تشتمل على كل مادة في جهة والأزمنة التي تختص بكل واحد منها في حدوثه والعلل القاسمة إياها ، وليست متغايرة بالماهية والصورة ، لأن صورتها واحدة . فإذن إنما تتغير من جهة قابل الماهية أو المنسوب إليه الماهية بالاختصاص ، وهذا هو البدن . وأما إذا أمكن أن تكون النفس موجودة ولا بدن ، فليس يمكن أن تتغير نفس نفسها بالعدد وهذا مطلق في كل شيء ، فإن الأشياء التي ذواتها معان فقط وقد تكثرت نوعياتها بأشخاصها

(٢) فأضربت عن فعلها : أو أضرت بفعلها ك ، م .

(٤) لاقتناص : لاقتباس ك || بتمثيل : تمثيل ك .

(٥) ليستحكم : يستحكم د ؛ فيستحكم ك ؛ ويستحكم م || تمثله : بمثله م .

(٦) فأما : + الذي ك .

(٨) مقصد ما : مقصده ك .

(٩) مفارقتها : مقاربتها ك .

(١٠) الأبدان : البدن د ، ك ، م .

(١٣) تكثر : كثرة ك .

(١٥) منها : نوعها ك || إياها : وإياها د ؛ لها م .

(١٧) أو المنسوب : والمنسوب ك ، م .

(١٩) ذواتها : ذاتها د || وقد : فقد ك .

فإنما تكثرها بالحوامل والقوابل والمنفعلات عنها أو بنسبة مّا إليها وإلى أزمناها فقط وإذا كانت مجردة أصلا لم تتفرق بما قلنا . فمحال أن يكون بينها مغايرة وتكثر ، فقد بطل أن تكون الأنفس قبل دخولها الأبدان متكررة الذات بالعدد .

وأقول : ولا يجوز أن تكون واحدة الذات بالعدد ، لأنه إذا حصل بدنان

- حصل في البدنين نفسان . فإما أن تكونا قسمي تلك النفس الواحدة ، فيكون
 الشيء الواحد الذي ليس له عظم وحجم منقسما بالقوة ، وهذا ظاهر البطلان
 بالأصول المقررة في الطبيعيات وغيرها . وإما أن تكون النفس الواحدة بالعدد
 في بدنين ، وهذا لا يحتاج أيضا إلى كثير تكلف في إبطاله . ونقول بعبارة أخرى :
 إن هذه الأنفس إنما تشخص نفسا واحدة من جملة نوعها بأحوال تلحقها
 ليست لازمة لها بما هي نفس ، وإلا لاشتراك فيها جميعها . والأعراض اللاحقة
 تلحق عن ابتداء لا محالة زمانا لأنها تتبع سببا عرض لبعضها دون بعض ، فيكون
 تشخص الأنفس أيضا أمرا حادثا ، فلا تكون قديمة لم تزل ويكون حدوثها مع
 بدن . فقد صح إذن أن الأنفس تحدث كما تحدث مادة بدنية صالحة لاستعمالها
 إياها ، فيكون البدن الحادث مملكتها وآلتها ، ويكون في جوهر النفس الحادثة مع
 بدن مّا ذلك البدن استحق حدوثها من المبادئ الأولى هيئة نزاع طبيعي إلى الاشتغال به
 واستعماله والاهتمام بأحواله والانجذاب إليه تخصها وتصرفها عن كل الأجسام غيره ،
 فلا بد أنها إذا وجدت متشخصة فإن مبدأ تشخصها يلحق بها من الهيئات ما تتعين
 به شخصا وتلك الهيئات تكون مقتضية لاختصاصها بذلك البدن ومناسبة لصلوح
 أحدهما للآخر ، وإن خفي علينا تلك الحالة وتلك المناسبة ، وتكرن مبادئ الاستكمال

(١) فإنما : إنما د . (٢) تتفرق : يفرق د .

(٣) الأنفس : النفس ك .

(٤) وأقول : فأقول م || بالعدد : العدد م .

(٩) الأنفس : النفس ك .

(١٠) بما : ساقطة من م || لاشتراك : لا شرك م .

(١١) تلحق : بها م (١٢) تشخص : شخص م .

(١٤) إياها : إياه د || فيكون : ويكون د ، ك ، م .

(١٥) الأولى : الأول م .

(١٦) تخصها : يخصه د || وتصرفها : ويعصره د .

(١٧) يلحق : يكون م .

(١٨) الهيئات : الهيئة ك .

(١٩) خفي : خفيت م || الحالة : الحال م || وتلك : أو تلك م .

متوقعة لها بوساطته ، ويكون هو بدنها . ولكن لقائل أن يقول : إن هذه الشبهة تلزمكم في النفوس إذا فارقت الأبدان ، فإنها إما أن تفسد ولا تقولون به ، وإما أن تتحد وهو عين ما شنعتم به ، وإما أن تبقى متكررة ، وهي عندكم مفارقة للمواد ، فكيف تكون متكررة . فنقول : أما بعد مفارقة الأنفس للأبدان ، فإن الأنفس قد وجدت كل واحدة منها ذاتا منفردة باختلاف موادها التي كانت وباختلاف أزمنة حدوثها واختلاف هيئاتها التي لها بحسب أبدانها المختلفة لا محالة . فلما نعلم يقينا أن موجد المعنى الكلى شخصا مشارا إليه لا يمكنه أن يوجد شخصا أو يزيد له معنى على نوعيته به يصير شخصا من المعاني التي تلحقه عند حدوثه وتلزمه ، علمناها أو لم نعلم . ونحن نعلم أن النفس ليست واحدة في الأبدان كلها ، ولو كانت واحدة وكثيرة بالإضافة لكانت عاملة فيها كلها أو جاهلة ، ولما خفى على زيد مافى نفس عمرو ، لأن الواحد المضاف إلى كثيرين يجوز أن يختلف بحسب الإضافة : وأما الأمور الموجودة له في ذاته فلا يختلف فيها ، حتى إذا كان أب لأولاد كثيرين وهو شاب لم يكن شابا إلا بحسب الكل ، إذ الشباب له في نفسه فيدخل في كل إضافة ؛ وكذلك العلم والجهل والظن وما أشبه ذلك إنما تكون في ذات النفس وتدخل مع النفس في كل إضافة . ١٥

فإذن ليست النفس واحدة ، فهي كثيرة بالعدد ، ونوعها واحد ، وهي حادثة ، كما بيناه . فلا شك أنها بأمر ما تشخصت وأن ذلك الأمر في النفس الإنسانية ليس هو الانطباع في المادة ، فقد علم بطلان القول بذلك ، بل ذلك الأمر لها هيئة من الهيئات ، وقوة من القوى ، وعرض من الأعراض الروحانية ، أو جملة منها تشخصها باجتماعها وإن جهلناها . وبعد أن تشخصت مفردة فلا يجوز أن تكون هي والنفس الأخرى بالعدد ذاتا واحدة ، فقد أكثرنا القول في امتناع هذا في حدة ٢٥

(١) متوقعة : متوقعا د ، ف ؛ متوقعها ك || بدنها : بدنه د ؛ بدنهام || الشبهة : الشبه م .

(٢) الأبدان : للأبدان ك .

(٤) تكون متكررة : يكون متكرر م || الأنفس : + تكون ف .

(٥) وجدت : وجد د ، ك ، م || واحدة : واحدا م ؛ ساقطة من د ، ك || منفردة : مفردا م .

(٨) به : ساقطة من م .

(٩) أن النفس : ساقطة من م .

(١١) لأن : ولأن م .

(١٢) أب لأولاد : أبأ أولاد م .

(١٨) الأمر : ساقطة من د || لها : له د ؛ ساقطة من ك ، م .

مواضع ، لكنا نتيقن أنه يجوز أن تكون النفس إذا حدثت مع حدوث مزاج مّا أن تحدث لها هيئة بعده في الأفعال النطقية والانفعالات النطقية تكون على جملة متميزة عن الهيئة الناطقة لها في أخرى تميز المزاجين في البدنين وأن تكون الهيئة المكتسبة التي تسمى عقلا بالفعل أيضا على حد مّا تتميز به عن نفس أخرى ، وأنها يقع لها شعور بذاتها الجزئية ، وذلك الشعور هيئة مّا فيها أيضا خاصة ليست لغيرها .

ويجوز أن تحدث فيها من جهة القوى البدنية هيئة خاصة أيضا ، وتلك الهيئة تتعلق بالهيات الخلقية ، أو تكون هي هي ، أو تكون أيضا خصوصيات أخرى تخفى علينا تلزم النفوس مع حدوثها وبعده ، كما تلزم من أمثالها أشخاص الأنواع الجسدية فتمايزها ما بقيت ، وتكون الأنفس كذلك تتميز بمخصصاتها فيها ، كانت الأبدان أو لم تكن أبدان ، عرفنا تلك الأحوال أو لم نعرف أو عرفنا بعضها .

١٠

(٢) بعده : معدة ك .

(٣) تميز : تمييز ك .

(٥) ليست : ايس د ، ف ، ك .

(٩) فيها : عنها د .

الفصل الرابع

في أن الأنفس الإنسانية لا تفسد ولا تتناسخ

أما أن النفس لا تموت بموت البدن ، فلأن كل شيء يفسد بفساد شيء آخر فهو متعلق به نوعا من التعلق ، وكل متعلق بشيء نوعا من التعلق فإما أن يكون تعلقه به تعلق المتأخر عنه في الوجود ، أو تعلق المتقدم له في الوجود الذي هو قبله في الذات لا في الزمان ، أو تعلق المكافئ في الوجود . فإن كان تعلق النفس بالبدن تعلق المكافئ في الوجود ، وذلك أمر ذاتي له لا عارض ، فكل واحد منها مضاف للذات إلى صاحبه وليس لا النفس ولا البدن بجوهر ، لكنهما جوهران ، وإن كان ذلك أمرا عرضيا لا ذاتيا . فإن فسد أحدهما ، بطل العارض الآخر من الإضافة ، ولم تفسد الذات بفساده من حيث هذا التعلق . وإن كان تعلقها به تعلق المتأخر عنه في الوجود ، فالبدن حلة النفس في الوجود .

والعلل أربع : فإما أن يكون البدن حلة فاعلية للنفس معطية لها الوجود ، وإما أن يكون حلة قابلية لها بسبيل التركيب كالعناصر للأبدان أو بسبيل البساطة كالنحاس للصنم ، وإما أن يكون حلة صورية ، وإما أن يكون حلة كمالية . ومحال أن يكون حلة فاعلية ، فإن الجسم بما هو جسم لا يفعل شيئا ، وإنما يفعل بقوة . ولو كان يفعل بذاته لا بقوة ، لكان كل جسم يفعل ذلك الفعل . ثم إن القوى الجسمانية كلها إما أعراض وإما صور مادية ، ومحال أن تفيد الأعراض والصور القائمة بالمواد وجود ذات قائمة بنفسها لا في مادة ووجود جوهر مطلق . ومحال أيضا أن يكون حلة

(١) الفصل الرابع : فصل ٤ ف .

(٢) الأنفس : النفس د ، م .

(٤) وكل التعلق : ساقطة من د ، هـ ، ف ، ك .

(٧) فكل : كل ك .

(١٠) تعلقها : تعلقه د ، ك ، م .

(١٥) بقوة : بقواه م .

(١٦) لا بقوة : لا بقواه م || إن : ساقطة من ف ، ك ، م .

- قابلية ، فقد برهنا وبيننا أن النفس ليست منطبعة في البدن بوجه من الوجوه ، فلا يكون البدن إذن متصورا بصورة النفس لا بحسب البساطة ولا بحسب التركيب بأن تكون أجزاء البدن تتركب وتمتزج تركيباً متوازماً فتنتطبع فيها النفس . ومحال أن يكون الجسم علة صورية للنفس أو كمالية ، فإن الأولى أن يكون بالعكس .
- فإذن ليس تعلق النفس بالبدن تعلق معلول بعلة ذاتية . وإن كان المزاج والبدن علة بالعرض للنفس ، فإنه إذا حدثت مادة بدن تصلح أن تكون آلة للنفس ومملكة لها أحدثت العلل المفارقة للنفس الجزئية أو حدث عنها ذلك . فإن إحداثها بلا سبب مخصص لإحداث واحد دون واحد محال ، ومع ذلك فإنه يمنع وقوع الكثرة فيها بالعدد ، لما قد بيناه ، ولأنه لا بد لكل كائن بعد ما لم يكن من أن تتقدمه مادة يكون فيها تهيو قبوله أو تهيو نسبة إليه ، كما تبين في العلوم الأخرى ، ولأنه لو كان يجوز أيضا
- ١٠ أن تكون نفس جزئية تحدث ولم تحدث لها آلة بها تستكمل وتفعل لكأن كانت معطلة الوجود ولا شيء معطل في الطبيعة . وإذا كان ذلك ممتمنا فلا قدرة عليه ، ولكن إذا حدث التهيو للنسبة والاستعداد للآلة يلزم حينئذ أن يحدث من العلل المفارقة شيء هو النفس وليس ذلك في النفس فقط بل كل ما يحدث بعد ما لم يكن من الصور
- فإنما يرجح وجوده عن لا وجوده استعداد المادة له وصيرورتها خليفة به . وليس
- ١٥ إذا وجب حدوث شيء عند حدوث شيء وجب أن يبطل مع بطلانه ، إنما يكون ذلك إذا كانت ذات الشيء قائمة بذلك الشيء وفيه . وقد تحدث أمور عن أمور ،

(٣) تكون : + أجزاء من د ، ك ، م || ما (الأولى) : ساقطة من ك ، م || وامتزاجا : ومزاجا ك ، م .

(٦) حدث : حدث د ، ك || للنفس : النفس م .

(٧) حدث : حدث د ، ف || ذلك : كذلك ف .

(٨) مخصص : مخصص د ، م || واحد دون واحد : واحدة دون واحدة ف || يمنع : +

من م .

(٩) ولأنه : لأنه ك .

(١٠) ولأنه : فإنه ك .

(١٢) ولا شيء : لا شيء م .

(١٤) في النفس : للنفس ك || كل : كان ك .

(١٥) عن : عل ك .

(١٧) كانت : كان د ، ك ، م || قائمة : قائما د ، ك ، م || عن أمور : ساقطة من م .

وتبطل تلك الأمور، وتبقى تلك الأمور إذا كانت ذاتها غير قائمة فيها، وخصوصا إذا كان مفيد الوجود لها شيئا آخر غير الذى إنما تهباً لإفادة وجودها مع وجوده. ومفيد وجود النفس هو غير جسم/ولا هو قوة فى جسم، بل هو لا محالة ذات قائمة برية عن المواد وعن المقادير. فلذا كان وجودها من ذلك الشيء ومن البدن يحصل وقت استحقاقها للوجود فقط فليس له تعلق فى نفس الوجود بالبدن، ولا البدن علة له إلا بالعرض. فلا يجوز إذن أن يقال إن التعلق بينهما على نحو يوجب أن يكون الجسم متقلما تقدم العلية على النفس.

وأما القسم الثالث مما ذكرنا فى الابتداء وهو أن يكون تعلق النفس بالجسم تعلق المتقدم فى الوجود، فلما أن يكون التقدم مع ذلك زمانيا فيستحيل أن يتعلق وجودها به فقد تقدمته فى الزمان، ولما أن يكون التقدم بالذات لا بالزمان، وهذا النحو من التقدم هو أن تكون الذات المتقدمة فى الوجود كما توجد يلزم أن تستفاد عنها ذات المتأخر فى الوجود. وحينئذ لا يوجد أيضا ههنا المتقدم فى الوجود إذا فرض المتأخر قد عدم، لا أن فرض عدم المتأخر أوجب عدم المتقدم، ولكن لأن المتأخر لا يجوز أن يكون عدم إلا وقد عرض أولا للمتقدم فى طبعه ما أعدمه، فحينئذ عدم المتأخر، فليس فرض عدم المتأخر يوجب عدم المتقدم، ولكن فرض عدم المتقدم نفسه لأنه إنما فرض المتأخر معدوما بعد أن عرض للمتقدم أن عدم فى نفسه. وإذا كان كذلك فيجب أن يكون السبب المعدم يعرض فى جوهر النفس فيفسد معه البدن، وأن لا يكون البدن البتة

(١) وتبقى: ساقطة من م || تلك الأمور (الثانية): ساقطة من م.

(٢) لها: بها د || شيئا: شئ د || وجودها: وجود د، ك، م.

(٣) هو (الأولى): شئ د، ف.

(٤) المواد: المادة ك || وجودها: وجود د، ك.

(٥) استحقاقها: استحقاقه د، ك.

(٩) وجودها: وجوده د، م.

(١٠) فقد: وقدم || تقدمته: تقدمه د، ك؛ بقدمه م.

(١٠-١١) من التقدم: المتقدم م.

(١١) فى الوجود: ساقطة من د، ف، م.

(١٣) عدم المتأخر أوجب: ساقطة من د.

(١٤) يكون: + قد ك، م.

(١٥) يوجب: موجب ك.

(١٥) فرض (الثالثة): افترض د؛ يفرض ك.

(١٧) المعدم: المقدم د؛ المدموم م || البدن (الثانية): البدن م.

الفصل الثاني

فصل في

أحوال كلية من أحوال البحر

- ماء البحر ليس حكمه حكم سائر العناصر في أن له طبقات مختلفة ظاهرة الاختلاف في ترتيب العلو والسفل . وذلك لأن الماء سريع الاختلاط بما يخالطه ؛ لأنه ليس عمقه ونخنه مثل عمق الهواء ونخنه . فلذلك يشتد اختلاط الآثار بكميته وتنفذ فيه . وجذب الشمس لما في باطن الأرض وتحريكها إياه يفي بتبليغه وجه البحر وإخراجه عنه . ولولا ذلك لكان ظاهر البحر ، وما يلي وجهه ، أقرب ماء إلى طبيعة الهواء ، وكان لا كثير تأثير فيه للأرضية . وليس كذلك ؛ بل ماء البحر كله مالح أو زعاق .
- ٥
- والماء لا يتغير التغيرات التي بعد الكيفيات الأول ، بنفسه ، إنما يتغير لخالطة شيء آخر . والهواء إذا خالطه جعله أرق وأعذب ، ولم يجعله ملحا . إنما يصير ملحا بسبب الأرضية المحترقة المرة إذا خالطته . فلم يخطيء من زعم أن ملوحة ماء البحر لأرضية خالطته ، إذا اعتقد ، مع ذلك ، شرط الاحتراق والمرارة .
- ١٠
- وأنت فيمكنك أن تتخذ الملح من رماد كل محترق ، ومن كل حجر يفيد التكليل حدة ومرارة ، إذا طبخته في الماء ، وصفيته ، ولم تزل تطبخ ذلك الماء أو تدعه في الشمس ،
- ١٥

(١) م ، ط ، د : الفصل الثاني (٢) وفي ساء ، ب : فصل في (٣) ط : الكلية (٥) م : بما يخالفه // في ط زيادة وهي : يخالفه + : ينضاف في رطوبته الأشياء ولا ينضاف في رطوبة الهواء . أما في « د » فهي : في رطوبته الأشياء ولا ينداق إلخ . (٦) د : اختلاط الآبار // م ، ط : وينفذ (٧) ساء ، ب ، د : إياها // م : يفي بتبليغه مطموسة // سا : وجه الأرض // م : وإخراجه منه (٨) م : - ماء (٩) د : ملح (١٠) ط : التغيرات // م : يمد الكيفيات ، وفي سا : تعد الكيفيات (١١) د ، ط : بمخالطة // م : « يصير ملحا » مكررة (١٢) م : فلم يخطر مع ذلك // د : للأرض خالطته . (١٤) م : ان يتخذ // م : يفيد (١٥) ط : طبخته بالماء // ط : يزل

فإنه ينعقد ملحاً . ولهذا مايتخذ قوم من القلى ومن النورة ومن الرماد ملحاً متى شأوا .
وسبب ملوحة العرق والبول مخالطة المرارة المحترقة المائية فيملح . ولما أعوز الملح في
بعض البلاد كانوا يتخذونه من رماد قصب وشجر يكون لهم بهذا التدبير .

وليس ماظن قوم من أن ملوحة ماء البحر إنما هي بسبب أن الكثيف منه يبقى
محتبساً فيه بعد تبخر البخارات اللطيفة ، فيكون بسببه مرا . ومعلوم أن كثافته باختلاط
الأرضية به . فإن لم تزد شرطا ، وقلت بمجرد الكثافة ، فهلا كان الطين مرا أو ملحاً ؟
ولم ، إذاعاد إليه ماء يتبخر عنه في الأودية العذبة والأمطار الجود ، لا يعود ألبنة مرة أخرى
عذبا ؟ فمن المعلوم أن البحر ، وإن أنفق صيفا ، فإنه يسترجع شتاء .

والماء بنفسه ليس فيه كثيف ولطيف ؛ بل هو متشابه الأجزاء . إنما الكثيف منه
ما خالطته أرضية ؛ لأنه لا شيء أكثف من الماء إلا الأرض ، والأرض إذا خالطه أرضية
لا كيفية لها لم يتكيف ، وإنما يتكيف من كيفية الأرض . فإن كانت الأرضية شديدة
المرارة لم يتملح ؛ بل يزعق ، وإن كانت قليلة المرارة ، بحيث إذا تحلل في الماء ، قبل نوعا
من الاستحالة عن مرارته ، ملح . وأى ماء ملح طبخته انعقد منه ، آخر الطبخ لاحتالة ،
ملح ، وحتى من البول والعرق ومياه أنهار ملحاً .

والدليل على أن ماء البحر يتملح بمخالطته الأرضية ، وليس ذلك طبيعياً له ، أنه
يقطر ويرشح فيكون عذبا ، وقد تتخذ كرة من شمع فترسل فيه ، فيرشح العذب إلى
باطنه رشحاً .

-
- (١) سا : فإنه معقد // د : القليان // م : والنورة // م ، سا : رماد (٢) سا : البول
والعرق // م ، سا : المرة // د : للمائية // د : - فيملح (٣، ٢) م : - « ولما أعوز للملح في بعض
البلاد » إلى قوله « بهذا التدبير » (٤) م ، ط : أننا هو (٥) م : تجيز البخارات ، وفي ط :
يتبخر (٦) سقط من م : به فإن لم تزد شرطا وقلت بمجرد الكثافة // سا : مخالفا ، وفي
« د » ومالها (٧) م : ولماذا عاد // م : إليه يتبخر منه // م ، ط : الأودية // د : العذبة
// م : الجو ولا يعود (٨) م : إليه ألبنة // د : - ألبنة (٨) ط : أنفق // د : - صيفا .
// ط : سيرجع ، وفي د : يرجع (٩) د : لطيف وكثيف (١٠) ط : خالطه (الأولى)
// سا ، ط : إذا (١١) سقط من د : لم يتكيف (١٢) سا : يتملح // م : لم يزعق
(١٣) سقط من م ، د : ملح (١٤) سقط من د : ومياه أنهار ملحاً (١٥) سقط من م : له
(١٦) م : فترسل منه // ط ، د : فيرسل

والبحر أيضاً قد تكون في مواضع منه مياه عذبة ، وقد تمدد مياه عذبة ، إلا أنها ألطف من ماء البحر المجتمع فيه قديماً ، فيسبق إليها التحلل . فإن اللطيف يسبق إليه ، وخصوصاً في حال الانتشار . فإن الانتشار ، يعين على ذلك ، كما لو بسط الماء على البر . وإذا كان كذلك صار العذب يتحلل بخاراً ويصير سحباً وغير ذلك ، والمالح الكثيف يبقى .

وقد يتفق أن يصعد منه بخار ، إلا أنه لكثافته لا يجاوز البحر ؛ بل ينزل عن قريب مطراً مالحاً . وهذا في النواحر ويطيب بمخالطة الهواء .

فمن المعلوم أن المالح إذا طبخ في الماء ، فيصعد بخار الماء ، وكان المالح لطيفاً ، يصعد معه أيضاً .

فالبحر بالحقيقة هو كما قيل من أنه يعطى الصفو لغيره ، ويجبس الكدر لنفسه ، مع أنه يأخذ الصفو أيضاً .

١٠

والبحر للملوحة مائته ، وكثرة أرضيته أثقل من المياه الأخرى وزناً . ولذلك قتل ما يرسب فيه البيض . وأما بحيرة فلسطين فلا يرسب فيها شيء ، حتى الحيوان المكتوف . ولا يتولد فيها الحيوان ، ولا يعيش . وههنا نهر عذب أيضاً لا يتولد فيه حيوان لبرده من منبعه إلى مصبه .

١٥

على أن في البحر مواضع يعذبها ما ينبع إليها من عيون تحتها . وقد قال « أنبادقليس » : إن ملوحة البحر بسبب أن البحر عرق الأرض . وهذا كلام شعري ليس بفلسفي . لكنه مع ذلك يحتمل التأويل . فإن العرق رطوبة من البدن

(١) سقط من د : أيضاً // م ، ط : بمدد ، وفي د : يمد (٢) ط : أنه ألطف // م : فسبق .
 // د : إليه للتحلل // ط : يسبق إليه + بالتحلل (٣) سقط من م : فإن الانتشار
 // م : هلي الشيء (٥) سا ، د : يتصعد (٥) سا : لمخالطته ، وفي ب : لمخالفة
 (٧) سا : فتصعد // ب : الماء بخاراً (٨) م : تصعد ، وفي سا : فيصعد (١١) ب : — وزناً
 // ب ، د : وكذلك . (١٢، ١١) م : فقلنا (١٣) د : حيوان // م ، ط : ههنا
 (١٥) سا ، د : وعلى أن (١٦) سا : أبداقليس ، وفي ط ، د : أنبادقليس // د : عوق الأرض

تملحت بما يخالطها من المادة المحترقة من البدن . وماء البحر قد يملح بقريب من ذلك .
فاذا كانت ملوحة البحر لهذه العلة ولغاية هي حفظ مائه عن الأجون، ولولاه لأجن ،
وانتشر فساد أجونه في الأرض ، وأحدث الوباء العام . على أن ماء البحر يأجن إذا خرج
من البحر أيضاً ، وإنما ينحفظ بعضه بمجاورة بعض ويمدد التمليح الذي يصل إليه .

فلهذه الأسباب كان الغالب في البحر مالحاً . إنما العذب منه قليل . وطبيعته
حارة تلهب النار فوق أن تطفئها، ثقيلة لذاعة للمغتسل به ، أ كالة . وإذا تميز منه العذب
فليس بسبب الأرض ؛ بل بسبب عيون ذكرناها ، وإلا لأصلحتها الأرض الطبية إذا
جمل فيها له مصانع .

فبين من هذا أن جميع أجزاء الماء قابل للاختلاط بما يتصعد من الأراضي ، ومنفذ
لما ينفذ من القوى السماوية . فليس للبحر طبقات .

وأما اختصاص البحر في طباعه بموضع دون موضع فأمر غير واجب ؛ بل الحق
أن البحر ينتقل في مدد لا يضبطها الأعمار ، ولا تتوارث فيها التواريخ والآثار المنقولة
من قرن إلى قرن إلا في أطراف بسيرة وجزائر صغيرة ؛ لأن البحر لالحالة مستمد من
أنهار وعيون تفيض إليه ، وبها قوامه . ويبعد أن يكون تحت البحر عيون ومنابع هي
التي تحفظه دون الأنهار . وذلك لأنها لو كانت لوجب أن يكثر عددها جداً ، وأن
لاتخفى على ركاب البحر ؛ بل إنما تستحفظ البحار بالأنهار التي مصبها من نواحي مشرفة
عالية بالقياس إلى البحر .

(١) سقطت من م : قد (٢) م ، سا ، د : فاذا // م : حفظ لمياه // م : ولولا لاجن
(٣) ب : أجونته // م : الوباء العالم // م : بأجن مطموسة (٤) م : يحفظ بعضه . (٤) ب :
لمجاورة // م : ويمدد التملح (٥) سقط من سا : كان (٣) ط : فطبيعته // د : يلهب // م ، ط : يطفئها
(٦) م : أكالة (٧) م : فليس بسبب العذب // د : بل // سا : لأصلحتها (٨) سا : له فيها // د : له
// ط : مساج // م في م ، ط : زيادة هي فقرة سترد فيها بعدوهي «هلكت أمم من سكان ناحية دفعة أو انتقلوا
دفعة لطوفان أو وباء فتتوسى ما يحدث بها بعدم : فيسيل مع أدنى محرك ، ثم يلزم ذلك لعدم الساحل
والبيوعته إلى الناحية التي هي أغور - وتوجد هذه الجلة في ص ٢٠٩ (٩) ط : فتبين (١٠) م : السائية .
(١٢) م ، ط : يضبطها . يتوارث (١٣) د : عن قرن // سقط من م : إلى قرن (١٤) م ، ط : يفيض ،
وفي د : تفيض (١٤) م : أو منابع ، وفي د ، سا : وينابيع (١٥) ب ، سا : دون الأنهار + إلا
ما شاء الله ويظهر في قرب أكثرها ماء عذب (١٦) م ، ط : يخفى // سقط من د : « على »
// م ، ط : يستحفظ

ومن شأن الأنهار أن تستقي من عيون ، ومن مياه السماء . ومعوها القريب إنما هو على العيون . فإن مياه السماء أكثر جدواها في فصل بعينه دون فصل . ثم لا العيون ولا مياه السماء يجب أن تتشابه أحوالها في بقاع واحدة بأعيانها تشابهاً مستمراً . فإن كثيراً من العيون يغور وينضب ماؤها . وكثيراً ماتقحط السماء فلا بد من أن تجف أودية وأنهار ، وربما طمت الأنهار ، بما يسيل من أجزاء الأرض ، جوانب من النجاد .
 ٥ وأنت ترى آثار ذلك في كثير من المسالك ، وفي أودية الجبال والمفاوز ، وتيقن أنها كانت وقتاً من الزمان غيرة المياه ، وقد انقطع الآن مواردها .

وإذا كان كذلك فستنحسم مواد أودية وأنهار ، ويعرض للجهة التي تليها من البحار أن تنضب ، وستستجد عيون وأودية وأنهار من جهات أخرى ، فتقوم بدل مانضب . ويفيض الماء في تلك الجهة على البر . فإذا مضت الأحقاب ، بل الأدوار ،
 ١٠ يكون البحر قد انتقل عن حيز إلى حيز ، وليس يبعد أن يحدث الاتفاق أو الصناعة خلجان ، إذا طرقت في سد بين البحر وبين غور تنوعاً ، وهدمته ، أو بين أنهار كبار وبين مثله . وقد يعرف من أمر النجف الذي بالكوفة أنه بحر ناضب ، وقد قيل إن أرض مصر هذه سبيلها ، ويوجد فيها رميم حيوان البحر . وقد حدثت عن بحيرة خوارزم أنها حالت من المركز الذي عهدها به مشايخ الناحية المسنون حولها ، إلا أن أعمارنا
 ١٥ لاتنى بضبط أمثال ذلك في البحار الكبار ، ولا التواريخ التي يمكن ضبطها ، تنى بالدلالة على الانتقالات العظيمة فيها . وربما هلكت أمم من سكان ناحية دفعة بطوفان أو وباء ، أو انتقلوا دفعة ، فتنوسى ما يحدث بها بعدهم .

(١) م ، ط : يستقي . (٤) م ، ط : يقحط / / ط : يجف ، (٦) د : المسائل
 // م : تيقن ، وفي ما : يتبين (٧) د : من للمياه (٧) م : انقطعت // في جميع النسخ ماعدا ب : موادها (٨) م : فستنحسم ، وفي ط : فيتنحسم // م ، ط : يليها (٩) م ، ط : ينضب // ط ، د : وستجدد // م ، ط ، د : فيقوم (١١) ط : من حيز // م : - إلى حيز ثم سقط من م : « وليس يبعد أن يحدث الاتفاق ، والصناعة خلجان إلى قوله « وبين مثله » . (١١) د : والصناعة // ب : - خلجان (١٢) د : طوقت // ب : وبقي غور هواء // سا ، غور هواء ، وفي ط : وبين غور وهدة // ب : وهدمت // د : وهدم (١٣) م : يعلم (١٤) د : هذا سبيلها وقد . (١٥) سا : حولاً ما (١٦) ط : لا يني // د : البخار (١٧) سقط من م « وربما هلكت » إلى قوله « بها بعدهم »

وهكذا حال الجبال . فإن بعضها ينهال ويتفتت ، وبعضها يحدث ويشمخ بأن تنحجر مياه تسيل عليها أنفسها وما يصحبها من الطين . ولا محالة أنها تتغير عن أحوالها يوماً من الدهر . ولكن التاريخ فيه لا يضبط . فإن الأمم يعرض لهم آفات من الطوفانات والأوبئة ، وتتغير لغتهم وكتاباتهم فلا يدري ما كتبوا وقالوا . وهو ذا يوجد في كثير من الجبال . وبالهرمين الذين بمصر ، على ما بلغني ، كتابات منها مالا يمكن إخراجها ، ومنها ما لا تعرف لغته .

وأعلم أن البحر ساكن في طباعه ، وإنما يعرض ما يعرض من حركته بسبب رياح تنبعث من قعره ، أو رياح تعصف في وجهه ، أو لمضيق يكون فيه ينضغط فيه الماء من الجوانب لثقله ، فيسيل مع أدنى تحرك ، ثم يلزم ذلك لصدم الساحل والنبوع عنه إلى الناحية التي هي أغور . أو لاندفاع أودية فيه موجة له بقوة ، وخصوصاً إذا ضاقت مداخلها وارتفعت وقل عمقها ، فيعرض أن يتحرك إلى المغار .

وإذا كان في البحر موضع مشرف ، ووقع أدنى سبب محرك للماء ، فسال عنه إلى الغور ، فلا يزال يجنب مقدمه مؤخره على الاستنباع فيدوم سيالا . والبحر الموضوع في الوهاد الفائرة أسلم من تموج الرياح ، حتى يخيل من الجريان ما يخيله نظيره في موضع عال .

قالوا إن البحر الموضوع في داخل منار هرقل لقلة عمقه وضيق مواضع منه وكثرة ما يسيل إليه من الأنهار يخيل جريانا ، والبحر الذي من الجانب الآخر بالخلاف لكبره ، وقلة ما ينصب فيه وشدة عمقه .

(١) م : - ويتفتت (٢) م ، ط ، د : ينحجر // د : وأما يصحبها (٣) ط : الطوفان (٤) م ، ط : ويتغير // سا : يدري // م ، ب : ما كتبوا وما قالوا ، وفي سا : ماذا كتبوا وماذا قالوا // ط : ماذا كتبوا وما الذي قالوا (٥) د : والهرمين وفي ط : بالهرمين // ط : الذين وفي د : الذي // ما : سقطت في «سا» (٦) ط : يعرف (٧) سا : أو لما // سقط في م ، سا : ما يمرض // ط : بحركته (٨) ط : ينبعث // ط : يعصف // سا ، د : اضيق // م : ينضغط // د : - ينضغط فيه (٩) ط : لثقله // د : - ذلك // م : والنوعيه (١٠) ط : إلى الناصبة (١٠) م : - بقوة (١١، ١٠) في بقية النسخ ضاق مداخلها وارتفع (١١) وفي سا : وقل عمقها وارتفع // سا : أن تتحرك // ط : إلى المغاور (١٢) م : منه إلى // إلى : «سقطت في سا» (١٣) م ، سا : فلا يزال يحدث // م : مقدمة مؤخرة // د : فيدوم + الأرض (١٤) سا : «الوهاد الفائر» ، وفي د : الوهاد الفامر // م : تموج ، وفي «د» تموج الرياح + مياه // د : يخيل // «سا» // د : نظره (١٦) ط : ديار هرقل (١٧) ب : بخلافه (١٨) في «سا» توجد زيادة في آخر الفصل وهي : «فهذا ما كان من أحوال البحر» .

الفصل الثالث

فصل في

تعريف سبب تعاقب الحر والبرد

- قد يعرض في هذه العناصر ؛ بل وفي المركبات منها ، شيء يسمى التعاقب ، وهو أنه إذا استولى حر على ظاهر بارد اشتد برد باطنه وبالعكس . ولهذا ما توجد مياه الآبار والفتى في الشتاء حارة ، وفي الصيف باردة . وقد اختلفت الأقاويل في هذا .

- فقائل إن الحرارة والبرودة تنهزم إحداهما من الأخرى ، كأنها تهرب من عدوها . فإذا استولت عليها من الظاهر انهزمت غائرة ؛ وإن استولت عليها من الباطن انهزمت ظاهرة ، وكما يظن من هرب الماء من النار . وهذا المذهب يوجب أن يكون العرض من شأنه أن ينتقل من جزء موضوع إلى جزء موضوع ؛ بل من موضوع إلى موضوع . فإنه كثيرا ما يكون الباطن من الجسمين جسما منفصلا بنفسه ، فيعرض هذا العرض له في ذاته ؛ إذ المشتمل عليه منهما ، يستحيل استحالة مفرطة ، عن حر مثلا ، فيستحيل هو استحالة مفرطة عن برد ، كأنه انتقل من المحيط به ، وهو موضوع مفرد ، إليه وهو موضوع غير مفرد .

(١) ط ، د : الفصل الثالث (٣) م : تعاقب سبب // م : البرودة (٤) ط : وقد // د : - بل (٥) م ، ط : يوجد (٧) في يخ ، د : اختلفت الآراء ، وفي ط : اختلفت الأوائل (٨) م : سقطت « تنهزم » // في سا ، ط ، د : أحدهما من الآخر كأنه يهرب من عدوه (٩) في سا ، ط ، د : فإذا استولى عليه من الظاهر انهزم غائرا ، وإن استولى عليه من الباطن انهزم ظاهرا // م : في الظاهرة . . في الباطن (١٠) سا ، ب : نظن // د : عن هرب // م ، سا : الغرض (١٢) في سا : - بنفسه // م : الغرض (١٣) سا : منها // د : - منها (١٤) ط : فكأنه

وقد علمنا أن انتقال الأعراض مما لا يقول به المحصلون .

وقوم آخرون أبوا أن يكون لهذا المعنى حقيقة إلا فيما يكون الجسم الواقع فيه هذا الشأن إنما يسخنه جسم لطيف حار هو سار فيه ، أو يبرده جسم لطيف بارد هو سار فيه .
فإن كان ذلك الجسم بخارا ، فاستولى البرد على ظاهره ، احتقن البخار في داخل الجسم المستولى على ظاهره ، ولم يتحلل ، فازداد سخوته ؛ أو كان المستولى حرا فجفف الظاهر ، فكشفه ، فإن ذلك الجسم اللطيف لا يتحلل ؛ بل يبقى داخلا محتقنا ، ويزداد لا محالة قوة ؛ إذ لولا الاحتقان لكان يتحلل .

وأكثر هؤلاء لم يصدقوا أمر القنى والآبار ؛ بل ذكروا أن ذلك غلط من الحس كما يعرض لداخل الحمام . فإنه أول ما يدخل عن هواء بارد شتوى يتسخن ما يفيض على رأسه من ماء فاتر ، ثم إذا استحم بالحمام الداخل استبرد ذلك الماء بعينه ، وذلك لأنه أول ما دخل كان بارد البشرة ، وكان الماء بالقياس إليه حارا ، ثم لما أقام في الحمام الداخل سخنت بشرته بالتدريج ، حتى صارت أسخن من ذلك الماء . فلما أعاد ذلك الماء على بشرته كان باردا بالقياس إليها . وأما الانتقال المتدرج فيه فلا يحس به ، كما يحس عن المغافص دفعة ذلك الذي يسميه الأطباء سوء المزاج المختلف .

قالوا : وكذلك حال الأبدان في الشتاء ، فإنها تكون أبرد من مياه القناة ، وفي الصيف أسخن من تلك المياه ، والمياه في الفصلين على حال متقاربة ، لكن الحس يغلط فيها الغلط المشار إليه .

(١) ط : الأعراض // م : المخلصون (٢) ط : لهذه . (٣) سا : لطيف بارد (الأولى) (٣) ط : بارد وهو (٤) ط : واحتقن (٦) د : كشفه ، وفي « سا » وكيفه // سا : فيزداد (٨) ط : القناة // سقطت في م : الآبار (٩) د : لتسخن ، وفي ب : يستحسن // ب : يفيضه (١٠) د : استبرم وذلك (١١) كان مكرر في م // م : حار (١٢) في م سقطت « الماء » (الأولى) (١٣) م : إلى بشرته // د : التدرج // سقطت من د « فيه » // م ، ط ، ب ، سا : - كما يحس (١٤) د : المناقص وفي ط : المغافص ، وبقية النسخ : المغافص (من غافصه فاجاه وأخذه على غرة) // م ، د : - وذلك (١٥) م : كأنها تكون (١٦) د : - والمياه // د : - متقاربة

وهذا الذى قالوه ليس مما لا يمكن . لكن ليست الصورة فى الآبار والقنى على نحو ماذكروا بوجه من الوجوه . فإننا قد امتحنا تلك المياه فوجدناها فى الشتاء تذيب الجمد فى الحال ، ولا تذيبه فى الصيف . وليس يصعب علينا فى الشتاء أن نسخن أبداننا سخونة تعادل سخونة الصيف . فإذا فعلنا ذلك ، وجربنا تلك المياه صادفناها حارة ، وفى الصيف جربناها فصادفناها باردة ، وكثير منها يقارب المياه المبردة بالثلج والجمد .
وههنا أمور جزئية من الأحوال الطبيعية تكذب هذا رأى وتبطله سنحصيها خلال ما نحن شارحو أمره من جزئيات الطبيعيات ، لكن الحق فى هذا شيء آخر .
نقول إن الجسم الذى له طبيعة مبردة أو مسخنة فإنه يبرد ذاته ، أو يسخنها ، بطبيعته ، ويبرد أيضا ما يجاوره ويتصل به ، أو يسخنه .

وأیضا نقول إن القوة الواحدة إذا فعلت فى موضوع عظیم وفعلت فى موضوع صغير فإن تأثيرها فى الموضوع الصغير أكثر وأقوى من تأثيرها فى الموضوع العظیم . وهذا أمر قد تحققت من أمور سلفت . وتوجدك التجربة مصداقه . فلا سواء إحراق خشبة صغيرة وإحراق خشبة كبيرة ، ولا سواء إضاءة مشكاة من سراج واحد بعينه ، وإضاءة صحراء رحبية منه .

فإذا كان فى جسم ما ، من نفسه ، أو من شيء فيه ، مبدأ تسخين ، وكان ذلك المبدأ يسخنه كله ، كان تسخينه له كله أضعف من تسخينه لما هو أصغر من كليته . وإذا استولى البرد على الأجزاء الظاهرة منه ، فامتنع فعلها فيه وبقي المنفعل عنه

(١) ط : والقنا (٣) سا ، د : ولا يذوبها // سا : فليس // م : أن يسخن
(٤) ط : سخوته (٥،٤) سقط فى م ، سا . د : حارة وفى الصيف جربناها فصادفناها
(٥) بخ ، سا : غير باردة // سا ، د : وكثيرا (٦) ب : الرأى + منهم // ط : وتبطله شخصيتها ، وفى سا :
وسنحصيها (٨) د : يقول // سا ، د : الذى طبيعته // بقية النسخ ، د : ويسخنه (٩) م : ويسخنه
(١٠) ط : ونقول أيضا // م : فعلت (الثانية) (١١) ط : فى الموضوع الصغير // سا : سقطت
« وأقوى » // ط : فى الموضوع العظیم + (١٢) سقطت « سلفت » من م // م ، د : وتوجد
(١٣) ط : احتراق // م : كثيرة (١٤) سا ، د ، ط : رجة (١٥) ط ، بخ : فكان
(١٦) فى سا ، ط : سقط « كان تسخينه له كله » (١٧) ط : فإذا // سا : المنفعل منه

الأجزاء الباطنة ، وهو أقل من كليته ، كان ، تسخينها وانفعالها من المؤثر أشد بكثير من تسخن الكلوية وانفعالها عن تلك القوة بعينها ، كمن كان عليه ثقل يحمله فنقص بعضه ، وتسلمت قوته على شطر منه ، فيكون تأثيره فيه أسرع وأقوى ، وكذلك الحال في التبريد .

فيجب أن نعتقد حال التعاقب على هذه الجملة ، لاعلى سبيل اختلاف مقايسة ، ولا على سبيل انتقال عرض ، أو انهزام ضد من ضد . فالماء ليس إنما ينهزم من النار على ما يظنونه ؛ بل يتبخر دفعة بخارات شأنها أن ترتفع إلى فوق دفعة ، مع مخالطة الماء الذي لم يستحل ، فتحدث من ذلك حركة مضطربة وصوت ينبعث عن شدة حركة هوائية تعرض هناك ، لاعلى سبيل أن الماء يستغيث من النار بوجه من الوجوه . وهذه الحركة إنما يقصد الماء فيها كالمساعدة للنار ، والمصير نحو جهتها لما قبله من السخونة . فربما لم يمكنه لنقله ولبطلان الكيفية المكتسبة له عند مفارقة مستوقد النار بالغليان ، وربما قسره الهواء الذي يحدث فيه منه على التفرق ، وقذفه إلى بعيد تطريقاً لنفسه ، كما يغليه ويحبسه ، وكما يحدث عن إغلائه من التمزج .

(١) م : وهى أقل // سا ، ط : تسخينها // ب ، د : المؤثر + لها (٢) ط : تسخين // م ، ط : من تلك (٣) م ، د ، ط : ففضب بعضه ، وفى سا : ففصت (٥) ط ، م : يعتقد (٦) ط ، د : وانهزام // م : ينهزم من الماء (٧) م ، ط يرتفع // ط : دفعة إلى فوق // ط : مع مخالطتها (٨) م ، د : يستحيل // م : تنبعث (٩) م ، ط : يعرض // سا ، د : سبيل (١٠) م : لما أقبله // سقطت «لم» من نسخة م (١٢) د : طريقاً لنفسه (١٢، ١٣) سا : تغلبه وتحبسه ، وفى ط : ويحبسه (١٣) م : لا غتلايه ، وفى د : أعلا عدائه .

الفصل الرابع

فصل في

تعريف ما يقال من أن الأجسام كلما ازدادت

عظما ازدادت شدة وقوة

- ولهذه العناصر بل وللمركبات شيء آخر نظير ما ذكرناه ، وهو أن الكمية إذا ازدادت ازدادت الكيفية . فإن النار إذا عظمت ، وأدخل فيها حديد ، فإنما تماس الحديد منها سطحاً مثل السطح الذي تماسه من النار الصغيرة . لكن سطح النار الكبيرة يحمى في زمان غير محسوس ، وسطح النار القليلة يحمى بعد حين .

وكذلك الشيء الذي يلقى في ملح قليل فإنه لا يتملح ، كما يتملح إذا ألقى في الملاحه في مدة قليلة .

١٠

فبين أن كيفية الأعظم أشد كيفية من الأصغر . فمن الناس من يظن أن السبب في ذلك ليس هو لأن الأعظم أشد كيفية ، ولكن الأعظم تتدارك أجزاؤه البعيدة ما يعرض للأجزاء القريبة من المنفعل . فإن هذا المنفعل لا محالة ، كما تأثر بمادته فقد يؤثر بصورته . فإن الفاعل في الطبيعيات منفعل . فإذا انفعلت الأجزاء القريبة من الفاعل الكبير عن

(١) م ، ط ، د : الفصل الرابع (٢) سا ، ب ، نج : فصل في (٣) م : تعرف (٤) م : «عنصرا» بدلا من «عظما» // م ، ب : شدة قوة (٥) ط : فلهذه (٦) م : - الكيفية // ط ، د . يماس (٧) م ، ط ، د : يماسه (١٠) م : - في (١٢، ١١) سقط من م : « من الأصغر . فمن الناس من يظن أن السبب في ذلك ليس هو لأن الأعظم أشد كيفية » . (١٣) بنج : كما ينفعل بمادته // سا : لمادته ، وفي « ط » : بمادة // سا : تؤثر الصورة ، وفي « م » : يؤثر صورته ، وفي نج : يفعل بصورته (١٤) ب : ينفعل // سا : الكثير

المتنفل المكنوف الضعيف أعادت الأجزاء التي تليه إياها إلى قوتها ، فحفظت قوتها . وهذا مثل المنغفس في الماء الغمر . فإنه يصيبه من البرد ما لا يصيبه لو انغفس في ماء يسير . وذلك لأن الماء اليسير إذا برد البدن تسخن أيضاً من البدن . فإذا تسخن لم يجد مما يطيف به ما يتداركه فيبرد . وأما الماء الغمر فإنه إذا سخن ما يلي البدن منه تداركه ما يلي ما يليه ، فبرده ، فعاد يبرد البدن . فلا يزال يتضاعف تبريده .

فهؤلاء يكاد أن يكون احتجاجهم يناقض مذهبهم . أما أولاً فلأنهم يجعلون الأجزاء تبرد من الأجزاء : وليس يجب أن يسخن الشيء حتى يبرد . فإن البارد إذا لم يكن الجامد في النهاية ؛ بل كان من شأنه أن يقبل زيادة برد ، كان من شأنه أن يبرد مما هو مبرد زيادة تبريد : وهذا يوجب أن تكون الأجزاء كلما تجاوزت أكثر ، زاد كل واحد منها في برد صاحبه ؛ لأن صاحبه يبرد من طبيعته ، ويبرد أيضاً من مجاورته لأنه مبرد . ١٠

فيجب من هذا أن يكون كلما ازداد عظمًا ازداد تبرداً ، وإن لم يكن هناك مسخن . وليس لقائل أن يقول إن الماء كله متشابه ، فيستحيل أن يفعل جزء منه في جزء ، قائلاً إن الشيء ، كما قد علم ، لا يفعل في شبيهه . وإذا كان كذلك فما دام مجاوره بارداً مثله لم يصح أن يؤثر فيه ؛ بل يجب أن يتسخن هو أولاً ، حتى يصير ضده ، فيفعل ذلك فيه البرد . ١٥

ولمّا ليس له أن يقول ذلك لأن المجاور اليارد ليس ينفع عن مجاوره من حيث هو بارد ؛ بل من حيث ذلك مبرد ، وهو ناقص البرد ، مستعد لزيادة التبريد . فهو من جهة ما هو مستعد مقابل للبارد بالفعل .

(١) م ، سا ، ب : المكنوف ، وفي د : المكنون ، (٢) م ، ط : الصغير // ط : يليه // د : - غففت قوتها (٢) د : مثال // د . « فإن الماء » بدلا من « في الماء » . (٣) سقط من د : « لأن الماء اليسير » // ط : يتسخن (الثانية) (٤) د : يطبق // د : فيبرده // « إذا » سقطت من م ، سا (٤) ط : ما تداركه (٥) « ما يلي » سقطت من م ، سا ، ط // « فبرده » سقطت من ب (٦) سقطت « أن » في م (٧) د : وإن البارد // وفي سا : فإن النار (٨) م : مما هو يبرد (٩) م : أن يكون للأجزاء // م ، د : تجاوزت // م : منها (١٠) م : مجاورة // م : يبرد (١٣) ط : شبيهه // « وإذا كان كذلك » سقطت في كل من سا ، د (١٦) م : مجاوزة (١٧) م : ومستعد .

ومعني قولهم إن الشيء لا يفعل في شبيهه هو أن الشيء الحاصل بالفعل من المستحيل أن يقال إنه مستفاد عن طارئ من شأنه أن يحدث عنه مثل ذلك الحاصل ، بخلاف ما يعرض إذا كان الطارئ بهذه الصفة ، والمطروء عليه عادم لذلك الشيء الذي فرضناه ، فيما كلامنا فيه ، حاصلًا ، بل فيه ضده . وأما الزيادة عن الحاصل فقد تقع من الطارئ إذا كان بطبعه فاعلا لها ، وكان في المجاور بقية استعداد لقبولها ، كيف كان الطارئ في ٥ كينفته ، كان قويا أو ضعيفا ، إلا أن يكون ضعفه في تلك الكيفية يجعله إلى ضدها أقرب ، فيكون السلطان في التأثير لضدها .

فهذا هو الذي يجب أن يسلم من قول الناس إن الشيء لا يفعل في شبيهه . فإنه إن لم يفهم على هذه الصورة فليس بواجب أن يسلم . فالبارد إذا جاوره البارد عرض من ذلك أن يكون تبرده من قوته المبردة التي في طبعه أقوى كثيرا من تبرده عنها ، لو كان ١٠ مجاوره شيئا حارا ، يكون ذلك الحار كاسرا من البرد الفائض من طبيعته . وإذا كان مجاور الماء فإنه ، مع أنه لا يكسر تبريد قوته ، فهو يبرد أيضا ، لأن القوة التي في الماء ، على ما علمت ، تبرد الماء الذي هي فيه ، وما يجاوره معا من كل فاعل للتبريد ؛ وهذه القوة بالحقيقة ليست شبيهة للجرم البارد ، فيقال إنها لا تفعل في شبيهها . فإن هذه ١٥ القوة مبردة ، وليست بباردة ، وهي الطبيعة المائية ، وهي أيضا محركة ، وليست متحركة . فهي إذا وجدت مادة مبردة محتملة لأن تبرد صار ما فيها لا يعوق عن التبريد الذي

(١) ط : شبهه (٢) م : «إنه مستفاد» مكررة // ط : من طارئ (٣) م : والمطر // م : - الذي // سا : فرضنا (٤) م : في كلامنا // م : فقد يصحح الطارئ ، وفي ط : فقد بلغ من الطارئ (٥) م : وكان المجاور فيه // م : - بقية (٦) م ، ط : كيفية (٧) م : ضد لها // سا : - في التأثير (٨) سا : نسلم // ط : شبهه (٩) م ، سا ، ب : جاوزه ، وفي د : جاور // بخ : يجب إن عرض (١٠) م : يبرده // م : أقوى كثيرا (١١) سا : يجاوره // ب : فيكون // د : التبرد م // : القابض (١٢) م : المجاور // سا ، د : ومع (١٣) سا ، د : سقطت «هي» // د : وماء يجاوره (١٤) م : وهي القوة // ب : فقال // م ، ط : يفعل // ط : شبهها (١٦) سا : «أيضا ما فيها» بدلا من «صار ما فيها» وفي د : أيضا وما فيها

يفيض منه ، لأنها مجانسة مشاكلة . والشئ الذى لا يبطل شكله وجب أن تحصل هناك زيادة زائدة فى تبرد المادة .

فإن كانت تلك المادة التى فيه زادته تبردا ، وتعدى ذلك أيضاً إلى تبريد ما يجاورها فيكون ، بالمجاورة ، كل واحد من الجزءين يزداد كيفية ؛ لأن طبيعته لا تجد عائقاً عن
٥ تكميل الفعل ، ولأنه يفعل أيضاً فى مجاوره . وكلما كثرت هذه الزيادة التى فى الحكم ازداد هذا التأثير ، إلى أن يبلغ الحد الذى لا وراءه .

ولو كان جائزاً أن تذهب الزيادة إلى غير نهاية لكان يجب أن يذهب هذا الاشتداد إلى غير نهاية للعلة المذكورة . ولهذا ليس بحق ما يشكك به بعض المتشككين على ما ذكر فى علوم المشائين أنه ، لو كان الفلك ، مع عظمه ، ناراً لكان يجب أن يفسد ما تحته . فقال
١٠ لأرى ذلك يجب ، فإن المفسد بالحقيقة هو السطح المماس . وهذا السطح يكون على طبيعة واحدة ، وإن كان للجسم الذى وراءه أى عظم شئت ؛ فإنه لم يعلم أن هذا السطح لا تثبت
كيفيته على مبلغ واحد ، حالتي عظم جسمه وصغره .

وقد سأل أيضاً ، وقال : لو كان الازدياد فى العظم يوجب الاشتداد فى الكيف لكان يجب أن تكون نسبة برد ماء البحر إلى برد ماء آخر كنسبة عظمه إلى عظمه . قال
١٥ وليس كذلك ؛ فإن ماء البحر ، وإن كان أشد تبريداً ، وكان الشارع فيه لا يحتمل من تطويل المكث فيه ما يحتمله الشارع فى ماء قليل ، فليس يبلغ أن تكون نسبة بردي المائتين نسبة المائتين فى مقداريهما .

(١) سا ، ط : ومشاكلة // « الذى » سقطت من د // م ، ط : يحصل (٢) م : تبريد الماء (٣) د : التى + هى // ب : زادتها // سا ، د : بردا (٥) سا : مجاورة م // الحكم (٧) م ، ط : يذهب (٨) سا : تشكك (٩) م : عظيمة نار (١٠) د ، ط : لا أدري م // م : يجب // ط : لأن للمفسد (١١) « الذى » سقطت من سا // سا : إلى عظم م // ط : ثبت ، وفى ب : يلبث (١٣) سا ، م : وقال ولو (١٤) م ، ط : أن يكون // سا : - برد (الثانية) د : أخرى // د : فقال (١٥) ب : الشارع إليه (١٦) ط : تطويل من // سا ، د : شارع فى ماء // د : « فلعل » بدلا من « قليل » // م ، ط : يكون (١٧) م ، ب ، د : سقطت « نسبة المائتين »

- فنقول إن هذه أيضا مغالطة ، وذلك لأنه ليس قولنا « كلما زاد الجسم البارد مثلا قدرا ازدادت كميته شدة » يوجب أن تكون نسبة القدرين نسبة الكيفية في المزيد عليه ، على الكيفية الأولى . وذلك أنا إنما قلنا إنه إذا زيد على هذا الماء ماء مثله ، صار برد المزيد عليه أشد ، ولم تقدر قائلين إنه صار برد المزيد عليه صار ضعف برده الأول ، فإننا لم ننقل إليه برد المضاعف عليه بكميته حتى يتضعف . وليس إذا كان انضمام ذلك إليه ٥ يوجب زيادة برد فيه ، يجب أن تكون تلك الزيادة مثل الأصل الأول ، أو مثل الذي في المضام . نعم لو كان برد الماء المبرد كله ينتقل إليه لكان بالحري أن يظن هذا الظن ، وأن يقال إن البرد إذا كان مثله تضاعف برده . وليس كذلك ؛ بل برد الماء المزيد عليه المضاف إليه يلزمه ، ولا يفارق جوهره . إنما يتعدى عنه إلى هذا أثر زيادة قليلة . وإذا أضيف آخر إلى المضاف زادت زيادة أخرى قليلة [فلملها تكون] أقل من ١٠ تلك ؛ لأن المضاف الثاني أبعد .

- فليس يجب في الزيادات أن تتضاعف الكيفية فيها بتضاعف الأقدار ، وإذا ليس يجب أن تكون الزيادة مثل الأصل ؛ بل يجوز أن تكون أقل منه بكثير ، وبحيث لا تحس في الأضعاف اليسيرة ، فلا يجب أن يكون ما اعترض به حقا . نعم لو كان جملة البردين اللذين في المائتين يمكن أن يفعل في موضوع كان يفعل فيه برد الجزء الأول ١٥ لكان يكون تبريده ضعف تبريد ذلك . ولكن هذا محال وغير نافع لهذا المتعنت . أما أنه محال فذلك لأن الأول إنما كان يبرد بالماسة . وإنما كان يماس مثل مثلا .

(٢) م ، ط : يكون (٣) ط : وذلك لأننا // م : - مثله (٤) م : يقدر قائلين .
 (٥) م : ينقل إليه برد للمضاف إليه // « إليه » سقطت من د (٦) م : برودة // م : فيجب
 م // ط : يكون // « الأصل » سقطت من د (٧) م : المضاف // م : كان برود // سا :
 الماء الذي برد // سا : نظن (٨) « إن » سقطت في م ، سا (٩) ط : إنما يتأدى (١٠) د : أضيفت
 // بخ : فلملها تكون أقل من ذلك ، وفي د : فلملها أقل من تلك . (١٢) م ، ط ، سا :
 يتضاعف (١٣) م ، ط : يكون // م : - الزيادة // م ، ط : أن يكون (٤) م ، ط : بحس ،
 وفي سا : نحس // ب : ولا يجب (١٥) م : ينقل (يفعل الأولى) // ب : برد الجرم
 (١٧) سا : « فلائن » بدلا من « فذلك لأن » // م : كان تبر ، وفي د : كان تبريده وفي ب : كان يكون

وذلك الذى كان يماسه لا يمكن أن يماس مجموع الجزئين ؛ بل إنما يماس مجموع الجزئين ضعف ذلك . وعند ذلك يكون فعله فعلاً مشابهاً لفعله ؛ لأن المنفعل ضعف المنفعل إلا مايزيده زيادة اشتداد الكيفية للاجتماع .

وهذا الباب أصل فاصل ينبغى أن يحصل ويحقق .

وأما أنه غير نافع للمتعنت فلأن المسألة فى تغير سطح واحد .

٥

وبعد هذا ، فيجب أن يعلم أن النسبة فى الزيادة تصغر ، وتصغر دائماً على

ترتيب واحد .

(١) ب : مجموع الجرمين (الأولى والثانية) (٢) م ، ط : متشابهها // ب : يزيد
(٤) م : فاضل // ط : فينبغى (٤) سا ، د تعيين ، وفى م : تغير . (٦) سا : نعلم // ط :
يصغر ويصغر .

الفصل الخامس

فصل في

تعدد الأفعال والانفعالات المنسوبة

إلى هذه الكيفيات الأربع

- ٥ إن لهذه الكيفيات الأربع أفعالا وانفعالات منسوبة إليها مشتركة في جميع الأجسام .
فمنها ما هي للفاعلتين ومنها ما هي للمفعلتين .
فأما التي للفاعلتين فمنها ما ينسب إلى الحر . ومنها ما ينسب إلى البرد ، ومنها
ما ينسب إليهما جميعاً .
فالمنسوب إلى الحر مثل النضج ، والطبخ والشئ ، والتبخير والتدخين ، والإشعال
والإذابة والعقد .
١٠ والمنسوب إلى البرد مثل التفجيج ، ومنع الطبخ ، ومنع الشئ ، ومنع التبخير
والتدخين ، ومنع الإشعال ، ومنع الذوبان الذي هو الإجماد ، ومنع الانعقاد ، وهو
الحل والتكرج .
وأما الأمر المشترك بينهما فمثل التعفين ، ومثل تجميد كثير من الأجسام ، كالحديد
والقرن . فإن كل واحد منهما يجمد بالحر والبرد ، ومثل العقد والتخثير .
١٥

(١) م ، ط ، د : الفصل الخامس (٢) في النسخ الأخرى ما عدا سا «فصل في» // سا : - فصل في
(٣) سا : الانفعال (٥) ط : إن هذا // م : وانفعالا (٦) د ، ب للفاعلتين . . للمفعلتين
(٧) سا : وأما م ، سا : للفاعلتين // سا : ومنها (٩) م : الاشتغال (١٠) م : - والعقد
(١١) م ، ط : منع الشئ // د : التبخر // ط : ومنع التدخين (١٢) ط : الاشتغال
// ب : والإذابة (١٤) سا ، د : تجميد (١٥) م : يحمل بالحر // د : والتحصير .

وأما الأمور المنسوبة إلى الكيفيتين المنفعلتين فهي انفعالات لاغير . فمنها ما هي بإزاء هذه الأفعال الصادرة من الكيفيتين الفاعلتين ، مثل قبول النضج ، وقبول الطبخ ، ومثل الانقلاء والانشواء ، والتبخر والتدخن ، والاشتعال ، والذوبان ، والانققاد .

ومنهما ما ليس بإزاء هذه الأفعال . فمن ذلك ما بقياس إحدى الكيفيتين إلى الأخرى . أما لليابس فمثل الابتلال والنشف والانتقاع والميعان ؛ وللرطب مثل الجفوف والإجابة إلى النشف . وما ليس بقياس أحدهما إلى الآخر ؛ فمن ذلك ما هو للرطب وحده . ومنه ما هو لليابس وحده ، ومنه ما هو للمركب منهما .

فأما الذي للرطب وحده فمثل الانحصار ، وسرعة الاتصال والانحراق .

والذي لليابس فمثل الانكسار والانرضاض والتفتت والانشقاق وامتناع الاتصال بمثله ، أو الالتصاق بغيره . والذي للمختلط فمثل الانشداخ والانطراق والانعجان والانعصار والتلبد والتلزوج والامتداد والترقق .

فهذه هي الأفعال والانفعالات التي تصدر عن بساطة هذه الكيفيات وتركبها صدورا أوليا . فما كان من هذه الأحوال بفعل وانفعال مشترك جمعنا القول فيه في باب واحد ؛ وما كان من هذه الأحوال مشتركا بين الفاعلة والمنفعلة فسيملنا أن لا نكرره في باب المنفعلة .

(١) د : انفعالات (٢) م : الفاعلتين + من (٣) ط : والتدخين . (٤) سا : هذه الانفعالات (٦،٤) سقط في م « فمن ذلك ما بقياس إحدى الكيفيتين إلى الأخرى » إلى قوله « وما ليس بقياس أحدهما إلى الآخر » (٤) ط : لقياس (١٠،٩) سقط في م : « وامتناع الاتصال بمثله أو الالتصاق بغيره ، والذي للمختلط فمثل الانشداخ » (١٠) ط : والالتصاق (١١) د : والترقق (١٢) م : نـ // م : الذي تصدر // د : هذه الكيفيات + وتركبها هذه الكيفيات // م : وتركبها (١٣) سا : جيما (١٤) ط : مشتركة // سا : فكرر .

الفصل السادس

فصل في

النضج والنهوة والعفونة والاحتراق

- فنعول إن النضج إحالة من الحرارة للجسم ذى الرطوبة إلى موافقة الغاية المقصودة.
- وهذا على أصناف : منه نضج نوع الشيء ، ومنه نضج الغذاء ، ومنه نضج الفضل . وقد يقال لما كان بالصناعة أيضاً نضج .

فأما نضج نوع الشيء فمثل نضج الثمرة . والفاعل لهذا النضج موجود في جوهر النضيج ، ويحيل رطوبته إلى قوام موافق للغاية المقصودة في كونه . وإِنَّمَا يَمُوتُ ، فيما يولد المثل ، أن يصير بحيث يولد المثل .

- وأما نضج الغذاء فليس هو على سبيل النضج الذى لنوع الشيء . وذلك لأن نضج الغذاء يفسد جوهر الغذاء ، ويحيله إلى مشاكلة طبيعة المتغذى . وفاعل هذا النضج ليس موجوداً في جوهر ما ينضج ؛ بل في جوهر ما يستحيل إليه . لكنه مع ذلك إحالة من الحرارة للرطوبة إلى موافقة الغاية المقصودة التى هي إفادة بدل ما يتحلل . والاسم الخاص بهذا النضج هو الهضم .

- وأما نضج الفضل من حيث هو فضل ، أعنى من حيث لا ينتفع به في أن يغدو فهو

(١) م ، ط ، د : الفصل السادس (٢) سا ، ب ، نج : « فصل في » (٣) سا : والإحراق والعفونة ، وفي « د » : والاحتراق والعفونة (٤) سقطت « ذى » من ط // د : المقصود (٥) م : منه نوع الشيء // م : الفصل (٦) سا ، ط ، د : أيضاً نضجاً (٧) ب : وأما نضج // م : موجودة (٨) د : الغاية المقصود (٩ ، ٨) م ، ط : تولد (٩) ب : لمثل (الأولى) (١٠) م : - نضج (الثانية) . (١٣) د : المقصود // د : بل ما يتحلل (١٥) م : من حيث هي

مفارق للنوعين الأولين . فإن هذا النضج إحالة للرطوبة إلى قوام ومزاج يسهل به دفعها ، إما بتخليط قوامه ، إن كان المانع عن دفعه شدة سيلانه ورقته ، وإما بترقيقه ، إن كان المانع عن دفعه شدة غلظه ؛ وإما بتقطيعه وبتفشيته ، إن كان المانع عن الدفع شدة لزوجه . لكن هذا النضج ، مع ذلك ، إحالة من الحرارة للرطوبة إلى موافقة الغاية المقصودة . وكذلك النضج الصناعي ، وهو بالطبخ أو التطحين أو القلى ، أو غير ذلك مما ذكره . ويعارض هذا النضج أمران : أحدهما كالعدم ، وهو النهوة والفجاجة ، والثاني كالضد ، وهو العفونة .

فأما النهوة فإن تبقى الرطوبة غير مبلوغ بها الغاية المقصودة ، مع أنها لا تكون قد استحالّت إلى كيفية منافية للاغاية المقصودة ، مثل أن تبقى الثمرة نية ، أو يبقى الغذاء بحالة لا يستحيل إلى مشاكلة المغتذى ، ولا أيضاً يتغير ، أو يبقى الخلط بحاله لا يستحيل إلى موافقة الاندفاع ، ولا أيضاً يفسد فساداً آخر . فإن استحالّت الرطوبة هيئة رديئة ، نزيل صلاحها للانتفاع بها في الغاية المقصودة ، فذلك هو العفونة .

والنهوة يفعلها بالعرض مانع فعل الحر ، ومانع فعل الحر هو البرودة . وأما العفونة فتفعلها .

أما فيما سبيله أن ينضج على القسم الأول لضعف الحرارة الغريزية ، وقوة الحرارة الغريبة ، فإن الحرارة الغريزية لو كانت قوية لكانت تحسن إحالة الرطوبة أو حفظها . ولو لم تكن حرارة غريبة لما كان هذا يستحيل إلى كيفية حارة رديئة ؛ بل يبقى فجاً ،

-
- (١) م ، سا : إحالة الرطوبة // سا : إلى إقامة (٢) م : بتخليط قوام // ط : من دفعه // د : بترقيقه (٣) ط : من دفعه // سا ، ط : تشقيقه ، وفي ، ب ، د : تقشيره .
 // سا : الرفع (٥) م : وهو الطبخ والتطحين // ط : أو القلى (٨) م ، ط : يبقى // د ، م : تبقى العفونة غير بلوغ . (٩) سا : إلى هيئة // م ، ط : يبقى (الأولى) (١٠) سقط في سا : لا يستحيل إلى مشاكلة المغتذى ولا أيضاً يتغير أو يبقى الخلط بحاله (١١) د : إلى هيئة (١٢) م ، ط : ينزل ، وفي د : تذيل // د : لانتفاع // د : المقسورة (١٣) د : ومانع فعل الجوهر // سا ، ط ، د : هو البرد (١٤) م ، ط : فيفعلها (١٥) م : وأما // ط ، ب : فيضعف ، وفي سا ، د : يضعف (١٦) سقط من د : « لو كانت قوية لكانت تحسن » // م : لكان يحسن // ب : وحفظها (١٧) م : أو لم يكن

ولهذا ما يكون الميت أسرع إلى التعفن بالحرارة الغريبة من الحي بكثير ، والساكن من المتحرك ، واللحم البنى من المطبوخ ، وأبرد الجنسين من أسخنهما ؛ فإن السخين الحار لا يقبل من العفونة ما يقبله مضاده ؛ مثل ماء البحر ومياه الحمامات فإنها أقل عفونة من مياه الآجام . وجميع ذلك إنما يصير أسرع تعفنا لأن حرارته الغريزية تبطل ، وقد يبطئ التعفن إذا لم تكن حرارة غريبة ، وإن بطلت الحرارة الغريزية ، لأن عدم الحرارة الغريزية لا يكفي في ذلك . وإذا أردنا أن نحفظ العصير من أن يعفن وينتن فإننا نجعل فيه الخردل أو قناء الكبر ، فإن ذلك يورثه تسخيننا غريزيا ، أو يقوى حرارته الغريزية ، فيقاوم بها الحار الفاعل فيه .

- فكان الرطوبة الغريزية تتداول تديرها حرارة غريزية وحرارة غريبة ، وتكون اليد للغالب منهما . فإن استولت عليه الحرارة الغريزية وجهت التدبير إلى الجهة الموافقة ١٠ للغاية المقصودة ، وإن استولت عليه الحرارة الغريبة انصرف التدبير عن الجهة الموافقة ؛ بل صارت الرطوبة ذات كيفية غريبة غير ملائمة للنوع ، ولأنها ليست موجودة في شيء آخر حتى تصبح ملائمة له ؛ وتكون تلك الحرارة حرارة منافية للوجود ، كما الغذاء إذا انهم عن حرارة غريبة لشيء آخر ، فإنها تبقى معطلة عن موافقة الوجود .
- ومنتهى العفونة النتين . فللعفونة في الكائنات عن الرطوبة ، طريق مضادة ١٥ لطريق الكون . فإن الكون يصرف الرطوبة ، على المصلحة ، إلى الكمال ، والعفونة تصرفها ، على المفسدة ، إلى البوار . والبرد يعين على العفونة ، بما يضعف من الحرارة

(١) ط : إلى العفونة ، وفي د : إلى التعفن (٢) م : إلى (٣) سا ، د : لا يقبل العفونة // سا : يقبل مضاده // ط : مضادة // ب ، د : مياه الحما (٤) د : الأرحام // ط : لأن الحرارة // ط : يبطل (٥) م ، ط : يكن // د : لاعدم (٧) سا ، د : وينش بدلا من «وينتن» // ط : ماء الكبر // د : قناء الكبير (٨) د : فيقاوم به // ط : فيه (٩) م ، ط : يتداول (٩، ١٠) م ، ط : ويكون البد ، وفي د : ولا يكن البد . (١٠) م : الجهة الموافقة (١١) ب : استولت عليها (١٢) سا ، د : ملائمة النوع // م : في أي شيء // سا : ملائمة (١٣) ط ، د : يصير // ط ، م : ويكون // م ، سا : حرارته // م : منافية للوجود // م : كما وجد الغذاء ، وفي سا ، د : وجود الغذاء ، (١٤) ب : فإنه // ط : يبقى // سا : الموجود (١٥) م : ليس // ط : فللعفونة وفي النسخ الأخرى : فالعفونة // ط : لها طريق (١٦) م : البراد // ط : عن الحرارة

الغريزية أولا ، وبما يحتمن من الغريبة ثانيا ، وهذا هو العفونة .

وربما استعد الشيء بالعفونة لقبول صورة أخرى ، فيتولد منه شيء آخر : نبات أو حيوان . وهذه الحرارة الغريبة إن كانت قوية ، بحيث تسرع في تحليل الرطوبة المذكورة ، لم تكن عفونة ؛ بل احراق أو تجفيف . وإنما تكون العفونة إذا بقيت الرطوبة مدة تستحيل عن الموافقة وهي رطوبة .

فقد عرف من هذا القول حال النضج النافع في تكميل الصورة النوعية . وأما النضج الثاني والثالث فإن السبب فيهما حرارة غريبة أيضاً لكنها غريزية للشيء الذي لأجله ما ينضج النضج المذكور . فإذا فعلت هذه الحرارة فعلها ، وبلغت به الغاية المقصودة فقد نضج ؛ وإن قصرت وعاقها برد كانت فجاجة ؛ وإن استولت عليها حرارة غريبة أخرى أفسدت على الغريزية فعلها ، وقهرت الحرارة التي في الغذاء ، فزال الغذاء عن طبيعته ؛ ولم يستحل إلى طبيعة البدن ، وصار معطلا لا ينتفع به . وذلك هو العفونة . وكذلك الخلط إذا لم يبق بحاله ، ولم يستحل إلى النضج ، بقي عفنا . لكن الخلط العفن قد يلحقه النضج ، فيجعله بحيث يندفع ؛ لأن غاية هذا النضج هي هذا .

فالنضج مادته جسم رطب ليس بيباس صلب ، ولا أيضا بنحيف لا يحفظ الرطوبة التي له كالخشب . والفاعل فيه حرارة غريزية ، وصورته تكيف الرطوبة بكيفية موافقة لغرض الطبيعة ، وغايته تنمة نشء الأشخاص الجزئية .

والنهوة مادتها جسم رطب ، وفاعلها برد أو عدم حر ، وصورتها بقاء الرطوبة

(١) د : العفون (٢) م : فيتولد ، وفي ط : فليتولد . وفي سا ، ب : فيولد (٣) م : يسرع ، وفي د : أسرع // د : تحلل (٤) م ، ط : يكن ، وفي ط : يكن عفونته // م : احراق // ط ، م ، د : وتجفيف // م : إنما يتكون العفونة وفي د : إنما تكون وفي ط : وإنما يكون (٥) ط : يستحيل (٧) م : فيها (٨) د : أو بلغت (٩) م : كان (١١) م ، د : تستحيل (١٠) سقط في « سا » من قوله « إذا لم يبق بحاله » إلى قوله « لكن الخلط » (١٢) د : فجعله (١٣) د : بحيث يدفع // م ، ط : هو // ط : هذا + الاندفاع (١٤) م : جسم لطيف ، وفي ط : سخي / ط : ولا يحفظ (١٥) ط : يكيف (١٦) ط : نشو الأشخاص ، وفي م : نشء للأشخاص .

غير مسلوک بها إلى الغاية الطبيعية . فصورتها عدم النضج ، وغايتها الغاية العرضية التي تسمى الباطل ، وقد بينا حکمة .

والتکرج يشاکل من وجه ، العفونة ، إلا أن التکرج يبتدىء من حرارة عفنية في الشيء تفعل تبخرا فيه لا يبلغ إلى أن ينفصل عنه بالتام ؛ بل يحبس البرد على وجه الشيء وظاهره ، فيداخل جرمه أو ما يمتشى جرمه . ويحدث منه لون أبيض من اختلاط الهوائية بتلك الرطوبة ، كما يعرض للتبريد ، ويبقى على وجهه . فإن لم تكن هناك حرارة ألبتة لم يكن تکرج ، وإن كانت الحرارة أقوى كانت عفونة ؛ وإن كانت أشد من ذلك كان تجفيف وإحراق .

(١) م : - الطبيعية // في م ، ب ، سا : سقطت « النضج » // ب : الغاية المقصودة (الأولى)
(٢) ط : يسمى . (٣) م : عقيمة . وفي ط : عفيفة // ط : م : يفعل // م : تبخراً (ه) في د زيادة واضطراب هو : وظاهرة الشيء وظاهره // م : فتداخل // د : اغبر أبيض (٦) م : للتبرد // سقطت تنكس في م وفي ط : يكن (٧) سا : وإن كان // ط : عفونته (٨) سا : كانت (الثانية) // د : تجفيفا وإحراقا

الفصل السابع

فصل في

الطبخ والشى والقلى ، والتبخير ، والتدخين ، والتصعيد

والذوب والتلين والاشتعال ، والتجوير والتفحم

وما يقبل ذلك وما لا يقبله

٥

وأما الطبخ فالفاعل القريب له حرارة رطبة تسخن وتخلخل المطبوخ بما هو حار ،
ولذلك تحلل من جوهره ورطوبته شيئا ، ولكنها ترطبه بما هو رطب أكثر مما يحلل
منه . ومع ذلك فإن رطوبته الطبيعية تتحلل من ظاهره أكثر من تحللها من باطنه .
ويقبل الرطوبة الغريبة أيضا من ظاهره أكثر من قبوله إياها من باطنه . ومادته جوهر
فيه رطوبة . فإن اليابس المحض لا ينطبخ إلا باشتراك الاسم . فإنه قد يقال للذهب
وما أشبهه ، قد انطبخ ، وذلك إذا نفت الحرارة النارية ما فيه من الجوهر الغريب ،
وخلصته نقيا .

١٠

وأما الشى فالفاعل القريب له حرارة خارجة يابسة . ولذلك يأخذ من رطوبة

-
- (١) م : الفصل التاسع // ط ، د : الفصل السابع (٢) سا ، ب ، نج : فصل في (٣) د : الشى .
// م : والتصعيد (٤) د : والإشعال // م : والتبخير // م : والتفجير // سا : والتخثر ، وفى ط :
التفجيم // ب : وما لا يقبل (٦) ب ، م : رطوبة يسخف // م : بما هي حرارة (٧) د : وكذلك // م : يحلل
// د : ومن رطوبته // ط : ولكنه يربطه ، وفى ب : لكن يربطه // م : بما هي رطوبة // ط : يحلل منه
(٨) م ، ط : يتحلل // سا : ظاهرهما (١١) ط : وما أشبه // م : نفت (١٢) م : وخلصه
(١٣) م ، د : الشى د : له + فيه // سا : وكذلك // سا : رطوبته

ظاهر المشوى بالتحليل أكثر مما يأخذ من رطوبة باطنه ، فيكون باطنه أرطب من ظاهره وبخلاف المنطبخ ، وتكون الرطوبة الموجودة في المشوى رطوبة جوهرية ، وقد لظفت وأذيت في المطبوخ . فقد تكون رطوبته ممتزجة من الشيء الطبيعي ومن الغريب .

- والشي أصناف ، فنه ما تكون الحرارة الملاقية هواء ناريا ، ويسمى مشويا على الإطلاق ؛ ومنه ما تكون الحرارة الملاقية حرارة أرضية . فإن كان مستقره نفس النار الجمرى سمي تكيبا ، وإن كان مستقره جسما آخر أرضيا تسخن من نار خارجة منه ، ثم سخن ذلك الجسم ، سمي قليا .

- وقد يكون منه ما يشبه الشي من جهة ، والطبخ من جهة ، وهو الذى يكون التأثير فيه بحرارة لزجة دهنية ، وهذا يسمى تطحينا . فلأن هذه الحرارة رطبة فهذا التأثير قد يشبه الطبخ ، ولأنها لزجة لا تنفذ في جوهر الشيء نفوذا يخلخله ويلينه ، بل يجمعه ويحصر رطوبته في باطنه بتشديد الزوجة فهذا التأثير يشبه الشي .

وقد يقال للهضم والنضج طبخ أيضا باشتراك الاسم .

وأما التبخير فهو تحريك الأجزاء الرطبة متحللة من شيء رطب إلى فوق ، بما يفاد

- من مبدأ ذلك بالتسخين .

والتدخين هو كذلك للأجزاء الغالب فيها اليابس . فمادة التبخير مائية ومادة التدخين أرضية . والبخار ماء متحلل والدخان أرض متحللة . وكل ذلك من حرارة مصعدة . فالجسم الرطب ، كالماء ، لا يدخن ، والجسم اليابس ، كالأرض ، لا يبخر .

- (١) م : المشوى ، وفي د : « المشوى » سقط في نسخة م من قوله « بالتحليل أكثر مما يأخذ إلى قوله « الموجودة في المشوى » (٢) ط : بخلاف // ط : فيكون // د : المشوى (٣) د : وفي المطبوخ (٥) ط : والشيء // ط : يكون (٦) م : مستقره ، مستقرها في كل من سا ، ب ، ط ، د // م : فنسخن // سا : يتسخن (٩) من (الأولى) مكررة في نسخة د (١٠) م : ذهبية // ط : تطبخنا // م ، ب : سقطت : « قد » (١١) سا : ينفذ // م : تلينه (١٢) ط ، د : الشيء (١٦) سا : وهو كذلك (١٧) م : يتحلل (١٨) ط : لا يتبخر

وقد يكون جسم مركب من رطب ويابس يبخر ولا يدخن . وذلك إذا كانت الرطوبة فيه غير شديدة الامتزاج باليابس ، وكان اليابس عاصيالا يتصعد ، كمن يعجن الطلق والحديد ، ويخمره بالماء ، ثم يقطره ، فإنه لا يقطر منه إلا الماء ، اللهم إلا أن يتولى في ذلك الباب حيل . ولا يجوز أن يكون جسم ممتزج هذا الامتزاج ويدخن ولا يبخر ، وذلك لأن الرطوبة أطوع لتصعيد الحرارة من اليبوسة . وكل ما يتصعد ويتبخر ويتدخن فأول ما يتصعد منه بخار ساذج لا محالة ، أو شيء الغالب فيه المائية ثم يصعد غير ذلك . فإن كانت فيه دهنية صعدت الدهنية بعد المائية . وإن كان جوهر اليبوسة فيه مما يقبل التصعد صعد حينئذ الدخان . وذلك لأن الرطوبة أطوع ، ثم المختلط من رطوبة ويبوسة كالدهنية اللزجة ، ثم شيء آخر . فإنه ، وإن كانت مادة التبخير والتدخن ما قلنا فليس يجب من ذلك أن يكون كل مركب متبخرا أو متدخنا . وذلك لأن الرطب واليابس إذا امتزجا فرميا امتزجا امتزاجا شديدا ، حتى تعسر مفارقة أحدهما الآخر ، وانفصالة عنه .

ورميا كان الامتزاج أسلس من ذلك . فإن كان المزاج سلسا أمكن أن ينفصل بعض الأجزاء عن بعض فيتبخر ويتدخن . وإن كان محكما لم يكن لبعض الأجزاء أن يفارق بعضا .

فإن كان الرطب جامداً فرميا أثر فيه الحر حتى يذوب ؛ وربما لم يؤثر أثراً يذوب به ولكن يلين كالحديد . وربما لم يؤثر ، إذابة ولا تلييناً ، كالطلق والياقوت . ويجوز أن يكون جوهر الغالب فيه المائية ، وقد جمد جموداً لا يؤثر فيه النار كالياقوت . وكل

(١) سقط من د : « وقد يكون جسم مركب من رطب ويابس يبخر » // ط : يتبخر
 // في بخ : يعتمد ، وفي م ، يصعد ، وفي ط ، سا ، ب : يتصعد (٣) م : بالحديد
 (٣) م : إلا بالماء // د : يقولوا (٤) د : ولا يجدر // ط : يتبخر (٦) ب : عن ذلك
 (٧) سا ، د : فإن كان : (الثانية) // ط : الجوهر (٨) ط ، د : التصعيد // ط : من المختلط // م :
 كالدهنية (٩) سا ، ب ، ط ، د : وإن كان // م ، سا : التبخر والتدخين (١٠) د : متبخر أو مدخنا
 (١١) د : - امتزاجا // م ، ط : يعسر (١٤) سا ، ط : أو يتدخن // م : فإن كان (١٧) م : وقد يجوز
 (١٨) ب : وقد جمد

ما كان كذلك فهو رزين ثقیل لشدة تلاحم أجزائه . وإذا كان من هذه الأجساد ما قد يتحلل منه شيء يسير بالتسخين من النار ، إلا أن جوهره لا يفسد ، فقد يعرض أن تفيده النار رزاة واجتماع أجزاء يصغر به ، كالنحاس والفضة وغير ذلك . فإن هذه إذا عمل فيها النار كثيراً انفصل عنها شيء من جوهر الكبريت والزرنيخ والسك ، وازدادت ثقلاً، وذلك لأن الذي ينفصل منها هو شيء هوائي ، والهوائية تجف . وإذا زالت وبقيت الأرضية وحدها كان الشيء أثقل منه إذا كان مخلوطاً بهوائية وأصغر . فالجسم المبخر وحده هو الرطب، الصرف ، أو الذي لا تشتد ملازمة رطوبته يبوسته . فهو غير محكم تلازم الأجزاء .

والجسم المدخن هو اليابس المحض القابلة أجزاؤه للتلطيف أو المركب الذي التزم رطوبته ويبوسته ، إلا أن جملة تركيبه مخلخل غير محكم ، فتقبل أجزاؤه الانفصال ، وتعين رطوبته على تصعد يبوسته . فإن كثيراً من الأجسام التي لا تنصعد بالحرارة ، أو التي يعسر تصعيدها ، إذا اختلطت بالأجسام التي تنصعد خلطاً شديداً تصعدت .

فإن قوماً يرومون أن يصعدوا الحديد والزجاج والطلق وغير ذلك ، فلا يزالون يصغرون أجزاءه ، ويخالخلونها بالتربية في النوشادر المحلول . فحينئذ يوقدون عليه بقوة فيتنصعد الجميع . وكثيراً ما لا يحتاج إلى أن يخلط به ما يصعد في نفسه ؛ بل يلفظ وتنصغر أجزاؤه تصغيراً مفرطاً ، فإنه حينئذ يقبل التصعيد مثل النحاس . فإنه مما يذوب ولا يصعد . فإذا زنجير زنجرة محكمة جداً بالغة صعد عن أدنى حرارة .

(١) م : - أجزاء // ط : أجزاؤه (٤) م : - النار (الأولى) (٣ ، ٤) ط : إذا عمل فيه النار (٤) م ، سا : - كثيراً // ط : السبك // سا : الشك م : منه ، وفي ط : منها (٦) م : لكان الشيء // ب : - منه ط : وإذا // م : وأصغر // م : المتبخر (٧) م : والذي // م ، ط : يشتد // م ، د : ليبوسة (٨) ط : يلزم (٩) ب : المتدخن // ط ، سا : القابل // م : التزمت (١٠) ط : رطوبته يبوسته (١١) م : ويعين (١١) م ، سا . تصعيد // م ، سا : يتصعد // ط : يتصيد (الثانية) (١٣) سا : قوما يرون // سا : فيصعد م // سا : وكثيراً ما يحتاج (١٦) م : تصفرا // د : فإن حينئذ (١٧) ط : يتصعد + في نفسه // م : تصعد عن أدنى (١٧) سا : تصعد سا : ثم يخلط

وكذلك كثير من الأجسام التي تتصعد بسهولة يجعل بحيث لا يتصعد ؛ إما بأن يغلب عليه مالا يصعد بمزاج قوى ، مثل النوشادر يحل ويحل الملح الحجرى ، ويخلطان خلطاً يغلب فيه الملح ، ثم يترك المخلوط مدة حتى يشتد امتزاجه ، ثم يعقد ، فلا يدع الملح النوشادر أن يصعد ؛ لأنه ينوء به ويثقله ، وشدة الامتزاج لا يمكنه من الافتراق .
لكن ذلك المجموع يذوب . فإن جعل النوشادر أغلب صعد ، واستصحب الملح .

كما إذا جعل الملح أغلب ثبت واستصحب النوشادر ، وإما بأن تجمع أجزاءه جميعاً مدججاً ، حتى يصغر الحجم ، ويشد الاجتماع ، وتتلازم الأجزاء ، فلا تفرق ، ولا تتصعد .

وقد يحاول قوم أن يجعلوا النوشادر وما يجري مجراه بهذه الصفة .

وأما الإذابة فيحتاج الجوهر القابل لها إلى رطوبة تلازم اليبوسة . وإذا تحللت عن جمودها ، وسالت ، بقيت بعد التحلل والسيلان متلازمة . فإن لم تبق فهي متبخرة ، وإن بقيت قليلاً ، ثم انفصلت ، فهو مما يذوب ويتبخر معاً كالشمع .

وأما التليين بالنار كالحديد والزجاج ، فيشبه أن لا تكون الرطوبة التي فيه بحيث تسيل بعد التحلل ، وهذا قلماً يتبخر . والرطوبة في الذائب أكثر منها في المتلين . وجميع ما يلين ولا يذوب ، بل مالا يلين ولا يذوب فإنه إذا أفيد كيفية حادة دسمة من شيء نارى مشوّى به ، أو يلقى عليه ، سهل قبوله لفعل النار ، فاستولت عليه النار ، وحلت اليابس العاصى فيه ، وخلخلت جوهره ، حتى يسيل للخلخل مثل الحديد والطلق والمارقيشينا والملح .

(٤) م ، ط : يمكنه (٥) د : ولكن // سا : جعلت // د : واستصعبه .

(٦) ط : يجمع (٧) سقط من م : ويشد الاجتماع // م ، ط : يتلازم // د : يتلاءم // م ، ط : ينفرد (٨) م ، د : تصعد (٩) م : إلى الرطوبة // م ، ط : يلازم (١٠) م ، ط : يبق // م ، ط : فهو متبخر (١٢) في جميع النسخ : فهو (١٣) ط : كما للحديد // د : فيشبه أن تكون // ط : فيشبهه + بالرطوبة (١٤) ، ط : يسيل // م : قلما سخروا ، وفي سا : أول ما تبخر // وفي د : قل ما يبخر (١٤) سا : أكثر منه // ط : في التليين (١٥) في ط « وجميع ما يلين لا يذوب » تأتي متأخرة بعد قوله : « بل مالا يلين ولا يذوب » // في م : « بقتة » بدلا من « دسمة » // د : يشتوى (١٧) م : يسيل للخلخل وفي د : للتحلل // م : ومثل الحديد

فإن جميع ذلك إذا شوى بالكبريت ، أو الزرنخ أو النوشادر وزبد البحر ، أو الملح المتخذ بالقلى ، أو أشياء آخر من هذا الجنس ، ذاب .

وأما الجسم المشتعل فهو الذى ينفصل عنه بخار ليس من الرطوبة والبرودة ، بحيث لا يستحيل نارا ؛ بل هو رطب حار دهنى أو يابس لطيف . فإن كان يابسا كثيفا أو رطبا لا دهنية فيه لم يشتعل . وجميع البخار المنفصل عن الدهنيات ، وعن الأشربة الحارة المزاج ، والمياه البحرية ، يشتعل . وكل مشتعل فهو الذى من شأنه أن يتصعد عنه دخان قابل للاستحالة إلى النارية ، إشراقا وإضاءة وحرارة .

وأما المتجمر غير المشتعل فهو الذى تستحيل أجزاؤه إلى النارية إشراقا وإضاءة وحما ، لكنه لا ينفصل عنه شيء ، إما ليبوسته مثل الصخر والحجر ؛ وإما لشدة رطوبته ، حتى يكون ما يتحلل منه بخارا مائيا لطيفا لا يشتعل . واليابس منه يبقى في جوهره ، فيحترق .

وأما المشتعل الغير المتجمر فهو الذى ليس من شأن أجزائه ، ما لم تتبخر ، أن تستحيل إلى النارية مثل الدهن ، فإنه لا يتجمر ألبته ؛ بل يشتعل . والمشتعل المتجمر هو الذى يجتمع فيه الأمران جميعا .

والفحم من جوهر أرضى قابل للاشتعال بطل تجمره قبل فناء ما في جوهره من المادة المستعدة للاشتعال .

والرماد هو بقية جوهر أرضى قد تفرق أجزاؤه ، لتصعد جميع ما في أجزائه من

(١) م : والملح (٢) م : من القلى ، وفى سا : من القلى // م : وأشياء // ب : أخرى // د : « الجسم » بدلا من « الجنس » (٤) م : ذهبي (٥) م : ذهبية // د : لم يشتعل // م : جميع // م : الدهنيات (٦) سا : الحار // ط : أو المياه // م : للجرية . // م : تشتعل // سا ، ب : فكل (٧) د : قابلا // م ، ط ، ب : إضاءة وإشراقا وحرارة (٨) سا ، ب ، ط : الغير // م ، ط : يستحيل (٩) م ، د : ليبوسة // د : الحجرة (١١) ط : ما يبقى // م : ويحترق ، وفى د : فيحرق (١٢) م : غير المتجمر (١٣) د : ولكنه يشتعل (١٤) د : هو الشيء الذى (١٥) م : بطل تخميره (١٧) ط : ليصعد

الدخان المتصعد . فإن كان جوهر الشيء مشتعلا كان رمادا ، وإن كان غير مشتعل ،
بل متحجرا فقط ، أو ذائبا ، سماه قوم كلسا .
وقد يتفق أن يكون شيء واحد قابلا للذوب والتدخن والاشتعال جميعا كالشمع .
ومثل هذا الشيء لا يكون عسر الإذابة كما تدرى .

(٢) د : وذائبا // م : قوما (٣) سقط من م : ينفق ان // ط : والاشتعال معا
(٤) م ، ط : لما تدرى .

الفصل الثامن

فصل في

الحل والعقد

ينبغي أن يستقصى القول في أمر الحل والعقد . فليس كل شيء ينحل عن إذابة الحر .

- فقد تنحل أشياء من البرد والرطوبة ، بل قد تنعقد أشياء من الحر . فإن الملح يعسر انحلاله بالنار ، وينحل بالماء والنداوة بالسهولة ، حتى يصير ماء من غير أن يكون داخله من جوهر الماء زيادة يعتد بها ، أو يكون بحيث لو خلط مثلها بجسم يابس سيّله . والبيض ينعقد بالنار حتى يصلب بعد سيلانه ، وانحلاله . وكثير من الأشياء يعرض له أن لا ينعقد بالحر ، بل يختر . وكثير منها ما يعرض له ذلك من البرد كالزيت . وكثير من الأشياء يختر بها جميعاً ، كالعسل . وأما المني فإنه يرق لا محالة بالبرد .
- ١٠

فنقول أولاً : إن من شأن المائية أن تختر بالمخالطة ، وأن تجمد بالبرد ، وأن تنعقد أيضاً باليبوسة . فلذلك يصير الماء أرضاً ، لا بزيادة برد تلحقه . وإذا جمد البرد فربما كان ذلك بمشاركة من ضغط الحار أولاً ، ومعوثة منه حتى يحدث بخاراً حاراً ، ويتحلل فيتبعه الجمود .

- ١٥ وأيضاً فإن من شأن المائية أن تتحلل وترق بالحر ، وذلك معلوم . ومن شأنها أن

(٢) سا ، ب : فصل في (٤) ب ، سا : نستقصى // ب : الحر + والبرد (٥) سا : - فقد // م ، ط : ينحل // ط : من البرودة ، وفي م : البرود // م ، ط : ينعقد // م : يعز انحلاله ، وفي ط « يصير » (٦) م : بسهولة // سا : من داخله (٧) م : يقيد بها // د : « فيها مطلة » بدلا من « مثاها » وفي « م » : مثاها // د : والتبيض (٨) م : يعقد // سا : تنعقد (٩) سا : - ما // م : - المني (١١) م ، ط : يختر // م ، ط : يجمد // م ، ط : ينعقد (١٢) ب : ولذلك // م ، ط : يلحقه (١٣) م : أو يتحلل (١٥) م : فن شأن // م ، ط : يتحلل ويرق

تخثر بالمخالطة : إما بالحقيقة فبمخالطة الأرضية ، كما يحدث عنه الطين ، وإما بالحس فلمخالطة الهوائية ، كما يحدث عنه الزيت ، وذلك بكثرة ما يحدث من السطوح التي ينعكس عنها البصر ، فلا ينفذ نفوذه في المشف . ومع ذلك ، فيكون الهواء لشدة اجتماعه في المحتقن إياه المنحنى عليه بثقله يعرض له من المقاومة ما يعرض له في الزق المنفوخ فيه إذا دفع باليد وراء الزق .

ومن شأن الأرضية أن يشتد جفوفها بالحر . فيجب أن يكون بحيث يتندى ويسيل بالبرد ، فيكون البرد من شأنه أن يجمد السيل ويلين ضده .

والحر من شأنه أن يذبح ويجفف اليابس وأن يرق ضده .

ومن شأن الهوائية والنارية ألا يجمد الماء في طباعهما من اللطف ، وإن صارا بحيث يجمدان فقد استحالا عن جوهرهما .

وأينما رطوبة حصلت فيها أرضية وهوائية لم تجمد بسبب الهوائية ، ولكنها تخثر من الحر والبرد جميعاً . أما من الحر فبسبب ما فيها من الأرضية ، وأما من البرد فبسبب استحالة ما فيها من الهوائية إلى المائية . وهذا كالزيت .

واليبس من طباعه أن يحيل الضد إلى مشاكلته . فاليبس من شأنه أن يجمد .

وكذلك الرطوبة من شأنها أن تذيب وتحل . وهذا هو الحق .

والحرارة تعين كلا من اليبوسة والرطوبة على فعله فالرطب الحار أشد تحليلاً لما يحل به . واليبوسة الحارة أشد عقداً لما يعقد بها .

(١) م ، ط : يخثر // سا : وأما // م : بمخالطة // د : لما يحدث // د : - الطين // م : وإما بالحلية . (٢) سا : فلمخالطته وفي ط : فبخالطه (٣) م : الشف (٤) م : يتقله // سا : في الرق ، وفي « د » في الذق (٥) م : إذا وقع ، وفي « ط » إذا رفع // د : الذق (٦) م : حقوقها // م ، د : بيتدى . (٧) م : - فيكون البرد // م ، أو يلين (٨) سا : تزق (٩) م : طباعها (١١) سا : وأينما // م : يجمد (١٢) د : ومن البرد // من (الثانية) سقطت في د (١٥) ، ط : يذيب (١٦) م : عقد الماء // د : يعقد به

وأما العسل فيجعله الحر أولاً أرق في قوامه . وذلك لما يتحلل من لطيفه ، فيكون هو أرق بالقياس إلى ما كان قبل أن مسه الحر . لكنه إن أصابه البرد لم يكن أولاً أرق بالقياس إلى ما كان من قبل . وذلك لأن في هذه الحال يجمد أشد مما كان قبل . فالبرد يجمده لأن فيه رطوبة ، والحر يجمده لأن فيه يبوسة . فتغلب بالحر على ما علمت ، ويعينها تحلل ما يتحلل من الرطوبة .

وأما الزيت فمسيراً ما يجمد ، وذلك للزوجته ، ولما فيه من الهوائية ، وإن كان قد يخثر لاستحالة هوائية إلى الضبابية . والطبخ لا يخثره كثير تخثير ، لأنه لا يقدر على التفصيل بين رطوبته ويبوسه ، لأنه شديد الاختلاط جداً . ولذلك هو لزج . وإنما ينقص قدره لتبخر ما يتبخر عنه . لكن المتبخر يكون في صفة ما يبقى فيه من حيث إنه يتصعد متمزجاً من الجوهرين ، لا ألطف كثيراً منه ، وذلك كما يتبخر الصاعد عن الماء ، ويترك الباقي بحاله . والزيت يعسر تصعيده لأنه لزج مشتعل .

وأما البيض فإن الحر يعقده عن سيلانه ، ثم يحله بالتفرين لا بالتسيل . وإنما ينعقد البيض بالحر لأن المنبث في جوهره يبوسة رققها النضج في الرطوبة . فإذا ما سخن استعانت الليبوسة بالحرارة ، على ما قد وقفت عليه ، فغلبت الرطوبة وعقدت .

ومادة الملح ماء عقده يبس أرضى خالطه بمعاونة حرارة . فلذلك ينحل بالبرد ، وخصوصاً إن كان مع الرطوبة . وقد ينحل أيضاً برطوبة حارة ، إن لم تكن الرطوبة لزجة . فإن الزج لا يفعل رطوبته حلاً ، ويزيد حرارته عقداً . وأغلب ما يحل الملح هو

(١) م ، ط : فتجمله // م : الحرارة لا أرق ، وفي سا : الحر لا أرق // م : لطيفة .
(٢) م : من قبل (٣) ب : كان قبل // ط : تجمد (٤) سقط من نسخة د : لأن فيه رطوبة والحر يجمده // د : فينقلب ، وفي م : فينقلب (٥) م : وبينها يتحلل // ط : الرطوبات (٦) م : للزوجية ، وفي د : للزوجيته // م : لما فيه // د : - قد (٧) الضبابية مطبوسة في م // د : تخثيره (٨) ط : رطوبة ويبوسة (٩، ١٠) سقط في م من قوله : « قدره ليتبخر » إلى قوله « وذلك » (٩) ط : لتبخير // سا ، د : من الماء // د : وترك (١٢) م : يعقد من (١٢) ط : لأن المذيب المنبث // م : وقفها (١٣) د ، ط : فأما إذا ما سخن (١٦) م : - أيضا // م ، ط : يكن الرطوبة

الرطوبة، لأن انعقاد مادة رطوبته هو بسبب اليابس الأرضي الذي فيه، ولو لم يكن هناك رطوبة انعقدت، بل ييوسة أرضية، لكان يعسر انحلالها بالرطوبة.

وأما البرد فيحله لإيهانه قوة اليبوسة التي فيه المستفادة من الحر الذي يسببه ما قدر اليابس على عقد تلك الرطوبة المقتضية للسيلان في مثل حالها.

ومن الأشياء ما يجمد بالبرد وينحل بالرطوبة كالدم فهو مائي أرضي. فلما يئته يجمده

البرد، ولأرضيته تحله الرطوبة. والشظايا التي في الدم تعين على إجماد الدم ليسها. وإن

كانت الشظايا قليلة أبطأ انعقاده. وأما المني فإنه يتخره الريح المخالطة، وهي الهوائية، فإذا

كسرها البرد وأحالتها، أو انفصل، رق. والدم قد ينعقد، لكنه إن كان رقيقاً جمد

ولم يتخر كالماء. وإن كان غليظاً خثر أولاً، لاختلاف جمود أجزائه. والجبنية هي علة

انعقاد اللبن لأرضيتها وتجنيفها. وكل لبن قليل الجبنية فهو لا ينعقد. وكذلك إذا نزع

جبنه لم ينعقد.

والدم أيضاً فإن ثقله والليفية التي فيه سبب من أسباب انعقاده. فإن قل ثقله وليفه،

كدم بعض الحيوان، أو الدم الغير النضج المائي من كل حيوان، إذا نزع عنه ليفه،

لم يجمد.

وكل ما ينحل بالحر فهو الذي جمد بالبرد، والغالب عليه الرطوبة وكل ما ينحل

بالبرد فهو الذي جمد بالحر والغالب عليه اليبوسة. وقد يجتمع الحر والبرد على إجماد

الشيء فيصعب حله، وإذابته. وذلك الشيء هو الذي أعان الحر على جموده بما حلل

من الرطوبة، وبما غلب من سلطان اليبوسة، وأعان البرد على جموده بكره على ما بقي

(١) ب : انعقاده في مادة (٢) م : نعر . (٣) د : فيجمده // م : لا نهاية

(٤) سا : « على » مكررة // م : سقطت للسيلان ، ووضع بدلا منها « ذلك لأن »

(٥) ب : فلما يئته (٦، ٥) م : يجمد بالبرد (٦) م ، ط : يحله الرطوبة

// م : جاد الدم (٧) م : وهو (٨) ب : وانفصل ، وفي ط ، د : وانفصل عنه (١٠) م : فإنه

لا ينعقد (١٢) م : يستمد أسباب // سا : كيفه وثقله (١٣) سا : بعض الحيوانات // م :

والدم غير // ط : النضيج (١٥، ١٦) ب : ما ينحل بالحر (١٦) ب : جمد بالبرد . وفي د : يجمد

بالبرد ، وفي هذه النسخة زيادة واضطراب وهي « وكل ما ينحل بالحر فهو الذي يجمد بالبرد والغالب

عليه الرطوبة وكل ما ينحل بالحر فهو الذي يجمد بالبرد والغالب عليه اليبوسة (١٧) سقط من « م » :

فيصعب حله وإذابته وذلك الشيء « (١٨) م : وما غلب ، وفي ط : « وما غلب » // م : يكسر ويملى

رطباً منه ، فيشاركنا على إجماده . وهذا مثل الحديد ومثل الخزف . فإن كانت قد بقيت فيه رطوبة صالحة أمكن أن يذاب بالاحتيايل ؛ وإلا فبالقسر . فإن الخزف أيضاً يلين ويسيل في شدة الحر .

واعلم أن الحر إذا اشتد سلطانه خلخل المادة وسيل الرطوبة ، فأبطل معه إجماد اليابس الذي يستعين به ، وبما يحدث منه في تلك البيوسة أيضاً من تخلخل .

والمالح والخزف قد يذوب آخر الأمر . لكن المالح إذا أراد أن يذوب لم يكن ؛ لأن اليابس فيه قليل في الكم ، كثير في القوة . وكذلك حاله إذا انحل في الماء . وأما أشياء أخرى فأولاً لا تلين ونخثر ، ثم تذوب .

والرطوبات القابلة للخشورة منها أرضية كالعسل ، ومنها هوائية أرضية مثل الزيت . وكل ما ينخر بالبرد ، وفيه هوائية ، فإنه يبيض أولاً لجود هوائيته وقربه من المائية . وكثير من الرطوبات إذا طبخت في النار ابيضت أيضاً كالزيت . وذلك لتحلل الوسخ منه وتحلل شيء من المائية والهوائية التي خالطته . وكثيراً ما تسود لما يخالطها وينحصر فيها من الدخان بسبب الاحتراق .

والمدوف في الرطوبة منه ما ينحل ومنه ما يختلط . والذي ينحل فهو الذي لا يرسب ، وهو الذي يرجع إلى أجزاء صفار ليس في قوتها أن تحرق جرم الرطوبة وتنفذ فيه كالمالح والنوشادر . ومنه ما يرسب كالطين إذا حلل في الماء . فإنه لا تفعل الرطوبة في تحليله

-
- (١) م ، ب : فيشاركا ، وفي د : فيتشاركان // م + ومثل الحديد .
(٤) سا : — وسيل الرطوبة (٨) ب : وأما الأشياء الأخرى // م ، ط : لا يلين
وينخر ثم يذوب . (٩) م : للخشور (١٠) ب ، د : بجمود (١١) م : ويحلل (الثانية)
(١٢) م ، ط : يسود (١٤) ط : والمذوب في الرطوبة . والمدوف هو ما يذاب في الماء من مسك وغيره . القاموس المحيط . (١٥) م ، ب : يرجع إلى آخر // م : يحترق // م ، ط : ينفذ
(١٦) ط : في تحلله

ما تفعل في تحليل الملح ، لأن مسام الملح كثيرة ومستقيمة ، وأجزاء لطيفة . وليس كذلك حال الخزف ، ولا تنفذ فيها الرطوبة نفوذا مفرقا .

ومن أراد أن يمزج أشياء مختلفة مزاجا يشتد تلازمه فهو يحتال في حل تلك الأشياء ثم جمعها ، ثم عقدها . لكن أكثر ما يفعل به ذلك يبطل خاصيته . وكثير منها يبقى خاصيته كالملح والسكر .

والرطوبة ، إذا كانت مغلوبة ، جمدت بأدنى برد ، وانحلت بحرارة شديدة . فإن كانت غالبية فبالضد . فلذلك ما كان الرصاص يسهل ذوبه ، ويبطئ جموده ، والحديد بالعكس .

(١) م ، ط : يفعل (٢) سا ، د : ولا ينفذ فيه (٤) ط : ثم يعقدها // م : ذلك به
// سا : وكثيرا // ط : ما يبقى (٥) م : والفكر (٦) م : «الرمادية» بدلا من «الرطوبة» .
(٧) م : وإن كانت // م : دونه بدلا من ذوبه // م : ويبطل جموده .

الفصل التاسع

فصل في

أصناف انفعالات الرطب واليابس

وأما الابتلال والانتقاع والنشف والميعان فلنتكلم فيها ، فنقول .

- ٥ إن من الأجسام ما يبتل ، ومنها ما لا يبتل . أما الذي يبتل فهو الذي إذا ماسه جسم مائي لزمه منه رطوبة غريبة ؛ والذي لا يبتل فهو الذي إذا ماسه ذلك لم يعرض له هذا العرض . وذلك إما لشدة صقالته ، وإما لشدة دهنيته . على أن الدهنية تفعل ذلك بما يحدث هناك من الصقالة . فإن الصقيل ، لاستواء سطحه ، تزلق عنه الرطوبة إلى جهة تميل إليها بالتمام . وأما غير الصقيل فتلزم الرطوبة ما فيه من المسام ، ثم يتصل ذلك اللزوم ، فيحصل منه شيء كثير على وجهه .
- ١٠

وأما الانتقاع فأن يغوص الرطب في جوهره ، فيحدث فيه لنا ، مع تماسك . فإنه إن لم يحدث فيه لنا لم يقل منتقع . وإن انحل لم يكن أيضا منتقعا . وكل منتقع مبتل . وليس كل مبتل منتقعا .

- والأجسام الرطبة إما رطبة برطوبة هي لها في أنفسها ، مثل الغصن الناضر ، وإما رطبة رطوبة غريبة . وتلك إما لازمة لسطح الجسم ، كاللحلب المبلول ، وإما غائصة في عمقه ، كالجسم المنقوع في الماء .
- ١٥

(١) م : الفصل الثامن (٢) سا ؛ ب : فصل في (٥) د : ما يبتل منه ومنه ما لا يبتل // ب : جسم + هو (٦) م : لزمه (٧) ب : « وإما لشدة » مكررة // ط : يفعل (٨) م ، ط : يزلق (٩) م ، ط : فيلزم // م : يحصل (١١) ط : أما // د : - في جوهره (١٢) م ، سا : نقل // سا : منتقعا (الأولى) // م : - أيضا (١٣) سا ، د . بمنقع (١٤) سا : رطبية (١٦) د : المنتقع

وإذا نفذت الرطوبة في العمق ، ولم يحدث العارض المذكور ، كما في حال النشف الذى لا يبلغ الترطيب البالغ ، فلا يسمى تقيعا .

والشف يحدث لدخول الرطوبة المائية إثر ما ينفس من مسام الجسم اليابس من الأجزاء الهوائية المحصورة فيه المحتبسة في مجاريه بالقسر لضرورة الخلاء . فإذا وجدت ما ينفذ ، ويقوم مقامها ، أمكنها أن تتحلل بالطبع الذى يقتضى مفارقتها له . فإن انحصار الهوائية في الأرضية وفي المائية انحصار قسرى . فإذا تحلل وانفصل وجرى الماء في مجاريه فربما عرض لما يجرى في المسام ، وخالط الجسم ، أن ينعقد من اليبوسة للمخالطة لمثل السبب الذى ينعقد له الملح ، وما يجرى مجراه . فيعرض له ما يعرض في الجص إذا خلط به الماء - وكذلك في النورة وغيره . وربما لم يعرض .

وكثير مما ينشف يعرض له أن يجف في الحال . وذلك لأن الرطوبة إذا كانت قليلة ، وانجذبت بالقوة إلى باطن لم يجب أن تحتبس على الظاهر إذا لم تجذب الهواء الآخر المماس للرطوبة يتبعها منجذبا عن أنجذابها من الهواء المنفصل . ويكون جذب الهواء الآخر للمقصور أشد من ممانعة الهواء الذى في موضعه الطبيعى ، لأن المقصور المحبوس المضيق ذو ميل بالفعل .

والذى في موضعه الطبيعى لا ميل له بالفعل ، إلا إذا تحرك وزال عن موضعه . وإنما ينفل من الهواء الحادث فيما نحن فيه من الهواء ما هو ساكن في موضعه لا ميل له . وإذا تحرك غلب ميله الطبيعى أيضا ، فلم يكن ميل الساكن الذى لم يتزعج من ذاته ميلا طبيعيا .

(١) م : تقدمت الرطوبة (٢) سا ، د : تقعا . (٥) م ، د : مقامه // م ، ط : يتحلل (٧) سقط في م : من قوله « فربما عرض لما جرى » إلى قوله : وما يجرى ، وفي ط ، د : يجرى بدلا من جرى ، (٨) د : سقط « الملح وما يجرى » ، وفي ط ، د : مجاريها بدلا من مجاريه (٩) د : - غيره (١٠) سا : وكثيرها (١١) م ، ط : يحتبس // ط : إذ نجد ، وفي د : إذا انجذب (١٢) م : سقطت « المماس للرطوبة » // ط : فيكون الهواء // ب : - الآخر (١٥) م : إلا أن (١٦) سا : مما هو (١٦ ، ١٧) د : لا مبدله (١٧) م : له يتزعج

وإذا كانت الرطوبة المنشوفة مائية رقيقة أسرع نفوذها . وكثيرا ما تكون سرعة الحركة سببا لتسخين الرطوبة ، حتى تتبخر وتحلل . وإن لم تكن الرطوبة مائية ؛ بل كانت دهنية ، أبطأ نفوذها . ولا ينشف من الأجسام اليابسة إلا ذو مسام موجودة بالفعل لطيفة . وأما المصمت فلا ينشف ، وكذلك مسامه مملوءة من غير الهواء .

وقد بقي مما نحن نتكلم فيه الانحصار والاتصال والانحراق .

فالاتصاف هو قبول الرطب وضعاً يلزمه شكل مساو لشكل باطن ما يحويه . فإن كان ما يحويه مشتملاً على جميعه تشكل جميعه بشكله ؛ وإن كان أعظم منه ، فإن كان الجسم الرطب مائياً ، وينقص من الحاوى سطحه الأعلى ، تشكل علوه بتقريب . والسبب في ذلك التقريب أن ذلك السطح لا يلزمه شكل غريب . وإذا لم يلزمه كان له الشكل الذى عن طبعه . والشكل الذى عن طبعه هو الكرى .

والجسم الرطب إن كان مخلى عنه امتد في وضعه نافذا ؛ وإن كان محصوراً أو ممنوعاً تشكل في الحاصر والمانع بمثل شكله .

وأما الاتصال فهو أمر يخص الرطب ، وهو أن الرطب ، إذا لاقى ما يماسه ، بطل السطح بينها بسهولة ، وصار مجموعها واحداً بالاتصال . واليابس لا يسهل ذلك فيه .

والرطوبات المختلفة إذا اجتمعت ، فما كان منها مثل الماء والدهن ، ظهر تميز السطوح فيها ؛ وما لم يكن كذلك ؛ بل كان مثل دهنين ، أو مثل شراب وخل وماء ، لم يظهر . فيشبه أن تتحد في بعضها السطوح اتحاداً ، وأن تخفى في بعضها عن الحس . وتحقيق الأمر في ذلك وتفصيله في كل شيء مما يصعب .

(١) د : دقيقة // م ، ط : ما يكون (٢) سا . د لتسخن // م ، ط : يتبخر ويتحلل // م ، ط : يكن الرطوبة (٣) م : فلا (٤) م : ولذلك // م : مسامه مطموسة // م : غير الماء (٦) م : والاتصاف (٧) م : - تشكل جميعه ، وفي ط : فتشكل ، وفي سا « تشكل » بدلا من « بشكله » (٩) سا : - له (١٠) م ، طبيعته // (الأولى والثانية) // م ، سا : الكروى (١١) م : - نافذا (١٢) م ، ط : يشكل (١٣) يماسه هكذا في بخ ، وفي م ، ط ، د : يماسه وفي سا : يشاكله (١٧) م ، ط : يتحد // م : - في بعضها

وأما الانخراق فهو خاصية الرطب ، وهو سهولة انفصاله بمقدار جسم النافذ فيه ، مع التثامه عند زواله . وأنواع تفرق الاتصال هي الانخراق والانشقاق والانكسار ، والانرضاض والتفتت .

فالاخراق يقال لما قلنا ، وقد يقال لما يكون من تفرق الاتصال للأجسام اللينة ، لا لحجم ينفذ فيها ؛ بل يجذب بعض أجزائها عن جهة بعض ، فينفصل .

وأما الاقطاع فهو انفعال بسبب فاصل بنفوذه ، يستمر مساويا لحجم النافذ في جهة حركة نفوذه لا يفضل عليه . وإنما قلنا من جهة الحركة لأنه يجوز أن يفضل على الحجم من الجهة التي عنها الحركة .

وأما الانشقاق فهو تفرق اتصال عن سبب تفرقه في جهة حركة أكثر من الموضع الذي تأتية قوة السبب أولا . وهذا على وجهين :

فيكون تارة بمدخله جسم ذي حجم ، فيزيد تفرق الاتصال في الجهة التي إليها الحركة على حجمه .

والثاني أن لا يكون لأجل حجم نافذ ؛ بل لجذب يعرض للأجزاء بعضها لبعض . والسبب في ذلك أن الجزءين المفصولين يكون بينهما جسم مستطيل ؛ ويكون الجزءان يابسين وإلى الصلابة ما هما . فإذا حمل عليهما بالتفريق لم يجب الأجزاء الطولية المحمول بالقوة عليها وحدها للتباعد ، مع بقاء الاتصال ، كأنها لا تنحني ؛ بل هوذا يجب أن يكون تباعدها مستتبعا لأجزاء كثيرة . وأكثر ما ينشق طولاً لا ينقطع عرضاً .

(١) سا : خاصة م : + وهو الرطب // م : جسم النافذ (٢) م : أنواع يفرق // د : فهو (٥) سا : لجذب // م : من جهة (٦) م ، ب : لسبب // ب : فاضل // م : بنفوذ ويستمر (٧) م : لا يفصل (٩) م ، ط : يفرق // م : على جهة (١١) م : يزيد (١٣) م : - أن // ب ، ط : يجذب // د : « عن بعض » وفي « سا » : بعضا (١٤) د : مستمر طويل وفي ب : جسم مستمر طويل . (١٥) د : يابسان // م : ما هنا // د : فإذا (١٦) د : وجدها // ط : ينحني // في جميع النسخ ما عدا د : هوذا ، وفي د : هو ذي (١٧) في سا : طولاً ينقطع وفي م : طولاً يقطع ، وفي ط : طولاً ينشق

ومن أنواع القطع الحرد والخرط والنقر والنشر والثقب والحفر ، وغير ذلك مما لا نطيل الفصل بتعديده .

وأما الانكسار فهو انفصال الجسم الصلب بدفع دافع قوى من غير نفوذ حجمه إلى أجزاء كبار ، والانرضاض كذلك إلى أجزاء صغار .

- أما التفتت فكالاترضاض ، إلا أنه مما يتهياً رضه لقوة ضعيفة . والمنكسر والمرض والمتفتت هو الذى له منافذ خالية عن غير الهواء . فالمنكسر منافذه أقل وأعظم . والمرض منافذه أكثر وأصغر . وكلاهما منافذهما يتصل عند حدود محكمة يتماسك بها . والمتفتت منافذه كثيرة صغيرة ضعيفة التماس الحدود .

- ونقول أيضاً إن من الأجسام المركبة ما هى لينة ، ومنها ما هى صلبة . واللين هو الذى يتطامن سطحه عن الدفع بسهولة ، ويمكن أن يبقى بعد مفارقتة مدة طويلة أو قصيرة ؛ وبهذا يفارق السيال . فإن السيال لا يحفظ الحجم إلا زماناً يجب ضرورة بين كل حركتين مختلفتين ، وفى ذلك الزمان يكون ملاقياً لفاعل الحجم ، ولا يمكن أن يحفظ الحجم والشكل مع مفارقة الفاعل ألبتة .

والصلب هو الذى لا يتطامن سطحه إلا بعسر .

- ثم إن أنواع اللين تقبل أنحاء من التشكيل والوضع لا يقبلها أنواع الصلب . فنه ما ينشدخ ، ومنه ما ينحنى . والمنشدخ أعم من المنطرق . وذلك لأن المنشدخ هو الذى تتحرك أجزاؤه إلى باطنه . فنه ما يبقى على ما يعمل به من ذلك ، وهو المنطرق . ومنه ما لا يبقى ، بل يعود مثل الإسفنجة التى تعتصر فتعود .

(١) د : والحرد (٢) م : يطيل // ب : بتعديده (٣) سا : تعدد حجمه ، وفى ط ، د : نفوذ حجم فيه (٥) م : - أما // سا : يتهياً منه (٦) سا : الفتت // ب : والمنكسر // ط : « منافذة » (٩) د : فتقول (١٠) د : الرفع // سا : سهولة (١١) ب : لأن السيال ، وفى د : سقطت « فإن السيال » م // م : من كل (١٢) م : د : تلاقياً (١٣) ط : مفارقتة (١٤) م : سا : بقسر (١٥) م ، ط : يقبل إنما // سا : لا يقبله (١٦) م : ينشرخ // ط : المنطرق // ب : - وذلك (١٧) م ، ط : يتحرك // م : ومن ذلك // ط : المنطرق ، وفى د : المنطرد (١٨) م : بعسر // فى د : ومثل .

وبين المنعصر والمنطرق فرق ؛ لأن المنطرق متصل الأجزاء غير مشوب بجسم غريب . وإنما يتطامن جزء منه مجيبا للدافع ، لا بخروج شيء منه . والمنعصر يتطامن بخروج شيء منه ، ويخرج منه دائما ، إما مائية وإما هوائية . ثم يجوز أن يبقى على حاله ، ويجوز أن لا يبقى . فالمنطرق هو المندفع إلى عمقه بانسباط يعرض له في القطرين الآخرين ، قليلا قليلا ، وهو يحفظ ذلك في نفسه ، ويكون من غير انفصال شيء منه .

والمنعصر يخالفه في كلا الشرطين أو أحدهما . والمنعصر الذي يبقى على الهيئة التي يفيدها العصر ، إن كان يابسا يسمى متلبدا ؛ وإن كان رطبا يسمى منعجنا . ويقال انعجان أيضا لاندفاع الأجزاء اليابسة فيما يخالطها من الرطوبة المائية ليشتد بذلك تداخلها . ويعرض لكل منطرق أن يترقق ، فيكون من حيث يندفع في عمقه منطرقا ، ومن حيث ينعصر في عمقه أو يزيد ، في قطريه الآخرين ، مترققا .

وأما المنحنى فهو الذي من شأنه أن يصير أحد جانبيه الطولين أزيد ، والآخر أنقص بزواله عن الاستقامة إلى غيرها . وذلك يكون لأن فيه مطاوع . ويكون ذلك لرطوبة فيه .

والتمدد هو حركة الجسم مزدادا في طوله منتقصا في قطريه الآخرين . وذلك الجسم إما لزج وإما لين جدا . والأولى أن يسمى هذا لدنا ، وهو الذي يقبل التمدد والعطف ، ولا يقبل الفصل بسرعة . وإنما يكون الحال كذلك في جميع ذلك ؛ لأنه يكون قد اشتد مزاج رطوبته ويبوسه ، حتى إن رطوبته لا تسيل ؛ بل تناسك لشدة ما خالطها من اليبوسة .

(١) م : والمتطرق (٢) د : عجيبا للدافع // م : لا يخرج (٣) د : + من بخروج شيء // م : «ما مائية» بدلا من «مائية» // د : أو هوائية (٤) م : فالمتطرق // م : لانسباط (٥) د : قليل (الثانية) // د : ويمكن من غير (٦) د : كل الشرطين (٧) د : أو يقال (٨) م : انعجان ، وفي سا : انعجاف // ب : سقطت «أيضا» (٩) ط : متطرق // ط : متطرقا (١١) م : الطولين ، وفي د : «الطولين» مكررة . (١٢) د : بزواله (١٣) م : الرطوبة فيه (١٦) سا ، ب : - جدا // م : هذا الدنا (١٧) م : لأنه لا يكون (١٨) د ، سا : امتزاج // م : يسيل // م ، ط : يناسك

ويبوسه لا تنفرك ، ولا تنفتت ؛ بل تناسك لشدة ما جمعها من الرطوبة ؛ إذ الرطب يناسك متقوما باليابس ، واليابس يناسك مجتمعا بالرطب .

- فمن المتمد ما يلزم الماد له بالالتصاق ، وهو اللزج ، ومنه ما يلزمه بتعلقه به كالقير . وهذا الصنف لا يسمى لزجا ؛ بل لدنا . فإن اللزج ما يسهل تشكيله وحصره ، ويلزم جرمه ما يماسه . وذلك بسبب أن الغالب فيه الرطوبة . لكن اللزج أزم من الرطب ؛ لأن الرطب سيال جدا . وأما اللزج فإن أجزائه التي تلزم الشيء أكثر من أجزاء الرطب ؛ لأن اللزج لا ينفصل بسهولة إلى أجزاء صغار انفصال الرطب ، فتكون حركته أبطأ ، وزواله أعسر .

- وليس كل لزج يمتد . فإن الدهن لا يتمد . ولكن كل لزج له قوام صالح . وإنما يقبل التمدد من اللزج ما لا يجف . وذلك هو اللزج الحقيقي . فإن اللزج التام ١٠ الزوجة لا يجف ؛ بل إنما يجف لزج لم يبلغ مزاج رطبه ويابسه مبلغا لا يتميزان بعد . لكنه مع ذلك امتزاج متداخل جدا لا ينفصل إلا بقوة محلة لطيفة . والأجسام التي في طباعها رطوبة يعتد بها ، فإما أن تكون بكليتها جامدة ، فلا تنطرق ولا تمتد ولا تنحني ، كما يعرض للياقوت والبلور ، وكثير من الحجارة التي تتكون عن مياه تجمد ؛ بل كنفس الجمد ؛ وإما أن يكون فيها بكليتها فضل من رطوبة ليس يجمد . وإنما ليس ١٥ يجمد لدهانته . فذلك الشيء ينطرق ، وخصوصا إذا حى ، فسأل أيضا شيء مما هو جامد . فإن سئل الجميع عاد ذائبا .

(١) م // م : ينفرك // م : يتفتت // م ، ط : يناسك // م : من اليبوسة د : - الرطب م // م : إذا الرطب (٣) سا : في التمدد // م : التمدد // م : - ما // م : « اليسير » ، وفي ط : القير ومعناه القار . أما : أما في بقية النسخ فهي اليسير . (٢) وفي م : اليسير // أما في بقية النسخ فهي اليسير (٥) م : للرطوبة (٧) م ، ط : فيكون (٩) سا ، د : يعمد (١٠) م : اللزج (١١) سقطت من « م » : « بل إنما يجف » م // م : رطبة ويابسة (١٢) سا : متداخل جزءاً (١٣) ط : معتد بها // م ، ط : يكون // م : ينطرق // م ، ط : ولا يمتد ولا ينحني (١٤) ط : التي يتكون (١٥ ، ١٦) سقطت في م من « بل كنفس الجمد » إلى قوله « ليس يجمد » (١٥) سا : بكليتها // د : فضل عن (١٦) ط : ينطرق // م : خصوصا

والنار ، وإن كانت تعقد بمعونة اليابس فذلك إلى حد ، مادام لم يشتد فعلها في اليابس ، ولم تخرجه عن كونه يابسا كشيئا . فإذا أفرط فعلها في اليابس خلخلت اليابس أيضا . فإذا تحلل اليابس تحلل الجميع .

(١) م : - بمعونة اليابس // سا ، د : فعله (٢) م : يخرجه // م : فإذا فرط // د : فعل // سا ، د : خلخل // سا : وإذا (٣،٢) ط : فإذا تخلخل اليابس تخلخل الجميع ، وفي «د» : تحلل اليابس محلل الجميع في آخر المقالة زيادة في نسخة د وهي : تمت المقالة الأولى من الفن الرابع من جملة الطبيعيات في الآثار العلوية بحمد الله وحسن توفيقه .

المقالة الثانية من الفن الرابع في الطبيعيات

هذه المقالة نصف فيها جملة القول فيما يتبع المزاج من الأحوال المختلفة ،
وهي فصلان .

(٢٠١) ط ، سقط : « من الفن الرابع في الطبيعيات » (٢) سا : من جملة الطبيعيات // د :
من الطبيعيات (٣) ب : وهذه // م : أحوال (٤) ط : - وهي فصلان // م : - وهي // د : +
ب فصل في ذكر اختلاف أموال الناس في حديث الكيفيات التي بعد الأربع ، وفي نسبتها إلى المزاج
ومناقضة المبطلين منهم : ب ، وفصل في تحصيل القول في نوابغ المزاج .

الفصل الأول

فصل في

ذكر اختلاف الناس في حدوث الكيفيات المحسوسة التي بعد الأربع،

وفي نسبتها إلى المزاج، ومناقضة المبطلين منهم

٥ أما المزاج وما هو، وكيف هو فقد قلنا فيه . فيجب أن يتذكر جميع ما قيل من ذلك .
والذي يجب علينا أن نستقصى الكلام فيه حال الأمور التي توجد في هذه المركبات
عند المزاج، فنقول :

إن هذه العناصر الأربعة لا يوجد فيها من الكيفيات إلا الأربع، وإلا الخفة والثقيل،
ما خلا الأرض . فقد يشبه أن يكون لها لون . لكن لما منع أن يمنع ذلك، فيقول : إن اللون
الموجود للأرض إنما يوجد لها بعد ما يعرض لها من امتزاج المائية، وغير ذلك . ويصلح
لذلك المزاج أن تكون ملونة . ويقول إنه لو كان لنا سبيل إلى مصادفة الأرض الخالصة
لكنا نجدها خالية عن الألوان ، وكنا نجدها شافة . فإن الأخلق بالأجسام البسيطة
ألا يكون لها لون . والأخرى عندي، بعد الشك الذي يوجهه الإنصاف، وبعد وجوب
ترك القضاء البت فيما لا سبيل فيه إلى قياس يستعمل ، وإنما المعول فيه على تجربة
تتعذر - هو أن الأرض لها في ذاتها لون ، وأن الامتزاج الذي وقع لا يقعدنا عن وجود

٥

١٠

١٥

(١) في م ، ط ، د : الفصل الأول (٢) سا ، ب : فصل في (٣) د ، سا : - المحسوسة
(٤) م ، ب : - في (٥) سا : تتذكر (٦) م : يستقصى (٩) د : لونا // م ، سا : المانع أن
يمنع (١١) م : يكون ملونة // ط : متلونة // م : سبل // سا : مصارمة (١٢) ط : اللالخلق
// م ، د : والأخرى // م : عند // م : الشكل (١٤) سا : نمجزة (١٥) م : يتعذر // م ،
د : - هو سا : الذي حصل // د : لا يقعدنا .

ما فيه أرضية غالبية . فكان يجب أن نرى في شيء من أجزاء التربة الأرضية ، مما ليس متكوناً تكويناً معدنياً ، شيئاً فيه إشفاف ما أفكان لا تكون هذه الكيفية فاشية في جميع أجزاء الأرض ، ولكان حكم الأرض حكم الماء أيضاً والهواء . فإنها ، وإن امتزجت ، فلا يُعدم فيها مشف . فالأخرى أن تكون الأرض ملوثة لا ينفذ فيها البصر . فإننا نعى باللون ما إذا جعل وراءه مرآة لم تؤده إلى البصر .

والبساطة لا تمنع أن يكون الجرم ملوناً غير شفاف ، فإن القمر ، على مذهب الجمهور من الفلاسفة ، هذا شأنه . ثم إن أنكر ذلك منكر كان حاصل الأمر أنه لا كيفية للعناصر خلا ما ذكر . وإن اعترف لم يكن لها إلا اللون لبعضها . وأما الطعم والرائحة فلا يوجد لشيء منها إلا بالمزاج . فإن كان من ذلك شيء لشيء فمضى أن يظن أنه للأرض . وبالحقيقة لا رائحة لأرض لم تستحل بالمزاج .

والأرض الصحيحة كالأرض التي يتولد فيها الذهب ، لا يوجد لها رائحة ألبنة . وكذلك في غالب حال الأرض . ومما يعلم أن ذلك يحدث بالمزاج ما نراه يشتد بالامتزاج . ثم إن كان للأرض طعم أو رائحة ، وكان للأشياء الأخرى بسبب الأرض ، فإنما يجب أن يحصل للمركب من الأرض وغيرها ذلك الطعم ، وقد انكسر ، وتلك الرائحة وقد انكسرت . وأما طعم ورائحة غريبة فلا . فكيف تكون الطعوم والروائح المتضادة إلا أن تكون الرائحة قد تتولد بالامتزاج ، وليست إنما تستفاد من الأرضية على ما ظنه بعضهم ، وكذلك الألوان .

(١) سا : وكان يجب // م : يرى ، وفي ط : نرى (٢) د : وكان // م ، ط : لا يكون (٤) سا : لا نعدم // سا ، د : شف // م ، د : فالأخرى // ط : أن يكون الأرض // د : ملوثة (٥) ط ، سا ، ب ، د : مرئي ، وفي م : مرأي ، وفي بخ مره (٦) م ، ط : بمنع // م : إن (٨) م ، ط : ذكروا // ط ، ب : فلم يكن // سا : - لها // د : فليس يوجد (١٠) م : لم يستحيل ، وفي ط : لم يستحل (١١) سا ، د : لا يوجد له (١٢) م : - في غالب // م : يراه ، وفي ط : تراه (١٤) سا ، د : وغيره // م : - تلك (١٥) سا : فكل // م : - تكون (١٦) م ، ط : يكون // ط : يتولد // م ، ط : يستفاد (١٧) فكذلك

ونحن نشاهد في المركبات طعوماً وأراييج وألواناً ليست في البسائط . ونشاهد أيضاً أفعالا تصدر عنها ليست في البسائط ، لاصرفة ، ولا مكسورة ، وذلك مثل جذب للمغناطيس للحديد والكهرباء للتبن ، والسقمونيا للصفراء ؛ وأفعالا وأحوالا أخرى للجمادات والنبات ، بل للحيوانات . والحياة أيضاً من هذه الجملة .

- ٥ معلوم أن هذه الأشياء إنما تحصل لهذه الأجسام بعد المزاج . فمن الناس من ظن أن هذه الأفعال نسب تقع بين الممتزجات ؛ بل بين المجتمعات ، عند الذين لا يقولون بالمزاج ، وبين أمور أخرى . فيقولون إنه لا لون بالحقيقة ، وإن اللون الذي يرى هو وضع وترتيب مخصوص يكون للأجرام الغير المتجزئة بعضها عند بعض ، وعند الأجسام الشعاعية التي تقع عليها ؛ وإن الطعوم أيضاً هي انفعالات تعرض من تقطيع حدة تلك الأجسام وزواياها على نظم مخصوص ، فيكون الذي يقطع تقطيعاً إلى عدد كثير ، صفار مقادير الآحاد ، شديد النفوذ يرى محرقاً حريقاً ؛ والذي يتلافى تقطيعاً مثل ذلك يسمى حلواً . وكذلك في الروائح ، وإنه لا طعم في الحقيقة ولا لون ولا رائحة . ولو كان لون حقيقي لكان طوق الحمامة لا يختلف حكمه عند البصر ، مع اختلاف مقامات الناظر ، إذا انتقل الناظر ، وجعل يستبدل بالقياس إليه وإلى الشمس ، وضعاً بعد وضع .
- ١٠ ولو كان طعم حقيقي لكان المرور لا يستمرى العمل . فهذا مذهب قوم . وقوم يرون أن الأمر بالضد ، وأن العناصر موجود فيها اللون والرائحة والطعم ، إلا أنها كامنة مغمورة بما لا لون له ولا رائحة له ، وأن المزاج لا فائدة له في حصول ما ليس من ذلك ؛ بل في ظهوره . وهؤلاء أصحاب الكون .
- ١٥

(١) ط : ليس (٢) ط : يصدر (٤) م : للجاديات (٥) ط : يحصل // م : بهذه ، وفي سا : من هذه (٦) سا : ليست تقع (٨) م : وضع ترتيب // م : غير المتجزئة (٩) م : الشعاعية // ط : يقع // سا : — م : يعرض (١٠) م : زوايا // سا : نظم نظم // م : صغير (١١) م : يتلاقى ، وفي د : يلاقى // م : تقطيع (١٢) م : ورائحة (١٥) ب ، د : — قوم (الأولى) (١٦) ط : أو الطعم // م : — له // سا ، د : لا فائدة فيه .

وقوم يرون أن المزاج ، الذى كيفيته متوسطة حداً من المتوسط ، إذا كان حده بحال ما كان لوناً وطعماً ، وإن كان بحال أخرى كان لوناً وطعماً آخر ؛ وأنه ليس الطعم واللون ، وسائر الأمور التى تجرى مجراها ، شيئاً والمزاج شيئاً آخر ؛ بل كل واحد منها مزاج خاص يفعل فى اللبس شيئاً ، وفى البصر شيئاً .

- ٥ وقال قوم آخرون إنه ليس الأمر على أحد هذه الوجوه ؛ بل المزاج ، على التقدير الذى يتفق له ، أمر يهيء المادة لقبول صورة وكيفية مخصوصة . فما كان قبوله ذلك إنما هو من علل فاعلة لا تحتاج إلى أن يكون لها وضع محدود قبله مع استكمال الاستعداد ؛ مثل النفس والحياة وغير ذلك . وما كان قبوله ذلك إنما هو من علل محتاجة إلى وضع محدود قبله إذا صار له مع غلية ذلك الوضع ، كمنضج التين مثلاً من الشمس إذا أشرقت عليه . فهذه هى المذاهب التى يعتد بها فى هذا الباب .

١٠

فأما المذهب المبني على الأجرام التى لا تتجزأ ، وعلى أن سبب حدوث الكيفيات اختلاف أحوالها ، بحسب اختلاف الترتيب والوضع الذى يعرض لها ، فما قدمناه يعنى عن إعادتنا قولاً كثيراً فى رده ؛ بل نحن نعلم أن هذه الأجسام متصلة ، وأن الأسود منها أسود ، كيف كان شكله ووضعه ، والأبيض أبيض كيف كان وضعه .

- ١٥ وكذلك قولنا فى الطعوم والروائح ، وإن ذلك لا يختلف بحسب وضع وترتيب ، وإنه لولا خاصية لكل واحد من الأجسام المختلفة لاستحال أن تتخيل منها الحواس تخيلات مختلفة ، أو تنفعل انفعالات مختلفة .

(١) ط : كيفية متوسطة // فى سا : متوسط (٢) د : كان بحال آخر (٣) ط : سقط منها : « وإن كان بحال أخرى كان لوناً وطعماً آخر » // وفى « سا » سقط : كان لوناً وطعماً آخر (٣) ط : يجرى مجريها (٤،٣) سقط فى د : والمزاج شيئاً آخر ؛ بل كل واحد منها مزاج خاص يفعل فى اللبس شيئاً وفى البصر شيئاً (٣) م : منها (٥) ب : أو قوم آخرون يقولون (٦) د : أم يهيو // ط : يهيو ، وفى ب : أمر نهيوه // سا : صورته // سا : مما كان (٨) سا : كان + هو (٨،٧) سقط من سا : « لا تحتاج إلى أن يكون لها وضع محدود » إلى قوله « وغير ذلك » (٨) ط : ذلك (الثانية) مشطوبة // ط : هو عن (٩) ط : علته (١١) ب : على الأجزاء (١٢) سا : مما قدمناه (١٥) سا ، د : لا يختلف بسبب (١٦) د : لا خاصية // د : واحدة // م ، ط : يتخيل (١٧) م ، ط : ينفل .

وأما طوق الحمامة فليس المرئي منها شيئاً واحداً ؛ بل هناك أطراف للريش ذات جهتين أو جهات ، كل جهة لها لون ، وكل جهة تستر الجهة الأخرى بالقياس إلى القائم . وذلك بالجملة على مثل سدى ولحمة « أبوقلمون » من الثياب والفرش .

ومذهب الكون فقد بالغنا في تقضه في موضعه .

وأما مذهب القائلين إن كل واحد منها مزاج ، ليس أنه يتبع المزاج ، فهو مذهب خطأ . فإن كل واحد من الأمزجة على التفاوت الذي بينها ، لا يخرج عن حد ما بين الغايات ، ويكون ملموساً لا محالة إن كان أخرج من اللمس إلى الطرف ، أو يكون مساوياً لللمس لا يفعل عنه ، إما أن يكون المزاج لا يدرك باللمس ؛ بل بالبصر أو بالشم - فهذا باطل ؛ لأن المزاج كيفية ملموسة ، واللون ليس بملموس . وكذلك الطعم وغيره .

وليس لقائل أن يقول إن الإبصار لمس ما لمزاج مخصوص لا يضبطه سائر آلات اللمس . وذلك لأن كل ملموس فيحس . وله إضافة إلى برد أو إلى حر ، أو إلى رطوبة أو إلى يبوسة . واللون لا يدرك النفس منه شيئاً من ذلك ، ولا الطعم ولا الرائحة . وهذه الكيفيات يوجد منها غايات في التضاد . والأمزجة متوسطة ليست بغايات ألبتة . فهذه إذن أشياء غير المزاج .

لكن الأمزجة المختلفة تختلف في الاستعداد لقبول شيء منها دون شيء ، فيستعد بعضها للاحمرار ، وبعضها للاصفرار ، وبعضها للابيضاض ، وبعضها للطعم ما ، وبعضها لرائحة ما ، وبعضها للنمو ، وبعضها لللمس ، وبعضها للنطق ؛ بل قد تحصل بالأمزجة

(١) سا : شيء // سا : أطراق للرايين ذوات // د : ذوات (٢) م : يسير الجهة // م : القيم (٣) ط : وذلك الجملة // ب : على مثال // في د ، ب : البوقلمون ، وفي ط : أبوقلمون : وهو ثوب رومي ، وفي بقية النسخ للمقبلون (كذا) // م : الثبات والفرس (٥) ط : - أما // م : منها (٦) ب : لأن كل // د : التي بينها // سا : - حد (٧) ب : الطرف - لا محالة (٨) سا : اللمس (٩) د : ملموسة (١٠) سا : فليس // م : ليس ما (١١) ط : فيمس (١٢) ط : لا يدرك اللمس (١٣) سا : يوجد بينها ، وفي ب : فيها // م : والأربعة متوسطة (١٤) م : - إذن (١٥ ، ١٦) م : فيشتد بعضها (١٦) سا : - وبعضها للاصفرار // سا : للابيضاض (١٧) ب : بل بعضها للنمو // ط : وبعضها للحس // سا : وقد تحصل ، وفي د ، ط : بل قد يحصل .

في المركبات استعدادات لقوى فعالة أفعالا تصدر عنها بالطبع ليست من جنس أفعال البسائط مثل جذب الحديد للمغناطيس ، وغير ذلك . فتكون هذه القوى التي تحدث بالحقيقة ، منها ما هي طبائع لأنها مبادئ حركات لما هي فيه بالذات ، ومنها ما هي مبادئ تحريكات لأشياء خارجة عنها يفعل فيها بالاختيار .

- و الناس قديقون في شغل شاغل إذا أخذوا يفحصون عن علل هذه الأحوال والقوى ،
 ٥ يرومون أن ينسبوا ذلك إلى كفيات أو أشكال أو غير ذلك مما للبسائط . ويشق عليهم الأمر ، فيدفعون إلى تكلف يخرجهم عن الجادة المستقيمة . فلا سبيل إلى إدراك التناسبات التي بين الأمزجة الجزئية وبين هذه القوى والأحوال التي تتبعها ، وتوجد بعد وجودها .
 ومن شأن الناس أن لا يبحثوا عن علل الأمور المتقاربة الظاهرة ؛ لأن كثرة مشاهدتهم إياها يزيل عنهم التعجب ؛ وزوال التعجب عنهم يسقط الاشتغال بطلب العلة ،
 ١٠ ولا يعني أكثرهم بأن يعلموا أنه لم كانت النار تحرق في ساعة واحدة بلدة كبيرة ، أو لم البرد ييبس الماء ، ويعنيهم بأن يعلموا لم المغناطيس يجذب الحديد . ولو كانت النار شيئاً عزيز الوجود ينقل من قطر بعيد من أقطار العالم ، ثم يشعل من شعلة منها شعل كثيرة لدهش الإنسان من العجب الموجود فيها ، وكان طلبه لسبب فعلها أكثر من طلبه لسبب فعل المغناطيس . وكذلك لو كان البرد مما يجلب من بلاد إلى بلاد ، فيسلط
 ١٥ على الماد فييبسه ، لكان الناس يتعجبون . لكن كثرة مشاهدتهم ما يشاهدون من

(١) م ، د : « لاتصدر » (٢، ١) م : أفعال التسليط (٢) م ، ط : فيكون هذه // سا : الذي تجذب // ط : يحدث (٣) د : بما هي فيه (٤) د : - لأشياء (٦) سا : يرون ، وفي ط : ويرومون // سا : ان ينسبون // م : وأشكال // سا ، ط ، د : فيشق (٧) سا : - الجادة // سا : ولا سبيل (٨) م : ومن هذه // م ، ط : التي يتبعها // م : ويوجد (٩) سا : أن يبحثوا // م ، سا : - الظاهرة (١٠) سا : يزيل عنها // د : - التعجب وزوال التعجب عنهم // م : - عنهم (الثانية) (١١) م : فلا يعني // م ، ط : أن يعلموا // سا : - بأن يعلموا // م : يحرق (١٢، ١١) م ، ط : بلدة كثيرة ، ولم (١٢) ط : ييبس (١٣) ط : وينتقل // ب : عن قطر // م : ثم يشغل (١٤) م : كثير // سا : « لتعلمها » بدلا من « لسبب فعلها » (١٥) م ، ب ، د : - إلى بلاد // سا : فتسلط (١٦) م : فينبسه // م : لكن + من // د : يشاهدونه

ذنيك يسقط عنهم الاشتغال به ، حتى إن سأل سائل لم يفعل البرد ذلك استنكروا ، وقالوا : لأن طبيعته ذلك ، ولأنه برد ، وكذلك في جانب النار يقولون إنها إنما تفعل ذلك ، لأنها نار . والبصير منهم الذي يرتفع عن درجة الغاية يقول : لأن المادة التي للنار اكتسبت صورة تفعل هذا الفعل لذاتها ، ولأن البرد طبيعته أن يكثف الجسم ويجمده .
 ٥ ثم لا يقنعه مثل هذا في حجر مغناطيس أن يقال : لأن المزاج سبب لأن حصل في هذا المركب قوة هي لذاتها وطباعها تجذب الحديد ، لالشيء آخر . وليس أمر جذب مغناطيس بأعجب من أمر نبات ما ينبت ، وإحساس ما يحس ، وحركة ما يتحرك بالإرادة . لكن جميع ذلك أسقط فيه التعجب كثرت غلبه وجوده .

والقول في جميع ذلك قول واحد ، وهو أن الجسم المركب استعداد ، بمزاجه ، لقبول
 ١٠ هيئة ، أو صورة ، أو قوة مخصوصة ، يفاض عليه ذلك من واهب الصور والقوى ، دون غيره . أما فيضانه عنه فليجوده ، ولأنه لا يقصر عنه مستحق مستعد .

وأما اختصاص ذلك الفيض به دون غيره (فلاستعداده التام) الذي حصل بمزاجه .
 فجميع هذه الأشياء تفعل أفاعيلها ؛ لأن لها تلك القوة الفعالة . وإنما لها تلك القوة هبة
 من الله تعالى . فيجب أن يتحقق أن المزاج هو المعد لذلك .

على أن كثيرا من الأعراض يعرض أيضا بسبب مخالطة غير مزاجية . فإن كل
 ١٥ جسم شاف ، إذا خالطه الهواء فصار أجزاء صفار ، أبيض ، كالماء إذا صار زبدا ، أو كالزجاج إذا دق ، وغير ذلك . ويكون ذلك لأن النور الذي ينفذ فيه يقع على سطوح

(١) د : - به (١) سا : استنكروا + ذلك (٣، ٢) سقط في م : ولأنه برد . وكذلك في جانب النار يقولون : إنها إنما تفعل ذلك (٣) ط : لأنه // د : فمنهم // م : العامة .
 (٤) سا : وتجمده (٥) سا : مثل ذلك // ط : المغناطيس // م : بسبب ، وفي سا : تسبب // ط : لأن يحصل (٦) د : - هي // ط : يجذب // م : - جذب (٧) م : ما أعجب ، وفي سا : أعجب // ط : للإرادة (٨) م : لكثرت ، وفي د ، سا ، أكثرته // د : وعلت (١٠) م : واجب الصور (١١) سا ، د : وأنه (١٢) د : فلاستعداد النار // ب ، ط ، د : حصل + له (١٣) م : هذه الأجزاء // م ، ط . يفعل (١٤) سا ، ط . - تعالى (١٦) م ، سا : بيضاء ، وفي ط . بيضا (١٧) م : - فيه

- كثيرة صغار لا ترى أفرادها وترى مجتمعة ، فيتصل رؤية شيء منير باطنه لنفوذ الضوء في المشف إلى السطوح الباطنة ، وانعكاسه عنها مستقرا عليها ، ولا ينفذ البصر فيها لكثرة ما ينعكس عنها من الضوء . فإن المشف الذي يشف، وينعكس عنه الضوء جميعا، لا يشف حين ينعكس الضوء عنه . فإذا صار لا يشف رؤى ذا لون . ويكون هو البياض . وكذلك الشيء اليابس إذا عملت فيه النار عملا كثيرا وأخرجت عن منافذه الرطوبة وأودعته الهوائية ، بيّضته .

وأما أنه هل يكون بياض غير هذا ، وفي جسم متصل ، فما لم أعلم بعد امتناعه ووجوده . وسيأتى لى كلام فى هذا المعنى أشد استقصاء .

- وأما فى الطعوم والروائح فليس الأمر فيها على هذه الجملة . وذلك لأنه ليس فيها شيء مذوق أو مشموم بذاته ينفذ فى الأجسام ، فيجعلها بحال من الطعم والرائحة ، كما أن الضوء شيء مرئى بذاته . فإذا خالط الأجسام جاز أن يجعلها على حال من الرؤية .

فهنا يفترق حال اللون وحال الطعم والرائحة ؛ إذ اللون يصير مرئيا ؛ بمرئى بذاته هو غيره ، وهو الضوء . وليس الطعم والرائحة كذلك . وكما أن المرئى بذاته ، وهو الضوء ، على ما نحقق الأمر فيه من بعد ، هو كيفية حقيقية ، كذلك الطعم والرائحة .

- وأما القوى فإنها ليست من هذا القبيل . فإنها ليست بحسب إدراك الحس ، أو نسبة غير الشيء الذى ينفعل عنها . فإن لم يكن الجسم الذى يصدر عنه فعل مخصوص مخصوصا مميزا مما ليس يصدر عنه الفعل الذى كان مخصوصا به ، لم يصدر عنه فعل مخصوص .

(١) م : - كثيرة // ط : لا يرى // م ، ب : دونه شيء منير (٢) م : وانعكاسها عنه مستقرة ، وفى د : وانعكاسها عنها مستقرة // ب : فلا ينفذ (٣) م : تنعكس // سا : عليها الضوء . (٤) د : يشف (الثانية) - حين ينعكس الضوء عنه // د : فيكون (٥) د : عمل // د : كثيرا + وأخرجت عنه منافذها (٦) سا ، د : وأودعها // سا : بيضة ، وفى د : مضيئة (١٠) د : فتجعلها (١٣) م : وهو غيره // ط : - كذلك // ط : كما (١٤) ط : تحقق (١٥) سا ، ط ، د : حس (١٦) م : أو بسببه // ب : وإن (١٧) ط : - مخصوصا

وإذ ليس الاختصاص بالجسمية فهو بغير الجسمية . وإذ ليس الفعل صادرا عن المزاج صدورا أوليا ، لأن الفعل الصادر عن المزاج هو ما يصدر عن حار وبارد ورطب ويابس مكسور ، وليس هذا الفعل ذلك ، فهو إذن عن قوة غير المزاج .

لكن لقائل أن يقول : إنكم تقولون إن المزاج ، وليس إلا كيفيات مكسورة ، قد يوجب إعدادا لم تكن للبسائط ، وليس هو كسر إعداد البسائط . وكذلك سيوجب صدور أفعال لم تكن للبسائط ، ولا هو كسر أفعال لها .

فنقول إن هذا غلط . فإن الأفعال إنما تنسب نسبة أولية إلى الكيفيات ، ولا يكون للمواد فيها شركة ، وتكون كل قوة إنما هي ما هي لأجل فعلها . ويكون معنى قولنا إن هذه القوة قوية صرفة أن فعلها يصدر عنها قويا صرفا ؛ ومعنى قولنا هذه القوة ضعيفة مكسورة أن الفعل الذي يصدر عنها يصدر ضعيفا . فلا مفهوم لقولنا حرارة ضعيفة إلا أن الفعل الذي للحرارة يصدر عنها ضعيفا . ثم لا ننكر أن تكون الأفعال عن الحرارة المختلفة في الضعف والقوة تختلف اختلافا كثيرا ، حتى يكون بعضه إحراقا وبعضه إنضاجا . لكنها تشترك في المعنى الذي يكون للحرارة . فالذي يقع ذلك المعنى منه شديدا وقويا يقع منه إحراق ، والذي يقع منه ذلك إلى حد يكون إنضاجا .

ولا ننكر أيضاً أن تحدث أمور مشتركة من بين الحرارة واليبوسة ، ومن بين الحرارة والرطوبة ، ويكون عنها اختلافات ؛ إلا أنها ترجع ، آخر الأمر ، إلى ما تقتضيه الحرارة واليبوسة ، أو الحرارة والرطوبة . وأما شيء خارج جملة عن طبيعة الحرارة ، أو عن الطبيعة المشتركة التي تتألف عن الحرارة وشيء آخر ، فلا يكون ذلك فعل الحرارة بالذات ، وذلك مثل

(١) د : وإذا ليس (الأولى والثانية) // د : عند المزاج (٢) م : مكسورا . (٣) في نسخة « ب » تبدأ فقرة مكررة من قوله « غير المزاج في هذه الصفحة » إلى قوله : أمر للمادة في ص ٢٥٩ . (٤) م : وليس + كونه (٥) ط : توجب // م : « ولا » بدلا من « وليس » // سا : فكذلك سنوجب // ط : فكذلك (٦) م ، ط ، يكن (٨) ط : ويكون (الثانية) (٩) د : أن هذه القوة + قوة // م : تصدر // د : أن هذه (الثانية) (١١) م : لا ينكر // ط : يكون (١٢) م : عن الحوادث ، وفي سا : الحريات ، وفي ط : الحرارة // ط : يختلف (١٣) م : إنضاجا // سا ، د : ولكنها // م ، ط : يشترك (١٤) د : إنضاج (١٥) م : ينكر // م ، ط : يحدث // سا ، د : سقطت « من » (الأولى والثانية) (١٦) ط : يرجع // ط : يقتضيه (١٧) ط : والحرارة والرطوبة (١٨) م ، ط : يتألف

جذب المغناطيس ، أو مثل شيء آخر مما هو خارج عن أن يكون ملموساً بوجه . فلا هو ذات حرارة ممزوجة أو صرفة . فليس هو من قبيل المزاج ، وذلك كاللون . وكيف ، والمزاج يلمس ويحس به ، ولا يشعر بلون أصلا ، واللون يدرك ويبصر ، ولا يشعر بمزاج أصلا ؟ فيكون لا محالة ما أدرك غير ما لم يدرك . وليس يلزم من هنا أن لا تكون أمور تلحق هذه الكيفيات باختلاف أحوالها ، مما ليست هي أفاعيل هذه الكيفيات ؛ بل أمور أخرى تتبعها .

وَأما ما كنا فيه من أمر الاستعداد فيجب أن نعلم أن الاستعداد بالحقيقة أمر للمادة، ويكاد تكون المادة مستعدة لكل شيء . وفيها قوة قبول كل شيء . لكن الأمور التي توجد فيها منها ما من شأنه أن لا يجتمع مع بعض ما هو في قوة قبول المادة . فإذا وجد ذلك لم يوجد هو ، فيقال حينئذ إنه لا استعداد في المادة لذلك الأمر .

ومنها ما من شأنه أن يجتمع معه اجتماعاً . وكل ذلك لأن الكيفية فعلت في ذلك فعلا ما ، ولكن لأن المادة في نفسها هذا شأنها .

ولا يمتنع أن يكون بعض مقادير الكيفيات بحيث لا يصلح لبعض الأمور ، وبعضها يصلح . فإنا ندرى أنه لا يستوى الغالب والمعتدل ، وإن كنا ندرى أن فعل الغالب والمنكسر من جنس واحد ، لكنه تارة قوى ، وتارة منكسر ، وليس صلوحه لشيء من الأشياء هو فعله . وليس إذا كان فعله متجانساً يجب أن يكون صلوحه متجانساً . فأنت تعلم أن الحرارة القوية جداً لا تصلح لإنضاج الخبز ، وإنما تصلح له الحرارة بقدر

(٢) سا : كيف المزاج (٤) م ، ط : يكون // ط : يلحق (٦) م ، ط : يتبها (٧) ط : الأمر // م ، ط : يعلم // في «ب» تنتهي الفقرة المكررة التي أشرنا إليها من قبل في ص ٢٥٨ بقوله «أمر للمادة» (٨) سا ، د : يكاد أن // ط : يكون (٩) م : - «قوة» // د : - «فيها» (١٠) سا : كذلك (١١) ط : عنها ما من شأنه (١٢) ط : شأنه (١٥) م : ؛ وليس صارحه ، وفي ط : ليس صلوح (١٧) سا : وأنت // ط : حرارة // م ، ط : إلا يصلح .. وإنما يصلح // سا ، د : لها

دون الغالب . فالمزاج إذن لا يوجب إعداداً لم يكن ؛ بل الاستعداد قائم في المادة . فربما
حيل بين المادة وبين ما هي مستعدة له بكيفية . وربما دفعت تلك الكيفية بضدها ،
فخلص الاستعداد عن العوق ، لا لأنه حدث في أمر المادة استعداد لم يكن .

فالمزاج علة عرضية للاستعداد ، بمعنى أنه يميّط المانم . وليس يلزم من ذلك أن يكون
هـ فعلا الحارّتين مختلفين إلا بالأشد والأضعف .

فبين أن قياس ما قيل ليس قياس الاستعداد .

(٢) سا ، د : هو مستعد لها / / د : بكيفيته (٣) ط : لا أنه / / د : شيء لم يكن
(٤) سا ، د : أنه (٥) م ، ط : فعل الحارّتين / / م : مختلفا .

الفصل الثاني

فصل في

تحقيق القول في توابع المزاج

يجب أن تعلم أن الأجسام إذا اجتمعت ، وامتزجت ، فربما لم يمرض لبعضها من المزاج إلا المزاج نفسه . فليس يلزم أن يكون كل مزاج بحيث يصلح لصورة نوع خاصيته ، وأن يكون كل امتزاج إنما يؤدي إلى مزاج يصلح لصورة النوع وخاصيته ، حتى لا يتفق امتزاج من الامتزاجات المؤدية إلى خروج عن ذلك . فإن هذا ، كما أقدر ، تحكم حائف .

ثم من الممزجات ، التي تستفيد بالمزاج زيادة أمر ، منها ما يستفيد بذلك زيادة كيفية ساذجة ، (لا يتم بها فعل أو انفعال طبيعي ، كلون ما ، وشكل ، وغير ذلك .

١٠

ومنها ما يستفيد زيادة قوة انفعالية أو فعلية ، أو صورة نوعية . فمن ذلك ما يكون المستفاد فيه قوة نفسانية . ومنها ما يكون المستفاد فيه قوة تفعل فعلها على غير سبيل الفعل النفساني . وقد علمنا ذلك في الفنون الماضية .

وما كان من هذه القوى الفعلية والانفعالية ليست بنفسانية يسمى خواص .

على أن من الناس من يطلق لفظة الخاصة في مثل هذا الموضع على جميع ذلك وهذه الخواص تابعة لنوعيات المركبات الكائنة ، أو هي نفس فصول نوعياتها .

١٥

(١) فصل في : سا ، ب ، ط (٣) د : في تحصيل (٤) سا : نعلم // سا ، د : إذا امتزجت واجتمعت (٥) ط : إلا امتزاج (٩) م : ثم إن // م : يستفيد (الأولى) // د : - منها (١٠) سا ، ب ، ط ، د : يتم به (١١) م : زيادة + قبول // م : فعلة (١٢) م ، ط : يفعل (١٣) د : - ذلك (١٤) م : - ليسب (١٥) م : يطلقون (١٦، ١٥) د : وهذه الجواهر

فإذا قيل مثلاً إن دواء كذا يفعل بجوهره ، فيعنى أنه يفعل بهذه الصورة التى تنوع بها. وإذا قيل إنه يفعل بكيفيته ، فيعنى أنه يفعل بما استفاده من العناصر ، أو بمزاجه. فالسقمونيا يسخن بما فيه من الجوهر النارى . لكنه ليس يسهل الصفراء بذلك ؛ بل بالقوة المستفادة التى له فى نوعيته التى استعد لقبولها بالمزاج .

• وكثيراً ما تكون هذه القوة فصلاً للنوع ، وكثيراً ما تكون خاصة. ويسر علينا إعطاء علامة نميز بها بين ذينك ، ولكن لفظة الخاصة فى هذا الموضع ، فى استعمال الطبيعيين ، تطلق على الشيء الذى يدعى فى المنطق فصلاً ، وعلى الشيء الذى يدعى خاصة .

و كثير من القوى التى تكون فى المركبات لا تفعل فعلها ما لم يرد بدن حيوان أو نبات ، فتفعل عن البدن ، وتهض فيه القوة الغالبة فيه . فكثيراً ما يكون الشيء هنالك قد سخن تسخيناً ، والغالب فى جوهره الشيء البارد . وذلك إذا كان الجوهر البارد فيه لا ينفعل عن الحار الغريزى انفعال الجوهر الحار ؛ لأن ذلك غليظ كثيف ، فلا يستحيل ، أو لا ينفذ فى المسام . ويفعل الجوهر الحار فعله ، فيكون ذلك الشيء حاراً بالقياس إلى فعله فى البدن ، ويكون بارداً فى أغلب جوهره . وربما كان الأمر بالعكس . فكثيراً ما يكون الحار غالباً عليه ، لكنه يكون شديد الامتزاج باليابس الغليظ الذى فيه ، ويكون البارد أسلس مزاجاً ، ويسرع إلى الانفصال .

وربما كان أحد هذين من طبيعته أن لا ينفعل عن الحار الغريزى ، وكان الآخر بحيث ينفعل عنه . وربما كان الشيء حاراً فى الغالب ، ولم يسخن تسخين شيء آخر فى حكمه ، إذا كان سريع الانفشاش ، أو الانحلال كدهن اللسان إذا استعمل فى المروحات .

(٢) ط : يتنوع // د : سقطت فقرة طويلة ابتداء من « أنه يفعل » حتى كلمة رؤوس الطموم فى ص ٢٦٤ فى السطر الخامس عشر // سا : استعاده ، وفي ب : استفاد . (٣) ب : الجوهر البارى // م : - بل (٤) سا : - التى (٥) م ، ط : يكون // م : « وكثيراً ما تكون هذه القوة فصلاً للنوع » مكررة // م ، ط : يكون // م ، ط : خاصية (٦) ط : تميز // م : - فى (الثانية) // سا : فى اصطلاح (٧) م : فتطلق ، وفي سا ، ب : تنطلق ، وفي ط : يطلق (٨) ط : - تكون // م ، ط : يفعل (٩) سا : من البدن // م : وينهض (١٠) سا : هناك // م : سخن سخينا // سا : فى جوهر (١١) ط : أو كثيف (١٢) م : - فعله // م : حار (١٣) سا : - كان (١٨) م : إذ كان // م ، ط : البسلتان // م : المزوجات .

ويشبه أن يكون الشراب الطرى أسخن في نفسه من العتيق المنحل عنه ناريته ،
الباقى فيه مائنته وأرضيته . لكن ذلك أبقي في البدن ، وأبطأ تحللاً ، فيسخن أكثر ،
وهذا أشد تحللاً . ومثال ذلك الجمر ، فإنه إذا مس أحرق أشد مما تحرق النار الصرفة
إذا مست ، لأن ذلك الجمر كثيف متشبث والنار لطيفة متخلخلة .

- ٥ . وكثير من الأشياء يبرد في وقت ، ويسخن في وقت ، لاختلاف زمان انفعال
ما فيه من الجوهر البارد والحر ، فيفعل أحدهما في البدن بعد الآخر . وربما كان المبرد
يستحيل غذاء ، فيسخن من حيث هو غذاء ودم . وربما كان للمسخن مركبا من جوهر
لطيف وجوهر غليظ ، فيسبق اللطيف إلى فعله ، ثم يتفشى ، ثم يليه الغليظ ، فيفعل فعله
من بعد ، مثل البصل فإن فيه جوهرًا حريفاً يسخن ، لكن جرمه الذى يبقى بعد ذلك
يبرد ويرطب ، ويحدث بلغها خاما .

١٠

والاستقصاء في جزئيات هذه الأشياء يجب أن يوكل إلى صناعة أخرى . لكنك
قد علمت أن المزاج لا يخلو من أحد أقسام : إما أن تكون الكيفيات كلها متساوية فيه ،
وهذا هو الذى يسمى بالمعتدل ، وإما أن تكون مضادة متكافئة ، ومضادة
ليست كذلك .

- ١٥ فيكون مثلا الرطب واليابس متعادلين فيه ، لكن الحار أكثر من البارد ،
أو البارد أكثر من الحار ، أو يكون الحار والبارد متعادلين فيه ، لكن اليابس
أكثر من الرطب ، أو الرطب أكثر من اليابس ، أو يكون الحار والرطوبة غالبين معا ،

(١) م ، سا : « الحديث » بدلا من « العتيق » (٢) م : تحميلا (٣) ط : تحميلا
// سا : ومثال الأول // سا : - فإنه // ط : يحرق (٤) م : لطيفة متنجية (٥) م : - زمان
(٦) « من البدن » هكذا في جميع النسخ ، ولعل الصواب : في البدن (٧) م : ويستحيل
// ط : ويسخن (٨) سا ، ط : ثم يتفشى (٩) سا ، ط : فإن فيه جوهر حريف //
سا : - لكن (١١) م : والأسطعما // م : توكل (١٢) ط : لا يخلو عن // م :
فيما // م ، ط : يكون // سا : مساوية (١٣) م : للمعتدل // م ، ط : يكون // ط : متضادة
(الأولى والثانية) (١٥) ط : والبارد (١٧) سا : والرطب (الثانية) // سا :
غالبتين

أو الحر واليبوسة ، أو البرد والرطوبة ، أو البرد واليبوسة ، فتكون الأقسام تسعة .

وأما أنه أيها يمكن أن يوجد ، وأيها لا يمكن أن يوجد ، فينبغي أن يكون ما تقدم من الأصول التي أعطيناها مغنيا إياك عن بسطنا الكلام فيه ، ومعطيا لك قدرة على تحصيل الأمر فيه .

٥ لكن هنا شيء آخر ، وهو أن الأمزجة أيضاً تختلف بحسب أجساد الحيوانات والنبات وأجزائها وسائر الكائنات . فيكون منها ما هو كما ينبغي لسلامة الفاصل من ذلك النوع ، وإن كان فيه ، مثلاً ، من الماء ضعف الأرض . فإن كان كذلك فهو معتدل بالقياس إليه وعدل له . وإن خرج عن هذا الحد المحدود فإما أن يخرج خروجاً مجاوزاً للحد الذي هو طرف مزاج ذلك النوع — فإن لمزاج كل نوع عرضاً يحتمله إذا جاوز أقصى كل واحد من حديه بطل نوعه — فحينئذ لا يجوز أن يكون مزاجاً لذلك الشيء . وإما أن يخرج خروجاً محتملاً ، فتكون الغلبة إما مفردة ، على ما قلنا ، وإما مركبة .

وهذه الأمزجة تدل عليها الكيفيات التي تتبعها دلالة قوية ؛ وذلك بأن الروائح الحارة تدل على حرارة غالبية ، والهائلة الرائحة تدل على مزاج بارد . والطعوم أيضاً تدل على القوى . وذلك لأن رءوس الطعوم تسعة تتركب من الأمزجة الحارة واليابسة والمعتدلة مع الأجسام اللطيفة والكثيفة والمعتدلة ، على ما يمكنك أن تعرفه من كتب الأطباء . فيدل الحريف والمر والمالح على الحار ؛ ويدل الحامض والعفص على البارد . وللألوان أيضاً دلالة . فإن الأجساد التي تكتسب لوناً إلى السواد والحمرة ، وما يجري

(١) م ، ط : أو البرودة // ط : فيكون // سا : تسعا (٢) سا : فأما // م : أنها (الأولى والثانية) (٥) ط : يختلف // ب : أشياء أخر (٦) م : سائر الكليات // م ، ب ، ج : الفاصل (٧) ب ، ج : — كان (الثانية) (٨) سا ، ط : فإن خرج (٩) سا ، ط : مجاوزاً الحد // سا : لذلك النوع // م : غرضاً (١٠) سا : حدثه (١١) م ، ط : فيكون (١٣) م ، ط : يدل سا ، د : الأمزجة التي يدل // م : يتبعها (١٤) ط : يدل (١٥) هنا تنهى الفقرة التي سقطت من نسخة د في السطر الأول من صفحة ٢٦٢ // ب : متركة ، وف : ط : يتركب // ط ، د : الحادة (١٦) د : مع الأجساد (١٨) ط : يكتسب

مجرأها ، بعد أن لا يكون لها ذلك في جواهرها ، فإن ذلك يدل على ميل طباعها إلى الحر ؛ بل نقول : إن مافيه رطوبة فالحرمة والسواد يدلان فيه على الحرارة ، والبياض على البرودة . واليابسان فالأمر فيهما بالضد ؛ لأن الحرارة تبيض اليابس ، وتسود الرطب المائي .

- لكنه قد يعرض أمر يبطل أحكام دلالة هذه الألوان ، وربما أبطل أحكام غيرها . وذلك لأنه كثيراً ما يتفق أن يكون دواء قوى القوة ، مع قلة المقدار ، كما تعرفه . فإذا خلط يسيره بكثير من الأدوية التي ليست شديدة القوة جداً كان الغالب ، بحسب الرؤية ، غير الغالب بحسب القوة . فإن الغالب بحسب الرؤية غير الغالب بحسب القوة . ثم يكون الفعل للمغلوب في الرؤية ، دون الغالب في الرؤية ، ويكون طابع الغالب في الرؤية ، في ذاته ، باقياً على ما كان قديماً . وإن كان هذا مما يجوز أن يقع بالصناعة ، كذلك قد يجوز أن يكون بعض الأجسام في الطبع مركباً من أجسام مركبة أيضاً ، ويكون المغلوب فيها قوى القوة قليل المقدار ، ومضاداً بالطبع للغالب للمقدار الضعيف القوة . فيكون الظاهر عند الحس هو كيفية الغالب في الرؤية ، ويكون الظاهر في القوة كيفية المغلوب في الرؤية ؛ مثلاً أن يكون الجسم مركباً في الطبيعة ، على نحو تركيبك بالصناعة ، لو ركب وزن نصف درهم فريون مع رطل من الماست ، فلا يحس هناك للفريون لون ولا طعم ، ويكون لون الماست وطعمه ظاهرين . لكنك إذا استعملت هذا المركب ظهر للفريون فيه فعل ظاهر من التسخين . فلا يكون حينئذ الأبيض الرطب هو المسخن ، ولكن الذي خالطه . فلا يكون ما قيل من أن الأبيض الرطب بارد قولاً كاذباً ؛ لأن هنا أيضاً

(٢) ط : يقول // م : يدل (٣) د : ويسود (٥) د : انبطل // ط : أحكام + دلالة (٦) سا ، د : قد يتفق . (٧) م : يسيرة (٩،٨) سقط من نسخة « م » ابتداء من قوله « غير الغالب بحسب الرؤية » إلى قوله « طابع الغالب في الرؤية » // وسقط في ط ، ب : « فإن الغالب بحسب الرؤية غير الغالب بحسب القوة » (١٠) سا : وإذا كان ، وفي د : وإذا كان // ب : أن يكون في الصناعة (١١) سا : مركب ، وفي د : مركبة (١٣) د : الظاهرة (١٤) سا : جسم مركب ، وفي « د » جسم مركب // سا : تجويز تركيبك // م ، د : لو ركب ، وفي ب : إذا ركب (١٧) د : - ظاهر // سا : هو التسخين // م : ولا يكون // سا ، د : - من

الأبيض الرطب بارد ، ولكن الذى يسخن هو شيء آخر .

وإذا وقع فى الخلقة الطبيعية مثل هذه الحال لم تصح دلالات هذه الكيفيات على الكيفيات الأولى فى جملة المركبات ، وإن كانت الكيفية منها تلزم قوة كيفية منها فى المزاج ؛ إذ ذلك التركيب لا يفصله الحس . فإن من الأجسام المركبة ما تركيبه من العناصر أول ، والحس يراه متشابه الأجزاء . فقد جعله المزاج شيئا واحدا على الوجه الذى قلنا إن للمزاج أن يفعله . ومن الأجسام ما تركيبه بعد تركيب أول ، كالذهب على رأى قوم يرون أنه دائما يخلق من زئبق قد تولد أولا بمزاج متقدم وكبريت حاله هذه الحالة ، ثم عرض لهما مزاج ، وكالإنسان من الأخلط ، وهذا على قسمين :

قسم منه ما يكون الامتزاج الثانى حاله فى تأحييد المتزج حال الامتزاج الأول . ومما له ذلك الترياق والمعجونات المخمرة .

ومنه ما ليس كذلك ، فإنه مركب من أجزاء حقها أن لا تتحد فى الطبع كشيء واحد ؛ بل أن تكون مختلفة متباينة . فأكثر الجمادات والمعدنيات بالصفة الأولى ؛ وأكثر النبات والحيوان ، من جهة تركيبه من أعضائه ، بل جلها ، على الصفة الثانية .

ومن المعلوم أن المركبات عن أجزاء متميزة بالفعل تنتهى إلى أجزاء بسيطة لا تقسمها بالفعل أجزاء متخالفة . فلذلك كان أعضاء الحيوان وأجزاء النبات لا محالة تنتهى إلى أجزاء أولى بسيطة ، وهى التى تسمى المتشابهة الأجزاء ، مثل اللحم والعظم اللذين كل جزء منهما محسوس لا يحتاج إلى إفساده فى تجزئته إليه ، وهو محسوس مثله للحما وعظما . ثم

(٢) م ، د : مثل هذا // ط : لم يصح (٣) م : منها + ما // ط : « فيها » بدلا من « منها » (الثانية)
(هـ) م : أول الحس // سا ، ط ، د : ويكون المزاج قد جعله (٦) ط : قلناه // سا :
تفعله (٨) م : - هذه الحالة ، // سا ، د : هذه حاله // سا : ولا للإنسان .

(٩) سا : تاخير (١١) م ، ط : يتحد (١٢) م : أن يكون (١٣) ط : تركيبها // د : من
جهة كثير (١٤) م ، ط : ينتهى // م ، ط : يقسمها ، وفى د : لأنفسها (١٥) د : أغصان الحيوان
// م : ينتهى (١٦) د ، سا : اللحم والعظم التى (١٧) سا ، د : منها // د : هو محسوس

تتألف منها الأجزاء الآلية ، مثل الورق واللحاء والثمرة للشجر ، ومثل اليد والرجل للحيوان . ثم تتألف من الآلية جملة البدن .

فهذه مسائل متناصفة من العلم الطبيعي ؛ وهي بعينها أصول ومبادئ لصنائع جزئية تحت العلم الطبيعي .

تم الفن الرابع من الطبيعيات بحمد الله وحسن تيسيره
والحمد لله رب العالمين

(١) م ، ط : يتألف // م : والتمر (٢) م ، ط : يتألف (٤) جميع النسخ : مبادئ . (٦٠٥) وينتهي الفن الرابع في نسخة « م » بالعبارة الواردة في هذين السطرين . أما في كل من « سا » ، « ب » ، « ط » فلا توجد أية خاتمة . أما في نسخة د فتوجد العبارة الآتية :

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالمطبعة
فرع التوفيقية

الشفاء

الطبيعيات

• - المعادن والآثار العلوية

راجعته وقدم له

الدكتور ابراهيم مذكور

بتحقيق

الدكتور عبد المجيد سليم مختصر سعيد زائد عبد الله استاذ

الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

بمناسبة الذكرى الالفية للشيخ الرئيس

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

مَلَشُورَاتِ مَكْتَبَةِ آيَةِ اللَّهِ الْعُظْمَى الْمَرْعَشِيِّ النَجَافِيِّ
قَمِ الْمَقْدَسَةِ - اِيْرَانِ ١٤٠٤ ق

الفهرس

خزفنة

تصدير للدكتور إبراهيم مذكور	٥-ح
مقدمة للدكتور عبد الحليم منتصر	٥-ط

الفن الخامس من الطبيعيات (وهو مقالتان)

المقالة الأولى

فما يحدث من ذلك بناحية الأرض وهى ستة فصول

الفصل الأول - فصل فى الجبال وتكونها	٣
» الثانى - » » منافع الجبال وتكون السحب والأنداء	١٠
» الثالث - » » منابع المياه	١٣
» الرابع - » » الزلازل	١٥
» الخامس - » » تكوين المعدنيات	٢٠
» السادس - » » أحوال المسكونة وأمزجة البلاد	٢٤

المقالة الثانية

وهى تشتمل على الأحداث والكائنات التى لا نفس لها مما يكون

فوق الأرض وهى ستة فصول

الفصل الأول - فصل فى السحب وما ينزل منها وما يشبه ذلك	٣٥
» الثانى - فصل فى المقدمات التى توطأ لتعليم السبب الفاعل للهالة وقوس قزح وسائر ما يشبههما	٤٠
الفصل الثالث - فصل فى الهالة وفى قوس قزح	٤٧
» الرابع - فصل فى الرياح	٥٨
» الخامس - فصل فى الرعد والبرق والصواعق وكواكب الرجم والشهب	٦٧
الدائرة وذوات الأذنان	٦٧
» السادس - فصل فى الحوادث الكبار التى تحدث فى العالم	٧٥
فهرس المصطلحات	٨١

تصدير

للدكتور إبراهيم مدكور

لسنا في حاجة أن ننوه بعظم ثقافة ابن مينا ، فقد كان فيلسوفا و صوفيا ، عالما وطيبا . كتب في المنطق والميتافزيقى ، في الأخلاق والسياسة ، في أحوال العارفين ومقاماتهم . وكتب أيضا في الطب والكيمياء ، في الطبيعة وعلم الأحياء ، في الجيولوجيا وعلم المعادن ، في الفلك والرياضة . وكتابه ” الشفاء ” و ” القانون ” خير شاهد على ثقافته الواسعة .

استوقفت فلسفته وتصوفه الباحثين منذ عهد بعيد ، وكتب عنهما شرقا وغربا ، وباغات مختلفة . أما علمه وطبه فلم ينالا بعد حظهما من الدراسة ، وقد وُجّه النظر إليهما غير مرة . وعلى الأخص في ربع القرن الأخير بمناسبة ذكرى وفاته ومولده التي أثارت بحوثا كثيرة ، وحفزت إلى دراسات عدة ، وحتى في هذه الذكرى كان نصيب العلم والطب ضئيلا بالنسبة إلى الجوانب الأخرى . والواقع أن تاريخ العلوم في الإسلام لا يزال في حاجة ماسة إلى أن يحقق ويكتب من جديد ، وما أجدره أن تتضافر عليه جهود شتى . وتكاد تعدّ الصفحات الخالدة التي وقفها عليه ابن خلدون في ” مقدمته ” مصدرنا الأول في العربية ، وبخاصة في تاريخ العلوم الطبيعية .

وليس شيء أعون على معرفة ابن سينا والعالم والطبيب من نشر مؤلفاته العلمية والطبية . وفي طبيعيات ” الشفاء ” ورياضياته أبواب من العلم فيها عمق ودقة ،

وجدة وطرافة ، وليست فى متناول كثيرين . وها نحن أولاء نتابع نشرها ، ويوم أن تنشر وتقرأ ستقود إلى ألوان من البحث والدرس . وكم نودّ أن ينشر ” كتاب القانون “ نشرأ علميا محققا ، وسبق أن اتخذت فى ذلك قرارات لم تنفذ بعد .

*
* *

وينصب الفن الخامس من الطبيعيات الذى نخرجه اليوم على ” الكائنات التى لا نفس لها من المعادن والآثار العلوية وما يشبهها ^(١) “ ، ففيه جيولوجيا ومعادن ، وجغرافيا طبيعية . وفى الجيولوجيا يعرض ابن سينا للجبال ، والزلازل ، والمعادن ، وفى حديثه عنها يدلى بملاحظات دقيقة وآراء واضحة تكاد تلتقى فى أغلبها مع أسس الجيولوجيا الحديثة . ولا يفوته أن يناقش أصحاب الكيمياء الذين يدّعون أن فى وسعهم ” أن يقلبوا الأنواع قلبا حقيقيا ^(٢) “ ، ملاحظاً أن كل ما يملكون أن يضيفوا إليها ألوانا وأصبغا ، أما خصائصها ومميزاتها الذاتية فلا سبيل إلى تغييرها . وخطأ ما يظن أن فى الإمكان تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة ^(٣) . وكان لمناقشته هذه أثرها فى تاريخ الدراسات الكيميائية فى الشرق والغرب ^(٤) .

وفى الجغرافيا يتحدث عن الماء واليابس ، وخط الاستواء ومدارى السرطان والجدى والقطب الشمالى والجنوبى ، والرياح ، والسحاب ، والرعد والبرق ، والصواعق والشهب . والسحاب ” جوهر بخارى متكاثف طاف فى الهواء ^(٥) “ ، تتحكم فيه الرياح ، فإما أن يصعد إلى الطبقات العليا فيزداد تكاثفا ، وإما أن يهبط

(١) ابن سينا ، الطبيعيات ، الفن الخامس ، المعادن والآثار العلوية ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٠ . (٣) المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٤) I. Madkour, Avicenne et l'Alohimie, *Revue du Caire*, p. 127—129, 1951. (٥)

(٥) ابن سينا ، المعادن والآثار العلوية ، ص ٤٣ .

فيستقط مطرا^(١) . فللرياح إذن تأثير في سقوط المطر وتكوين الناج والصقيع ، وما هي إلا وليدة تخايل الهواء بسبب تغير درجة الحرارة^(٢) .

ومما يلفت النظر أنه يعول على ملاحظته الشخصية ، وقد رحل وتنقل ، ووقف على ظواهر طبيعية مختلفة . ومن ملاحظاته أنه شاهد انفصال الدخان عن السحاب ، وهو في قلل جبال شاهقة^(٣) ، ويحلل الهالة وقوس قزح في ضوء ما رآه في جبل مشرف جدا بين أبيورد وطوس^(٤) . وإذا كان قد أخذ عن أصحابه المشائين ، فإنه كان يؤثر عليهم آراء بعض الجغرافيين المتأخرين ، أمثال بطليموس ، واستطاع أن يضيف جديدا إلى التراث اليوناني في جملته .

ولا شك في أنه تأثر خاصة بكتاب « الآثار العلوية »^(٥) لأرسطو ، وفي الكتاب الذي نقدم له ما يلتقي مع كثير من آراء أرسطو في الرياح والسحاب والبخار والناج والبرد ، وما يربط الجيولوجيا بالميتيورلوجيا ، وقد كانتا وثيقتي الصلة في التاريخ القديم والمتوسط .

ففي الفن الخامس من الطبيعيات على صغره عرض واضح ، ودرس قيم ، وهو دون نزاع همزة وصل بين العلم القديم والحديث .



(١) ابن سينا ، المصدر السابق .

(٢) ابن سينا ، المصدر السابق ، ص ٦٦ — ٦٧ .

(٣) ابن سينا ، المصدر السابق ، أنظر أيضا الصفحات ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٥) ترجم — فيما ترجم من كتب أرسطو الطبيعية — وترجم معه شرح الإسكندر الأفروديسي والأميقدورس (Olympiodoro) ، واشترك في ترجمته بشر بن متى ويحيى بن عدى . ومما يلفت النظر أن العرب لم يعرفوا منه إلا الكتب الثلاثة الأولى ، المقالات الثلاث ، وفاتهم الكتاب الرابع الذي يرجح أنه من صنع استراتون رئيس اللوقيوم الثاني بمد تيوفراسطس (ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٥١ ؛ القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ٤١ ، ٤٤) .

وقد تولّى تحقيقه ثلاثة من المتخصصين ، ومن بينهم من له صلة قديمة بابن
 هينا ، وهم الدكتور عبد الحليم منتصر والأستاذان سعيد زايد وعبد الله اسماعيل .
 أنفقوا في ذلك ما أنفقوا من جهد وزمن ، وعولوا على كل ماتوفر لدينا من أصول ،
 استفادوا منها النص المختار ، وهى :

(١) مخطوط الأزهر : (ب) ، وهاشمه (بنج) .

(٢) مخطوط دار الكتب : (د) .

(٣) مخطوط داماد الجديدة : (سا) .

(٤) مخطوط المتحف البريطاني : (م) .

(٥) نسخة طهران (المطبوعة) : (ط) ، وهاشمها : (طا) .

ولم يفهم أن يلحقوا بالنص فهرسا للمصطلحات ، على نحو ما درجت لجنة نشر
 كتاب الشفاء ، ولا يسعى إلا أن أقدم لهم باسم قرائتهم خالص الشفاء ما

إبراهيم مدكور

مقدمة

للدكتور عبد الحلیم منتصر

تكون المعادن والآثار العلوية الفن الخامس من طبيعيات الشفاء ، ويجمع في مقالتين كبيرتين تشتمل كل منهما على ستة فصول . وقد اشتملت المقالة الأولى على الكلام في الجبال وتكونها ومنافعها وتكون السحب والأنداء ، ومنابع المياه ، والزلازل ، وتكوين المعدنيات ، وأحوال المسكونة وأمزجة البلاد .

وتضمنت المقالة الثانية الكلام في السحب وما ينزل منها ، والسبب الفاعل للهالة وقوس قزح ، والرياح ، والرعد والبرق والصواعق وكواكب الرجم والشهب الدائرة وذوات الأذنان ، وما يتصل بالحوادث الكبار التي تحدث في العالم .

وإن المتأمل في هذه الفصول ليروعه عبقرية الشيخ الرئيس النادرة المثال فهو بحق كما قال فيه سارتون ” قد أعجز من جاء بعده أن يجاريه “ ، إذ أن جميع الآراء أو أغلبها — إن أردنا الدقة في التعبير — التي وردت في هذا الكتاب تتفق مع ما يقول به العلم الحديث في عصرنا الحاضر .

وفيا على عرض سريع موجز لبعض الآراء كما ذكرت بنصها :

(١) الجبال :

يقول في تكون الجبال ، الغالب أن تكونها من طين لزج ، جف على طول الزمان ، تحجر في مدد لاتضبط ، فيشبه أن تكون هذه المعمورة ، قد كانت في سالف الأيام غير معمورة ، بل معمورة في البحار ، فتحجرت ، إما بعد الانكشاف قليلا قليلا ، في مدد لا تنفي التاريخات بحفظ أطرافها ، وإما تحت المياه لشدة الحرارة المحتقنة تحت البحر ، والأولى أن يكون بعد الانكشاف ، وأن تكون طبقتها تعينها على التحجر ، إذ تكون طبقتها لزجة ، ولهذا ما يوجد في كثير من الأحجار إذا كسرت أجزاء من الحيوانات المائية كالأصداف وغيرها ، ولا يبعد أن تكون القوى المعدنية قد تكونت هناك :

(ب) الزلازل :

و يقول فى الزلازل : حركة تعرض لجزء من أجزاء الأرض بسبب ماتحته ، ولا محالة أن ذلك السبب ، يعرض له أن يتحرك ، ثم يحرك ما فوقه ، والجسم الذى يمكن أن يتحرك تحت الأرض ، يحرك الأرض ، وهو إما جسم بخارى دخانى ، قوى الاندفاع ، وإما جسم مائى سيال ، وإما جسم هوائى ، وإما جسم نارى ، وإما جسم أرضى ، والجسم النارى ، لا يكون نارا صرفة ، بل فى حكم الدخان القوى ، وفى حكم الريح المشتعلة ، يقول ومن الدليل أن أكثر أسباب الزلزلة هى الرياح المخفنة ، أن البلاد التى تكثر فيها الزلزلة ، إذا حفرت فيها آبار وقئ كثيرة ، حتى كثرت محالص الرياح والأبخرة قلت الزلازل بها ، وأكثر ما تكون الزلازل فى بلاد متخلطة غور الأرض ، متكاثفة وجهها ، أو مغمورة الوجه بماء يجرى أو ماء غمر كثير لا يقدر الريح على خرقه . ومن منافع الزلازل تفتح مسام الأرض للعيون ، وإشعار قلوب الناس رعب الله تعالى . وهذا كلام يتفق فى جملة مع ما يذهب إليه العلم الحديث عن أسباب الزلازل .

(ج) سرعة الصوت ، وسرعة الضوء :

و يقول إن البصر يستبق السمع ، فإنه إذا اتفق أن قرع إنسان من بُعد جسما على جسم رأيت القرع ، قبل أن تسمع الصوت ، لأن الإبصار ليس له زمان ، والاستماع يحتاج إلى أن يتأدى تموج الهواء الكائن إلى السمع ، وذلك فى زمان ، كأن ابن سينا يقول بالسرعة الآنية للضوء ، وقد جانبه الصواب فى ذلك ، لأن للضوء سرعة وزمانا ينتقل فيه ، وقد عرف ذلك ابن الهيثم ، وأجرى من الجارب ما أثبت أن للضوء زمانا ينتقل فيه ، وليس فى الآن كما قال ابن سينا ، وأثبت عدم صحته ابن الهيثم .

(د) السحب :

و يقول ابن سينا فى تولد السحب ، إنها تكون من الأبخرة الرطبة ، إذا تصعدت بتصعيد الحرارة فوافت الطبقة الباردة من الهواء ، فجوهر السحاب بخارى متكاثف طاف فى الهواء ، وأن الجبال بسبب ارتفاعها تكون أبرد من أديم القرار ، فالبعد من أديم الأرض ، هو أحد أسباب البرد ، فإنه وإن يكن شعاع الشمس يقع على الجبل ، فلا يكون تسخينه كتسخين ما يقع

(ك)

على الأرض ، ولذلك فأكثر السحب الماطرة إنما تتولد في الجبال ومنها تتوجه إلى سائر البلاد . وما أظن أن العلم الحديث قد أضاف إلى ذلك جديدا إلا أنه وجد من الأجهزة والأدوات ما يسمح بإثبات هذه الآراء بالقياسات الدقيقة .

(هـ) الطل :

ليس يتكون من سحب ، بل من البخار اليومي المتباطيء في الصعود ، القليل المادة ، إذا أصابه برد الليل ، وكثفة ، وحوله ماء ينزل نزولا ثقيلا في أجزاء صغار جدا لا نحس بنزولها إلا عند اجتماع شيء يُعتد به ، ويضيف فإن جمد كان صقيما . ولا مرء في صحة هذا الرأي ، ومطابقته لما يقول به العلم الحديث .

(و) الثلج :

وهذا السحاب يعرض له كثيرا ، أنه كما يأخذ في التكاثر ، وفي آن يجتمع فيه حب القطر يجمد ، ولم تتخلق الحبات ، بحيث تحس فينزل جامدا ، فيكون ذلك هو الثلج ، ونظيره من البخار الفاعل للطل هو الصقيع . وأما إذا جمد بعد ما صار ماء ، وصار حبا كبارا ، فهو البرد .

(ز) الضباب :

يقول ابن سينا أما الضباب فهو من جوهر الغمام ، إلا أنه ليس له قوام السحاب فما كان منه متحررا من العلو ، وخصوصا عقب الأمطار ، فإنه ينذر بالصحو ، وما كان منه مبتدئا من الأسفل متصعدا إلى فوق ولا يتحلل فهو ينذر بالمطر .

ثم يضيف الشيخ الرئيس ، فالبخار مادة السحاب والمطر والثلج والطل والجليد ، والصقيع والبرد ، وعليه تراءى الهالة وقوس قُزَح ، والشميسات والنيازك .

وأحسب أن ما قاله المعلم الثالث في هذه المسائل ، إنما هو صحيح في جملة بل وفي كثير من تفصيلاته ، فَعَمَرُ الأرض ما زال العلماء مختلفين فيه ، وقد أصاب كبد الحقيقة عندما قال : ” في مُدَد لا تفي التَّاريخات بحفظ أطرافها “ ، وقد كان من العلماء من يقدر هذا التاريخ بألفين من ملايين السنين ، ومنهم من يزيده إلى ثلاثة أو أربعة آلاف من ملايين السنين . وهو معذور أن قال إن الضوء يصل في الآن ، أما الصوت فيحتاج إلى زمان ، فالفرق بين سرعتيهما هائل

جدا ، إنه الفرق بين ثلاثمائة ألف من الكيلومترات في الثانية هي سرعة الضوء ، وبين مئات الأمتار (٣٤٠م) في الثانية هي سرعة الصوت . أما تمييزه بين صور بخار الماء في السحاب والطل والصقيع والثلج والبرَد والضباب فقد أوفى فيه شيخنا على الغاية .

(ح) الهالة وقوس قُزَح :

يقول أما الحيات التي تتكون في الجو ، مثل الهالة ، وقوس قُزَح والنيازك والشميسات ، فإن هذه كلها ، تشترك في أنها خيالات ، ومعنى الخيال هو أن يحس شيء مع صورة شيء آخر ، كما نجد صورة الإنسان مع صورة المرأة ، ثم لا يكون لذلك انطباع حقيق في مادة ذلك الشيء اثنائي الذي يؤذيها ويرى معها ، كما أن صورة الإنسان لا تكون منطبعة بالحقيقة والإقامة في المرأة ، وإلا لكان لها مقر معلوم ، ولما كانت تنقل بانتقال الناظر فيه ، والمرئي ساكن ، ثم بضيف ، فهذه الأشباح تبديل أما كنها بحسب حركاتك ، فإن توجهت إليها تقدمت إليك ، وإن نكصت عنها تأخرت عنك ، وإن علوت علت ، وإن نزلت نزلت ، وإن تركتها يمنة وحاذيتها بالانتقال حاذتك بالمرافقة ، وإن تركتها يسرة وحاذيتها بالانتقال حاذتك بالمرافقة ، وبهذا تعلم أنها خيالية . فهذه أشياء بعضها يعول فيه على صناعة الهندسة ، وبعضها على علم البصر وبعضها على الأمتحان والحس . ولذلك أن مثل هذه الدقة في الوصف تستحق النظر فالرئيس هنا علم بحق ، يريد من قارئه أن يتفهم دقائق العملية .

يقول المعلم الثالث ، فأما الهالة ، فإنها دائرة بيضاء ، تامة أو ناقصة ، ترى حول القمر وغيره ، إذا قام دونه سحاب لطيف ، لا يغطيه ، لأنه يكون رقيقا ، فإذا وقع عليه شعاع القمر ، حدث من الشعاع ومنه قطع مستدير ، وقد تكون حول الشمس هالة ، والتي تكون من الهالات تحت الشمس أدل على المطر من الخيالات القزحية ، التي تكون قبالتها ، والتحتانية تكون أعظم من الفوقانية ، لأنها أقرب .

ويضيف ، وأكثر ما تكون الهالة مع عدم الريح ، فلذلك تكثر مع السحب الدواني . والهالة الشمسية في الأكثر ، إنما ترى إذا كانت الشمس بقرب من وسط السماء ، وإذا كانت الشمس على الأفق ، وجب بالضرورة أن ترى من القوس نصف دائرة ، وذلك لأن القوس ليس وضعها ، وضع الهالة ، وليس موازيا للأفق بل مقاطع له .

ويختتم الشيخ الرئيس قوله ، في هذا الموضوع بهذه العبارات المتناقضة نوعاً وبياناً وتواضعاً ، فيقول ” وهذه القوس ، في أكثر الأمر ، يلى الأرض منها لون ، ويلى الجو منها لون ، يشندان معا عند الوسط ، وربما كان في الوسط لون آخر غير ذينك “ ، ويضيف ” هذا مبلغ علمي ، وما بقى يطلب من غيري “ .

(ط) الشميسات :

ويقول عن الشميسات ” وأما الشميسات ، فإنها خيالات كالشموس عن مرأى شديدة الاتصال والصلابة ، تكون في جنبه الشمس ، فتؤدى شكلها ولونها ، أو تقبل ضوءاً شديداً في نفسها ، وتشرق على غيرها بضوئها وتعكسها أيضا .

(ي) النيازك :

ويقول عن النيازك ، وأما النيازك فإنها أيضا خيالات في لون قوس قزح ، إلا أنها ترى مستقيمة لأنها تكونت في جنبه الشمس ، يمتد أو يسره ، لا تحتها ولا أمامها وقلما تكون عند ما تكون الشمس في نصف النهار ، بل عند الطلوع والغروب ولا سيما عند الغروب ، ففي ذلك الوقت ، يكثر تمدد السحاب وكثيرا ما يتفق لهذه أن تسير الشمس طالعة وغاربة ، وهي تدل على المطر .

يقول ، ولا يتولد القوس في الليل إلا في الندرة ، لأنها تحتاج في تكونها لأن يكون النير شديد الإضاءة .

وإننا لنسجل للشيخ الرئيس وضوح بيانه ، ودقة تعريفاته ، ولئن خالفه العلم الحديث في بعض التفاصيل في ألوان القوس ، أو في تعريف النيزك ، فإن ذلك لا يقلل بحال من قيمة الآراء التي أوردها شيخنا منذ أكثر من ألف من الأعوام ، فإنها في مجوعها تدل على الأصالة في التفكير والدقة في الاستنباط .

(ك) الرياح :

ويقول في الرياح ، وربما هبت الرياح لحركة الهواء وحدها ، إذا تخلخت جهة من الهواء للسخونة ، فانبسط فسال له الهواء ، يقول ومما يدل على أن مادة الريح غير مادة المطر الذي

هو البخار الرطب وهو أنهما في أكثر الأمر يتمازجان ، والسنة التي يكثر فيها المطر لكثرة البخار الرطب ، تقل الرياح ، والسنة التي تكثر فيها الرياح ، تكون سنة جدد وقلة مطر ، لكنه كثيرا ما يتفق أن يعين المطر على حدوث الرياح ، تارة بأن يبيل الأرض أو يمنع حدوث البخار الدخاني ، وقد تعين الرياح على تولد المطر بأن تجمع السحاب ، وتسمى الرياح التي تعين على المطر ، ”رياح سخابية“ .

أريت كيف يحدد المعلم الثالث العلاقة بين الرياح والمطر ، وكيف أن السبب في حدوث الرياح تخلخل جهة من الهواء للسخونة ، وأن الرياح والمطر يتمازجان ، ولكنه يستدرك أنه كثيرا ما يتفق أن يعين المطر على حدوث الرياح ، إما بأن يبيل الأرض أو يمنع حدوث البخار الدخاني ، أو تعين الرياح على تولد المطر ، عندما تكون الرياح سخابية ، وهذا كلام علمي جميل يليق بالشيخ الرئيس .

(ل) البرق والرعد :

ويختتم الرئيس كلامه في المعادن والآثار العلوية ، بقوله في البرق والرعد ، البرق مرى والرعد يسمع ولا يرى ، فإذا كان حدوثهما معا ، رأى البرق في آن وتأخر سماع الرعد ، لأن مدى البصر أبعد من مدى السمع . وليت شيخنا اكتفى بهذا التعبير العلمي الصحيح الدقيق ، ولكنه أضاف ، فإن البرق يحس في الآن بلا زمان . . ؛ فقد أبطل نظرية السرعة الآنية للضوء العالم الطبيعي العربي الأشهر ”ابن الهيثم“ الذي أثبت بالتجربة أن للضوء زمانا ، وسرعة معينة ، ولعله أول من قال بذلك من العلماء . يقول ابن سينا : ”والرعد الذي يحدث مع البرق يحس بعد زمان . لأن الإبصار لا يحتاج إلا إلى موازاة وإشفاف ، وهذا لا يتفق وجوده بزمان ، وأما السمع فيحتاج فيه إلى تموج الهواء ، أو ما يقوم مقامه . وهو بذلك يقول بانتقال الصوت في الهواء وفي الأجسام الأخرى سواء كانت صلبة أو سائلة ، وأنه يحتاج إلى وقت معين وبسرعة معينة حتى ينتقل الصوت إلى السمع ، يقول وكل حركة في زمان .

الفن الخامس

من الطبيعيات

هذا الفن يشتمل على علل أكوان الكائنات التي لا نفس لها من المعادن والآثار العلوية وما يشبهها وهو مقالتان :

المقالة الأولى

ع

فيما يحدث من ذلك بناحية الأرض وهي ستة فصول

(٢) من الطبيعيات : ساقطة من ب ، في كائنات الجو والمعادن طاء ؛ + وهو مقالتان د . (٤) وهو :
ساقطة من ب ، د ، سا ، م || مقالتان : ساقطة من د . (٥) الأولى : + من الفن الخامس
من الطبيعيات م (٦) وهي : ساقطة من ب ، م || فصول : [تذكر نسخة د بعد ذلك عناوين
الفصول السنة] .

[الفصل الأول]

(١) فصل

في الجبال وتكونها

لنبتدئ أولا ولنحقق حال تكون الجبال .

والمباحث التي يجب أن تعلم في ذلك :

أولها حال تكون الحجارة .

والثاني حال تكون الحجارة الكبيرة أو الكثيرة .

والثالث حال تكون ما يكون له ارتفاع وسمو .

فنعول : أما في الأكثر فإن الأرض الخالصة لا تتحجر لأن امتلاء اليوس عليها

لا يفيدها استمساكا ، بل تفتتا وإنما تتكون الحجارة في الأكثر على وجهين من التكون : ١٠
أحدهما على سبيل التفجر ، والثاني على سبيل الجمود .

فإن كثيرا من الأحجار يتكون من الجواهر الغالب فيه الأرضية ، وكثير منها يتكون من
الجواهر الغالب عليه المائية . فكثير من الطين يحف ويد تيجيل أولا شيئا بين الحجر والطين ،
وهو حجر رخو ، ثم يستحيل حجرا . وأولى الطينات بذلك ما كان لزجا ، فإن لم يكن
لزجا فإنه يتفتت في أكثر الأمر قبل أن يتحجر . وقد شاهدنا في طفولتنا مواضع كان فيها ١٥
الطين الذي يغسل به الرأس ، وذلك في شط جيحون . ثم شاهدناه قد تحجر تحجرا
رخوا ، والمدة قريبة من ثلاث وعشرين سنة .

- (٢) فصل : فصل أ ب ، الفصل الأول د ، م . (٣) وتكونها : ساقطة من د ، سا ، م .
(٧) الحجارة : حجارة ط || الكثيرة : الكثرة م . (٨) والثالث : والثالثة طما ، يكون : ساقطة من م .
(٩) لا تتحجر : لا تحجم م || اليوس : الجود م || عليها : على الأرض د ، سا ، ط (٩ - ١١) عليا ...
الجود : ساقطة من م . (١٠) استمساكا ، امتساكا ب ، د ، م ، إمساكا سا || تفتتا : ساقطة من د
|| تتكون : تكون ب ، د ، سا ، م || التكون : الكون ب ، سا ، م . (١١) التفجر : التفجير
ب ، د ، سا ، ط . (١٣) عليه : فيه د ، سا ، ط ، م (١٥) أكثر : آخر م . (١٦) تحجرا : جراد .

وقد تتكون الحجارة من الماء السيل على وجهين : أحدهما أن يجمد الماء كما يقطر أو كما يسيل برمته . والثاني يرسب منه في سيلانه شيء يلزم وجه مسيله ويتحجر .

وقد شوهدت مياه تسيل ، فما يقطر منها على موضع معلوم ينعقد حجرا أو حصى مختلفة الألوان .

٥ وقد شوهد ماء قاطر ، إذا أخذ لم يجمد وإذا انصب على أرض حجرية تقرب من مسيله انعقد في الحال حجرا . فعلمنا أيضا أن لتلك الأرض قوة معدنية ، تحيل السيل إلى الجمود .

فبادئ تكون الحجارة ، إما جوهر طينى لزج ، وإما جوهر تغلب فيه المائية . وهذا القسم يجوز أن يكون جموده من قوة معدنية مجمدة ، ويجوز أن يكون قد غلبت عليه الأرضية على الوجه الذى ينعقد به الملح ، بأن غلبت الأرضية فيه بالقوة دون المقدار ؛ وإن لم يكن على نحو كيفية الأرض التى فى الملح ، بل على كيفية أخرى ، ولكن مشاركة لها فى أنها تغلب بمعاونة الحرارة ، فلما يصيبه الحر يعقده ، أو قوة أخرى مجهولة عندنا . ويجوز أن يكون بالضد ، فتكون أرضيته تغلب بقوة باردة يابسة تعينه . وبالجملة فإن للماء فى طباعه ، على ما علمت ، أن يستحيل إلى الأرضية من غلبة قوة الأرضية ؛ وللارض أيضا ، كما علمت ، فى طباعها أن تستحيل إلى المائية من غلبة قوة المائية . وههنا شيء يتخذة قوم ضلوا فى حيلهم يسمونه لبن العذراء إذا شاءوا ، وهو مركب من مائين ، ينعقد جوهرها جاسيا ، وذلك يدل على صحة هذا . ولهم أشياء كثيرة مما يتخذونه حلا وعقدا تصدق هذه الأحكام . فتكون الأحجار إذن إما لتفجير الطين اللزج فى الشمس ، وإما لانعقاد المائية من طبيعة ميسة أرضية ، أو بسبب مجفف حار .

(٦) معدنية : مجمدة ط . (١٠) فيه : ساقطة من سا (١١) وإن : فإن سا ، م
 || ولكن : + تكون د ، سا ، م (١٢) تغلب : تنعقد ب ؛ تغلب ط ؛ تغلب طا || فلما : فكا
 ب ، سا ، م || يصيبه : يصيبها م (١٣) ويجوز : يجوز ب || تغلب بقوة : تغلب بصورة ط ؛
 تغلب بقوة طا (١٤) للماء : الماء ب ، د ، سا ، ط (١٥) وللأرض : والأرض ب ، د ،
 سا ، ط || طباعها : طباعه د ، سا ، ط (١٦) حيلهم : حيلة م (١٨) الأحكام : ساقطة
 من ب ، د ، سا ، م (١٩) لانعقاد : الانعقاد م .

وإن كان ما يحكى من تحجر حيوانات ونبات صحيجا، فالسبب فيه شدة قوة معدنية هجرة تحدث في بعض البقاع الحجرية، أو تنفصل دفعة من الأرض في الزلازل والحسوف، فتحجر ما تلقاه . فإنه ليس استحالة الأجسام النباتية والحيوانية إلى الحجرية ، أبعد من استحالة المياه ، ولا من المتع في المركبات أن تغلب عليها قوة عنصر واحد يستحيل إليه . لأن كل واحد من العناصر التي فيها ، مما ليس من جلس ذلك العنصر ، من شأنه أن يستحيل إلى ذلك العنصر ، ولهذا ما تستحيل الأجسام الواقعة في الملاحظات إلى الملح ، والأجسام الواقعة في الحريق إلى النار .

وأما السرعة والإبطاء في الاستحالة ، فأمر يجوز أن يختلف أيضا بحسب القوى المختلفة، فإن كانت شديدة جدا أحالت في زمان يسير. وفي بلاد العرب حرة كل من يسكنها، وأى جسم يقع فيها ، يتلون بلونها . وقد رأيت رفيفا على صورة الأرغفة المحرقة ، المرققة الوسط ، المرقومة بالسباع ؛ قد تحجر ، ولونه باق ، وأحد وجهيه عليه أثر التخطيط الذى يكون في التبور . وجدته ملقى في جبل قريب من بلدة من بلاد خراسان تسمى جاجرم، وحملته معى مدة . وهذه الأشياء إنما تستغرب لقلة وقوعها ، وأما أسبابها في الطبيعة فظاهرة موجودة . وقد تتكون أنواع من الحجارة من النار إذا أطفئت .

وكثيرا ما يحدث في الصواعق أجسام حديدية وحجرية، بسبب ما يعرض للنارية أن تطفأ ١٠ فتصير باردة يابسة . وقد يقع في بلاد الترك في الصواعق والبروق أجسام نحاسية على هيئة نصول السهام ، لها زائدة منعطفة إلى فوق ؛ وتقع مثلها في بلاد الجبل والديلم وإذا وقعت غارت في الأرض ويكون جوهر جميع ذلك جوهر نحاسيا يابسا وقد تكلفت لإذابة نصل من ذلك بخوارزم فلم يذب ، ولم يزل يتحمل منه دخان ملون يضرب إلى الخضرة حتى بقى منه جوهر رمادى. وقد سمع عندى بالتواتر ما كان ببلاد جوزجان، في زماننا الذى أدركناه،

(١) يحكى : يحكى م || حيوانات : حيوان ط (٢) الزلازل : الزلازل م . (٥) فيها : فيه ب ؛ قبلها ط (٥) من شأنه : شأنه د ، سا ، ط ، م . (٦) ولهذا : ولذلك ط ، م (٩) أحالت : حالت سا ، م || يسير : يسيرة م || وفي : في م (١١) عليه : على م . (١٢) وجدته : ووجدته ط || جبل : جبل ط || من بلدة : ساقطة من م . (١٤) أطفئت : طفت ط ؛ طفت م (١٥) تطفأ : تطفئ سا ؛ تطفئ م (١٨) جوهرها : ساقطة من ب .

من أمر جديد لعله يزن مائة وخمسين مئاً ، نزل من الهواء فنقر في الأرض ، ثم نبا نبوة أو نبوتين نُبُو الكرة التي ترمى بها الحائط ، ثم عاد فنشِب في الأرض ، وسمع الناس لذلك صوتاً عظيماً هائلاً ؛ فلما تفقدوا أمره ، ظفروا به ، وحملوه إلى والى جوزجان ، ثم كاتبه سلطان نراسان في عصرنا وهو الأمير عين الدولة وأمين الملة أبو القاسم محمود بن سبكتكين المظفر المقلب ، يرسم له إنفاذه أو إنفاذ قطعة منه ، فتعذر نقله لثقله فحاولوا كسر قطعة منه ، فما كانت الآلات تعمل فيه إلا بجهد ، وكان كل مثقب وكل مقطع يعمل فيه ينكسر لكنهم فصلوا منه آخر الأمر شيئاً فأنفذوه إليه ، ورام أن يطبع منه سيفاً ، فتعذر عليه .

٥

وحكى أن جملة ذلك الجوهر كان ملتئماً من أجزاء جاورسيّة صغار مستديرة ، التصق بعضها ببعض . وهذا الفقيه أبو عبيد عبد الواحد بن محمد الجوزجاني ، صاحبي ، شاهد هذا كله . وحدثت أن كثيراً من السيوف اليمانية الجميلة ، إنما تتخذ من مثل هذا الحديد . وشعراء العرب قد وصفوا ذلك في شعرهم . فهذا جنس من تكون الحجارة .

١٠

وحدثني ثقة من مشايخ دولة أصفهان ، وهو أبو منصور هرمزدياد بن مشكوار ، قريب الأمير أبي جعفر محمد بن دستهرار أنه وقع في جبال طبرستان من الهواء ما صفة وقعه صفة وقع هذا الحديد ، إلا أنه كان حجارة كبيرة . فهذا جملة القول في تكون الحجر .

وأما تكون حجر كبير فيكون إما دفعة ، وذلك بسبب حر عظيم يعافص طينا كثيراً لزجاً ، وإما أن يكون قليلاً قليلاً على تواتر الأيام . وأما الارتفاع فقد يقع لذلك سبب بالذات ، وقد يقع له سبب بالعرض . أما السبب بالذات ، فكما يتفق عند كثير من الزلازل القوية أن ترفع الرياح الفاعلة للزلزلة طائفة من الأرض ، وتحدث راية من الروابي دفعة . وأما الذي

١٥

(١) فنقر: فنقد ب ، ط ، م ؛ ثم نزل سا (٢) ترمى : تضرب سا || بها : لها م (٣) ظفروا به : ساقطة من د || وحملوه : وحمل ب ، د ؛ وحملوا ط (٤) وهو الأمير عين : فهو أمير يمين ط (٥) له : ساقطة من م (٥) منه (الثانية) : ساقطة من م . (٧) يطبع : مصبغ طا (٩) أبو عبيد : أبو عبيد الله ط || صاحبي : صاحبي هذا ط . (١٠) وحدثت : وحدث ط || الجميلة : الجميلة ب ، د ، سا || تتخذ : اتخذ ، سا ، ط ، م || من : ساقطة من د (١٢) أصفهان : أصفهان ب ، ط . (١٣) الأمير : الجليل ب ، د ، سا || دستهرار : حرس الله عزه ب ، د ؛ رحمه الله سا (١٤) فهذا : وهذا م || القول : ساقطة من م (١٥) كثيراً : ساقطة من م (١٧) فكما : وكما .

بالعرض، فإن يعرض لبعض الأجزاء من الأرض انخفاً دون بعض، بأن تكون رياح نسافة أو مياه حفاة تتفق لها حركة على جزء من الأرض دون جزء، فيتحفر ما تسيل عليه ويبقى ما لا تسيل عليه رايًا. ثم لا تزال السيول تغوص في الحفر الأول إلى أن تغور غورا شديدا، ويبقى ما انحرف عنه شاهقا. وهذا كالمحقق من أمور الجبال وما بينها من الحفور والمسالك.

- و ربما كان الماء أو الريح متفق الفيضان، إلا أن أجزاء الأرض تكون مختلفة، فيكون بعضها لينة وبعضها حجرية، فينحفر الترابي اللين، ويبقى الحجري مرتفعا. ثم لا يزال ذلك المسيل ينحفر وينحفر على الأيام، ويتسع، ويبقى التواء، وكلما انحفر عنه الأرض كان شهوقه أكثر.

- فهذه هي الأسباب الأكثرية لهذه الأحوال الثلاثة. فالجبال تكونها من أحد أسباب تكون الحجارة، والغالب أن تكونها من طين لزج جف على طول الزمان، تحجر في مدد لا تضبط، فيشبه أن تكون هذه المعمورة قد كانت في سالف الأيام غير معمورة، بل مغمورة في البحار، فتحجرت، إما بعد الانكشاف قليلا قليلا في مدد لا تنفى التواريخ بمحفظ أطرافها، وإما تحت المياه لشدة الحرارة المحترقة تحت البحر. والأولى أن يكون بعد الانكشاف، وأن تكون طبيعتها تعينها على التحجير، إذ تكون طبيعتها لزجة. ولهذا ما يوجد في كثير من الأبحار، إذا كسرت أجزاء الحيوانات المائية كالأصداف وغيرها. ولا يبعد أن تكون القوة المعدنية قد تولدت هناك، فأعانت أيضا، وأن تكون مياه قد استحات أيضا حجارة، لكن الأولى أن يكون تكون الجبال على هذه الجملة، وكثرة ما فيها من الحجر لكثرة ما يشتمل عليه البحر من الطين، ثم ينكشف عنه، وارتفاعها لما حفرته السيول والرياح فيما بينها.

(١) نسافة : سافية ب ، نسافة ط . (٢) فيتحفر : فينحفر م (٣) ثم : ساقطة من ب || الأول : الأولى م . || تغور : تعود م (٥) أو الريح : والريح ط ، م ، + منطلق ط (٧) ينحفر : يحفر ب || وينحفر ساقطة من ط || الأيام : الإتمام م (٨) شهوقه : سموقه د ، سا ، م ، سموه ط (١٣) الحرارة : الحرط || المحترقة : المحقنة سا || البحر : الأرض د ، سا || الأولى : الأولى ط . (١٤) طبيعتها : طبيتها (الأولى) ط || إذ : أن ط . (١٦) فأعانت : وأعانت ب . (١٧) يكون : ساقطة من ب ، د ، سا || وكثرة : وكثيرة م || الحجر : الحجرية د ، سا ، ط ، م .

فإنك إذا تأملت أكثر الجبال ، رأيت الانخفاض الفاصل فيما بينها متولدا من السيول . ولكن ذلك أمر إنمائي وكان في مدد كثيرة ، فلم يبق لكل سيل أثره ، بل إنمائي يرى الأقرب منها عهدا . وأكثر الجبال الآن إنمائي في الانخفاض والتفتت ، وذلك لأن عهد نشوئها وتكونها إنمائي كان مع انكشاف المياه عنها يسيرا يسيرا والآن فإنها في سلطان التفتت ، إلا ما شاء الله من جبال ، إن كانت تتزايد بسبب مياه تتحجر فيها ، أوسول تؤدي إليها طينا كثيرا فيتحجر فيها . فقد بلغني كما أحسب أنه قد شوهد ذلك في بعض الجبال ، وأما ما شاهدته أنا ، فهو في شط جيحون ، وليس ذلك الموضع مما يستحق أن يسمى جبلا . فما كان من هذه المنكشافات أصلب طينة وأقوى تحجرا وأعظم حجما ، فإنه إذا انهد ما دونه ، بقي أرفع وأعلى .

- ١٠ وأما عروق الطين الموجودة في الجبال ، فيجوز أن تكون تلك العروق ليست من صميم مادة التحجر ، لكنها من جملة ما تفتت من الجبال وتترتب وامتلا في الأودية والفجاج ، وسالت عليه المياه ، ورطبت غشيتها أرهاص الجبال ، أو خلطت به طينتها الجيدة . ويجوز أن يكون القديم أيضا من طين البحر غير متفق الجوهر ، فيكون من تربته ما يتحجر تحجرا قويا ، ومنه ما لا يتحجر ، ومنه ما يسترخي تحجره لكيفية ما غالبه فيه ، أو لسبب من الأسباب التي لا تعد . ويجوز أن يعرض للبحر أيضا أن يفيض قليلا قليلا على بر مختلط من سهل وجبل ، ثم ينضب عنه ، فيعرض للسهل منه أن يستحيل طينا ، ولا يعرض ذلك للجبل . وإذا استحال طينا ، كان مستعدا لأن يتحجر عند الانكشاف ، ويكون تحجره تحجرا سافيا قويا . وإذا وقع الانكشاف على ما تحجر ، فربما يكون المتحجر القديم في حدهما استعد للتفتت . ويجوز أن يكون ذلك يعرض له عكس ما عرض للتربة ، من أن هذا يرطب ويلين ويعود ترابا ، وذلك يستعد للحجرية . كما إذا نعت آجرة وترابا وطينا في الماء ،
- ٢٠

(٢) إنمائي كان : إذا كان وتمد || إنمائي : إنمائي (٤) يسيرا يسيرا : يسيرا ط (٦) قد : ساقطة من م (٧) فهو : ساقطة من ب ، د ، م || وليس : فليس ب (٨) انهد : انهدم ط . (١١) جملة : جهة ب || وترتب : ترتب ط ، وبيوت م (١٢) خلطت به : حالته د ، سا ، م || طينتها : طينها م . (١٣) أيضا : ساقطة من م (١٤) تحجرا : حجرا د || ومنه (الأولى) : ومنها م || ومنه (الثانية) : ومنها م || ما : ساقطة من د ، سا || لسبب . بسبب د ، ط (١٨) سافيا : شافيا ط (١٩) ذلك : أن ط (٢٠) نعت : اتفتت م || وطينا : طينا د ، سا ، م .

ثم عرضت الآجرّة والطين والتراب على النار، عرض للآجرّة أن زادها الاستنقاع استعدادا للفتت بالنار ثانيا ، وللتراب والطين استعدادا لاستحجار قوى .

ويموز أن ينكشف البر عن البحر وكلُّ بعد طبقة . وقد يرى بعض الجبال كأنه منضود سافا فسافا ، فيشبه أن يكون ذلك قد كانت طينتها في وقت ما كذلك سافا فسافا ، بأن كن ساف ارتكم أولا ، ثم حدث بعده في مدة أخرى ساف آخر فارتكم ؛ وكان قد سال على كل ساف جسم من خلاف جوهره ، فصار حائلا بينه وبين الساف الآخر ؛ فلما تحجرت المادة عرض للحائل أن انشق وانتثر عما بين السافين . وأن حائلا من أرض البحر قد تكون طينته رسوية ، وقد تكون طينته قديمة ليست رسوية ، ويشبه أن يكون ما يعرض له انفصال الأرهاص من الجبال رسويا . فهكذا تتكون الجبال .

-
- (١) والتراب : الطيب د ، سا ي ساقطة من م || الاستنقاع : الانتقاع د ، سا ، ط ، م .
 (٢) وللتراب : والتراب ب || والطين : ولطين سا || استعدادا : أن استعداد ب ، م ي أن استعداد د ، سا .
 (٣) وكل بعد طبقة : وانعقد طينه ب (٤) فسافا (الثانية) : + فيشبه ب (٥) آخر : ساقطة من م || فارتكم : ارتكم د ، سا ، ط ، م || على : عن ط (٧) وانتثر : أو انتثر د ، وأن انتثر ب ساقطة من سا || وان حائلا من أرض : وأرض ط ، م (٨) وقد ... رسوية : ساقطة من د .

[الفصل الثاني]

(ب) فصل

في منافع الجبال وتكون السحب والأنداء

منافع الجبال كثيرة، وذلك لأنه لا يشك شاك في وفور المنافع المتصلة بالسحب، وبالأودية المنبعثة من العيون، وبالجواهر المعدنية . ٥

فأما السحب فإنها إنما تتولد، كما تبين من بعد من الأبخرة الرطبة إذا تصعدت بتصعيد الحرارة فوافت الطبقة الباردة من الهواء التي فرغنا من تقديم خبرها .

والعيون أيضا فإنها إنما تتولد باندفاع المياه إلى وجه الأرض بالعنف، ولن تندفع بالعنف إلا بسبب محرك لها مصعد إلى فوق . والأسباب المصعدة للرطوبات إنما هي الحرارة المبخرة للرطوبات، الملاجئة إياها إلى الصعود . والعيون أيضا، فإن مبادئها من البخارات المندفة صعدا عن تصعيد الحرارة المحتقنة في الأرض من الشمس والكواكب . والجواهر المعدنية، فإنها أيضا إنما تتولد، كما نشرح بعد، عن الأبخرة المحتقنة في الأرض . ١٠

فيكاد أن يكون المبدأ العنصرى لهذه الأمور النافعة هو البخار وما يجرى مجراه . والبخار قد يتصعد من أرض صلبة، وقد يتصعد من أرض رخوة، وقد يتصعد من البخار والمياه . فالأرض الرخوة تنفث منها الأبخرة في أكثر الأمر قليلا قليلا، فلا يكون لاجتماعها سلطان . وأما البحار فيشبه أن يكون حكمها هذا الحكم، فإنها قلما يتفق فيها حقن للبخار يعتمد به . والأرضون الصلبة المتوسطة الصلابة يعرض لها أن تحقن البخار حقنا متوسطا، والأرضون الصلبة جدا تحقن البخار حقنا شديدا، والجبال أقوى الأرضين على حقن ١٥

(٢) فصل : فصل ب ، الفصل الثاني د ، م ؛ فصل ٢ ط (٤) منافع : ومنافع ب ، م || لأنه : أنه د ، سا ، ط ، م (٥) المنبعة : المنبعة ط (٦) إنما : ساقطة من د ، سا (٧) التي : الذي ب ، د ، سا ، ط || خبرها : حيزها ط ؛ حرها م . (٨) فإنها إنما : إنما د ، سا ، فإنها ط ، م . (٩) إلى فوق : ساقطة من د ، سا ، م || الحرارة : الحرارة سا . (١١) المحتقنة : المنحقنة ط . (١٢) إنما : ساقطة من ط . (١٣) أن : ساقطة من م . (١٥) فالأرض : والأرض ت ، د (١٦) فإنها : فإنه م || حقن : حقن د ، سا ، م . (١٧) والأرضون : والأرض د . (١٧ — ١٨) المتوسطة ... الصلبة : ساقطة من م . (١٨) الصلبة (الثانية) : ساقطة من سا || جدا تحقن البخار حقنا : ساقطة من سا || أقوى : أقوى م .

الحرارة في ضمنها، وحبس البخار المتصعد منها، حتى يقوى اجتماعه ويُعَدُّ بقوته منفذاً يندفع منه إلى خارج، وقد تكاثف واستحال مياها، وصار عيونا. فيكاد أن يكون ما تستقر عليه الجبال مملوءاً ماء، ويكون مَثَلُ الجبل في حَقِّه الأُبْحَرَةُ وإِجْائِه إِيَّاهَا إلى بَحْرِ العيون، مَثَلُ الإِنْبِيْقِ الصَّلب من حديد أو زجاج أو غيره مما يعدُّ للتقطير، فإنه إن كان سَخِيفاً متخذاً من خشب متخلخل أو نحزف متخلخل لم يحقن بخاراً كثيراً، ولم يقطر منه شيء. ٥

يعتد به، وإذا كان من جوهر صلب لم يدع شيئاً من البخار يتفشى ويتحلل، بل جمع كله ماء وقطره. فالجبال كالإِنْبِيْقِ، وقعر الأرض التي تحته كالقَرع، والعيون كالمثاعب، والأذئاب التي في الأنابيب والأودية والبحار كالقوابل. فلذلك ما يرى من أن أكثر العيون إنما يتفجر من الجبال ونواحيها، وأقلها في البراري؛ وذلك الأقل لا يكون أيضاً إلا حيث تكون أرض صلبة، أو في جوار أرض صلبة. فإذا تتبعنا الأودية المعروفة ١٠ في العالم، وجدتها منبعثة من عيون جبلية، وقد ذكر ذلك وشرح في كتب عملت في هذا الشأن. ونحن نتخيل بذلك عليها، فلتقرأ من هناك، فإنها خبرته.

وكما أن أكثر العيون والأودية من الجبال، فكذلك أكثر السحب تكون من الجبال، وتجتمع في الجبال من الأسباب ما لا تجتمع في مواضع أخرى. من ذلك أنه يمرض للبخارات بها من الاحتقان والتقوى ما يفجر العيون، فكيف حالها إذا تصدعت وهي ١٥ بعد أبخرة. فإنها لقوتها في اندفاعها ولكثافة جرمها لا تتحلل بسرعة، بل يكون لها أن تندفع إلى الحيز المبرد والعائد للبخار من أحياز طبقات الهواء.

ويعرض لهذا السبب عونان آخران :

أحدهما : أن في باطن الجبال من التداوات ما لا يكون في باطن الأرضين الرخوة.

والثاني : أن الجبال سبق على ظاهرها من التلوج والأنداء ما لا يبقى على ظاهرها سائر ٢٠ الأرضين. وذلك أن الجبال بسبب ارتفاعها تكون أبرد من أديم القرار، فقد علم أن

(١) وحبس : ويحبس سا || منها : ساقطة من م || ويعد : ونفذ ط (٢) أن : ساقطة من م
(٤) يعد : يتخذ سا || للتقطير : + منه ط . (٥) أرخف : ونحزف ط (٧) فالجبال : والجبال م
(٨) والبحار : في البحار ط (١٠) أرض (الأولى) : الأرض ط ، بأرض م || فإذا : وإذا ط
م ، (١١) منبعثة : منبعثة د || من : عن ب ، ط ، م ، في سا (١٢) ونحن : فنحن ط || نتخيل :
فتخيل ب ، د ، سا ، ط (١٢) خبرته : جزئية ما .

البعد من أديم الأرض هو من أحد أسباب البرد . فإنه وإن كان شعاع الشمس قد يقع أيضا على الجبل ، فلا يكون تسخينه كتسخين ما يقع على الأرض ، لعل نذكرها في موضع تؤخره عن هذا الموضع ، لئلا ينقطع الكلام .

هـ على أن جوهر الحجارة أشد قبولا للبرد من الأرض الرخوة ، وإذا كنت الأحوال على ما ذكرنا ، فبالحرى أن تكون الأسباب التي تحتاج إليها السحب حتى تكثر هي في الجبال أوفر . وذلك لأن المادة فيها ظاهرا وباطنا أكثر ، والاحتقان أشد ، والسحب المغشى بقوة وهو الحراقل . فلذلك ما ترى أكثر السحب الماطرة إنما تتولد في الجبال ، ومنها تتوجه إلى سائر البلاد . وأما الأجسام المعدنية المحتاجة إلى أبخرة تكون أخلاطها بالأرضية أكثر ، وإقامتها في مواضع لا تتفرق عنها أطول ، فلا شيء أطوع لها كالجبال ، فلذلك يتولد أكثرها بها . وأما الأرضون السهلة ، فكيف يكون فيها البقاء والاحتباس والاحتقان ، الذي بسببه يتم لها الامتزاج المؤدى إلى استعدادها لصورتها .

فهذه منافع الجبال ، ولها منافع أخرى جزئية ، نفصلها في العلوم الطبيعية الجزئية ، مثل الطب وغيره .

ومما يليق بهذا الموضع ، أن تعرف أصول المياه المنبعثة من الأرض .

(١) فإنه : وإنه د ، سا ، م || وإن : إن د ، سا ، ط (٣) عن : من ط . (٤) كانت : كان د ، سا (٦) المغشى : المغشى ط . (٧) إنما : أنها م (٨) المحتاجة : المحتاج ما (٩) أطوع : ساقطة من ب ، د ، سا ، م (١٢) تفصلها : تفصيلها ب ، ط ، م (١٤) ومما : مما م .

الفصل الثالث

(ج) فصل

في منابع المياه

فقول : إن المياه المنبعثة من الأرض ، منها مياه العيون السيالة ، ومنها مياه العيون الراكدة ، ومنها مياه الآبار ، ومنها مياه القنى ، ومنها مياه النر .

فأما مياه العيون السيالة ، فإنها تنبعث من أبخرة كثيرة ، قوية الاندفاع ، كثيرة المادة ، تفجر الأرض بقوة انفجارها ، ثم لا تزال تفيض مستتعة موادها ، على ما تعلمه .

وأما مياه العيون الراكدة ، فإنها مياه حدثت من أبخرة بلغ من قوتها أن اندفعت إلى وجه الأرض ، لكن لم يبلغ من قوتها وكثرة مادتها أن يطرد تاليها سابقها طردا ويدفعه ويسيعه .

وأما مياه الآبار والقنى ، فإنها معانة في ظهورها وبروزها بالصناعة . وذلك لأنها لما كانت ناقصة القوة عن أن تشق الأرض وتبرز ، قصرت لها المسافة فأزيل عن وجهها ثقل التراب المتراكم ، حتى يخلص الحفر إلى مستقر البخارات . فحينئذ تصادف منفذا تندفع إليه بأدنى حركة ، فما لم يجعل له منها مسيل ولم يصف إليه من جنسه ما يمدده فهو بئر ، وما جعل له ذلك ، فهو قناة .

ونسبة القنى إلى الآبار ، نسبة العين السيالة إلى العين الراكدة . والسيالة أفضل ، لأن هذه الحركة تلطفها . ومع ذلك فإن مدتها ، في الاختلاط في حركتها إلى البروز بالأرضية المتولدة من اختلاطاتها بعفونات ، تقصر .

(٢) فصل : فصل حـ ب في الفصل الثالث د ، م ، ي فصل ٣ ط (٣) منابع : منافع د ، م (٥) القنى ومنها مياه : القنى ومنها د ، سا ، ي ساقطة من م (٧) تفجر : تفجر ط ، م || انفجارها : انفجارها م (١١) بالصناعة : بصناعة ب (١٢) قصرت : قصر ب ، د ، سا ، ط (١٤) فا : مما سا || يجعل : يسجل ب || منها : ساقطة في د ، سا || مسيل : سبيل م (١٦) العين الراكدة : العيون الراكدة ط (١٧) الاختلاط : الأخلاط ط (١٨) اختلاطاتها : اختلاطها بها د ، سا ، ط ، م || بعفونات : العفونات ب ، د ، ط ، م .

وأما التز فهو أردأ المياه ، وإنما يتولد من بخارات لها مادة كثيرة ، وليس لها من قوة الاندفاع ما يخرق الأرض بقوة ؛ بل اندفاعها متيسر ، وأرضها رخوة تحال عنها أكثر ما يتبخر والذي يبقى ويحتبس ، تطول مدة مخالطته للأرض إلى أن يبرز ؛ لأن حركته إلى البروز بطيئة ، فيعفن ويتغير في طريقه عند مخالطته للأرضية .

٥ والعيون الراكدة والآبار الراكدة إذا نُزحت ، يُجلب إليها بدل ما يترج منها . وذلك لأنه لما كان للبخر الذي هو مادة تلك العين أن يندفع إلى أن يبلغ المبلغ الذي كان استقر قديما عليه فقط ، فإذا بلغ ذلك المبلغ صار في الثقل بحيث لا يتمكن ما تحته أن يُقله ويزيجه ؛ بل يكون ما وقف من ذلك سدا ، كما كانت الأرض قبل أن تحفر . فإذا نقص من ذلك الثقل ، قَدَّر البخر المندفع إلى جهته أن يتصعد ويُحرك ما يغمره من فوق إلى الحد المحدود . ١٠

(٢) متيسر : منتشر ، سا ، م ؛ منتشرة ط || عنها : عنه ط (٣) يتبخر : يخرم ويحتبس : يحتبس ط ، يحتبس م || لأن : ولأن ب ، ط (٤) مخالطته للأرضية : مخاله الأرضية ب ، م . (٨) ويزيجه : ويزتحتجج ، د ، سا ، م (٩) يتصعد : + ويحرك م (١٠) إلى : ساقطة من سا .

[الفصل الرابع]

(د) فصل

في الزلازل

وأما الزلزلة ، فإنها حركة تعرض لجزء من أجزاء الأرض بسبب ما تحته ، ولا محالة أن ذلك السبب يعرض له أن يتحرك ثم يحرك ما فوقه . والجسم الذي يمكن أن يتحرك تحت الأرض ، ويحرك الأرض ، إما جسم بخارى دخانى قوى الاندفاع كالريح ، كما يشق الخوابي إذا تولد في العصور ؛ وإما جسم مائى سيال ؛ وإما جسم هوائى ؛ وإما جسم نارى ؛ وإما جسم أرضى . والجسم النارى لا يحدث تحت الأرض ، وهو نار صرفة ؛ بل يكون لا محالة في حكم الدخان القوى وفي حكم الريح المشتعلة . والجسم الأرضى لا تعرض له الحركة أيضا إلا لسبب مثل السبب الذي عرض لهذا الجسم الأرضى . فيكون السبب الأول الفاعل للزلزلة ذلك . فأما الجسم الريحى ناريا كان أو غير نارى ، فإنه يجب أن يكون هو المنبعث تحت الأرض ، الموجب لترويج الأرض في أكثر الأمر .

وأما الجسم الهوائى ، فإنه أيضا وإن عرض له حركة من تلقاء نفسه لم تعرض له إلا أن يكون في حكم الريحى والبخارى والدخانى ، وإن تحرك بحركة شئ آخر ، مثل ماء يسيل إلى بعض الأغوار دفعه محرك الهواء بقوة ، ومثل انهدام يقع من نقض أركان هوة ومغارة فيسقط إلى أسفل سقوطا يقلقل الهواء والأرض المتصلة به ؛ كما يعرض للسطوح إذا سقطت على القرار الذى تحتها ، كان المبدأ حركة ماء أو أرض ويكون بتوسط هواء أيضا .

(٢) فصل : فصل د ب ، الفصل الرابع د ، م ، فصل ط (٣) الزلازل : الزلزلة م (٤) سبب : لسبب م || ما : ساقطة من ب ، د ، سا : م (٥) ثم يحرك : ويحرك ب ؛ إلى م (٨) والجسم : وأما الجسم ط (٩) المشتعلة : المشتعلة ب ، م || الأرضى : ساقطة من م (١٠) لسبب : بسبب د ، سا ، ط ، م (١١) كان : ساقطة من م (١٢) تمويج : تمويج سا ، ط (١٤) الريحى : ساقطة من م || والبخارى : أو البخارى ط || والدخانى : أو الدخانى سا ، ط ، م || تحرك : يتحرك ب || بحركة : تحرك سا (١٥) محرك : فيحرك د ، سا ، ط || ومثل : مثل د ، سا || الأغوار . . . نقض : ساقطة من م (١٦) به : ساقطة من سا ، م (١٧) سقطت : وقعت د ، سا || الذى : التى ب ، د ، ط || ويكون . . . أيضا : ساقطة من م || ويكون : ساقطة من ط || بتوسط هواء : بتوسط هذا بخ .

فهذه هي الوجوه التي يمكن أن تعرض معها الزلزلة ، إما بخار ريحي أو نارى قوى
يتحرك فيحرك الأرض . وهذا هو الوجه الأكثر ، فإنه لا شيء أقوى على تحريك
الأرض الحركة السريعة القوية التي للزلزلة من الريح ، وإما مياه تسيل دفعة ، وهذا رأى
ديمقراطيس ، وإما انهدام بعض أركان القرار .

و ربما كانت للزلازل أسباب فوق الأرض ، بجبال يعرض لها أن تسقط قللها
أو أجزاء كبيرة منها سقوطا قويا فتزلزل الأرض ، على ما كان يراه رجل يقال له أراكياس ،
يراه وحده سبب الزلزلة ؛ وإن لم تكن من قوة حركة الأرض عن سبب قوة ، قوة ما تستحق
أن تسمى زلزلة . وكان هذا الرجل يقول : إن الزلازل تعرض من ذلك في وقى كثرة
الأمطار وقتلها . أما كثرة الأمطار فإنها توجب انتقاع القلل والرعون وترطبها ، وذلك
يؤدى إلى انفصالها وسقوطها ؛ وأما قلة الأمطار فلا توجب اليبس المفتت ، والتفتت
بما يسهل تفرق الاتصال . وليس هذا المذهب بذلك السديد كله ، فكثيرا ما تعرض
زلازل في بلاد لم تندر في قربها قلل جبال ولا رعونها ؛ ولو كان كل زلزلة لذلك ، لكان كل
زلزلة تصير في آخرها أضعف ، ولما كانت زلزلة في بلد ليس به جبل أقوى كثيرا منها
في بعض الأوقات منها في البلاد الجبلية التي تصاقبه ، وربما لم يشاهد في البلاد الجبلية
المطيفة بتلك البقعة ، وشوهدت بتلك البقعة .

(١) قوى : ساقطة من ط (٢) أقوى : بقوى د ، سا (٣) القوية : القوة م ||
وإما : أرسا || وإما مياه : والمياه التي د ؛ المياه التي سا ؛ وإما لمياه م . (٦) فتزلزل : فتزلزل
ط || الأرض : ساقطة من م || ما كان يراه : ما كان رآه د ، سا || أراكياس : أراكيمياس ب ، م (٧)
يراه وحده : وحده ط ، م || لم : ساقطة من د || من قوة : من حق ب ، د ، ط ، م ||
عن : من غير نجح || قوة قوة : فوقه ب ، ط ؛ قوة سا ، م || ما : مما د ، ط ، م || ما تستحق : ساقطة
من ب || تستحق : تحق د (٨) في : ساقطة من ب (٩) الرعون : الرعن الأنف العظيم من الجبل
(لسان العرب) || الرعون : كالرعون م (١٠) المفتت : المفتت ط ، م (١١) هذا : ساقطة ب ، م (١٢)
جبال : الجبال م || لذلك : كذلك سا ، ط (١٣ - ١٢) لكان كل زلزلة : ساقطة من د (١٣) زلزلة (الأولى) :
+ فإنها ب ، ط ، م || تصير ... أضعف : ساقطة من د || آخرها : أجزائها م || به : بهاب د ، د ؛
فيه سا ؛ لها ط (١٤) في البلاد : في بعض البلاد ط || تصاقبه : صاقبه ، جاوره [اللسان]
(١٥) المطيفة : المطيفة ط || بتلك البقعة : ساقطة من م || بتلك (الثانية) : في تلك ط

وأما انكساغورس فإنه ينسب العلة إلى الهواء ، وذلك لأن عنده أن الأرض محمولة على الهواء يدعمها انبساطا عليها ، وأن الجنبية السائلة متاخلة ، والتي نحن عليها متكافئة للأقطار التي تُعَرَى وجهها . فإذا نفذ الهواء في التخلخل الذي بتلك الجنبية ، ثم لم يجد طريقا إلى الانفصال والصعود الطبيعي الذي له ، وذلك من الجهة التي نحن عليها ، زلزل الأرض .

- وبطلان هذا المذهب يتحقق أولا بالخطأ الواقع في هيئة الأرض ، وسبب وقوفها .
- وثانيا ، فما بال الزلازل إنما تكون في أوقات بعينها من الفصول ، وهذه العلة موجودة في سائر الأوقات ؟ واقتضاره ، في تعليل كثافة وجه الأرض على الأمطار ، عجـز . وقد تعرض مع الزلازل أحوال ، فربما كانت نافعة ، وربما كانت ضارة . أما النافعة ، فإن اتفق أن تشتمل تلك الرياح على مواد بخارية توجهها وتسوقها إلى جهة من الأرض ، أو تجذبها إليها مستتبعة ، فتعينها على التفجير للأرض ، فتفجر عيوننا . وأما الضارة ، فما يعرض
- ١٠ من أن لا تكون المادة الريحية بهذه الصفة ، بل تكون يابسة مائلة إلى طبيعة النارية ، فتشتعل نارا عند الحركة القوية ، فإن من شأن الحركة القوية أن تحمّل الدخان والبخار والهواء نارا ، فكثيرا ما تشتعل المناخ والكيران إذا ألح عليها بالنفخ نارا . فإذا كان سبب الزلزلة قويا جدا ، خسف الأرض باندفاعه ونخروجه . وربما خلس نارا محرقة ، وربما حدثت أصوات هائلة ودوى يدل على شدة الريح . فإن وجدت هذه الريح المصوتة منفذا
- ١٥ واسعا بعد المنفذ الذي تصوت فيه ، حدث عن اندفاعها صوت ولم تزلزل .

- ومن الدليل على أن أكثر أسباب الزلزلة هي الرياح المحترقة ، أن البلاد التي تكثر فيها الزلزلة إذا حفرت فيها آبار وقفي كثيرة حتى كثرت مخالص الرياح والأنبجوة ، قلت الزلازل بها . وأكثر ما تكون الزلازل إنما تكون عند فقدان الرياح ، لأن مواد الرياح يعرض لها الاحتباس ، وفي مثل هذه الحال كثيرا ما تُرى في الجو سُحب مستطيلة
- ٢٠

(٢) يدعمها : ويدعمها ط (٣) تعرى : تعرى ب (٤) من : + هذه د ، سا ، ط ، م (٥) وسبب : ويسبب سا (٧) الأوقات : الفصول والأوقات ط (٩) وتسوقها : أو تسوقها م || من : ساقطة من ط || أو تجذبها : تجذبها ط (١٠) إليها : إليه د ، سا ، م || فتعينها : وتعينها م || فتفجر : فتفجر ب ، سا ، ط (١١) لا تكون : تكون م . (١٣) ألح : تحيف د ، حيف سا ، م || كان : كانت ب (١٦) حدث : حصل سا ، حدث م || عز : من د ، سا ، ط ، م

استطالة توجبها الرياح المختلفة إذا تهايت وغاب منها واحد فامتد وحبس المغلوب في قعر الأرض. وفي أكثر الأوقات فقد يتبع سكون الزلزلة ريحٌ تهب، لأن السبب ينفصل ويخرج إلى خارج. وكثيرا ما يكون في وقت الزلازل غمامات راکدة في الجو، ويكون الجوضبايا، وذلك لفقدان الرياح في ذلك الوقت. وربما حدثت الزلزلة بعد اختلاف رياح متماعة يمنع بعضها بعضا عن الهبوب وتمنع موادها عن التخلص والبروز من الأرض، فتحققها قسرا في الأرض. وذلك يكون في الأكثر ليلا لتخفيف البرد وجه الأرض، وبالغدوات أيضا وقد يكون في أنصاف النهار بسبب شدة جذب الحر للبخر، مع تبخيف وجه الأرض وإعادة البرد إلى داخلها على سبيل التعاقب.

وأكثر ما تكون الزلزلة في بلاد متخلخلة غور الأرض، متكاثرة وجهها، أو منمورة الوجه بماء يجرى، أو ماء غمر كثير لا يقدر الريح على خرقه. وخصوصا إذا كان متحركا، فإن المتحرك أشد مماعة لأنه يسبق بحركته خرق الحارق إياه، بل أسباب كثرة الزلازل ثلاثة: أحدها هذا، والثاني عظم الريح، والثالث كثرة تولدها.

وقلما تكون الزلزلة في الشتاء، لشدة إجماد برده للبخر الدخاني. فإن عرض دل على أن رطوبة ذلك الشتاء أشد من برودته، فيولد ببلته وقلة برده بخارا كثيرا. وقلما تعرض الزلزلة أيضا في الصيف، لشدة تحليله، فإن حدثت في الصيف، دلت على أن السعة يابسة فيكثف وجه الأرض باليبس، وتخصف مسامها فتحبس فيها الرياح ولا تخرج، حتى تجتمع لها مادة كثيرة تقوى على الزلازل؛ وأكثر ما يكون، يكون ربيعا وخريفا.

والكسوفات ربما كانت سببا للزلازل، لفقدان الحرارة الكائنة عن الشعاع دفعة، ويعقب البرد الحاقن للرياح في تجاويف الأرض بالتخصيف بغتة. والبرد الذي يعرض دفعة يفعل

- (١) تهايت : هابت ط || فامتد : ومد د ، سا (٢) أكثر : بعض سا ؛ كثير ط
(٦) وذلك : ولذلك د ، سا ، ط ، م || لتخصيف : ليخصف م (٧) الحر : الجو سا || للبخر : البخار ب . (١٠) ماء : بماء ط || لا يقدر : ولا يقدر ط .
(١٢) عظم : عظيم م . (١٥) ببلته : ببله سا . (١٧) فيكثف : فيتكثف م .
|| فيها : فيه ط ؛ منه م . (١٨) ما يكون يكون : ما يكون ط ، م . (٢٠) تجاويف : تخاريف م .

من ذلك ما لا يفعله العارض بالتدريج. تأمل ذلك في الأبدان وفي جزئيات مجارب صناعة الطب وغيرها .

- والزلازل تختلف في قوة أوائلها وأواخرها ، فليس يمكن أن تجرى على منهاج واحد .
- وإذا كانت حركات الرياح المحتقة ، منها ما يكون على الاستقامة إلى فوق ، ومنها ما يكون مع ميل إلى جهة ، لم تكن جهات الزلازل متفقة ؛ بل كان من الزلازل رجفية ، ما يتخلل ٥ معها أن الأرض تقذف إلى فوق ، ومنها ما تكون اختلاجية عرضية رعشية ، ومنها ما تكون مائلة إلى القطرين كليهما ويسمى القطعة . وما كان منه مع ذهابه في العرض ، يذهب في الارتفاع أيضا ، يسمى سلمي . ولولا الموانع ، لكانت حركاتها كلها رجفية ، لأن حركة الرياح إلى فوق ، والموانع هي فقدان التجاوير والتعاريج ، إلا في جهة . ولأن المنافذ التي تنفذ فيها الرياح الفاعلة للصوت عند الزلزلة مختلفة ، فكذلك الأصوات الحادثة منها تسمع ١٠ مختلفة . وكما أن البصر يستبق السمع ، فإنه إذا اتفق أن قرع إنسان من بعد جمعا على جسم ، رأيت القرع قبل أن تسمع الصوت . لأن الإبصار ليس في زمان ، والاستماع يحتاج فيه إلى أن يتأدى تموج الهواء الكائن إلى السمع ، وذلك في زمان . كذلك الصوت في الزلازل يسمع قبل الزلزلة ، وذلك لأن تموج الهواء أسرع وأسبق من تموج الأرض الكشيفة . ومن ١٥ منافع الزلازل تفتيح مسام الأرض للعيون ، وإشعار قلوب فسقة العامة رعب الله تعالى .

(١) من : ساقطة سا ، ط ، م || وفي : في م . (٤) وإذا : فإذا سا . (٥) الزلازل (الناية) : ساقطة من م . (٦) معها : منها ط ، م || تكون (الاولى) : ساقطة من م || عرضية : ساقطة من ط . (٧) القطقط : القطعة د ، ط . (٨) أيضا : ساقطة من ب ، م || الموانع : المانع م . (٩) هي : ساقطة من ب ، د || التجاوير : التعازيب ب ، سا ، م (١٠) فكذلك : وكذلك سا ، م . (١١) يسبق : يسبق سا ، ط ، م . (١٣) كذلك : فكذلك ط . (١٥) تفتيح : تفتح م || قلوب : ساقطة من م || رعب : خوف د || تعالى : عز وجل ب ، سا ، ساقطة من م

[الفصل الخامس]

(٥) فصل

في تكوين المعدنيات

وقد حان لنا أن نتكلم في أحوال الجواهر المعدنية ، فنقول : إن الأجسام المعدنية تكاد أن تكون أقسامها أربعة : الأحجار ، والذائبات ، والكجارت ، والأملاح . وذلك أن من الأجسام المعدنية ما هو سخييف الجوهر ، ضعيف التركيب والمزاج . ومنها ما هو قوى الجوهر ، وما هو قوى الجوهر ، فنه ما ينطرق ، ومنه ، الا ينطرق . وما هو ضعيف الجوهر ، فنه ما هو ملحي تحله الرطوبة بسهولة مثل الشب والزاج والنوشارد والقلقند ، ومنه ما هو دهني لا يخل بالرطوبة وحدها بسهولة مثل الكبريت والزرنيخ . وأما الزئبق فهو من جملة القسم الثاني على أنه عنصر المنطرقات ، أو شبيه بعنصر المنطرقات . وجميع المنطرقات ذائبة ولو بالجلبة ، وأكثر ما لا ينطرق ولا يذوب بالإذابة الرسمية وإنما يلين بعسر . ومادة المنطرقات جوهر مائي يخالط جوهر أرضيا مخالطة شديدة لا يبرأ منه ، ويمجد الجوهر المائي منه بالبرد بعد فعل الحرفيه وإنضاجه ، ويكون في جملة ما هو حي بعد لم يمجد لدهنيته ، ولذلك ينطرق .

وأما المجريات من الجواهر المعدنية الجبلية ، فادتها أيضا مائية ، ولكن ليس جودها بالبرد وحده ، بل جودها باليبس المحيل للسائية إلى الأرضية . وليس فيها رطوبة حية دهنية ، فلذلك لا تنطرق . ولأجل أن أكثر انعقادها باليبس ، فلذلك لا يذوب أكثرها إلا أن يُحتال عليه بالحيل الطبيعية المذيبة .

- (٢) فصل : فصله ب ، الفصل الخامس د ، م . (٣) تكوين : تكون د ، ط .
 (٥) أن : ساقطة من ب ، م . (٦) أن : لأن سا ، ط || ومنها : ومنه ب ، د ، سا ، ط .
 (٧) وما هو قوى الجوهر : ساقطة من م || ومنه ما لا ينطرق : ساقطة من د || وما : ومنه ما م .
 (٨) ما هو ملحي : ملحي د || ملحي : ملحق م || والزاج : ساقطة من ب ، د . (١١) بالجلبة : بالجلبة م || ما لا ينطرق : ما ينطرق م (١٣) الحرفيه : الحرارة ب || جملة ما : جملتها ما ط ؛ بجملته ما م . (١٥) الجواهر : الجوهر م || الجبلية : الحلية م .

وأما الشب والنوشار فن جنس الأملح، إلا أن نارية النوشار أكثر من أرضيته،
فلذلك يتصعد بكليته، فهو ماء خالطه دخان حار لطيف جدا كثير النارية، وانعقد باليوس.

وأما الكباريت فإنها قد عرض لمائيتها أن تخمرت بالأرضية والهوائية تخمرا شديدا
بتخمير الحرارة حتى صارت دهنية، ثم انعقدت بالبرد.

وأما الزاجات فإنها مركبة من ملحجية وكبريتية وحجارة، وفيها قوة بعض الأجساد
الذائبة. وما كان منها مثل القلقند والقلقطار فكونها من جلاله الزاجات، وإنما تخل منها
الملحجية مع ما فيها من الكبريتية، ثم تنعقد وقد استفادت قوة معدن أحد الأجساد؛
فما استفاد من قوة الحديد احتر وأصفّر كالقلقطار وما استفاد من قوة النحاس اخضر،
ولذلك ما أمكن أن تعمل هذه بالصناعة.

وأما الزئبق فكأنه ماء خالطته أرضية لطيفة جدا كبريتية مخالطة شديدة، حتى أنه
لا ينفرد منه سطح لا يغشاه من تلك اليبوسة شيء. فلذلك لا يعلق باليد، ولا ينحصر
أيضا انحصارا شديدا بشكل ما يحويه؛ بل يثبت على شكل ما؛ اللهم إلا أن يغلب.
وبياضه من صفاء تلك المائية، وبياض الأرضية اللطيفة التي فيه وبمجازجة الهوائية
إياه. ومن شأن الزئبق أن ينعقد بروائح الكباريت، ولذلك يمكن أن يعقد بالرصاص
أو رائحة الكبريت بسرعة، فيشبه أن يكون الزئبق أو ما يشبهه هو عنصر جميع الذائبات،
فإنها كلها عند الذوب تصير إليه؛ لكن أكثر ما يكون ذوبه بعد الحمى، فيرى زئبقه
محجرا. وأما الرصاص فلا يشك مشاهدته إذا ذاب أنه زئبق، لأنه يذوب قبل الحمى،
وإذا حمى في الذوب كان لونه كالون سائر الذائبات، أعنى في الحمرة النارية. ولذلك
ما يعلق الزئبق بهذه الأجساد كلها، لأنه من جوهرها. لكن هذه الأجساد يختلف

(٢) فهو ماء : مهما نجح . (٣) قد : ساقطة من د ، سا ، م . (٥) فإنها : فلائها ب

|| وفيها : فيها ب . (٦) فكونها : فتكونها ط . (٩) ما أمكن : أمكن م ||

هذه بالصناعة : بهذه الصناعة ب (١٠) خالطته : خالطه ب (١١) لا يغشاه : لا يغشيه ب ، د .

|| لا يعلق : لا يعلو د ؛ لا يتعلق ط . (١٢) بل : + له أن د ، سا ، ط ، م ||

إلا : ساقطة من ب . (١٣) الهوائية : الهواب . (١٤) الكباريت : الكبريت د .

(١٥) يشبهه : أشبهه سا . (١٨) كلون : لون ط .

تكونها عنه بسبب اختلاف الزئبق ، وما يجري مجراه في نفسه ؛ وبسبب اختلاف ما يخالطه حتى يعقده . فإن كان الزئبق نقيا وكان ما يخالطه فيعقده قوة كبريت أبيض غير محرق ولا درن ، بل هو أفضل مما يتخذاه أهل الحيلة ، كان منه الفضة . وإن كان الكبريت مع نقائه أفضل من ذلك وأنصح ، وكان فيه قوة صباغية نارية لطيفة غير محرقة أفضل من الذي يتخذاه أهل الحيلة ، عقده ذهباً . ثم إن كان الزئبق جيد الجوهر ، ولكن الكبريت الذي يعقده غير نقي ، بل فيه قوة احتراقية ، كان منه مثل النحاس . وإن كان الزئبق رديئاً دنساً متخلخلاً أرضياً ، وكان كبريته نجساً أيضاً ، كان منه الحديد .

وأما الرصاص القلبي فيشبه أن يكون زئبقه جيداً ، إلا أن كبريته رديئاً وغير شديد الخالطة ، وكأنه مداخل إياه سافاً فسافاً ، فلذلك يضر . وأما الآنك فيشبه أن يكون رديئاً الزئبق ، ثقيلة طينته ، ويكون كبريته رديئاً متناً ضعيفاً ، فلذلك لم يستحكم انعقاده . وليس يبعد أن يحاول أصحاب الحيل حيلة تصير بها أحوال انعقادات الزئبق بالكبريت انعقادات محسوسة بالصناعة ، وإن لم تكن الأحوال الصناعية على حكم الطبيعية وهي صحتها ، بل تكون مشابهة أو مقارنة لذلك ، فيقع التصديق بأن جهة كونها في الطبيعة هذه الجهة ، أو مقارنة لها ، إلا أن الصناعة تقصر في ذلك عن الطبيعة ولا تلحقها وإن اجتهدت .

وأما ما يدعيه أصحاب الكيمياء ، فيجب أن تعلم أنه ليس في أيديهم أن يقلبوا الأنواع قلباً حقيقياً ، لكن في أيديهم تشبيهات حسية ، حتى يصبغوا الأحمر صبغاً أبيض شديد الشبه بالفضة ، ويصبغوه صبغاً أصفر شديد الشبه بالذهب ؛ وأن يصبغوا الأبيض أيضاً

-
- (٢) ما يخالطه : يخالطه م || فيعقده : فيعقد د ، ط ، م . (٣) يتخذ : يتخذ سا ، ط ، م || الحيلة : + منه سا ، ط || وإن : فإن د ، سا ، ط ، م (٤) الكبريت : بالكبريت ط || نقائه : نقايه م || صباغة : صباغة سا ، ط ، م . (٧) نجساً : نجيباً د . (٨) الرصاص : + الجليد نج . (٩) وكأنه : فكانه ط || مداخل : يداخل ط . (١٠) ثقيلة : متينة ب . (١٣) الطبيعية : الطبيعة سا ، ط ، م || صحتها : الصحة د ، سا ؛ صحتها ط || مشابهة : متشابهة ب || لذلك : ساقطة من م . (١٣ — ١٤) مقارنة : أو : ساقطة من سا . (١٥) ولا تلحقها : تلحقها م . (١٧) يصبغوا : يصبغ ط . (١٨) بالفضة : بالشبه : ساقطة من م .

أى • يغب شاءوا ، حتى يشتد شبهه بالذهب أو النحاس ؛ وأن يسلبوا الرصاصات أكثر ما فيها من النقص والعيوب ، إلا أن جواهرها تكون محفوظة ، وإنما يغلب عليها كفيات مستفادة بحيث يخلط فى أمرها ، كما أن للناس أن يتخذوا الملح والفاقند والنوشار وغيره .

- ولا أمتع أن يبلغ فى التدقيق مبلغا يخفى الأمر فيه على الفرّهة . وأما أن يكون الفصل المنوع يساب أو يكسى ، فلم يتبين لى إمكانه ؛ بل بعيد عندى جوازه ، إذ لا سبيل إلى حل المزاج إلى المزاج الآخر ، فإن هذه الأحوال المحسوسة يشبه أن لا تكون هى الفصول التى بها تصير هذه الأجساد أنواعا ، بل هى عوارض ولوازم وفصولها مجهولة ؛ وإذا كان الشئ مجهولا كيف يمكن أن يقصد قصد إيجاد أو إنقاده . وأما سلخ هذه الأصباغ والأعراض من الروائح والأوزان أو كسوها ، فهذا مما لا يجب أن يُصر على جمده ، لفقدان العلم به ، فليس يقوم البتة برهان على امتناعه . ويشبه أن تكون النسبة التى بين العناصر فى تركيب كل جوهر من هذه المخلوطة ، غيرها فى التركيب الآخر . وإذا كان كذلك ، لم يعد إليه ، إلا أن يفك التركيب إعادة إياه إلى تركيب ما يراد لإحاطته إليه . وليس ذلك مما يمكن بأدائه حفظ الاتصال ، وإنما يختلط به شئ غريب أو قوة غريبة .

١٥

ولنا فى هذا كلام طويل ، لو شئنا لقلناه . لكن الفائدة فى ذلك قليلة ، والحاجة عنه منقطعة فى هذا الباب .

- (٥) الفرّهة : الفاره ، الحاذق بالشئ [اللسان] || الفرّهة : الفرقة ط . (٦) يكسى : يكسام || يتبين : يتبين ب || بعيد : بعدد ، سا ، م . (١٠) كسوها : كسرها ب || فهذا : فهذه ب || يصر : يصرد ، سا ، م . (١١) به : فليس العلم به م . (١٢) غيرها : غيره ب ، سا ، م ، غيرد . (١٤) مما : ساقطة من ط || بأدائه : بإذابة ب ، د ، ط || حفظ : تحفظ ب ، د ، سا ، ط || الاتصال : الأفضال ب || يختلط : يختلط سا ، م (١٥) أو قوة : وقوة ط . (١٦) لو : بل لوب ، ولوم || لقلناه : لقلنا ط || قليلة : مقلة ب .

[الفصل السادس]

(و) فصل

في أحوال المسكونة وأمزجة البلاد

وإذ قد تكلمنا في حال تكون الجبال ، وما يتفجر في الأرض من العيون ، وما يحدث فيها من الزلازل ، وما يتكون فيها من المعادن ؛ فبالحرى أن نتكلم في حال المسكون كيف هو من الأرض .

فنعول أولا : إنا كنا قد أشرنا فيما تقدم إلى أن الواجب بحكم طبيعة الماء والأرض أن تكون الأرض في ضمن الماء ، ويكون الماء محيطا بها من جميع الجوانب ؛ ولكن الوجود ليس على ذلك ، وليس على ما هو طبيعي للأرض والماء ، بل ما هو طبيعي لنظام الكل . وذلك أنه لما كان من شأن العناصر أن يستحيل بعضها إلى بعض بأجزائها ، كانت الأرض لو وجدت على ما هو طبيعي لها لم يثبت . لأن في طبيعة الأرض أن تستحيل أجزاء منها ماء أو نارا ، أو غيرهما من الجواهر الأخرى . وتلك الجواهر أيضا قد تستحيل أجزاء منها أرضا ، فما يستحيل من الأرض إلى غيره ينقص من جملة حجم الأرض ، فيلزم ضرورة أن يقع هناك ثلمة في تدوير الأرض ، وغور إذا كانت الأرض يابسة لا تجتمع إلى شكلها الطبيعي ، بل يبقى عليها الشكل المسفاد . وما يستحيل إلى الأرض يكون لا محالة زيادة وتثاقلا ملحقا بها ، فلا ينسبط عليها انبساط الماء المهرق على ماء غيره ، حتى يصير بينهما حجم واحد مستدير ؛ فيلزم ضرورة أن يتولد على كرية الأرض تضريس من غور ونجد ، وخصوصا للكواكب لا محالة تأثير في إيجاب هذه الإحالة بحسب المسامات التي تتبدل بحسب حركاتها ؛ وخصوصا الثوابت الصائرة تارة إلى الجنوب وتارة

(٢) فصل : فصل ب ، الفصل السادس د ، م . (٤) قد : ساقطة من ب ، د ، سا ، م || في (الثانية) : من م . (٥) المسكون : المسكونة ب ، ط ؛ السكون م (٦) هو : هي ب ، ط (٧) كنا : كانوا ب ، م . (٩) ذلك وليس على : ساقطة من م . (١٢) أو غيرهما : أو غيره ب ، د || الأخرى : + غير تلك الجواهر د ، سا || تستحيل : + أيضا ب (١٣) منها : منه سا . (١٤) إذا : إذ ب ، ط ، م . (١٦) فلا : لامداد ؛ لأنها لا سا || ينسبط : يسقط ب || عليها : عليه ط (١٧) منها : منها ب ، د ، سا ، ط || واحد : ساقطة من ب || فيلزم : فيلزمه م (١٩) حركاتها : حركاتها د ، سا ، ط ، م .

إلى الشمال ، والأوجات والحضيضات المتغيرة في أمكنتها . فيشبه أن تكون هذه أسبابا عظاما في إحداث المائية في جهة أو نقلها إليها ، وإبطال المائية من جهة أو نقائها عنها إذ نقل المائية من جهة إلى جهة إنما يكون بتوسط إحداث المائية في جهة وإفنائها من جهة ، وإحداثها إنما يكون بتبخير الرطوبة وتصعيدها بالتبخير إلى جهة خاصة من الأرض ، وإن كان كل واحد منهما يعظم ويكثر على الدهر حتى يؤثر في هيئة شكل الماء .
 ٥ لسيلان الماء إلى الغور وكشفه للنَّجْد .

وقد أعان على هذا أسباب أخرى ، إذ لابد من حدوث طين بين الماء والأرض ، ولابد من نفوذ قوة الشمس والكواكب إلى الطين وتحجيرها إياه إذا انكشف حتى تتخلق الجبال ، على ما قلناه . فإذا كان كذلك ، لم يكن بد من أن يكون بروج بحر ، وفي ذلك حكم إلهية لولاها لم يكن للحيوانات الأرضية التي تعيش بالنسيم مكان طبيعي . فلمثل هذا السبب ١٠ ما انكشف من الأرض شيء بَرّا . والأولى أن يكون المستولى على الأرض هو الماء الذي من حقه أن يفيض على كليتها .

ثم أن أصحاب الرصد وجدوا ربع الأرض برا وإذا وجد هذا، فن الذي يطمع في أن يكون غيره برا يعتد به ، إلا جزائر قليلة . فإن انكشف الربع كثير ، ووجد هذا الربع ١٥ أخذنا في طوله نصف دور الأرض ، على ما سنوضح هذا في الفن الذي نتكلم فيه على الهيئة ، ووجد عرضه أخذنا ربع دور الأرض إلى ناحية الشمال، حتى يكون الربع الشمالي بالتقريب منكشفاً ثم لم يبق برهان واضح على أن الأرباع الأخرى مغمورة بالماء ، إلا ما يوجبُه أغلب الظن بسبب وجوب غمور الماء للأرض . إذ الماء بحسب غالب الظن أكثر لاحالة من الأرض أضعافا ، لأنه يشبه أن يكون كل عنصر بحيث لو استحال بكليته إلى منصر آخر كان مثله ، والماء يتصغر حجمه عند الاستحالة أرضا . وأما أمر كون الشمس ٢٠

(١) هذه : هذا م (٢) أو نقلها (الأولى والثانية) : ونقلها ب . (٣) إذ : لأن د ؛ لكن سا (٤) بالتبخير : ساقطة من د ، سا م ، || من (الثانية) : + جهة سا . (٥) منها : منها ط ، م (٦) هذا : هذه ب (٨) وتحجيرها : وتحجير ب || انكشف : انكشفت ط . (٩) فإذا : وإذا ب ، سا (١٣) وإذا : وإذا د ، م || وجد : وجدوا م || في : ساقطة من م (١٥) فيه : ساقطة من ط (١٧) برهان : البرهان م (١٧) الأرباع : أرباع م (١٨) إذ : إذا م .

في ناحية الجنوب أقرب إلى الأرض ، ووجوب تسخين قوى بسبب ذلك ، فليس ذلك مما يقع به تفاوت بعيد فإن خروج الشمس عن المركز ليس بالكثير ، وليس مما يوجب جزم القول بأن العبارة لا تحتل أن تكون عنده .

وانفرض أن ماتحت مدار نقطة الجدى قد يشتد حره ، فليس يبعد أن يكون الإجماع إلى ناحية القطب الجنوبي يتدارك ذلك ، فيكون إمكان العبارة هناك أوغل من إمكان العبارة في القطب الشمالى . فهذا الريح يشبه أن يكون حده الجنوبي وهو خط الاستواء مختارا في أكثر المواضع على البحر . ويشبه أن تكون العبارة التى تتعدى ذلك إلى الجنوب عمارة لا يعتد بها ، ولا يكون أولئك الناس ناسا يعتد بهم وهم مع ذلك جزيريون ليسوا مقيمين على بر متصل بالبر الأعظم . ثم يشبه أن يكون حده الشمالى حيث ارتفاع القطب ، مثل تمام الميل . ولم يتبين لنا بعد أن مثل ذلك الموضع ووضع يصلح لتوالد الناس فيه ولمقامهم الدائم فيه أولا يصلح لذلك ، بل يمكن أن يسافروا إليه في الصيف ولا تكثر هناك إقامتهم . وعسى أن يكون ذلك الموضع أو ما ورائه إن لم يكن صالحا لأن يتوالد فيه الناس ، كان صالحا لأن يتولد فيه حيوانات مخصوصة .

وجميع هذه الأحكام متى ظنية ، ولا أجزم في شيء منها . فلنضع أولا أنه لا مانع بسبب البحر ، ولنعتبر المانع إنما هو بسبب قرب الشمس وبعدها الذى هو سبب الحر والبرد ، ولننظر في الأحكام التى يوجبها ذلك في الأقاليم .

فتقول : إن قوما جعلوا كرة الأرض مقسومة بخمسة أقسام ، تفصلها دوائر موازية لمعدل النهار . فن ذلك دائرتان تفصلان الغامر الخراب من العالم ، بسبب القرب من القطب وشدة البرد ، إحداهما شمالية والأخرى جنوبية . وهاتان تفصلان من الأرض قطعتين طبائيتين تحيط بكل واحدة منهما طائفة من محيط الكرة وسطح مستقيم ،

(١) أقرب : ساقطة من د || بسبب ذلك : بسببه د ، سا ، ط ، م (٢) بعيد : يعتد به سا ، ط (٥) أوغل : أوغل م (٧) أكثر : الأكثر م (١٢) ولا تكثر : ولا تمكن ب ، ولا يمكن طا || هناك : هنا ط (١٣) لأن يتوالد : لا يتوالد م || لأن (الثانية) : أن د ، سا (١٤) أجزم : جزم د || أولا : ساقطة من د ، سا (١٨) تفصلان : مفصلان ط || الغامر : الغامر من الأرض والدورخلاف الغامر [اللسان] || الغامر : الغامر سا ، ط ، م || الخراب : والخراب د ، ط (١٩) وهاتان : وهذان ب ، ط .

والحد المشترك بينهما دائرة . وأما الحد بين الناصر والناصر من جهة الحر عندهم ، فهو ما بين البلاد التي تكون خارجة عن مجاز الشمس إلى الأرض المحترقة التي تحاذيها الشمس بمدارها ، فتسخنها تسخيناً لا يحتمل عندهم الحيوان المقام فيه . وهو مكشف بين العاريتين ، فتكون الأرض المحترقة محدودة بدائرتين شمالية وجنوبية تليهما من جهة القطبين عمارتان ، فتكون ثلاثة قطوع دُفِيّة يحيط بكل واحد منها من الجانبين سطحاً دائريتين ، ويصل بينهما سطح دُفِيّ ، وكذلك تكون هيئة العاريتين . لكن السطحين المحيطين بكل واحد منهما لا يكونان متساويين ، بل الذي إلى القطب يكون أصغر . وأما سطحاً دُفِيّ الأرض المحترقة عندهم فتساويان .

فهذا هو قول قدماء المشائين ، وليس التحقيق والوجود على ما حكوه . فإن ها هنا بلاداً عروضا أقل من الميل ، والشمس تسامت الزوس فيها مرارا ، وهي طامرة . وقد وجدت بلاد تقرب من خط الاستواء ، بل قد دُونَ الثقات أحوال بلاد موضوعة في خط الاستواء ومنها سرنديب . والقياس يجوز ، بل يوجب أن تكون بقعة خط الاستواء أصلح المواضع للسكنى وأولاها بالاعتدال ، ولكن ذلك لا يفهم إلا بعد تقديم مقدمات ، فإنه يجب أن تتحقق أسباب شدة تسخين الجو وأن تعرف أيضا كيفية ملائمة ذلك للسكان وغير ملائمة .

١٥

فنقول : بالحرى أن يكون السبب الأول في سخونة الجو الذي يليها هو الشمس وليس ذلك لأن الشمس حارة ، ولا لأن الشمس تقهر شيئا من النار وتقره ، ولا لأن الشعاع شيء ناري ينفصل منه . فقد علمت أن للفلك طبيعة ، يحالها غير هذه الأربع ، وعلمت من خلال ما مضى لك أنه لا يجوز أن يكون الشعاع الشمسي يقهر النار إلى الهبوط ، وستعلم أيضا أن الشعاع ليس جمعا أو قوة تأتي منتقلة من الشمس إلى الأرض مارة في الوسط ؛ بل هو شيء يحدث في المقابل القابل للضوء دفعة إذا توسط بينهما جسم لا يمنع فعل ذلك في هذا بالموازاة ؛ وذلك الجسم هو الشاف . لكن الجسم القابل للحر ، إذا أضاء سخن ،

٢٠

(٢) مجاز : مدار ط (٤) القطبين : القطعتين م (٥) يحيط : محيط ط
(٦) واحد : واحدة ط ، م (٧) متساويين : مساويين ب (١١) قد : ساقطة من م (١٢) سرنديب : سريب ساء سرانديب ط (١٨) هذه : هذا ط . (٢١) جسم لا يمنع : ساقطة من م (٢٢) في هذا : وهذا م || الجسم (الأولى) : بالجسم م .

وكلما اشتدت الإضاءة اشتد الحر . وليست الحرارة إنما تشتد في الصيف بسبب أن الشمس تصير أقرب مسافة منا ؛ بل هي أبعد حينئذ مسافة ، لأنها أوجية ، لكنها في الصيف أقرب مسافة ، وهي في الشتاء أقرب مسافة وأبعد مسافة . والشعاع الذي يقع من الشمس يكون كأنه شيء يفيض منه على دارة مخروط أو اسطوانة مثلا ، وتكون واسطته ، وهو الذي لو توهمناه شيئا متصلا بين الشمس وبين المستضيء ، كان خارجا من مركز الأرض ، نافذا في وسط تلك الصورة كالمحور أو كالمهم ؛ هي أشد المواضع تسخيناً لأنه أشد المواضع إنارة ، لأن الأطراف أضعف في التأثيرات من الواسطة المكتنفة من كل جهة بالسبب المقوى ، فما يستقط عليه هذا السهم المتوهم يكون أشد إضاءة فلذلك يكون أشد سخونة ، وما يبعد عن هذا السهم يكون أقل إضاءة فيكون أقل سخونة ، أعني السخونة التي تلزم من نفس المسافة المضئة فقط . ١٠

والذي يقال من أمر التفاف الأشعة ورجوعها على زوايا حادة تارة ومنفرجة أخرى ، فهو تشبيه لا حقيقة له . فإن الضوء لا ذات له في الجوابية ، وكل ما له ضوء فإنه يرى والجو لا يرى البتة ، بل هو شاف . لكن ليس كل ما يسخن الجو من الشمس إنما هو بهذه المسافة ، وإلا لكان الحر والشمس في نقطة السرطان أشد منه وهي في نقطة الأسد ؛ وليس كذلك ، وإلا لكان الحر والشمس في نقطة الجوزاء مساويا للحر وهي في نقطة الأسد ، والحر وهي في نقطة النور مساويا للحر وهي في نقطة السنبلة ، وليس الأمر كذلك ، وكانت البلدان التي هي أقرب إلى مجاز الشمس لا تكون البتة أبرد من البلاد النائية عنه ، وقد يكون كثيرا . ١٥

وبالجملة فإن الشمس لو كان يجوز لها أن تنتقل دفعة إلى نقطة السرطان ، لكانت لا تسخن البلاد التي تحتمل تسخيناً شديداً مفرطاً ، بل كان يكون إلى حد ما . وهذا مثل ٢٠

(١) الحر : الضوء م (٦) تلك : هذه ب ؛ ذلك ط (٨) المقوى : القوى ط
 || إضاءة : إنارة د ، سا ، ط ، م (٩) سخونة (الثانية) : إضاءة د ، سا ، م . (١٢) له (الأولى) :
 لها ط (١٣) والجو : والضوء سا (١٣-١٤) بل هو شاف . . المسافة : ساقطة من م
 (١٣) لكن : لكنه ط || ما يسخن : تسخين د ، سا ، ط (١٤) وهي : وهو ب ؛ والشمس م
 (١٨) عنه : عنها د ، سا ، ط ، م .

النار التي تدخل بيتا ما دفعة ، فإنها لا تؤثر تأثيرا كبيرا ، وإنما تؤثر بالمدامومة ؛ فإن المدامومة تزيد كل وقت حرا إلى حر ، وتجعل الهواء أيضا شديد الاستعداد للتسخن . ولهذا ما تكون الحرارة بعد زوال الشمس في الصيف أشد منها قبله ، والنسبة واحدة .

فهذه البلاد التي تليها تعرض لها أن الشمس تقرب منها بتدريج يتقدمه تسخين بعد

- تسخين ؛ ثم إذا وازاها وحاذها ، عرض أن يقيم عندها مدة لا تنحى عن رؤوسها ،
 لأن الميول عند قرب من المنقلين تقل وتضجر جدا ؛ ثم إن كانت تسامت الرأس
 وتجاوزها ، عاودت المسامته عن قريب ، ويكون النهار أيضا طويلا والليل قصيرا ،
 فيدوم إلحاح الشمس عليها بالتسخين ، لكون مددها متقاربة ومع ذلك طويلة ، ومع
 ذلك حافظة لثرب واحد من الشمس ، فيكون الحر متجاوزا للحد .

- وَأما في خط الاستواء ، فإن الشمس تباع المسامته دفعة ، لأن الميول هناك تكثر
 وتتفاوت تناوتا لا يؤثر إلا أثر المسامته والمغاوضة ، ثم تبعد عن سمت الرؤوس بسرعة ،
 ولا تلح عليها ، وتأخذ كل ساعة تزداد بعدا إلى أن يبعد الميل كله ، غير ملحة ولا للجوج ،
 ويكون النهار مساويا لليل في الطول والقصر . ثم لا تعود إلى سمت الرأس عن قرب ،
 بل إلى نصف السنة . ثم تكون المسامته خفيفة على الجملة المذكورة . ثم تأخذ في البعد ،
 فلا يشتد الحر جدا ، لما قلناه ، ولا يشتد أيضا البرد .

١٥

وذلك لأن بلادنا وخصوصا حيث نحن ، فقد يكون بعد الشمس فيها عن سمت
 رؤوسنا ضعف الميل ، وزيادة بعد سمت رؤوسنا عن مدار البروج . فيعرض برد شديد ،
 ثم يتعقبه حر شديد ، وتبلى الأبدان بالانتقال من ضد إلى ضد . وأما هناك فلا ينتقل

(١) فإنها : فإنه د ، سا ، ط (٢) للتسخن : للتسخين ط . (٣) قبله :

قبلها د ، سا ، ط (٤) تسخين : وتسخن ط ، وتسخين م . (٥) تسخين : تسخن ط ||

وازاها : زاوتها || وحاذها : وحاذتها || مدة : + كبيرة د ، سا ، ط (٦) من : ساقطة

من ب ، د ، سا ، م (٧) وتجاوزها : وتجاوز ب ، د ، سا ، م (٨) ومع : مع م

(١١) المغاوضة : غافض الرجل مغاوضة ، أخذه على غرة [اللسان] (١٢) ولا للجوج : ساقطة من ط

(١٣) قرب : قريب د ، ط ، م (١٤) تكون : ساقطة من م || خفيفة : حقيقة د .

من ضد إلى ضد ، بل إنما ينتقل من واسطة اعتدال إلى حد غير بعيد . ولو كان هناك
 حر دائم وكانت الأبدان هنالك قد نشأت على مزاجه ، لا تنفعل عنه كثيرا ، ولا يعرض
 لها خروج بعيد عما نشأت عليه ، لكانت لا تحس بأمر مغير ، فكيف وليس هناك إفراط
 البتة . وللابدان ملاءمة لما نشأت عليه ، حتى لا تنفعل عنه كثيرا . تأمل ذلك في حال
 • أبدان الترك ، فإنهم لا ينفعلون من برد بلادهم انفعالا شديدا ، ولا الحبشة ينفعلون من
 حر بلادهم انفعالا شديدا . وربما كان البدوي بخراسان يشكو البرد ، في وقت ما يكون
 الخراساني يشكو الحر في وقت واحد . وقد شاهدت هذا بخارا من حال بدوي حضرها
 في ماه أردى بهشت أو خرداد وقد تسلط بها أكثر الحر وهو يرتعد ويتزمل ويستغيث من
 البرد ، وأهل البلد يتأفون من الحر ؛ لأن مزاج العربي ألف مزاجا حارا ، وألف الآخر
 ١٠ مزاجا باردا ؛ فيكون ذلك المزاج باردا بالقياس إلى الأعرابي ، حارا بالقياس إلى
 البخاري بحسب مزاجه الذي له في ظاهر بشرته .

وأما خط الاستواء ، تتكون الأحوال فيه متقاربة . فمن يكون منشأه في ذلك المزاج
 لا يحس البتة بتغير ببلاده محسوس ، ويتشابه عنده حال هواء بلده ، ويكون كأنه
 في ربيع دائم ، اللهم إلا أن يتفق هناك من أسباب الحر غير ما هو منسوب إلى قرب
 ١٥ الشمس وبعدها من الأسباب التي نذكرها .

فهذا هو المذهب الصحيح الحق ، فهكذا يجب أن يتصور حال المعمورة ، من جهة
 تأثير الشمس فيها . لكن البلاد أيضا قد يختلف حرها وبردها بسبب آخر ، وهو أن البلاد
 المشرفة ، أبرد من الغائرة والتي بينها وبين الجنوب جبال . وناحية الشمال واضحة برية من
 الجبال ، أبرد من التي الجبال فيها شمالية لسبيين : أحدهما أن الشمس لا يستوى تسخين

(٢) هنالك : هناك سا ، ط || ولا يعرض : فلا يعرض ب
 (٤) حتى : ساقطة من ط (٥) الحبشة : الحبشية ط (٨) ماه أردى بهشت :
 ماه أردى بهشت ب ؛ أردى بهشت د ؛ أردى بهشت سا ، م || ويتزمل ويستغيث : ويستغيث ويتزمل سا ؛
 ويتزمل ليستغيث م . (٩) مزاج : المزاج د || ألف : ألف د || وألف : وألف د ||
 الآخر : الآخرون ب ، ط (٩ — ١٠) وألف . . . باردا : ومزاج الأعراف مزاجا باردا م (١١) في :
 ساقطة من م (١٣) ببلاده : ببلاده ط (١٥) وبعدها : وبعده ط (١٦) من : ومن سا || من جهة :
 ساقطة من د || جهة : جهته ط (١٩) لسبيين : بسبيين د || أن : لأن سا ، ط ، م || تسخين :
 تسخين ب .

ما ينعكس عنه حرها بمقابلها ، وما ينعكس في جهة مخالفة لها . والثاني من جهة الريح . فإن الشمالية تبرّد ، والجنوبية تسخن ، وأيهما حبس بسد حبس مقتضاه .

- وإذا تشابهت البلاد في هذه الأحوال فالشمالية أبرد من الجنوبية ، وإن اختلفت في هذه الأحوال جاز أن تكون الشمالية أسخن من الجنوبية . وأما اختلافها في أنها شرقية وغربية ، فلا يوجب اختلافا في الحر والبرد إذا كان عرضها واحدا . والذي قيل : إن الشرقية إنما هي أسخن من الغربية ، بسبب أن الغربية تكون الشمس آخذة عنها في حركتها وودعة إياها ، والشرقية تكون آخذة إليها في حركتها ؛ فهو كلام من لا بصر له البتة . فإن كل نقطة من الأرض تأخذ إليها الشمس ، وتأخذ عنها بالسواء ؛ وليس الشرق شرقا والغرب غربا ، إلا بالإضافة ؛ فإن كان الشرق أسخن من الغرب ، فيجب أن يكون السبب فيه البحر الذي خلفه والذي عن الجنوب منه ، فإن الشمس قبل أن توافي سمت الرأس منهم ١٠ تسامت البحر وتجرى عليه فتثير بخارا حارا كثيرا . وكذلك إذا حاذت الناحية لم تعدم بحرا قريبا . والبلاد البحرية تسخن بمجاورة البحر إذا كان بحرها يتجر كثيرا ، ثم يشتد عنها انعكاس الشعاع إلى البخار بحيث يؤثر في البخار ويحميه . وإن لم تكن هذه العلة موجودة كانت مجاورة البحر مما يبرد بسبب برد الماء .

- وأما ناحية المغرب ، فالشمس لا تأتينا ولها مرور بمر معتمد به ؛ بل البحر منهم ١٥ إلى الغرب في قربهم ، وخليج يأخذ من شماله إلى جنوبه ، ولا يبلغ قرب مسامحة منطقة

(١) بمقابلها : بمقابلتها سا || وما ينعكس : أو ما ينعكس م . (٣) اختلفت : اختلف ط . (٤) في (الأولى) : ساقطة من ب (٣ — ٤) وإن . . . الجنوبية : ساقطة من سا (٥) عرضها : عرضهما ط ؛ عرضا م (٧) والشرقية : والغربية م (١١) كثيرا : كثيرة م ؛ ساقطة من ب || حاذت : حاذى ب ، د ، سا ، ط || الناحية : التي ط || بحرا : حراً م . (١٣) بحيث . . . البخار : ساقطة من م . (١٥) ناحية : ساقطة من ب ، د ، سا ، ط || فالشمس : فإن الشمس م || معتمد : يستند (١٦) الغرب : المغرب ب ، د ، سا ، م || قرب : + من م .

البروج ؛ ومدار الشمس جنوبى عنهم ، فلا يحاذى الخليج الشمالى ولا يسامته . فإذا
 حاذت البحر الذى وراءهم ، كانت آخذة فى البعد منهم
 ومما يجب أن يعلم أن لمرات الكواكب تأثيرات فى الحر والبرد ، وفى سائر الأحوال ،
 وإن كانت مما لا يدرك . والله أعلم .

(١) فلا : ولا ب || فإذا : وإذا د ، سا (٢) حاذت : جاوزت ط (٣) لمرات : للدرات ط
 || وفى : فى م (٤) مما : ساقطة من ب || والله أعلم : ساقطة من ب ، سا ، ط ي تمت المقالة
 الأولى من الفن الخامس من جملة الطبعيات بحمد الله وحسن توفيقه د .

المقالة الثانية

وهي تشتمل على الأحداث والكائنات التي لا نفس لها ؛
مما يكون فوق الأرض . وهي ستة فصول

[الفصل الأول]

(١) فصل

في السحب وما ينزل منها وما يشبه ذلك

فنعول أولا : في كيفية تولد السحاب : إن السحاب جوهر بخارى متكاثف طاف في الهواء ، ومن شاء أن يتأمل ذلك أمكنه ، إذا حصر الجبال الشاخمة ، وتأمل تكون السحاب فيها . وهذا الجوهر البخارى كأنه متوسط بوجه ما بين الماء والهواء ، فلا يخلو إما أن يكون ماء قد تحلل وتصعد ، أو يكون هواء قد تقبض واجتمع . وقد يعرض تكون السحاب من كلا الوجهين جميعا . وذلك أنا كثيرا ما شاهدنا الهواء يبرد في أعالي الجبال الباردة فينقبض بعد الصحو سحبا دفعة ، ثم يثلج . وقد شاهدت هذا بمجبل طبرستان عند ويمة ومجبال طوس . وأما تصعد البخار وانعقاده سحبا مائرا ، فذلك أمر قد شاهدناه كثيرا في كل البلاد الجبلية . وهذا البخار ليس يحتاج كل مرة أن يبلغ الموضع البارد الشديد البرد في الجو ، فقد شاهدنا البخار وقد صعد في بعض الجبال صعودا يسيرا حتى كأنه مكبة موضوعة على وهدة تحتها قرية ، إحاطة تلك الوهدة لا يبلغ نصف فرسخ .

وكما نحن فوق تلك الغمامة في الصحو وكان الهواء خريفا ليس بذلك البارد جدا ، فكان أهل القرية يمتطرون من تلك الغمامة . فعلمنا أن البخار كثيرا ما يؤدي به تكاثفه وتواتر مدده وبطء حركته المصعدة إياه إلى فوق ، فيحوج إلى أن يتكاثف ويقطر مثل المعصور ، وربما أحوجته الرياح إلى ذلك إما مانعة إياه عن الصعود بحركتها فوق ، وإما ضاغطة إياه إلى الاجتماع بسبب وقوف جبال حائلة قدام الريح أو بسبب اختلاف رياح متقابلة ، وإما لإلحاق المتأخر بالمتقدم الواقف والصاقيه به من غير أن يكون حاجز من قدام ، وإما لشدة بردها فيكثف به السحاب .

(٢) فصل : فصل ١ ب ؛ الفصل الأول م (٩) فينقبض : فيقبض ط

(١٠) طوس : + أيضا د (١٢) فقد : وقد ب || وقد : قد ط || حتى : + كان م

(١٤) الصحو : الشمس ب ؛ الصبح د ، سا ، م || خريفا : خريفا م (١٧) مانعة :

المانعة د ، سا ، م ؛ المانعة ط || بحركتها : لحركتها سا (١٩) بالمتقدم : بالمقدم م || به :

ساقطة من م (٢٠) فيكثف : فكثف ب .

وإنما يكثر المطر بأرض الحبشة مع حرارتها لاندفاع الأبخرة إليها وانضغاطها في جبالها وهي بين يدي رياحها . وأما في أكثر الأمر فإن الأبخرة تتصعد وتعلو إلى الحيز البارد من الهواء فتبرد ويعين ذلك انفصال ما ينفصل عنها من الدخان الحار اليابس الذي نذكره . وقد شاهدنا ذلك الانفصال على بعض قُلل الجبال . فإذا بردت بالسحب انعقدت هناك غماما ، ثم يستحيل ماء فيثقل فينزل . والدَّيْمَةُ والوابل إنما تكون من أمثال هذه الغيوم . وأما ما كان من جنس الغيوم الأولى ، فإنها تصب شيئا وتنقشع ، وإنما مثلها مثل الطل ، فإن الطل ليس يتكون من سحب ، بل من البخار اليومي المتباطيء الصعود القليل المادة إذا أصابه برد الليل وكثفه وعقده ماء ينزل نزولا ثقيلا في أجزاء صغار جدا لانحس بتزولها إلا عند اجتماع شيء يعتد به ، فإن جمد كان صقيعا .

وهذا السحاب يعرض له كثيرا أنه كما يأخذ في التكاثف ، وفي أن يجتمع فيه حب القطر ، يجمد ولم تتخلق الحبات بحيث تحس فينزل جامدا فيكون ذلك هو الثلج ، ونظيره من البخار الفاعل للطل هو الصقيع . وأما إذا جمد بعد ما صار ماء وصار حبا بكارا ، فهو البرد . وأكثر البرد إنما يكون في الربيع والخريف ، ولا يكون في الشتاء . وذلك لأن البرد الشدوى إن كان شديدا ، فمل الثلج ، وأجمد السحاب ، ولا يمهله ريحا ينعقد حبا ، وإن كان ضعيفا ، لم يفعل شيئا .

وأما في الربيع والخريف فإن السحاب ما دام لم يتكاثف بعد تكاثفا يعتد به يكون الحر مكتنفا إياه فلا يجمد نالجا ، حتى إذا استحكم استحسافه وأحاط به الهواء الحار والرياح القوية الحارة ، هربت البرودة دفعة إلى باطن السحاب ، واستحسف السحاب دفعة

- (٢) وهي : ومن د ، سا ، ط ، م (٣) فبرد : وتبرد ، ط ، م (٤) قلل : تلك م (٥) والدَّيْمَةُ : دامت المياه تديم مطرت ديمة [اللسان] || والوابل : الوابل م . (٧) ليس يتكون : لا يتكون ب || سحب : السحاب سا || الصعود : بالصعود ب (٨) أصابه : ضربه ب ، د ، سا ، ط || ينزل : فينزل ب ، م (١٠) كما : ساقطة من م || أن : أنه م || فيه : منه سا (١١) تحس : ساقطة من م (١٣) إنما : دائما د ، سا || ولا يكون : لا يكون م || وذلك : ساقطة من د ، سا (١٤ — ١٥) كان شديدا ... وإن : ساقطة من د (١٤) ولا يمهله : ولم يمهله سا (١٦) يكون : فيكون ط ، م (١٧) فلا يجمد : ولا يجمد ب (١٨) دفعة (الأولى) : دفعا ط .

على ما علمت من التعاقب المشروح فيما سلف صورته . ويكون الاستحصال قد جمع البخار قطراً ، قد عرض له استعداد شديد للجمود لخلخلة الحر إياه . كما أن الماء الحار أسرع جوداً من البارد ، فيجمد وقد صار قطراً كباراً . ولذلك ما يكون البرد في الخريف أكثر لأن الصيف يكون قد أفاد الأجسام زيادة تخاقل ، والمتخلخل أقبل لآثير البرد والحر جميعاً .

٥

- ولا يظن ظان أن البرد يكون أجزاء صفار جامدة ، ثم تتصل في الجو فإن اليابس الحامد يعسر اتصاله . ولكن السبب ما أشرنا إليه من التحام يقع دفعة لأجزاء السحاب يستحيل به ماء بقة ، أو بعدما انتظم فيجمد حبا كباراً ، أولاً لأنه ينزل رش مطر . وكلما يجتمع حينئذ يضربه البرد ، لاسيما إذا وافى حيز الحرارة . فإن الفعل العرضي من الحرارة حينئذ ، يكون أشد . على أنه قد يتفق أن يكون من أسباب تكون البرد مغافصة ريح باردة لسحاب حار قريب من الأرض فيجمعه بحركته جمعا ، وتجد أجزاءه يبرده ، وقد شاهدنا هذا أيضا . وما كان من البرد نازلا من سحب بعيدة ؛ يكون قد صغر وذاب واستدار لذوبان زواياه بالاحتكاك في الجو . وأما الكبار وخصوصا التي لا استدارة فيها ، فهي التي تنزل من سحب دوان . ولو كانت المادة غير جامدة لكان منها المطر المسمى بالقطقط . فإن المطر يمرض له أن تكون أجزاءه في ابتداء تكونه صفارا جدا ثم تجتمع وتكبر ، ويعرض له مرة أخرى في الانحدار إذا طالت مسافتها أن تنفصل ماء وتجزأ كالماء . فإنك إذا صبهته من موضع عال ، وافى القرار وقد تشتت وتفرق . وإنما يصير برداً بعد الاجتماع الأول أو معه .

(١) الاستحصال : الاستحباب ط ؛ الاستحباب م (٢) قد : ساقطة من د ، سا || لخلخلة : بخلخلة ب ، د (٣) البرد : للبرد ط ، م (٤) لتأثير : التأثير م (٥) جميعا : + وحكى أن صيادی السمك في الشخص [بالثبص سا] في البرد الشديد إذا شق عليهم إمساك القصة الصقوها بمتكا وصبوا عليها هناك ماء حارا بسرعة ويمسكها بخ ، سا (٦) ولا يظن : ولا يظن د ، سا (٨) به : ساقطة من ط || وكلا : فكبا ، سا ، ط ؛ وكما م . (٩) حينئذ (الأولى) : ساقطة من د || يضربه : يضربه ط ؛ يضربه م || العرضي : العرض د ، م (١٠) لسحاب : بسحاب سا . (١١) فيجمعه : فيجتمع ب || شاهدنا : شاهدناه ب ، ط || هذا : ساقطة من ب . (١٢ — ١١) هذا أيضا : ساقطة من ط (١٤) بالقطقط : بالقطقط م (١٥) ابتداء : أول ب || تجتمع : يجمع ط (١٦) صيته : أصبه م (١٧) تشتت : تشتت ط ؛ تشذب سا ، م .

وقد حدثت أن ببلاد الجبل قطعة بردة وقعت من السماء فنقلت إلى بدر بن حسنويه
ترن كذا منا . ويقل البرد في الصيف ، لأن البخار الرطب الثقيل يقل فيه ، وفي الشتاء
لأنه يجمد سحابا ، ويكثر في الخريف ، إذا استفادت الأرض بلة بالأنشف وقوى فيها
لقلة التحلل وبمعونة الليل . فإذا تحللت مع قوة من الحرارة معتدلة ، كانت مادة بخارية
تصعد إلى الحيز المولد للبرد ، ولا تصعد إلى الحيز المحلل لأصل المادة .

فهكذا يتولد المطر والتلج والبرد والطل والصقيع . وأما الضباب فهو من جوهر الغمام
إلا أنه ليس له قوام السحاب لما كان منه منحدرًا من علو وخصوصا عقيب الأمطار ،
فإنه ينذر بالصحو . وما كان منه مبتدئا من الأسفل متصعدا إلى فوق ولا يتحلل فهو ينذر
بالمطر .

ويجب أن تعلم أن نسبة المطر إلى الثلج نسبة الطل إلى الصقيع . وللرياح تأثير في تكون
الثلج والصقيع . كما أن لها تأثيرا في تكون المطر والثلج ، وإن اختلف وجه التأثير . فإن
الرياح الشمالية تفعل في الأكثر صحوا لقرب مهايتها منا ، فإنها تجتمع في آخر مهايتها .
وإنما تولد عندنا الغيوم إذا هبت منا بعيد ، وبالجملة هي رطبة وإن أقشمت . والرياح
الجنوبية جماعة للغيوم عندنا ، وإن كانت طاردة لها في مبادئ مهايتها . لكن الشمالي
مع ذلك ثلجي والجنوبي مطري والشمالي صقيعي والجنوبي طلي ، إلا في بلاد بنواحي
طوس فإن الشمالي بها لم يبرد بعد لأنها مبتدئة ، والجنوبي قد برد بما اجتاز عليه .

(١) أن : أنه حدثت م || قطعة : ساقطة من م (٢-٥) ويقل البرد . . . لأصل المادة :
ساقطة من م (٣) استفادت : استعادت د ، سا || بالأنشف : أصل الأنشف يسكون الشين دخول الماء في الأرض
والثوب [السان] (٤) . ومعونة : ولمعونة د ، سا ، ط . (٥) تصعد إلى (الأولى) : تجدد د ، سا ، ط || الحيز :
الحرسا ، ط || ولا تصعد : ولا تجدد د ، سا ، ط || إلى الحيز المحلل : الحيز المحلل د ، السا ، ط .
(٧) منه : ساقطة من ب ، م (٨) متصعدا : ومتصعدا د ، سا || ولا يتحلل :
لا يتحلل ط ، ولا يتحلل م (١٠-١١) وللرياح . . . والصقيع : ساقطة من ط (١٢) الشمالية : الشمالية م
|| تجتمع : تجدد د ، م (١٣) بعيد : بعيد سا ، ط || أقشمت : أقشمت ط . (١٤) جماعة : جرعه ط
|| الشمالي : الشمال ب ، د ، سا ، م (١٥) والجنوبي (الأولى) : والجنوب ب ، د ، سا ، م || والشمالي :
|| الشمال ب ، د ، سا ، م || والجنوبي (الثانية) : والجنوب ب ، د ، سا ، م || بنواحي : بنواحي ب
(١٦) طوس : قطوس ب ، قطوس سا ، م ، قطوس ط || الشمالي : الشمال ب ، د ، سا ، م
والجنوبي : والجنوب ب ، د ، سا ، م || يبرد : يبرد د ، سا ، ط ، يبرد م || بما : بما د ،
سا ، ط ، م || اجتاز : اجتازت م .

وإذ قد بينا هذه المعاني فيجب أن نعلم أن جميع الآثار العلوية تابعة لتكون البخار والدخان ، وذلك لأن الحرارة السماوية إذا أثرت في البلة الأرضية أصعدت منها أبخرة ، وخصوصا إذا أعانتها حرارة محتقنة في الأرض ، فالتصعد من جوهر الرطب فهو بخار وصعوده بطئ ثقيل ، وما يصعد من جوهر اليابس فهو دخان وصعوده خفيف سريع .
والبخار حار رطب ، والدخان حار يابس ، وقلما يتصعد بخار ساذج أو دخان ساذج ، بل إنما يسمى الواحد منهما باسم الغالب ، وفي أكثر الأمر فيصعدان من الأرض مختلطين .

لكن البخار ينتهي تصعده إلى حد قريب ، والدخان إذا كان قويا انفصل عنه مرتقيا مجاوزا إياه إلى حد النار . وقد شاهدنا انفصال الدخان عن السحاب ، ونحن في قلل جبال شاهقة . ورأينا المنفصل الدخاني يخلف سطح السحاب المتراكم من تحت ، ويسرع إلى فوق وهو أسود يُشم منه رائحة الحريق . فالبخار مادة السحاب والمطر والتلج والطل والجليد ، وعليه تترأى الهالة وقوس قزح والشمسيات والنيازك . والدخان مادة الريح والصواعق والشهب والرجوم وذوات الاذئاب من الكواكب والعلامات الهائلة . وسيرد عليك تفصيل جميع ذلك .

(٢) لأن : أن د ، م || المائية : المايوة د ، سا (٣) حرارة : أبخرة سا
(٤) وصعوده بطئ . . . وصعوده : وصعود م (٥) حار (الثانية) : ساقطة من م || وقلما : قلما م .
(٧) ينتهي : ينتهي ب ، د ، سا || تصعده : مصعده د ، سا . (٩) جبال : الجبال
ط ، م ؛ ساقطة من سا (١١) والطل : + والصقيع د ، ط || والشمسيات : والشمسيات ط .

[الفصل الثانى]

(ب) فصل

فى المقدمات التى توطأ لتعليم

السبب الفاعل للهالة وقوس قزح وسائر ما يشبههما

٥ فلنقدم أولشئ، ولنعرف حال الخيالات التى تتكون فى الجو ، مثل الهالة وقوس قزح والنيازك والشمسيات ؛ فإن هذه كلها تشترك فى أنها خيالات . ومعنى الخيال هو أن يجد الحس شبح شئ مع صورة شئ آخر ، كما نجد صورة الإنسان مع صورة المرأة ، ثم لا يكون لتلك الصورة انطباع حقيقى فى مادة ذلك الشئ الثانى الذى يؤيدها ويرى معها . كما أن صورة الإنسان لا تكون منطبعة بالحقيقة ولا قائمة فى المرأة ، وإلا لكان لها مظهر معلوم ، ولما كانت تنتقل بانتقال الناظر فيه ، والمرئى ساكن . ١٠

والمذاهب المعتمدة فى إدراك البصر لهذه الأشباح ثلاثة مذاهب :

مذهب أصحاب الشعاعات ، وهم يرون أنه يخرج من البصر شعاع فيمتد هو بنفسه إلى الصقيل الذى هو المرأة ويحيل ما يشوبه من الشعاع الذى فى العالم إلى طبعه ويحمله كالآلة له ، فيلقى الأملس ، ثم ينعكس عنه مارا على الاستقامة ، حتى يلقى شيئا يقابل ما انعكس عنه ، فيدرك مع الأملس الذى هو المرأة وذلك الشئ ، فيخيل عنده أنه يدرك صورة ذلك الشئ فى المرأة . ١٥

قالوا : وليس الأمر كذلك ، وإلا لما كان المرئى ينتقل عن المرأة بانتقال الرأى ، ولما كان الرأى لا يرى بعد ما بين المرأة وبين المرئى ، والرأى يرى ذلك البعد وإن نظر فى المرأة .

(٢) فصل : فصل ب ، الفصل الثانى د ، م ، فصل ٢ ط . (٣) المقدمات : المقامات م || توطأ : يتوطأ ط || لتعليم : لتعلم ط . (٤) ما يشبهها : ما يشبهها ب ، د ، سا . (٥) أول : أولا ط || تتكون : تكون سا . (٩) منطبعة : طبيعية م . (١٠) الناظر : الناظر م . (١١) والمذاهب : والمذهب ب ، د ، سا ؛ فى المذاهب م || بها : به ب ، د ، سا . (١٢) يخرج : يخرج د || فيمتد : يمتد ط ، يمتد م . (١٣) ويحيل : أو يحيل ب . (١٤) له : ساقطة من م || عنه : عليه ب . (١٧) الأمر : ساقطة من ب ، م . (١٨) ولما كان : ولكن م || المرأة وبين : ساقطة من م || ذين : وما بين ط .

- ومذهب الطبيعيين المحصلين ؛ وهو أنه لا يخرج من البصر شعاعات البتة ، بل من شأن المرئى إذا قابل البصر وبينهما مشف ، والمرئى مضيء بالفعل ، أن صورته تتشبع في العين من غير أن يكون ذلك كشيء يخرج ويلقى المشف المتوسط وينفذ فيه إلى البصر البتة ، بل إنما يحدث الشبح في العين نفسها ، ويكون المشف المتوسط مؤديا بمعنى أنه يمكن من تأثير ذى الشبح بشبحه في العين . والعلامة التي بها يمكن إلقاء الشبح ، هو وقوع الضوء على ذى الشبح دون القابل . وهذه من الأفعال الطبيعية التي لا يحتاج فيها إلى مماسة بين الفاعل والمفعول ، بل تكفى فيها المحاذاة .

- وكذلك إيقاع الشعاع ، فإن اتفق أن كان الجسم ذو الشبح صقيلا تأدى إلى العين أيضا صورة جسم آخر ، نسبته من الصقيل نسبة الصقيل من العين ، لا بأن يقبل الصقيل في نفسه شيئا ينطبع فيه البتة ، بل يكون تأدى صورته سببا لتأدى صورة ما يكون منه ومن العين على نسبة مخصوصة . وأكثر ما يتمجب من هذا أنه كيف يرى ما لا يحاذى ولا تنطبع صورته فيما يحاذى ؟ وهذا ليس فيه إلا العجب والندرة فقط . ولو كانت العادة في التأثيرات الطبيعية جرت على أن هامتها تكون بالمحاذيات ولا تكون بالمماسة ، كما لا يبصر البصر الآن شيئا بالمماسة ، لكان إذا اتفق أن يقال في شيء : إنه يؤثر بالمماسة ، استندر ذلك وتعجب منه . وكذلك الحال في التعجب الذى يعرض من وجود جسم يؤثر على نُصْبَةٍ ١٥ ووضع غير متعارف ، مثله في تأثير سائر الأجسام . وأما أن هذا ممتنع ، فلا برهان عليه ، بل هو موجود واجب ، إذ كان من شأن الصقيل أن ترى مع صورته صورة شيء آخر ، وهو يؤديه من غير أن يقبله ؛ بل يكون ممكنا لذى الصورة من إيقاع شبحه في العين ، كما

(٢) وبينهما : بينهما ط (٣) وينفذ : ينفذ ط . (٤) بل : ساقطة من م || نفسها :

نفسه د ، سا ، ط (٥) بشبحه : لشبحه ط (٦) التي : ساقطة من ط (٧) والمفعول :

والمفعول ط (٨) وكذلك : فكذلك م (٩) آخر : ساقطة من م || الصقيل : (الأولى والثانية

والثالثة) : الصقيل ط (١٠) سببا : شيئا سا ، م (١١) من هذا : في هذا ط || ولا تنطبع :

ومالاتنطبع ط (١٣) أن : أنها ط || بالمحاذيات : بالمحاذات ط (١٤) استندر :

استنكر د ، ط ، م ؛ استنكر سا (١٥) وكذلك : فكذلك د ، سا ، ط ، م || يؤثر :

مؤثر ط || نصبة : نسبة ط [النصبة : السارية (لسان العرب)] (١٦) سائر : ساقطة سا ، ط ، م

(١٧) إذ : إذا د ؛ إن ط || الصقيل : الصقيل ط .

المشف ممكن ، إلا أن المشف يمكن مفارقا محاذيا حتى يؤثر ، وهذا يمكن مفارقا محاذي المحاذي . ثم البرهان يمنع من صحة غير هذا ، كما ستعلمه . والصوت قد يسمع من أى محاذاة اتفقت ، لأن له ناقلا ينقله الى السمع . وليس يتعجب من ذلك ولا يقال : لم ينقله ، ولم كان البقرع صوتا ؛ لأن ذلك كذلك نفسه وطبعه ، فكذلك ههنا .

٥ فهذا المذهب في تأدي الأشباح الى البصر، عكس المذهب الأول . ونحن سنتكلم فيه في غير هذا الموضع .

والمذهب الثالث ، مذهب من يقول : إن شبح المرئي يتصور كما هو في المرأة ، فإذا رؤيت المرأة بالمحاذاة رؤى أيضا الشبح المنطبع فيها . وهذا المذهب مضطرب لاحقيقة له . وهذا الانطباع قول لا معنى له ، لأن انطباع صورة شيء في شيء يوجب نوع من المحاذاة لا يتغير عن موضع إلى موضع بزوال شيء ثالث لا تأثير له فيه . كما أن الضوء إذا نقل على الوجه المحاذي لوتن الشيء مع انتقاله هكسا ، مثل ما يعرض للمائط أن ينحصر بسبب انعكاس الضوء عن الخضرة إليه . فإن ذلك اللون يلزم موضعا واحدا بعينه ولا يختلف على المتقلبين .

وأنت ترى صورة الشجرة في الماء ، ينتقل مكانها من الماء مع انتقالك . وفرق بين اللون المستقر في الشيء نفسه ، وإن كان في غيره ؛ وبين اللون الساطع إليه من غيره ، مادام محاذيا له بتوسط الضوء سطوعا مستقرا ، إلى أن تزول المحاذاة ، مثل البرق ومثل صيغ الياقوت لليد ؛ وبين الخيال الذي لاحقيقة ارتسام له .

فهذا المذهب لاحقيقة له ، بل الصورتان إنما تتحدان في الإبصار وإحداهما حلة بوجه ما لتأدي الأخرى إلى البصر . فإذا رؤيتا معا ، ظن أن إحداهما في الأخرى . وكيف كان

(١) المشف ممكن إلا : ساقطة من ط (٢) محاذاة : محاذات ط (٤) نفسه وطبعه فكذلك : ساقطة من سا || نفسه : لنفسه ب ، د ، م || فكذلك : كذلك ب ، د ، م (٧) فإذا : وإذا د ، سا ، ط ، م || رؤيت : رأيت ب ، ط (٩) المحاذاة : المحاذات ط || عن : من د ، سا (١٢) المتقلبين : المتقلبين م (١٤) وإن كان في غيره : ساقطة من ط || اللون : النور سا || الساطع : السامع د (١٥) المحاذاة : المحاذات ط || البرق ومثل : ساقطة من ب || البرق : الشرق د ، الشرق سا ، البرق ط (١٦) ارتسام : ارتسام م (١٧) فهذا : وهذا م (١٨) الأخرى (الأولى) : الأخر ط || رؤيتا : رؤيا ب ، سا .

فإن ههنا مرأى لا يشك في وجودها . وسواء أخرج من البصر شيء فانعكس هن المرأة إلى المرئى، أو كان تأثير من المرئى في الرأى بواسطة المرأة، فإن الأحكام التى نحن فى اعتبارها متفقة، لأن الأشكال والخطوط التى ترسم فيما بين ذلك تكون واحدة . فلهذا ما لم يشاق المعلم الأول في هذا الموضع من كتابه، بل استعمل انعكاس البصر، إذ كان ذلك أشهر وأعرف؛ وإذ لم يكن بين القول في الحس والمحسوس بعد، فجرى على المشهور . ٥

وأما تحقيق هذه الجملة، نفى الفن الذى يلي هذا الفن . وقد حاول قوم من الطبيعيين تعليم أسباب هذه الخيالات السحابية، ومحاولات متكلفة بعيدة من العقول، أحوجهم إليها ما هو متشدد فيه من التعصب على أصحاب الأشعة من الرياضيين، والتصلب في مذهب المشائين مع القصور عن الواجب من البصيرة، فصاروا الى جانب من المحال أشد من القول بالشعاع . حتى قال بعضهم : إن الهالة شكل تموج يقع في السحاب لصدمة نور الغير أو لتحليله وسطا ١٠ وتركه أطرافا متساوية البعد عن الوسط، وغير ذلك من أقاويل لا يقولها إلا من يتوهم أن الهالة مستقرة في سحاب معين .

فنقول الآن : إن الفرق بين الصور الحقيقية المنطبعة في موادها وبين خيالات الأشباح التى يظن أنها في المرايا، أن هذه تنتقل مع المتقل، والحقيقة تلزم مواضعها . وهذه يتخيل أنها تقرب مما يقرب من المرئيات مواجهها لها في المرايا وتبعد مما يبعد عنها، وتلك تلزم ١٥ مواضعها . وهذه توجد متخيلة في ظواهر أجسام صقيلة، وتلك لا تكون كذلك . وإذا كان الجسم الصقيل مشفا، ورأى مشفا بالفعل، لم يمكن أن يرى عليه هذا الخيال . فإذا رؤى عليه الخيال لم يؤد ما وراءه ولم يكن مشفا بالفعل حينئذ بالقياس إلى ما وراءه . وإن كان وراءه

-
- (١) مرأى : مرأى ب ، ط || وجودها : وجوده ب ، ط || وسواء : سواء م || أخرج : خرج ب ، سا ، ط ، م . (٣) ترسم : + منها ط . (٥) وأذلم : وأذا لم د ، سا ، ط ، م || فجرى : فجرى م . (٧) من : عن سا . (١٠) حتى : ساقطة من م || لصدمة : بصدمة ط || أول لتحليله : وتحليله ب ، بتحليله ط . (١١) أطرافا : أوساطا ب ، م (١٤) المرايا : المرأى د ، سا ، م ، المرأى المرايا ط || والحقيقة : والحقيقة ط (١٥) المرايا : المرأى د ، سا ، م (١٦) متخيلة : منحلة م || صقيلة : الصقيل ط (١٧) الصقيل : الصقيل ط || مشفا (الأولى) : + بالفعل ط || ورأى مشفا : ساقطة من م || ورأى : ورؤى د ، سا || رؤى : رأى ب ، ط (١٨) ولم يكن ... ما وراءه : ساقطة من م || بالفعل : ما وراءه : ساقطة من ب .

الجسم الشفاف جسم ذو لون محدد ، أرى هذا الخيال ؛ وإن لم يكن وراءه ما يحدده ، نفذ فيه البصر ، ولم ير هذا الخيال .

وهذه كلها مقدمات تجريبية . ونقول أيضا : إن المرأيا إذا كانت بحيث لا يحددها الحس ، لم يمكن أن يؤدي اللون والشكل معا ؛ فإن كانت صفارا ، أدت اللون ، ولم تف بأداء الشكل . لأن الجسم لا يمكن أن يرى مشكلا إلا وهو بحيث يتسمه الحس ، فكيف يرى ما لا ينقسم في الحس مشكلا ؟ وإن كانت مفردة ، فربما عجز البصر عن إدراك ما يؤديه من اللون أيضا . فإن كثرت وتلاقت ، أدى كل واحد منها اللون ، ولم يؤدي واحد منها الشكل . فاتصل من جملتها من تأدية اللون ما لو كانت متصلة متحدة ، لأدت مع ذلك اللون الشكل . وإذا كان المرئى في مشف ثان وراءه وبينهما سطح بالفعل ، فإنه يؤدي مقدار الشيء أعظم مما ينبغي أن يؤديه ، وخصوصا إذا كان سبلا مثل ما يرى الشيء في الماء ، إلا أنه يقعر في تأدية لونه ، فيريه أقل سوادا وصبغا من سواده وصبغه . فإن كان ذلك الشيء خارجا عن ذلك السطح ، وكان ذلك السطح يؤديه على أنه مرآة ، رؤى ذلك الشيء أصغر حجما ، وأشد سوادا من سواده . وأقل بياضا من بياضه .

والبصر يعرض له الغلط في الشيء من وجوه ، منها في مقدار الشيء كما ذكرناه من أنه تارة يراه أعظم وتارة يراه أصغر ؛ ومنها في شكله ، فإن البعيد لا يحس بزواياه ولا بتقريبه ، بل يرى مستديرا مسطحا ؛ ومنها في وضع أجزائه ، فإن البعيد لا يحس بنحشونته ؛ ومنها في لونه ، فإنه تارة يرى الشيء أشد صبغا وتارة أقل صبغا ؛ ومنها في وضعه من شيء آخر ،

(١) أرى : لون د ، سا ، ط ؛ لذى م || وإن لم : ولم د ، سا ، م || ما يحدده : ما يحدد د . (٣) المرأيا : المرأى سا ؛ المرأى د ، ط ، م || كانت : كان سا ، ط || بحيث : حيث سا . (٤) لم : لاد ، سا ، ط ، م || أن : + لاد ، سا (٥) مشكلا : متشكلا د ، سا . (٦) لا ينقسم في : لا يقسم د ، سا || مشكلا : متشكلا د ، سا || وان : فان د ، سا ، ط ، م || مفردة : مفردة د ، سا . (٨) متحدة : متحدة : ب ، م . (٩) الشكل : والشكل سا ، م || وراه : أو وراه د ، سا ، ط ، م . (١١) فيريه : فيرد د || سواده : سواد م || وصبغه : ساقطة من م (١٢) رؤى : أرى ب ، سا ، م ؛ أدى د (١٤) في (الثانية) : ساقطة من د (١٥) يراه (الأولى) : يريه د ، م ؛ ساقطة من سا || أعظم : + وتارة يريه أعظم م || يراه (الثانية) : يريه د ، سا ، م || بزواياه : زواياه ب . (١٦) مسطحا : ومسطحا د ، سا || وضع : موضع د ، سا ، ط ، م (١٧) وتارة : + يريه د ، ط ، م ؛ تراه سا

- فإن البعيد جدا لا يحس البعد الذى بين الرأى وبينه ولا الذى بينه وبين بعيد آخر مثله ، كما لا يحس البعد بين القمر والثوابت فى جهة ارتفاعها . والأجسام المضيئة إذا انعكس ضوءها عن المرايا القريبة منها ، لم يبعد أن يخيّل لون نير . فإن بعدت وكانت مظلمة لم يبعد أن تتركب من الضوء ومن الظلمة ألوان أخرى . كما أن الضوء إذا وقع على السحابة السوداء رؤيت حمراء ، وكذلك يجوز أن يكون حال الضوء الخيالى فى شيء بعيد وأسود معا . وإذا قام قائم وحاذى بصره أشياء كثيرة أو شيئا واحدا عظيما مما من شأنه أن يؤدى الشبح ، فليس يجب أن تكون كل تلك الأشياء والشيء بحيث يؤدى شبح شيء واحد أو أشياء كثيرة، بل ربما كانت النسبة مع بعض تلك الأجزاء نسبة توجب أداء شبح ما ، ومع أجزاء أخرى نسبة توجب أداء شبح آخر . وربما كانت الأجزاء الأخرى لا توازى ما يوجب تأدية شبحه ، فتعطل تلك الأجزاء ويبقى الفعل لما يوازى ذا الشبح الواحد الذى قد مر ذكره .

- وتلك الأجزاء تتعطل على وجهين : فإنها تتعطل إما لفقدان شيء من شأنه أن يؤدى شبحه ، فإذا كانت لا مؤدى لها وللأجزاء المقدم ذكرها مؤدىا مختلفا ، وإما لأن ما نسبته إليه نسبة الأداء ، ليس يبلغ من قوة إرساله الشبح وتمثيله إياه مثلا فى المرأة قوة الشيء الآخر ، إما للبعد ، وإما لضعف اللون . وأقوى ما يرسل شبحه هو الأقوى ضوءا ، وكلما اشتد الضوء اشتد التأثير حتى يمنع أيضا من تأثير أشياء أخرى من شأنها أن تؤثر . فإذا كان تمثيل الشبح مرئيا فى مرايا من شأنها تأدية الشبح ، فبالحرى أن لا يتعطل تشبيح ما سواه فى أجزاء أخرى من الأجزاء التى يخصها فى النسبة . فإذا كانت المرأة متشابهة الوضع ، وجب أن تكون النسبة بين الرأى وبين أجزاء المرأة وبين المرئى واحدة . فيجب

(٢) لا يحس : لا يعرف د ، سا ، ط ، م . (٣) المرايا : المراد د ، سا ، المرأى ط ، م || بخيل : تخيلت المياه تهبأت للطر فرعدت وبرقت (لسان العرب) . (٤) تتركب : تركب م . (٥) وكذلك : فكذلك د ، سا ، ط || وأسود : وفى أسود د ، سا ، ما . (٦) أو شيئا : أن شيئا م || عظيما : ساقطة من م . (٧) كل تلك : ذلك ط || والشيء : أو الأشياء ط . (٨) بل ربما : وربما د ، سا (٨ — ٩) ما ومع . . . شبح : ساقطة من م . (١٠) ذا : قام . (١١) قدمر : قدم ب ، سا ، ط ، م (١٤) ما : ساقطة من م || الأداء : الأجزاء د . (١٥) للبعد : لبعده ط . (١٦) أشياء : أجزاء م . (١٧) مرايا : مرأى د ، سا ، م . (١٨) الأجزاء : أجزاء م || فإذا : وإذا د ، سا ، ط ، م .

أن تكون الزوايا التي تحدث من خطوط تتوهم خارجة من البصر إلى المرأة ومن المرأة إلى الشيء ذى الشبح فتتصل عند المرأة ، هي زوايا متساوية من جميع الجهات . فيكون تمثيل الشكل المرتسم بين زوايا الناظر والمرأة والشبح مستديرا ، كأن الشكل المرتسم بين زوايا الناظر والمرأة والمرئى قد أدير على نفسه بأن يحفظ الخط الذى بين الشيء ذى الشبح والرأى ثابتا فى الوضع ويدار عليه الشكل . لأن التجزئة إنما تقع فيما نحن بسبيله على المرأة ، وأما الرأى والمرئى فكشئ لا ينقسم ، فيكون المرئى مكان طرف المحور ، والشبح المتخيل مكان منطقة المحور ، وأعنى بذلك أوسع دائرة ترسم على ما يحيط به الشكل المرتسم من الحركة المذكورة .

فهذه الأشباح تتبدل أما كنما بحسب حركاتك ، فإن توجهت إليها تقدمت إليك ، وإن نكصت عنها تأخرت عنك ، وإن علوت علت ، وإن نزلت نزلت ، وإن تركتها يئمت وحاذيتها بالانتقال حاذتك بالمرافقة ، وإن تركتها يسرة وحاذيتها بالانتقال حاذتك بالمرافقة ، وبهذا نعلم أنها خيالية .

فهذه الأشياء كقدمات وتوطئات ، بعضها يعول فيه على صناعة الهندسة ، وبعضها على علم البصر ، ونحن نتكلم فيه فى موضعه ، وبعضها على الامتحان بالحس .

(٢) هي : ساقطة من ط (٣) الناظر والمرأة والشبح : الشبح د ، سا ، ط (٣ — ٤) المرتسم بين زوايا : ساقطة من د ، سا ، م (٦) المحور : محور د ، سا ، م (٧) وأعنى : أعنى ب . (٩) فهذه : وهذه د ، سا || إليك : عنك د (١٠) عنك : إليك د || يئمت : يئمت ط (١١ — ١٢) وإن تركتها بالمرافقة : ساقطة من د (١١) حاذتك (الثانية) : ما حاذتك ط (١٢) بالمرافقة : بالموافقة ب || خيالية : + على أنك يجب أن تعلم أن الهالة إذا لم تكن من نير على صمت الرأس وجب أن يكون للسحاب ثخن حتى تكون الخطوط البصرية التى من وراء النير والرأى تقع من السحاب على مرأى أقرب فى السطح الباطن والخطوط البصرية التى تقابلها أذهب فى عمق السحاب حتى تستوى وإلا فإنها إن وقعت على سطح واحد كرى كانت التى فى الجانب الأبعد أطول م (١٣) كقدمات : لمقدمات د ، سا (١٤) فيه : ساقطة من م .

[الفصل الثالث]

(ج) فصل

في الهالة وفي قوس قُزَح

- وأما الهالة فإنها دائرة بيضاء تامة أو ناقصة ترى حول القمر وغيره ، إذا قام دونه
 سحب لطيف لا يغطيه ، لأنه يكون رقيقا . فمن أحب أن يترأى بأنه شديد التخصب
 على أصحاب الشعاع ، قال إن سطح الغمام كرى ، وكذلك سطوح الأجسام البسيطة ؛
 ومما يدل على كرية السحاب أنه متشاكل البعد عن الأرض وعن المركز . قال : وإذا وقع
 عليه شعاع القمر حدث من الشعاع ومنه قطع مستدير . وقال من هو أقدم من هؤلاء :
 إن الشعاع إذا سقط على السحاب كان شبيهاً بحجر يلقى على الماء فيحدث هناك موج
 مستدير مركزه المسقط . قالوا : ووسطه يكون كالمظلم ، لأنه يتماثل لقوة الشعاع . ١٠

- وهذان القولان من جنس الخرافة . وذلك لأن الهالة لو كانت كما قالوا لكان لها
 موضع معلوم من السحاب ، وليس كذلك ؛ بل يراها الذين تختلف مقاماتهم في مواضع
 مختلفة من السحاب ، وعلى أن ضوء القمر ليس مما يختصر قطعه بموضع من السحاب
 دون موضع ، أو يكون سقوطه وتحليله على موضع دون موضع ؛ بل هذا كله من جنس
 الكلام الذي يجب أن يترفع عنه أهل البصيرة ، إنما الهالة خيال ، ولذلك يختلف ١٥
 منظره . وإنما يتخيل عن ضوء القمر أو عن ضوء نير غيره ، لإشراق السحاب به
 على سبيل التأدية لا على سبيل التكيف به . وذلك إذا كان السحاب مائياً لطيف الأجزاء
 رقيقاً لا يغم القمر أو الكوكب ، وأدى نفس الكوكب مع أداء شبح الكوكب ،
 لا على استقامة ما بين الناظر والمنظور إليه . فإن الشيء إنما يرى على الاستقامة نفسه

(٢) فصل : فصل حـ ب ؛ الفصل الثالث د ، م (٣) وفي قوس : وقوس سا ، ط
 م ، || قزح : وقزح ط (٩) بحجر : بالجزم . (١٤) أو يكون سقوطه : أو سقوط
 د ، م ؛ أو سقوطه سا || وتحليله : أو تحليله ط (١٥) يترفع : ترفع د || إنما : وإنما سا .
 (١٧) لطيف : رقيق ب (١٨) رقيقاً : لطيفاً ب || لا يغم : لا يغمرب د ، سا || الكوكب
 (الأولى) : الكواكب م || وأدى نفس الكوكب : ساقطة من م || أداء : أدائه د ، ما ، م
 || الكوكب (الثالثة) : الكواكب م (١٩) إليه : ساقطة من م .

لا شبعه ، وإنما يؤدي شبعه زائلا عن محاذاة الاستقامة التي بينه وبين الرأى ضرورة .
فإذا كان جميع أجزاء السحاب أو أكثره مستمدا لهذه التادية ، وكانت نسبة كل مرآة
في وضعها من الرأى والكوكب يجب أن تكون نسبة واحدة من جميع جوانب الكوكب ،
وجب أن يكون ما يرى من الحالة مستديرا .

- ٥ هل أنك يجب أن تعلم أن الحالة إذا لم تكن من نير على سمت الرأس ، وجب أن
يكون السحاب ثخيناً ، حتى تكون الخطوط البصرية التي تكون من وراء النير والرأى تقع
من السحاب على مرأى أقرب إلى السطح الباطن ، والخطوط البصرية التي تقابلها أذهب
في عمق السحاب حتى تستوى ؛ وإلا فإنها إن وقعت على سطح واحد كرى كانت التي
في الجانب الأبعد أطول . ولأن ما يخرج عن المرآة وما يدخل فيها مما لا يخيل ، لا يكون
له إشراق ما يردّ الضوء ويعكسه إلى البصر ، فيخيل أن خارجه وداخله أسود ؛ فإن كل
١٠ ما قص من إشراقه عن الأبيض ، ووضع في جنب الأبيض يرى أسود . وداخل الحالة
يعرض له سبب آخر ، وهو أن قوة الشماع الذي للكوكب تخفى حجم السحاب الذي لا يستره ،
نكأنه ليس هناك سحاب ولا شيء آخر لأن ما فيه من السحاب ليس يستر القمر ، إذ كان
هو سحاباً رقيقاً . ويعرض للصغير والرقيق أن لا يرى في الضوء القوى خصوصاً إذا كان
١٥ بحيث لا يستر الشيء فيكون كأنه ليس موجوداً ، مثل ما لا ترى الهبات الجوية
في الصحراء ، وإن رؤى لم ير مضيئاً بل أسود مثل الشعلة في النهار ، وإذا لم ير
أورؤى أسود فيخيل كأن هناك منفذاً أو مدخلاً أو شيئاً أسود . ومتى أردت أن تتأمل
هذا ، فتأمل السحابة الرقيقة التي تمتاز تحت القمر ترى كأنها ليست أوترى ضعيفة
سوداء . فإذا فارقت محاذاته ، رؤيت أنحن حجماً وأظهر عينا . فن تمزقت الحالة

(١) زائلا : ذايلاط (٢) أو أكثره : أو أكثرها م (٣) وضعها : وضعه د ، سا
|| والكوكب : والكواكب م || يجب أن تكون : ساقطة من سا ، ط || الكوكب : الكواكب د
(٦) السحاب ثخيناً : للسحاب ثخن د ، جا || تكون (الثانية) : ساقطة من د ، سا ، ط
|| والرأى : والرأى سا (٧) مرأى : مرايا ب ، ط ، مرأى د (٨) عمق : عميق د (٩) لا يكون :
لأن يكون د (١١) في جنب : من حيث ب (١٣) لأن : إذ كان ب ؛ إذا كان د (١٤) هو :
ساقطة من سا ، م (١٥) لا يستر الشيء : لا الشيء ب || الهبات : الهبات د ، سا ، م
(١٦) مضيئ ٠٠٠ م ير : ساقطة من د (١٧) يخيل : ويخيل د ؛ فيخيل سا (١٨) تمتاز تحت :
تخاضى ط ، م (١٩) محاذاته : المحاذاة د ، سا ، م || أنحن : أنحن د ، ط .

من جميع الجهات متحالة ، دلت على الصحو . وإن انتظمت حتى ثخن السحاب وبطلت الهالة ، دلت على المطر ؛ لأن هذه الأجزاء الرطبة المائية القليلة تكون قد صارت كثيرة . فإن تمزقت من جهة دلت على ريح تأتي من تلك الجهة ، وأنها هي التي مزقته لا سيما ومبادئ الريح من فوق . وقبلها تكون حول الشمس هالة ، لأن الشمس في الأكثر تحلل السحب الرقيقة التي تبلغ من رقتها أن لا تستر الشمس . وربما أخرجت عنها البخار الدخان فيلتحم ويتكاثف . ومع ذلك فقد تكون حول الشمس هالة وهو الطفاوة ، وذلك في الندرة . والتي تكون من الهالات تحت الشمس ، أدل على المطر من الخيالات القزحية التي تكون قبالتها . وإذا وقعت سحابة بهذه الصفة تحت سحابة ، أمكن أن تتولد هالة تحت هالة . والتجانية تكون أعظم من الفوقانية ، لأنها أقرب ، فتكون تأديتها المرئي بأجزاء أبعد من الوسط .

١٠

وهم من ذكر أنه رأى سبع حالات معا وهو بعيد . وقد حكى بعضهم أنه رأى هالة ، فلما قدرت بالكواكب التي حاذت أقطارها كانت قريبة من خمسة وأربعين اسطاذيا . وأكثر ما تكون الهالة فتكون مع عدم الريح ، فلذلك تكثر مع السحب الدواني . وقد رأيت حول الشمس فيما بين سنة تسعين وثلاث مائة وإحدى وتسعين هالة تامة في ألوان قوس قزح وأخرى ناقصة مولية الحدبة إليها ، فعل هذه الصورة تكون الهالة . وقد رأيت بعد ذلك بزمان له قدر عشرين سنة هالة تطيف بالشمس فيها قليل قوسية خفية . وإنما تتقزح هالة الشمس أحيانا ، إذا كثف السحاب وأظلم . وهالة الشمس تخالف قوس قزح في أن محور هذه الدائرة ينتهي إلى البصر وإلى المرئي في الجانبين جميعا . وتكون الهالة منطقة لذلك المحور ، ويكون مركز دائرتها على هذا الخط بين المرئي والمرئي . وأما القوس

١٥

- (١) دلت : ساقطة من م (٣) تمزقت : تحزقت د ، سا ، ط ، م || جهة : جنبه سا ، م ؛ جنبته د
(٤) مزقته : مزقتها م || الريح : الرياح د ، سا ، ط ، م (٤ - ٥) هالة . . . الأكثر : ساقطة من م
(٥) أخرجت : أخرج د ، سا ، ط ، م (١١ - ١٣) ومنهم من ذكر . . . السحب الدواني : هذه
العبارة ذكرت في نسخة م في غير موضعها (١١) وقد حكى : حكى سا (١٢) أقطارها : أقطاره د ، سا .
(١٢) اسطاذيا : اسطاذيا م (١٣) تكون : تتكون د ، سا ، ط ، م || فتكون : تتكون د ، سا ،
ط ، م (١٦) عشرين سنة : ساقطة من م (١٧) تخالف قوس : تخالف د ؛ تخالف قوس ط ، م
(١٨) جميعا : ساقطة من د ، سا (١٩) لذلك : لهذا .

فإن الرأى والشمس يكونان جميعا على خط المحور ، لكن مركز دائرة المنطقة لا يكون واقعا بينهما . والقوس لا يزيد على نصف دائرة لكن الهالة قد تتم دائرة ، وكلما ترى الهالة مكسورة بالأفق - د لقرب النير من الأفق ، لأن خط البصر في مثل هذه الحال يصيب من السحاب في الأكثر عمقا كثيرا في أكثر الأمر . والهالة الشمسية في الأكثر إنما ترى إذا كانت الشمس تقرب من وسط السماء ، والقوس لا ترى إلا إذا كانت الشمس تقرب من الأفق . وقد رأيت بهمذان هالة حول القمر قوسية اللون ، وكان ذلك لأن السحاب كان أغلظ فشوش في أداء الضوء ، وعرض ما يعرض للقوس مما نذكره .

واعلم أن الكلام في الهالة فهو كالحصل المحقق عندى . وأما القوس فقد حصل عندى من أمره أحوال ، وبقيت أحوال لم أتحققها بعد ، ولا ينتضى ما يقال فيها . وقد شاهدت مرارا أن ارتسام هذه القوس ليس على السحاب الكثيف ، وليس يقنعنى ما يقوله أصحابنا من المشائين فيها ، وأنا واصف لك أولا حال القوس في ارتسامها حيث لا سحاب كثيف على ما شاهدت ، ثم واصف لك السبب في كونها نصف دائرة أو أقل من نصف دائرة لا غير ، ومعط لك السبب في أن القوس لا تحدث في جميع أوقات النهار الصيفي وتحدث في الشتاء . وأما الألوان فلم يحصل لى أمرها بالحقيقة ، ولا عرفت سببها ، ولا قنعت بما يقولون ، فإن كله كذب وسخف .

وأقول : أما أن هذا العارض لا بد من أن يكون وراءه في أكثر الأمر سحاب ماى مستوى الأجزاء ، فأمر توجهه المشاهدة لأن هذا الأثر لا يكون في نفس السحاب البتة ، ولا نفس السحاب هو الذى يؤديه ، لكن البصر يغلط فلا يميز بين مكان مرآته وبين السحاب الذى يكون وراءه . فأول ما عرفت هذا هو في البلاد الجبلية ، فقد شاهدت فيها مرارا كثيرة

(١) لكن : ولكن ط ، م || مركز : ساقطة من م . (٢) واقعا : واقعة م (٢ - ٤) وقلا عمقا كثيرا : هذه العبارة ذكرت في نسخة م في غير موضعها (٣) لقرب النير من الأفق : النير من الأفق النير من الأفق د || الحال : الحالة ط || يصيب : يصير د (٤) في أكثر الأمر : ساقطة من د : سا ، ط ، م (٦) وقد : فقد ط (٧) فشوش : فيشوش د || في : ساقطة من ط (٨) فهو : هو م || حصل : حصلت ط (٨ - ١٠) فقد القوس : ساقطة من م (١٠) هذه : هذا ب ، د ، ط (١٢) أرأقل : وأقل ب (١٤) لى : إلى م (١٥) فان : فانه م (١٧) مستوى : مستولى م || لأن : لأن د ، سا || لا يكون : يكون د ، سا

سحابا يتولد مع مثله هذا الأثر ، وكان ذلك السحاب مشرفا شاهقا وجهته حيث جهة الجبل . وظهر الأثر ، فوق بصرى أول ما وقع على ذروته ومتصف قوسه ، وتحملت أنه في ذلك السحاب ، فلما تأملت أسافله ، كان قائما فيما بيننا وبين الجبل قياما في الجو ، وأنه لولا الجبل لكان يتوهم أنه في السحاب الكدر . ورأيت القوس مرة وهى مرتسمة في الجو المصحى قدام جبل ، إلا أن ذلك الجورطب مائى من غير ضباب ولا شيء ، وكان موضعه ما بيننا وبين الجبل لا يزيد عليه ارتفاعه . ورأيت مرة أخرى قوسين عظيمتين تلى ذورتيهما وأوسط حدبتيهما سحاب ، ويلى طرفيهما جبال ، فيرى كل واحد منهما كأنه مرتسم على الجبل وعلى السحاب ؛ وذلك لأن البصر لا يفرق بين شفيفه وبين ما خلفه ، فيرى كأنه ملتصق به .

- ١٠ وقد تواترت منى هذه التجربة بعد ذلك مرارا ، فظهر لى أن السحاب الكدر ليس يصلح أن يكون مرآة البتة لحدوث هذا الخيال ، وإنما ينعكس للبصر منه عن هواء رطب منتشر فيه أجزاء صفار من الماء مشقة صافية كالرش ، وليست بحيث تكدر وتزيل الإشفاف ، لكنها إذا لم يكن وراءها ملون لم تكن مرآة . وذلك كالبلوقة ، فإنها إذا سترت من الجانب الآخر صارت مرآة في الجهة التى تلك ، وإن لم تستر وتركت ووراءها فضاء مشف غير محصور لم تكن مرآة . فيجب أن يكون فى أكثر الأمر وراء هذا الهواء الرطب شيء لا يشف : إما جبل ، وإما سحاب مظلم ، حتى يرسم هذا الأثر منعكسا عن الأجزاء المائية الشافة المنتشرة الواقعة فى الجو ، دون البخارية الكدرة ؛ فإنها إذا كانت بخارية كدرة لم تصالح لذلك .

- (١) حيث : ساقطة من م . (٢) وظهر : فظهر ب ، م || بصرى : البصر ب ، م || ومتصف :
 + من د ، سا || قوسه : قوس د (٤) وهى : ساقطة من د ، سا (٥) رطب : رطب سا
 || وكان : فكان سا (٦) عظيمتين : عظيمين ب ، سا ، م (٧) وأوسط : وواسطة
 سا ، ط ، م ؛ واسطة د || طرفيهما : طرفهما سا ، م || جبال : جبل م || واحد : ساقطة
 من د ، سا ، م || منها : منها سا (٨) وعلى السحاب : والسحاب د ، سا ، ط ، م
 (١١) للبصر : البصر ب ، د ، سا ، م (١٣) لكنها : لكن ب (١٤) سترت : استترت ط
 (١٦) وإما سحاب : أو سحاب د ، سا ، ط ، م || الأثر : + فيه ط
 (١٧) المنتشرة : المنيرة د ، سا .

ورأينا مثل هذا الخيال يتولد في أرجاء الماء إذا انتضح من أجنحة الآلة المنصوبة في وجه الماء رَشُّ ماء مغير الأجزاء طلياً، توازيه الشمس، فيحدث دائرة بألوان القوس. وكذلك إذا أخذ الإنسان الماء في فمه، ونفخه في الجو حذاء الشمس أو السراج. ورأينا الشمعة في الحمام يتولد حوالها من رطوبة جو الحمام هذا الخيال؛ بل قد رأينا في الغدوات حول الشمس خيالا هلاليا الشكل قوسى اللون، والسبب فيه رطوبة المنتبه عن نومه، فكان إذا مسحت العين لم يظهر منه شيء. وقد رأينا في بعض الحمامات هذا الخيال منطبعا تمام الانطباع في حائط الحمام، ليس على سبيل الخيال، بل كان الشعاع يقع على جام الكوة فينفذ في الرش المملوء منه هواء الحمام، ثم يقع على حائط الحمام وهو شعاع مضى، ثم ينعكس منه في الهواء الرشى إلى الحائط الآخر ألوان قوس مستقرة ليس مما تبرح موقعه بانتقال الناظر. وقد يحكى أن هذه الألوان تظهر من ماء يتبخر من مجاديف السفن في البحر؛ ومن ضعف بصره حتى صار كأنه لا ينفذ في الجو فقد يتخيل له ذلك، يتخيل له أشباح أشياء أخرى، وربما يخيل له شبح نفسه أمامه، فإن الهواء يصير بالقياس إلى بصره محدودا منقطعاً. وأكثر ما يعرض هذا الخيال حول السراج، وما لا يكون له شفيف ولون قوى فإنه يرى أرجوانيا ذا لون واحد. فالذى صح عندي أن مرآة هذا الأثر ليس هو بسحاب مظلم لا يشف، بل هو جو رطب فيه أجزاء مائية رشيّة كثيرة مشفة، ولكنه يحتاج أن يكون خلفه مثل هذا السحاب أو جبل أو سترّة أخرى من نفسه أو من غيره.

وقد رأيت بجبل بين أبيورد وبين طوس، وهو مشرف جدا، كان قد أطبق تحته غيم عظيم عام، وهو دون قُلته بسافة يعتد بها، لكن الهواء الذى فوقه كان بهذه الصفة؛

(٢) رش ماء : ورش الماء ط (٣) الإنسان : إنسان سا || أو السراج : والسراج د
|| ورأينا : أو رأينا م (٤) حوالها : حولها د ، سا (٥) الشمس : الشمعة ب ، ط ، م
|| قوسى : قوى د || فيه : ساقطة من سا || رطوبة : الرطوبة سا (١٠) وقد : قد م
|| من ماء : عاب (١١) ومن : لمن ب || فقد : وقد م (١٢) ويتخيل له : ساقطة من م || له :
ساقطة من سا || أشباح : ساقطة من د (١٣) يعرض : يكثر سا (١٤) فالذى : والذى سا ، م
(١٥) هو (الاولى) : ساقطة من سا || بسحاب : سحاب ب || هو (الثانية) : هواء ط || جو :
ساقطة من م (١٧) من غيره : غيره ب ، د ، ط ، م (١٨) وهو : ساقطة من د ، سا .

وقد كانت ظهرت هذه القوس على الغمام ، ونحن نزل عنه إلى الغمام ، فنرى هذا الخيال ما بيننا وبين الغمام المتراكم متشجعا على السحاب ، منثل الاستدارة ، لصق الجبل ، لا ينقص من الدائرة إلا قدر ما يكمره الجبل . وكذا كلما أمعنا في النزول صغر قدره ونقص قطره ، حتى صارت دائرة صغيرة جدا ، لأن قربها منا وبعد الشمس عنها كان يزيد ويصير المخروط البصرى أصغر قطعاً ؛ فلما قربنا من السحاب وكدنا نخوض فيه اضمحل ، ولم يتخيل بعد .
فهذا هو صورة المرأة التي تُخَيَّل هذا الخيال . وأما لونه فلعله إنما لا يكون منيراً أبيض ، لأن مرآته بعيدة عن النير ، ليس كما يرى في الهالة . فذلك يختلط الضوء الخيالي بشئ من جنس الظلمة ، فتولد حمرة وأرجوانية وغير ذلك .

وأما شكله ، فأعلم أنه يجب أن يكون مستديراً ، وأعلم طلته وهو ما قد دلت عليه .
ولذلك فإن الشمس إذا كانت على الأفق وجب ضرورة أن ترى من القوس نصف دائرة ،
وذلك لأن القوس ليس وضعها وضع الهالة موازياً للأرض حتى يكون جميع ما تخيله مرئياً ، فيرى الخيال ؛ وإنما وضع القوس وضع مقاطع للأفق لا مواز له . فإذا كانت الشمس على الأفق قطعت الأفق من الدائرة الموهومة له نصفها لا محالة ، فإن ارتفعت الشمس ارتفع محور المنطقة ، فأنحطت المنطقة لا محالة ، فنقصت القوس لا محالة .
حتى إذا ارتفعت الشمس ارتفاعاً كبيراً لم يكن قوس ، وأما إذا كان ارتفاعها إلى حد كان قوس . فذلك يجوز أن تحدث القوس في بعض البلاد في الشتاء في أنصاف النهار . ولا تحدث في الصيف ، لقلة ارتفاع الشمس في أنصاف نهار الشتاء وكثرته في أنصاف نهار الصيف .

- (١) كانت : كان د ، سا (٢) متشجعا : ساقطة من د || السحاب : ساقطة من د || منثل : +
في ط || لصق : لصيق ط ؛ لشق ط (٤) صارت : صار د ، سا || عنها : عنا
ط || يزيد : يزيده م (٥) بعد : بعدام (٦) تخيل : تخيلت ط || إنما : إنه إنما ؛
ساقطة من سا || لا يكون : يكون م (٧) مرآته : مائته ب ؛ مرآته د ؛ مرآته سا || لأن مرآته
بعيدة : ساقطة من م || الخيالي : الخيال د (١٠) ولذلك : وكذلك م (١٠) وجب : يوجب د ، سا
(١١) جميع : ساقطة من سا (١٢) للأفق : الأفق د ، سا (١٤) ارتفع : + طرف
د ، سا ، ط || فأنحطت المنطقة : ساقطة من د (١٥) حد كان : ساقطة من سا
(١٧) لقلة : لعله سا .

وكلما كانت القوس أتم وأقرب من نصف دائرة كانت أصغر ، أى من دائرة أصغر ، وكلما كانت أصغر منه كانت أكبر . وفي الحالة الأولى تكون أقوم على الأفق ، وفي الحالة الثانية تكون زاويتها على الأفق مما يل الشمس أشد انفراجا ، لأن مركز دائرتها كلما ارتفعت الشمس انخفض ومال إلى الجهة التي تفارقها الشمس . وأما وجوب كون الألوان ثلاثة ، ومرافقة لون أصفر لياها ، وما يرى معها في الأحيان بأعينها ، وترتيبها ، فليس يمكننى أن أقف على السبب فيه . والذي يقال إن السبب فيه اختلاف وضع سحابتين وامتزاج لون ثالث منهما فشي لا أصل له ، ولا هناك سحابتان بوجه من الوجوه ، بل يجوز أن ترسم في جو متشابه الأحوال قوس مع ثلاثة أحوال . ولا ما قيل إن الناحية العليا تكون أقرب إلى الشمس ، وانعكاس البصر يكون أقوى فترى حمرة ناصعة ، وأن الناحية السفلى أبعد منها وأقل لذلك إشراقا فيرى في الطوق الثاني حمرة إلى السواد وهو الأرجواني ، وأنه يتولد فيما بينهما لون كرائى كأنه مركب من إشراق حمرة الفوقاني وكدر ظلمة السفلائي ، فكله ليس بشئ لأن الأولى هو أن يكون الأقرب ناصع الحمرة ، ثم لا يزال كذلك على التدرج يضرب إلى الأرجوانية والقتمة ، فيكون طرفه الآخر أقم أرجوانيا .

وأما انفصال هذه الألوان بعضها عن بعض حتى يكون عرض واحد متشابه الحمرة وآخر متشابه الأرجوانية وبيدهما قطع ، فلا معنى له .

وليس في ذلك الرش اختلاف استعداد . ولولا ذلك لكان لا يتبدل بالقرب والبعد مواقع تلك الألوان . فإنك كلما قربت من الموضع الأول انتقل وترك كل لون على تدريجه ، وكلما بعدت انتقل إلى خلاف ذلك . لأن الانتقال الأول متباعد عن مقامك الأول ، والثاني متقارب إليه ، وكلما حلوت علا معك ، وكلما نزلت نزل معك ؛ فتجد كل بقعة

(١) أى من دائرة أصغر : ساقطة من سا ؛ أى من دائرة م (٢) منه : نسبة د ، سا ، ط
 (٣) دائرتها : ذاتها م . (٤) ارتفعت : + من سا || إلى : ساقطة من م (٥) وما يرى :
 وربما رأى د ؛ وربما رأى سا ، ط ، م . (٦) فيه (الثانية) : ساقطة من سا || سحابتين :
 سحابتين ب ، سا (١٠) في : ساقطة من د ، سا (١١) حمرة : الحمرة ط . (١٢) فكله : وكله ب
 || بشئ : لشيء سا (١٣) كذلك : ساقطة من د ، سا (١٦) في ذلك : كذلك م . (١٧) الموضع :
 المواضع م || الأول : ساقطة من سا || وترك : ونزل ب ، سا . (١٩) وكلما (الأول) : كلما م || نزل :
 ساقطة من م .

صاحلة لكل لون . ولو أمكنك أن تقرب الشمس إليك لقربت القوس منك وكبرت ، ولو أمكنك أن تزيدها بعدا محسوسا تباعدت القوس عنك وصغرت . وبعض من لا يحقق ظن أنك إذا قربت من القوس قربت منك وإذا بعدت بعدت عنك ؛ وهو خطأ . وتولد هذا الكراثي أيضا بين الأرجواني والأحمر الناصع بديع . فلأن اللون المحتج منها شيء هو أشد نصوعا من الأرجواني وأشد أرجوانية من الناصع ، لا لون كراثي لا مناسبة له مع واحد منهما . ولأن يتولد الكراثي بين الأصفر وبين الأسود والنيل ، أولى من أن يتولد بين أحمر ناصع وبين أرجواني .

وبالجملة فإن أصحابنا من المشائين لم يأتوا في أمر هذه الألوان وهذه الفصول بشيء فهمته ، وعسى أن يكون عند غيري منه ما يفهمه وتفهمه . ولعلك تحب أن لا تطلب علة هذه الألوان كلها في المرأة ، ولا في ذى الشبح ، بل في بصرك ، بأن تعلم أن لا حقيقة للشبح في المرأة ، ولا اختلاف للون في المرئي . ولعل الأولى أن تطلب في بصرك ؛ ثم تطلب أن في الراكد القائم الذي لا يتبدل ، كيف تختلف الألوان أيضا؟ واجهد في هذا جهدك ، ستصل إليه .

وهذه القوس في أكثر الأمر على الأرض منها لون ، وعلى الجو منها لون ، يشندان معا عند الوسط ، وربما كان في الوسط لون آخر غير ذينك . والذي أحدثه من أمر هذه القوس ، لست واثقا به بعد ، حتى أودعه كتابي هذا . لكني أعلم بالجملة أنه خيال ، وأنه لا يمكن أن يكون منه أكثر من قوسين ، لأن الثاني منهما يكاد أن لا يظهر ، فالثالث كيف نطمع فيه ؟ ومعنى قولي لا يمكن ههنا وفيما يجري مجراه ، هو أنه بعيد ، ليس أنه مستحيل .

(١) وكبرت : وكبرت م (٣) بعدت بعدت : بعدت م || عنك : منك ب || وهو : وهذا سا . (٤) هذا : ساقطة من م (٥) لالون : لأن لون ط (٦) ولأن يتولد : ولا يتولد (٧) والنيلي : النيل ط || ناصع : ساقطة من ط (٩) وتفهمه : ساقطة من م (٩) تحب أن لا تطلب : أن لا تحب أن تطلب ط (١١) اللون : اللون د ، ط || ولعل : فلعل د ، ط ، م ؛ فعلى سا (١٢) أن في : بأن في ط ؛ في أن م (١٣) إليه : وتفهمه ط . (١٤) وهذه : وهذا ط || منها (الأولى والثانية) : منه د ، سا ، ط . (١٤ — ١٥) يشندان ... ذينك : ساقطة من سا (١٥) غير ذينك : يحاذيك د ، م . (١٥) هذه : هذا د ، سا ، ط (١٧) منهما : ساقطة من م || لا يظهر : يظهر (١٨) وفيما : وما سا || بعيد : ساقطة من م .

فهذا مقدار معرفتي من أمر القوس وسائر ما يبق فيه يجب أن يطلب من عند
غيري .

وأما الشمسيات فإنها خيالات كالشمس من مرأى ، شديدة الاتصال والصقالة ،
تكون في جنبه الشمس ، فتؤدى شكلها ولونها ، أو تقبل ضوءا شديدا في نفسها ، وتشرق على
غيرها بضوئها ، وتعكسها أيضا . وأما التيازك فإنها أيضا خيالات في لون قوس قزح ، إلا
أنها ترى مستقيمة ، لأنها تكون في جنبه الشمس يمنة عنها أو يسرة لا تحتها ولا أمامها .
وسبب استقامتها أنها إما أن تكون قطعا صغارا من دوائر كبر فترى مستقيمة لا سيما إذا
توالى من محب ، وإما لأن مقام الناظر وأوضاع السحب بحيث يرى المنحذب مستقيما .
وليس ما يقال فيها إنه عن سحابتين أيضا أو أكثر بشيء ، كإليس ما قيل من ذلك في القوس
بشيء . ولو كان بحسب اختلاف سحب لا تفقت مداخلة الألوان عن تركيب الأصباغ
مختلفة الأشكال والوضع من الشمس واحد . وقبلما تكون هذه عند كون الشمس في نصف
النهار ، بل عند الطلوع والغروب ، لاسيما عند الغروب ، ففي ذلك الوقت يكثر عدد السحاب .
وكثيرا ما تنفق لهذه أن تسير الشمس طالعة وغاربة ، وذلك لأن الشمس في هذا الوقت
تحلل السحاب الرقيق في الأكثر . وهذه الشمسيات تدل على المطر ، لأنها تدل على وفور
أبخرة رطبة . قال بعضهم : إنها إن كانت شمالية عن الشمس قلت دلالتها هذه ، وإن كانت
جنوبية اشتدت . وقد غفل هذا عن أن السحب التي عنها تتأدى هذه الخيالات لا يبالغ بعدها عما أن
يتميز ما بين شمالها من جنوبها ، وأنه لا يبعد أن يكون ما هو شمالي عندنا يصير جنوبيا
منا عن فرائخ قريبة ، والجنوبي شماليا .

(١) فيه : ساقطة من ب ، م . (٣) مرأى : مرايا ب ، مرأى ط || شديدة : شديد
د ، سا ، ط ، م . (٤) تكون : ترى سا || ولونها : أولونها ط || نفسها : أنفسها ط .
(٦) عنها : عنه د ، سا || لا تحتها ولا أمامها : لا تحتها ولا أمامه د ، سا ، ط (٧) أنها :
ساقطة من ط || فترى : وترى سا (٨) من : في د ، سا ، ط (٩) سحابتين : ب ، د ، سا ||
بشيء : ساقطة من م || ليس : ساقطة من م (١٠) بحسب : بحسب م || لا تفقت : لا تنفق سا || مداخلة :
بداخلة ط || عن تركيب : مركبة د ، سا ، ط . (١٣) لاسيما : ولا سيما د ، ط || تمديد :
تجديد ب ، م (١٣) وذلك : ساقطة من سا (١٤) الشمسيات : الشمسيات ط (١٦) عنها :
ساقطة من م . (١٧) شمالها عن جنوبها : شمالها عن جنوبها ط || وأنه : وأن د . (١٨) والجنوبي :
والجنوب ط .

وقد حاول بعض الطبيعيين في تحليل ما يرى من القوس تارة نصف دائرة وتارة أقل ، فقال : إن ذلك بسبب أن الشمس إذا كانت في الأفق كان الذي يليها نصف طوق الشمس ، وإذا ارتفعت جعل ذلك ينقص شيئا . وهذا شيء لم أفهمه ، ولا انتهيت أن أفهمه .

- والقمر قد يحدث قوسا خياليا ، لا يكون له ألوان ، وذلك لأنه لا يكون في السالم من الضوء ليلا ما يكون نهارا ، حتى يرى ضوء ينعكس رؤية ضعيفة مغلوقة بالضوء الساطع في النواحي ، فيرى بعضه مثلا أحمر ، وبعضه بالخلاف ، بل الأشياء البراقة ، والمضيئة ، والعاكسة للنور ، ترى في الليل رؤية واضحة جدا ، غير مغلوقة بضوء غالب . ولذلك ما كانت النار ترى في النهار حمراء وأرجوانية منكسرة النور ، وترى في الليل بيضاء منيرة ، وذلك بسبب غلبة ضوء الشمس في النهار ، فيكون خيال ضوء القمر في السحاب أضوا من لون السحاب في الليل فيرى أبيض ، وخيال ضوء الشمس عن شيء بعيد منه يكون أقل ضوءا من ضوء النهار فيرى ملونا ، لا شديد الإشراق . وأما قوس الليل فإنه إنما يقع في الأحيان وعلى سبيل الندرة ، فإنه يحتاج في تكوينها إلى أن يكون النير شديد الإضاءة حتى ينعكس منه خياله . فإن الأشياء الضعيفة اللون لا ينعكس عنها ضوءها انعكاسا يظهر . وأن يكون أيضا الجو شديد الاستعداد ، فإنه إن كان قاصرا لم يؤد خيال ما ليس بذلك البالغ في كلفيته ، وإنما يكون القمر شديد الإضاءة عندما يتبدد في الشهر مرة ، فيقل أن يجتمع تبدده والاستعداد السام من الجو ، فلهذا لا تتولد قوسه إلا في الندرة .

(٣) جعل : حصل د || أفهمه (الأولى) : أفهم د ، سا ، ط || أفهمه (الثانية) : أفهم ط
(٥) ينعكس : منعكس ط (٦) والمضيئة : المضيئة ط (٧) رؤية : برؤية ط (٨) وأرجوانية :
وأرجوانيا د ، سا || منكسرة : منكسر د ، سا ، ط || النور : اللون سا (٩) في (الثانية) : عن د ، سا
(١٠) ضوءا : ضوء ط . (١٢) ينعكس : لا ينعكس سا . (١٣) ضوءها : صورها د ، ط ، م .
(١٦) فلهذا : ولهذا سا .

الفصل الرابع

(د) فصل

في الرياح

- وقد حان لنا أن نتكلم في أمر الرياح ، فنقول : كما أن المطر وما يجري مجراه إنما يتولد
 • عن البغار الرطب ، فكذلك الريح وما يجري مجراها تتولد عن البخار اليابس الذي هو الدخان .
 ويتولد عنه على وجهين : أحدهما أكثرى والآخر أقل . أما الأكثرى فإذا صعدت
 أدخنة كثيرة إلى فوق ، ثم عرض لها أن ثقلت فهبطت لبرد أصابها ، أولأنها قد حسبتها
 حركة الهواء العالي عن النفوذ ، فرجعت تارة مطيعة لحركة ذلك الهواء في جهة ، وتارة
 في جهة أخرى . وذلك أنه ليس يلزم في المندفع إلى فوق ما ظن به بعض المتشككين أنه إذا
 ١٠ ضغط من فوق إلى أسفل بحركة معارضة ، يكون لا إلى أسفل ، بل إلى جهة أن يلزم تلك
 الجهة . فربما أوجبت هيئة صعوده وهيئة لحوق المادة به أن ينكس إلى خلاف جهة
 المتحرك المانع ، كالسهم يصيب جعما متحركا إلى جهة فيعطفه تارة إلى جهته ، إن كان
 الحابس كما يقدر على صرف المتحرك عن متوجهه ، يقدر أيضا على صرفه إلى جهة حركة نفسه ،
 وتارة إلى خلاف تلك الجهة ، إذا كان المعاق يقدر على الحبس ولا يقدر على الصرف .
 ١٥ فلهذا السبب ما توجد الريح بعد صعودها مائلة في حركتها النازلة إلى جانب وجانب ،
 وربما اضطرها أيضا إلى ذلك هيئة ما يتصعد من تحت ، فخصص لها ذلك جانبا ، ومنعها
 من أن تنزل سائلا على الاستقامة ، وهذا الجنس من الرياح في أكثر الأمر تتحرك قبلها سحب ،
 ثم تهب هي . وكثيرا ما رأينا الأبخرة والأدخنة المتصاعدة من الأتونات وما يجري مجراها ،
 يعرض لها أن تنزل من أقصى الجو بعد ارتفاعها ، والجو يسحب ، فينذر بهبوب رياح عاصفة .

(٢) فصل : الفصل الرابع د ، م ؛ فصل ط (٦) فاذا : ساقطة من م . (٧) فهبطت : وهبطت
 م || أولأنها : ولأنها ط || حبستها : حبسها ب ، د ، سا ، م (٩) المتشككين : المتشككين م . (١٠)
 ضغط : أضغط ط (١٢) المانع : التابع ط ؛ المانع م || جهته : جهة ب ، م . (١٣) على (الأولى) :
 ساقطة من م . (١٦) من : + صعود مادتها بخ || فخصص : يخصص م . (١٩) يسحب :
 يسحب ط ؛ سحب م [السحب ، الهواء المعتدل بين الحر والبرد (السان)] .

وهذه الرياح التي تصرف الأدخنة من غير قسر ، فهي في أكثر الأمر لا تكون قوية في ابتداء وصولها . وكان أصحابنا يتأملون ذلك وينذرون بحدوث رياح قوية في الوقت فيصيبون ، ويتعجب الحاضرون . فهذا هو الأمر الأكثرى في تولد الرياح .

- ومن الرياح أيضا ما يتولد قبل انتهاء الأدخنة إلى معاوقة الحركة العالية ، وقبل اقترانها إلى حيز التبريد . وذلك حين ما تكون هذه الأدخنة المتصاعدة تنصرف إلى جهة ما انصرافا قويا ، لعلة غير الوصول إلى العلو المحض . وذلك إما لأن لها منفذا مترجعا في التصعد ، وإما لرياح باردة هابة فوقها تنمها عن الارتقاء وتصرفها من حيث تلاقيها إلى أولى الجهات بوضعها ، وإما لرياح أخرى تلتقي بها . ويتفق أن تتلاحق أيضا أدخنة أخرى تملأها ، إما من مصعدها ، وإما من منابع أخرى ، فتتصل بها كالعيون للأودية . فحينئذ تتصل رياح قوية في تلك الجهة ، لاستمرار الاتصال ، وقوة انجذاب البعض إثر البعض ، وخصوصا إذا أصابها برد يحبسها عن الصمود ، وينقلها ، ويميلها إلى الهبوط منجرة بعضها إثر بعض . وربما هبت الريح لحركة الهواء وحدها إذا تخلخل جهة من الهواء للسخونة فانبسط فسال له الهواء . لكن الريح بالحقيقة ما يتولد عن الدخان اليابس ، وأو كان الهواء مادة الريح ، لما كان يمتد هبوبة زمانا طويلا ؛ بل مقدار ما يحركه شيء أو يخلخله . وكثيرا ما تهب الرياح ، ونحن نعلم أن الشمس قد خلخلت في ممرها ما من شأنه أن يتخلخل ، وكثيرا ما تهب رياح من جهات مقابلة للجهات التي منها يتوقع ما يكون من خلخلة الشمس . ومما يدل على أن مادة الريح غير مادة المطر ، الذي هو البخار الرطب ، هو أنهما في أكثر الأمر يتقاربان . والسنة التي يكثر فيها المطر لكثرة البخار الرطب تقل الرياح ، والسنة التي تكثر فيها الرياح تكون سنة جدد وقلة مطر . لكنه كثيرا ما يتفق أن يعين المطر على

(١) قسر : أن تنشرط ؛ نشر م || لا تكون : تكون ب ، م ؛ ليس تكون ط .

(٤) معاوقة : معاقدة ، معاونة م || العالية : الغالبة ب (٥) الأدخنة : الأرض م

(٦ - ٧) وإما لرياح : أو لرياح ط ، م (٩) منابع : منافع م || فتتصل بها : تفصل به سا ،

م ؛ فتتصل به ط (١١) منجرة : بحيرة م . (١٢) لحركة : بحركة ط || وحدها : وحده د ||

وحدها الهواء : ساقطة من م (١٥) خلخلت : خلخل ب ، د ، سا ، ط || ممرها : ممره ب ،

د ، سا ، ط || يتخلخل : يتخلخله د ، سا . (١٨) المطر : الأمطار ب ، د ، سا || الرطب :

ساقطة من م (١٩) تكون : ساقطة من م || يعين : بعض م .

حدوث الريح تارة بأن يبل الأرض ، فيعدها لأن يتصعد منها دخان ، فإن الرطوبة تعين على تحلل اليابس وتصعده ، وتارة بما يبرد البخار الدخاني فيعطفه ، كما أنه قد يسكنه بمنع حدوث البخار الدخاني وقهره والريح أيضاً كثيراً ما تعين على تولد المطر بأن تجمع السحاب أو بأن تقبض برودة السحاب إلى باطن ، للتعاقب المذكور أو تعين على تحلل ما فيه من البخار الدخاني ، أو تكون متولدة عن المنفصل منه من البخار الدخاني فيبرد بانفصاله . وإن كانت باردة أعانت أيضاً بالتبريد . وأما في أكثر الأمر فإن المطر يبل البخار الدخاني ويثقله ويجمده ويمنعه أن يصعد أو يتصل ببعضه ببعض . فإذا نزل بثقله المستفاد عن الترطيب ، ضعفت حركته . وكذلك الريح في أكثر الأمر تحلل السحاب وتلطف مادته بمحاررتها ، أو تبدده بحركتها .

و بالجملة فإن مبادئ هبوب الرياح كيف كانت توجب الصحو بما تبدد . وليس يمكن هندی أن نعطي الرياح المختلفة أحكاماً في المعونة على المطر أو الصحو كلية بحسب البلدان كلها ، بل يجب أن يختص بالبقاع المختلفة لها أحكام خاصة . والرياح المولدة للسحاب تسمى رياحا سحابية ، واسم الرياح السحابية يقع في الأكثر ، بحسب عاداتنا على هذه الرياح وقد يقال رياح سحابية ، وخصوصاً في القديم ، لما كان من الرياح ينفصل عن السحاب إلى ناحية الأرض ، ولأنها منضغطة مقسورة فهي قوية العصف جاعفة مغرقة . والزوابع أكثرها من الرياح السحابية الثقيلة الرطبة التي تندفع إلى فوق فتصدم سحابة فتلونها وتصرفها فتستدبر نازلة ، وهذه أردأها . وربما زادها تعرج المنافذ التفافاً وتلويهاً ،

(١) تارة : ساقطة من د ، سا ، م (٢) تحلل : تخلخل ب (٢ - ٣) وتارة : ... وقهره : ساقطة من م (٥ - ٦) أو تكون ... بانفصاله : ساقطة من م (٥) منه : منها د ، سا ، ط (٦) بانفصاله : بانفصالها د ، سا (٧) البخار : السحاب م (٨) ضعفت : ضعف ب ، ط ، م || تحلل : يخلط ط (١٠) الرياح : الريح سا || بما : لما د ، سا ، ط ، م (١١) كلية : كليته ط (١٢) يختص : يخص ط || خاصة : خاصة ب ، د ، م (١٣) عاداتنا : عاداتنا ط ، عاداتنا د ، سا ، ط (١٤) رياح : ريح ب ، د ، سا || وخصوصاً في القديم : ساقطة من ب (١٥) عن : من د ، سا ، ط ، م || العصف : العصف د ، الضعف م || جاعفة : جاحفة ب ، صاعقة د [جعفه كمنه صرره كأجفقه والشجرة قلعها : هامش ط] (١٦) فوق : أسفل د ، سا ، ط ، م (١٧) زادها : زاد لها ط . || تعرج : تفرج ب ، تعرج د ، سا || وتلويها : وتلوياب ، ط ، وتأرياد .

كما يعرض للشعر أن يجعد بسبب التواء منبته من المسام . وربما كانت الزوبعة من مادة ريحمة هبطت إلى أسفل، وقرعت الأرض، ثم اثلثت، فلقيتها ريح أخرى من جنسها فلوحتها .

وعلامة الزوبعة النازلة أن تكون لفائفها تصعد وتنزل معا، كالراقص . وعلامة الصاعدة أن لا ترى للفاائفها إلا الصعود . وإنما يعرض لها كل ذلك التشكل، ثم يلزمها، لثقل طبعها، ونخونة جوهرها، لرطوبتها . ولو كانت لطيفة، لم يلزمها ذلك التشكل .

وقد تحدث الزوبعة أيضا من تلاقى ريحين شديتين أو غير شديتين . وربما كانت شديدة قوية ثابتة تقلع الأشجار وتختطف المراكب من البحر . وربما اشتملت على طائفة من السحاب أو غيره فترى كأن تنيئا يطير في الجو . والرياح التي تبتدئ من السحاب متصلة المادة، منها ساذجة، ومنها ملتبة صاعقة، وشرها الصاعقة الزوبعة . وقد يقال رياح صحابية على الكذب لرياح تهب، فعارضتها رياح صحابية، فعرقها معها، كالجزم منها، أو التي منعتها الرياح الصحابية عن الهبوب، فلما انقضت هبت، فظنت صحابية .

والمهاب المحدودة للرياح اثنا عشر، لأن الأفق يتحدد باثني عشر حدا، ثلاثة مشارق، وثلاثة مغارب، وثلاث نقط شمالية، وثلاث نقط جنوبية . فالمشارق الثلاثة : مشرق الاعتدال، ومشرق الصيف، وهو مطلع نقطة السرطان، ومشرق الشتاء وهو مطلع نقطة الجدى، ويقابلها مغارب ثلاثة . والنقط الشمالية والجنوبية الثلاث تقاطع خط نصف النهار والأفق، ونقطتا تقاطع دائرتين موازيتين لدائرة نصف النهار، مماسيتين للدائرتين الدائمتي الظهور والخفاء، من غير قطع .

ولهذه الرياح أسام باليونانية وبالعربية ليست تحضرنا الآن، والمشهورات عند العرب ريح الشمال، وريح الجنوب، والصبا وهي المشرقية، والدبور وهي المغربية، والبواق

(١) يجعد : ساقطة من سا (٢) اثلثت : انبث د، م ؛ انبث ط || فلقيتها : فلقها ب، ط (٤) وإنما : وربما ط || التشكل : الشكل سا، م (٥) التشكل : الشكل ط، م . (٦) أو غير شديتين : ساقطة من م (٧) المراكب : المركب م || من البحر : ساقطة من م || اشتملت : استعصمت ط (٨) قترى : فروى د، سا، ط، م || كأن تنيئا : كأنه تنيين ط، م (٨ - ١١) والرياح : ساقطة من م (٩ - ١٠) رياح صحابية (الأولى) : الرياح الصحابية ط . (١٠) لرياح : تهب د، سا، ط || فعارضتها : فعارضها ب، م . (١٢) للرياح : ساقطة من م (١٣) نقط (الثانية) : ساقطة من م (١٤) مطلع (الأولى) : يطلع م (١٦) تقاطع : ساقطة من ط، م . (١٩) المشرقية : الشرقية ط || وهي المغربية : ساقطة من د، سا || المغربية : الغربية ب، ط .

تسمى نكباء . ويشبه أن تكون هذه الأربع هي الغالبة ، ومن الأربع الشمال والجنوب ، فإن مهييها مستعدان لأن تتولد منهما الرياح عند تأثير الشمس استعدادا شديدا . ومن الناس من يجعل الريح المغربية لبردها في عداد الشمال ، والمشرقية لحرها في عداد الجنوب . فتكون أمهات الرياح عنده ريحين : فالرياح التي تأتي من ناحية الشمال ، هي أبرد الرياح . وذلك لأن معنى قولنا إنها شمالية ، هي أنها تكون شمالية بالقياس إلى بلادنا . وناحية الشمال منا باردة ، وفيها جبال وثلوج كثيرة ، فتبرد الرياح المسارة بها إلينا . فإن جاز أن تمتد إلى ناحية الجنوب لم يبعد أن تسخن بمرورها بالبلاد الحارة .

والجنوبية هي أسخن الرياح ، لأنها إنما تصل إلى ديارنا وقد جاوزت بلادا محرقة حارة أو ابتدأت منها إن كانت تلك قلما تصل إلينا . فالجنوبية ، وإن فرضناها أنها ابتدأت من موضع بارد ، فلا محالة أنها إذا وصلت إلينا تكون قد سخنت ؛ فكيف ما كان منها مهيبة ومبدؤه من المواضع الحارة ، ولذلك هي كدرة ، وإن كانت ابتدأت من صفاء ؛ وهي أيضا كدرة رطبة لما يخاطبها من بخارات عفنة من أبخرة من البحار التي في جهة الجنوب منا . وهذا في أكثر الأمر .

وقد يمكن أن تهب رياح من نواحي جنوبية قريبة منا باردة فتبرد ، وأن تهب رياح شمالية وتلقى البحار والوادي الرمضة وتحمل أبخرتها فتسخن . ولكن الحكم الذي حكمنا به ، إنما هو حكم بحسب الأغلب من البلدان ، وبحسب رياح تأتي بالحقيقة من بعد .

وأما الرياح المشرقية والمغربية فيجب أن تكون أقرب إلى الاعتدال ، وأن يقع لها اختلاف كبير بسبب اختلاف البلدان الكائن بسبب البحار والجبال .

(٣) الريح : الرياح م || المغربية : الغربية ب || لحرها : ساقطة من د ، سا ، ط ، م .
 (٤) أمهات الرياح : الأمهات ب (٤ — ١٨) فالرياح التي تأتي . . . البحار والجبال : ساقطة من م
 (٥) وذلك : ساقطة من ب (٦) المارة : المادة ط (٨) تصل : تتصل د || محرقة :
 محرقة د ، سا ، ط . (٩) أو ابتدأت : وابتدأت ط . (١٠) موضع : مواضع د
 || بارد : باردة د (١١) منها : ساقطة من سا (١٢) من (الثالثة) : ساقطة من د ، سا
 (١٥) فتسخن : وتسخن د ، سا ، ط .

والرياح المشرقية تأتينا ونحن لاعلى طرف البحر ، مارة على اليبس متسخنة بالشمس ؛
وأما الغربية فتأتينا مارة على البحار . والمشرق أسخن من المغرب لأنه أكثر يبا وبرية ،
ولأنما البحر في جانين منه فقط ، وقد تتباعد العارة عنه فيها .

وكان القدماء ينسبون الريح الشرقية الصيفية، أعنى التى من مشرق الصيف، إلى أنها فعالة
للسحب جذابة لها . والريح الشرقية الشتوية إلى أنها تجفف ابتداء ، ثم ترطب انتهاء .
تجفف ابتداء لأنها تحلل الموجود من البخارات الجامدات . فإذا حلت الجامد ، أثار
رياحا جديدة . ويجعلون الغربية الجنوبية مقابلة للشرقية الصيفية، وينسبون الشمالية الشرقية
والغربية الصيفية إلى أنها تثير الثلوج . ووجدوا المشرقية ربيعية صيفية ، والغربية خريفية
شتوية .

وهذه أحكام تنغير بحسب المعمورة . ولكن تشترك في أن كل ريح إنما يشتد هبوبها
ويتصل بأن تكون الشمس في جهتها ، وأن الشمس لا تقدر على إحداث ريح قوية من
جنية جامدة ، إلا بعد مدة ، وفي الأول إنما تحلل . وأن أحكامها في الشمال بالقياس إلينا
أعجل منها في الجنوب . والصيف تقل فيه الريح لعوز المادة ، والشتاء تقل فيه لعوز الفاعل
وربما اتفق أن تكثر ، إذا اتفق من الأسباب ما يضا المانعين . وقد يتفق أيضا أن تقل
في الربيع للممود ، وفي الخريف لليبس إلى أن يستعيد بالنشف أو بالمطر بله . فإن الجامد
واليبس الصرف لا يدخان ولا يخزان .

والرياح الباردة قد تختلف، فتكون أبرد وأقل بردا، وهى من نوع واحد . وكذلك الحارة
قد تكون أحر، وأقل حرا، وهى من نوع واحد. والسبب في ذلك اختلاف يعرض لما تمر به

(١) ونحن : ونجى . د ، ط ، م || لاعلى : على سا . (٢) وبرية : وترية ط (٣) فيها : فيها
ط ؛ ساقطة من د (٤) الريح الشرقية : الرياح المشرقية ؛ الريح الشرقية ط (٥) لها : ساقطة من م
(٦) تجفف ابتداء : ساقطة من ط || البخارات : ساقطة من سا || الجامدات : ساقطة من ب ،
د ، م || فإذا : وإذا سا || حلت : طابت شا ؛ تحالت ط (٧) الغربية : الغربية ط || مقابلة :
مقاربة ب ، د ، سا ، م || للشرقية : للشرقية ط || وينسبون : ويعدون د ؛ ويعزون سا ؛
ويعزون ط (١١) جهتها : جنبها د ، ط ؛ جنبها سا || لا تقدر : لا تقدر سا ، ط (١٢) جنية :
أدخنة ط . (١٣) تقل (الأولى) ؛ يقلل م (١٤) أيضا : ساقطة من سا || أن تقل : ساقطة من م
(١٥) إلى : غلى م || يستعيد : يستعد ب ، م ؛ يستفيد ط .

من البلاد وللمادة التي منها تكون، وللفضل من فصول السنة. وما كان من هذه الرياح متضادة، فقلما يتفق لها الهبوب معا، لا سيما ما كانت كذلك بالحقيقة، وكانت من أبعد الطرفين، وإمام من موضعين متقاربين شمالا وجنوبا. فقد تهب لأن السبب الفاعل للرياح وهو الشمس لا يكون مائلا في وقت واحد إلى الجهتين المتضادتين. فإن اتفق لا بسبب في الفاعل، بل بسبب في المنفعل، حدثت زوبعة، وقهرت إحداها الأخرى. وأكثر ما تحدث تحدث ربيعا وخريفا، لأن الشمس لا تكون قد سارت عن إحدى الجهتين إلى الأخرى سيرا بعيدا. وأولى الوقتين به الخريف، لأن النظام فيه أقل. وقد يتفق في بعض البلاد أن توجد ريح دون ضدها

والرياح المتضادة قد يعرض لها أن تتعاون على فعل واحد تعاون الريحين المتضادتين اللتين إحداها من مغرب الشتاء والثانية من مشرق الصيف. فإنهما تتعاونان على ترطيب الهواء، لأن كل واحد منهما مرطب، هذا لشماليته، وذلك لمغربيته البحرية. وأما الغير المتضادة فلا تتآمانان في هبوبهما، ولكن يتفق لهما تارة أن تتعاونوا وتارة أن لا تتعاونوا. ويتفق للريح الواحدة أن يضاد مبدؤها منهاها، مثل الريح الهابة من المشرق الشتوى فإنها تحدث أولا ييسا. قالوا: لأن الشمس كما تشرق، تجفف الرطوبة المجمعة ليلا، وتحمل. ثم إذا طلعت وبقيت حالات البخارات فزادت رطوبة فحملتها تلك الريح.

ثم للرياح خواص تختص بكل واحدة منها، يجب أن يتعرف ذلك من الكتب الجزئية. ومن شأن الرياح الاثنتي عشرة أن تهب كل واحدة منها عند ميل الشمس إلى جهته،

- (١) عنها : عنه د || تكون : يتكون م || وللفضل : والفصل ب (٢) لا سيما : ولا سيما م || وكانت من : وكان من ب (٣) فقد تهب : تهب سا ؛ ساقطة من د ، م (٤) المتضادتين : + معاب || في الفاعل : في فاعل ب ؛ الفاعل ط ، م (٥) حدثت : حدث د ، سا ، ط || وقهرت إحداها الأخرى : وقهرت إحداها ب ، م ؛ وقهرت إحداها د ، ط || ما تحدث تحدث : ما تحدث ب (٦) سارت : سافت د ، سا || الجهتين : الجهتين ط || سيرا : سفرا د ، سا (٧) النظام : البطاح د ، ط . (٨) المتضادتين : المتضادتين ط (٩) والثانية : والثاني د ، سا ، ط (١٠) مرطب : ترطيب د || هذا لشماليته : هذه لشماليته ط || لمغربيته : لمغربيته ط || الغير : غير م (١١) فلا تتآمانان : فلا تتآمان ب || لها : لها د ، سا ، ط ، م || تتعاونوا : تتعاون د ، سا ، ط ، م || وتارة أن لا تتعاون : وتتفق أن لا تتعاون د ، سا ، ط ؛ ساقطة من م . (١٢) يضاد : يتضاد ط (١٣) فحملتها : فحملها ط || الريح : الرياح سا ، ط ، م (١٤) واحدة : واحد ب ، د ، سا ، ط (١٥) واحدة : واحد ب ، د ، سا ، ط .

- ولكن ليس في أول ما تصل إليه، وخصوصا الشمالية والجنوبية ، لأن الشمالية والجنوبية لا تهب كما توافي الشمس فاحتيا أولا ، وذلك لأن الشمس تحلل الحاصل من البخار والدخان لقربها ، ولا تقدر على أن تحلل الجلامد من الرطوبات إلى البخار بسرعة في أول وصولها . وما لم تحللها وتسيلها وتبل بها الأرض ، لا تعد الأرض لأن تدخن عن الحرارة دخانا كثيرا . فإن الأرضية تعين على تصعيدها مخالطة المائية . ولهذا العلة قد تتأخر عشرين يوما ، وخصوصا الجنوبية التي لا تهب عند القطب ، بل تهب من دون البحر من الأرض اليابسة ، لأن اليابس أبطأ انحلالا .
- فذلك هذه الرياح تتأخر قريبا من شهرين ، وتسمى البيفضاء لإحداثها الصحو ، وبيفية لأن من خاصيتها أن تحلل الدجاج بيضا من غير سقاد . وكان يجب أن تقل هذه الرياح الجنوبية صيفا ، ولكن السبب في أنها لم تقل أن الرياح الشمالية تنقل إلى تلك الجهة رطوبات ، فترطب تلك الأرض ، وتعددها للتسخين . ولولا أن تلك الأرض واسعة كبيرة ، لما كانت رياحها عظيمة .

- وأما في الشتاء فلا يتفق أن يبلغنا ما يحدث من الرياح الجنوبية بعد المسافة ، فإذا جاوزت الشمس ذلك المكان أخذت تهب ، وأما عند بعد الشمس عنها جدا فالأولى أن لا تهب . وأما سائر الرياح فليس الأمر فيها بهذا التأكيد .

وهذه الرياح التي تهب مع حركة الشمس تسمى الحولية ، وأكثر ما تهب تهب نهارا بسبب الشمس . وكل ريح فإن قوتها في البلاد التي تبتدئ منها ، وضعفها فيما يقابلها . وأكثر الرياح هي الشمالية والجنوبية ، لوفور المواد عند كل واحد من القطبين ، المواد المعدة

- (٢) لا تهب : + كل واحد منهما ب (٣) تحلل : ينحل ط (٤) وما : قام .
 (٤) الأرض : الحرارة ط || لا تعد : لم تعد ، سا ، ط ؛ لا تعدل ط ؛ لم تقدم . (٥) الحرارة : الأرض ط (٥) تصعيدها : تصعدها ط (٦) ولهذا ط (٧) دون : عند ط || من الأرض : ومن الأرض د ، سا ، ط ، م (١٠) الجنوبية : .. الرياح : ساقطة من م .
 (١٣) يبلغنا : يضعفنا سا (١٦) ماتهب تهب : ماتهب د ، ط ، م (١٧) قوتها : قوته ب ، د ، سا ، ط || منها : فيها ب || وضعفها : وضعفه د ، سا .

- بترطيبها الأرض لتصعيد الأدخنة منها ، واستحالتها رياحا . وأما سائر الرياح فإنها إنما تهب في الأقل . وكما قد اتفق أن ظن قوم أن للياه معدنا فيه كليتها ، وهو في غور الأرض ؛ كذلك قد ظن قوم أن للرياح أيضا معدنا يحصرها في غور الأرض . وأنها تهب من هناك بقدر . ولو كان الأمر كذلك لكانت الرياح التي تنبعث من الأرض تبتدئ قوية ثم تضعف ، كالماء المنبثق فإنه في ابتدائه يقوى ثم يضعف . وليس توجد حال الأرض التي منها تبتدئ الرياح في هبوبها هكذا ، بل على عكسه ، وإنما تشتد الرياح في أعلى الجو . وأيضا لو كان المهب في الأصل واحدا ، لما هبت رياح متضادة معا . ومع ذلك فإن الريح القليلة التي ليست كلية الريح ، فقد يحدث من احتقانها في الأرض زلزلة ورجفة . فلو كانت للرياح كلية محصورة في الأرض ، لكانت قد خسفت البقعة المنحصرة فيها ، وتخلصت دفعة .
- ١٠ . ومما يليق أن يلحق بهذا الفصل حال الرعد والبرق والصواعق والكواكب الرجمة ، ثم الكلام على الشهب وذوات الأذنان والعلامات الهائلة في الجو .

(١) لتصعيد : لتصعد ، سا ، ط ، م (٢) وكما : كما م . (٥) تبتدئ : ما تبتدئ من د ، سا ، ط (٦) تشتد : لا تشتد ب (٧) المهب في الأصل : مهب الأصل ب ؛ المهب الأصل سا ، م (٩) المنحصرة : المنحصر د ، سا ، م (١٠) والكواكب الرجمة : ساقطة من ب ، د ، سا ، م . (١١) والعلامات : ساقطة من م .

[الفصل الخامس]

(٥) فصل

في الرعد والبرق والصواعق وكواكب الرجم والشهب الدائرة وذوات الأذنان

فنعول : إن من شأن البخار المتولد منه الغمام أن يصحبه ، وخصوصا في الفصول
 ٥ الحارة ، بخار دخاني . فمنه ما تسهل مقاصاته إياه ، ومنه ما يصعب فلا يفاصيه بل يبقى فيه
 ويبرد لبرده . وذلك لأن كثافة الغمام تحبسه فلا تدعه أن ينفذ في الهواء البارد نفوذه
 السريع ، لو انفرد النفوذ الذي يجعل به عن تأثير البرد فيه بسرعة . فإنه إذا كان خالصا أسرع
 ولم ينتظر مدة ، في مثلها يتم له التغير والانفعال . وهو بسرعة حركته يحفظ الحرارة أيضا ، فإذا
 احتبس مدة تما في البخار المائي ، وبرد هذا البخار ، فإنه أسرع تبردا من الدخان ، لأن طبيعة البرد
 ١٠ في الماء أقوى منها في الأرض . ولذلك رجوعها إلى طبيعتها ، أسرع من رجوع الأرض إلى طبيعتها ،
 وحركته إلى فوق أبطأ من حركتها . وإذا كان كذلك تعاون برده وحبسه على جمع الدخان
 وتبريده وقسره إياه إلى انحصار في ذاته ، لتكثف البخار حوله قسرا يشبه العصر . وتجدد
 أعلى السحاب أعصى في الانخراق له ، لزيادة تكاثفه ، فتعاون الأسباب على عقده ريحا
 يأخذ نحو الجهة التي يتفق لها النزول عنها والنفوذ فيها ، ويستحيل ريحا عاصفة في السحاب ،
 ١٥ ويمتد إلى الجهة المتخلخلة من السحاب في أكثر الأمر ، وهي الجهة التي تلي الأرض ،
 لأنها أسخن من الجهة فوقانية المتلبدة بالبرد وأسخف . وإذا كان تدانها لاتصال المادة
 يلجئها إلى الانفصال ، فربما انفصلت لا عن جهة ميلها في خروج الدخان المتدافع إلى
 فوق من منفذ ليس إلى فوق ، بل إلى أسفل . وربما كان احتباسها في السحاب بالغا

(٢) فصل : فصل هـ ؛ الفصل د ، م . (٤) منه : عنه م . (٥) مقاصاته : معاصاته ب ؛
 [فصي الشيء من الشيء فصيأ : فصله (اللسان)] . (٦) البارد : الباردة ط . (٨) له : لها ب ،
 سا ، ط . (١٠) ولذلك : وكذلك سا . (١١) وحركته : وحركتها ط ؛ وحركته م || جمع :
 جميع م . (١٢) العصر : المنصرم . (١٣) فتعاون : فتعاون د ، سا ، م . (١٤) والنفوذ :
 أو النفوذ م . (١٦) المتلبدة : الملبدة د ، سا || لاتصال : الاتصال ط . (١٧) الانفصال : الاتصال
 || في : ساقطة من د ، سا .

نى تبريدها ، فأعان ميلها إلى أسفل بردها . ولو كان هذا البخار يقدر خلفه على التفصى من كثافة أعالي السحاب ، فلم تقاومه كثافته ، وبقيت فيه حرارته لما احتبس ريحا . والريح اذا عصفت فى الهواء الرقيق اللطيف سمع لها صوت شديد ، فكيف فى سحاب كثيف ؟ فيجب أن يسمع له صوت الرعد . ولأن هذا الدخان لطيف .تهبىء للاشتعال ، فإنه يشتعل بأدنى سبب مشعل ، فكيف بالحركة الشديدة والمحاكة القوية مع جسم ٥ كثيف ؟ والحك نفسه أولى بالإسخان من نفس الحركة أو مثلها .

وقد علم هذا فى موضع آخر ، فلا عجب أن تحيله المحاكة والاضطراب والانضغاط الى حرارة مفرطة ، فيشتعل لهذه العلل نارا ويستحيل برقا . وإذا شئت أن تعلم أن الأشياء اللطيفة يسهل اشتعالها بأدنى حركة ، فتأمل ما يحدث من إصرارك اليد على الأشياء السود فى الليل ، فإنك ترى أضواء والتمسبات لطيفة تحدث من تلك الحركة اللطيفة ، فكيف ١٠ إذا حرك الشيء اللطيف المختلط من مائية وأرضية ، عمل فيهما الحرارة والحركة والخلطة المازجة عملا قرب بمزاجه من الدهنية ، حركة شديدة رهي مستعدة لطيفة دخانية ؟ وربما كان اشتعالها من اختناق الحر دربا من البرد . وقد يعرض أن تمطر بعض البقاع التى فى جوهرها سبخة أو لزوجة دهنية ، ثم تنصعد من تلك البقعة أبخرة دسمة لطيفة ، ١٥ بهتشتعل من أدنى سبب شمسي أو برقي . ويرى على وجه الأرض شعل مضيئة غير محركة إحراقا يمتد به للطفها ، ويكون حالها كحال شعلة القطن المنفوش ، بل كحال النار التى تشتعل فى بخار شراب مجعول فيه الملح والنوشار ، إذا وضعت قنبنة فى جرف فجبر فقرب من بخاره سراج فاشتعل ، وبقى مشتعلا مدة قيام البخار . على أن المطر يكون ألطف وأرق كثيرا ، ولا يكون برق إلا ومعه رعد ، لأنه لا يكون إلا من ريح تضطرب فى الغمام ثم تتخلص مشتعلة .

(٣) والريح : ساقطة من م (٣) لما : له ب ، د ، سا (٥) سبب : ساقطة من د || مشعل : مشعل م (٧) والانضغاط : ساقطة من م (٨) ويستحيل : أو مستحيل . (١١) فيهما : فيهاب ، سا || والخلطة : والخللة ب ، سا (١٢) قرب : قريبا ط ، قرن م || بمزاجه : لمزاجه سا (١٣) اشتعالها : استعمالها سا ، + من اشتعالها م (١٤) أولزوجة : ولزوجة ط ، أولزوجة م (١٥) شعل : شعلة سا (١٧) تشتعل : تشتعل ب (١٧) قنبنة : قنبلة بط || جمر : جمر ط || فجبر : فيجبرم ، ساقطة من ط || فقرب : بقرب م (١٨) قيام : فناء د ، سا (١٩) تضطرب : تضرب طا .

- لكن البرق يرى ، والرعد يسمع ولا يرى ، فإذا كان حدوثهما معا رؤى البرق في الآن وتأخر سماع الرعد ، لأن مدى البصر أبعد من مدى السمع ، فإن البرق يحس في الآن بلا زمان ، والرعد الذي يحدث مع البرق يحس بعد زمان . لأن الإبصار لا يحتاج فيه إلا إلى موزاة وإشفاف ، وهذا لا يتعلق وجوده بزمان . وأما السمع فيحتاج فيه إلى تموج الهواء ، أو ما يقوم مقامه ، ينتقل به الصوت إلى السمع ، وكل حركة في زمان .
- ولهذا ما يرى وقع الفأس ، وهو إذا كان يستعمل في موضع بعيد قبل أن يحس بالصوت بزمان محسوس القدر ، وأما إذا قرب فلا يمكنك أن تفرق بين ذلك الزمان القصير وبين الآن . فسبب البرق والرعد في أكثر الأمر هو الحركة الريحية التي تحدث صوتا . وتشتعل اشتعالا . وربما كان البرق أيضا سبب الرعد ، فإن الريح المشتعلة تطفأ في السحاب ، فيسمع لانطفائها صوت بعده بزمان للعنى المذكور . والسبب في حدوث ذلك الصوت ، أن السبب الأول أنه يحدث من مفاعلة ما بين النار والرطوبة حركة عينية سريعة تكون هي سبب الصوت ، كما أنا إذا أطفأنا النار فيما بين أيدينا حدث صوت دفعة ، لحدوث حركة هوائية عينية دفعة ، بقرع ذلك المتحرك سائر الهواء بحركته السريعة الصاعدة أو المائلة قرعا شديدا يحدث منه الصوت . والغالب أن مع كل برق رعدا ، وإن لم يسمع . فإنه لن تنفذ في الغيم نار متحركة إلا وهناك نشيش أو غليان أو خفق ١٥ للريحية ولا يبعد أن لا يكون مع الرعد برق ، فليس كلما مصفت ريح بقوة اشتعلت . والذي يقال من حدوث الرعد بسبب تصاك الغيوم فبعيد . إلا أن يكون لها من الحركات ما يصير في أحكام الرياح .

- والرعد تختلف أصواتها بحسب الرياح الحارقة والسحب المخروقة ، وبحسب أوضاع بعضها عند بعض ، وبحسب أن مبدئها من خفق وصفق : أو من طفو ونمود . ٢٠ والشمال لبرده وحقنه للحر يحدث في السحاب رعدا وبرقا كثيرا .

(٣) بلا زمان : ملا زمان م (٤) فيه (الثانية) : ساقطة من م . (٥) تموج : + من د ، سا || أوما يقوم : وما يقوم ط (٨) هو : هي د ، سا (١٠) لانطفائها : لطفوه ب ، د ، سا ؛ لطفوها ط (١١) أن : فإن ب ، وأن د ، سا ، م || من : في م (١٢) تكون : ساقطة من سا || أنا : ساقطة من د (١٣) بقرع : بقرع سا ؛ لقرع ط . (١٥) أو غليان : رغيان ب (١٦) ولا يبعد : ولا يعود د . سا || الرعد برق : البرق رعد سا (٢٠) عند : عن م (٢١) والشمال : والشمال ب || لبرده وحقنه : لبردها وحقنها م

وقد قيل في الرعد والبرق أقاويل ، ليست بصحيحة ، كمن قال : إن البرق شعاع الشمس يحبس في السحاب ، أو أنه قطعة من نار الأثير يخنق فيه ؛ وكمن قال : إنه عكس شعاعى . وأنت فلا يسمعك بعد ما تحققته من الأصول أن لا تتحقق ، ولا تحقق بطلان هذه الأقاويل . ولو كان البرق شعاعا استأمر في غمام ، لكانت السحب الناشئة ليلا لا تهرق . وأما جرم الأثير فلا زاج له الى أسفل زجا بقتة ، وطباعه طاف ، ومحركه مدبر . وأما الصاعقة فإنها ريح سحابية مشتعلة ، ليست بلطفة لطف البرق الذى لأجله لا يبقى شعاع البرق زمانا يعتد به ، بل يتحلل ويطنأ ، بل هى ريح سحابية مشتعلة تنتهى إلى الأرض ، لا ضوءها وحده ، بل جرمها المشتعل لاستحصافه واجتماع ثقله الأرضى ، أو لاضطراره إلى ذلك المأخذ والجهة ، على ما نبأنا به . وقوامها مع ذلك مختلف : فربما كانت ريحا سحابية ساذجة ، فتكون صاعقة لطيفة ؛ وربما كانت لاحقة قط ؛ وربما كانت سافعة اللون ، وربما كانت مؤثرة فيما يقوم في وجهها ، لكنها تنفذ في الأجسام المخلخلة ، ولا تحرقها ، ولا تبقى فيها أثرا ؛ وربما كانت أغلظ من ذلك فتنفذ في المخلخل نفوذا يبقى فيه أثر سواد ، وتذيب ما تصادمه من الأجسام المتكاثفة ، ولذلك ما تذيب الضباب المضية على الترس ونحوها المتخذة من الفضة والنحاس ، ولا تحرق الترس ، بل ربما سودتها ؛ وكذلك قد تذيب الذهب في الصرة ولا تحرق الصرة ، إلا ما يحترق عن الذوب ؛ وربما كانت شرا من ذلك ؛ وربما كانت سحابية زوبعية مشتعلة ، وتكون من مادة كثيفة ، فتكون شر الصواعق .

(١) وقد قيل : وقيل د (٢) يخنق : يحشو ط . (٣) يسمع : تشغل ب || تتحقق ولا : ساقطة من د . (٤) الأقاويل : الأقوال د ، سا ، ط ، م || استأمر : استأس ط (٥) جرم : الجزء من د ، سا ، ط ، م (٦) مدبر : مدير ط ؛ مدبرة م (٨) لاستحصافه : لاستحافه د || واجتماع : ولا اجتماع ب (٩) والجهة : ساقطة من سا || على ما : كما سا (١٠) فتكون : + منها م || وربما : فربما سا (١١) كانت (الأولى) : ساقطة من سا . (١٢) كانت : كن ب ، ط ، م . (١٣) يبقى : + منه د ، سا (١٤) الضباب : الضباب ب ، د ، سا ؛ القباب طا || المضية : المقبية ط ؛ المضية م || المتخذة : ساقطة من سا (١٥) قد : فقد ط . (١٦) ما يحترق : ما يحرق د ، سا || كانت شرا : كان أشد ط || كانت (الأولى) . . . وربما : ساقطة من م || سحابية زوبعية : زوبعة سحابية د ، سا ، م .

وبالجملة فالصواعق رياح صحابية مشتعلة ، وربما طفئت هذه الصواعق فتستحيل
أجساما أرضية بحسب المزاج الذى يكون فيها ، وعلى ما اقتضينا لك من خبرها . وإذا
أرادت صاعقة أن تصدق ، تقدمتها في أكثر الأمر ريح .

- وأما الآثار المحسوسة في أعلى الجوف فإنها متكونة من الدخان ، إذ البخار لا يتصعد
إلى ما هنالك لثقل حركته ، ولأنه يبرد فيما دون ذلك . وأما الدليل على أنها تتكون من
دخان ، فلا أن الهواء والبخار الرطب لا يشتعل البتة ، والأجسام اليابسة الثقيلة لا تحصل
هناك حتى تشتعل إلا ما كان منها لطيفا دخانيا . ومن ذلك شهب الرجم ، ومادتها أيضا
البخار الدخاني اللطيف السريع التحلل . وذلك أن هذا الدخان إذا وصل إلى الجوا المحرق
اشتعل وسرى فيه الاشتعال كأنه يقذف ، ويكون كما يشتعل يتحلل فيرى كأن كوكبا
ينقذف ، وقد يتفق أن يبقى اشتعاله طويلا قطعة يسيرة من الزمان ، وقد يكون له شرر ،
هذا إذا كانت المادة أكثف . وقد يتفق وجود هذا العرض بسبب البرد ، إذا حصل البخار
الدخاني ، وعرض أن يسخن لشدة اشتعال البرد عليه لما ندرى فاشتعل ، أو كان سبب
اشتعاله انضغاده من البرد . فحركته من ذلك إلى أسفل لثقله الكائن عن البرد ، فيشتعل
من الحركة . وكثيرا ما تسقط الرجم ويرى له رماد .

- ويجب أن نتكلم ههنا في علة طفوء النار ، حتى يتوصل به إلى معرفة شئ مما يريد أن نقوله
من هذا . فنقول : إن المفهوم عند الجمهور من قولنا طفئت النار أنه زال الضوء والإشراق
الموجود في الجرم المسمى نارا ، حتى يبقى مثلا دخانا أو هواء أو شيئا آخر إن
أمكن . ومعنى أنبأ لم تطفأ ، ليس هو أن تثبت نارا واحدة بعينها تبقى متعلقة في موضع
واحد على حسب ظن من يظن أن النار تغذى فتبقى هي واحدة تحفظها مادة الدخان

(٢) أرضية : عرضية م || ما اقتصمنا : ما اقتصمناه د ، ما اقتضاه سا || وإذا : فإذا سا . (٣)

تقدمتها : + رياح ب د تقدمها ط || ريح : أوريح ب . (٤) أعلى : ساقطة من سا ||

البخار لا : البخار لإلام . (٥) هناك : هناك ب || أنها : أنه سا . (٦) الرطب : والرطب ط

(٧) دخانيا : روحانيا طا (١٠) اشتعاله : اشعاله ط (١١) اكثف : أكثر سا

|| حصل : حصر د ، ط ، م ، حضر سا (١٢) لشدة : بشدة سا (١٤) وكثيرا : فكثيرام

|| له : أنه د .

المستعدة للاشتعال ؛ بل معنى أنها لا تنطفأ هوذا أنها لا يزال يخلف متضررها متجددا ، فإن كل نار عنتها مما يعرف عند الجمهور نارا فإنها تبطل وتجدد أخرى على الاتصال ، فتكون في الحقيقة دُفء وتجدد ما . لكنهم ماداموا يرون التجدد ثابتا ، يقولون : إن النار لم تنطفأ . والسبب في أن النار تثبت بالتجدد ، أن كل ما حصل منها أمعن إلى فرق بإبعده ، فيلحقه من البرد ما يعاقبه لضعفه إذا بعد عن مبدئه وأمعن في حيز الغربة . ولما كان الضوء ، كما علمت ، ليس شيئا يلزم ذات النار الصرفة ، بل يعرض للنار إذا كانت متعلقة بمادة دخانية ، ويكون حامل الضوء تلك المادة الدخانية ، وقد ثبت هذا فيما سلف . كأن دُفء النار إما بسبب في نفس القوة الفاعلة للاشتعال والإشراق ، وإما بسبب في القوة القابلة ، أعنى جوهر الدخان .

فمن المعلوم أن القوة الطبيعية الفاعلة ما دامت ملاقية للمادة القابلة ، فمن المستحيل أن يبطل فعلا إلا ببطلانها . فإذا بطل هذا الإشراق ، فالسبب فيه لا محالة ، إما من جهة الفاعل بأن تكون تلك النار قد استحالته ببرد غشيم أو رطوبة هواء أو شيء آخر ، وهذا هو الطفو الذي يكون في حيز الهراء أو الماء بسبب البرد والرطوبة ؛ وإما بسبب المادة فإنها إذا استحالته استحالته تامة إلى التارية حتى لم يبق فيها من طبيعة الأرضية شيء فبطلت الدخانية فلم يكن للنار شيء تتعلق به وتشرق فيه ، بل صار الشيء كله نارا شافة ، والشاف ليس يقضى بضوء نفسه . وإذا كان كذلك غابت النار عن الحس ، وقيل إنها طفئت .

فهذه الشهب والكواكب وذوات الأذنان وغير ذلك يستحيل أن تنطفأ وهي في العلو بالسبب الأول ، لأن البرد والرطوبة لا سلطان لهما هناك ، بل إنما تنطفأ بالسبب الثاني وهو أن مادتها تستحيل بالكل نارا فتشف فلا ترى ضوءا . ويجوز أن يقال للشعلة المرتقية

(١) المستعدة : المستعد ، سا ، ط ، م || أنها (الأولى) : ساقطة من ب || متجددا : بتجددها م (٥) إذا : إذ سا (٧) ثبت هذا : تبين هذا ؛ تبين سا (٨) بسبب (الأولى) : لسبب سا || بسبب (الثانية) : السبب سا ، م . (٩) القابلة : المقابلة م . (١٠) ملاقية : متلاقية ب || القابلة : ساقطة من م (١٢) بأن : فإن ب || تكون : + أن د ، سا (١٣) أو الماء : والماء ب ، سا ، م (١٤) استحالته : استحال د (١٥) يكن : تبقى سا (١٦) بضوء : ساقطة من م (١٨) وذوات : ذوات ب ، د ، سا ، م (١٩ — ٢٠) لاسطان . . . المرتقية : ساقطة من م .

- إلى ما هناك ما دامت لم تطفأ منها إنها واحدة بالعدد ثابتة في الشعلة بعينها ، إلى أن تستحيل لا كالموجودة ههنا . فإن التي هناك لا تحتاج إلى أن تتحرك إلى موضع آخر ويخلفها غيرها ، فإن موضعها الطبيعي هو ذاك . ولا البرد أيضا يفسدها ، إذ لا برد هناك . ويجوز أيضا أن يكون ثبات ما لا يطفأ هناك على سبيل التجدد ، إذا كانت المادة ذات مدد ، وكانت غير حاصلة مع الاشتعال في حقيقة الموضع الطبيعي ، بل في أقرب تخومه ، فيكون على الاتصال جزء يشتعل ويشف بالاستحالة التامة ، ويلحق بمقامه جزء آخر يشتمل ويشف ، فتكون الصورة محفوظة . فإن كانت المادة لطيفة وخفيفة حتى حصل لها باللطانة أن كانت سريعة الاستحالة إلى النارية ، وبالخفة أن تمكنت من الحصول في الحيز الذي فيه النار قوية جدا ، اضمحل اشتعالها دفعة وخلصت نارا ، وشف . فإن كانت المادة كثيفة وذات مدد وثقيلة ، فإنها تبطئ استحالتها نارا خالصة ، ولا يكون لها برد مطفىء ، ولا أيضا تصعد صعودا سريرا ممعنا في حيز النار إلى أن تبلغ المكان الشديد قوة النارية ، فيعرض لذلك أن يبقى التهابها واشتعالها مدة طويلة إما على صورة ذؤابة أو ذنب ، وأكثره شمالي وقد يكون جنوبيا ، وإما على صورة كوكب من الكواكب ، كالذي ظهر في سنة سبع وتسعين وثلاث مائة للهجرة ، فبقى قريبا من ثلاثة أشهر يلطف ويلطف حتى اضمحل ، وكان في ابتدائه إلى السواد والخضرة ، ثم جعل كل وقت يرمى بالشرر ويزداد يباة ويلطف حتى اضمحل . وقد يكون على صورة لحية ، أو صورة حيوان له قرون ، وعلى سائر الصور ؛ وإنما يكون ذلك إذا كانت هناك مادة كثيفة واقنة ، تالطف أجزاؤها يسيرا يسيرا وتحلل عنه متصعدة كروائد شمعية أو قرنية . ومنها المسماة أمتزا كأن تشريرها تشعير . وكل ما ثبت منها

- (١) بالعدد : وبالعدد د ، سا || في : ساقطة من ب ، ط (٢) كالموجودة : كالموجود د ، ط ، م (٣) ويخلفها غيرها : ويخلفه غيره ب ، د ، سا ، ط || موضعها : موضعه ب ، د ، سا ، ط . (٥) في حقيقة : وحقيقة سا (٧) مقامه : مكانه د ، سا || يشتعل : ساقطة من د . (٨) وخفيفة : خفيفة سا (٩) وخلصت : رحلت سا . (١٠) وذات : ذات سا (١١) ممعنا : ممعنا د (١٣) طويلة : ساقطة من د ، سا (١٤) للهجرة : الهجرية ط ؛ ساقطة من سا (١٧) أو صورة : أو على صورة د ، سا || حيوان : حيوان ط (١٨) متصعدة : متصعدة م (١٩) تشريرها : بشررها د ، ط ، م || تشعير : تشعرد ؛ تشمرط ، م || ما ثبت : ما ثبت ب ؛ ما ثبت ط .

مدة لا يطفأ ، لزمه أن يتبع حركة الهواء الدائر بحركة الفاك ، فلزم أن كان له شروق وغروب .

ويقول تكون أمثال هذه الآثار ، لأنه يتل أن تكون مادة دخانية يتأتى لها أن تبلغ ذلك الموضع ولا تبدد في الطريق ، وأن تكون كثافتها الكثافة التي تبقى لها مشتعلة فلن تصعد إلا قوة شديدة . وقد يعرض أن تكون أدخنة تصعد إلى الجو أكتف وأغلظ وأرطب من ذلك فلا تستعل ، بل تتجمد ، فترى منها في الجو علامات حمراء مائلة . وربما كانت مكوسا عن إشراق الشمس ، كما يرى في الصبح ، وعلى الغيوم المشرقية صبيحة ، والمغربية أصيلا . وربما تفجعت وتراكت وبقيت وخيل أنها هوات في الجو وأخاديد أو منافذ مظلمة في السماء تختلف بحسب اختلاف ثخنها وعرضها ، فما استعرض وقل ثخنه سمى وهدة ، وما ازداد ثخنه وإن لم يزد عرضة سمى غورا وهوة . والأضيق أشد تخيلا لذلك ، لأن من شأن الأسود أن يحكى البعد والمنفذ المظلم .

وإذا اجتمع لوان أسود وأبيض في سطح واحد ، خيل الأبيض أنه أقرب والأسود أنه أبعد ، لأن الأبيض أشبه بالظاهر ، والظاهر أشبه بالقريب ، والأسود بالبعد ، والطبيعة آلف للنور والبياض . وهذه الآثار كلها تدل على الرياح وقلة الأمطار ، وعلى فساد الجو ويده واستحاراره ، وعلى الأمراض الحارة اليابسة القائلة .

(٣) أمثال : ساقطة من سا (٤) ولا تبدد : ولا تبدل ، ط ، م || الكثافة : للكثافة ط .
 (٦) تتجمد : تتجمد م || فتري : قوى د || حر : حرة ط ، م ؛ ساقطة من ب .
 (٧) صبيحة : صبيحة ط (٩) بحسب : ساقطة من ب (١٠) تخيلا : تخيلا ب ، سا .
 (١٤) والبياض : والبياض د ، سا || تدل : بكثرتهاد ، سا ، ط ، م || وقلة : وقلة م
 (١٥) الحارة : الحادة سا .

[الفصل السادس]

(و) فصل

في الحوادث الجبار التي تحدث في العالم

ومما يخلق بنا أن نتكلم فيه في هذا الموضع أمر الطوفانات ، فنقول : إن الطوفان هو غلبة من أحد العناصر الأربعة على الريح المعمور كله أو بعضه ، أو كون أحد العناصر غالباً بهذه الصفة ، على حسب ما يرى أهل اللغة استعماله عليه . والأعرف عند الجمهور من أمر الطوفانات ، هو ما كان من الماء ، وكأن هذا الاسم إنما وضع لهذا المعنى .

فنقول : إن السبب في وقوع الطوفانات اجتماعات من الكواكب على هيئة من الهيئات توجب تغليب أحد العناصر في المعمورة ، قد عاوتها أسباب أرضية واستعدادات عنصرية . فالمائية منها قد تقع من انتقالات البخار على صُقع كبير دعة ، لأسباب عظيمة ريحية توجب ذلك ، أو أسباب توجب شدة من المد ، ومن أمطار دائمة ، ولاستحالة مفرطة تقع للهواء إلى المائية . والنارية تعرض من اشتعال الرياح العاصفة ، وهذه أشد انتشاراً . والأرضية تعرض لسيلان مفرط يقع من الرمال على براى ءامرة أو لكيفية تسيل أرضية باردة مجمدة ، مما حدثنا عنه . والهوائية تقع من حركات ريحية شديدة جداً مفسدة .

ومما يقع في وجود هذه وحدوثها كثرة الأخبار المتواترة في حديث طوفان الماء . وما يقع في إثبات ذلك أن الأشياء القابلة للزيادة والنقصان والقلة والكثرة ، وإن كان أكثر الوجود فيها الوجود المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وما يقرب منه ، فإن طرفيها

(٢) فصل : الفصل السادس د ، م (٤) الطوفانات : الطوفان ط (٥) كون : ساقطة من د ، سا ، ط ، م . (٧) الطوفانات : الطوفان سا ، ط (٩) تغليب : ساقطة من سا (١٠) صقع : [الصقع ناحية الأرض والبيت والجمع أصقاع (اللسان)] (١١) المد : المسد ط (١٢) تعرض : ساقطة من سا || اشتعال : اشتعال سا (١٣) أشد : ساقطة من م || الرمال : الزمان سا . (١٤) تسيل : تشدد ، سا ، م ، ي شديدة ط || مجمدة : ومجدة م . || عنه : عنها سا || تقع : تحدث ، سا ، تعرض ط ، م || مفسدة : معسرة د . (١٥) كثرة : مرة د ، سا ، م || حديث : ساقطة من د ، ط ، م (١٧) الوجود (الثانية) : ساقطة من ب || بين : ما بين ط || طرفيها : طرفها ط .

لا يخرج عن حد الإمكان . وكما قد يتفق كثيرا أن تأتي السنون على بقاع عظيمة من المعمورة فلا يكون فيها مطر البتة، وذلك في جانب النقصان؛ فكذلك قد يمكن أن يفرط المطر دفعة واحدة، ويستحيل الهواء إلى طبيعة مائية دفعة، إذ كان ما بين هذه الأوساط مختلفا بالزيادة والنقصان، وكذلك في سائر الطوفانات . وإن كان ما نحس من اتباع البخار لجهة من الفلك صحيحا، فيجب أن ينتقل بانتقاله حتى يعم وقاما هذه النواحي التي لا يجوز أن تتعدها العارة، وهو أن يحصل الموضع الناقل للبحر الأعظم بانتقاله من الفلك كأوج أو حضيبض أو شيء آخر غيره في قرب معدل النهار، فيسيح الماء على المكان الذي يجب أن تكون فيه المعمورة، وينكشف قطب أو قطبان، وينقل إليها البر المقابل للبحر، وهناك مانع من العارة، فتكون الأرض مقسومة إلى بروج مائيس أحدهما محتمل للعارة بالحيوانات المتنفسة من الهواء . وكذلك إن كان حال الميل، وما نحس من غيره وزواله شيئا ثبت له حقيقة، وحتى يصح أن يكون لفلك البروج انطباق أو شبه انطباق مع دائرة معدل النهار، إن جميع ذلك مما يوجب فساد العارة، وإن لم يكن ذلك أيضا بممكن؛ فإن ما قلناه من الإفراطات وما نصحه من إمكان انتقال البحار من ناحية قطب إلى قطب غير خارجة عن الإمكان .

ونحن نعلم بأقوى حدس أن ناحية الشمال كانت مغمورة بالماء حتى تولدت الجبال . والآن فإن البحار جنوبية، فالبحار مقلية، وليس يجب أن يكون انتقالها محدودا، بل يجوز فيه وجوه كثيرة، بعضها يؤذن بانقطاع العارة، فيشبه أن تكون في العالم قيامات تتوالى في سنين لا تضبط تواريخها . وليس بمستكر أن تفسد الحيوانات والنباتات أو أجناس

- (١) لا يخرج : لا يخرجان د ؛ لا يخرجان سا || قد : ساقطة من سا ، م . (٢) فكذلك : وكذلك سا .
 (٣) إذ كان : إذا كان د ؛ أو كان سا (٤) وإن : فإن د ، سا || ما نحس : ما يحدث ط (٥) يعم : يعمر ب ، سا ، ط ، م . (٦) الموضع : الوضع ط (٧) أو حضيبض : أو كضيبض م || معدل : بمعدل ط
 || الماء : المياه د ، سا . (٨) فيه : في د (٩) محتمل : يحتمل ط ؛ محتمل م || للعارة : في العارة سا
 || حال : حبال سا || وما نحس : وما يحدث ط (١٠) وحتى : حتى ب ، م . (١١) فساد : أحوال د ، سا .
 (١٢) وما نصحه : وما يصحه ط (١٣) نعلم بأقوى حدس || نسلم بأدنى حد من ط (١٤) فإن البحار : فالبحار ب ، ط ، م || وليس : فليس ط || يكون : ساقطة من م . (١٥) فيشبه : ويشبه ب
 (١٦) لا تضبط : ولا تضبط ط || والنباتات : النبات ب ، د ، سا ، م .

منها ، ثم تحدث بالتولد دون التوالد . وذلك لأنه لا برهان البتة على امتناع وجود الأشياء وحدوثها بعد انقراضها على سبيل التولد دون التوالد ، فكثير من الحيوانات يحدث بتولد وتوالد ، وكذلك النبات . وقد تتحد حيات من الشعر ، وعقارب من الثبن والبازروج ، والفأر يتولد من المدر ، والضفادع تتولد من المطر ؛ وجميع هذه الأشياء فلها أيضا توالد . وليس إذا انقطع هذا التولد ، فلم يشاهد في سنين كثيرة ، يوجب أن لا يكون له وجود في النذرة ، ٥ عند تشكل نادر يقع من الفلك لا يتكرر إلى حين ، واستعداد من العناصر لا يتفق إلا في كل طرف زمان طويل ؛ بل نقول : إن كل ما يتولد من العناصر بمزاج مآ يؤدي إلى وجود نوع لوقوع ذلك المزاج بسبب اجتماع العناصر على مقادير معلومة . فما دامت العناصر موجودة ، وانقسامها إلى تلك المقادير واجتماعها ؛ كئنا ، فالمزاج الحادث منها ممكن . فإن كان الامتزاج الأول غير كاف ، بل إنما يتكون بامتزاج ثان وثالث ، فإنه ١٠ كما أن الحيوان يتولد عن امتزاج الأخلاط بعد امتزاج العناصر ، فليس بمستنكر أن يحدث الاجتماع الثاني ، والامتزاج الثاني بعد حدوث الامتزاج الأول من غير بذر أو منى .

فإن ظن أن ذلك يمتنع ، إلا في مكان محدود وقوة محدودة كالرحم والمنطفة ، فإن الكلام بعد المسامحة قائم في المزاج الذي يقع للرحم ، حتى يتكون فيه ما يتكون ؛ والذي يقع للمنطفة ، حتى يتكون منها ما يتكون . فإن الكلام في ذلك كالكلام في الأصل . ١٥ فإن جميع هذه إنما تتكون عن امتزاج ينتهي إلى العناصر ، فإن ابتداء ذلك من العناصر ثم يستحيل ، والرحم مثلا ليس يفعل شيئا إلا ضبطا وجمعا وتأدية ، وأما الأصل فهو الامتزاج ، والامتزاج عن الاجتماع . وهذا الاجتماع كما يمكن أن يقع عن قوى جامعة في الرحم وغيره ، فلا يبعد أن يقع بأسباب أخرى ، وبالاتفاق . فإنه ليس جزء من الأرض

(١) بالتولد : التولد م || البتة : ساقطة من د ، سا || امتناع : ساقطة من م ، ٥ (٢) وحدوثها : وحدود لما ط || التولد دون التوالد : التوالد دون التولد م || فكثير : وكثير م (٣) وتوالد : وتوالد ط || تتحد حيات : تتحد حيات ط . (٥) لا يكون : يكون م (٧) بمزاج ما : بمزاج د ، سا (٨) نوع : نوع : + له م . (١٠) الأول : الأول م || فإنه : ساقطة من سا (١٢) الثاني (الأولى) : ساقطة من د (١٣) والمنطفة : والمنطفة م (١٤) قائم : قائمة سا ، ط || للرحم : في الرحم ط (١٥) والذي : فالذي م || منها : منه ب ، د ، ط ، م . (١٦) عن : من د ، سا (١٧) يستحيل : يستحل سا ، ط (١٨) عن (الأولى) : غير د ، سا .

يستحيل أن يوافق جزءا من الماء ، ويلتقي به على وزن معلوم ؛ وليس يمتنع أن يقع ذلك الوزن ولا معاق ، فلا يحتاج إلى صَوَان . وأما القوى الفعالة فيها واهب القوى ، إذا حصل المستعد ، فيفعل بعد المزاج الأول ما يجب في تكميل النوع من الأمزجة الثانية والثالثة ، • يرفدها التدبير العالى رفدا كافيا .

• نعم إن كانت مثلاً رحم ، كان ذلك أسلس وأوفق ؛ وإن لم تكن ، فليس مستحيلا في العقل أن يقع ذلك من حركات وأسباب أخرى . فإن كان الرحم يفيد شيئا غير المزاج الذى تستعد به للصورة ، فيكون الرحم علة مفيدة للصورة .

وليس هذا هو مذهب أهل الحق من المشائين ، بل الصور والقوى الجوهرية إنما تستفاد كلها من المبادئ التى هى موجودة دائماً لا تتغير إذا وقع الاستعداد ، والاستعداد هو المزاج . فإذا كان جائزاً أن تجتمع الأركان على نسبة من أجزائها توجب أى مزاج كن ، وتركب تركيباً ثانياً على أى نسبة كانت ، وكانت الاستعدادات تحصل من ذلك ، وكان لا يجب أن يعارض ذلك دائماً ما هو مفسد مضاد ، وكان الفيض الواهب للصور من عند المبادئ الدائمة ، فبالحرى أن يجوز تكون أى مركب شئت من العناصر لا على سبيل التوالد . ولولا هذا لكان يجوز أن يقع للأشياء أنواع انقطاع ، وذلك لأنه ليس بواجب أن يكون عن كل إنسان إنسان ضرورة ، ولا عن كل واحد من الناس ، وكذلك عن كل شجرة ؛ بل ذلك جائز أكثرى ، ولا يستحيل أن يفرض وقت ما يتفق فيه أن تنصرم كائنات من غير أن يتكون عن كل واحد منها خالف ، إذ لا يوجد ولا واحد منها واجبا بالضرورة أن يتكون منه آخر . لأن الجماع الذى هو مبدأ التوالد

-
- (١) الماء : المياه سا (٢) صوان : حيوان د ، سا ؛ صون طا || فيها : فيؤها سا
 (٤) والثالثة : ساقطة من م (٥) كانت : كان سا || أسلس : + وأقوى ط (٧) للصورة :
 الصورة ب (٩) إنما : وإنما م || من : + هذه د ، سا (١٠) فإذا : فإن د ، سا
 (١١) تركيباً : تركيباً د ، سا ، م || كانت : كان د ، سا (١٢) ما هو مفسد : وهو مفيد م ||
 الفيض : فيض د (١٣) تكون : أن يكون ط (١٥) بواجب : يوجب د (١٥) كل
 (الثانية) : ساقطة من ب ، ط ، م || من : ساقطة من سا (١٦) ولا يستحيل : ولا يجوز سا
 (١٧) منها : منها سا (١٨) منها : منها سا .

إرادى لا ضرورى ، ووقوع البذور فى البيادر طبيعى من جملة الأكثرى لا من جملة الضرورى ، أو إرادى . ولا شىء من هذين يجب ضرورة ، وما لا يجب ضرورة فيجوز أن يقع فى النادر بخلاف ذلك .

- فلو لم تكن حركات ونسب عائدة من الأفعلاك توجب كون أشخاص من هذه الأنواع مبتدأة حتى لا يكون لشيء من الأنواع انقطاع ، بحيث لا يعود ، لكان يجوز أن يقع هـ انقطاع لا عود له ، ولكان هذا الجائز قد وقع فيما لا نهاية له من قدرة الله . وأنت إذا تأملت الصناعات وجدتها مخترعة عن روية النفس ، أو من إلهام الله ، وأنها لا يكون مبدؤها إلا روية شخص أو إلهام شخص . فإن الكلى متوهم لا وجود له ، وما مبدؤ، جزئى حادث فهو حادث بعد ما لم يكن أصلا . فكل صناعة حادثة، ويدل على حدوثها تزيدها كل وقت ، ويدل حدوثها على أن الناس منشأون بعد انقراض . لأن كثيرا منها بحيث لا يصح قوام شخص الإنسان الذى لا يختص بخاصية إلهام ، ومعونة إلهية مخالفة للوجود لنا دونها ، فيجب أن يكون الإنسان الذى أنشأها مستغنيا عنها بخاصية تكون لناس ليسوا أمثالنا . وليس يجوز أن يقال : إن تلك الخاصية لم تزل موجودة للناس الأولين ، ثم انقرضت ، بل إنما توجد تلك الخاصية لناس بأعيانهم ، فيكون أول إنسان أو أول ناس فى هذا الاتصال المتأدى إلينا قد خص بها . وإذا كان كذلك ، وجب أن يكونوا قد حدثوا لا بالولادة . وهذه هـ الخاصية إما استغناء لسبب فى الجبلية كالبهائم ، ثم يتبعه انبعاث إرادة لإنشاء الصناعة بسبب غير ذلك المستغنى ، أو لشدة الاستظهار للمستغنى ، أو إلهام سماوى يوصل عن قريب إلى مفروغ عنه ، يكون ذخيرة إلى وقت طلب الآخر بالروية والفكر .

(٢) ولا شىء : ولا أحد سا (٤) كون : أن تكون د ، سا ؛ تكون ط
(٥) من : + هذه سا (١١) ومعونة : ومعرفة سا . (١٢) بخاصية : بخاصيته ط
(١٥) حدثوا : أحدثوا م (١٦) لسبب : بسبب د ، ط ، م || يتبعه : يتبعها ط (١٧) لشدة : بشدة سا
|| المستغنى : المستغنى ط (١٨) والفكر : + آخر المعادن والآثار العلوية ويتلوه الفن السادس وهو كتاب النفس والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلامه ؛ + ثم الفن الخامس من جملة الطبيعيات فى الآثار العلوية بحمد الله وحسن توفيقه د ؛ + هذا آخر كتاب المعادن والآثار العلوية ويتلوه الفن السادس وهو كتاب النفس ثم الفن الخامس من الطبيعيات والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ط ؛ + ثم الفن الخامس والحمد لله والمئة والحمد لله على نعمه م .

المصطلحات

أرض ٩ — ١٠ — ١١ — ١٣ — ١٤ —
 — ٢١ — ٢٠ — ١٩ — ١٨ — ١٥ —
 — ٤٦ — ٤٥ — ٣٩ — ٣٢ — ٢٥ —
 — ٧٦ — ٧٥ — ٧٤ — ٧٣ — ٦٨ —
 ٧٨
 أرض رخوة ١٨
 أرض سهلة ٢٠
 أرض صلبة ١٨
 أرضية ١١ — ١٢ — ٢٠ — ٢١ —
 — ٧٦ — ٧٣ — ٢٩ — ٢٨ — ٢٢ —
 ٨٠ — ٨٣ —
 أرهاص ١٦ — ١٧
 استحالة ١٣ — ٣٣ — ٧٤ — ٨٠ — ٨١ —
 استحجار ١٧
 استحرار ٨٢
 استحصاف ٤٥ — ٧٨
 استظهار ٨٧
 على الاستقامة ٤٨ — ٦٦
 استمسك ١١
 استنقاع ١٧
 إسخان ٧٦
 (اسطاذا) ٥٧
 اسطوانة ٣٦
 اشتعال ٧٦ — ٧٩ — ٨٠ — ٨١ —
 إشراق ٥٦ — ٦٢ — ٦٥ — ٧٩ — ٨٠ —

(١)

آن ٧٧
 ابتداء ٧١
 إبصار ٢٧ — ٧٧
 بالاتفاق ٨٥
 أتون (أتونات) ٦٦
 أثر ٦٠
 آثار ٧٩ — ٨٢
 آثار علوية ٩ — ١٠ — ٤٦ —
 أنير ٧٨
 آجرة ١٦ — ١٧
 إجماد ٢٦
 احتباس ٢٠ — ٢٥ — ٧٥
 احتقان (البخارات) ١٩ — ٢٠ — ٧٤ —
 أحجار ١١ — ١٢ — ١٥ — ٢٨ — ٢٩ —
 أخايد ٨٢
 أداء ٥٢ — ٥٣ — ٥٥ — ٥٨ —
 أديم ١٩
 أديم الأرض ١٩
 أديم القرار ١٩
 ارتقاء ٦٧
 أرجوان ٦٠
 أرجواني ٦٢ — ٦٣ —
 أرجوانية ٦١ — ٦٢ — ٦٣ — ٦٤ —

انصراف (الأدخنة) ٦٧
 انضغاط ٧٩ — ٧٦ — ٤٤
 انطباع (الصورة) ٦٠ — ٥٠ — ٤٨
 انطباق ٨٤
 انعقاد ٤٣ — ٣٠ — ٢٨ — ١٢
 انعكاس ٦٢ — ٥١ — ٥٠ — ٣٩
 انفجار (الأرض) ٢١
 انفراج (الزاوية) ٦٢
 انفعال ٧٥
 انقراض ٨٧
 آنك ٣٠
 انكشاف ١٦ — ١٥
 انهدام ٢٤ — ٢٣
 أوج ٨٤
 (أوجات) ٣٣
 أودية ٦٧ — ١٩ — ١٨ — ١٦
 (ب)
 بئر راكدة (آبار راكدة) ٢٢
 باذروج ٨٥
 بحر (بحار) ٨٤ — ٧١ — ٧٠ — ١٨
 بخار (أبخرة) — ٢٠ — ١٩ — ١٨
 — ٢١ — ٢٢ — ٢٦ — ٣٩ — ٤٤
 — ٤٦ — ٤٧ — ٦٤ — ٧٣ — ٧٥
 ٨٤ — ٨٣ — ٧٩ — ٧٦
 بخار دخاني ٧٩ — ٧٥ — ٦٨ — ٥٧

أشعة ٣٦
 إشفاف ٧٧ — ٥٩
 أصداف ١٥
 أصل ٨٧ — ٨٥
 إضاءة ٦٥ — ٣٦
 أضواء ٧٦
 أعز^(١) (م . عز) ٨١
 أفق ٦٩ — ٦٤ — ٦٢ — ٦١ — ٥٨
 أكوان الكائنات ١٠ — ٩
 التفاف (الزوبعة) ٦٨
 التهاب ٨١ — ٧٦
 إلحاح الشمس ٣٧
 امتزاج ٨٥ — ٦٢ — ٢٠
 امتزاج أول ٨٥
 امتزاج ثان ٨٥
 أمراض حارة يابسة ٨٢
 انبعاث ٨٧
 إنبيق ١٩
 انتقاع ٢٤
 انخفاص ١٦ — ١٤
 انحلال ٧٣
 أنداء (م . ندى) ١٩ — ١٧
 اندفاع (الريح) ٢٥
 انرضاض ١٦

بِلَّةَ أَرْضِيَّة ٤٦ — ٤٧ — ٧١

بيادر ٨٧

بيضاء (رياح) ٧٣

بيضية (رياح) ٧٣

(ت)

تأدي (الصورة، الخيالات) ٤٩ — ٥٠

تأدية ٥٢ — ٥٣ — ٥٥ — ٥٦ — ٥٧

تبخير ٣٣

تبدر (القدر) ٦٥

تبريد ٧٦

تجاويف الأرض ٢٦ — ٢٧

تجربة (تجارب) ٢٧

تجربي ٥٢

تجفيف ٢٦

تختاني ٥٧

تخجر ١١ — ١٣ — ١٥ — ١٦ — ١٧

تخجير ٣٣

تحلل ١٣ — ١٩ — ٤٣ — ٤٦ —

٥٧ — ٦٨ — ٧٨ — ٧٩

تحليل ٢٦ — ٥٥

تخصيف ٢٦

تخلخل ٢٥ — ٤٥ — ٦٧

تخوم ٨١

تديردال ٨٦

تدريح ٦٢

تراب ١٦ — ١٧ — ٢١

ترابي ١٥

بخار رطب ٦٦ — ٦٧ — ٧٩

بخار ريحي ٢٤

بخار سازج ٤٧

بخار مائي ٧٥

بخار متصمد ١٩

بخار محتقن ١٨

بخار ناري ٢٤

بخار يابس ٦٦

بخارات ١٩ — ٢١ — ٢٢ — ٧١

بذر (بذور) ٨٥ — ٨٦

براري ١٩ — ٨٣

برد ٤٤ — ٤٥ — ٤٦ — ٧٥

برد ١٩ — ٣٤ — ٣٧ — ٣٩ — ٤٥ —

٤٦ — ٦٧ — ٧٥ — ٧٦ — ٧٩ —

٨٠ — ٨١

برق (بروق) ١٣ — ٥٠ — ٧٤ —

٧٥ — ٧٦ — ٧٧ — ٧٨

برية ٧١

بصر ٤٨ — ٤٩ — ٥٠ — ٥١ —

٥٢ — ٥٦ — ٥٨ — ٥٩ — ٦٢ —

٦٣

(علم) البصر ٥٤

بقعة (بقاع) ١٣ — ٢٤ — ٣٥ —

٦٢ — ٦٨ — ٧٤ — ٧٦ — ٨٤

بل ٧٣

تربة ١٦

ترطب ٧١ — ٢٤

ترطيب ٧٤ — ٧٢ — ٦٨

تسخين ٧٣

تشع ٥٣

تشبيهات حسية ٣٠

تشيرير ٨١

تشعير ٨١

تشكل (الزوبعة) ٦٩

تصاك ٧٧

تصعد ٦٨ — ٤٧ — ٤٤ — ٤٣ — ٢٩

تصعيد ٧٤ — ٧٣ — ٣٣

تعاريج ٢٧

تعاقب ٢٦

تفتت ٢٤ — ١٧ — ١٦ — ١١

تفجير ٢١ — ١١

تفجير ٢٥

تفصي ٧٦

تقبض ٤٣

تقييب ٥٢

تقزح ٥٧

تقطير ١٩

تكانف ٧٥ — ٤٤ — ٤٣ — ١١

تكون ١٦ — ١٥ — ١١

تكيف ٥٥

تلوب (الزوبعة) ٦٨

تمثل ٥٤ — ٥٣

تمثيل ٥٣

تموج ٧٧ — ٢٧

تمويج (الأرض) ٢٣

تنين ٦٩

تولد ٨٥

توالد ٨٦ — ٨٥

(ث)

ثخن ٨٢

ثلج (ثلوج) ٧١ — ٤٧ — ٤٦ — ٤٤ — ١٩

نوابت (كواكب) ٥٣ — ٣٢

(ج)

جامد ٧٣ — ٧١ — ٤٥

جبل (جبال) ١٧ — ١٦ — ١٥ — ١١ — ١٧

١٨ — ١٩ — ٢٠ — ٣٢ — ٣٣

٤٣ — ٥٩ — ٦٠ — ٦١ — ٧٠

٨٤

جبله ٨٧

بالجبله ٢٨

جرم ٧٩ — ٧٨ — ١٩

جزئي ٨٧

جسد (أجساد) ٣١ — ٢٩

جسم (أجسام) ٤٩ — ٣٥

جسم أرضي ٧٩ — ٢٣

جسم بخاري ٤٣ — ٢٣

جسم بخاري دخاني ٢٣

جسم دخاني ٢٣

جسم ريحي ٢٣

حرارة ١٢ — ١٤ — ٢٦ — ٢٨ — ٣٤ —

٣٦ — ٣٧ — ٣٨ — ٣٩ —

حرارات ١٨

حرارة ١٢ — ١٩ — ٤٦ — ٧٣ — ٧٤ —

٧٦

حرارة سمائية ٤٧

حرارة محتقنه ١٥ — ١٨ — ٤٧

حرارة مفرطة ٧٦

حرارة ٧٦ — ٧٧ — ٧٩

حس ٥١ — ٥٢ — ٥٤ — ٨٠

حصى ١٢

حضيض ٣٣ — ٨٤

حُفُور ١٥

حَقْن البخار ١٨

حَقْن الحَرَّ ٧٧

حمرة ٦١ — ٦٢

حَمَى ٢٩

حيز (أحياز) ١٩ — ٤٤ — ٤٥ — ٤٦ —

٦٧ — ٨١

حِيل ٢٨

حيوان مائى ١٥

(خ)

خاصية ٨٧

خالص ٨١

خالف ٨٦

خسوف ١٣

خط الاستواء ٣٤ — ٣٥ — ٣٧ — ٣٨

خط البصر ٥٦ — ٥٨

جسم مائى سيال ٢٣

جسم مضى ٥٣

جسم معدنى (أجسام معدنية) ٢٠ — ٢٨

جسم نارى ٢٣

جسم هوائى ٢٣

جسم يابس ٧٩

جليد ٤٧

جمد ٤٤ — ٤٥

جمود ١١ — ١٢ — ٢٨ — ٤٥ — ٧١

جو ٥٩ — ٦٥ — ٧٤ — ٧٩ — ٨٢

جوهر ١١ — ١٣ — ١٦ — ١٧ — ١٩ —

٢٠ — ٢٩ — ٣١ — ٦٩ — ٧٦ —

٨٠

جوهر أرضى ٢٨

جوهر بخارى ٤٣

جوهر مائى ٢٨

جوهر معدنى ١٨ — ٢٨

(ح)

حائل ١٧ — ٤٣

حب القطر ٤٤

حجر (حجارة) ١١ — ١٢ — ١٣ — ١٤ —

١٥ — ٢٠

حجرى ١٥

حجريات ٢٨

حجرية ١٣ — ١٦

حديد ١٩

خط المحور ٥٨

خطوط بصرية ٥٦ — ٥٨

خفق الرياحية ٧٧

خاخلة ٤٥ — ٦٧ — ٧٦

خليج ٣٩ — ٤٠

خايط (أخلاط) ٢٠ — ٨٥

نمود ٧٧

خيال (خيالات) ٤٨ — ٥٠ — ٥١ —

٥٢ — ٥٥ — ٥٩ — ٦٠ — ٦١ —

٦٤

خيالات قزحية ٥٧

خيالى ٥٤

خيل (اللون) ٥٣ — ٥٥ — ٥٦ — ٦١ —

٨٢

(د)

دائرة (دوائر) ٦٠ — ٦١ — ٦٢ — ٦٤

دائرة معدل النهار ٨٤

دائرة نصف النهار ٦٩

الدُّبُور (رياح) ٦٩

دخان ١٣ — ٤٣ — ٤٤ — ٤٦ — ٤٧ —

٦٦ — ٦٧ — ٦٨ — ٧٣ — ٧٥ —

٧٦ — ٧٩ — ٨٠ — ٨٢

دخان ساذج ٤٧

دخان يابس ٦٧

دخانية ٨٠ — ٨٢

دهنى ٢٨

دهنية ٢٨ — ٧٦

ديمة ٤٤

(ذ)

ذائبات ٢٨ — ٢٩

ذوات الأذنان ٤٧ — ٧٤ — ٧٥ — ٨٠

ذو الشبح ٤٩ — ٥٤ — ٦٣

ذو الصورة ٤٩

(ر)

رائحة الكبريت (روائح الكباريت) ٢٩

الرائى ٤٨ — ٥١ — ٥٣ — ٥٤ — ٥٦ —

٥٧ — ٥٨

رابية (روابي) ١٤

رجم (رجوم) ٤٧ — ٧٩

رجفة ٧٤

رحم ٨٥ — ٨٦

رخو ١١

رسوبى ١٧

رش المطر ٤٥ — ٥٩ — ٦٠ — ٦٢

رصاص ٢٩

رصاص قلبي ٣٠

رطب ٤٧ — ٥٧

رطوبات ١٨ — ٧٣

رطوبة ٢٦ — ٢٨ — ٣٣ — ٦٠ — ٦٨ —

٦٩ — ٧٢ — ٧٧ — ٨٠

رعد ٧٤ — ٧٥ — ٧٦ — ٧٧ — ٧٨

رعون الجبال ٢٤

ركن ٨٦

رماد ٧٩

رياح باردة ٧١

رياح شرقية شتوية ٧١

رياح شرقية صيفية ٧١

رياح شمالية ٤٦ — ٧٠ — ٧٣

رياح شمالية شرقية ٧١

رياح كدرة رطبة ٧٠

رياح محتقنة ٢٥

رياح مصوثة ٢٥

رياح نكباء ٧٠

ريحية ٧٧

(ز)

زائدة (زوائد) ٨١

زئبق ٢٩ — ٣٠

اج (زاغات) ٢٩ — ٢٨ — ١٩

زاوية (زوايا) ٥٢ — ٦٢

زلازل اختلاجية (عرضية رعشية) ٢٧

زلازل رجفية ٢٨

زلازل سلمية ٢٧

زلزلة (زلازل) ١٣ — ١٤ — ٢٣ — ٢٤ —

٢٥ — ٢٦ — ٢٧ — ٣٢ — ٧٤

زمان ٢٧ — ٧٧ — ٧٨ — ٧٩ — ٨٥

زوايا حادة ٣٦

زوايا متساوية ٥٤

زوايا متفرجة ٣٦

زوبعة ٦٨ — ٦٩ — ٧٢

زوبعة صاعدة ٦٩

زوبعة لطيفة ٦٩

زوبعة نازلة ٦٩

رياح بيضاء ٧٣

رياح بيضبة ٧٣

رياح جاعفة ٦٨

رياح جنوبية ٧٠ — ٧٣

رياح حارة ٧١

رياح حولية ٧٣

رياح خارقة ٧٧

رياح صحابية ٦٨ — ٦٩ — ٧٨

رياح صاعقة زوبعية ٦٩

رياح غربية جنوبية ٧١

رياح غربية صيفية ٧١

رياح غير متضادة ٧٢

رياح متضادة ٧٢ — ٧٤

رياح متقابلة ٤٣

رياح متناعة ٢٦

رياح مشرقية ٦٩ — ٧٠ — ٧١

رياح مغربية ٦٩ — ٧٠ — ٧١

رياح (رياح) ١٤ — ١٥ — ٢٥ — ٢٦ —

٥٧ — ٦٦ — ٦٨ — ٦٩ — ٧٠ —

٧١ — ٧٢ — ٧٣ — ٧٤ — ٧٦ — ٧٩ —

٨٢ — ٨٣

رياح الجنوب ٦٩

رياح الدبور (= المغربية) ٦٩

رياح الشمال ٦٩

رياح الصبا (= المشرقية) ٦٩

رياح صحابية ساذجة ٧٨

رياح صحابية مشتعلة ٧٨ — ٧٩

(س)

ساذج ٤٧

ساف ١٧

سحاب (سحب) ١٧ — ١٨ — ٢٠ — ٢٥

٤٣ — ٤٤ — ٤٥ — ٤٦ — ٤٧

٥١ — ٥٥ — ٥٦ — ٥٧ — ٥٩

٦١ — ٦٢ — ٦٤ — ٦٥ — ٦٨

٦٩ — ٧١ — ٧٥ — ٧٦ — ٧٧

٧٨

سحاب ثخين ٥٦

سحاب رقيق ٥٦ — ٦٤

سحاب كثيف ٥٨

سحاب كدر ٥٩

سحاب مائي ٥٨

سحاب مظلم ٥٩ — ٦٠

سحب بعيدة ٤٥

سحب دوان ٤٥ — ٥٧

سحب ماطرة ٢٠ — ٤٣

سحب مستطيلة ٢٥

سحونة ٣٦ — ٦٧ — ٦٩

سحيف الجوهر ٢٨

سفلاني ٦٢

سقوط (الضوء) ٥٥

سنت الرأس ٣٧ — ٣٩ — ٥٦

سهل ١٦

سيول ١٤ — ١٥ — ١٦

(ش)

شاف ٣٥ — ٣٦ — ٨٠

شب ٢٨ — ٢٩

شبح (أشباح) ٤٨ — ٤٩ — ٥١ — ٥٤

٥٦ — ٦٠ — ٦٣

شبح المرئي ٥٠

شط ١٦

شعاع ٢٠ — ٣٥ — ٣٩ — ٤٨ — ٤٩

٥١ — ٥٥ — ٥٦ — ٦٠ — ٧٨

شعاعات ٤٩

شعلة ٨٠ — ٨١

شفاف ٥٢

شفيف ٥٩ — ٦٠

شميسات ٤٧ — ٤٨ — ٦٤

شهب ٤٧ — ٧٤ — ٨٠

شهب دائرة ٧٥

شهب الرجم ٧٩

(ص)

صاعقة (صواعق) ١٣ — ٤٧ — ٧٤

٧٥ — ٧٨ — ٧٩

الصَّبَا (ريح) ٦٩

صَبْغ ٣١ — ٦٤

صحو ٥٧ — ٧٣

صَفَق ٧٧

صقالة ٦٤

صقيع ٧٩

صقيل ٤٨ — ٤٩ — ٥١

طوق الشمس ٦٥
 طين ١١-١٢-١٤-١٥-١٦-
 ٣٣-١٧
 طينات ١١
 طينة ١٦-١٧-٣٠
 (ظ)
 ظُلْمَة ٥٣-٦١
 (ع)
 حاكس (للنور) ٦٥
 حامر ٣٥
 عرضي ٨٢
 عِرْق (عروق) ١٦
 عروق الطين ١٦
 عصير ٢٣
 عقد ٤٤-٧٥
 عكوس ٨٢
 العناصر الأربعة ٨٣
 عتر (ج أعتر) ٨١
 عنصر (عناصر) ١٣-٣٢-٣٣-
 ٨٥-٨٦
 العلامات الحائلة ٤٧-٧٤-١٢
 علم البصر ٥٤
 عين (عيون) ١٨-١٩-٢٢-٢٧-
 ٣٢-٦٧
 عيون راكدة ٢١-٢٢
 عيون سيالة ٢١

صناعة ٨٧
 بالصناعة ٢٨-٣٠
 صوت ٥٠-٧٧
 صورة ٤٨-٥٠-٨٦
 صورة حقيقية ٥١
 (ض)
 ضباب ٤٦
 ضبابي ٢٦
 بالضد ٨٢
 بالضرورة ٨٦
 ضوء ٥٣-٥٥-٦١-٦٤-٦٥-
 ٧٨-٧٩-٨٠
 ضوء خيالي ٦١
 (ط)
 طب ٢٧
 طبقات الهواء ١٩
 طبقة ١٧
 طبيعة (nature) ٧٥-٨٢-٨٤
 طفاوة ٥٧
 طفو ٧٧
 طفوء ٧٩-٨٠
 طل ٤٤-٤٦-٤٧
 طَلَّى ٦٠
 طوفان (طوفانات) ٨٣-٨٤
 طوفان الماء ٨٣
 طوق ٦٢

(غ)

غامر ٣٥—٣٤

غدوات ٦٠—٢٦

غليان ٧٧

غمام ٧٥—٦١—٥٥—٤٦—٤٤

٧٨—٧٦

غماوة (غمامات) ٤٣—٢٦

غور (أغوار) ٨٢—٣٣—٣٢—٢٣

غور الأرض ٧٤—٢٦

غيم (غيوم) ٧٧—٦٠—٤٦—٤٤

غيوم مشرقية ٨٢

غيوم مغربية ٨٢

(ف)

فاعل ٧٢—٧١

فجاج ١٦

فراخ (فراخ) ٦٤—٤٣

فصول ٧٥—٢٥

فصول السنة ٧٢

فضاء ٥٩

فَعَال ٨٦

فلك (أفلاك) ٨٧—٨٥—٨٤—٨٢

فلك البروج ٨٤

فوقاني ٧٥—٦٢—٥٧

فيضان ١٥

(ق)

قَرَار ٢٤—٢٣

قطب ٨٤—٧٣

القطب الجنوبي ٣٤

القطب الشمالي ٣٤

قَطَر ٤٣—١٩

قَطَر (أقطار) ٦١—٥٧

قَطَر ٤٥

قِطْع ٦٢—٦١—٥٥

قِطْقُط (نوع من المطر) ٤٥

قِطْقُط (نوع من الزلازل) ٥٧

قِطْوَع دُفِيَّة ٣٥

قعر الأرض ٢٦

قلقطار ٢٩

قلقند ٣١—٢٩—٢٨

قلل (الجبال) ٦٠—٤٧—٤٤—٢٤

قنى ٢٥—٢١

قنينة ٧٦

قوابل ١٩

قوس ٦٢—٦١—٦٠—٥٩—٥٨

٦٥—٦٤—٦٣

قوس قزح ٦٤—٥٧—٥٥—٤٨—٤٧

قوسى اللون ٦٠—٥٨

قوة (قُوَى) ٨٦—٨٢

قوة فاعلة ٨٠

قوة قابلية ٨٠

(ك)

كائنات ٨٦-٤١

كباريت ٣٠-٢٩-٢٨

كبريت أبيض ٣٠

كثافة ٨٢-٧٦-٧٥-٢٥-١٩

كثيف ٨١-٢٧

كُدر (اللون) ٦٢

كرائي (اللون) ٦٣-٦٢

كرة الأرض ٣٤

كرية الأرض ٣٢

كسوفات ٢٦

كلى ٨٧

كوكب (كواكب) ٥٥-٤٧-٤٠

٥٦-٨١-٨٠-٧٩-٧٥-٧٤

٨٣

كواكب الرّجم - الكواكب الرّجّة ٧٤

كيران (م. كور) ٢٥

(ل)

لبن العذراء ١٢

لنج ١٥

لزوجة ٧٦

لطافة ٨١

لفائف ٦٩

(م)

ماء غمر ٢٦

ماء قاطر ١٢

ماء منبثق ٧٤

ماء يجرى ٢٦

مائة ١١-١٢-٢٨-٢٩-٣٣-

٧٣-٨٣-٨٤

مادة ٤٨-٦٦-٧١-٧٨-٧٩-

٨٠-٨١

مادة دخانية ٨٢

مادة ريحية ٢٥

مالا ينطرق ٢٨

ما ينطرق ٢٨

مباحث ١١

مبادئ ٨٦

مبدأ عنصرى ١٨

متحجر ١٦

متخلخل ٢٥-٢٦-٣٠-٤٥-٧٥-

٧٨

متخيل ٥١

متشاكل ٥٥

متشجّج ٦١

متصعد ٦٧

متضاد ٧٢-٧٤

متكاثف ٢٥-٢٦-٧٨

متلبّد ٧٥

متولد ٧٥

مجاز الشمس ٣٦

محاذيات ٤٩

محاكاة ٧٦

محجّر ١٣

مسالك ١٥
 مسام الأرض ٢٧
 مسامات ٣٢
 مسامة ٣٦—٣٧—٣٩
 المستعد ٨٦
 مسقط ٥٥
 مسيل ١٢—١٥—٢١
 المشاؤون ٦٣—٨٦
 المشارق (الثلاثة) ٦٩
 مشرق الاعتدال ٦٩
 مشرق الشتاء ٦٩
 المشرق الشتوى ٧٢
 مشرق الصيف ٦٩—٧٢
 مُشَقَّ ٤٩—٥١—٥٢—٥٩
 مطر (أمطار) ٤٤—٤٥—٤٦—٤٧—
 — ٥٧ — ٦٤—٦٦—٦٧—٦٨—٧١—
 ٧٦—٨٢—٨٣—٨٥
 معدّل النهار ٨٤
 معدن (معادن) ٩—١٠—٣٢—٧٤
 معدنيات ٢٨
 معصور ٤٣
 معمورة ١٥—٣٨—٧١—٨٣—٨٤
 المغارب (الثلاثة) ٦٩
 مغارة ٢٣
 مغرب الشتاء ٧٢
 مغمور ٢٦
 مفاعلة ٧٧

محسوس ٥١
 محض ٦٧
 مُحَلَّل ٤٦
 محور ٥٤—٥٧—٦١
 محيط الكرة ٣٤
 مخلص الرياح ٢٥
 مخروط ٣٦—٦١
 مَدَّ ٨٣
 مُدَاخَلَةُ الألوان ٦٤
 مدار البروج ٣٧
 مدار الشمس ٤٠
 مَدَر ٨٥
 مذهب أصحاب الشعاعات ٤٨
 مذهب الطبيعيين المحصلين ٤٩
 مذهب المشائين ٥١—٨٦
 مذيب ٢٨
 مرآة (مَرَاى — مَرَايَا) ٤٨ — ٥٠—
 ٥١ — ٥٢—٥٣—٥٤—٥٦—٥٩—
 ٦٣
 مرئى ٤٨ — ٥١ — ٥٢—٥٣—٥٤—
 ٥٧—٦٣
 مركبات ١٣
 مَرَكَز ٥٥—٥٨
 مركز الأرض ٣٦
 مركز الدائرة ٦٢
 مزاج (أمزجة) ٣١ — ٣٢ — ٣٨—
 ٧٦—٧٩—٨٥—٨٦

مياه الآبار ٢١
 مياه القنى ٢١
 مياه النر ٢١
 ميل (ميول) ٢٧ — ٣٥ — ٣٦ — ٣٧ —
 ٧٢ — ٧٥ — ٨٤
 (ن)
 نارية . ١٣ — ٢٥ — ٢٩ — ٨٠ — ٨١ —
 ٨٣
 ناصع اللون ٦٣
 نجد ٣٢ — ٣٣
 نداءات ١٩
 نر ٢١ — ٢٢
 نسبة (نسب) ٤٩ — ٥٣ — ٥٦ — ٨٦ —
 ٨٧
 نشف ٤٦ — ٧١
 نشوء ١٦
 نشيش ٧٧
 نصبة ٤٩
 نصف دائرة ٥٨ — ٦٢ — ٦٥
 نصف النهار (أنصاف النهار) ٢٦
 نفس ٩ — ١٠ — ٤١ — ٨٧
 نقض ٣٦
 نقطة الأسد ٢٣
 نقطة الثور ٣٦
 نقطة الجدى ٣٤ — ٦٩
 نقطة الجوزاء ٣٦
 نقطة السرطان ٣٦ — ٦٩
 نقطة السنبلة ٣٦

مفروغ عنه ٨٧
 مَكْبَة ٤٣
 ملاحات ١٣
 ملح (أملاح) ١٢ — ١٣ — ٢٨ — ٢٩ —
 ٣١ — ٧٦
 ملحى ٢٨
 ملحية ٢٩
 ممازجة ٢٩
 ممرات (الكواكب) ٤٠
 من ١٤ — ٤٦
 منابع المياه ٢١
 منافخ ٢٥
 منظم الاستدارة ٦١
 منحذب ٦٤
 منطرقات ٢٨
 منطقة ٥٨ — ٦١
 منطقة البروج ٣٩
 منمكس ٥٩
 منفذ (منافذ) الرياح ٦٨ — ٨٢
 منفعل ٧٢
 المنقلب ٣٧
 مهب (مهاب) الرياح ٤٦ — ٦٩ — ٧٠ —
 ٧٤
 موازة ٧٧
 بالموازة ٣٥
 موقع ٦٢
 مياه ١٨ — ٢٠ — ٢١

هواء رطب ٥٩
 هوائية ٨٣—٢٩
 هوة (هوات) ٨٢—٢٣
 (و)
 وجه الأرض ٢٦—٢٥—٢١—١٨
 وحدة ٨٢—٤٣
 (ى)
 يابس ٤٧
 يابس (جوهر اليايس) ٧٣—٧١—٦٨
 ياقوت ٥٠
 يابس ١١—٢٤—٢٦—٢٩—٧١
 ٨٢—٧٢
 يبوسة ٢٩

النكباء (ريح) ٧٠
 نوشار ٧٦—٣١—٢٩—٢٨
 نوع (أنواع) ٨٧—٨٦
 نيازك ٦٤—٤٨—٤٧
 نير ٥١—٥٥—٥٦—٥٨—٦١—٦٥
 نيل (لون) ٦٣
 (ه)
 حالة ٥٧—٥٨—٥١—٤٨—٥٦
 ٥٨—٥٧
 حالة (حول القمر) ٦١—٥٨
 حالة شمسية ٥٨
 هبات جوية ٥٦
 محبوب (الرياح) ٧٤—٧٢—٧١—٦٩
 هواء ٧٥—٦٧—٦٦—٥٩—١٩
 ٨٤—٨٢—٧٩—٧٦

ابن سينا

الشفاء

الطبيعات

٦ - النفس

نصير ومراجعة

الدكتور إبراهيم مذكور

بتحقيق

سعيد زايد

الأب الدكتور جورج قنوتاتي

بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

مَنْشُورَاتِ مَكْتَبَةِ آيَةِ اللَّهِ الْعُظْمَى الْمُرَعَشِي الْجَنَفِي
قَمِ الْقَدَس - اِيْرَان ١٤٠٤ ق

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تصدير : للدكتور ابراهيم مذكور	(ز - ل)
نشر كتاب النفس للأب قنـواتى	(م - ز)
المخطوطات المستعملة فى التحقيق	(ش)
مخطوطات « كتاب النفس » الموجودة فى العالم	(ت - ض)
مقدمة ابن سينا	١
الفصل الاول : فى اثبات النفس وتحديدـها من حيث هى نفس	٥
الفصل الثانى : فى ذكر ما قاله القدماء فى النفس وجوهرها ونقضه	١٤
الفصل الثالث : فى أن النفس داخلة فى مقولة الجوهر	٢٢
الفصل الرابع : فى تبين أن اختلاف أفاعيل النفس لاختلاف قواها	٢٧
الفصل الخامس : فى تعديد قوى النفس على سبيل التصنيف	٣٢

المقالة الثانية

الفصل الاول : فى تحقيق القوى المنسوبة الى النفس النباتية	٤٥
الفصل الثانى : فى تحقيق أصناف الادراكات التى لنا	٥٠
الفصل الثالث : فى الحاسة اللمسية	٥٨
الفصل الرابع : فى الذوق والشم	٦٤
الفصل الخامس : فى حاسة السمع	٧٠

المقالة الثالثة

الفصل الاول : فى الضوء والشفيف واللون	٧٩
الفصل الثانى : فى مذاهب وشكوك فى أمر النور والشماع وفى أن النور ليس بجسم بل هو كيفية تحدث فيه	٨٣

- الفصل الثالث : فى تمام مناقضة المذاهب المبطله لأن يكون النور شيئاً غير
 ٨٨ . . . اللون الظاهر وكلام فى الشفاف واللامع . . .
- الفصل الرابع : فى تأمل مذاهب قيلت فى الألوان وحدوثها . . .
 ٩٥ . . .
- الفصل الخامس : فى اختلاف المذاهب فى الرؤية وابطال المذاهب
 ١٠٢ . . . الفاسدة بحسب الأمور نفسها . . .
- الفصل السادس : فى ابطال مذاهبهم من الأشياء المقولة فى مذاهبهم .
 ١١٤ . . .
- الفصل السابع : فى حل الشبه التى أوردوها فى اتمام القول فى
 المبصرات التى لها أوضاع مختلفة من مشتقات
 ١٢٤ . . . ومن صقيلات . . .
- الفصل الثامن : فى سبب رؤية الشيء الواحد كشيئين . . .
 ١٣٢ . . .

المقالة الرابعة

- الفصل الأول : فيه قول كلى على الحواس الباطنة التى للحيوان . . .
 ١٤٥ . . .
- الفصل الثانى : فى أفعال القوى المصورة والمفكرة من هذه الحواس الباطنة .
 ١٥١ . . .
- الفصل الثالث : فى أفعال القوى المتذكّرة والوهمية وفى أن أفعال هذه
 القوى كلها بآلات جسمانية . . .
 ١٦٢ . . .
- الفصل الرابع : فى أحوال القوى المحركة وضرب من النبوة المتعلقة
 بها . . .
 ١٧٢ . . .

المقالة الخامسة

- الفصل الأول : فى خواص الأفعال والانفعالات التى للإنسان وبيان قوى
 النظر والعمل للنفس الانسانية . . .
 ١٨١ . . .
- الفصل الثانى : فى اثبات أن قوام النفس الناطقة غير منطبع من مادة
 جسمانية . . .
 ١٨٧ . . .
- الفصل الثالث : يشتمل على مسألتين : احدهما كيفية انتفاع النفس
 الانسانية بالحواس ، والثانية اثبات حدوثها . . .
 ١٩٧ . . .
- الفصل الرابع : فى أن الأنفس الانسانية لا تفسد ولا تتناسخ . . .
 ٢٠٢ . . .

فَصْدَر

عنى ابن سينا بالدراسات السيكولوجية عناية قل أن نجد لها نظيرا فى التاريخ القديم والمتوسط ، فألف فيها ولما يبلغ العشرين ، واستمر يتعهدا طوال حياته . كتب فيها ملخصا ، وخلف عدة رسائل لها وزنها وقيمتها . وكتب فيها محلا ومفصلا ، شارحا وموضحا ، ومن أوسع ما وضع فى هذا الباب « كتاب النفس » الذى تقدم له اليوم . وألحقها بالدراسات التجريبية ، وعد « كتاب النفس جزاء من طبيعيات » الشفاء ، وتلك ناحية لها شأنها فى نهضة علم النفس حديثا . وربطها بالطب ، فمهد بها لكتابه الطبى الكبير المشهور ، « القانون » ، وقدم له بمتقدمة عرض فيها « لقوى النفس على طريقة الأطباء » . وهذا ما حظ له مغزاه ، وإن لم تسعفه الأجهزة والآلات للتعقق فيه ، وقد أضحي الطب موردا هاما من موارد علم النفس المعاصر .

لم يكن غريبا أن يعنى ابن سينا بدراسة النفس ، فقد سبقه إلى ذلك مدارس ومفكرون إسلاميون مختلفون ، شغل بها المتكلمون والمتصوفة منذ عهد مبكر ، وانضم إليهم الأطباء والفلاسفة . وحاولوا أن يقفوا على كل ما دار حولها فى الفكر القديم ، شرقيا كان أم غربيا ، وأخذوا عن الهند والفرس ، كما أخذوا عن اليونان . ويوم أن توفرت لديهم هذه المصادر بدأوا يبحثون بأنفسهم ، ويكتبون على طريقتهم . وظهرت فى القرنين الثالث والرابع الهجرى دراسات سيكولوجية على أيدي الكندي (٨٦٥م) والفارابى (٩٥٠) بين الفلاسفة ، وعلى أيدي قسطا بن لوقا (٩١٢م) وأبى بكر الرازى (٩٢٥م) بين الأطباء . وقد مهد ذلك كله لما اضطلع به ابن سينا (١٠٣٧م) فى القرن الخامس . وفى مقدمة الأصول التى أفاد منها هؤلاء الباحثون ما ترجم إلى العربية من علم النفس الأرسطى .

كتاب النفس لأرسطو :

لدراسات أرسطو السيكولوجية ، مقرونة إلى عصرها ، وزن كبير ، وهي دون نزاع دعامة علم النفس التقليدي ، ولها في تاريخ الفكر الإنساني شأن قد لا يقل عن شأن المنطق الأرسطي . وضع فيها أرسطو عدة بحوث ، أهمها « كتاب النفس » الذي امتاز بغزارة مادته ، ودقة ملاحظته ، وعمق بحثه ، واستقامة عرضه . وقد عرف له العرب ذلك ، فعنوا بترجمته ، ترجموه غير مرة زيادة في الضبط والالتقان ، واضطلع بذلك شيخان من شيوخ المترجمين ، هما حنين (٨٧٧ م) وابنه اسحق (٩١٠ م) ، ولم يكتف بترجمته وحده ، بل أضيف إليه بعض الملخصات والشروح كما خص الإسكندر الأفروديسي (٢١١ م) وشرح ثامسطيوس (٣٩٩ م) (١) .

وكان له أثر بين في الدراسة السيكولوجية العربية ، وبخاصة سيكلوجيا ابن سينا . واحتفظ لنا الزمن بهذه الترجمة القديمة ويجزء من تعليق ثامسطيوس ذلك أخيرا (٢) .

كتاب النفس لابن سينا :

هو الجزء السادس من « طبيعيات الشفاء » ، ويشتمل على خمس مقالات — وتحت كل مقالة عدة فصول ، وفيه دون نزاع مادة أغزر مما جاء في « كتاب النفس » لأرسطو : وإن نحائحوه في العرض والترتيب ، وأخذ عنه كثيرا . وتعالج المقالة الأولى حقيقة النفس ، وتقف طويلا عند آراء القدماء ، على نحو ما صنع أرسطو ، وتناقشها واحدا واحدا ، وتنقضا نقضا تاما ، تمهيدا للتعريف الذي يرتضيه الشيخ الرئيس (٣) .

النفس جوهر روحي :

يبدأ ابن سينا فيقول مع أرسطو إن النفس صورة الجسم ، أو بعبارة أخرى ، هي كمال أول لجسم طبيعي آلي : ويحاول أن يطبق ذلك على مختلف

(١) ابن النديم : الفهرست ، القاهرة ، ١٩٣٠ ، ص ٣٥١-٣٥٢ ؛ القفطي : تاريخ الحكماء ، طبعة بغداد ، ص ٤١ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، القاهرة ١٨٨٢ ، ص ٦٨ .

(٢) حاول شيئا من هذا النشر المرحوم أحمد فؤاد الأهواني في عام ١٩٥٠ ، واضطلع به ثانية الدكتور عبدالرحمن بدوي عام ١٩٥٤ .

(٣) ابن سينا : كتاب النفس ، ص ١٤ - ٢٢ .

٢٠٨	الفصل الخامس : فى العقل الفعال فى أنفسنا والعقل المنفعل عن أنفسنا .
	الفصل السادس : فى مراتب أفعال العقل وفى أعلى مراتبها وهو العقل
٢١٢	القدسى
	الفصل السابع : فى عد المذاهب الموروثة عن القدماء فى أمر النفس
٢٢١	وأفعالها
٢٣٢	الفصل الثامن : فى بيان الآلات التى للنفس

وجودها وخلودها ، وبين صلتها بالجسم ، وينكر التناسخ ، ويفصل القول في « مشكلة العقل » وهي من أهم المشاكل في الفكر الفلسفي الإسلامي . وكل تلك مسائل عرضنا لها في تفصيل من قديم ، وليس ثمة ما يدعو إلى أن نعود إليها هنا (١) . ويلاحظ أن علم النفس السينوي على غرار السيكلوجيا القديمة كلها ، أهمل الجانب الوجداني والجانب الإرادي من أحوال النفس ، وهذا ما حاول متصوفو الإسلام تدارك قسط منه غير قليل ، ولكنه في الحقيقة من صنع التاريخ الحديث والمعاصر .

ويعيننا أن نشير أخيرا إلى أن علم النفس السينوي ، على ما فيه ، كان ذا شأن في تاريخ الفكر الإسلامي والمسيحي . فكان مرجع مفكرى الإسلام من فلاسفة ومتصوفة وأخلاقين ، منذ القرن الخامس الهجري إلى أوائل القرن الرابع عشر ، عولوا عليه ، وأخذوا عنه ، واحتجوا به ، ولم ينصرفوا عنه إلا يوم أن وقفوا على البحث السيكلوجي المعاصر . ولم يكن حظه عند الميحيين بأقل من هذا ، فقد ترجم « كتاب النفس » لابن سينا إلى اللاتينية في الربع الثالث من القرن الثاني عشر الميلادي ، ولم يكن قد مضى على وفاة صاحبه إلا نحو قرن أو يزيد قليلا . وما إن ترجم حتى تلقفته الأبدى في العواصم الأوربية . وحاول اللاتين تلخيصه أو شرحه والتعليق عليه ، وأثار حركة فكرية بلغت أوجها في القرن الثالث عشر . وسبق لنا أن لاحظنا أن ليس ثمة مؤلف من مؤلفات ابن سينا صادف في الفلسفة المدرسية ما صادفه « كتاب النفس » من دراسة وانتشار ، لأنه هالج أمورا كانت هذه الفلسفة في أمس الحاجة إليها ، كحقيقة النفس وخلودها ، وتوضيح جانبي المعرفة الحسي والإشراق (٢) . ولم يقف الأمر عند هذا ، بل امتد إلى القرن السابع عشر ، فقد كشف أستاذنا فاندنبرج عن نص في خواطر بسكال (Les Pensées de Pascal) يستمد من ابن سينا (٣) . ومهما يكن من شيء فإن علم النفس السينوي ربما هان أمره إذا نظر إليه في ضوء علم النفس المعاصر ، أما باسم التاريخ والماضي فهو ذو شأن عظيم ، وجدير بالنشر والإحياء .

(١) إبراهيم مذكور : في الفلسفة الإسلامية ، ص ١٣٠ - ١٧٠ ؛ وانظر أيضا :
La place d'Al-Farabi dans l'école philosophique musulmane. Paris, 1934, pp. 122-180.

(٢) إبراهيم مذكور : الشفاء ، ج ١ المدخل ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، المقدمة ، ص (٣٤) .

(٣) الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لابن سينا ، القاهرة ، ص ٣٤٤ .

وحين فكرنا في إخراج « كتاب الشفاء » حرصنا على أن يسهم معنا من شاء من الباحثين المعنيين بالفكر الإسلامى ، دون تقييد بجنس أو وطن ، فانضم إلينا باكتانى وعراقى . وودنا أن تشترك معنا الآنسة دلفرنى ، اكى تضطلع بعبء ترجمات « الشفاء » اللاتينية ، ولكن أعباءها الكثيرة حالت دون ما نريد . ومن حسن الحظ أنها لم تحل دونها والكشف عن كثير من جوانب ابن سينا اللاتينية . والباكتانى الذى نعمنا بزمالته هو الأستاذ فضل الرحمان الذى رغب فى تحقيق « كتاب النفس » ورحبنا بذلك كل الترحيب ، ووضعنا تحت يده كل ما توافر لدينا من مخطوطات عربية ، وشاء أن يضم إليها ترجمات لاتينية . وما إن أتم تحقيقه حتى أثر أن يخرج بين مطبوعات جامعة أكسفورد سنة ١٩٥٩ . وصادف فى هذه الأثناء أن عني باحث آخر بإخراج الكتاب نفسه ، وهو باكوش المستشرق التشيكى ، وقد ظهر فعلا سنة ١٩٥٦ بين مطبوعات المجمع العلمى التشيكى .

وبرغم هذا لم نر بدا من استكمال سلسلتنا ، فوكلنا إخراج « كتاب النفس » إلى باحثين كريمين حاشا مع ابن سينا نحو ربع قرن أو يزيد ، هما : الأب جورج قنواى ، والأستاذ سعيد زايد ، وسبق لهما أن اشتركا فى إخراج بعض أجزاء « الشفاء » ، فضلا على أنهما قد أنفقا بضع سنوات فى تحقيق « كتاب النفس » ، على نحو ما استقر عليه منهجنا من قبل فى النشر والتحقيق . ولم يترددا فى أن يفيدا من مجهود المرحوم باكوش والأستاذ فضل الرحمان ، وأضافا إلى نصيهما مخطوطتين ، لم يقفا عليهما ، وقد أشار إلى ذلك فى تفصيل الأب قنواى فيما يلى . وإنا لنقدر لتحقيقنا صبرهما وجلدهما على استكمال نشر أجزاء « الشفاء » ، ونشكرهما على جهودهما المثمرة .

ولم يبق من هذه الأجزاء إلا جزء واحد لم ير النور بعد ، والأمل وطيد فى أن ينضم إلى الأجزاء التى بين أيدينا .

إبراهيم مذكور

النفوس : من نباتية وحيوانية وإنسانية . ومع هذا لم يرضه هذا التعريف : لأنه لا يفسر النفس من حيث هي ، بل يوضح الصلة بينها وبين الجسم (١) . وينتهى إلى القول بأن النفس جوهر قائم بذاته ، فهي في آن واحد جوهر وصورة (٢) . وقد يبدو في هذا شيء من التناقض ، وإن خففه اختلاف الجهة ، ذلك لأن النفس جوهر في ذاتها ، وصورة من حيث صلتها بالجسم ، على أن ابن سينا لا يرى بأسا في أن تعد الصورة جوهرًا . والمهم أنه استطاع بهذا أن يوفق بين أفلاطون وأرسطو ، فقال مع الأول بجوهرية النفس ، ومع الثاني بصورتها (٣) .

ولم يقنع بهذا ، بل حرص على أن يضيف إلى جوهرية النفس مميزا آخر هو روحيتها ، وبرهن على ذلك برهنة طويلة (٤) . فالنفس عنده في الحقيقة جوهر روحي ، وهنا تبلر نزعة الأفلاطونية واضحة كل الوضوح ، ويلتقى بهذا مع المتصوفة وكثير من الفلاسفة الإسلاميين والمسيحيين .

قوى النفس الظاهرة :

يحتج ابن سينا المقالة الأولى من كتابه بالإشارة إلى أن للنفس أعمالا متنوعة تستلزم أن تكون لها قوى مختلفة (٥) . ويحاول أن يحصر هذه القوى ويصنفها (٦) . ولنا هنا بصدد مناقشة هذه النظرية العتيقة ، التي كانت دعامة من دعائم علم النفس القديم ، ويعيننا أن نبين موقف ابن سينا منها ، وكان مؤمنا بها كل الإيمان . ويقسم هذه القوى بوجه عام قسمين : ظاهرة ، وأخرى باطنة ، ويوزع ما بقى من كتابه بين هذين القسمين توزيعا يكاد يكون متعادلا ، وإن كان حديثه عن القوى الظاهرة أطول بعض الشيء . ويبدأ هذه القوى بجاسة اللبس ، لأنها أعم وأشمل ، على عكس ما صنع أرسطو الذي بدأ بجاسة

(١) المصدر السابق ، ص ٦ - ١٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣ - ٢٦ .

(٣) إبراهيم مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، منهج وتطبيقه ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٥٩ .

(٤) ابن سينا : كتاب النفس ، ص ١٨٧ - ١٩٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٧ - ٣١ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٣٢ - ٤١ .

البصر (١) . ثم يذقل إلى حاستي : الشم والذوق ، ويربط إحداهما بالأخرى (٢) ،
وبعدما نتجىء حاسة السمع ، واستلزم شرحها توضيح الصوت والصدى (٣) .
ويختتم بحاسة البصر التي وقف عليها أطول مقالات هذا الكتاب . ويعرض فيها
انقضايها الطبيعية متصلة بالألوان ، والضوء ، والرؤية ، والشعاع ، والشفاف
والمتنم (٤) . وهي قضايا أثارها في وضوح معاصره ابن الهيثم (١٠٣٩ م) ،
عالم البصريات الأول في الإسلام . ويلاحظ بوجه عام أن ابن سينا توسع
في دراسة الحواس الخمس توسعاً ملحوظاً ، استوعب فيه ما سبق إليه من آراء
وأفكار ، محاولاً تهذيبها وتنقيحها ، وترجيح بعضها على بعض ، وأضاف إليها
ما أضاف . وهي دراسة أقرب إلى الطبيعة والسيولوجيا منها إلى علم النفس ،
على أنه برغم فصله بين قوى النفس الظاهرة والباطنة يحرص على أن يشير إلى
أنها متداخلة ومتعاونة فيما بينها ، فالإحساس متصل بالخيال ، والذاكرة
لا عمل لها بدون الصور الحسية ، والنفس الناطقة إنما تغذى عن طريق
الحواس (٥) .

القوى الباطنة :

يفصل ابن سينا القول في قوى النفس الباطنة ، فيشرح على ما نحو ما صنع
أرسطو الحس المشترك ، ويلاحظ أنه ليس حاسة سادسة ، وإنما هو ضرب من
الوحي أو الشعور الذي يدرك المحسوسات المشتركة ، ويميز بين معطيات الحواس
المختلفة (٦) . ويعرض لما سماه المصورة والمفكرة ، والمتذكرة والوهمية (٧) ،
وهي ليست وظائف للنفس ، وإن عدها قوى أو حواس باطنة . ويعنى
بالخيلة التي اعتمد عليها في تفسير الوحي والإلهام تفسيراً علمياً (٨) ، ويقف المقالة
الخامسة ، وهي ثانية مقالات الكتاب طويلاً ، على النفس الناطقة (٩) . فيثبت

(١) المصدر السابق ، ص ٥٨ - ٦٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٤ - ٦٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٠ - ٧٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٧٩ - ١٤٣ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٥١ ص ، ص ١٩٧ - ٢٠ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٤٥ - ١٥٠ .

(٧) المصدر السابق ، ص ١٥١ - ١٧٠ .

(٨) المصدر السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٩ .

(٩) المصدر السابق ، ص ١٨١ - ٢٣٧ .

هى الطبعة الثانية المحققة لكتاب النفس . وهى ثمرة تضافر جهود الناشر مع لجنة نشر كتاب الشفاء لابن سينا بالقاهرة التى يرأسها الدكتور إبراهيم مذكور . وكما لوحظ فى التصدير رغبت هذه اللجنة منذ البداية فى الاستفادة بجهود السادة المحققين ، وهم قليل ، والمهمة كبيرة وشاقة . وقد رجحت بالدكتور فضل الرحمن ، وهو عالم باكستانى شاب متمكن من العربية ، ولم باللاتينية . وسبق له أن أعد رسالته للدكتوراه فى أكسفورد مع الأستاذ فالتر (walzer) وعول فيها على الجزء الخاص بالنفس من « كتاب النجاة » الذى يلتقى كل الالتقاء مع كتاب النفس من « الشفاء » بحيث يردد أغلب عباراته . ترجمه إلى الإنجليزية وعلق عليه واستعان بالترجمة اللاتينية « لكتاب النفس » وهى كما نعلم حرفية فى الغالب . وفى هذا ما هبأه للمهمة التى أحب أن يضطلع بها .

وقد دعت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية إلى القاهرة بناء على رغبة لجنة نشر كتاب الشفاء لابن سينا فى صيف عام ١٩٥٢ ، ووضع تحت تصرفه كل ما توفر لدى هذه اللجنة من مخطوطات وحظى برعاية كبيرة أثناء مقامه بمصر .

بيد أنه يوم أن أنجز عمله فضل ، لأسباب نجهلها ، أن يطبع الكتاب فى أكسفورد وفى مجموعة « جيب ميموريال » واعتمد فيه على المخطوطات الآتية :

A = بودليانا بوكوك ١٢٥ (القرن الثانى عشر م)

B = بودليانا بوكوك ١١٦ (٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م)

C = المكتب الهندى لوت ٤٧١ (١١٥٠ هـ / ١٧٣٧ م)

D = ليدن ١٤٤٤ ، غير مؤرخ ، ويصعد فى الأرجح إلى القرن الرابع عشر الميلادى وهو صعب القراءة .

E = ليدن ١٤٤٥ (٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م)

F = الأزهر ٣٣١ (نسخة الشيخ بنجيت) وهى أجود هذه المخطوطات ، وفيها هوامش مستمدة فى الغالب من مخطوط آخر .

G = دار الكتب حكمة ٢٦٢ (١٣٧٢) وهو مخطوط متأخر ويشتمل على أخطاء وسقطات كثيرة ، ولكنه يساعد على تحديد أسر المخطوطات ، وما يلحظ أن الأستاذ فضل الرحمن لم يعول على فوارقه إلا فى حالات قليلة .

H = طبعة طهران :

I = مخطوط لترجمة لاتينية من مدينة بال (D111 7) ، أشارت إلاته الآنسة دالفرنى .

J = طبعة البندقية (١٥٠٨ م) للترجمة اللاتينية .

وليس من اليسير أن تعقد صلات بين هذه المخطوطات اللهم إلا عن طريق شىء من النقد الداخلى وقد حاول الأستاذ فضل الرحمن ذلك ، وإن كان يرى أن ليس ثم ما يدعو إلى تفضيل مخطوط على آخر . ومن الممكن فى رأيه أن تقسم هذه المخطوطات إلى أسرتين :

(١) أسرة A ، ويدخل فيها أجزاء من B ، و C .

(٢) أسرة F C ، ويدخل فيها أجزاء من D .

ومن العسير أن تلحق E ، H بإحدى هاتين الأسرتين ، وربما اتصل E بأسرة F ، G ؛ و H بأسرة A B . ونص طبعة طهران أكثر تعقيداً ، ولعله يقترب من أسرة AGK .

وفى المخطوطات ABCDF هوامش جانبية وبخاصة ACF ويظهر أن الأستاذ فضل الرحمن استخدمها كمخطوط عربى ، وأشار إلى ما فيها من أخطاء أوقراءات خاصة ، وهى فى الجملة حرفية . وترجع أخطاؤها فى الغالب إلى سوء فهم المترجم للنص العربى .

ويمكننا فى ضوء هذا كله أن نلاحظ أن باكوش وفضل الرحمن عولا على بعض المخطوطات المشتركة ، ولكن منهجهما مختلف ، ذلك لأن باكوش اعتمد على النص ما وسعه ، فى حين حكم فضل الرحمن فهمه ورأيه الشخصى فى النص الذى ارتضاه . وعلى هذا نحن إزاء طبعين مستقلتين . وقد عاجلناهما على هذا الأساس ووضعناهما معاً موضع المقارنة والموازنة .

٤ - الترجمة اللاتينية (١٩٦٨ - ١٩٧٢) :

اضطلعت بنشرها الآنسة^٢ فان ريت (Van. Riet) . الأستاذة بجامعة لوفان (بلجيكا) ، وهى تجيد اللاتينية واليونانية ، إلى جانب لغات حديثة مختلفة ، وتلم بالعربية . وقد تدرست طويلا فى جامعتهما العتيدة على نشر النصوص نشرأ علميا دقيقاً . وأولعت بمؤلفات ابن سينا ، التى ترجمت إلى اللغة اللاتينية ،

نشر « كتاب النفس »

إن لنص « كتاب النفس » الذى تقدمه اليوم ، تاريخاً يحسن الوقوف عليه لكى نتبين المراحل التى مر بها نشره ، وندرك قيمة نصنا هذا مقرونا إلى ما نشر من قبل . وقد تم هذا النشر فى المراحل التالية :

١ - طبعة طهران (١٣٠٣ - ١٨٨٥ م) :

طبع « كتاب النفس » لأول مرة مع باقى أجزاء الشفاء (ما عدا المنطق) فى طهران سنة ١٣٠٣ هـ (طبعة حجر) ولم يشر الناشر إلى المخطوط أو المخطوطات التى عول عليها ، وهى فى الأرجح مأخوذة من المخطوطات العديدة الموجودة فى مكتبات طهران (انظر فيما يلى قائمة هذه المخطوطات) .

ويقع نص كتاب النفس فيما بين ص ٢٧٧ و ٣٦٨ ، وفى كل صفحة ٣٠ سطرا ، والخط نسخى واضح كل الوضوح ، لكنه مرصوص . والسطر ٥ يكون من ١٧ إلى ٢٠ كلمة ، ومسطرته ١٢½ على ٢٤½ سم . وهو خال من الضغط ، فيما عدا الشدات ، ولا اختصار فيه ، وفيه كلمات وجمل حذفت بعد كتابتها .

٢ - طبعة باكوش (١٩٥٦ م) :

بالرغم مما لكتاب النفس من أهمية فى تاريخ فلسفة القرون الوسطى ، فإنه لم يطبع طبعة محققة إلا سنة ١٩٥٦ . وقد اضطلع بها المأسوف عليه المستشرق التشيكى : جان باكوش الذى ترجمه أيضاً إلى الفرنسية ، وأضاف إلى ترجمته تعليقات عديدة . وهذا عمل ضخم يستحق الثناء والتقدير لهذا العالم الجليل وللأكاديمية التشيكية التى قامت بأعباء الطبع .

وفى المقدمة المقتضبة للترجمة الفرنسية (ص ٧ - ٩) لم يشر باكوش إلى البليوجرافيات المتخصصة لمؤلفات ابن سينا (بليوجرافية مهلوى ، وبليوجرافيتى ، وبليوجرافية عثمان لارجن) مع أنها ظهرت قبل نشر كتابه . ولعله لم يقف عليها ، واكتفى بالإحالة على كتاب بروكلمان .

ولم يصف المخطوطات التى اعتمد عليها واكتفى بذكر تاريخها إن نص عليه ،

وكثيرا ما يحيل على فهارس المخطوطات لاستكمال بعض المعلومات . وهذه المخطوطات هي :

١ - المتحف البريطاني الملحق ٧١١ ريو (شرق ٢٨٧٣) ، ١٠٧٢ هـ / ١٦٦٢ م .

٢ - المكتب الهندي ٤٧٥ ، لوت (١٧٩٦ م) .

٣ - بودليانا ٤٣٦ (بوكوك ١٢٥) ، ٧٧٧ هـ / ١٣٦٨ م .

٤ - بودليانا ٤٦٧ (بوكوك ١١٤) ، ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م .

٥ - بودليانا ٤٧١ (بوكوك ١١٦) ، ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م .

ومن بينها بوكوك ١٢٥ ، الذي يحوى وحده النص الكامل لكتاب النفس .
أما بوكوك ١١٦ فلا يحوى إلا جزءاً .

ورقة ١٨٥ إلى ٢٥٦ (٨ إلى ٦٨ من طبعة باكوش) .

وبوكوك ١١٤ يحوى أيضاً جزءاً ، ورقة ٤ إلى ٢٩ (ص ٢٤٦ إلى ٢٦٨ من طبعة باكوش) .

٦ - طبعة طهران التي أشرنا إليها من قبل .

والنص مطبوع بطريقة متصلة دون تقسيم أو تبويب ، أو علامات فصل أو وصل ، اللهم إلا ذكر أول الفصول وآخرها ، ولم ترقم الأسطر في المامش الجانبي بالإشارة إلى أرقام تدل على بدء صفحات المخطوطات . وللدلالة على النوارق يستعمل الناشر أرقاماً موضوعة فوق الكلمات في نفس النص .

وقد بالغ فيما عده أمانة للنص بذكره لفوارق لقيمة لها ، كنقص النقط في بعض الكلمات ، وهو أمر عادى في كثير من المخطوطات .

وللأسف أعوزته أحياناً سلامة الأسلوب في الترجمة الفرنسية . وأضاف إليها تعليقات كثيرة تربو على السبعائة وتشير إلى مصادر ابن سينا اليونانية ، وبخاصة أرسطو ، واسكندر الأفروديسى ، وجالينوس . وكثيرا ما يذكر النص اليوناني نفسه .

الإمكان جمع مخطوطاته كلها ، أم يكتفى بقدر منها بطمان إليه لإخراج نص محقق مقبول ؟ وثبت لدينا أن محاولة الحصر الشامل للمخطوطات العربية بوجه عام ، « وكتاب الشفاء » بوجه خاص ، لم يحن وقتها بعد ، ولا تزال تتطلب جهودا متضافرة من الأفراد والهيئات : وربما كانت متعذرة مادامت المكتبات الخاصة مغالقة ، ولا سبيل إلى الحكم على ما تشتمل عليه . وهناك مكتبات عامة في العالم العربي والإسلامي لم تستكمل فهرستها . على أن المنهج العلمي للتحقيق لا يستلزم الشول والإحاطة ، وتكفى فيه الأصول المتضافرة والتي يطمأن إليها ، كما صنع باكوش وفضل الرحمن ، وجرى عليه عرف عامة المحققين . وقد يضطر أحيانا إلى النشر على أساس مخطوط واحد ، على أمل أن يكشف الزمن عما يمكن أن يضاف إليه .

قد يقال : ما الداعي : إلى نشر ثالث بعد التحقيقات العربية السابقين ، لاسيما وفي الإمكان ، استئذان أحد الناشرين للاستعانة بنشره في تكملة سلسلة الشفاء القاهرية ؟ ومع تقديرا لجهود المحققين التي نوهنا بها من قبل ، نعتقد أن نشرنا هذا يضيف جايلا . فهو يلتزم أولا بمنهج « النص المختار » الذي أخذت به اللجنة في تحقيق كتاب الشفاء جميعه ، وأساسه أنه لا يعول على نسخة وحدها ، وإنما يأخذ عند اختلاف القراءات بما يبدو أقرب إلى تعبير المؤلف وطريقته ، وفي هذا ما يتطلب معاناة طويلة وإلغا لأسلوب ابن سينا وعباراته ، ونحن نعيش معه منذ خمسة وعشرين سنة أوزيريد .

وعنى منهجنا أيضا بترقيم الأسطر ، بحيث تتم الإحالة على المخطوطات بدقة كما عني بعلامات الفصل والوصل ، وبالتقسيم والتبويب ، وفي ذلك ما يوضح النص وييسر الأمر على القارئ .

وفي ثبت المخطوطات التي عولنا عليها ما يشهد بأننا أضفنا مخطوطين جديدين لم يستعملوا في التحقيقات السابقة ، وهما : المتحف البريطاني ٧٥٠٠ شرقي ، ودار الكتب ٨٩٤ فلسفة ، واستعنا بهما في ترجيح قراءة على أخرى . هذا فضلا عن نصي باكوش وفضل الرحمن اللذين اعتبرناهما « مخطوطين جديدين » ، ووضعنا قوائم لمقابلة صفحات نصنا بصفحات نص فضل الرحمن الذي يعلو على زميله دون نزاع .

وكانت لجنة ابن سينا تتوق من قديم إلى الاستعانة بالترجمة اللاتينية فيما تقوم به من تحقيق ، وقد أتاحت لنا الآنسة فان ريت فرصة ذهبية أفدنا منها فائدة كبرى في تحقيقنا هذا ، فربطنا المصطلح العربي بالمصطلح اللاتيني ، ووضعنا قوائم لمقابلة

صفحات نصنا بصفحات نصها ، ونأمل أن يكون في هذا ما يعين على استكمال نشر الترجمة اللاتينية لما ترجم من أجزاء الشفاء .

أما التعليقات والتفسيرات فقد رأت اللجنة منذ البداية أن تدعها لدراسات مستفيضة ، كي لا تثقل النص أو تضيف إليه ما ليس منه . والكلام عن المصادر اليونانية طويلة ، ومحل أخذ ورد ، وفي وسع من شاء أن يرجع إلى طبعة باكوش ليقف على اجتهاده وآرائه .

وبعد : فقد لوحظ من قديم أن ابن سينا مفكر عالمي ، ولا شك في أن تحقيق كتاب النفس آية جديدة من آيات هذه العالمية ، فقد اشترك فيه تشيكي ، وباكستاني ، وبلجيكية ، ومصريان ، وأملنا وطيد في أن يطرد هذا التعاون والتنافس كشفا عن الحقيقة ، وتقديرا لفيلسوف كان له شأنه في تاريخ الفكر الإنساني .

الاب قناتى

وتعاونت في ذلك مع زميلة كريمة هي الآنسة دالفرني التي حاولت لجنة نشر كتاب الشفاء لابن سينا في القاهرة الاستعانة بها على إحياء ابن سينا اللاتيني ، فدعتها إليها منذ ربع قرن تقريباً ، وأقامت في القاهرة زمناً واشتركت معنا في مقارنة نص إلهيات ابن سينا اللاتيني بالنص العربي . وإذا كانت لم تستطع الإسهام مباشرة مع اللجنة في إخراج « كتاب الشفاء » فإنها وقفت نفسها على تتبع مخطوطات ابن سينا اللاتينية في مكتبات أوروبا الكبرى طوال عشرين عاماً ، فكتشفت عنها ، وعرفت الباحثين بها ، ووصفتها وصفاً دقيقاً ، وأصبحت حجة في ابن سينا اللاتيني .

وإذا كانت لم تستطع أن تحقق هدفها في نشر نصوصه فإنها مهدت السبيل لناشرين آخرين ، وفي مقدمتهم الآنسة فان ريت التي بدأت بنشر « كتاب النفس » وتعد منذ زمن لنشر كتاب الإلهيات ، وهما مرجعان هامان في تاريخ السنيوية اللاتينية . وتصرح في مستهل تحقيقها أن الذي شجعها عليه أمران : أولهما الاستقصاء الشامل الذي قامت به الآنسة دالفرني لمخطوطات ترجمة النفس اللاتينية ، وجملتها خمسون استطاعت أن تعرف بأربعين منها وأن تصفها وصفاً كاشفاً قبل أن تبدأ الآنسة فان ريت تحقيقها . ثانيهما ظهور طبعتين محققتين للأصل العربي ، وهما طبعة باكوش وطبعة فضل الرحمن اللتان أشرنا إليهما من قبل .

* وقد سلكت في نشرها منهجاً يعد آية في التحقيق العلمي السليم . فذهبت إلى أنه يلحظ في ثنايا الترجمة اللاتينية الواحدة قراءتان مختلفتان ويمكن في ضوءهما تقسيم المخطوطات اللاتينية إلى مجموعتين أ و ب . وأدت الدراسة المقارنة الدقيقة لجميع المخطوطات إلى القول بأن هناك مترجماً قام لأول مرة بترجمة النص العربي ثم أعيد النظر في النص المترجم ، وأدخلت عليه تعديلات وتنقيحات مع الاحتفاظ بمعظم النص الأساسي للترجمة الأولى ، وهذا النص مشترك في المخطوطات جميعها . أما التعديلات والتنقيحات فتتغير من مخطوط إلى آخر . وهذه التعديلات والتغييرات هي ماسمته الأستاذة المحققة « القراءات المزدوجة (Lectures doubles) » .

ولأسباب ذكرتها بإسهاب ودقة ، اختارت سبع مخطوطات اعتمدت عليها في تحقيقها ، واتخذت نسخة روما الأصل الأم مع مراعاة روايات المجموعة (ب) واكتفت بتسجيل المجموعة الأخرى في الهامش ، مع الإشارة إلى ما يحفظ منها

وما لا يحفظ . ولم يكن قصدها تكوين نص أقرب إلى النص العربي ، بل أقرب إلى الأصل اللاتيني الأول المترجم ، على فرض أنه لم توجد إلا ترجمة لاتينية واحدة . أما صلة هذا النص بالأصل العربي فهذه مسألة أخرى حاولت أيضا أن تجيب عنها . فقد سجلت في الهوامش الروايات العربية حسب طبيعة فصل الرمز .

وبالجملة يشتمل تحقيقها على ما يلي :

(١) النص اللاتيني مرقما في الهامش الجانبي في الداخل والخارج : وتشير أرقام الداخل إلى صفحات المخطوطات التي عولت عليها : وأرقام الخارج إلى صفحات طبعة البندقية وإلى صفحات طبعة فضل الرحمن .

(٢) هوامش سفلى تشير إلى روايات المخطوطات اللاتينية .

(٣) هوامش أخرى سفلية خاصة بمقارنة النص اللاتيني بالنص العربي ومثيرة أيضا إلى الروايات العربية المذكورة لدى فضل الرحمن .

(٤) تعليقات لغوية دون دخول في شرح أو تفسير موضوعي أو محاولة تحليل بعض السقطات أو تفسير التباعد بين الأصل العربي والترجمة اللاتينية ، أو الإشارة إلى بعض المعاني المذهبية العامة التي يصعب فهمها من النص اللاتيني .

وأخيرا أعدت الآنسة فان ريت فهرسا لاتينيا عربيا ، وآخر عربيا لاتينيا على غرار ما صنع فضل الرحمن ولكن بصورة أوسع . فقد فهرس فضل الرحمن نحو ١٥٠ كلمة ذات مدلول فلسفي ، في حين أن فهرسها يشتمل على كلمات الكتاب جميعها ، بحيث يمكن بواسطته العثور على كلمة لاتينية أو عربية في موضعها في النص العربي أو النص اللاتيني .

٥ - طبعة القاهرة :

هي طبعتنا ، وتجيء خاتمة مطاف ، وثمره جهود متصلة سابقة : ولم يكن بد منها لاستكمال سلسلة أجزاء « الشفاء » التي اضطلعت بإخراجها اللجنة بالقاهرة ونعترف بأننا لم نسلك مسلك الآنسة فان ريت في حصر جميع مخطوطات « كتاب النفس » العربية : والحصول على نسخة منها ، وتبلغ الثمانين بقدر ما نعلم حتى الآن . وإذا ما توافرت لدينا قمنا بدرسها ، والكشف عما بينها من صلوات ، وتقسيمها إلى أسر معينة ، نختار منها ما نعول عليه . وتلك مسألة أثرت عنا ، بدءا بإخراج « كتاب الشفاء » ، فتساءلنا : هل في

المخطوطات المستعملة في التحقيق

طبعة القاهرة (قنواقي : زايده)	طبعة أكسفورد (فضل الرحمن)	طبعة باكوش	
+		+	بودليانا بوكوك ١١٤ (٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م)
+	+	+	بودليانا بوكوك ١١٦ (٧٠٣ هـ / ١٢٠٦ م)
+	+	+	بودليانا بوكوك ١٢٥ (٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م)
+		+	المتحف البريطاني شرقى ٢٨٧٣ (١٠٧٢ هـ / ١٦٢٢ م)
+			المتحف البريطانى شرقى ٧٥٠٠
+		+	المكتب الهندى لوت ٤٧٦
+	+		المكتب الهندى لوت ٤٧٧
+	+		الأزهر (بنجيت)
+	+		دار الكتب ٢٦٢ (١٣٣٧ هـ / ١٩١٩)
+			دار الكتب
+	+		داماد ٨٢٢
+	+		ليدن ١٤٤٤
+	+		ليدن ١٤٤٥
+	+		طبعة النجاة (القاهرة)
+	+	+	طبعة طهران الحجرية
+	+		مخطوط لاتينى (بازل D 11I7)
+	+		طبعة البندقية اللاتينية
+	+		كتاب الشفاء (غير كتاب النفس)

مخطوطات « كتاب النفس » الموجودة في العالم

اسطنبول	نور عثمانية ٢٧٠٨ (العاشر هـ)
أحمد الثالث ٣٢٦١ (٦٧٧ هـ)	» ٢٧٠٩ (٨٩٤ هـ)
» ٣٢٦٢ (القرن التاسع هـ)	» ٢٧١٠ (٦٦٦ هـ)
» ٣٢٦٣ (القرن التاسع هـ)	» ٢٧١١ (١١ هـ)
» ٣٤٤٥ (القرن الحادى عشر هـ)	راغب باشا ٨٦٠
	» ١٤٦١
	رضوة ١ / ٨٧٢ و ٨٧٣
عاطف ١٥٩٧	٨٧٤ و ٨٧٥
أيا صوفيا : ٢٣٨٩ (٦)	شعبان (أوقاف) ٥٧٢
» ٢٤٤١ (السابع هـ)	شهيد ١٧٤٨ (٨٧٩ هـ)
» ٢٤٤٢ (٦٧١ هـ)	عمومى ٣٩٦٩
أيوب ٨٨٣	يونيفرسيتيه ٧٦٦ (١٠٦٠ هـ)
داماد : ٨٢٢ (٧٠٦ هـ)	بني جامع ٧٧٠ (٨٨٨ هـ)
» : ٨٢٣ (٦٩٧ هـ)	» ٧٧١ (٨٨٥ هـ)
» : ٨٢٥ (٨٣٨ هـ)	
فيض الله : ١٢٠٧	القاهرة :
» ١٢٠٨ (١٠٩٣ هـ)	الأزهر ٣٣١ (بنيت ٤٤٩٨٨)
خالد : ٥٠٤ (١١ - ٠٠ هـ)	دار الكتب
حميدية : ٧٩٥ (١٠٦٦ هـ)	٢٦٢ (١٩١٩ م)
حكيم مله ٨٥٧	٦٧٥ (١١٧٧ هـ)
جار الله : ١٣٣٢ (٨٨٢ هـ)	٧٥٣ (١٠٧٤ هـ)
» ١٣٣٣	٨٩٤
» ١٤٢٤ (٦٩٤ هـ)	طلعت ٣٤٢
كيرلى ٨٩٤	٤٠٢
لالى ٢٥٥٠	تيمور ٥٦
	١٤٠

بانكيبور	٢٢٢٣	طهران :	
	٢٢٢٦	مجلس	١٣٥ (٨٧١ هـ)
بوجار	٢٨٧		١٣٧
بشوار	١٦٧٢	ملك	١٠٤١
ليدن	١٤٤٤		١١١٥
	١٤٤٥ (٨٨١ هـ)		١٢٤٣ (٨٨٠ هـ)
برنستون :			١٢٧٥
	٨٦١ (٩٧٢ هـ)		٢٤٨٢
اكسفورد :		ملى	٥٨٠
بودليانا بوكوك	١١٤	مشكاة	٢٤١
	١١٦		٢٤٣
	١٢٥	سپسلار	١٤٣٨
	٤٣٥ (٥٧١ هـ)		١٤٣٩
لننن :			٨٣٣١
		طباطبائى	٨٦٥
المتحف البريطانى	١٦٥٥ (٥٧٦ هـ)	الهند :	
	٢٨٧٢ (١٠٧٢ هـ)	عليكرة	٢٤/١١٠
	٧٥٠٠	عليكرة	٣٠/١١٠
المكتب الهندى	٤٧٧ - ٤٧٤		٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفن السادس من الطبيعيات وهو كتاب النفس

قد استوفينا في الفن الأول الكلام على الأمور العامة في الطبيعيات ،
ثم تلوناه بالفن الثاني في معرفة السماء والعالم والأجرام والصور والحركات .
الأولى في عالم الطبيعة ، وحققنا أحوال الأجسام التي لا تفسد والتي تفسد ،
ثم تلوناه بالكلام على الكون والفساد وأسطقساتها ، ثم تلوناه بالكلام على أفعال
الكيفيات الأولى وانفعالاتها والأمزجة المتولدة منها .

وبقى لنا أن نتكلم على الأمور الكائنة ، فكائنات الجمادات وما لا حس له
ولا حركة إرادية أقدمها وأقربها تكونا من العناصر ، فتكلمنا فيها في الفن
الخامس وبقي لنا من العلم الطبيعي النظر في أمور النباتات والحيوانات .

ولما كانت النباتات والحيوانات متجوهرة الذوات عن صورة هي النفس
ومادة هي الجسم والأعضاء ، وكان أولى ما يكون علماً بالشئ هو ما يكون
من جهة صورته ، رأينا أن نتكلم أولاً في النفس ، ولم نر أن نبتز علم النفس
فتكلم أولاً في النفس النباتية والنبات ، ثم في النفس الحيوانية والحيوان ،
ثم في النفس الإنسانية والإنسان . وإنما لم نفعل ذلك لسببين : أحدهما أن هذا
التبشير مما يوعر ضبط علم النفس المناسب لبعضه لبعض . والثاني أن النبات

(١) بسم الله الرحمن الرحيم : ساقطة من د ، م .

(٢-١٧) الفن السادس . . . النبات : ساقطة من م .

(٣) وهو كتاب النفس : ساقطة من د ، ك .

(٤-١٢) قد استوفينا . . . صورة هي : ساقطة من د .

(٧) وأسطقساتها : وأسطقساته ف .

(١١) الطبيعي : ساقطة من ف .

(١٧) التبشير : التبشير ف .

يشارك الحيوان في النفس التي لها فعل النمو والتغذية والتوليد . ويجب لامحالة أن يفصل عنه بقوى نفسانية تخص جنسه ثم تخص أنواعه . والذي يمكننا أن نتكلم عليه من أمر نفس النبات هو ما يشارك فيه الحيوان . ولسنا نشعر كثير شعور بالفصول المتنوعة لهذا المعنى الجنسي في النبات ؛ وإذا كان الأمر كذلك لم تكن نسبة هذا القسم من النظر إلى أنه كلام في النبات أولى منه إلى أنه كلام في الحيوان ؛ إذ كانت نسبة الحيوان إلى هذه النفس نسبة النبات إليها .

وكذلك أيضا حال النفس الحيوانية بالقياس إلى الإنسان والحيوانات الأخرى ، وإذا كنا إنما نريد أن نتكلم في النفس النباتية والحيوانية من حيث هي مشتركة ، وكان لا علم بالخصص إلا بعد العلم بالمشترك ، وكنا قليلي الاشتغال بالفصول الذاتية لنفس نفس ونبات وحيوان وحيوان ، لتعذر ذلك علينا . فكان الأولى أن نتكلم في النفس في كتاب واحد ، ثم إن أمكننا أن نتكلم في النبات والحيوان كلاما مخصصا فعلنا . وأكثر ما يمكننا من ذلك يكون متعلقا بأبدانها وبخواص من أفعالها البدنية ، فلأن نقدم تعرف أمر النفس ونؤخر تعرف أمر البدن أهدي سبيلا في التعليم من أن نقدم تعرف أمر البدن ونؤخر تعرف أمر النفس ؛ فإن معونة معرفة أمر النفس في معرفة الأحوال البدنية أكثر من معونة معرفة البدن في معرفة الأحوال النفسانية . على أن كل واحد منهما معين على الآخر ، وليس أحد الطرفين بضروري التقديم ، إلا أنا آثرنا أن نقدم الكلام في النفس لما أعليناه من العنبر ، فمن شاء أن يغير هذا الترتيب فعل بلا مناقشة لنا معه .

فهلما هو الفن السادس ، ثم نتلوه في الفن السابع بالنظر في أحوال النبات ، وفي الفن الثامن بالنظر في أحوال الحيوان . وهناك نختم العلم الطبيعي ، ونتلوه بالعلوم الرياضية في فنون أربعة ، ثم نتلو ذلك كله بالعلم الإلهي ، ونردفه شيئا من علم الأخلاق ، ونختم كتابنا هلما به .

(١ - ٢٢) يشارك به : ساقطة من د ، م .

(٦) الحيوان : الحيوانات ك .

(٧) الآخر : الأخرى ك .

(١٥) معرفة (الثانية) : + أمر ف .

(١٦) معين : معين ك .

(١٨) أعليناه : أبليناه ف .

(٢٠) الحيوان : الحيوانات ك .

المقالة الأولى

من الفن السادس من الطبيعيات

خمس فصول

(٢) من . . . الطبيعيات : من علم النفس ك ؛ ساقطة من د ، ف .
(٣) خمسة فصول : ساقطة من ف ؛ (تذكر نسخا د ، ك عناوين الفصول الخمسة) .

الفصل الاول

فى اثبات النفس وتحريرها من حيث هى نفس

- نقول : إن أول ما يجب أن نتكلم فيه إثبات وجود الشيء الذى يسمى
نفسا ، ثم نتكلم فيما يتبع ذلك فنقول : إنا قد نشاهد أجساما نحس وتتحرك
بالإرادة ، بل نشاهد أجساما تغتذى وتنمو وتولد المثل وليس ذلك لها بلسميتها .
فبقى أن تكون فى ذاتها مبادئ لذلك غير جسميتها ، والشيء الذى تصير عنه
هذه الأفعال . وبالحمله كل ما يكون مبدأ لصدور أفاعيل ليست على وتيرة
واحدة عادمة للإرادة ، فلما نسميه نفسا . وهذه اللفظة اسم لهذا الشيء ، لا من
حيث جوهره ، ولكن من جهة إضافة ماله ، أى من جهة ما هو مبدأ
لهذه الأفاعيل ، ونحن نطلب جوهره والمقولة التى يقع فيها من بعد .
ولكننا الآن إنما أثبتنا وجود شيء هو مبدأ لما ذكرنا ، وأثبتنا وجود شيء
من جهة ماله عرض ما ويحتاج أن يتوصل من هذا العارض الذى له إلى أن تحقق
ذاته لتعرف ماهيته ، كأننا قد عرفنا أن لشيء يتحرك محركا ما . واسنا نعلم
من ذلك أن ذات هذا المحرك ما هو ، فنقول : إذا كانت الأشياء ، التى نرى
أن النفس موجودة لها ، أجساما ، وإنما يتم وجودها من حيث هى نبات وحيوان
بوجود هذا الشيء لها ، فهذا الشيء جزء من قوامها . وأجزاء القوام كما علمت فى مواضع

(١) الفصل الأول : فصل ١ ف .

(٢) إن : ساقطة من د .

(٤) قد : ساقطة من م .

(٥) وتنمو : وتنمى م || بلسميتها : بلسميتها ك ، م .

(٨) حيث : + هو د ، ك ، م .

(١٤) لشيء : الشيء م .

(١٥) فنقول : ساقطة من م || إذا : إذ م .

(١٧) بوجود : لوجود د ، ك ، م .

هى قسمان : جزء يكون به الشئ هو ما هو بالفعل ، وجزء يكون به الشئ هو ما هو بالقوة ، إذ هو بمنزلة الموضوع . فإن كانت النفس من القسم الثانى ، ولا شك أن البدن من ذلك القسم ، فالحيوان والنبات لا يتم حيوانا ولا نباتا بالبدن ولا بالنفس فيحتاج إلى كمال آخر هو المبدأ بالفعل لما قلنا . فذلك هو النفس وهو الذى كلامنا فيه ، بل ينبغي أن تكون النفس هو ما به يكون النبات والحيوان بالفعل نباتا وحيوانا . فإن كان جسما أيضا ، فالجسم صورته ما قلنا ؛ وإن كان جسما بصورة مّا ، فلا يكون هو من حيث هو جسم ذلك المبدأ ، بل يكون كونه مبدأ من جهة تلك الصورة ، ويكون صدور تلك الأحوال عن تلك الصورة بذاتها . وإن كان بتوسط هذا الجسم ، فيكون المبدأ الأول تلك الصورة ، ويكون أول فعله بوساطة هذا الجسم ، ويكون هذا الجسم جزءا من جسم الحيوان ، لكنه أول جزء يتعلق به المبدأ ، وليس هو بما هو جسم إلا من جملة الموضوع .

فبين أن ذات النفس ليس بجسم ، بل هى جزء للحيوان والنبات ، هى صورة أو كالصورة أو كالكمال .

فنقول الآن : إن النفس يصح أن يقال لها بالقياس إلى ما يصدر عنها من الأفعال قوة ، وكذلك يجوز أن يقال لها بالقياس إلى ما تقبله من الصور المحسوسة والمعقولة على معنى آخر قوة . ويصح أن يقال أيضا لها بالقياس إلى المادة التى تحملها فيجتمع منهما جوهر نباتي أو حيواني صورة ، ويصح أن يقال لها أيضا بالقياس إلى استكمال الجنس بها نوعا محصلا فى الأنواع العالية أو السافلة كمال ، لأن طبيعة الجنس تكون ناقصة غير محدودة ما لم تحصلها طبيعة الفصل البسيط أو غير البسيط منضافا إليها ؛ فإذا انضاف كمال النوع . فالفصل كمال النوع بما هو نوع وليس لكل نوع فصل بسيط ، قد علمت هذا ، بل إنما هو للأنواع

(٢) إذ هو : وهو ف .

(٣) من ذلك التسم فالحيوان والنبات : ساقطة من م .

(١٢) فبين : فبين د ، ك ، م || هى (الأولى والثانية) : هو د ، ك ، م .

(١٥) ما تقبله : ما يقبلها د ، ك ، م .

(١٧) جوهر : + مady ف .

(١٩) غير (الثانية) : الغير ف .

(٢٠) انضاف : + إليها ف || كل : كال م .

- المركبة الذوات من مادة وصورة ، والصورة منها هو الفصل البسيط لما هو كماله ، ثم كل صورة كمال ، وليس كل كمال صورة ، فإن الملك كمال المدينة ، والربان كمال السفينة ، وليس بصورتين للمدينة والسفينة ، فما كان من الكمال مفارق الذات لم يكن بالحقيقة صورة للمادة وفي المادة . فإن الصورة التى هى فى المادة هى الصورة المنطبعة فيها القائمة بها ، اللهم إلا أن يصطلح فيقال لكمال-النوع صورة النوع . وبالحقيقة فإنه قد استقر الاصطلاح على أن يكون الشيء بالقياس إلى المادة صورة ، وبالنقياس إلى الجملة غاية وكمالا ، وبالنقياس إلى التحريك مبدأ فاعليا وقوة محركة . وإذا كان الأمر كذلك فالصورة تقتضى نسبة إلى شيء بعيد من ذات الجوهر الحاصل منها ، وإلى شيء يكون به الجوهر الحاصل هو ما هو بالقوة ، وإلى شيء لا تنسب الأفعال إليه ، وذلك ١٠ الشيء هو المادة لأنها صورة باعتبار وجودها للمادة . والكمال يقتضى نسبة إلى الشيء التام الذى تصدر عنه الأفعال لأنه كمال بحسب اعتباره للنوع : فبين من هذا أنا إذا قلنا فى تعريف النفس إنها كمال كان أدل على معناها ، وكان أيضا يتضمن جميع أنواع النفس من جميع وجوها ، ولا تشذ النفس المفارقة للمادة عنه . وأيضا إذا قلنا : إن النفس كمال فهو أولى من أن نقول : ١٥ قوة ، وذلك لأن الأمور الصادرة عن النفس منها ما هى من باب الحركة ومنها ما هى من باب الإحساس والإدراك ، والإدراك بالحرى أن يكون لها لا بما لها قوة هى مبدأ فعل ، بل مبدأ قبول . والتحريك بالحرى أن يكون لها لا بما لها قوة هى مبدأ قبول ، بل مبدأ فعل ، وليس أن ينسب إليها أحد الأمرين بأنها قوة عليه أولى من الآخر . فإن قيل لها : قوة ، وعنى به الأمران جميعا كان ذلك باشتراك الاسم . ٢٠ وإن قيل : قوة ، واقتصر على أحد الوجهين ، عرض من ذلك ما قلنا .

وشىء آخر وهو أنه لا يتضمن الدلالة على ذات النفس من حيث هى نفس مطلقا ، بل من جهة دون جهة . وقد بينا فى الكتب المنطقية أن ذلك غير

(١٠) به : ساقطة من م .

(١٢) لأنه : لأنها د ، ك ، م || اعتباره : اعتبارها د ، ك ، م .

(١٧) والإدراك ، والإدراك : والإدراك د ، ك .

(١٩) قبول بل مبدأ : ساقطة من د .

(٢١) وإن : فإن ك .

(٢٢) أنه : أنها ك ، م .

جيد ولا صواب . ثم إذا قلنا : كمال ، اشتمل على المعنيين : فإن النفس من جهة القوة التي يستكمل بها إدراك الحيوان كمال ، ومن جهة القوة التي تصدر عنها أفعال الحيوان أيضا كمال ، والنفس المفارقة كمال ، والنفس التي لا تفارق كمال . لكننا إذا قلنا : كمال ، لم يعلم من ذلك بعد أنها جوهر ، أو ليست بجوهر ، فإن معنى الكمال هو الشيء الذي بوجوده يصير الحيوان بالفعل حيوانا والنبات بالفعل نباتا ، وهذا لا يفهم عنه بعد أنه جوهر أو ليس بجوهر . ولكننا نقول : إنه لا شك لنا في أن هذا الشيء ليس جوهرًا بالمعنى الذي يكون به الموضوع جوهرًا ، ولأيضًا بالمعنى الذي يكون به المركب جوهرًا . فأما جوهر بمعنى الصورة فلننظر فيه . فإن قال قائل : إني أقول للنفس جوهرًا وأعني به الصورة ، ولست أعني به معنى أعم من الصورة ، بل معنى أنه جوهر معنى أنه صورة ، وهذا مما قاله خلق منهم ، فلا يكون معه موضع بحث واختلاف البتة . فيكون معنى قوله : إن النفس جوهر ، أنها صورة ؛ بل يكون قوله : الصورة جوهر ، كقوله الصورة صورة أو هيئة والإنسان إنسان أو بشر ، ويكون هذان من الكلام . فإن عني بالصورة ما ليس في موضوع البتة ، أى لا يوجد بوجه من الوجوه قائمًا في الشيء الذي سميناه لك موضوعًا البتة ، فلا يكون كل كمال جوهرًا . فإن كثيرًا من الكمالات هي في موضوع لاحالة ، وإن كان ذلك الكثير بالقياس إلى المركب ، ومن حيث كونه فيه ليس في موضوع ، فإن كونه جزءًا منه لا يمنعه أن يكون في موضوع ، وكونه فيه لا كالثيء في الموضوع لا يجعله جوهرًا ، كما ظن بعضهم . لأنه لم يكن الجوهر ما لا يكون بالقياس إلى شيء على أنه في موضوع حتى يكون الشيء من جهة ما ليس في هذا الشيء على أنه في موضوع جوهرًا ، بل إنما يكون جوهرًا إذا لم يكن ولا في شيء من الأشياء على أنه في موضوع . وهذا المعنى لا يدفع كونه في شيء ما موجودا لا في موضوع ، فإن ذلك ليس له بالقياس إلى كل شيء ، حتى

(٣) والنفس المفارقة كمال : ساقطة من د .

(٥) أو ليست : أو أن ليست ك || فإن : لأن ك .

(٦) أنه : أن ذلك ك ، م || ولكننا : لكننا ف .

(٧) إنه : ساقطة من ف || جوهرًا : بجوهر ك .

(١٠) أنه (الأولى والثانية) : أنها ك .

(١٢) جوهر : جوهرًا د || والإنسان : والإنسان د ؛ أو الإنسان ف .

(١٥) فإن : فإنه د .

(٢٠) موضوع : + فيه د || جوهرًا (الأولى) جوهر ف .

(٢٢) لا في : في د .

إذا قيس إلى شيء يكون فيه لا كما يوجد الشيء في موضوع صار جوهرًا ؛ وإن كان بالقياس إلى شيء آخر بحيث يكون عرضًا ، بل هو اعتبار له في ذاته . فإن الشيء إذا تأملت ذاته ونظرت لإيها فلم يوجد لها موضوع البتة كانت في نفسها جوهرًا ، وإن وجدت في ألف شيء لا في موضوع بعد أن توجد في شيء واحد على نحو وجود الشيء في الموضوع فهي في نفسها عرض . وليس .

إذا لم تكن عرضًا في شيء فهي جوهر فيه ، فيجوز أن يكون الشيء لا عرضًا في الشيء ولا جوهرًا في الشيء ، كما أن الشيء يجوز أن لا يكون واحدًا في شيء ولا كثيرًا ، لكنه في نفسه واحد أو كثير . وليس الجوهرى والجوهر واحدًا ، ولا العرض بمعنى العرضى الذى فى إيساغوجى هو العرض الذى فى قاطيغورياس . وقد بينا هذه الأشياء لك فى صناعة المنطق .

فبين أن النفس لا يزيل عرضيتها كونها فى المركب كجزء ، بل يجب أن تكون فى نفسها لا فى موضوع البتة ، وقد علمت ما الموضوع .

فإن كان كل نفس موجودة لا فى موضوع ، فكل نفس جوهر ، وإن كانت نفس ما قائمة بذاتها والبواقي كل واحد منها فى هيولى وليست فى موضوع فكل نفس جوهر ، وإن كانت نفس ما قائمة فى موضوع وهى مع ذلك جزء من المركب فهي عرض ، وجميع هذا كمال . فلم يتبين لنا بعد أن النفس جوهر أو ليست بجوهر من وضعنا أنها كمال . وغلط من ظن أن هذا يكفيه فى أن يجعلها جوهرًا كالصورة .

فنقول : إنا إذا عرفنا أن النفس كمال بأى بيان وتفصيل فصلنا الكمال ، لم يكن بعد عرفنا النفس وماهيتها ، بل عرفناها من حيث هى نفس ؛ واسم النفس ليس يقع عليها من حيث جوهرها ، بل من حيث هى مدبرة للأبدان ومقيسة لإيها . فلذلك يؤخذ البدن فى حدها ، كما يؤخذ مثلاً البناء فى حد البانى ، وإن كان لا يؤخذ فى حده من حيث هو إنسان . ولذلك صار النظر فى النفس من العلم الطبيعى ، لأن النظر فى النفس من حيث هى نفس نظر فيها من حيث لها علاقة بالمادة والحركة ، بل يجب أن

(٥) الموضوع : موضوع م .

(٦) فهي : فهو ف .

(١٣) فكل : وكل د .

(١٤ - ١٥) بذاتها ما قائمة : ساقطة من م .

(١٧) أر ليست : أوليس د ، ك ، م .

(٢٣) البانى : الثانى م || لا يؤخذ : لا يوجد د .

نقرر لتعرفنا ذات النفس بحثاً آخر . ولو كنا عرفنا بهذا ذات النفس ، لما أشكل علينا وقوعها في أى مقولة تقع فيها . فإن من عرف وفهم ذات الشيء فعرض على نفسه طبيعة أمر ذاتي له لم يشكل عليه وجوده له ، كما أوضحناه في المنطق : لكن الكمال على وجهين : كمال أول ، وكمال ثان . فالكمال الأول هو الذى يصير به النوع نوعاً بالفعل كالشكل لل سيف . والكمال الثانى هو أمر من الأمور التى تتبع نوع الشيء من أفعاله وانفعالاته ، كالقطع للسيف ، وكالتمييز والروية والإحساس والحركة للإنسان . فإن هذه كمالات لا محالة للنوع ، لكن ليست أولى ، فإنه ليس يحتاج النوع فى أن يصير هو ما هو بالفعل إلى حصول هذه الأشياء له بالفعل ، بل إذا حصل له مبدأ هذه الأشياء بالفعل حتى صار له هذه الأشياء بالقوة بعد ما لم تكن بالقوة إلا بقوة بعيدة تحتاج إلى أن يحصل قبلها شيء حتى يصير بالحقيقة بالقوة صار حينئذ الحيوان حيواناً بالفعل . فالنفس كمال أول ، ولأن الكمال كمال للشيء ، فالنفس كمال الشيء ، وهذا الشيء هو الجسم ، ويجب أن يؤخذ الجسم بالمعنى الجنسى لا بالمعنى المادى ، كما عادت فى صناعة البرهان . وليس هذا الجسم الذى النفس كماله كل جسم ، فإنها ليست كمال الجسم الصناعى كالسرير والكرسى وغيرهما ، بل كمال الجسم الطبيعى . ولا كل جسم طبيعى ، فليست النفس كمال نار ولا أرض ولا هواء ، بل هى فى عالمنا كمال جسم طبيعى تصدر عنه كمالاته الثانية بآلات يستعين بها فى أفعال الحياة التى أولها التغذية والنمو . فالنفس التى نخدها هى كمال^٢ أول لجسم طبيعى آتى له أن يفعل أفعال الحياة .

لكنه قد يتشكك فى هذا الموضوع بأشياء ، من ذلك أن لقائل أن يقول : إن هذا الحد لا يتناول النفس الفلكية فإنها تفعل بلا آلات . وإن تركتم

(٢) أى : + شيء م .

(٤) ثان : ثانى م .

(٨) أولى : أولية د ، ك ، م .

(١٠) صار : صارت م .

(١٢) لشيء : الشيء م || الشيء : لشيء م .

(١٣) يؤخذ : يوجد د || لا بالمعنى المادى : لا المادى د ، ف || كما : ساقطة من م .

(١٧) فليست : فليس د ، ك || ولا هواء : ساقطة من ف .

(١٩) أولها : ساقطة من د .

(٢١) الموضوع : الموضوع ف .

ذكر الآلات واقتصرتم على ذكر الحياة لم يغنكم ذلك شيئا ، فإن الحياة التي لها ليس هو التغذى والنمو ، ولا أيضا الحس . وأنتم تعنون بالحياة التي في الحد هنا ، وإن عنيتم بالحياة ما للنفس الفلكية من الإدراك مثلا والعصور العقلية أو التحريك لغاية إرادية ، أخرجتم النبات من جملة ما يكون له نفس . وأيضا إن كان التغذى حياة فلم لا تسمون النبات حيوانا .

وأیضا لقائل أن يقول : ما الذي أحوجكم إلى أن تتبعوا نفسا ، ولم لم يكفكم أن تقولوا : إن الحياة نفسها هي هذا الكمال فتكون الحياة هي المعنى الذي يصدر عنه ما تنسبون صدوره إلى النفس .

- فلنشرع في جواب واحد واحد من ذلك وحله ، فنقول : أما الأجسام السماوية فإن فيها مذهبين : مذهب من يرى أن كل كوكب يجتمع منه ومن عدة كرات قد دبرت بحركته جملة جسم لحيوان واحد ، فيكون حيثل كل واحدة من الكرات يتم فعلها بعدة أجزاء ذوات حركة ، فتكون هي كالآلات : وهذا القول لا يستمر في كل الكرات . ومذهب من يرى أن كل كرة فالها في نفسها حياة مفردة ، وخصوصا ويرى جسما تاسعا ، ذلك الجسم واحد بالفعل لا كثرة فيه . فهؤلاء يجب أن يروا أن اسم النفس إذا وقع على النفس الفلكية وعلى النفس النباتية فلأنما يقع بالاشتراك ، وأن هذا الحد إنما هو للنفس الموجودة للمركبات ، ولأنه إذا احتيل حتى تشترك الحيوانات والفلك في معنى اسم النفس ، خرج معنى النبات من تلك الجملة . على أن هذه الحيلة صعبة ، وذلك لأن الحيوانات والفلك لا تشترك في معنى اسم الحياة ولا في معنى اسم النطق أيضا لأن النطق الذي ههنا يقع على وجود نفس لها العقلان الهولانيان ، وليس هذا مما يصح هناك على ما يرى . فإن العقل هناك عقل بالفعل ، والعقل بالفعل غير يقوم للنفس الكائنة جزء حد للناطق . وكذلك الحس ههنا يقع على القوة التي تدرك بها

(٤) أو التحريك : والتحريك ف ، م .

(٦) ولم لم : ولم ه .

(٨) النفس : + من ذلك م .

(١٠) مذهب : ساقطة من م .

(١١) عدة كرات : عنده م || الحيوان : كحيوان ف .

(١٢) فعلها : فعله دهك .

(١٦) فلأنما : فلأنها د ، فإنه م || وأن : فلأنه ك .

(٢٢) الكائنة : بالكلية م .

المحسوسات على سبيل قبول أمثلتها والانفعال منها ، وليس هذا أيضا مما يصح
هناك على ما يرى . ثم إن اجتهد فجعل النفس كمالات أول لما هو متحرك بالإرادة
ومدرك من الأجسام حتى تدخل فيه الحيوانات والنفس الفلكية ، خرج
النبات من تلك الحملة . وهذا هو القول المحصل . وأما أمر الحياة والنفس
فحل الشك في ذلك على ما نقول : إنه قد صح أن الأجسام يجب أن يكون
فيها مبدأ للأحوال المعلومة المنسوبة إلى الحياة بالفعل . فإن سمي مسم هذا المبدأ
حياة لم تكن معه مناقشة ، وأما المفهوم عند الجمهور من لفظة الحياة المقولة على
الحيوان فهو أمران : أحدهما كون النوع موجوداً فيه مبدأ تصدر تلك الأحوال
عنه ، أو كون الجسم بحيث يصح صدور تلك الأفعال عنه . فأما الأول فمعلوم
أنه ليس معنى النفس بوجه من الوجوه . وأما الثاني فيدل على معنى أيضا غير
معنى النفس . وذلك لأن كون الشيء بحيث يصح أن يصدر عنه شيء أو يوصف
بصفة يكون على وجهين : أحدهما أن يكون الوجود شيئا غير ذلك الكون نفسه
يصدر عنه ما يصدر مثل كون السفينة ، بحيث تصدر عنه المنافع السفينية . وذلك
مما يحتاج إلى الربان حتى يكون هذا الكون ، والربان وهذا الكون ليس شيئا واحدا
بالموضوع . والثاني أن لا يكون شيء غير هذا الكون في الموضوع مثل كون الجسم
بحيث يصدر عنه الإحراق عند من يجعل نفس هذا الكون الحرارة ، حتى يكون
وجود الحرارة في الجسم هو وجود هذا الكون ، وكذلك وجود النفس وجود هذا
الكون على ظاهر الأمر .

إلا أن ذلك في النفس لا يستقيم ، فليس المفهوم من هذا الكون ومن النفس
شيئا واحدا ، وكيف لا يكون كذلك والمفهوم من الكون الموصوف لا يمنع أن
يسبقه بالذات كمال ومبدأ ، ثم للجسم هذا الكون : والمفهوم من الكمال الأول الذي
رسمناه يمنع أن يسبقه بالذات كمال آخر ، لأن الكمال الأول ليس له مبدأ وكمال

(٣) ومدرك : ويدرك م .

(٥) فعل : محل د ؛ محل م .

(٧) وأما المفهوم : والمفهوم د .

(١١-١٢) يصدر أن : ساقطة من م .

(١٢) يكون الوجود شيئا : يكون في الوجود شيء ف || الوجود : الموجود م .

(١٣) السفينية : السفينة ك .

(١٤) وهذا الكون ليس : ليس وهذا الكون م .

(٢٢) رسمناه : رسمناه م .

أول فليس إذن المفهوم من الحياة والنفس واحدا إذا عنيّا بالحياة ما يفهمه الجمهور وإن عنيّا بالحياة أن تكون لفظة مرادفة للنفس في الدلالة على الكمال الأول لم نناقش ، وتكون الحياة اسما لما كنا وراء إثباته من هذا الكمال الأول .

فقد عرفنا الآن معنى الاسم الذي يقع على الشيء الذي سمي نفسا بإضافة

- له . فبالحرى أن نشتغل بإدراك ماهية هذا الشيء الذي صار بالاعتبار المقول نفسا : ويجب أن نشير في هذا الموضع إلى إثبات وجود النفس التي لنا إثباتا على سبيل التنبيه والتذكير إشارة شديدة الموقع عند من له قوة على ملاحظة الحق نفسه من غير احتياج إلى تثقيفه وقرع عصاه وصرفه عن المغلطات . فنقول : يجب أن يتوهم الواحد منا كأنه خلق دفعة وخلق كاملا ، لكنه حجب بصره عن مشاهدة الخارجات ، وخلق يهوى في هواء أو خلأ هويا لا يصدمه فيه قوام الهواء صدمًا مما يحوج إلى أن يحس ، وفرّق بين أعضائه فلم تتلاق ولم تتماس ، ثم يتأمل أنه هل يشب وجود ذاته ولا يشك في إثباته لذاته موجودا ولا يشب مع ذلك طرفا من أعضائه ولا باطنا من أحشائه ولا قلبا ولا دماغا ولا شيئا من الأشياء من خارج ، بل كان يشب ذاته ولا يشب لها طولا ولا عرضا ولا عمقا ، ولو أنه أمكنه في تلك الحالة أن يتخيل يدا أو عضوا ١٥ آخر لم يتخيله جزءا من ذاته ولا شرطاً في ذاته ، وأنت تعلم أن المثبت غير الذي لم يشب والمُقَرَّب به غير الذي لم يُقَرَّب به ، فإذا للذات التي أثبت وجودها خاصية على أنها هو بعينه غير جسمه وأعضائه التي لم تثبت ، فإذا المثبت له سبيل إلى أن يتنبه على وجود النفس شيئا غير الجسم بل غير جسم ، وأنه عارف به مستشعر له ، وإن كان ذا هلا عنه يحتاج إلى أن يقرع عصاه :

٢٠

(١) ما يفهمه : ما يفهم ك .

(١١) صدمًا : صدمًا د ، ف ، م || وفرق : وفرت م .

(١٢) ولا يشك : فلا يشك ف .

(١٦) ولا شرطاً في ذاته : ساقطة من م .

(١٧) والمقرَّب به : والمقرَّب ف || الذات : الذات ف || خاصية : + له ف ؛ + لها م .

(١٨) جسمه : جسمية م || المثبت : المتن به ف ، م || أن : ساقطة من م || يتنبه : يشبهه ك ؛ تنبه م .

(١٩) بل غير جسم : ساقطة من م || وأنه : فإنه م .

(٢٠) إلى : ساقطة من ف .

الفصل الثاني

في ذكر ما قاله القدماء في النفس ومهرها ونفسه

فنقول : قد اختلف الأوائل في ذلك لأنهم اختلفوا في المسالك إليه ، فمنهم من سلك إلى علم النفس من جهة الحركة ، ومنهم من سلك إليه من جهة الإدراك ، ومنهم من جمع بين المسلكين ، ومنهم من سلك طريق الحياة غير مفصلة ٥

فمن سلك منهم جهة الحركة ، فقد كان تخيل عنده أن التحريك لا يصدر إلا عن متحرك ، وأن المحرك الأول يكون لا محالة متحركاً بذاته ، وكانت النفس محركة أولية ، إليها يتراقى التحريك من الأعضاء والعضل والأعصاب ، فجعل النفس متحركة لذاتها ، وجعلها لذلك جوهرًا غير مائت ، معتقداً أن ما يتحرك لذاته لا يجوز أن يموت . قال : ولذلك ما كانت الأجسام السماوية ليست تفسد والسبب فيه دوام حركتها . ١٥

فمنهم من منع أن تكون النفس جسماً فجعلها جوهرًا غير جسم متحركاً لذاته . ومنهم من جعلها جسماً وطلب الجسم المتحرك لذاته ، فمنهم من جعلها ما كان من الأجرام التي لا تتجزأ كريا ليسهل دوام حركته ، وزعم أن الحيوان يستنشق ذلك بالتنفس ، وأن التنفس غذاء للنفس ، وأن النفس تستبقى النفس بإدخال بدل ما يخرج من ذلك الجنس من الهباء التي هي الأجرام التي لا تتجزأ التي هي المبادئ ١٥

(١) الفصل الثاني : فصل ٢ ف .

(٢) المسالك : المسلك ف .

(٥) بين : ساقطة من ف .

(٩) محركة م || والعضل : بالعضل د .

(١٣) فمنهم : ومنهم د ، ك ، م .

(١٤) جعلها : جعله د ؛ جعل م .

(١٦) بالتنفس : بالتنفس ك || التنفس : النفس ك ، م || النفس (الثانية) : ساقطة من م .

وأنها متحركة بذاتها ، كما يرى من حركة الهباء دائماً في الجو ، فلذلك صلحت لأن تحرك غيرها . ومنهم من قال : إنها ليست هي النفس ، بل إن محركها هو النفس وهي فيها ، وتدخل البدن بدخولها . ومنهم من جعل النفس ناراً ورأى أن النار دائمة الحركة ،

- وأما من سلك طريق الإدراك ، فمنهم من رأى أن الشيء إنما يدرك ما سواه لأنه متقدم عليه ومبدأ له ، فوجب أن تكون النفس مبدأ ، فجعلها من الجنس الذي كان يراه المبدأ : إما ناراً ، أو هواء ، أو أرضاً ، أو ماء . ومال بعضهم إلى القول بالماء لشدة رطوبة النطفة التي هي مبدأ التكون ؛ وبعضهم جعلها جسماً بخارياً ، إذ كان يرى أن البخار مبدأ الأشياء على حسب المذاهب التي عرقها ، وكل هؤلاء كان يقول : إن النفس إنما تعرف الأشياء كلها لأنها من جوهر المبدأ لجميعها . وكذلك من رأى أن المبادئ هي الأعداد ، فإنه جعل النفس عدداً ، ومنهم من رأى أن الشيء إنما يدرك ما هو شبيهه وأن المدرك بالفعل شبيه المدرك بالفعل فجعل النفس مركباً من الأشياء التي يراها عناصر ، وهذا هو انبساط قلبيس ، فإنه قد جعل النفس مركبة من العناصر الأربعة ومن الغلبة والحمية ، وقال : إنما تدرك النفس كل شيء بشبيهه فيها . وأما الذين جمعوا ١٥ الأمرين فكما الذين قالوا : إن النفس عدد محرك لذاته ، فهي عدد لأنها مدركة وهي محركة لذاتها ، لأنها محركة أولية . وأما الذين اعتبروا أمر الحياة غير ملخص ، فمنهم من قال : إن النفس حرارة غريزية لأن الحياة بها ، ومنهم من قال بل برودة وأن النفس مشتق من النفس والنفس هو الشيء المبرد .

- ولهذا ما يقبرد بالاستنشاق ليحفظ جوهر النفس ، ومنهم من قال بل النفس ٢٠ هو الدم ؛ لأنه إذا سفح الدم بطلت الحياة ، ومنهم من قال بل النفس مزاج لأن المزاج ما دام ثابتاً لم تغير صحة الحياة ، ومنهم من قال بل النفس تأليف ونسبة بين العناصر وذلك لأننا نعلم أن تأليفاً ما يحتاج إليه حتى يكون من العناصر حيواناً ، ولأن النفس تأليف فلذلك تميل إلى المؤلفات من النعم والأرائح والطعوم وتلذذ

(١) فلذلك : ولذلك ف ؛ فكذلك م . (٢) لأن : أن ف ، م || إن : ساقطة من م .

(٤) دائمة : دائم د ، ك . (٩) أن : ساقطة من ف حل : وحل ف .

(١٤) قد : ساقطة من ث .

(١٥) يشبهه : يشبهه ك ؛ يشبهه م .

(١٦-١٧) محرك ... أولية : متحرك لذاتها لأنها محركة أوله م .

(١٧) وهي محركة : ومحركة ف .

(٢٢) صحة : صحت ف ، م .

(٢٤) ولأن : فلأن م || فلذلك : ولذلك د || والأرائح : والأرايح ف ؛ والأرايح م .

بها . ومن الناس من ظن أن النفس هو الإله - تعالى عما يقوله الملحونون - وأنه يكون في كل شيء بحسبه فيكون في شيء طبعاً وفي شيء نفساً وفي شيء عقلاً سبحانه وتعالى عما يشركون .

فهذه هي المذاهب المنسوبة إلى القدماء الأقدمين في أمر النفس ، وكلها باطل .
فأما الذين تعلقوا بالحركة فأول ما يلزمهم من المحال أنهم نسوا السكون ، فإن كانت النفس تحرك بأن تتحرك وكان لا محالة تحركها علة للتحريك ، فلم يخل تسكينها إما أن يصدر عنها وهي متحركة بحالها فتكون نسبة تحركها بذاتها إلى التسكين والتحريك واحدة . فلم يمكن أن يقال : إنها تحرك بأن تتحرك ، وقد فرضوا ذلك ، أو يصدر عنها وقد سكنت ، فلا تكون متحركة بذاتها . وأيضاً فقد عرفت مما سلف أنه لا متحرك إلا من محرك وأنه ليس شيء متحركاً من ذاته فلا تكون النفس شيئاً متحركاً من ذاته ، وأيضاً فإن هذه الحركة لا يخلو إما أن تكون مكانية أو كمية أو كيفية أو غير ذلك . فإن كانت مكانية فلا يخلو إما أن تكون طبيعية أو قسرية أو نفسانية ، فإن كانت طبيعية فتكون إلى جهة واحدة لا محالة ، فيكون تحريك النفس إلى جهة واحدة فقط . وإن كانت قسرية فلا تكون متحركة بذاتها ، ولا يكون أيضاً تحريكها بذاتها ، بل الأولى أن يكون القاسر هو المبدأ الأول وأن يكون هو النفس . وإن كانت نفسانية فالنفس قبل النفس وتكون لا محالة بإرادة فتكون إما واحدة لا تختلف ، فيكون تحريكها على تلك الجهة الواحدة ، أو تكون مختلفة فتكون بينها كما علمت سكونات لا محالة ، فلا تكون متحركة لذاتها . وأما الحركة من جهة الكم فأبعد شيء من النفس ، ثم لا يكون شيء متحركاً من جهة الكم بذاته ، بل لدخول داخل عليه أو استحالة في ذاته . وأما الحركة على سبيل الاستحالة فإما أن تكون حركة في كونها نفساً فتكون النفس إذا حركت لا تكون نفساً ، وإما حركة في عرض من الأعراض لافي كونها نفساً . فأول حين ، ذلك أن لا يكون تحريكها ، من نحو تحريكها بل تكون ساكنة في المكان حين تحرك في المكان . والثاني أن الاستحالة في الأعراض غايتها حصول ذلك العرض ، وإذا حصل فقد

(٢) بحسبه : بحسبه م .

(٦) وكان : فكان د ، ك ، م .

(٩) فقد : قد ف .

(١٠-١١) فلا تكون ... ذاته : ساقطة من د .

(١٣) نفسانية : نفسية د || واحدة : ساقطة من ف .

(١٦) قبل : مثل م .

(٢٢) الأعراض لافي : أعراض ف || لافي : ساقطة من م || حين : ساقطة من ف .

وقفت الاستحالة . وأيضا فقد تبين لك أن النفس لا ينبغي أن تكون جسما والمحرك الذى يحرك في المكان بأن يتحرك نحو ما يحرك فهو جسم لاحالة فلو كان للنفس الحركة والانتقال لكان يجوز أن تفارق بدنا ثم تعود إليه . وهؤلاء يجعلون مثل النفس مثل الزئبق يجعل في بعض الأجسام ، فلذا ترجح تحرك ذلك الجسم ويدفعون أن تكون الحركة حركة اختيارية .

وأيضا فقد علمت أن القول بالهباء هذر باطل ، وعلمت أيضا أن القول بوحدة المبدأ الأسطقسى جزاف ، ثم من الملح ما قالوه من أن الشيء يجب أن يكون مبدأ حتى يعلم ما وراءه ، فلما نعلم ونذكر بأنفسنا أشياء لسنا بمبادئ لها . وأما إثبات ذلك من طريق من ظن أن المبدأ أحد الأسطقسات ، فهو أنا نعلم أشياء ليست الأسطقسات بوجه من الوجوه مبدأ لها ، ولا هي مبدأ للأسطقسات وهو ١٠ أن كل شيء إما أن يكون حاصلا في الوجود وإما أن لا يكون ، وأن الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية . فهذه الأشياء لا يجوز أن يقال : إن النار والماء وغير ذلك مبادئ لها فنعلمها بها ، ولا بالعكس .

وأيضا إما أن تكون معرفة النفس بما هي مبدأ له إنما تتناول عين ذلك المبدأ، أو تتناول الأشياء التي تحدث عن المبدأ وليست هي المبدأ ، أو تكون بكليهما : ١٠ فإن كانت إنما تتناول المبدأ أو تتناول كليهما ، وكان العالم بالشيء يجب أن يكون مبدأ له فتكون النفس أيضا مبدأ للمبدأ ومبدأ لذاتها ، لأنها تعلم ذاتها ، وإن كانت ليس تعلم المبدأ ، ولكن تعلم الأحوال والتغيرات التي تلحقه . فمن الذى يحكم بأن الماء والنار أو أحد هذه مبدأ . وأما الذين جعلوا الإدراك بالعددية فقالوا لأن

(٢) ما يحرك : ما يتحرك د ، ك || فلو كان : ولو كان ف .

(٣) ثم : ساقطة من د .

(٥) اختيارية : اختيار ف ، م .

(٦) بالهباء : بالهيات د ؛ بالهيات ف .

(٧) الملح : المحال د ، ف .

(٨) وأما : أمام .

(٩) إثبات : بيان ف .

(١٠) وهو : وهي ف .

(١١) وأن : وأما م .

(١٤) عين : غير م .

(١٥) أو تتناول : وتتناول م .

(١٧) فتكون : وتكون د || للمبدأ : + وأن تكون النفس أيضا ك ؛ + وأيضا ف ، م ||

كانت : كان د ، ك ..

(١٩) والنار : أو النار ف || أو أحد هذه : أو هذه م .

المبدأ لكل شيء عدد ، بل قالوا ماهية كل شيء عدد ، وحده عدد ، وهؤلاء وإن كنا قد دللنا على بطلان آرائهم في المبدأ في مواضع أخر ، وسندل في صناعة الفلسفة الأولى أيضا على استحالة رأيهم هذا وما أشبهه ، فإن مذاهبهم ههنا قد تفسد من حيث النظر الخاص بالنفس ، وذلك بأن ننظر ونأمل هل النفس إنما تكون نفسا بأنها عدد معين كأربعة أو خمسة ، أو بأنها مثلا زوج أو فرد أو شيء أعم من عدد معين ، فإن كانت النفس إنما هي ماهي بأنها عدد معين ، فما يقولون في الحيوان المحرز الذي إذا قطع تحرك كل جزء منه وأحس ، وإذا أحس فلا محالة هناك تخيل مآ ، وكلملك كل جزء منه يأخذ في الهرب إلى جهة وتلك الحركة من تخيل مالا محالة . ومعلوم أن الجزئين يتحركان عن قوتين فيهما ، وأن كل واحد منهما أقل من العدد الذي كان في الجملة ، وإنما كان النفس عندهم العدد الذي في الجملة لا غير ، فيكون هذان الجزآن يتحركان لا عن نفس وهذا محال ، بل في كل واحد منهما نفس من نوع نفس الآخر ، فنفس مثل هذا الحيوان واحدة بالفعل ، متكثرة بالقوة تكثرا إلى النفوس وإنما تفسد في الحيوان المحرز نفساه ولا تفسد في النبات ، لأن النبات قد شاعت فيه الآلة الأولية لاستبقاء فعل النفس ولا كملك في الحيوان المحرز ، بل بعض بدن الحيوان المحرز لا مبدأ فيه لاستبقاء المزاج الملائم للنفس ، وفي بعضه الآخر ذلك المبدأ ، ولكنه يحتاج في استبقائه ذلك إلى صحة من القسم الآخر ، فيكون بدنه متعلق الأجزاء بعضها ببعض في التعاون على حفظ المزاج فإن لم تكن النفس عددا بعينه ، بل كانت عددا له كيفية مآ وصورة فيشبه أن تكون في بدن واحد نفوس كثيرة . فلذلك تعلم أن في كثير من الأزواج أزواجا وفي كثير من الأفراد أفرادا ، وفي كثير من المربعات مربعات ، وكذلك سائر الاعتبارات .

(١) لكل : الكل م || وحده عدد : ساقطة من م .

(٢) آرائهم : رأيهم ف ، م || مواضع : موضع ف ، م || آخر : آخر ف ، م .

(٣) مذاهبهم : مذاهبهم ف ، م .

(٦) المحرز : المحرز ف ؛ المجرد ك .

(٨) من : عن ف ، م .

(١٣) النفوس : نفوس م || المحرز : المجرد ك .

(١٤) المحرز : المحرز ف ؛ المجرد ك .

(١٥) المحرز : المحرز ف ؛ المجرد ك .

(١٧) بدنه : بدله ك || فإن : وإن ف

(١٨) كانت : كان ك .

(١٩) نفوس : نفس م .

وأيضاً فإن الوحدات المجتمعة في العدد إما أن يكون لها وضع : أولاً يكون لها ، فإن كان لها وضع فهي نقط ، وإن كانت نقطا فلما أن تكون نفسا لأنها عدة تلك النقط أولاً تكون كذلك ، بل لأنها قوة أو كيفية أو غير ذلك . لكنهم جعلوا الطبيعة النفسية مجرد عددية ، فيكون العدد الموجود للنقط طبيعة النفس ، فيكون كل جسم إذا فرض فيه ذلك العدد من النقط ذا نفس : وكل جسم لك أن تفرض فيه كم نقطة شئت ، فيكون كل جسم من شأنه أن يصير ذا نفس بفرض النقط فيه ، وإن كانت عددا لاوضع له ، وإنما هي آحاد متفرقة ، فبماذا تفرقت وليس لها مواد مختلفة ولاقرن بها صفات وفصول أخرى وإنما تتكثر الأشياء المتشابهة في المواد المختلفة . فإن كان لها مواد مختلفة فهي ذوات وضع ولها أبدان شتى ثم في الحالين جميعا كيف ارتبطت هذه الوحدات أو النقط معا ، لأنه إن كان ارتباطها بعضها ببعض والثامها للطبيعة الوحيدة والنقطية ، فيجب أن تكون الوحدات والنقطات مهيولة إلى الاجتماع من أى موضع كانت ، وإن كان لجامع فيها جمع واحدة منها إلى الأخرى وضام ضم بعضها إلى بعض حتى ارتبطت وهو يحفظها مرتبطة ، فذلك الشيء أولى أن يكون نفسا .

وأما الذين قالوا إن النفس مركبة من المبادئ حتى يصح أن تعرف المبادئ وغير المبادئ بما فيها منها ، وأنه إنما يعرف كل شيء بشبهه فيه ، فقد يلزمهم أن تكون النفس لا تعرف الأشياء التي تحدث عن المبادئ مخالفة لطبيعتها . فإن الاجتماع قد يحدث هيئات في المبادئ وصورا لا توجد فيها مثل العظمية واللحمية والإنسانية والفرسية وغير ذلك ، فيجب أن تكون هذه الأشياء مجهولة للنفس ، إذ ليس فيها هذه الأشياء ، بل إنما فيها أجزاء المبادئ فقط ، فإن جعل في تأليف النفس إنسانا وفرسا وفيلة ، كما فيه نار وأرض وغلبة ومحبة ، وإن قال إن فيها هذه الأشياء ،

(٢) كان : ساقطة من د .

(٣) كذلك : لذلك ف .

(٦) نقطة : نقط د ، ك ، م || بفرض : ف ، لفرض م .

(٧) كانت عددا : كان عدد د ، ك ، م .

(٨) صفات : + آخر ف .

(١٠) لأنه إن كان : أكان د .

(١٢) واحدة : واحد د ، ك ، م .

(١٣) الأخرى : الآخر د ، ك ، م || ضم : ساقطة من م .

(١٦) وأنه : وأنها ف || فيه : فيها ف .

(١٩) ليس : ليست د .

(٢١) وإن ... الأشياء : ساقطة من د ، ف .

فقد ارتكب العظيم . ثم إن كان في النفس إنسان ، ففي النفس نفس ، ففيه مرة أخرى إنسان وفيل ، ويذهب ذلك إلى غير النهاية . وقد يشنع عليه من جهة أخرى هي أنه يجب على هذا الوضع أن يكون الله تعالى إما غير عالم بالأشياء وإما مركبا من الأشياء ، وكلاهما كفر ، ومع ذلك يجب أن يكون غير عالم بالغبلة ، لأنه لا غلبة فيه . فإن الغلبة توجب التفريق والفساد فيما تكون فيه ، فيكون الله تعالى غير تام العلم بالمبادئ ، وهذا شنيع وكفر .

ثم يلزم من هذا أن تكون الأرض أيضا عالمة بالأرض ؛ والماء بالماء ، وأن تكون الأرض لا تعلم الماء ، والماء لا يعلم الأرض ، ويكون الحار عالما بالحار غير عالم بالبارد ، ويجب أن تكون الأعضاء التي فيها أرضية كثيرة شديدة الإحساس بالأرض وليست هي كذلك ، بل هي غير حساسة لا بالأرض ولا بغيرها ، وذلك كالظفر والعظم . ولأن ينفع الشيء ويتأثر عن ضده ، أولى من أن يتأثر عن شكله . وأنت تعلم أن الإحساس متأثر مّا وانفعال مّا ويجب أن لا تكون ههنا قوة واحدة تدرك الأضداد فيكون السواد والبياض ليس يدركان بحاسة واحدة ، بل يدرك البياض بجزء من البصر هو أبيض ، والسواد بجزء منه هو أسود ، ولأن الألوان لها تركيبات بلانهاية ، فيجب أن يكون قد أعد للبصر أجزاء بلا نهاية مختلفة الألوان . وإن كان لا حقيقة للوسائط ، وما هو إلا مزج الضمدين بزيادة وتقصان من غير اختلاف آخر ، فيجب أن يكون مدرك البياض يدرك البياض صرفا ، ومدرك السواد يدرك السواد صرفا ، إذ لا يمكن أن يدرك غيره ، فيجب أن لا تشكل علينا بسائط الممتزج ولا تتخيل إلينا الوسائط التي لا يظهر فيها يياض وسواد بالفعل . وكذلك يجب أن يدرك المثلث بالمثلث ، والمربع بالمربع ، والمدور بالمدور ، والأشكال

(١) ففيه : ففيها ف ؛ قوة م || مرة : ساقطة من م .

(٢) أخرى هي : ساقطة من ف ، م .

(٣) الوضع : الموضع م .

(٤) وكلاهما : وكلها م || يجب : فيجب ف .

(٦) شنيع : شنع م .

(٨) بالحار : ساقطة من م .

(١٠) هي : ساقطة من ف .

(١٢) لا تكون : تكون د .

(١٥) للبصر : البصر م .

(١٦) وما هو : وما هي ف .

(٢٠) والمربع بالمربع : ساقطة من د ، ف ، م .

الأخرى التي لا نهاية لها ، والأعداد أيضا بأمثالها ، فتكون في الحاسة أشكال بلا نهاية ، وهما كله محال . وأنت تعلم أن الشيء الواحد يكفي في أن يكون عيارا للأضداد تعرف به ، كالمسطرة المستقيمة بعرف بها المستقيم والمنحنى جميعا ، وأنه لا يجب أن يعلم كل شيء بشيء خاص .

- وأما الذين جعلوا النفس جسما يتحرك بحركته المستديرة التي يتحركها على الأشياء لتدرك بها الأشياء ، فسنبضح بعدُ فساد قولهم حين نتيين أن الإدراك العقلي لا يجوز أن يكون بجسم . وأما الذين جعلوا النفس مزاجا فقد علم مما سلف بطلان هذا القول وعلى أنه ليس كل ما يفسد بفساده الحياة يكون نفسا ، فإن كثيرا من الأشياء والأعضاء والأحلاط وغير ذلك بهذه الصفة . وليس بمنكر أن يكون شيء لا بد منه حتى تكون للنفس علاقة بالبدن ، ولا يوجب ذلك أن يكون ذلك الشيء نفسا . وبهذا يعلم خطأ من ظن أن النفس دم ، فكيف يكون الدم محركا وحساسا . والذي قال : إن النفس تأليف فقد جعل النفس نسبة معقولة بين الأشياء ، وكيف تكون النسبة بين الأضداد محركا ومدركا والتأليف يحتاج إلى مؤلف لا محالة ، فذلك المؤلف أولى أن يكون هو النفس . وهو الذي إذا فارق وجب انتقاض التأليف . ثم سيتضح في خلال ما نعرفه من أمر النفس بطلان جميع هذه الأقاويل بوجوه أخرى . فيجب الآن أن نكون نحن وراء طلب طبيعة النفس ، وقد قيل في مناقضة هذه الآراء أقاويل ليست بالواجبة ولا اللازمة وإنما تركناها لذلك .

(١) أشكال : أمثال ف .

(٥) النفس : للنفس م + مدركة بحركتها المستديرة جمعا وأما الذين جعلوا النفس ك || جمعا : ساقطة

من د || يتحرك بحركته : مدركة لحركتها د ؛ يتحرك بحركتها ك ، م .

(٦) بها : به د || حين نتيين : حتى نتيين ك ؛ حين نتيين ف ، م .

(٧) وأما : فأما ك || بما : فيا د ، ف ، م .

(٩) شيء : شيء م .

(١١) فكيف : وكيف د ، ك ، م .

(١٤) المؤلف : هو د ؛ ساقطة من ك || أولى : ساقطة من م .

(١٦) نكون : ساقطة من ك || نحن : ساقطة من م .

الفصل الثالث

في أن النفس داخلية في مقولة الجبرهر

فنقول نحن إنك تعرف مما تقدم لك أن النفس ليست بجسم ، فإن ثبت لك أن نفسا مّا يصح لها الانفراد بقوام ذاتها ، لم يقع لك شك في أنها جوهرية وهذا إنما يثبت لك في بعض ما يقال له نفس . وأما غيره مثل النفس النباتية والنفس الحيوانية ، فإن ذلك لا يثبت لك فيه . لكن المادة القريبة لوجود هذه الأنفس فيها إنما هي ماهي بمزاج خاص وهيئة خاصة ، وإنما تبقى بذلك المزاج الخاص بالفعل موجودا ما دام فيها النفس . والنفس هي التي تجعلها بذلك المزاج ، فإن النفس هي لا محالة علة لتكون النبات والحيوان على المزاج الذي له إذ كانت النفس هي مبدأ التوليد والتربية كما قلنا ؛ فيكون الموضوع القريب للنفس مستحيلا أن يكون هو ما هو بالفعل إلا بالنفس ، وتكون النفس علة لكونه كذلك ، ولا يجوز أن يقال : إن الموضوع القريب حصل موجودا على طباعه بسبب غير النفس ، ثم لحقته النفس لحوقا مّا لا قسط له بعد ذلك في حفظه وتقويمه وتربيته ، كالحال في أعراض يتبع وجودها وجود الموضوع لها اتباعا ضروريا ، ولا تكون مقومة لموضوعها بالفعل . وأما النفس فإنها مقومة لموضوعها القريب موجودة إياه بالفعل ، كما تعلم الحال في هذا إذا تكلمنا في الحيوان . وأما الموضوع البعيد فيبينه وبين النفس صور أخرى تقوم . وإذا فارقت النفس وجب ضرورة أن يكون فراقها يحدث لغالب

(١) الفصل الثالث : فصل ٣ ف.

(٧) ماهي : ماقطة من م .

(٩) له : لها ، ك ، م .

(١٠) إذ : إذا د .

(١٢) موجودا على طباعه : على طباعه موجودا ك ، م ، + وكان ذلك ف .

(١٣) سبب : لسبب ك || لحوقا : لحوق ف .

(١٧) فيبينه : فيبينها م .

(١٨) تقومه : تقومها د ، ك ؛ تقويمها م .

صير الموضوع لحالة أخرى . وأحدث فيها صورة جمادية ، كالمقابلة للصورة المزاجية الموافقة للنفس ولتلك الصورة . فالمادة التي للنفس لا تبقى بعد النفس على نوعها البتة ، بل إما أن يبطل نوعها وجوهرها الذي به كان موضوعا للنفس ، أو تخلف النفس فيها صورة تستبقى المادة بالفعل على طبيعتها ، فلا يكون ذلك الجسم الطبيعي كما كان ، بل تكون له صورة وأعراض أخرى . ويكون أيضا قد تبدل بعض أجزائها وفارق مع تغير الكل في الجوهر ، فلا تكون هناك مادة محفوظة الذات بعد مفارقة النفس هي كانت موضوعة للنفس ، والآن هي موضوعة لغيرها . فإذن ليس وجود النفس في الجسم كوجود العرض في الموضوع . فالنفس إذن جوهر لأنها صورة لافي موضوع .

١٠

لكن لقائل أن يقول : لنسلم أن النفس النباتية هذه صورتها ، فإنها علة لقوام مادتها القريبة ؛ وأما النفس الحيوانية فيشبه أن تكون النباتية تقوم مادتها ثم يلزمها اتباع هذه النفس الحيوانية إياها ، فتكون الحيوانية متحصلة في مادة تقوم بذاتها ، وهي علة لقوام هذه التي حلتها أعنى الحيوانية ، فلا تكون الحيوانية إلا قائمة في موضوع . فنقول في جواب ذلك : إن النفس النباتية بما هي نفس نباتية لا يجب عنها إلا جسم تغذيه مطلقا ، ولا النفس النباتية مطلقة لها وجود إلا وجود معنى جنسي ، وذلك في الوهم فقط ؛ وأما الموجود في الأعيان فهو أنواعها . والذي يجب أن يقال : إن النفس النباتية سبب له شيء أيضا عام كلي غير محصل ، وهو الجسم المتغذى النامي المطلق الجنسي غير المتنوع . وأما الجسم

١٥

(١) لحالة : بحالة ف ، ك ، م || فيها : فيه ف .

(٢) فالمادة : وأما المادة ك ؛ والمادة م || التي للنفس : ساقطة من ف .

(٥) له : ساقطة من د ، م .

(٦) ويكون : وقد يكون د ، ك || أيضا : ساقطة من م .

(٨) لغيرها : لغيره م .

(١٢) النباتية : النبات م .

(١٣) يلزمها : يلزم د || متحصلة : + الوجود ك .

(١٤) حلتها : حلتها م .

(١٧) معنى : لمعنى ك .

(١٨) له : واحد وله ك .

(١٩) الجنسي : الجنس د || غير : الغير د ، ف ، ك || وأما الجسم : وأما جسم د ؛ ولها جسم م .

ذوآلات الحس والتمييز والحركة الإرادية ، فليس مصدره عن النفس النباتية بما هي نفس نباتية ، بل بما ينضم إليها فصل آخر تصير به طبيعة أخرى ، ولا يكون ذلك إلا أن تصير نفسا حيوانية ، بل يجب أن نبتدىء فتزيد هذا شرحا .

فنقول : إن النفس النباتية إما أن يعنى بها النفس النوعية التى تخص النبات

• دون الحيوان ، أو يعنى بها المعنى العام الذى يعم النفس النباتية والحيوانية

من جهة ما تغذى وتولد وتنمى ، فإن هذا قد يسمى نفسا نباتية ، وهذا مجاز

من القول ، فإن النفس النباتية لا تكون إلا فى النبات ، ولكن المعنى الذى

يعم نفس النبات والحيوان يكون فى الحيوانات كما يكون فى النبات ووجوده ،

كما يوجد المعنى العام فى الأشياء . وإما أن يعنى بها القوة من قوى النفس الحيوانية

التي تصدر عنها أفعال التغذية والتربية والتوليد ، فإن عنى بها النفس النباتية ١٠

التي هى بالقياس إلى النفس الفاعلة للغذاء نوعية ، فذلك يكون فى النبات لا غير ،

ليس فى الحيوان . وإن عنى بها المعنى العام فيجب أن ينسب إليها معنى عام لامعنى

خاص ، فإن الصانع العام هو الذى ينسب إليه المصنوع العام ، والصانع النوعى كالنجار هو

الذى ينسب إليه المصنوع النوعى ، والصانع المعين هو الذى ينسب إليه المصنوع المعين .

وهذا شيء قد مر لك تحقيقه . فالذى ينسب إلى النفس النباتية العامة من أمر ١٥

الجسم أنه نام عام ، وأما أنه نام بحيث أنه يصاح لقبول الحس أو لا يصلح فليس

ينسب ذلك إلى النفس النباتية من حيث هى عامة ، ولا هذا المعنى يتبعه .

وأما القسم الثالث فيستحيل أن يكون على ما يظن من أن القوة النباتية

تأتى وحدها فتفعل بدنا حيوانيا ولو كان المنفرد بالتدبير تلك القوة لكانت

تتم جسما نباتيا ، وليس كذلك ، بل إنما تتم جسما حيوانيا بآلات الحس ٢٠

والحركة ، فتكون هى قوة لنفس لتلك النفس قوة أخرى . وهذه القوة من

(١) والتمييز : والتميزك || مصدره : مصدر ك .

(٢) فتزيد : ونزيد ك .

(٦) ما تغذى : ما تغتذى م || وتنمى : وينمود ، ك .

(١١) فذلك : فذلك د .

(١٢) الصانع : ساقطة من م || المصنوع : الموضوع م || هو : وهو م .

(١٦) نام (الأولى والثانية) : قام د .

(١٧) يتبعه : يتبعها ف .

(٢٠) نباتيا : حيوانيا د || إنما : وكانت م .

(٢١) قوة أخرى : قوى أخرى ؛ قوى أخرى ف .

قواها تنصرف على المثال الذى يؤدى إلى استعداد الآلة للكملات الثانية التى لتلك النفس التى هذه قوتها وتلك النفس هى الحيوانية .

- ويتضح من بعد أن النفس واحدة ، وأن هذه قوى تنبعث عنها فى الأعضاء . ويتأخر فعل بعضها ويتقدم بحسب استعداد الآلة . فالنفس التى اكل حيوان هى جامعة أسطقتات بدنه ، ومؤلفتها ومركبتها على نحو يصلح معه أن يكون بدنا لها ، وهى حافظة لهذا البدن على النظام الذى ينبغى ، فلا تستولى عليه المغيرات الخارجة مادامت النفس موجودة فيه ولولا ذلك لما بقيت على صحتها ، ولاستيلاء النفس عليه ما يعرض من قوة القوة النامية وضعفها عند استشعار النفس قضايا تكرهها أو تحبها كراهة ومحبة ليست ببدينية البتة ، وذلك عند ما يكون الوارد على النفس تصديقا مّا ، وليس ذلك مما يؤثر فى البدن بما هو اعتقاد ، بل يتبع ذلك الاعتقاد انفعال من سرور أو غم ، وذلك أيضا من المدركات النفسانية ، وليس مما يعرض للبدن بما هو بدن فيؤثر ذلك فى القوة النامية الغذائية حتى يحدث فيها من العارض الذى يعرض للنفس أولا - وليكن الفرح النطقى - شدة ونفاذ فى فعلها ، ومن العارض المضاد لذلك - وليكن الغم النطقى الذى لا ألم بدنى فيه - ضعف وعجز حتى يفسد فعلها ، وربما انتقض المزاج به انتقاضا .

وكل ذلك مما يقنعك فى أن النفس جامعة لقوتى الإدراك واستعمال الغذاء ، وهى واحدة لهما ، ليست هذه منفردة عن تلك . فبين أن النفس

(٣) تنبعث : تنشب ف ، م .

(٥) ومؤلفتها : ومؤلفها د ، ك || ومركبتها : ومركبها د ، ك .

(٦) عليه : عليها د ، ك ، م .

(٧) فيه : فيها د ، ك ، م || بقيت على صحتها : بقى على صحته ف .

(٨) عليه : عليها د ، ك ، م .

(٩) كراهة : كراهية ف || ببدينية : بدينية ك .

(١٢) مما : ساقطة من ف .

(١٣) العارض : العناصر م .

(١٤) ونفاذ : ونفاذا د ، م .

(١٥) بدنى : بدنيا م || ضعف وعجز : ضعفا وعجزا م .

(١٧) ذلك : هذا ف || لقوتى : لقوى د ، ك ، م .

(١٨) لهما : لها د ، ف .

هى مكملة البدن الذى هى فيه ، وحافضة على نظامه الذى الأولى به أن يتميز
 ويتفرق ، إذ كل جزء من أجزاء البدن يستحق مكانا آخر ويستوجب
 مفارقة لقربه ، وإنما يحفظه على ما هو عليه شىء خارج عن طبيعته ،
 وذلك الشىء هو النفس فى الحيوان . فالنفس إذن كمال لموضوع ، ذلك
 الموضوع متقوم به ، وهو أيضا مكمل النوع وصانعه ، فإن الأشياء
 المختلفة الأنفس تصير بها مختلفة الأنواع ، ويكون تغايرها بالنوع لا بالشخص .
 فالنفس إذن ليست من الأعراض التى لا تختلف بها الأنواع ، ولا يكون لها
 مدخل فى تقويم الموضوع . فالنفس إذن كمال كالجوهر لا كالعرض ، وليس
 يلزم هنا أن يكون مفارقا أو غير مفارق . فإنه ليس كل جوهر بمفارق ،
 فلا الهوى بمفارقة ولا الصورة ، وقد علمت أنت أن الأمر كذلك ، فلندل
 الآن دلالة ما مختصرة على قوى النفس وأفعالها ثم نتبعها بالاستقصاء . ١٠

(١) وحافضة : وحافظته ف || نظامه : النظام ك .

(٤) لموضوع : الموضوع م || ذلك : وذلك ك .

(٥) متقوم : يتقوم ك .

(٨) لا كالعرض : ساقطة من ف .

(٩) بمفارق : مفارقا م .

الفصل الرابع

في تبين أن أفعال النفس لا تختلف قراها

- نقول : إن للنفس أفعالا تختلف على وجوه ، فيختلف بعضها بالشدة والضعف ، وبعضها بالسرعة والبطء . فإن الظن اعتقاد ما يخالف اليقين بالتأكيد والشدة ، والحدس يخالف اليقين بسرعة الفهم . وقد تختلف أيضا بالعدم والملكة ، مثل أن الشك يخالف الرأي ، فإن الشك عدم اعتقاد من طرفي التقيض ، والرأي اعتقاد أحد طرفي التقيض ؛ ومثل التحريك والتسكين . وقد تختلف بالنسبة إلى أمور معضدة مثل الإحساس بالأبيض والإحساس بالأسود وإدراك الحلو وإدراك المر . وقد تختلف بالجنس مثل إدراك اللون وإدراك الطعم ، بل مثل الإدراك والتحريك . وغرضنا الآن أن نعرف القوى التي تصدر عنها هذه الأفعال ، وأنه هل يجب أن يكون لكل نوع من الفعل قوة تخصه أولا يجب ذلك .

- فنقول : أما الأفعال المختلفة بالشدة والضعف فإن مبدأها قوة واحدة ، لكنها تارة تكون أتم فعلا ، وتارة تكون أنقص فعلا . ولو كان النقصان يقتضي أن يكون هناك للأنقص قوة غير القوة التي للآتم ، أوجب أن يكون عدد القوى بحسب عدد مراتب النقصان والزيادة التي لا تكاد تنتهي ، بل القوة الواحدة يعرض لها تارة أن تفعل الفعل أشد وأضعف بحسب الاختيار ، وتارة بحسب مؤاتاة الآلة ، وتارة بحسب عوائق من خارج أن تكون أو لا تكون وأن تقل أو تكثر . وأما الفعل وعلمه فقد سلف لك في

(١) الفصل الرابع : فصل ٤ ف .

(٤) يخالف اليقين : يخالف اليقين م || اليقين : التلقين د ، ف .

(١٥) للأنقص : لأنقص ك .

(١٦) لا تكاد تنتهي : لا تكاد وتنتهي د ؛ تكاد لا تنتهي ك ، م .

(١٨) الآلة : الآلات ك || وتارة بحسب : وبحسب ف ، م .

(١٩) وأما : فأما ك ، م .

الاقاويل الكلية أن مبدأ ذلك قوة واحدة . وأما اختلاف أفعالها التي من باب الملكة بالجنس كالإدراك والتحريك أو كإدراك وإدراك ، فذلك مما بالحرى أن يفحص عنه فاحص ، فينظر مثلاً هل القوى المدركة كلها قوة واحدة ، إلا أن لها إدراكات مّا بذاتها هي العقليات وإدراكات مّا بآلات مختلفة بسبب اختلاف الآلات . فإن كانت العقليات والحسيات مثلاً لقوتين ، فهل الحسيات كلها التي تتخيل من باطن والتي تدرك في الظاهر بقوة واحدة ، وإن كانت التي في الباطن لقوة أو لقوى ، فهل التي في الظاهر لقوة واحدة تفعل في آلات مختلفة أفعالاً مختلفة . فإنه ليس بممتنع أن تكون قوة واحدة تدرك أشياء مختلفة الأجناس والأنواع ، كما هو مشهور من حال العقل عند العلماء ومشهور من حال الخيال عندهم ، بل كما أن المحسوسات المشتركة التي زعموا أنها العظم والعدد والحركة والسكون والشكل قد تحس بكل واحدة من الحواس أو بعدة منها وإن كانت بوساطة محسوس آخر . ثم هل قوة التحريك هي قوة الإدراك ، ولم لا يمكن ذلك . وهل قوة الشهوة بعينها هي قوة الغضب ، فإذا صادفت اللذة انفعلت على نحو ، وإن صادفت الأذى انفعلت على نحو آخر ، بل هل الغاذية والنامية والمولدة شيء من هذه القوى ، فإن لم تكن فهل هي قوة واحدة ، حتى إذا كان الشيء لم يتم تصوره حركت الغذاء إلى أقطاره على هيئة وشكل ، فإذا استكمل حركت ذلك التحريك بعينه . إلا أن الشكل قد تم ولا يحدث شكل آخر ، والعظم قد بلغ مبلغاً لا تفي القوة بأن تورد من الغذاء فيه أكثر مما يتحلل منه فيقف . وهناك يفضل من الغذاء فضل يصلح للتوليد فتنفذه إلى أعضاء التوليد ، كما تنفذ الغذاء إليها لتغذوها به ، لكنه

(٢) أو كإدراك : وكإدراك ف .

(٤) مّا (الأولى) : ساقطة من ف .

(٦) بقوة : لقوة م || وإن : فإن م .

(٧) لقوى : قوى ف ، م .

(٨) بممتنع : يمتنع ك ، م .

(١٠) بل : ساقطة من د || زعموا : يزعمون ف ، ك ، م .

(١١) واحدة : واحد ك .

(١٢) بوساطة : بواسطة ك ، م .

(١٥) شيء : شيء ف .

(١٦) حركت : حرك د ، ك ، م .

(١٧) حركت : حرك د ، ك ؛ ساقطة من م . (١٨) ولا يحدث : فلا يحدث ف .

(١٩) يصلح : يصح ف . (٢٠) فتنفذه : لتنفذه ك .

يفضل عما تحتاج إليه أعضاء التوليد من الغذاء فضل يصلح لباب آخر ، فتصرفه تلك القوة بعينها إليه ، كما تفعل بفضول كثير من الأعضاء ، ثم تعجز هذه القوة في آخر الحياة عن إيراد بدل ما يتحلل مساوياً لما يتحلل ، فيكون ذبول . فلم تفرض قوة نامية ولا تفرض قوة مثبلة ، واختلاف الأفعال ليس يدل على اختلاف القوى . فإن القوة الواحدة بعينها تفعل الأضداد ، بل القوة الواحدة تحرك بإرادات مختلفة حركات مختلفة ، بل القوة الواحدة قد تفعل في مواد مختلفة أفاعيل مختلفة .

فهذه شكوك يجب أن يكون حلها مهيناً عندنا ، حتى يمكننا أن نتقن ونثبت قوى النفس ؛ وأن نثبت أن عددها كلها ، وأن بعضها مخالف للبعض ، فإن الحق عندنا هذا .

١٠

فنبول : أما أولاً ، فإن القوة من حيث هي قوة بالملات وأولاً ، هي قوة على أمر ما ويستحيل أن تكون مبدأ لشيء آخر غيره ، فإنها من حيث هي قوة عليه مبدأ له ، فإن كانت مبدأ لشيء آخر فليست هي من حيث هي مبدأ في ذاتها للملك الأول . فالقوى من حيث هي قوى إنما تكون مبادئ لأفعال معينة بالقصد الأول . لكنه قد يجوز أن تكون القوة الواحدة مبدأ لأفعال كثيرة بالقصد الثاني ، بأن تكون تلك كالفروع ، فلا تكون مبدأ لها أولاً ، مثل أن الإبصار إنما هو قوة أولاً على إدراك الكيفية التي بها يكون الجسم بحيث إذا توسط بين جسم قابل للضوء وبين المضيء لم يفعل المضيء فيه الإضاءة ، وهذا هو اللون ، واللون يكون بياضاً وسواداً . وأيضاً القوة المتخيلة هي التي تستثبت صور الأمور المادية من حيث هي مادية مجردة عن المادة نوعاً من التجريد غير بالغ ، كما نذكره بعد . ثم يعرض أن يكون ذلك لونا أو طعماً أو حلاً أو صوتاً أو غير ذلك . والقوة العاقلة هي التي تستثبت صور الأمور من حيث هي بريئة

٢٠

(٢) كثير : كثيرة د ، ك ، م .

(٤) فلم تفرض : فلم تعرض لك ؛ فلم لا تعرض م || ولا تفرض : ولا تعرض لك .

(١٢) فإنها : فإنه د ، ك . (١٣) كانت : كان د ، ك .

(١٤-١٣) فليست ... الأول : فليس هو من حيث هو مبدأ لذلك الأول في ذاته د ، ك ؛ فليس هو

من حيث هي مبدأ لذلك الأول في ذاته م .

(١٤) مبادئ : مبدأ ك .

(١٥) الواحدة : ساقطة من د ، ك ، م .

(١٩) واللون : ثم اللون د ، ف || تستثبت : تثبت ك .

(٢٢) تستثبت : تثبت ك .

عن المادة وعلاقتها ، ثم يتفق أن يكون ذلك شكلا ، ويتفق أن يكون عددا . وقد يجوز أن تكون القوة معدة نحو فعل بعينه ، لكنها تحتاج إلى أمر آخر ينضم إليها حينئذ ، حتى يصير لها ما بالقوة حاصلًا بالفعل ، فإن لم يكن ذلك الأمر لم تفعل . فيكون مثل هذه القوة تارة مبدأ للفعل بالفعل وتارة غير مبدأ له بالفعل ، بل بالقوة . مثل القوة المحركة فإنها إذا صح الإجماع من القوة الشوقية بسبب داع من التخيل أو المعقول إلى التحريك حركت لا محالة ، فإن لم يصح لم تحرك وليس يصدر عن قوة محركة واحدة بآلة واحدة إلا حركة واحدة ، إذ الحركات الكثيرة لكثرة آلات الحركة التي هي العضل فينا وفي كل عضلة قوة محركة جزئية لا تحرك إلا حركة بعينها . وقد تكون القوة الواحدة أيضا يختلف تأثيرها بحسب القوابل المختلفة أو الآلات المختلفة ، وهذا ظاهر .

فنعول الآن : إن أول أقسام أفعال النفس ثلاثة أفعال يشترك فيها الحيوان والنبات كالغذية والتربية والتوليد ، وأفعال تشترك فيها الحيوانات أكثرها أو جلها ولاحظ فيها للنبات مثل الإحساس والتخيل والحركة الإرادية ، وأفعال تختص بالناس مثل تصور المعقولات واستنباط الصنائع والروية في الكائنات والتفرقة بين الحميل والقيح . فلو كانت القوى النفسانية واحدة وكانت الأفعال النباتية تصدر عن القوة التي تصدر عنها الحيوانية صدورا أوليا لكان عدم الأجسام النباتية وأعضاء الحيوان التي تقتضى ولا تحس مما هو صلب أو أين للإحساس إما أن يكون بسبب عدم القوة ، أو بسبب أن المادة ليست تنفعل عنها . ومحال أن يقال : إن المادة ليست تنفعل عن الحر والبرد ولا تتأثر عنهما وعن الطعوم القوية والروائح القوية ، فإنها تنفعل عنها ، فبقى أن يكون ذلك بسبب عدم القوة الفعالة لذلك ، وقد وجدت القوة الغذائية ، فإذا القوتان مختلفتان . وأيضا فإن تحريك النفس لا يخلو إما أن يكون على سبيل نقل مطلق وكل جسم قابل للنقل مطلقا ، وإما أن يكون لنقل على سبيل قبض وبسط . وفي أجسامنا أعضاء هي أقبل لذلك من العضل وفيها حياة للتغذية ، وليس يمكن تحريكها . فالسبب في ذلك

(٤) القوة : ساقطة من د . (٦) فإن : وإن ف .

(٨) لكثرة : ساقطة من م . (١٠) أو الآلات : والآلات ف .

(١٣) أكثرها : ساقطة من ف ، م .

(١٤) تصور : تعقل ك ، م .

(١٥) والتفرقة : + التي ك .

(١٨-١٩) المادة أن : ساقطة من م .

(٢٣) لنقل : النقل ف .

(٢٤) للتغذي : التغذي د ، ف || فالسبب : ما السبب م .

- ليس من جهتها ، بل من جهة فقدانها القوة المحركة . وكذلك بعض الأعصاب تنفذ فيها قوة الحس فقط دون الحركة ، وبعضها تنفذ فيها قوة الحركة ولا تنفاضل بشيء يعتد به ، بل قد يوجد ما يشاكل ماينفذ فيه الحس ويزيد عليه في الكيف وينقص ، قد تنفذ فيه قوة الحركة ، وقد يوجد ما هو كذلك وليس تنفذ فيه قوة الحس . وكذلك يمكنك أن تعلم أن العين ليست دون • اللسان في أن تنفعل عن الطعوم المجاورة ، ولا تحس العين بالطعم من حيث هو مذاق ؛ لست أقول من حيث هو كيفية ولا بالصوت .

- وأما القوة الإنسانية فسنبين من أمرها أنها متبرئة الذات عن الانطباع في المادة ، ونبين أن جميع الأفعال المنسوبة إلى الحيوان يحتاج فيها إلى آلة . فإذن الحواس والتخيلات لقوة أخرى مادية غير القوة المحركة وإن كانت ١٠ تفيض عنها . وقوى الحركة أيضا متعلقة من وجه ، كما سنبين ، بقوى الحس والتخيل . فإذا فهمت هذا وما أعطيناك من الأصول سهّل عليك أن تعرف فرقان ما بين القوى التي نحن في ترتيبها وتعيدها ، وتعلم أن كل قوة لها فعل أولى فلا تشارك قوة أخرى لها فعل أولى مخالف لفعلها الأولى .

(١) المحركة : ساقطة من د ، م .

(٢) فيها (الأولى والثانية) : فيه ف || وبعضها : وبعض الأعصاب ك .

(٤) قد : وقد ك .

(٥) وكذلك : ولذلك م .

(٧) هو : هي د ؛ ساقطة من ف .

(١٣) فرقان : فراك .

(١٤) فلا تشارك : ولا تشارك ك .

الفصل الخامس

في تعريف قوى النفس على سبيل التصنيف

لنعدّ الآن قوى النفس عدّةً على سبيل الوضع ، ثم لنشتغل ببيان حال كل قوة فنقول : القوى النفسانية تنقسم بالقسمة الأولى أقساماً ثلاثة : أحدها النفس النباتية ، وهى الكمال الأول لجسم طبيعيّ آلى من جهة ما يتولد وينمى ويغتنى ، والغذاء جسم من شأنه أن يتشبه بطبيعة الجسم الذى قيل إنه غذاؤه فيزيد فيه مقدار ما يتحلل أو أكثر أو أقل . والثانى النفس الحيوانية ، وهى الكمال الأول لجسم طبيعيّ آلى من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة . والثالث النفس الإنسانية ، وهى كمال أول لجسم طبيعيّ آلى من جهة ما ينسب إليه أنه يفعل الأفاعيل الكائنة بالاختيار الفكرى والاستنباط بالرأى ، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية . ولولا العادة لكان الأحسن أن يجعل كل أول شرطاً مذكوراً فى رسم الثانى إن أردنا أن نرسم النفس لا القوة النفسانية التى للنفس بحسب ذلك الفعل . فإن الكمال مأخوذ فى حد النفس لا فى حد قوة النفس .

وأنت ستعلم الفرق بين النفس الحيوانية وبين قوة الإدراك والتحريك ، وبين النفس الناطقة وبين القوة على الأمور المذكورة من التمييز وغيره . فإن أردت الاستقصاء فالصواب أن تجعل النباتية جنساً للحيوانية ، والحيوانية جنساً للإنسانية ، وتأخذ الأعم فى حد الأخص . ولكنك إذا التفت إلى

(١) الفصل الخامس : فصل هـ ف .

(٢) تعديد : تعد م .

(٣) لنشتغل : نشغل م .

(٦) غذاؤه : غذاء د ؛ غذاء له ك ؛ غذاء ف || فيزيد : ويزيد د || فيه : ساقطة من م .

(٩) لجسم : بجسم م || كان أول : الكمال الأول ف .

(١٣-١٤) لا فى حد قوة النفس : ساقطة من م .

(١٦) التمييز : التميز د ، ك .

النفس من حيث القوى الخاصة لها في حيوانيتها وإنسانيتها ، وربما قنعت بما ذكرناه . ولانفس النباتية قوى ثلاث : الغذائية وهي قوة تحيل جسما غير الجسم الذى هي فيه إلى مشاكلة الجسم الذى هي فيه فتلصقه به بدل ما يتحلل عنه . والقوة المنمية وهي قوة تزيد في الجسم الذى هي فيه بالجسم المتشبه به زيادة متناسبة في أقطاره طولا وعرضا وعمقا لتبلغ به كمال النشوء . والقوة المولدة وهي قوة تأخذ من الجسم الذى هي فيه جزءاً هو شبيهه بالقوة فتفعل فيه باستمداد أجسام أخرى تتشبه به من التخليق والتمزيج ما يصيره شبيها به بالفعل .

- وللنفس الحيوانية بالقسمة الأولى قوتان : محركة ، ومبركة . والمحركة على قسمين : إما محركة بأنها باعثة على الحركة ، وإما محركة بأنها فاعلة : ١٠ والمحركة على أنها باعثة هي القوة التزوعية الشوقية ، وهي القوة التي إذا ارتسمت في التخيل الذى سنذكره بعد صورة مطلوبة أو مهروب عنها تبعث القوة المحركة الأخرى التي نذكرها على التحريك ، ولها شعبتان : شعبة تسمى قوة شهوانية وهي قوة تبعث على تحريك تقرب به من الأشياء المتخيلة ضرورية أو نافعة طلباً للذة . وشعبة تسمى غضبية وهي قوة تبعث على تحريك تدفع به الشيء المتخيل ضاراً أو مفسداً طلباً للغلبة . وأما القوة المحركة على أنها فاعلة فهي قوة تنبعث في الأعصاب والعضلات من شأنها أن تشنج العضلات فتجذب الأوتار والرباطات المتصلة بالأعضاء إلى نحو جهة المبدأ وترخيها أو تمددها طولا ، فتصير الأوتار والرباطات إلى خلاف جهة المبدأ .

٢٠

وأما القوة المدركة فتتقسم قسمين : منها قوة تدرك من خارج ، ومنها قوة تدرك من داخل .

-
- (١) النفس : الأنفس ف .
 - (٥) لتبلغ : ليبلغ ف .
 - (٧) من : ساقطة من م .
 - (٨) ما يصيره : ما يصير د .
 - (٩) ومدركة : ومدورة م .
 - (١٤) تقرب : يقرب ف .
 - (١٥) تسمى : + قوة ف .
 - (١٦) تدفع : يدفع ف .
 - (١٩) وترخيها : أو ترخيها د ، ف .
 - (٢١) وأما : فأما م .

فالمدركة من خارج هى الحواس الخمس أو الثماني . فمنها البصر وهى قوة مرتبة فى العصبية المحوطة تدرك صورة ما ينطبع فى الرطوبة الجليدية من أشباح الأجسام ذوات اللون المتأدية فى الأجسام الشفافة بالفعل إلى سطوح الأجسام الصقيلة . ومنها السمع وهى قوة مرتبة فى العصب المتفرق فى سطح الصماخ تدرك صورة ما يتأدى إليها من تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث منه صوت فيتأدى تموجه إلى الهواء المحصور الراكذ فى تجويف الصماخ ، ويحركه بشكل حركته ، وتماس أمواج تلك الحركة العصبية فيسمع .

ومنها الشم وهى قوة مرتبة فى زائدتى مقدم الدماغ الشبهيّتين بحلمتى الشدى تدرك ما يؤدى إليها الهواء المستنشق من الرائحة الموجودة فى البخار المخالط له أو الرائحة المنطبعة فيه بالاستحالة من جرم ذى رائحة .

ومنها الذوق وهى قوة مرتبة فى العصب المفروش على جرم اللسان تدرك الطعوم المتحللة من الأجسام المماسية له المخالطة للرطوبة العذبة التى فيها مخالطة محيلة .

ومنها اللمس وهى قوة مرتبة فى أعصاب جلد البدن كله ولحمه تدرك ما يماسه ويؤثر فيه بالمضادة المحيلة للمزاج أو المحيلة لهيئة التركيب . ويشبه أن تكون هذه القوة عند قوم لا نوعا أخيراً ، بل جنساً لقوى أربع أو فوقها منبثة معاً فى الجلد كله ، وإحداها حاكمة فى التضاد الذى بين الحار والبارد ، والثانية حاكمة فى التضاد الذى بين الرطب واليابس ، والثالثة حاكمة فى التضاد الذى بين الصلب واللين ، والرابعة حاكمة فى التضاد الذى بين الحشن والأملس . إلا أن اجتماعها فى آلة واحدة يؤهم تأحدها فى الذات .

-
- (١) فالمدركة : والمدركة د ، ف ، م .
(٤) العصب المتفرق : العصبية المتفرقة ك . (٦) منه : عنه ف .
(٧) العصبية : العصبية د ، ك || فيسمع : ساقطة من د ، م .
(٩) إليها : إليه د ، ك .
(١٠) المخالط : المخالطة م || رائحة : الرائحة م .
(١٢) الأجسام : الأجرام ف .
(١٣) فيها : فيه ف .
(١٥) ما يماسه : مما يماسه م .
(١٧) كله : كل د .
(١٨) والثانية : والثالثة م || والثالثة : والثانية م .

- وأما القوى المدركة من باطن فبعضها قوى تدرك صور المحسوسات ،
وبعضها تدرك معاني المحسوسات . ومن المدركات ما يدرك ويفعل معاً ،
ومنهما ما يدرك ولا يفعل ، ومنها ما يدرك إدراكاً أولياً ، ومنها ما يدرك
إدراكاً ثانياً . والفرق بين إدراك الصورة وإدراك المعنى أن الصورة هو
الشيء الذى يدركه الحس الباطن والحس الظاهر معاً . لكن الحس الظاهر
يدركه أولاً ويؤديه إلى الحس الباطن مثل إدراك الشاة لصورة الذئب أعنى
لشكله وهيبته ولونه ، فإن الحس الباطن من الشاة يدركها ، لكن إنما يدركها
أولاً حسها الظاهر : وأما المعنى فهو الشيء الذى تدركه النفس من المحسوس
من غير أن يدركه الحس الظاهر أولاً ، مثل إدراك الشاة للمعنى المضاد فى
الذئب أو للمعنى الموجب لخوفها إياه ، وهربها عنه من غير أن يدرك الحس
ذلك البتة . فالذى يدرك من الذئب أولاً الحس الظاهر ثم الحس الباطن فإنه
ينخص فى هذا الموضع باسم الصورة . والذى تدركه القوة الباطنة دون الحس
فيخص فى هذا الموضع باسم المعنى . والفرق بين الإدراك مع الفعل والإدراك
لا مع الفعل ، أن من أفعال بعض القوى الباطنة أن يركب بعض الصور
والمعاني المدركة مع بعض ويفصله عن بعض ، فيكون قد أدرك وفعل
أيضاً فيما أدرك . وأما الإدراك لامع الفعل فهو أن تكون الصورة أو المعنى
يرتسم فى الشيء فقط من غير أن يكون له أن يفعل فيه تصرفاً البتة .
والفرق بين الإدراك الأول والإدراك الثانى أن الإدراك الأول هو أن يكون
حصول الصورة على نحوها من الحصول قد وقع للشيء من نفسه ؛ والإدراك
الثانى هو أن يكون حصولها للشيء من جهة شيء آخر أدى إليها . فمن
القوى المدركة الباطنة الحيوانية قوة بنطاسيا وهى الحس المشترك وهى قوة مرتبة

(٢) المحسوسات ومن : من د .

(٥-٢) ويفعل مما يدركه : ساقطة من م .

(٤-٣) أولياً إدراكاً : ساقطة من د .

(٧) لشكله : تشكله ك || لكن إنما يدركها : ساقطة من م .

(١٦) أو المعنى : والمعنى ك .

(١٩) قد : وقد ك ، م .

(٢٠) للشيء : ساقطة من م || أدى : أداهما ف . || إليها : إليه ف .

(٢١) وهى الحس : والحس د ، ك ، م .

فى التجويف الأول من الدماغ تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة فى الحواس الخمس المتأدية إليه ، ثم الخيال والمصورة وهى قوة مرتبة أيضاً فى آخر التجويف المقدم من الدماغ تحفظ ما قبله الحس المشترك من الحواس الجزئية الخمس ، ويبقى فيه بعد غيبة تلك المحسوسات .

واعلم أن القبول لقوة غير القوة التى بها الحفظ فاعتبر ذلك من الماء ، فإن له قوة قبول النقش والرقم ، وبالحملة الشكل ، وليس له قوة حفظه ؛ على أنا نزيدك لهذا تحقيقاً من بعد . وإذا أردت أن تعرف الفرق بين فعل الحس الظاهر وفعل الحس المشترك وفعل المصورة فتأمل حال القطرة التى تنزل من المطر فترى خطأ مستقيماً ، وحال الشئ المستقيم الذى يدور فىرى طرفه دائرة ، ولا يمكن أن يدرك الشئ خطأ أو دائرة إلا ويرى فيه مراراً .
والحس الظاهر لا يمكن أن يراه مرتين ، بل يراه حيث هو ، لكنه إذا ارتسم فى الحس المشترك وزال قبل أن تمنحى الصورة من الحس المشترك أدركه الحس الظاهر حيث هو ، وأدركه الحس المشترك كأنه كائن حيث كان فيه وكائن حيث صار إليه ، فرأى امتداداً مستديراً أو مستقيماً . وذلك لا يمكن أن يسبب إلى الحس الظاهر البتة . وأما القوة المصورة فتدرك الأمرين وتتصورهما ، وإن بطل الشئ وغاب . ثم القوة التى تسمى متخيلة بالقياس إلى النفس الحيوانية ، ومفكرة بالقياس إلى النفس الإنسانية ، وهى قوة مرتبة فى التجويف الأوسط من الدماغ عند الدودة ، من شأنها أن تتركب بعض ما فى الخيال مع بعض وتفصل بعضه عن بعض ، بحسب الإرادة . ثم القوة الوهمية وهى قوة مرتبة فى نهاية التجويف الأوسط من الدماغ تدرك المعانى غير المحسوسة الموجودة فى المحسوسات الجزئية كالقوة الموجودة فى الشاة الحاكمة بأن هذا الذئب مهروب عنه وأن هذا الولد

(٣) من الدماغ : ساقطة من م . (٤) فيه : فيهام .

(٥) لقوة : بقوة م || الحفظ : يحفظ م .

(٦) النقش : النفس د ، م .

(٨) الظاهر : العام الظاهر ف ؛ العام م || القطرة : القطر ف .

(٩) وحال الشئ المستقيم : ساقطة من م .

(١٢) تمنحى : تمنحى ف .

(١٥) القوة : ساقطة من د ، ف ، ك .

(١٨) قوة مرتبة : القوة المرتبة ف || من (الثانية) : ومن ك .

(٢١) غير : الغير د ، ف ، ك .

هو المعطوف عليه . ويشبه أن تكون هي أيضا المتصرفة في المتخيلات تركيباً وتفصيلاً . ثم القوة الحافظة الذاكرة وهي قوة مرتبة في التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني غير المحسوسة في المحسوسات الجزئية . ونسبة القوة الحافظة إلى القوة الوهمية كنسبة القوة التي تسمى خيالاً إلى الحس . ونسبة تلك القوة إلى المعاني كنسبة هذه القوة إلى الصور المحسوسة . فهذه هي قوى النفس الحيوانية .

وأما النفس الناطقة الإنسانية فتقسم قواها إلى قوة عاملة وقوة عالمة . وكل واحدة من القوتين تسمى عقلاً باشتراك الاسم أو تشابهه . فالعاملة قوة هي مبدأ محرك لبدن الإنسان إلى الأفعال الجزئية الخاصة بالروية على مقنضى آراء تخصها اصطلاحية ، ولها اعتبار بالقياس إلى القوة الحيوانية التزوعية ١٠ واعتبار بالقياس إلى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة ، واعتبار بالقياس إلى نفسها .

فاعتبارها بحسب القياس إلى القوة الحيوانية التزوعية هو القبيل الذي تحدث منه فيها هيئات تخص الإنسان يتبها بها لسرعة فعل وانفعال مثل الخجل والحياء والضحك والبكاء وما أشبه ذلك . واعتبارها الذي بحسب القياس إلى القوة ١٥ الحيوانية المتخيلة والمتوهمة هو القبيل الذي تنحاز إليه إذا اشتغلت باستنباط التدابير في الأمور الكائنة الفاسدة ، واستنباط الصناعات الإنسانية ، واعتبارها الذي بحسب القياس إلى نفسها هو القبيل الذي تتولد فيه بين العقل العملي والعقل النظري الآراء التي تتعلق بالأعمال وتستفيض ذائعة مشهورة مثل : أن الكذب قبيح ، والظلم قبيح ، لا على سبيل التبرهن ، وما أشبه ذلك من المقدمات المحدودة الانفصال عن ٢٠ الأوليات العقلية المحضنة في كتب المنطق . وإن كانت إذا برهن عليها صارت من العقلية أيضاً على ما عرفت في كتب المنطق .

(١) هي : هو م .

(٢) غير : الغير د ، ف ، ك || المحسوسة في : ساقطة من د .

(٥) الحس : + المشترك ك ، م .

(١٠) اصطلاحية : لإصلاحية م .

(١٤) لسرعة : بسرعة ك .

(١٤-١٥) لسرعة . . . والبكاء : ساقطة من م .

(١٦) والمتوهمة : أو المتوهمة م || تنحاز اليه : ينحاز إليها ف .

(١٩) وتستفيض ذائعة مشهورة : ومستفيض ذائع مشهور م .

(٢٠) للانفصال : الانفصال ف ، والا انفصال م .

وهذه القوة يجب أن تتسلط على سائر قوى البدن على حسب ما توجهه
أحكام القوة الأخرى التي نذكرها حتى لا تنفعل عنها البتة ؛ بل تنفعل تلك
عنها وتكون مقموعة دونها ، لئلا تحدث فيها عن البدن هيئات انقيادية مستفادة
من الأمور الطبيعية . وهي التي تسمى أخلاقا رذيلية ، بل يجب أن تكون
غير منفعة البتة وغير منقادة ، بل متسلطة ، فتكون لها أخلاق فضيلية :
وقد يجوز أن تنسب الأخلاق إلى القوى البدنية أيضا ، ولكن إن كانت
هي الغالبة ، تكون لها هيئة فعلية ، ولهذا العقل هيئة انفعالية . ولتسم كل
هيئة خلقا فيكون شيء واحد يحدث منه خلق في هذا وخلق في ذلك ؛
وإن كانت هي المغلوبة تكون لها هيئة انفعالية ، ولذلك هيئة فعلية غير
غريبة ، فيكون ذلك أيضا هيئتين وخلقين ، أو يكون الخلق واحدا له
نسبتان . وإنما كانت الأخلاق التي فينا منسوبة إلى هذه القوة لأن النفس
الإنسانية كما يظهر من بعد جوهر واحد ، وله نسبة وقياس إلى
جنبتيين : جنبه هي تحته ، وجنبه هي فوقه ، وله بحسب كل جنبه قوة
بها تنتظم العلاقة بينه وبين تلك الجنبه . فهذه القوة العملية هي القوة التي له لأجل
العلاقة إلى الجنبه التي دونه وهو البدن وسياسته .

وأما القوة النظرية فهي القوة التي له لأجل العلاقة إلى الجنبه التي فوقه
لينفعل ويستفيد منها ويقبل عنها . فكأن للنفس منا وجهين : وجه إلى البدن ،
ويجب أن يكون هذا الوجه غير قابل البتة أثرا من جنس مقتضى طبيعة
البدن ، ووجه إلى المبادئ العالية . ويجب أن يكون هذا الوجه دائم القبول
عما هناك والتأثر منه . فمن الجهة السفلية تتولد الأخلاق ، ومن الجهة

(٤) رذيلة : رذيلة ك .

(٥) فضيلية : فضيلة ك ؛ فضالية م .

(٧) تكون : كان م || ولتسم : وليس د .

(٩) تكون : كان م .

(١٣) فوقه : قوة م .

(١٤) له : لها ك .

(١٥) العلاقة : + التي ف || دونه : دونها د ، ك .

(١٦) له : لها ك ؛ لا م || الجنبه : جنبه م || فوقه : فوقها د ، ك .

(١٧) وجه : وجهها م .

(١٩) وجه : وجهها م || العالية : الغالبة م .

(٢٠) عما : عن م || والتأثر : والثاني م .

- الفوقانية تتولد العلوم ، فهذه هي القوة العملية . وأما القوة النظرية فهي قوة من شأنها أن تنطبع بالصور الكلية المجردة عن المادة ، فإن كانت مجردة بذاتها فأخذها لصورتها في نفسها أسهل ، وإن لم تكن فإنها تصير مجردة بتجربتها إياها ، حتى لا يبقى فيها من علائق المادة شيء ، وسنوضح كيفية هذا من بعد . وهذه القوة النظرية لها إلى هذه الصور ٥ نسب مختلفة ، وذلك لأن الشيء الذي من شأنه أن يقبل شيئا قد يكون بالقوة قابلا له وقد يكون بالفعل قابلا له . والقوة تقال على ثلاثة معان ، بالتقديم والتأخير : فيقال قوة للاستعداد المطلق الذي لا يكون خرج منه بالفعل شيء . ولا أيضا حصل ما به يخرج ، كقوة الطفل على الكتابة . ويقال قوة لهذا الاستعداد إذا كان لم يحصل للشيء إلا ما يمكنه به أن يتوصل إلى ١٠ اكتساب الفعل بلا واسطة ، كقوة الصبي الذي ترعرع وعرف الدواة والقلم وبسائط الحروف على الكتابة . ويقال قوة لهذا الاستعداد إذا تم بالآلة ، وحدث مع الآلة أيضا كمال الاستعداد بأن يكون له أن يفعل متى شاء بلا حاجة إلى الاكتساب ، بل يكفيه أن يقصد فقط ، كقوة الكاتب المستكمل للصناعة إذا كان لا يكتب . والقوة الأولى تسمى مطلقة وهيولانية ، والقوة ١٥ الثانية تسمى قوة ممكنة ، والقوة الثالثة تسمى كمال القوة .

- فالقوة النظرية إذن تارة تكون نسبتها إلى الصور المجردة التي ذكرناها نسبة ما بالقوة المطلقة ، وذلك حين ما تكون هذه القوة التي للنفس لم تقبل بعد شيئا من الكمال الذي بحسبها ، وحينئذ تسمى عقلا هيولانيا ، وهذه القوة التي تسمى عقلا هيولانيا موجودة لكل شخص من النوع ، وإنما سميت ٢٠ هيولانية تشبيها إياها باستعداد الهيولى الأولى التي ليست هي بذاتها ذات صورة من الصور ، وهي موضوعة لكل صورة . وتارة نسبة ما بالقوة الممكنة ، وهي أن تكون القوة الهيولانية قد حصل فيها من المعقولات المعقولات الأولى التي يتوصل منها وبها إلى المعقولات الثانية ، أعني بالمعقولات الأولى المقدمات التي يقع بها التصديق لا باكتساب ولا بأن يشعر المصدق بها أنه كان يجوز له أن يخلو ٢٥

(١٦) كمال : كاله م .

(٢٠) لكل : ولكل م .

(٢١) إياها : لها م .

(٢٢) وتارة : + وتكون له .

(٢٣) المعقولات المعقولات : المعقولات د ، ك ، م .

عن التصديق بها وقتاً البتة ، مثل اعتقادنا بأن الكل أعظم من الجزء وأن الأشياء المتساوية لشيء واحد بعينه متساوية . فما دام إنما حصل فيها من معنى ما بالفعل هذا القدر بعد فلانها تسمى عقلا بالملكة . ويجوز أن تسمى عقلا بالفعل بالقياس إلى الأولى ، لأن القوة الأولى ليس لها أن تعقل شيئاً بالفعل ، وأما هذه فإن لها أن تعقل إذا أخذت تبحث بالفعل . وتارة تكون نسبة ما بالقوة الكمالية وهو أن يكون حصل فيها أيضاً الصور المعقولة المكتسبة بعد المعقولة الأولية ، إلا أنه ليس بطالعه ويرجع إليها بالفعل ، بل كأنها عنده مخزونة فمضى شاء طالع تلك الصور بالفعل فعقلها ، وعقل أنه قد عقلها . ويسمى عقلا بالفعل لأنه عقل يعقل متى شاء بلا تكلف اكتساب وإن كان يجوز أن يسمى عقلا بالقوة بالقياس إلى ما بعده . وتارة تكون النسبة نسبة ما بالفعل المطلق ، وهو أن تكون الصورة المعقولة حاضرة فيه وهو يطالعها بالفعل فيعقلها بالفعل ويعقل أنه يعقلها بالفعل فيكون ما حصل له حينئذ يسمى عقلا مستفاداً . وإنما سمي عقلا مستفاداً ، لأنه سيتضح لنا أن العقل بالقوة إنما يخرج إلى الفعل بسبب عقل هو دائماً بالفعل وأنه إذا اتصل العقل بالقوة بذلك العقل الذى بالفعل نوعاً من الاتصال انطبع فيه نوع من الصور تكون مستفادة من خارج .

فهذه أيضاً مراتب القوى التى تسمى عقولا نظرية . وعند العقل المستفاد يتم الجنس الحيوانى والنوع الإنسانى منه ، وهناك تكون القوة الإنسانية قد تشبهت بالمبادئ الأولية للوجود كله .

فاعتبر الآن وانظر إلى حال هذه القوى كيف يرأس بعضها بعضها وكيف يخدم بعضها بعضها ، فإنك تجد العقل المستفاد رئيساً ويخدمه الكل وهو

(٢) فيها : فيه د ، ك ؛ ساقطة من م

(٤) تسمى : + هذا د ، ك ؛ + هذه ف .

(٨) طالع : طالعت م || فعقلها : فعقلها م || وعقل أنه قد عقلها : وعقلت أنها قد عقلها م ||

ويسمى : ويسمى د ، ك .

(١١) الصورة : الصور ف .

(١٢) بالفعل (الأولى) : ساقطة من ف ، م || يسمى : ساقطة من د ، ف ، م

(١٣) وإنما سمي عقلا مستفاداً : ساقطة من م .

(١٧) فهذه : وهذه م .

(١٩) الأولية : الأولى ك .

الغاية القصوى ، ثم العقل بالفعل يخدمه العقل بالملكة ، والعقل الهولاني بما فيه من الاستعداد يخدم العقل بالملكة ، ثم العقل العملي يخدم جميع هذه . لأن العلاقة البدنية كما سيتضح بعد لأجل تكميل العقل النظري وتركيبته وتطهيره ، والعقل العملي هو مدبر تلك العلاقة . ثم العقل العملي يخدمه الوهم^٩ ، والوهم يخدمه قوتان : قوة بعده وقوة قبله . فالقوة التي بعده هي القوة التي تحفظ ما أداه الوهم إليها أي الذاكرة ، والقوة التي قبله هي جميع القوى الحيوانية . ثم المتخيلة تخدمها قوتان مختلفتا المأخذين : فالقوة التزوعية تخدمها بالاثار لأنها تبعثها على التحريك نوعاً من البعث ، والقوة الخيالية تخدمها بعرضها الصور المخزونة فيها المهيأة لقبول التركيب والتفصيل ، ثم هذان رئيسان لطائفتين ، أما القوة الخيالية فتخدمها فنتاسيا ، وفنتاسيا تخدمها الحواس الخمس . وأما القوة التزوعية فتخدمها الشهوة والغضب ، والشهوة والغضب تخدمهما القوة المحركة في العضل ، فههنا تفي القوى الحيوانية . ثم القوى الحيوانية تخدمها النباتية وأولها ورأسها المولدة . ثم النامية تخدم المولدة . ثم الغذائية تخدمها جميعاً . ثم القوى الطبيعية الأربع تخدم هذه ، والهاضمة منها تخدمها الماسكة من جهة والهاذية من جهة ، والدافعة تخدم جميعها . ثم الكيفيات الأربع تخدم جميع ذلك . لكن الحرارة تخدمها البرودة ، فلإنها إما أن تعد للحرارة مادة أو تحفظ ما هيأته الحرارة ، ولا مرتبة للبرودة في القوى الداخلة في الأعراض الطبيعية إلا منفعة تابع تال ، وتخدمها جميعها اليبوسة والرطوبة ، وهناك آخر درجات القوى .

(٢) هذه : هذا د ، ف .

(٣) والعقل : والمقل م .

(٥) إليها : ساقطة من ف .

(٩) رئيسان : رئيسان م || فنتاسيا : بنطاسيا د || وفنتاسيا : بنطاسيا د .

(١٤) جميعها : جميعاد .

(١٧) تال : وتالك || جميعها : جميعا د ، ف .

(١٨) القوى : + تمت المقالة الأولى من الفن السادس من الطبيعيات من كتاب النفس بحمد الله وحسن

توقيفه د ؛ + تمت المقالة الأولى من الفن السادس من الطبيعيات والحمد لله رب العالمين م .

المقالة الثانية

خمسة فصول

(١) الثانية : + من الفن السادس وهي د ؛ + وهي ك .

(٢) خمسة فصول : ساقطة من ف ؛ (تذكر نسختنا د ، لك عناوين الفصول الخمسة) .

الفصل الأول

في تحقيق القوى المنسوبة إلى النفس النباتية

- فلنبداً بتعريف حال القوى المذكورة قوة قوة ، ولنعرفها من جهة أفعالها .
وأول ذلك أفعال القوى النباتية ، وأولها حال التغذية . فنقول : قد علمت
فيما سلف نسبة الغذاء إلى المغتذى وحد كل واحد منهما وخاصيته . فنقول الآن : إن
الغذاء ليس إنما يستحيل دائماً إلى طبيعة المغتذى دفعة ، بل أولاً يستحيل
استحالة ما عن كلفيته ويستعد للاستحالة إلى جوهر المغتذى ، فتفعل فيه
قوة من خدم القوة الغذائية وهي الهاضمة ، وهي التي تذيب الغذاء في الحيوان وتعهده
للفوخذ المستوى ، ثم إن القوة الغذائية تحيله في الحيوان الدموى أول الإحالة إلى
الدم والأخلاط التي منها قوام البدن على ما بينا في مواضع أخرى . وكل
عضو فإنه يختص بقوة غذائية تكون فيه وتحيل الغذاء إلى مشابهته الخاصة
فتلصقه به . فالقوة الغذائية تورد البدل ، أى بدل ما يتحلل وتشبه وتلصق .
وإنه وإن كان الغذاء أكثر منافع أنه يقوم بدل ما يتحلل ، فإنه ليست
الحاجة إلى الغذاء لذلك فقط ، بل قد تحتاج إليه الطبيعة في أول الأمر
للتربية ، وإن كان بعد ذلك إنما يحتاج إلى وضعه موضع التحلل فقط .
فالقوة الغذائية من قوى النفس النباتية تفعل في جميع مدة بقاء الشخص ومادامت

(١) الفصل الأول : فصل ١ ف .

(٢) النباتية : ساقطة من د .

(٣) ولنعرفها : لنعرفها م .

(٤) ذلك : تلك م .

(٦) بل : ساقطة من د .

(٩) المستوى : المستوى م || الغذائية : ساقطة من د .

(١٠) وكل : فكل م .

(١٣) وإنه : فإنه ك .

(١٥) وإن : فإن م .

(١٦) قوى : القوى م || وما دامت : وهي مادامت ك ، م .

موجودة تفعل أفاعيلها وجد النبات والحيوان باقيين ، فإن بطلت لم يوجد النبات والحيوان باقيين . وليس كذلك حال سائر القوى النباتية . والنامية تفعل في أول كون الحيوان فعلا ليس هو التغذية فقط ، وذلك لأن غاية التغذية ما حددناه ، وأما هذه القوة فلإنها توزع الغذاء على خلاف مقتضى القوة الغذائية ، وذلك لأن الذى للقوة الغذائية لذاتها أن تؤتى كل عضو من الغذاء بقدر عظمه وصغره وتلصق به من الغذاء بمقداره الذى له على السواء . وأما القوة النامية فلإنها تسلب جانبا من البدن من الغذاء ما يحتاج إليه لزيادة في جهة أخرى فتلصقته بتلك الجهة لتزيد تلك الجهة فوق زيادة جهة أخرى مستخدمة للغذية في جميع ذلك . ولو كان الأمر إلى الغذية لسوت بينها أو لفضلت الجهة التى نقصتها النامية . مثال ذلك أن الغذية إذا انفردت وقوى فعلها وكان ما تورد أكثر مما يتحلل فلإنها تزيد في عرض الأعضاء وعمقها زيادة ظاهرة بالتسمين ، ولا تزيد في الطول زيادة يعتد بها . وأما المربية فلإنها تزيد في الطول أكثر كثيرا مما تزيد في العرض ، والزيادة في الطول أصعب من الزيادة في العرض ، وذلك لأن الزيادة في الطول يحتاج فيها إلى تنفيذ الغذاء في الأعضاء الصلبة من العظام والعصب تنفيذا في أجزائها طولا لتنميتها وتبعد بين أطرافها . والزيادة في العرض قد تغنى فيها تربية اللحم وتغذية العظم أيضا عرضا من غير حاجة إلى تنفيذ شيء كثير فيه وتحريكه . وربما كانت أعضاء هي في أول النشوء صغيرة وأعضاء هي في أول النشوء كبيرة ، ثم يحتاج في آخر النشوء أن يصير ما هو أصغر أكبر وما هو أكبر أصغر ؛ فلو كان التدبير إلى الغذية لكان يستمر ذلك على نسبة واحدة . فالقوة الغذائية من حيث هي غاذية تأتى بالغذاء وتقتضى إلصاقه بالبدن على النحو المستوى أو القريب من المستوى . وعلى الوجه الذى في الطبع أن تفعله عند الإسمان . وأما النامية فتوزع إلى الغاذية بأن تقسم ذلك الغذاء وتنفذه إلى حيث تقتضى التربية خلافا لمقتضى الغاذية ، والغاذية تخدمها في ذلك ، لأن الغاذية لا محالة هي

(١) فإن : وإنك .

(٢ - ١) فإن بطلت . . . باقيين : ساقطة من م .

(١٠) نقصتها : نقصتها م .

(١٥) تنفيذا : وتنفيذ م .

(٢٢) الطبع : طبعها ف .

(٢٤) والغاذية : ساقطة من م .

الملصقة ؛ لكنها تكون متصرفة تحت تصرف القوة المربية . والقوة المربية إنما تنحصر نحو تمام النشوء . وأما المولدة فلها إعلان : أحدها تخليق البذر وتشكيله وتطبيعته ، والثاني إفادة أجزائه في الاستحالة الثانية صورها من القوى والمقادير والأشكال والأعداد والخشونة والملاسة وما يتصل بذلك متسخرة تحت تدبير المتفرد بالجبروت ، فتكون الغذائية تمددها بالغذاء ، والنامية تخدمها بالتمديدات .
 المشاكلة فهذا الفعل يتم منها في أول تكون الشيء ثم يبقى التدبير مفوضا إلى النامية والغذية ، فلذا كاد فعل النامية يستتم فحينئذ تنبعث القوة المولدة في توليد البذر والمنى لتسكنها القوة التي هي من جنسها مع الخادمتين .

وبالحملة فإن القوة الغذائية مقصودة ليحفظ بها جوهر الشخص ، والقوة النامية مقصودة ليتم بها جوهر الشخص ، والقوة المولدة مقصودة ليستبقى بها النوع ، إذ كان حب الدوام أمرا فائضا من الإله تعالى على كل شيء ، فما لم يصلح أن يبقى بشخصه ويصلح أن يبقى بنوعه فلأنه تنبعث فيه قوة إلى استجلاب بدل يعقبه ليحفظ به نوعه . فالغذية تورد بدل ما يتحلل من الشخص ، والمولدة تورد بدل ما يتحلل من النوع .

وقد ظن بعضهم أن الغذائية نار ، لأن النار تغتذى وتنمو . وقد أخطأ من وجهين : أحدهما من جهة أن الغذائية ليست تغتذى بنفسها ، بل تغذى البدن وتنميته ، والنار إن كانت تغتذى فهي إنما تغتذى وتنمي نفسها . ومن وجه آخر أن النار ليست تغتذى ، بل تتولد شيئا بعد شيء ويطفأ ما تقدم . ثم لو كانت تغتذى وكان حكمها حكم غذاء الأبدان ، لما كان يجب أن يكون للأبدان وقوف في النمو . فإن النار مادامت تجد مادة لم تقف ، بل تذهب إلى غير نهاية .

(٥) المتفرد : المتفرد ف .

(٧) كاد : كان ك ، م .

(٨) لتسكنها : لتسكنها ف || الخادمتين : الخادمتين م .

(١٠) النامية والقوة : ساقطة من م .

(١١) لاذ : لاذ م || حب : ساقطة م .

(١١) تعالى : ساقطة من ف .

(١٥) وتنمو : وتنمي م .

(١٦) تغلى : تغلى ف .

(١٧) نفمها : بنفمها د ، ف .

(١٩) وكان : فكان ك ، م .

(٢٠) تذهب : تزيد د ، ف .

وأعجب من هذا ما قال صاحب هذا القول : إن الأشجار تعرق من أسفل لأن الأرضية تتحرك إلى أسفل وتتفرع إلى فوق ، لأن النار تتحرك إلى فوق . فأول غلظه هو أن كثيرا من النبات أغصانه أثقل من عروقه . وثانيا أنه لم لا ينفصل بهذه الحركة فيفارق الثقيل الخفيف . فإن كان ذلك لتدبير النفس فليجعل التعريق والتفريع أيضا للنفس ، وعلى أنه يشبه أن يكون الفوق في النبات حيث رأسه ، ورأس النبات عروقه ومنه منشؤه ، ثم إن آلة هذه القوة الأولية هي الحار الغريزي ، فإن الحار هو المستعد لتحريك المواد ويتبعه البرد لتسكينها عند الكمالات من الخلق محتوية عليها . وأما من الكيفيات المنفصلة فآلتها الأولية الرطوبة ، فإنها هي التي تتخلق وتتشكل ، وتتبعها اليبوسة فإنها تحفظ الشكل وتفيد التماسك . والقوة النباتية التي في الحيوان ١٠ جسما فإنها تولد جسما حيوانيا ، وذلك لأنها نباتية تتعلق بها قوة الحيوان ، وهي الفصل الذى لها مما يشاركها في كونها ذات قوة التغذية والنمو ، فتمزج الأركان والعناصر مزاجا يصلح للحيوان . إذ ليس تتولى مزاجها القوة المشتركة بين النبات والحيوان من حيث هي مشتركة ، فإنها من حيث هي مشتركة لا توجب مزاجا خاصا ، بل إنما توجب مزاجا خاصا فيها لأنها مع أنها غذائية هي أيضا حيوانية في طباعها ١٥ أن تحس وتحرك إذا حصلت الآلة ، وهي بعينها حافظة لذلك التأليف والمزاج حفظا ، إذا أضيف إلى ذوات التأليف كان قسريا ، لأنه ليس من طباع العناصر والأجسام المتضادة أن تألف لذاتها ، بل من طباعها الميل إلى جهات مختلفة ، وإنما تؤلفها النفس الخاصة . مثلا في النخلة ٢٠ نفس نخلية ، وفي العنب نفس عنبية ، وبالجملية النفس التي تكون صورة لتلك المادة . والنفس إذا صارت نخلية كان لها مع أنها نفس النمو زيادة أنها نفس نخلية ، وفي العنب أنها نفس عنبية ، وليست النخلة تحتاج إلى

(٢) وتتفرع : وتفرع د ، م ؛ وتفرع ف .

(٨) ويتبعه : ويتبعها د ، ك ، م || الخلق : الحق د || محتوية : محتومة د ، ف .

(١١) وهي : وهوك ، م .

(١٢) فتمزج : فتمزج ك .

(١٦) وتحرك : وتتحرك م .

(١٧) قسريا : قسريا ك .

(٢٢) النخلة : النخلة ك .

نفس نباتية ونفس أخرى تكون بتلك النفس نخلة ، وإن كان ليس لها أفعال خارجة عن أفعال النبات ، بل تكون نفسها النباتية في نباتيتها أنها نخلة .

وأما النفس النباتية التي في الحيوان فإنها تعد خلقة الحيوان نحو أفعال غير أفعالها وحدها من حيث هي نباتية ، فهي مدبرة نفس حيوانية ، بل هي بالحقيقة غير نفس نباتية ، اللهم إلا أن يقال إنها نفس نباتية بالمعنى الذي ذكرنا أعنى العام . فالفصل المقوم لتنوعية نفس من النفوس النباتية أعنى الفصول التي لنبت مّا دون نبت لا يكون إلا مبدأ فعل نباتي مخصص فقط : ١٠

وأما النفس النباتية الحيوانية ففصلها القاسم إياها المقوم لتنوع نوع تحتها هو قوة النفس الحيوانية المقارنة لها التي تعد لها البدن ، وهو فصل على نحو الفصول التي تكون للبسائط لا التي تكون للمركبات .

وأما النفس الإنسانية فلا تتعلق بالبدن تعلقا صوريا كما نبتين ، فلا يحتاج أن يعد لها عضو . نعم قد تتميز الحيوانية التي لها ، عن سائر الحيوانات ، وكذلك الأعضاء المعدة لحيوانيتها أيضا .

(٢) نفسها : نفس ك .

(٣) الحيوان : + تنحوي .

(٦) الفصل : بالفصل م || لتنوعية : الذي عنه د ، ف ، م .

(٧) نبت : ماد ، ف ، م || فعل : فصل م || فقط : ساقطة من م .

(٨) النباتية الحيوانية : النباتي الحيواني د ، ك || فصلها : فصله د .

(١٠) تكون : ساقطة من م .

الفصل الثاني

في تحقيق أصناف الإدراكات التي لنا

- فلنتكلم الآن في القوى الحاسة والدراكة ، ولنتكلم فيها كلاما كلياً فنقول :
- يشبه أن يكون كل إدراك إنما هو أخذ صورة المدرك بنحو من الأنحاء ، فإن كان الإدراك إدراكاً لشيء مادي فهو أخذ صورته مجردة عن المادة تجريداً ما ،
- ٥ إلا أن أصناف التجريد مختلفة ومراتبها متفاوتة ، فإن الصورة المادية تعرض لها بسبب المادة أحوال وأمور ليست هي لها بذاتها من جهة ما هي تلك الصورة فتارة يكون النزاع عن المادة نزاعاً مع تلك العلائق كلها أو بعضها ، وتارة يكون النزاع نزاعاً كاملاً. وذلك بأن يجرد المعنى عن المادة وعن الواحق التي له من جهة المادة . مثاله إن الصورة الإنسانية والماهية الإنسانية طبيعة لا محالة تشترك
- ١٠ فيها أشخاص النوع كلها بالسوية ، وهي بحدّها شيء واحد وقد عرض لها أن وجدت في هذا الشخص وذلك الشخص فتكثر . وإيس لها ذلك من جهة طبيعتها الإنسانية . ولو كان للطبيعة الإنسانية ما يجب فيها التكثر لما كان يوجد إنسان محمولاً على واحد بالعدد ولو كانت الإنسانية موجودة لزيد لأجل أنها إنسانيته ، لما كانت لعمرو : فإذاً أحد العوارض التي تعرض للإنسانية من جهة المادة هو هذا
- ١٥ النوع من التكثر والانقسام . ويعرض لها أيضاً غير هذا من العوارض ، وهو أنها

(١) الفصل الثاني : فصل ٢ ف .

(٣) ولنتكلم : ساقطة من ك .

(٦) إلا أن : لأن ك ، م || ومراتبها : ومراتبه م .

(٨) النزاع : النوع د || نزاعاً : نوعاً د .

(٩) له : لها د ، ك ، م .

(١٣) ولو كان : وكان د ؛ ولو كانت ك ، م || للطبيعة : لطبيعة د .

(١٤) محمولاً : محمول م : || إنسانيته : إنسانية د ، ك ، م .

(١٥) أحد : إحدى د ، ك || هو : هي د ، ك ، م .

(١٦) هذا : هذه د ، ك .

- إذا كانت في مادة مّا حصلت بقدر من الكم والكيف والوضع والأين ، وجميع هذه أمور غريبة عن طبائعها ، وذلك لأنه لو كانت الإنسانية هي على هذا الحد أوحد آخر من الكم والكيف والأين والوضع لأجل أنها إنسانية ، لكان يجب أن يكون كل إنسان مشاركا للآخر في تلك المعاني . ولو كانت لأجل الإنسانية على حد آخر وجهة أخرى من الكم والكيف والأين والوضع ، لكان كل إنسان يجب أن يشترك فيه . فإذا الصورة الإنسانية بلماتها غير مستوجبة أن يلحقها شيء من هذه اللواحق العارضة لها ، بل من جهة المادة ، لأن المادة التي تقارنها تكون قد لحقتها هذه اللواحق فالحس يأخذ الصورة عن المادة مع هذه اللواحق ، ومع وقوع نسبة بينها وبين المادة ، إذا زالت تلك النسبة بطل ذلك الأخذ ، وذلك لأنه لا ينتزع الصورة عن المادة مع جميع لواحقها ، ولا يمكنه أن يستثبت تلك الصورة إن غابت المادة ، فيكون كأنه لم ينتزع الصورة إن غابت المادة ، فيكون كأنه لم ينتزع الصورة عن المادة نزعا محكما ، بل يحتاج إلى وجود المادة أيضا في أن تكون تلك الصورة موجودة له . وأما الخيال والتخيل فإنه يرى الصورة المتروعة عن المادة تبرئة أشد . وذلك لأنه يأخذها عن المادة بحيث لا تحتاج في وجودها فيه إلى وجود مادتها : لأن المادة وإن غابت عن الحس أو بطلت ، فإن الصورة تكون ثابتة الوجود في الخيال ، فيكون أخذها إياها قاصما للعلاقة بينها وبين المادة قصبا تاما ، إلا أن الخيال لا يكون قد جردها عن اللواحق المادية ، فالحس لم يجردها عن المادة تجريدا تاما ولا جردها عن لواحق المادة . وأما الخيال فإنه قد جردها عن المادة تجريدا تاما ، ولكن لم يجردها البتة عن لواحق المادة ، لأن الصورة التي في الخيال هي على حسب الصورة المحسوسة ، وعلى تقدير مّا وتكييف مّا ووضع مّا : وليس يمكن في الخيال

(٢) طبائعها : طباعها ف .

(٣) والوضع : والواضع م .

(٨) فالحس : والحس د || فالحس اللواحق : ساقطة من م .

(١٠-١١) الصورة ينتزع ساقطة من د ، ف ، م .

(١٣) موجودة : الموجودة م || له : لها م .

(١٥) عن الحس : ساقطة من ف ، م .

(١٦) أخذه إياها : أخذها د ، أخذها إياها م || للعلاقة : العلاقة د .

(١٩-٢٠) تجريدا المادة : ساقطة من م .

(٢١) وليس : ليس م .

البته أن تتخيل صورة هي بحال يمكن أن يشترك فيها جميع أشخاص ذلك النوع ، فإن الإنسان المتخيل يكون كواحد من الناس ، ويجوز أن يكون ناس موجودين ومتخيلين ليسوا على نحو ما يتخيل خيال ذلك الإنسان . وأما الوهم فإنه قد يتعدى قليلا هذه المرتبة في التجريد ، لأنه ينال المعاني التي ليست هي في ذاتها بمادية ، وإن عرض لها أن تكون في مادة . وذلك لأن الشكل واللون والوضع وما أشبه ذلك أمور لا يمكن أن تكون إلا لمواد جسمانية وأما الخير والشر والموافق والمخالف وما أشبه ذلك ، فهي أمور في أنفسها غير مادية ، وقد يعرض لها أن تكون مادية . والدليل على أن هذه الأمور غير مادية ، أن هذه الأمور لو كانت بالذات مادية لما كان يعقل خير وشر أو موافق ومخالف إلا عارضا للجسم ، وقد يعقل ذلك بل يوجد . ١٠

فبين أن هذه الأمور هي في أنفسها غير مادية ، وقد عرض لها إن كانت مادية ، والوهم إنما ينال ويدرك أمثال هذه الأمور . فلذا الوهم قد يدرك أمورا غير مادية . وبأخذها عن المادة ، كما يدرك أيضا معاني غير محسوسة وإن كانت مادية . فهذا النزاع إذن أشد استقصاء وأقرب إلى البساطة من النزاعين الأولين ، إلا أنه مع ذلك لا يجرد هذه الصورة عن لواحق المادة ، لأنه يأخذها جزئية وبحسب مادة مادة ، وبالقياص إليها ، ومتعلقة بصورة محسوسة مكنوفة بلاواحق المادة وبمشاركة الخيال فيها : وأما القوة التي تكون الصورة المثبتة فيها ، إما صور موجودات ليست بمادية البتة ولا عرض لها أن تكون مادية ، أو صور موجودات مادية ولكن مبرأة عن علائق المادة من كل وجه ، فبين أنها تترك الصور بأن تأخذها أخذا مجردا عن المادة من كل وجه . فأما ماهو متجرد بذاته عن المادة فالأمر فيه ظاهر ، وأما ماهو موجود ٢٠

(١) فيها : فيه د ، ف ، ك .

(٢) ويجوز : وليس يجوز د .

(٣) موجودين : موجودون م || ومتخيلين : متخيلين د ، ف ؛ ومتخيلون م || ليسوا : ساقطة من

د || يتخيل : تخيل م .

(٧) أنفسها : نفسها م .

(٩) خير وشر أو موافق ومخالف : خير أو شر أو موافق ومخالف د ؛ خير أو شر أو موافق

أو مخالف ك ، م .

(١٦) مادة مادة : مادة د ، ك .

(١٧) الصور : الصورة ك .

(١٨) المثبتة : المستثبة ف ، م || صور : صورة م .

(٢١) فأما : أما د ، م || بذاته : بذاتها م .

للمادة إما لأن وجوده ماضى ، وإما عارض له ذلك فتزعه عن المادة وعن لواحق
للمادة معها ، وتأخذه أخذاً مجرداً ، حتى يكون مثل الإنسان الذى يقال على
كثيرين ، وحتى يكون قد أخذ الكثير طبيعة واحدة ، وتفرضه عن كل
كم وكيف وأين ووضع ماضى . ولو لم تجرده عن ذلك لما صلح أن يقال على
الجميع .

فهنا يفرق إدراك الحاكم الحسى ، وإدراك الحاكم الخيالى ، وإدراك
الحاكم الوهمى ، وإدراك الحاكم العقلى . وإلى هذا المعنى كنا نسوق الكلام
فى هذا الفصل ، فنقول : إن الحاس فى قوته أن يصير مثل المحسوس بالفعل ،
إذ كان الإحساس هو قبول صورة الشئ مجردة عن مادته فيتصور بها
الحاس ، فالمبصر هو مثل المبصر بالقوة ، وكذلك الملموس والمطعموم وغير ذلك ،
والمحسوس الأول بالحقبة هو الذى يرتسم فى آلة الحس وإياه يلرك ، ويشبه
أن يكون إذا قيل : أحسست الشئ الخارجى كان معناه غير معنى أحسست فى
النفس ، فإن معنى قوله : أحسست الشئ الخارجى ، أن صورته تمثلت فى
حسى ، ومعنى أحسست فى النفس أن الصورة نفسها تمثلت فى حسى . فلهذا
يصعب إثبات وجود الكيفيات المحسوسة فى الأجسام . لكننا نعلم يقيناً أن جسمين
وأحدهما يتأثر عنه الحس شيئاً ، والآخر لا يتأثر عنه ذلك الشئ أنه مختص
فى ذاته بكيفية هى مبدأ إحالة الحاسة دون الآخر .

وأما ديمقريطس وطائفة من الطبيعيين فلم يجعلوا لهذه الكيفيات وجوداً
البتة ، بل جعلوا الأشكال التى يجعلونها للأجرام التى لا تتجزأ أسباباً لاختلاف
ما يتأثر فى الحواس باختلاف ترتيبها ووضعها . قالوا : ولهذا ما يكون الإنسان
الواحد قد يحس لونا واحداً على لونين مختلفين : بحسب وقوفين منه تختلف

(١) فتزعه : فتزعه ، ك .

(٢) معها : معه ، م || وتأخذه : وتأخذها ، م ؛ فيأخذه م || على : له .

(٧) الحاكم العقلى : العقلى || وإلى هذا : ولهذا .

(١٠) الحاس : الحساس د || هو : ساقطة من ف .

(١١) يرتسم : ارتسم ك .

(١٤) حسى : نفسى ك .

(١٨) ديمقريطس : ديمقراطيس د ، ك ، ف .

(٢١) مختلفين : ساقطة من ف || نسبتهما : نسبتهما ، ف .

بذلك نسبتها من أوضاع المرنى الواحد ، كطوق الحمامة فلنأى ترى مرة
شقاء ومرة أرجوانية ومرة على لون الذهب ، وبحسب اختلاف المقامات ،
فلنأى ما يكون شئ واحد عند إنسان صحيح حلوا ، وعند إنسان مريض
مرا . فهؤلاء هم الذين جعلوا الكيفيات المحسوسة لا حقائق لها فى أنفسها ، إنما
هى أشكال .

وهنا قوم آخرون أيضا ممن لا يرو هذا المذهب لا يجعانون لهذه الكيفيات
حقيقة فى الأجسام ، بل يرون أن هذه الكيفيات إنما هى انفعالات للحواس فقط
من غير أن يكون فى المحسوسات شئ منها . وقد بينا فساد هذا الرأى ، وبيننا
أن فى بعض الأجسام خاصية تؤثر فى اللسان ، مثلا الشئ الذى نسميه إذا
ذقناه حلوة ، ولبعضها خاصية أخرى من جنسها ، وهذه الخاصية نسميها
الطعم لا غير .

وأما مذهب أصحاب الأشكال فقد نقضنا أصله فيما سلف ، ثم قد يظهر
لنا سريعا بطلانه ، فإنه لو كان المحسوس هو الشكل لكل يجب إذا لمسنا الشكل
وأدركناه خصوصا بالحدة أن نكون رأينا أيضا لونه ، فإن الشئ الواحد
من جهة واحدة يدرك شيئا واحدا ، فإن أدرك من جهة ولم يدرك من جهة ،
فالذى لم يدرك منه غير المدرك ، فيكون اللون إذن غير الشكل ، وكذلك أيضا
الحرارة غير الشكل ، اللهم إلا أن يقال : إن الشئ الواحد يؤثر فى شيئين
أثرين مختلفين ، فيكون أثره فى شئ ما ملموسا وأثره فى شئ آخر مرئيا . فإذا كان
كذلك لم يكن الشكل نفسه محسوسا ، بل أثر مختلف يحدث عنه فى الحواس المختلفة غير
نفسه . والخاص أيضا جسم ، وعنده أنه لا يتأثر إلا بالشكل ، فيكون أيضا
الخاص إنما يتأثر بالشكل ، فيكون الشئ الواحد يؤثر فى آلة شكلا ما وفى آلة
أخرى شكلا آخر لكن لا شئ من الأشكال عنده إلا ويجوز أن يلمس ، فيكون
هنا المرنى أيضا يجوز أن يلمس : ثم من الظاهر البين أن اللون فيه مضادة
وكذلك الطعم وكذلك أشياء أخرى ، ولا شئ من الأشكال بمضاد لشئ ،
وهؤلاء بالحقيقة يجعلون كل محسوس ملموسا ، فإنهم يجعلون أيضا البصر ينفذ
فيه شئ ويلمس ، ولو كان كذلك لكان يجب أن يكون المحسوس بالوجهين

(١٥) فيكون : + فى د .

(١٨) أثره فى شئ . ما ملموسا : أثره فى شئ . ملموسا وأثره فى شئ . ملموسا م .

(٢٠) وعنده : عنده م .

(٢١) شكلا : شكل م .

جميعا هو الشكل فقط . ومن العجائب غفلتهم عن أن الأشكال لا تترك إلا أن تكون هناك ألوان أو طعوم أو روائح أو كيفيات أخرى ؛ ولا تحس البتة بشكل مجرد . فإن كان لأن الشكل المجرد إذا صار محسوسا أحدث في المحس أثرا من هذه الآثار غير الشكلية ، فقد صح وجود هذه الآثار . وإن لم تكن هذه الآثار إلا نفس الشكل ، وجب أن يحس شكل مجرد من غير أن يحس معه .
 شيء آخر .

- وقال قوم من الأوائل : إن المحسوسات قد يجوز أن تحس بها النفس بلا وسائط البتة ولا آلات ، أما الوسائط فمثل الهواء للإبصار وما الآلات فمثل العين للإبصار . وقد بعدوا عن الحق ، فإنه لو كان الإحساس يقع للنفس بذاتها من غير هذه الآلات لكانت هذه الآلات معطلة في الخلقة لا ينتفع بها ، وأيضا ١٠
- فإن النفس إذا كانت غير جسم عندهم ولا ذات وضع فيستحيل أن يكون بعض الأجسام قريبا منها ومتجها إليها فيحس ، وبعضها بعيدا عنها محتجبا عنها فلا يحس . وبالجملية يجب أن لا يكون اختلاف في أوضاع الأجسام منها وحجب وإظهار ، فإن هذه الأحوال تكون للأجسام عند الأجسام . فيجب أن تكون النفس إما مدركة لجميع المحسوسات وإما غير مدركة ، وأن لا تكون غيبة ١٥
- المحسوس تزيله عن الإدراك . لأن هذه الغيبة غيبة عند شيء لا محالة هي خلاف الحضرة منه . فيكون عند ذلك الشيء لهذا الشيء غيبة مرة حضور مرة ، وذلك مكاني وضعي فيجب أن تكون النفس جسما ؛ ليس ذلك بمذهب هؤلاء ؛ وسنبين لك بعد أن الصورة المدركة لا يتم نزعها عن المادة وعلائق المادة يستحيل أن تستثبت بغير آلة جسدانية ؛ ولو لم تحتج النفس في ٢٠
- إدراك الأشياء إلى المتوسطات لوجب أن لا يحتاج البصر إلى الضوء وإلى توسط الشاف ، ولكان تقريب المبصر من العين لا يمنع الإبصار ، ولكان سد الأذن لا يمنع الصوت ، ولكانت الآفات العارضة لهذه الآلات لا تمنع الإحساس .

(٧) قوم : ساقطة من د .

(٨) وسائط : واسطة ك || الهواء : + مثلاً ف .

(١٢) فيحس : ساقطة من ف ، م || محتجبا : ومحتجبا ف . || عنها : منها د ، ف ؛ فيها م .

(١٦) تزيله : المزيلة م .

(١٧) لهذا الشيء : ساقطة من ف .

(١٨) النفس : للنفس م .

ومن الناس من جعل المتوسط عائقا ، وقال إنه لو كان المتوسط كلما كان أرق كان أدل ، فلو لم يكن ، بل كان خلاء صرف ، تمت الدلالة ، ولأبصر الشيء أكبر مما يبصر ، حتى كان يمكن أن تبصر نملة في السماء ، وهذا كلام باطل ، فليس إذا أوجب رفته زيادة ، يجب أن يكون عدمه يزيد أيضا في ذلك ، فإن الرقة ليس هي طريقا إلى علم الجسم . وأما الخلاء فهو عدم الجسم عندهم ، بل لو كان الخلاء موجودا لما كان بين المحسوس والحاس المتباينين موصل ألبة ، ولم يكن فعل ولا انفعال .

ومن الناس من ظن شيئا آخر وهو أن الحاس المشترك أو النفس متعلق بالروح ، وهو جسم لطيف ، سنشرح حاله بعد ، وأنه آلة الإدراك ، وأنه وحده يجوز أن يمتد إلى المحسوسات فيلاقيها أو يوازيها أو يصير منها بوضع ذلك الوضع بوجب الإدراك . وهذا المذهب أيضا فاسد ، فإن الروح لا يضبط جوهره إلا في هذه الوقايات التي تكتمفه ، وأنه إذا خالطه شيء من خارج أفسد جوهره مزاجا وتركيبا . ثم ليس له حركة انتقال خارجا وداخلا ، ولو كان له هذا لحاز أن يفارق الإنسان ويعود إليه ، فيكون للإنسان أن يموت وأن يحيا باختياريه في ساعته ولو كان الروح بهذه الصفة لما احتيج إلى الآلات البدنية ، فالحق أن الحواس محتاجة إلى الآلات الجسدانية ، وبعضها إلى وسائط ، فإن الإحساس انفعال مّا ، لأنه قبول منها لصورة المحسوس ، واستحالة ، إلى مشاكلة المحسوس بالفعل ، فيكون الحاس بالفعل مثل المحسوس بالفعل ، والحاس بالقوة مثل المحسوس بالقوة ، والمحسوس بالحقيقية القريب هو ما يتصور به الحاس من صورة المحسوس . فيكون الحاس من وجه مّا ، يحس ذاته لا

(١) عائقا المتوسط : ساقطة من د || إنه : ساقطة من م || لو : لما د ، ف .

(٢) أدل : أول م .

(٣) ولأبصر : ولا يصير لك . (٤) يجب : ساقطة من ف .

(٥) هي : هو : د ، ف ، ك || طريقا : طريقك || وأما : وإنما م .

(٧) انفعال : + البتة ك .

(٩) وأنه آلة : وآلة ف .

(١٢) تكتمفه : تكتمفه ف .

(١٤) يحيا : يحيد ، ف ، ك .

(١٥) كان : كانت د ، م .

(١٦) فإن : وإن د .

(١٨) بالفعل فيكون المحسوس : ساقطة من م .

(٢٠) وجه : جهة ف .

الجسم المحسوس ، لأنه المتصور بالصورة التي هي المحسوسة القريبة منها . وأما الخارج فهو المتصور بالصورة التي هي المحسوسة البعيدة ، فهي تحس ذاتها لا الثلج ، وتحس ذاتها لا القار ، إذا عنيينا أقرب الإحساس الذي لا واسطة فيه . وانفعال الحاس من المحسوس ليس على سبيل الحركة ، إذ ليس هناك تغير من ضد إلى ضد ، بل هو استكمال . أعني أن يكون الكمال الذي كان بالقوة قد صار بالفعل من غير أن يطل فعل إلى القوة .

وإذ قد تكلمنا على الإدراك الذي هو أعم من الحس ، ثم تكلمنا في كيفية إحساس الحس مطلقا ، فنقول : إن كل حاسة فلانها تدرك محسوسها وتدرك عدم محسوسها ، أما محسوسها فبالذات ، وأما عدم محسوسها كالظلمة للعين والسكوت للسمع وغير ذلك فلانها تكون بالقوة لا بالفعل . وأما إدراك أنها أدركت فليس له الحاسة ، فإن الإدراك ليس هو لونا فيبصر أو صوتا فيسمع ، ولكن إنما يدرك ذلك بالفعل العقلي أو الوهم على ما يتضح من حالهما بعد .

(٣) وتحس ذاتها : وذاتها ف || القار : النار د ، م .

(٦) بطل : أبطل م .

(٧) تكلمنا : + الآن د ، ك .

(٨) تدرك محسوسها : تدرك محسوسا د .

(١٠) والسكوت : والسكون م || فلانها : فلانها ف ، م .

(١١) فليس : فليست ف ، م || له الحاسة : للحاسة ف ، م || فيبصر : مبصر م .

(١٢) أو الوهم : والوهم ك .

الفصل الثالث

في الحاسة اللمسية

وأول الحواس الذي يصير به الحيوان حيوانا هو اللمس ، فإنه كما أن كل ذى نفس أرضية فإن له قوة غاذية ، ويجوز أن يفقد قوة من الأخرى ولا ينعكس ، كذلك حال كل ذى نفس حيوانية فله حس اللمس ، ويجوز أن يفقد قوة من الأخرى ولا ينعكس . وحال الغاذية عند سائر قوى النفس الأرضية ، فيه حال اللمس عند سائر قوى الحيوان . وذلك لأن الحيوان تركيبه الأول هو من الكيفيات الملموسة ، فإن مزاجه منها وفساده باختلاها والحس طبيعة للنفس ، فيجب أن تكون الطبيعة الأولى ، وهو ما يدل على ما يقع به الفساد ويحفظ به الصلاح وأن تكون قبل الطلائع التي تدل على أمور تتعلق ببعضها منفعة خارجة عن القوام أو مضرة خارجة عن الفساد والنوق ، وإن كان دالا على الشيء الذي به تستبقى الحياة من المطعومات ، فقد يجوز أن يعلم الذوق ويبقى الحيوان حيوانا ، فإن الحواس الأخرى ربما أعانت على ارتياد الغذاء الموافق واجتناب المضار . وأما الحواس الأخرى فلا تعين على معرفة أن الهواء المحيط بالبدن مثلا محرق أو مجمد . وبالجمله فإن الجوع شهوة اليابس المحار والعطش شهوة البارد الرطب . والغذاء بالحقيقة ما يتكيف بهذه الكيفيات التي يدركها اللمس . وأما الطعوم فتطبيقات ، فلذلك كثيرا ما يبطل حس الذوق لآفة تعرض ويكون الحيوان باقيا ، فاللمس هو أول الحواس ولا بد منه لكل حيوان أرضي : وأما الحركة فللقائل أن يقول : إنها أخت اللمس للحيوان ، وكما أن من الحس نوعا متقدما كذلك قد يشبه أن يكون من قوى الحركة نوع متقدم . وأما المشهور فهو أن من الحيوان ماله حس اللمس وليس له قوة الحركة ، مثل ضروب من الأصناف :

(١) الفصل الثالث : فصل ٣ ف .

(٣) وأول : فأول ك . (٧) فيه : ساقطة من ف .

(٨) باختلاها : باختلافها ف ، م || الطبيعة : الطبيعة م .

(١٢) الحواس الأخرى : الأحساس الأخرى د ؛ الإحساس الآخر ك . م || أعانت : أعانك ، م .

(١٣) المضار : المضار د ، ك .

(١٦) لآفة : لأنه م .

لكننا نقول : إن الحركة الإرادية على ضربين : حركة انتقال من مكان إلى مكان ، وحركة انقباض وانبساط للأعضاء من الحيوان وإن لم يكن به انتقال الحملة عن موضعها . فيبعد أن يكون حيوان له حس اللمس ولا قوة حركة فيه البتة ، فإنه كيف يعلم أنه له حس اللمس إلا بأن يشاهد فيه نوع هرب من ملموس وطلب للموس .
 وأما ما يتمثلون هم به من الأصداف والإسفنجات وغيرها ، فلما نجد للأصداف في ٥ غلفها حركات انقباض وانبساط والتواء وامتداد في أجوافها ، وإن كانت لا تفارق أمكتها ، ولذلك نعرف أنها تحس بالملموس . فيشبه أن يكون كل ماله لمس فله في ذاته حركة مآل إرادية إما لكليته وإما لأجزائه . وأما الأمور التي تلمس ، فإن المشهور من أمرها أنها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة والثقيل والخفة . وأما الصلابة واللين واللزوجة والهشاشة وغير ذلك فلما تحس تبعاً لهذه المذكورة . فالحرارة ١٠ والبرودة كل منهما يحس بذاته ، لالما يعرض في الآلة من الانفعال بها . وأما الصلابة واللين واليبوسة والرطوبة فيظن أنها لا تحس لذاتها ، بل يعرض للرطوبة أن تطيع لنفوذ ما ينفذ في جسمها ، ويعرض لليبوسة أن تعصى فتجمع العضو الحاس وتعصره ، والخشونة أيضاً يعرض لها مثل ذلك بأن تحدث للأجزاء الناتئة منها عصراً ولا تحدث للغائرة فيها شيئاً ، والأملس يحدث ملاسة واستواء ، وأما الثقيل فيحدث ١٥ تمدداً إلى أسفل ، والخفة خلاف ذلك .

فتقول لمن يقول هذا القول : إنه ليس من شرط المحسوس بالذات أن يكون الإحساس به من غير انفعال يكون منه ، فإن الحار أيضاً مالم يسخن لم يحس . وبالحقيقة ليس إنما يحس مافي المحسوس ، بل ما يحدث منه في الحاس ، حتى إنه إن لم

(٢) به : له ك || عن : من ك .

(٣) موضعها : موضعه د ، ف ، ك .

(٤-٣) ولا قوة اللمس : ساقطة من م .

(٤) للموس : ملموس د .

(٦) غلفها : عقلها م . (٨) وأما الامور : والأمورف .

(١٠) المذكورة : المذكورات ك .

(١٢) لذاتها : بذاتها ك || للرطوبة : من الرطوبة د ، م .

(١٣) جسمها : جسمه د ، ك ، م .

(١٤) أيضاً : ساقطة من د || الناتئة : النباتية د ، ك || منها : منه د .

(١٥) للغائرة : الغائرة ف ، م || فيها : ساقطة من م .

(١٧) إنه : ساقطة من م .

(١٩) بل : ساقطة من م .

يحدث ذلك لم يحس به . لكن المحسوس بالذات هو الذى تحدث منه كيفية فى الآلة الحاسة
 متشابهة لما فيه فيحس . وكذلك الانعصار عن اليابس والخشن والتملس من الأملس والتعدد
 إلى جهة معلومة من الثقيل والخفيف ، فإن الثقل والخفة ميلان والتمدد أيضا ميل إلى
 نحو جهة مّا . فهذه الأحوال إذا حدثت فى الآلة أحس بها لا بتوسط حر أو برد ،
 أو لون أو طعم ، أو غير ذلك من المحسوسات ، حتى كان يصير لأجل ذلك المتوسط
 غير محسوس أولى أو غير محسوس بالذات ، بل محسوسا ثانيا أو بالعرض . ولكن
 ههنا ضرب آخر مما يحس مثل تفرق الاتصال الكائن بالضرب وغير ذلك ، وذلك
 ليس بحرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا صلابة ولا لين ولا شئ من المعدودات ،
 وكذلك أيضا الإحساس بالذات اللمسية مثل اللثة التى للجماح وغير ذلك ، فيجب
 أن ينظر أنها كيف هى وكيف تنسب إلى القوة اللمسية وخصوصا وقد ظن بعض
 الناس أن سائر الكيفيات إنما تحس بتوسط ما يحدث من تفرق الاتصال . وليس
 كذلك ، فإن الحار والبارد من حيث يتغير به المزاج يحس على استوائه ، وتفرق
 الاتصال لا يكون مستويا متشابهها فى جميع الجسم .

لكننا نقول : إنه كما أن الحيوان متكون بالامتزاج الذى للعناصر ، كذلك هو
 متكون أيضا بالتركيب . وكذلك الصحة والمرض ، فإن منهما ما ينسب إلى المزاج
 ومنها ما ينسب إلى الهيئة والتركيب . وكما أن من فساد المزاج ما هو مفسد كذلك من
 فساد التركيب ما هو مهلك ؟ وكما أن اللمس حس يتقى به ما يفسد المزاج ، كذلك
 هو حس يتقى به ما يفسد التركيب : فاللمس أيضا يدرك به تفرق الاتصال ومضاده
 وهو عوده إلى الالتئام . ونقول : إن كل حال مضادة لحال البدن فإنها يحس
 بها عند الاستحالة وعند الانتقال إليها ، ولا يحس بها عند حصولها واستقرارها .
 وذلك لأن الإحساس انفعال مّا أو مقارن لانفعال مّا ، والانفعال إنما يكون عند
 زوال شئ وحصول شئ ، وأما المستقر فلا انفعال به . وذلك فى الأمزجة الموافقة
 والرديئة معا ، فإن الأمزجة الرديئة إذا استقرت وأبطلت الأمزجة الأصلية حتى صارت

(٣) الثقيل : الثقل ف .

(٧) وذلك : ساقطة من م .

(٨) ولا لين : ساقطة من د ، ك ، م .

(١٠) وقد : فقد ف .

(١٤) الذى : الذى د .

(١٥ - ١٦) وكذلك . . . والتركيب : ساقطة من م .

(١٦) من (الثانية) : ساقطة من م .

(١٧) التركيب : + منه م .

(٢١) أو مقارن لانفعال ما : ساقطة من م .

هذه الرديئة كانها أصلية لم يحس بها ، ولذلك لا يحس بحرارة الدق وإن كانت أقوى من حرارة الغب . وأما إن كانت الأصلية موجودة بعد وهذه الطارئة مضادة لها أحس بها ، وهذا يسمى سوء المزاج المختلف ، وهذا المستقر يسمى سوء المزاج المتفق ، والألم والراحة من الألم أيضا من المحسوسات اللمسية . ويفارق اللمس في هذا المعنى سائر الحواس ، وذلك لأن الحواس الأخرى منها مالا لذة لها في محسوسها ولا ألم ، ومنها ما يلتذ ويألم بتوسط أحد المحسوسات . فأما التي لا لذة فيها فمثل البصر لا يلتذ بالألوان ولا بالألم ، بل النفس تألم من ذلك وتلتذ من داخل : وكذلك الحال في الأذن ، فإن تألمت الأذن من صوت شديد والعين من لون مفرط كالضوء فليست تألم من حيث تسمع أو تبصر ، بل من حيث تلمس ، لأنه يحدث فيها ألم لمسي ، وكذلك تحدث فيها بزوال ذلك لذة لمسية . وأما الشم والذوق فيألمان ويلتذنان إذا تكيفا بكيفية منافرة أو ملائمة . وأما اللمس فإنه قد يألم بالكيفية الملموسة ويلتذ بها ، وقد يألم ويلتذ بغير توسط كيفية هي المحسوس الأول ، بل بتفريق الاتصال والتشامه . ومن الخواص التي لللمس أن الآلة الطبيعية التي يحس بها وهي لحم عصبى أو لحم وعصب تحس بالمماس ، وإن لم يكن بتوسط البقعة ، فإنه لا محالة يستحيل عن المماسات ذوات الكيفيات ؛ وإذا استحال عنها أحس ، ولا كذلك حال كل حاسة مع محسوسها . وليس يجب أن يظن أن الحساس هو العصب فقط ، فإن العصب بالحقيقة هو مؤد لللمس اللمسي إلى عضو غيره وهو اللحم . ولو كان الحساس نفس العصب فقط ، لكان الحساس في جلد الإنسان ولحمه شيئا متشرا كالليف ، وكان حسه ليس لجميع أجزائه ، بل أجزاء ليفية فيه ، بل العصب

(٣) وهذا يسمى : ويسمى هذا ف .

(٥-٦) مالا لذة : لا لذة م .

(٦) أحد : ساقطة من || فأما : وأما ك .

(٩) فليست : فليس د ، ك ، م || أو تبصر : وتبصر م .

(١٠) فيها (الأولى والثانية) : فيه ك ، م .

(١١) أو ملائمة : أو مشافية م .

(١٢) المحسوس : المحسوسة ك .

(١٣) الأول : الأول ك .

(١٤) بتوسط : متوسط د ، ك .

(١٥) فإنه : فإنها م || استحالة : استحالت م .

(١٦) أحس : أحست م .

(١٩) لجميع : بجميع ك ، م .

المدى يحس اللمس مؤد وقابل معا . والعصبية المجوفة مؤدية للبصر لكنها خير قابلة ، إنما القابل ما إليه تؤدي وهو البردية أو ما هو مستول عليه وهو الروح .

فبين إذن أن من طباع اللحم أن يقبل الحس ، وإن كان يحتاج أن يقبله من . يمكن آخر ومن قوة عضو آخر يتوسط بينهما العصب . وأما إن كان المبدأ موجودا فيه فهو حساس بنفسه وإن كان لحما ، وذلك كالقلب . وإن انتشر في جوهر القلب ليف عصبي ، فلا يبعد أن يكون ليلتقط عنه الحس ويؤديه إلى أصل واحد يتأدى عنه إلى الدماغ ، وعن الدماغ إلى أعضاء أخرى ، كما سيتضح بعد . وكالحال في الكبد من جهة انبثاث عروق ليفية فيه ليقبل عنه ويؤدى إلى غيره ، ويجوز أن يكون انبثاث الليف فيه ليقوى قوامه ويشد لحمه ، وسنشرح هذه الأحوال في مواضع آخر مستقبلة . ١٠

ومن خواص اللمس أن جميع الجلد الذى يطيف بالبدن حساس باللمس ولم يفرد له جزء منه . وذلك لأن هذا الحس لما كان طليعة تراعى الواردات على البدن التى تعظم مفلستها إن تمكنت من أى عضو وردت عليه ، وجب أن يجعل جميع البدن حساسا باللمس ، ولأن الحواس الأخرى قد تتأدى إليها الأشياء من غير مماسة ومن بعيد ، فيكفى أن تكون آلتها عضوا واحدا إذا أورد عليه المحسوس الذى يعصل به ضرر عرفت النفس ذلك فاتفقه وتنحت بالبدن عن جهته . فلو كانت الآلة اللامسة بعض الأعضاء ، لما شعرت النفس إلا بما يماسها وحدها من المفلسات . ويشبه أن تكون قوى اللمس قوى كثيرة كل واحدة منها تختص بمضادة ، فيكون ما يدرك به المضادة التى بين الحار والبارد غير الذى يدرك به المضادة التى بين الثقيل والخفيف : فإن هذه أفعال أولية للحس يجب أن يكون لكل جنس منها قوة ٢٠

(٢) مستول : مشتمل د ، ك .

(٣) وإن : فإن د ، ك ، م .

(٤) يتوسط : توسط د ، ك ، م .

(٦) يكون : ساقطة من م || ليلتقط : يلتقط ك ، م || عنه : منه ك || أصل : الأصل م .

(٧) وعن الدماغ : ساقطة من م || سيتضح : سنوضح د ، ف ، م || وكالحال : كالحال م .

(٨) غيره : غيرها م .

(١٠-٩) مواضع آخر مستقبلة : موضع آخر نستقبله د ، ف ، م .

(١٥) أورد : ورد ف .

(١٨) قوى : ساقطة من م .

(٢٠-١٩) غير الذى . . . والخفيف : ساقطة من د . (٢٠) قوة : ساقطة د .

- خاصة ، إلا أن هذه القوى لما انتشرت في جميع الآلات بالسوية ظنت قوة واحدة ، كما لو كان اللمس والنوق متشربين في البدن كله انتشارهما في اللسان لظن مبدأهما قوة واحدة ، فلما تميزا في غير اللسان عرف اختلافهما . وليس يجب ضرورة أن تكون لكل واحدة من هذه القوة آلة تخصها ، بل يجوز أن تكون آلة واحدة مشتركة لها ، ويجوز أن يكون هناك انقسام في الآلات غير محسوس ، وقد اتفق في اللمس .
- أن كانت الآلة الطبيعية بعينها هي الواسطة . ولما كان كل واسطة يجب أن يكون عادما في ذاته لكيفية ما يؤديه ، حتى إذا قبلها وأداها أدى شيئا جديدا ، فيقع الانفعال عنه ليقع الإحساس به . والانفعال لا يقع إلا عن جديد كان كذلك أيضا آلة اللمس . لكن المتوسط الذي ليس هو مثلاً بحار ولا بارد يكون على وجهين : أحدهما على أنه لاحظ له من هاتين الكيفيتين أصلاً؛ والثاني ماله حظ منهما ولكن صار فيه إلى الاعتدال ، فليس بحار ولا بارد ، بل معتدل متوسط . ثم لم يمكن أن تكون آلة اللمس خالية أصلاً عن هذه الكيفيات ، لأنها مركبة منها ، فوجب أن يكون خلوها عن هذه الأطراف بسبب المزاج والاعتدال لتحس ما يخرج عن القدر الذي لها . وما كان من أمزجة اللامسات أقرب إلى الاعتدال ، كان ألطف إحساسا . ولما كان الإنسان أقرب الحيوانات كلها من الاعتدال كان ألطفها لمسا . ولما كان اللمس أول الحواس ، وكان الحيوان الأرضي لا يجوز أن يفارقه ، وكان لا يكون إلا بتركيب معتدل ليحكم به بين الأضداد ؛ فبين من هذا أنه ليس للبساتط وما يقرب منها حس البتة ولا حياة إلا النمو في بعض ما يقرب من البساتط . فليكن هذا مبلغ ما نقوله في اللمس .

(٣) في غير اللسان : ساقطة من م || يجب : + أن يقال ف .

(٥) لها : ساقطة من م .

(٧) قبلها : أقبلها ك .

(٩) ولا بارد : أر بارد م .

(١٥) ألطفها : ألطف ف .

(١٨) في بعض : لبعض د .

الفصل الرابع في الذوق والشَّم

وأما الذوق فإنه تال للمس ، ومنفعته أيضا في الفعل الذي به يتقوم
البدن وهو تشهية الغذاء واختياره ، ويجالس للمس في شيء وهو أن المذوق
يدرك في أكثر الأمر بالملامسة ، ويفارقه في أن نفس الملامسة لا تؤدي الطعم ،
كما أن نفس ملامسة الحار مثلا تؤدي الحرارة ، بل كأنه محتاج إلى متوسط
يقبل الطعم ويكون في نفسه لا طعم له وهو الرطوبة اللعابية المنبعثة من الآلة
المسماة الملعبية . فإن كانت هذه الرطوبة عديمة الطعوم أدت الطعوم بصحة
وإن خالطها طعم ، كما يكون للمرورين من المرارة ، ولمن في معدته
خلط حامض من الحموضة شابت ما تؤديه بالطعم الذي فيه فتحياه مرًا أو
حامضًا . ومما فيه موضع نظر هل هذه الرطوبة إنما تتوسط بأن تخالطها أجزاء
ذي الطعم مخالطة تنتشر فيها ثم تنفذ فتغوص في اللسان حتى تخالط اللسان
فيحسه ، أو تكون نفس الرطوبة تستحيل إلى قبول الطعم من غير مخالطة ،
فإن هذا موضع نظر : فإن كان المحسوس هو المخالط فليست الرطوبة بواسطة
مطلقة ، بل واسطة تسهل وصول الجوهر المحسوس الحامل للكيفية نفسها إلى
الحاس وأما الحس نفسه فلأنما هو بملامسة الحاسن للمحسوس بلا واسطة . وإن
كانت الرطوبة تقبل الطعم وتكيف به فيكون المحسوس بالحقيقة أيضًا هو الرطوبة
ويكون أيضًا بلا واسطة ، ويكون الطعم إذا لاقى آلة الذوق أحسته ، فيكون
لو كان للمحسوس الوارد من خارج سبيل إلى الملامسة الفائضة من غير هذه

(١) الفصل الرابع : فصل ٤ ف || لا تؤدي : + إلى م .

(٨) الطعوم : للمطعم د .

(١٠) شابت : شاب د || فيه : فيها ف .

(١٣) فيحسه : فيحسها ف . (١٦) بملامسة : ملامسة م .

الواسطة لكان ذوق ، لا كالمبصر الذى لا يمكن أن يلقى آلة الإبصار بلا واسطة .
 وإذا مُسَّت الآلة المبصرة لم تدرك البتة ، لكنه بالحرى أن تكون هذه الرطوبة
 للتسهيل وأنها تتكيف وتختلط معا ، ولو كان سبيل إلى الملامسة المستقصاة من
 غير هذه الرطوبة لكان يكون ذوق . فإن قيل : ما بال العفوصة تذاق وهى
 تورث السدد وتمنع النفوذ ؟ فنقول : إنها أولا تخالط بواسطة هذه الرطوبة
 ثم يؤثر أثرها من التكثيف وقد خالطت . والطعوم التى يدركها الذوق هى الحلاوة
 والمرارة والحموضة والقبض والنفوسية والحرافة والدسومة والبشاعة والنفه .
 والنفه يشبه أن يكون كأنه عدم الطعم ، وهو كما يذاق من الماء ومن بياض
 البيض . وأما هذه الأخرى فقد تكثرت بسبب أنها متوسطات وأنها أيضا مع
 ما تحدث ذوقا يحدث بعضها لمسا ، فيتربك من الكيفية الطعمية ومن التأثير
 اللامسى شىء واحد لا يتميز فى الحسن ، فيصير ذلك الواحد كطعم محض
 مميز ، فإنه يشبه أن يكون طعم من الطعوم المتوسطة بين الأطراف يصحبه
 تفريق وإسخان وتسمى جملة ذلك حرافة ، وآخر يصحبه طعم وتفريق من
 غير إسخان وهو الحموضة ، وآخر يصحبه مع الطعم تجفيف وتكثيف وهو
 العفوصة . وعلى هذا القياس ما قد شرح فى الكتب الطبية .

وأما الشم فإنه وإن كان الإنسان أبلغ حيلة فى التشم من سائر الحيوانات
 فإنه يثير الروائح الكامنة بالذوق ، وهذا ليس لغيره ، ويتقصى فى تجسسها
 بالاستنشاق ، وهذا يشاركه فيه غيره . فإنه لا يقبل الروائح قبولا قويا حتى
 يحدث فى خياله منها مثل ثابتة كما يحصل للمحسوسات والمطعومات . بل تكاد
 أن تكون رسوم الروائح فى نفسه رسوما ضعيفة . ولذلك لا يكون للروائح
 عنده أسماء إلا من جهتين : إحداهما من جهة الموافقة والمخالفة بأن يقال
 طيبة وممتنة ، كما لو قيل للطعم إنه طيب وغير طيب من غير تصور
 فصل أو تسمية ؛ والجهة الأخرى أن يشتق لها من مشاكلتها للطعم اسم

(٢) المبصرة : المبصر || تدرك : يدرك ف .

(٣) وتختلط : وتختلف || معا . . . سبيل : ساقطة من د .

(٢-٢٣) إلى الملامسة . . . ام : ساقطة من د .

(٧) فيصير : فيبصر || محض : واحد ف .

(٢-١٣) يصحبه تفريق : يصحبه طعم وتفريق ك .

(١٣) وتسمى : تسمى م . (١٧) تجسسها : تحسینها م .

(١٨) يشاركه : لا يشاركه ك . (١٩) ثابتة : ما يأتيه ف ، م .

(٢١) أسماء : اسماء || إحداهما : أحدهما ك .

(٢٣) أو تسمية : وتسمية ف ؛ أو تسمية م || من : + جهة ك .

فيقال رائحة حلوة ورائحة حامضة ، كأن الروائح التي اعتيد مقارنتها لطعوم ما تنسب إليها وتعرف بها . ويشبه أن يكون حال إدراك الروائح من الناص كحال إدراك أشباح الأشياء وألوانها من الحيوانات الصلبة العين ، فإنها تكاد أن تكون إنما تدركها كالتخيل غير المحقق وكما يدرك ضعيف البصر شبحا من بعيد . وأما كثير من الحيوانات الصلبة العين فإنها قوية جدا في إدراك الروائح مثل النمل ، ويشبه أن لا تحتاج أمثالها إلى التشمم والتنشق ، بل تتأدى إليها الروائح في الهواء .

وواسطة الشم أيضا جسم لرائحة له كالهواء والماء يحمل رائحة المشمومات . وقد اختلف الناس في الرائحة ، فذهب من زعم أنها تتأدى بمخالطة شيء من جرم ذي الرائحة متحلل متبخر فتخالط المتوسط . ومنهم من زعم أنها تتأدى باستحالة من المتوسط من غير أن يخالطه شيء من جرم ذي الرائحة متحلل عنه . ومنهم من قال إنها تتأدى من غير مخالطة شيء آخر من جرمه ومن غير استحالة من المتوسط . ومعنى هذا أن الجسم ذا الرائحة يفعل في الجسم عديم الرائحة وبينهما جسم لا رائحة له من غير أن يفعل في المتوسط ، بل يكون المتوسط ممكنا من فعل ذلك في هذا ، على ما يقال في تأدى الأصوات والألوان ، فحري بنا أن نحقق هذا ونأمله .

ولكن لكل واحد من المدعين بشيء من هذه المناهض حجة . فالقائل بالبخر والدخان يحتج ويقول : إنه لو لم تكن الرائحة تسطع بسبب تحلل شيء ، ما كانت الحرارة وما يهب الحرارة من الدلك والتبخير وما يجري مجرى ذلك مما يذكي الروائح ولا كان البرد يخفئها . فبين أن الروائح إنما تصل إلى الشم ببخر يتبخر

(١-١٩) فيقال . . . يتبخر : ساقطة من د .

(٤) غير : الغير د ، ف ، م .

(٥) مثل النمل : كالنمل ف .

(٧) أيضا : أنهام || والماء : + هي التي ك || وقد : فقد ك .

(٨-٩) بمخالطة . . . تتأدى : ساقطة من م .

(٩) متحلل : يتحلل ف || متبخر : فيتبخر ف .

(١٢) عديم : العديم د ، م || وبينهما : ومنهما .

(١٦) بشيء : لشيء م .

(١٧) الرائحة : رائحة م .

(١٨) الحرارة (الأولى) : الرائحة م .

(١٩) الروائح : الرائحة ف || الشم : الجسم م .

من ذى الرائحة ، يخاط الهواء وينفذ فيه ، ولهذا إذا استقصيت تشتم التفاحة ذبلت لكثرة ما يتحلل منها . والقائلون بالاستحالة احتجوا وقالوا : إنه لو كانت الروائح التى تملأ المحافل إنما تكون بتحلل شىء لوجب أن يكون الشىء ذو الرائحة ينقص وزنه ويقل حجمه مع تحلل ما يتحلل منه . وقال أصحاب التأدية : خصوصا إنه لا يمكننا أن نقول إن البخار يتحلل من ذى الرائحة فيسافر مائة فرسخ فما فوقه ، ولا أيضا يمكننا أن نحكم أن ذى الرائحة أشد إحالة للأجسام من النار في تسخينها ، والنار القوية إنما تسخن ماحولها إلى حد ، وإذا باغ ذلك غلوة فهو أمر عظيم ، وقد نجد من وصولها الروائح إلى بلاد بعيدة مايزيل الشك في أن وصولها لم يكن بسبب بخار انتشر أو استحالة فشت . فقد علم أن بلاد اليونانيين والمغاربة لا ترى فيها رَحْمَةً البتة ولا تأوى إليها وبينها وبين البلاد المرخمة مسافة كبيرة تقارب ما ذكرناه . وقد اتفق في بعض السنين أن وقعت ماحمة بقلك البلاد فسافرت الرخم إلى الجيف ولا دليل لها إلا الرائحة ، فتكون الرائحة قد دلت من مسافة بعدها بعد لايجوز معه أن يقال إن الأنجرة أو الاستحالات من الهواء وصلت إليه .

فقول نحن : إنه يجوز أن يكون المشموم هو البخار ، ويجوز أن يكون الهواء نفسه يستحيل من ذى الرائحة فبصير له رائحة فيكون حكمه أيضا حكم البخار فيكون كل شىء لطيف الأجزاء من شأنه أن ينفذ إذا بلغ آلة الشم ولاقاها كان بخارا أو هواء مستحيلا إلى الرائحة أحس به . وقد علمت أن كل معوسط يوصل إليه بالاستحالة ، فإن المحسوس أيضا لو تمكن من ملاقة الحاس لأحس به بلا واسطة . ومما يدل على أن الاستحالة لها مدخل في هذا الباب ، أنا مثلا نبخر الكافور تبخيرا يأتى على جوهره كله : فتكون منه رائحة منتشرة انتشارا إلى حد قد يمكن أن تنتشر منه تلك الرائحة في أضعاف ذلك الموضع بالنقل ، والموضع

(١) يخاط : ويخاطف ؛ يخاطها .

(٩-١) من ذى . . . بخار انتشر : ساقطة من د .

(٤) وقال : فقال له .

(٥) يتحلل : يتخلل .

(٨) من : لمن م .

(٩) فقد : رقد م .

(١٤) إليه : إليها ف .

(١٦) من : عن د ، ك ، م .

(٢٠) واسطة : وساطة ف .

جزء جزء من ذلك المكان كله حتى يتشم منه في بقعة ضيقة صغيرة من تلك الأضعاف مثل تلك الرائحة . فإذا كان في كل واحدة من تلك البقاع الصغيرة يتبخّر منه شيء فيكون مجموع الأبخرة التي تتحلل منه في جميع تلك البقاع التي تزيد على البقعة المذكورة أضعافا مضاعفة للبخار كله الذي يكون بالتبخير أو مناسبا له . فيجب أن يكون النصان الوارد عليه في ذلك قريبا من ذلك أو مناسبا له ولا يكون . فبين أن ههنا للاستحالة مدخلا .

وأما حديث التأدية المذكورة فأمر بعيد ، وذلك لأن التأدية لا تكون إلا بنسبة مّا ونسبة للمؤدى عنه إلى المؤدى إليه . وأما الجسم ذو الرائحة فليس يحتاج إلى شيء من ذلك ، فإنك لو توهمت الكافور قد نقل إلى حيث لا تأدى إليك رائحته ، بل قد عدم دفعة ، لم يمنع أن تكون رائحته بعده باقية في الهواء ، فذلك لامحالة لاستحالة أو محالطة .

وأما حديث الرخم فإنه قد يجوز أن تكون رياح قوية تنقل الروائح والأبخرة المتحللة عن الخفيف إلى المسافة المذكورة في أعلى الجو فيحس بها ما هو أقوى حسا من الناس وأعلى مكانا مثل الرخم وغيره . وأنت تعلم أن الروائح وإن كانت قد تصل إلى كثير من الحيوانات فوق ما تصل إلى الناس بكثير ، فقد تأدى إليها المبصرات من مسافات بعيدة وهي تحلق في الجو حتى يبلغ إبصارها في البعد مبلغا بعيدا جدا ، وحتى يكون ارتفاعها أضعاف ارتفاع قلل الجبال الشاهقة . وقد رأينا قلل جبال شاهقة جدا وقد جاوزتها النسور محلقة ، حتى يكاد أن يكون ارتفاعها ضعف ارتفاع تلك الجبال . وقلل تلك الجبال قد ترى من ست أو سبع مراحل ، وليس نسبة الارتفاع إلى الارتفاع كنسبة بعد المرتى إلى بعد المرتى ، فإنك ستعلم في الهندسة أن النسب في الأبعاد

(١) جزء (الأولى والثانية) : جزاء د ، م || بقعة : + بقعة ف || ضيقة : ساقطة من م .

(٤) يكون (الأولى) : يكنك || بالتبخير : بالتبخرد .

(٦) مدخلا : + ما ف .

(٧) التأدية (الأولى والثانية) : البادية م .

(٨) ونسبة : أو نسبة لك ؛ ويصبه م .

(١٠) قد : ساقطة من م .

(١٧) وقد : فقد م .

(١٩) أوسع : سبع د ، ف ، م .

(٢٠) المرتى (الثانية) : الرأى م ؛ المرائى م .

التي منها يرى أعظم وأكبر : فلا يبعد أن تكون الرخم قد علت في الجو بحيث
ينكشف لها بعد هذه المسافة فرأت الجيف ، فإن كان يستنكر تأدي أشباح هذه الجيف
إليها فتأدي روائحها التي هي أضعف تأديا أولى بالاستنكار . وكما أنه ليس كل
حيوان يحتاج إلى تحريك الجفن والمقلة في أن يبصر ، كذلك ليس يحتاج كل حيوان
إلى استنشاق حتى يشم ، فإن كثيرا منها يأتيها الشم من غير تشم .

(٣-٤) كل حيوان يحتاج : يحتاج كل حيوان ك ، م .

(٤) إلى : في م || في : إلى ، د ، ك ، م .

الفصل الخامس

في حاسة السمع

وإذا قد تكلمنا في أمر اللمس والذوق والشم ، فبالحرى أن نتكلم في أمر السمع .
فنقول : إن الكلام في أمر السمع يقتضى الكلام في أمر الصوت وماهيته ، وقد يليق
بذلك الكلام في الصدى . فنقول : إن الصوت ليس أمرا قائم الذات موجودا ثابت
الوجود يجوز فيه مايجوز في البياض والسواد والشكل من أحكام الثبات على أن يصح فرضه
ممتد الوجود وأنه مثلا لم يكن له مبدأ وجود زمانى كما يصح هذا الفرض في غيره ، بل
الصوت بين واضح من أمره أنه أمر يحدث وأنه ليس يحدث إلا عن قلع أو قرع .
أما القرع فمثل ما تقرع صخرة أو خشبة فيحدث صوت . وأما القلع فمثل ما يقلع
أحد شقى مشقوق عن الآخر كخشبة تنحى عليها بأن تبين أحد شقيها عن الآخر
طولا . ولا تجدد أيضا مع كل قرع صوتا ، فإن قرعت جسما كالصوف بقرع لين جدا
لم تحس صوتا ، بل يجب أن تكون للجسم الذى تقرعه مقاومة ماء ، وأن يكون للحركة
التي للمقروع به إلى المقروع عنف صادم ، فهناك يحس . وكذلك أيضا إذا شققت
شيئا يسيرا يسيرا وكان الشيء لا صلابة له لم يكن للقلع صوت البتة . والقرع بما هو
قرع لا يختلف . والقلع أيضا بما هو قلع لا يختلف . لأن أحدهما إمساس والآخر تفريق ،
لكن الإمساس يخالف الإمساس بالقوة والسرعة ، والتفريق أيضا يخالف التفريق بمثل
ذلك . ولأن كل صائر إلى مماسة شيء فيجب أن يفرغ لنفسه مكان جسم آخر كان

(١) الفصل الخامس : فصل ه ف .

(٢) حاسة : ساقطة من د ، م .

(٩) أما : وأما ك .

(١١) كالصوف : كالصوت م .

(١٢) ما : ساقطة من د ، م .

(١٣) أيضا : ساقطة من ف ، م .

(١٤) يسيرا يسيرا : يسيرا د || وكان : أركان د ، ك .

- ماسا له ليستقل إليه ، وكل مقلوع عن شيء فقد يفرغ مكانه حتى يصار إليه :
وهذا الشيء الذى فيه هذه الحركات شيء رطب سيال لاحتالة إما ماء وإما هواء ،
فتكون مع كل قرع وقلع حركة للهواء أو ما يجرى مجراه إما قليلا قليلا وبرفق ،
وإما دفعة على سبيل تموج أو انجذاب بقوة . وقد وجب ههنا شيء لا بد أن يكون
موجودا عند حدوث الصوت وهو حركة قوية من الهواء أو ما يجرى مجراه ،
فيجب أن يتعرف هل الصوت هو نفس القرع أو القلع ، أو هو حركة موجية تعرض
للهواء من ذلك ، أو شيء ثالث يتولد من ذلك أو يقارنه . أما القلع والقرع فإنيهما
يحسان بالبصر بتوسط اللون ولا شيء من الأصوات يحس بتوسط اللون ، فليس
القلع والقرع بصوت ، بل إن كان ولا بد فسيبا الصوت . وأما الحركة فقد
يتشكك في أمرها ، فيظن أن الصوت نفس تموج الهواء . وليس كذلك أيضا ، فإن
جنس الحركة يحس أيضا بسائر الخواص ، وإن كان بتوسط محسوسات أخر .
والتموج الفاعل للصوت قد يحس حتى يؤلم ، فإن صوت الرعد يعرض منه أن
تدك الجبال ، وربما ضرب حيوانا فأفسده . وكثيرا ما يستظهر على هدم الحصون العالية
بأصوات البوقات ؛ بل حسن اللمس ، كما أشرنا إليه قبل أيضا قد يتفعل من تلك
الحركة من حيث هي حركة ولا يحس الصوت ، ولا أيضا من فهم أن شيئا حركة
فهم أنه صوت . ولو كانت حقيقة الصوت حقيقة الحركة ، لأنه أمر يتبعها
ويلزم عنها ، لكان من عرف أن صوتا عرف أن حركة ، وهذا ليس بموجود .
فإن الشيء الواحد النوعى لا يعرف ويجهل معا إلا من جهتين وحالين ، فجهة كونه
صوتا في ماهيته ونوعيته ، ليس جهة كونه حركة في ماهيته ونوعيته . فالصوت إذن
عارض يعرض من هذه الحركة الموصوفة يتبعها ، ويكون معها ، فإذا انتهى
التموج من الهواء أو الماء إلى الصماخ - وهناك تجويف فيه هواء راكد يتموج
بتموج ما ينتهي إليه ووراءه كالحدار مفروش عليه العصب الحاس للصوت - أحس
بالصوت .

(١) وكل : فكل م . (٤) وجب : + أن ف .

(٧) أو شيء : أم شيء م || يقارنه : يقاربه م .

(١٠) يتشكك : يشكك د ، ف ، م || في : من د ، ف .

(١١) أخر : أخرى ف . (١٢) الرعد : + قد ف .

(١٦) حقيقة : ساقطة من م .

(١٧) هنا : هنا د .

(١٨) وحالين : وحالين ف .

(١٩) ماهيته ونوعيته : ماهية ونوعية ك .

(٢١) أو الماء : والماء د ، ك ، م .

ومما يشكل من أن الصوت هل هو شيء موجود من خارج تابع لوجود الحركة أو مقارن أو إنما يحدث من حيث هو صوت إذا تأثر السمع به ، فإنه للمعتقد أن يعتقد أن الصوت لا وجود له من خارج ، وأنه يحدث في الحس من ملامسة الهواء المتموج ، بل كل الأشياء التي تلامس ذلك الموضع باللمس أيضا تحدث فيه صوتا ، فهل ذلك الصوت حادث بتموج الهواء الذي في الصماخ أو لنفس المماسه .

وهذا أمر يصعب الحكم فيه ، وذلك لأن نافي وجود الصوت من خارج لا يلزمه ما يلزم نافي باقي الكيفيات الأخرى المحسوسة ، لأن هذا له أن يثبت للمحسوس الصوتي خاصية معلومة هي تفعل الصوت ، وتلك الخاصية هي التموج ، فتكون نسبة التموج من الصوت نسبة الكيفية التي في العسل إلى ما يتأثر منه في الحس . لكنه يختلف الأمر ههنا ، لأن الأثر الذي يحصل من العسل في الحاسة ومن النار في الحاسة هو من جنس مافيهما . ولذلك فإن الذي يحس الحرارة قد يسخن أيضا غيره إذا ثبت فيه الأثر . وليس الصوت والتموج حالهما هكذا ، فإن التموج شيء والصوت شيء ، والتموج يحس بألة أخرى وتلك الكيفية لا تحس بألة أخرى . وليس يجب أيضا أن يكون كل ما يؤثر أثرا في نفسه مثل ذلك الأثر : فيجب أن نتعرف حقيقة الحال في هذا .

فنقول : بما يعين على معرفة أن العارض المسموع له وجود من خارج أيضا أنه لو كان إنما يحدث في الصماخ نفسه لم يخل إما أن يكون التموج الهوائي يحس بالسمع من حيث هو تموج أو لا يحس . فإن كان التموج الهوائي يحس بالسمع - لست أقول يحس بلمس آلة السمع - حسا من حيث هو تموج ، فلما أن يحس به أولا أو بتوسط الصوت . فلو

(١) من أن : من أمر د ، ك ؛ أن م || تابع : + من خارج د ، م .

(٢) للمعتقد : لمعتقد ف ، م .

(٤) باللمس : باللمس ف ، م .

(٧) نافي : باقي م .

(٨) ما يلزم نافي باقي : ما يلزم نافي د ؛ ما يلزم نافي ك ؛ ما يلزم نافي م || هذا : هناك .

(١١) ههنا : + وذلك ك || من العسل : ساقطة من م

(١٢) هو : هي ، ك ، م || فيهما : فههنا م || يحس : يحس ف ، م .

(١٣) هكذا : هكذا ف .

(٢٠) فار : ولوم .

كان يحس به أولا ، والمحسوس الأول بالسمع هو الصوت وهذا مما لاشك فيه ،
كان التموج من حيث هو تموج صوتا ، وقد أبطلنا هذا . ولو كان يحس به بتوسط
الصوت ، لكان كل من سمع الصوت علم أن تموجا ، كما أن كل من أحس
لون المربع والمربع بتوسطه علم أن هناك مربعا وليس كذلك ، وإن كان
إنما يحس باللمس أيضا عرض منه ما قلنا . فلذا ليس بواجب أن يحس التموج
عند سماع الصوت . فلننظر ما يلزم بعد هذا .

- ف نقول : إن الصوت كما يسمع تسمع له جهته ، فلا يخلو إما أن تكون
الجهة تسمع لأن الصوت مبدأ تولده ووجوده في تلك الجهة ومن هناك ينتهي ،
ولما لأن المنتقل المتأدى إلى الأذن الذي لا صوت فيه بعد أن يفعل الصوت إذا
اتصل بالأذن ينتقل من تلك الجهة ويصدم من تلك الجهة فيخيل أن الصوت
ورد من تلك الجهة ، ولما للأمرين جميعا . فإن كان لأجل المنتقل وحده ،
فمعنى هذا هو أن المنتقل نفسه محسوس ، فإنه إذا لم يشعر به كيف يشعر
بجهة مبدئه . فيلزم أن يحس بالسمع عند إدراك جهة الصوت تموج الهواء . وقد
قلنا : إن ذلك ليس بواجب وإن كان لأجلهما جميعا ، عرض من ذلك هذا
المحال أيضا ، وصح أن الصوت كان يصحب التموج ، فبقى أن يكون ذلك
لأن الصوت نفسه تولد هناك ومن هناك انتهى . ولو كان الصوت إنما يحدث
في الأذن فقط ، لكان سواء أتى سببه من اليمين أو اليسار ، وخصوصا وسببه
لا يحس به . وههنا مؤثر فيه مثل نفسه فلا تدرك جهته لأنه إنما يدرك عند وصوله
فكيف مالا يحدث له إلا عند وصول سببه . فقد بان أن للصوت وجودا مآمن
خارج لا من حيث هو مسموع بالفعل ، بل من حيث هو مسموع بالقوة ، وأمر
كهينة مآمن الهبئات للتموج غير نفس التموج .

ويجب أن نحقق الكلام في القارع والمقروع فنقول : إنه لا بد في القرع من
حركة قبل القرع وحركة تتبع القرع ، فأما الحركة قبل القرع فقد تكون من

(١) لا شك : لا يشك ف .

(٢) هذا : ساقطة من د .

(٤) والمربع : ساقطة من د . (٧) جهته : جهة ف .

(١٠) فيخيل : فيتخيل ك .

(١٢) المنتقل : التنقل م .

(١٥) ذلك : ساقطة من د .

(١٧) أتى : أن ف || من : عن ف .

(١٨) فلا تدرك : قد لا يدرك ف ، م .

أحد الجسمين وهو الصائر إلى الثاني ، وقد تكون من كليهما ، ولا بد من قيام كل واحد منهما أو أحدهما في وجه الآخر قياما محسوسا . فإنه إن اندفع أحدهما كما يمس ، بل في زمان لا يحس ، لم يكن صوت . والقارع والمقروع كلاهما فاعلان للصوت ، لكن أولاهما به ما كان أصليهما وأشدّهما مقاومة ، فإن حظه في ذلك أشد ، وأما الحركة الثانية فهو انفلات الهواء وانضمخاطه بينهما بعنف ، والصلابة تعين على شدة ضغط الهواء والملاسة أيضا لثلا ينتشر الهواء في فرج الخشونة . والكاثف أولى بذلك لثلا ينفذ الهواء في فرج التخلخل . وربما كان الجسم المقروع في غاية الرطوبة واللين ، لكنه إذا حمل عليه بالقوة وكلف الهواء المتوسط أن ينفذ فيه أو ينضغط فيما بينهما لم يكن ذلك الجسم أيضا بحيث يمكن الهواء المتوسط أن ينفذ فيه ويشقه في زمان قصير ، بل قاوم ذلك فلم يندفع في وجه ذلك الهواء المتوسط ، بل وقاوم أيضا القارع ، لأن القارع كان يسومه انخراقا كثيرا في زمان قصير جدا . وليس ذلك في قوة القابل ولا في قوة الفاعل القارع ، فامتنع من الانخراق ، فقام في وجه القارع وضغط معه المتوسط فكانت المقاومة فيه مكان الصلابة . وأنت تعلم هذا إذا اعتبرت إمرارك السوط في الماء برفق ، فإنه يمكنك أن تشقه شقا من حيث لا تلزمك فيه مؤونة ، فإن استعجلت استعصى عليك وقاوم . فالهواء أيضا كذلك ، بل قد يجوز أن يكون الهواء نفسه يصير جزء منه مقاوما وجزء بينه وبين المزاحم القارع منضغطا ، بل يجوز أن يصير الهواء أجزاء ثلاثة : جزء منه قارع كالريح ، وجزء مقاوم ، وجزء منضغط فيما بينهما على هيئة من التموج . وليست الصلابة والتكاثف علة أولية لإحداث هذا التموج ، بل ذلك لهما من حيث يعينان على المقاومة . والعلة الأولية هي

(١) أحد : آخر د .

(٥) انفلات : انقلاب ك ، م .

(٩) أو : + أن ك .

(١٠) في (الثانية) : من ك .

(١١) وقاوم : قارم د || يسومه : يسوقه ك .

(١٣) معه : الهواء ك ؛ منه م .

(١٤) فإنه : فلأنك د ، ك ، م .

(١٥) مؤونة : مؤنة ف ، ك || فالهواء : والهواء د ، ك || بل قد : وقد م .

(١٧) وجزء مقاوم : وجزء منه مقاوم م .

(١٧-١٨) وجزء منضغط : وجزء منه منضغط م .

(١٨) بينهما : بينهما م .

المقاومة ، فالصوت يحدث من تموج الجسم الرطب السيل منضغطا بين جسمين متصاكن متقاومين من حيث هو كذلك . وكما أن الماء والهواء والفلك تشترك في طبيعة أداء الألوان ، وتلك الطبيعة لها اسم وهو الشفيف ، فكللك الماء والهواء لهما معنى يشتركان فيه من حيث يحدث فيهما الصوت، وليكن اسمه قبول العروج ، وليس ذلك من حيث المتوسط ماء أو هواء كما أن الإشفاف لم يكن من حيث المتوسط فللك أو هواء . ويشبه أن يكون الماء والهواء لهما أيضا من حيث يؤديان الرائحة أو الطعم معنى كذلك لاسم له . فالتكن للرطوبة المؤدية للطعم العلوبة ، وأما ما يشترك فيه نقل الرائحة فلا اسم له .

- وأما الصدى فإنه يحدث من تموج يوجبه هذا العروج ، فإن هذا العروج إذا قاومه شيء من الأشياء كجبل أو جدار حتى وقفه ، لزم أن ينضغط أيضا بين ١٠ هذا العروج المتوجه إلى قرع الحائط أو الجبل ، وبين ما يقرعه هواء آخر يرد ذلك ويصرفه إلى خلف بانضغاطه فيكون شكله الشكل الأول وعلى هيئته ، كما يلزم الكرة المرمى بها الحائط أن تضطر الهواء إلى التمرج فيما بينهما وأن ترجع القهقري . وقد بينا فيما سلف ما العلة في رجوع تلك الكرة قهقري ، فلتكن هي العلة في رجوع الهواء ، وقد بقى علينا أن ننظر هل الصدى هو صوت يحدث بتموج ١٠ الهواء الذي هو التمرج الثاني ، أو هو لازم لتمرج الهواء الأول المنعطف الثاني نبوا فيشبه أن يكون هو تمرج الهواء المنعطف الثاني ، ولذلك يكون على صفته وهيئته ، وأن لا يكون القرع الكائن من هذا الهواء يولد صوتا من تمرج هواء ثان يعتقد به . فلن قرع مثل هذا الهواء قرع ليس بالشديد ، ولو كان شديدا

(١) الرطب : الرطب ك .

(٥) حيث : + أن م .

(٦-٥) المتوسط ... حيث : ساقطة من م .

(٦) فللك : فللكا ك .

(٧) كذلك : لذلك ، م || للرطوبة : الرطوبة ف ، م .

(١٠) قارمه : قاربه م .

(١٢) فيكون : ويكون د ، ف || وعلى هيئته : على هيئة ك .

(١٣) بها : + إلى ك .

(١٦) التمرج : التمرج م || الثاني : الثاني م .

(١٧) الثاني : الثاني م .

(١٨-١٧) م فته وهيئته : م فته وهيئة ك .

(١٩) بالشديد : بشديد ف .

بحيث يحدث صوتا لأضر بالسمع . ويشبه أن يكون لكل صوت صدى ولكن لا يسمع ، كما أن لكل ضوء عكسا ، ويشبه أن يكون السبب في أن لا يسمع الصدى في البيوت والمنازل في أكثر الأمر أن المسافة إذا كانت قريبة بين المصوت وبين عاكس الصوت لم يسمعا في زمانين متباينين ، بل يسمعان معا كما يسمع صوت القرع الذى معه وإن كان بعده بالحقيقة . وأما إذا كان العاكس بعيدا فرق الزمان بين الصوتين تفريقا محسوسا ، وإن كان صلبا أملس فهو لتواتر الانعكاس منه بسبب قوة النبو يبقى زمانا كثيرا كما في الحمامات . ويشبه أن يكون هذا هو السبب في أن يكون صوت المغنى في الصحراء أضعف بصوت المغنى تحت السقوف أقوى لتضاعفه بالصدى المحسوس معه في زمان كالواحد . ويجب أن يعلم أن التموج ليس هو حركة انتقال من هواء واحد بعينه ، بل كالحال في تموج الماء يحدث بالتداول بصدى بعد صدى مع سكون قبل سكون ، وهذا التموج الفاعل للصوت سريع لكنه ليس يقوى الصك .

ولتشكك أن يتشكك فيقول : إنه كما قد تشككتكم في اللمس فجعلتموه قوى كثيرة لأنه يدرك متضادات كثيرة ، فكذلك السمع أيضا يدرك المضادة التى بين الصوت الثقيل والحاد ، ويدرك المضادة التى بين الصوت الخافت والجهر والصلب والأملس والمتخلل والمتكاثف ، وغير ذلك . فلم لا تجعلونه قوى ؟ فالجواب عن ذلك أن محسوسه الأول هو الصوت ، وهذه أعراض تعرض لمحسوسه الأول بعد أن يكون صوتا . وأما هناك فكل واحدة من المتضادات نحس لذاتها ، لا بسبب الآخر . فليكن هذا المبلغ في تعريف الصوت والإحساس به كافيا .

(٣) المصوت : الصوت ف .

(٥) الذى : ساقطة من د ، ك || إذا : إن ك ، م .

(٨-٩) وصوت المغنى ... كالواحد : ساقطة من م .

(١٢) يقوى : يقوى ف .

(١٤) متضادات : مضادات ك .

(١٥) والجهر : والجهر ك .

(١٦) والمتكاثف : ساقطة من د ، ك ، م .

(١٧) أن : لأن ف .

(١٨) وأما هناك : ما هناك || فكل : فكل م .

(٢٠) كافيا : + تمت المقالة الثانية من الفن السادس من الطبيعيات من كتاب النفس بحمد الله وحسن

توفيقه د ؛ + تمت المقالة الثانية من الفن السادس م .

المقالة الثالثة في الإيصار ثمانية فصول

(١) الثالثة : + من الفن السادس من الطبيعيات د ، م .

(٢) في الإيصار : وهي د .

(٣) فصول : (تذكّر نسختا د ، ك عناوين الفصول الثمانية) .

الفصل الأول

في الضوء والنسيف واللون

وحرى بنا الآن أن نتكلم في الإبصار ، والكلام فيه يقتضى الكلام في الضوء والمشف واللون وفي كيفية الاتصال الواقع بين الحاس والحسوس البصرى :

- ٥ فلتتكلم أولا على الضوء فنقول : إنه يقال ضوء ويقال نور ويقال شعاع ، ويشبه أن لا يكون بينها في وضع اللغة كثير تفاوت ، لكننا نحتاج في استعمالنا إياها أن نفرق بينها لأن ههنا معاني ثلاثة متقاربة : أحدها الكيفية التي يدركها البصر في الشمس والنار من غير أن يقال إنه سواد أو بياض أو حمرة أو شيء من هذه الألوان . والثاني الأمر الذي يسطع من هذا الشيء فيتخيل أنه يقع على الأجسام فيظهر بياض وسواد وخضرة ، والآخر الذي يتخيل على الأجسام كأنه يترقق وكأنه يستر لونها وكأنه شيء يفيض منها ، فإن كان في جسم قد استفاد ذلك من جسم آخر سمي بريقا كما يحمر في المرأة وغيرها ، وإن كان في الجسم الذي له بذاته سمي شعاعا . ولسنا نحتاج الآن إلى الشعاع والبريق ، بل نحتاج إلى القسمين الأولين ، فليكن أحدهما — وهو الذي للشيء من ذاته — ضوءا ، وليكن المستفاد نورا . وهذا الذي نسميه ضوءا ١٥ مثل الذي للشمس والنار ، فهو المعنى الذي يرى لذاته . فإن الجرم الحامل لهذه الكيفية إذا وجد بين البصر وبينه شيء كالهواء والماء رؤى ضرورة

(١) الفصل الأول : فصل ١ ف .

(٢) في ... واللون : في الإبصار والمشف واللون وكيفية الاتصال بين الحاس والحسوس

البصرى د .

(٣) الآن : ساقطة من ف || فيه يقتضى الكلام : ساقطة من م .

(٤) المشف واللون : وفي المشف وفي الكون د ؛ وفي المشف وفي اللون ك .

(٦) بينها : بينما م .

(٧) معاني : معان م || أحدها : أحدهما د .

(١٢) يحس : + به م .

(١٥) ضوءا (الأولى) : ضوءه ك || ضوءا (الثانية) : ضوءه ك .

من غير حاجة إلى وجود ما يحتاج إليه الجدار الذي لا يكتفى في أن يرى على ما هو عليه وجود الهواء والماء وما يشبههما بينه وبين البصر ، بل يحتاج إلى أن يكون الشيء الذي سميناه نورا قد غشيه حتى يرى حينئذ ، ويكون ذلك النور تأثيرا من جسم ذي ضوء فيه إذا قابله وكان بينهما جسم ليس من شأنه أن يحجب تأثير المضيء في قابل النور كالهواء والماء فإنه يعين ولا يمنع .

فالأجسام بالقسمة الأولى على قسمين : جسم ليس من شأنه هذا الحجب المذكور وليس الشاف ، وجسم من شأنه هذا الحجب كالجدار والجبل . والذي من شأنه هذا الحجب فمنه ما من شأنه أن يرى من غير حاجة إلى حضور شيء آخر بعد وجود المتوسط الشاف ، وهذا هو المضيء كالشمس والنار ومثله غير شفاف ، بل هو حاجب عن إدراك ما وراءه . فتأمل إضلال المصباح عن المصباح ، فإن أحدهما يمنع أن يفعل الثاني فيما هو بينهما ، وكذلك يحجب البصر عن رؤية ما وراءه . ومنه ما يحتاج إلى حضور شيء آخر يجعله بصفة وهذا هو الملون . فالضوء كيفية القسم الأول من حيث هو كذلك ، واللون كيفية القسم الثاني من حيث هو كذلك . فإن الجدار لا يمكن المضيء أن ينير شيئا خلفه ، ولا هو بنفسه منير ، فهو الجسم الملون بالقوة ، واللون بالفعل إنما يحدث بسبب النور ، فإن النور إذا وقع على جرم مّا حدث فيه بياض بالفعل أو سواد أو خضرة أو غير ذلك . فإن لم يكن كان أسود فقط مظلما ، لكنه بالقوة ملون إن عينا باللون بالفعل هذا الشيء الذي هو بياض وسواد وحمرة وصفرة وما أشبه ذلك . ولا يكون البياض بياضا والحمرة حمرة إلا أن تكون على الجهة التي نراها ولا تكون على هذه الجهة إلا أن تكون منيرة . ولا يظن أن البياض على الجهة التي نراها والحمرة وغير ذلك يكون موجودا بالفعل في الأجسام ، لكن الهواء المظلم يعوق عن إبصاره ، فإن الهواء نفسه لا يكون مظلما إنما المظلم هو الذي هو المستنير . والهواء نفسه وإن كان

(١١) ومثله : + فإنه ك .

(١٢) يمنع : + عن ف .

(١٤) الملون : اللون ك .

(١٦) ينير : يبين م .

(٢١) الجهة (الثانية) : الصفة ك ، ساقطة من د ، ك .

(٢٢-٢١) ولا يظن : ولا يظن م .

(٢٣) لكن : لكن ك .

ليس فيه شيء مضيء فإنه لا يمنع إدراك المستنير ولا يستر اللون إذا كان موجودا في الشيء . تأمل كونك في غار وفيه هواء كله على الصفة التي تظنه أنت مظلمًا ، فإذا وقع النور في جسم خارج موضوع في الهواء الذي تحسبه نيرا فلأنك تراه ، ولا يضررك الهواء المظلم الواقف بينك وبينه ، بل الهواء عندك في الحالين كأنه ليس بشيء ، وأما الظلمة فهي حال أن لا ترى شيئا وهو أن لا تكون الكيفيات التي إذا كانت موجودة في الأجرام التي لا تشف صارت مستنيرة فهي مظلمة ، وبالقوة فلا تراها ، ولا ترى الهواء فيتمخيل لك ما يتمخيل لك إذا أغمضت عينيك وسترتهما فتمخيل لك ظلمة مبثوثة تراها ، كما يكون من حالك وأنت محقق في هواء مظلم وليس كذلك ، ولأنك ترى وأنت مغمض هواء مظلمًا أوترى ما ترى من الظلمة شيئا في جفونك إنما ذلك أنك لا ترى .

وبالحيلة فإن الظلمة عدم الضوء فيما من شأنه أن يستنير ، وهو الشيء الذي قد يرى ، لأن النور مرئي وما يكون فيه النور مرئي ، والشاف لا يرى البتة ، فالظلمة هي في محل الاستنارة وكلاهما أعنى الحالين جسم لا يشف : فالجسم الذي من شأنه أن يرى لونه إذا كان غير مستنير كان مظلمًا ، ولم يكن فيه بالحقيقة لون بالفعل ، ولم يكن ما يظن أن هناك ألوانا ولكنها مستورة بشيء ، فإن الهواء لا يستر وإن كان على الصفة التي يرى مظلمًا إذا كانت الألوان بالفعل : لكنه إن سمي لإنسان الاستعدادات المختلفة التي تكون في الأجسام التي إذا استنارت صار واحد منها الشيء الذي تراه بياضا والآخر حمرة ألوانا ، فله ذلك ، إلا أنه يكون باشتراك الاسم . فإن البياض بالحقيقة هو هذا الذي يكون على الصفة التي ترى ، وهذا لا يكون موجودا وبينك وبينه شفاف لا يشف ، لأن الشفاف قد يكون شفافا بالفعل وقد يكون شفافا بالقوة ، وليس يحتاج في أن يكون بالفعل إلى استحالة في نفسه ، بل إلى استحالة في غيره أو إلى حركة في غيره . وهذا مثل المسلك والمنفذ فإنه لا يحتاج في أن يكون بالفعل إلى

(٥) فهي : فهو د ، ف || وهو : وهي م .

(٨) غمضت : أغمضت ف || عينيك : العينين د || تراها : تراها م .

(١٠-١١) في جفونك عدم : ساقطة من م .

(١١) الضوء أن : ساقطة من م .

(١٣) هي : ساقطة من ف .

(٢٠) لا يشف : يشف ولا تراه ف .

(٢٠-٢١) لا يشف لأن : يشف ولا يراه لأن د .

(٢١) لأن : ولأن م .

أمر في نفسه ، بل إلى وجود السالك والنافذ بالفعل . فأما الاستحالة التي يحتاج إليها الشفاف بالقوة إلى أن يصير شفافا بالفعل ، فهي استحالة الجسم الملون إلى الاستنارة وحصول لونه بالفعل . وأما الحركة فأن يتحرك الجسم المضيء إليه من غير استحالة فيه ، وقد عرفت كنه هذا فيما سلف . فإذا حصل أحد هذين تأدى المرئى فصار هذا شفافا بالفعل لوجود غيره . فمحرى بنا أن نحقق أمر هذا التآدى ، إلا أن الواجب علينا أن تؤخر الأمر فيه إلى أن نذكر شكوكا تعرضن فيما قلناه يسهل من حلها تصحيح ما قلناه .

(١) فأما : وأما ك ، م .

(٢) إلى : في م .

(٤) فيه : إليه د ؛ منه م .

(٥) هذين : + الأمرين ف || المرئى : + أيضا ك || فصار : و صار د .

(٧) يسهل : ساقطة من م .

الفصل الثاني

في مذاهب وشكوك في أمر النور والشعاع . وفي ان النور ليس مجسم بل هو كيفية تحدث فيه

- من الناس من ظن أن النور الذي يشرق من المضيء على الأجسام ليس كيفية تحدث فيها بل أجساما صغارا تكون منفصلة من المضيء في الجهات .
ملازمة لأبعاد مفروضة عنه تنتقل بانتقاله فتقع على الأجسام فتستضيء بها .
ومن الناس من ظن أن هذا النور لا معنى له البتة وإنما هو ظهور من الملون ؛
بل من الناس من ظن أن الضوء في الشمس ليس إلا شدة ظهور أونها ، لكنه يغلب البصر .
- ١٠ فيجب علينا أولا أن ننأمل الحال في هذه المذاهب . فنقول : إنه لا يجوز أن يكون هذا النور والشعاع الواقع على الأجسام من الشمس والنار أجساما حاملة لهذه الكيفية المحسوسة ، لأنها إما أن تكون شفاقة فلا يخلو إما أن يزول شفيفها بتراكمها كما تكون الأجزاء الصغار من البلور شفاقة ويكون الركام منها غير شفاف ، وإما أن لا يزول شفيفها . فإن كانت شفاقة لا يزول شفيفها لم تكن مضية ، إذ قد فرغنا من الفرق بين الشفاف وبين المضيء ؛ وإن كانت تعود بالارتكام غير شفاقة كان ارتكامها يستر ماتحتها ، وكلما ازدادت ارتكاما ازدادت سترا ، والضوء كلما ازداد ارتكاما - لو كان له ارتكام -

(١) الفصل الثاني : فصل ٢ ف .

(٢-٣) في مذاهب ... تحدث فيه : في أن النور ليس مجسم بل هو كيفية تحدث فيه وفي مذاهب وشكوك في أمر النور والشعاع ف .

(٢-٣) وفي أن ... فيه : ساقطة من د ، م .

(٤) من (الأولى) : ومن ك .

(٥) بل : + هو ك .

(٧) الملون : اللون م .

(٨) إلا : + من ك .

(١٠) أولا : ساقطة من م .

ازداد إظهارا للون . وكذلك إذا كانت هذه المضيئات في الأصل مضيئات غير شفافة ، كالنار وما أشبهها . فبين إن الشعاع المظهر للألوان ليس بجسم ، ثم لا يجوز أن يكون جسما ويتحرك بالطبع إلى جهات مختلفة . ثم إن كانت هي أجساما تنفصل من المضيء وتلقى المستنير ، فإذا غمت الكوة لم يخل إما أن يتفق لها أن تعدم أو تستحيل أو تسبق الغام . والقول بسبق الغام اعتساف ، فإن ذلك أمر يكون دفعة . والعدم أيضا بالستر من ذلك الجنس ، فإنه كيف يحكم أن جسما إذا تخلل بين جسمين عدم أحدهما . وأما الاستحالة فتوجب ما قلناه وهي أنها تستنير بمقابلة النير ، فإذا غم استحالت . فما الحاجة إن كان الأمر على هذا إلى مسافرة أجسام من جهة النير ، ولم لا تكون هذه الأجسام تستحيل بنفسها بالمقابلة تلك الاستحالة . ١٠

وأما الحجة التي يتعلق بها أصحاب الشعاع فمن ذلك قولهم : إن الشعاع لا محالة ينحدر من عند الشمس ويتجه من عند النار ، وهذه حركة ، ولا حركة إلا للجسم . وأيضا فإن الشعاع ينتقل بانققال المضيء والانتقال للجسم . وأيضا فإن الشعاع يلقى شيئا فينعكس عنه إلى غيره والانعكاس حركة جسمانية لاحالة . وهذه القياسات كلها فاسدة ، ومقدماتها غير صحيحة ، فإن قولنا : الشعاع ينحدر أو يخرج أو يدخل ، ألفاظ مجازية ليس من ذلك الشيء ، بل الشعاع يحدث في المقابل دفعة . ولما كان يحدث عن شيء عال توهم كأنه ينزل ، وأن يكون على سبيل الحدوث في ظاهر الحال أولى من التزول ، إذ لا يرى البتة في الطريق ولا يحتاج إلى زمان محسوس . فلا يخلو إما أن يكون البرهان دل على انحداره ، وأنى لهم بذلك ، وإما أن يكون الحس هو الدال عليه ، ٢٠

(١) لون : الضوء د .

(٤) الكرة : الكرة ك .

(٦) بالستر : بالسبق م || الجنس : المحتبس م .

(٧) وأما الاستحالة : والاستحالة د .

(٨) تستنير : مستنير م .

(٩) : النير المنير ف .

(١١) الحجة : الحجج ف .

(١٢) ولا حركة : ساقطة من م .

(١٣) الجسم (الأولى) : الجسم م .

(١٧) عن : من ك .

(١٩-٢٠) البرهان يكون : ساقطة من م .

وعليه معولهم . وكيف يدل الحس على حركة معحرك لا يحس بزمانه ولا يحس في وسط المسافة .

- وأما حديث انتقال الشعاع ، فليس هو بأكثر من انتقال الظل . فيجب أن يكون الظل أيضا جسما ينتقل . وليس ولا واحد منهما بانتقال ، بل بطلان وتجدد . فإنه إذا تجددت الموازاة تجدد ذلك ، فإن ارتكب مرتكب أن الظل أيضا ينتقل . فليس يخلو إما أن ينتقل على النور وإما أن يكون النور ينتقل أمامه وخلفه ، فإن كان ينتقل على النور ويغطي النور ، فلنفرض النور المغطى لجميع الأرض لا انتقال له وإنما يغطيه الظل ، فيكون دعوى انتقال النور قد فسد . وإن كان النور ينتقل أمام الظلمة حتى تنتقل الظلمة فلنفرض المضيء واقفا ، ومعلوم أنه إذا كان واقفا وقف معه النور ، وهذا يدعو إلى أن تكون حركة ذى الظل سببا لطرده النور ، ويمكن عدة منهم أن يطردها النور أيضا من الجهات المختلفة والمضيء واقف فيظلم الموضع حينئذ ، أو يكون للنور إذا هرب من الظل طفر من خلف فعاد إلى حيث فارقه الظل ، وهذه كلها خرافات ، بل لا الظل يفسخ النور ولا هو ولا النور بجسم ، وإن كان لها انتقال فذلك بالتجدد لا أن شيئا واحدا بعينه ينتقل .
- ١٠

- وانعكاس الشعاع أيضا لفظ مجازي ، فإن من شأن الجسم إذا استنار وكان صقيلا أن يستنير عنه أيضا جسم يحاذيه من غير انتقال البتة . وأما المذهب الآخر وهو المذهب الذى لا يرى لهذا النور معنى ، بل يجعله اللون نفسه إذا ظهر ظهورا بينا ، فإن لأصحابه أن يقولوا : إن الذى يفسر في هذا الباب ما يتخيل مع اللون من بريق يلزم الملونات وليس ذلك البريق شيئا في المرئى نفسه ، بل أمر يعرض للبصر بالمقايضة بين ما هو أقل ضوءا وما هو أشد ضوءا . وشدة ظهور اللون لشدة تأثير الشيء المضيء ، فإن الإنارة التى من السراج أقل قليلا من الإنارة التى من القمر ، والإنارة التى من القمر الذى هو الفمخت أقل قليلا من الإنارة التى
- ٢٠

(١) بزمانه ولا يحس : ساقطة من د .

(٢-١) ولا يحس في وسط : ولا في وسط م .

(٤) ولا : ساقطة من م . (٥) فإنه إذا : فإذا م .

(١٠) يدعو : يدعو ف .

(١٢) للنور : النور د ، م .

(١٤) لا أن : لأن م .

(١٩) يفسر : نعتبرف .

(٢١) ضوءا (الأولى والثانية) : ضوء ك .

(٢٣) الذى هو : التى هى ف ، ك .

في البيوت المستورة نهارة عن الشمس : بل عن المواضع ذوات الظل التي ليس فيها شعاع الشمس . وذلك لأن الفمخت يبطل في ظل البيوت إذا طلعت الشمس فيتلاشى ، ويكون ما يبصر فيها أقوى مما يبصر في الفمخت ، والناس لا يرون لما كان في الظل وإن كان منيرا براقية وشعاعية البتة ، ويرون أن نور السراج يفعل في الأجسام بريقا ، ونور القمر في الليل يفعل ذلك ، وذلك بالقياس إلى الظلمة الليلية . فإن الظلمة الليلية تخيل ذلك القدر أنه شعاع براق : وليس ذلك إلا ظهورا مما من اللون . والذي للشمس أقوى وأشد تأثيرا . فليرنا مرى من مثبتي شيء سوى اللون أن على الحائط الأبيض شيئا غير البياض وغير ظهيرة يسمى ذلك الشيء شعاعا . فإن قابس مقاييس ذلك بالظل على الحائط ، فذلك الظل بسبب ظلمة ما يخفى لنا من البياض ما كان يجب أن يظهر ، وكأنه خلط من الظلمة التي لا معنى لها إلا خفاء أو زيادة خفاء . كما أن الله لا معنى له إلا ظهور أو زيادة ظهور .

ومن هؤلاء قوم يرون أن الشمس ليس ضوءها إلا شدة ظهور لونها ، ويرون أن اللون إذا بهر البصر لشدة ظهوره رؤى بريق وشعاع يخفى اللون لعجز البصر لا الخفائه في نفسه ، وكأنه يفتر البصر عن إدراك الحللى ، فإذا انعكس ذلك رؤى لون .

قالوا : والحيوانات التي تلمع في الليل إذا لمعت لم يحس لونها البتة وإذا كان نهارة كان لها لون ظاهر ولم يكن فيها لمعان ، فذلك اللعان هو بسبب شدة ظهور ألوانها لا غير حتى يرى في الظلمة ، ويكون في غاية القوة حين يظهر في الظلمة فيبهز البصر إذا كانت الظلمة أضعفه ، فإذا أشرقت الشمس غلب

(١) المستورة : المنورة كـ .

(٣) . يكون : ساقطة من د || لما كان : أن د .

(٤) براقية : براق د ، م ؛ براقك .

(٥) في الليل : ساقطة من م || وذلك : + بسبب ف .

(٧) مرى : مرى ؛ مرئى لك || مثبتي : + النور كـ .

(٨) أن مل : عل أن م .

(١٠) ما يخفى : يخفى م || لنا : لها م .

(١٢) أو زيادة : وزيادة م .

(١٧) قالوا : بألوان م || والحيوانات : الحيوانات م || إذا لمعت : إذا لمعت د || لونها : بلونها د .

(١٨) نهارة : نهارة ف || لها : ساقطة من ك || : فذلك : قد د .

(١٨-١٩) هو بسبب شدة : هو بشدة م .

(١٩) يرى : روى م .

(٢٠) إذا : إذ ف .

ظهورها ظهور ذلك فعاد لونها . والبصر لم يتحير له ، لأن البصر قد اعتاد لقاء الظاهرات واشتد بطلوع الشمس .

ومنهم من قال : ليس الأمر على هذه الصفة ، بل الضوء شيء واللون شيء . لكنه من شأن الضوء إذا غلب على البصر أن يستر لون ما فيه . والشمس أيضا لها لون ، ومع اللون ضوء فيستر الضوء اللون باللمعان كما للقمر ، وكما للسنجة السوداء الصقيلة إذا لمعت رؤيت مضيئة ولم ير سوادها .

قالوا : وهذا غير النور . فإن النور هو ظهور اللون لا غير ، والضوء ليس هو ظهور اللون بل شيء آخر وقد يخفى اللون . وإن هذه اللوامع في الليل يظهر نورها في الظلمة فيخفى لونها ، وإذا ظهرت الشمس غلب نورها وخفى وظهر لونها . فبالحرى أن نتأمل هذا المذهب مع فروعه المذكورة .

١٠

(١) ظهورها : ساقطة من م .

(٥) السنجة : السبجة ف .

(٧-٨) لا غير ... اللون : ساقطة من د .

(٨) اللون : + لا غير ك .

(٩) لونها : ساقطة من د .

(١٠) وظهر : فظهر م .

الفصل الثالث

في تمام مناقضة المذهب البطلة لأن بكرت النور شيئا غير اللون الظاهر وكلام في الشفاف والدمع

فنتقول : إن ظهور اللون يفهم منه في هذا الموضع معنيان :
أحدهما صيرورة اللون بالفعل ، والآخر ظهور لون موجود بنفسه
بالفعل للعين : والمعنى الأول يدل على حدوث اللون أو وجوده لونا ،
والمعنى الثاني يدل على حدوث نسبة اللون أو وجود تلك النسبة : وهذا
الوجه الثاني ظاهر الفساد : فإن ظن أن النور نفس نسبة اللون إلى البصر ،
فيجب أن يكون النور نسبة أو حدوث نسبة ولا وجود ولا قوام له في
نفسه . وإن عني به أنه مصير اللون بحيث لو كان بصرا لراه أو كونه كذلك ،
فلما أن يكون هذا نفس اللون أو معنى يحدث إذا زال معنى من خارج
كزوال ستر أو غيره . فإن كان نفس اللون كان هذا هو الوجه الأول ،
وإن كان حالا تعرض له بها يظهر فيكون الضوء غير اللون . وأما المعنى الأول
فلا يخلو أيضا . إما أن يعنى بالظهور خروج من القوة إلى الفعل فلا يكون الشيء
مستغنيا بعد ذلك الآن الواحد ، وإما أن يعنى به نفس اللون ، فيكون
قوله الظهور لا معنى له أيضا ، بل يجب أن يقال : إن الاستنارة هو اللون ،

(١) الفصل الثالث : فصل ٣ ف .

(٢-٣) في تمام ... واللامع : في الكلام على الملامح المختلفة في ذلك د .

(٢) تمام : ساقطة من م .

(٧) تلك : ذلك م .

(٩) ولا وجود ولا قوام : ولا قوام وجود د ، ف ، م || في : ساقطة من م .

(١٠) أنه : ساقطة من م || بصرا : بصر ف || لراه : يراه م .

(١١) إذا زال : إدراك م .

(١٣) بها : به د ، ك ، م .

(١٥) الآن : إلا أن م .

(١٦) أيضا : ساقطة من د .

أول معنى به حال تقارن اللون إما دائما وإما وقتا مآ ، حتى يكون اللون شيئا يعرض له النور تارة وتعرض له الظلمة أخرى . واللون في الحالين موجود بالفعل ، فإن كان نفس نسبه إلى ما يظهر له عاد إلى المذهب الآخر ، وإن كان شيئا آخر عاد إلى ذلك أيضا .

- فإن قررنا الأمر على أن الضوء وإن كان نفس اللون فيكون كأن الضوء هو اللون نفسه إذا كان بالفعل ، فلا يخلو إما أن يكون الضوء مقولا على كل لون بالفعل ، أو يكون البياض وحده لونا . فيكون السواد ظلمة . فيستحيل أن يكون الجسم الأسود مشرقا بالضوء ، لكن هذا ليس بمستحيل ، فإن الأسود يشرق وينور غيره فليس الضوء هو البياض وحده ، وإن لم يكن الضوء هو البياض وحده ، بل كل لون كان بعض ما هو ضوء يضاد بعض ما هو ضوء ، ولكن الضوء لا يقابله إلا الظلمة ، هذا خلف . وأيضا فإن المعنى الذى به الأسود مضى غير سواده لا محالة ، وكذلك هو غير البياض ، واللون أعنى طبيعة جنسه الذى فى السواد هو نفس السواد ، واللون الذى فى البياض هو نفس البياض لا عارضا له ، فليس اللون المطلق الجنسى هو الضوء . وأيضا فإن الضوء قد يستنير به الشفاف ، كالماء والبللور إذا كان فى ظلمة فوقه عليه الضوء وحده دل عليه وأشرف ، فهذا ضوء وليس بلون . وأيضا فإن الشيء يكون مضىئا وملونا ، فقارة يشرق منه على شيء آخر الضوء وحده كما يشرق على ماء أو حائط ، وتارة يشرق منه إذا كان قويا الضوء مع اللون جميعا حتى يحمر الماء أو الحائط الذى يشرق عليه أو يصفره . فلو كان الضوء ظهور اللون وكانت الظلمة خفاء اللون ، لكان تأثير اللون الأحمر فيما يقابله حمرة لا بريقا ساذجا ، فإن كان هذا ظهور لون آخر ، فلم إذا اشتد فعل فيما يقابله إخفاء لونه بأن ينقل لون هذا القوى اللون إليه . وعلى أن مذهب هذا الإنسان يوجب أن الخضرة أو الحمرة

(٢) الحالين : الحالين م || موجود : موجودا ك .

(٤) أيضا : ساقطة من م .

(٨) هذا ليس : ليس هذا ك .

(٩) الضوء : الصور م .

(١٥) الشفاف : الشفاف م .

(١٦) فهذا : وهذا م ، + هو ك || بلون : يكون م .

(٢٣) الخضرة أو الحمرة : الخضرة والخضرة د ، الحمرة والخضرة ف .

وغير ذلك محتلفة من ظهورات بياضية وخفائف سوادية . فيلزم من ذلك أنه إذا كان جسم ظاهر اللون بشعاع وقع عليه ثم انعكس على المعنى الذى نفهمه ضوء جسم آخر ذى لون أن لا يقع لونه عليه ، لأنه لا يخلو إما أن يكون ذلكا المستنير المنير لغيره الأجزاء الظاهرة اللون وحدها أو مع غيرها . فإن كانت وحدها فهى إنما توجب ظهور اللون فى تلك بأن تبيض لإخفاء اللون بأن تحمر أو تخضر ، وإن كانت مع غيرها حتى كانت الظاهرة اللون والخفية اللون تفعلا جميعا هذه إخفاء وتلك إظهارا . فيكون لخفاء اللون تأثير فى المقابل . لكن خفاء اللون ليس له هذا التأثير ، ألا ترى أنه إذا كان خفاء لون مجرد لم يؤثر فيما يقابله كما يؤثر ظهور اللون الذى يقولون به لو كان مفردا ؟ ١٠

فإن قالوا : إن اللون ظهور الحمرة أيضا والخضرة وغير ذلك من حيث هو حمرة وخضرة وإن الخضرة إذا اشتد ظهورها فعلت مثل نفسها ففعلت خضرة وحمرة . فيقال : ما باله إذا كان قليل الظهور أظهر اللون فيما يقابله على ما هو عليه على المعنى الذى هو ضوء مجرد فقط ، وفعل مثل ما يفعله مضىء لو لم يكن له لون ، فإذا اشتد ظهوره أبطله أو أخفاه بلون نفسه ، فكان يجب أول الأمر أن يكون إنما يفعل فيه لونا من لونه قليلا ، ثم إذا اشتد فعل فيه كثيرا ، وكان كل فعل يفعله إنما هو إخفاء لون ذلك بمزجه بلونه وليس كذلك ، بل يظهر أول شيء لونه إظهارا ١٥

(١) بياضية : ساقطة من د ، ف ، م .

(٢) على : ساقطة من م .

(٤) المنير : ساقطة من م .

(٥) اللون : ساقطة من د .

(٧) الظاهرة : ظاهرة || هذه إخفاء وتلك إظهارا : هذا خفاء وذلك إظهارا د ، ك ؛ هذا إخفاء وذلك إظهارا م .

(٨) المقابل : التقابل م .

(١٠) مفردا : منفردا ك .

(١٢) هو : هى ف || الخضرة : الحمرة والخضرة ف .

(١٣) حمرة وخضرة : حمرة أو خضرة م || فيما : فى الذى م .

(١٥) لو لم : أو لم م || أبطله : أبطل م .

(١٦) فكان : وكان ف ، م .

(١٧) إذا : إن ك || وكان : فكان ك ، م .

- شديداً : وإنما يظهر فيه اللون الذى فى استعدادده مالم يحضر مضيء لا خضرة ولا حمرة فى فعله ، ثم يعود بعد ذلك إذا صار أقوى ظهوراً آخذاً فى إبطال لونه وإخفائه وإلباسه لونا آخر ليشتد فى جبلته ولا طبيعته . فيكون إذن أحد الفعلين عن شيء غير الآخر ، فيكون مصدر أحد الفعلين عن الضوء الذى لو كان الجسم لا لون له واه ضوءه لكان يفعل ذلك مثل باورة مضيئة ، والفعل الآخر يكون من لونه إذا اشتد ظهوره بسبب هذا الضوء حتى صار متعدياً . فلنا وإن كنا نقول : إن الضوء ليس هو ظهور اللون . فلا نمنع أن يكون الضوء سبباً لظهور اللون وسبباً لنقله . ونقول : إن الضوء جزء من جملة هذا المرفق الذى نسميه لونا ودو شيء إذا خالط اللون بالهوة حدث منهما الشيء الذى هو اللون بالفعل بالامتزاج . فإن لم يكن ذلك الاستعداد كانت إنارة وبريقاً مجرداً . فالضوء كجزء من الشيء الذى هو اللون ومزاج فيه ، كما أن البياض والسواد لهما اختلاط مما يحدث عنه تلك الألوان المتوسطة .

- وأما قول القائل : إن الضوء واللمعان أيضاً ليس إلا ظهور اللون ، ثم قواه فى الأشياء اللامعة فى الليل ما قاله ، فيبطل بأن السراج والقمر كثيراً ما يبطلان لمعان تلك ويظهران ألوانها . فيجب أن يكون نور السراج أشد ظهور لون ، فيجب أن يكون أيضاً ما يصير بالسراج ظاهر اللون لا يرى له فى الظلمة لون . وليس الأمر كذلك ، فإن اللامعات يرى لونها أيضاً بالليل كما يرى بريقها . فليس ما قالوه بحق . وأما القائل بأن للشمس والكواكب ألواناً وأن الضوء يخفى لونها ، فيشبه أن يكون الحق أن بعض الأشياء يكون له فى

(٢) أقوى : أخرى م || آخذاً : يأخذ .

(٣) ولا : + فى ك .

(١٠) بالامتزاج : بالامزاج م .

(١١) فالضوء : بالضوء د .

(١٢) فيه : منه م .

(١٤) أيضاً : ساقطة من م .

(١٨) لون : لونه د ، ك || وليس الأمر : والأمريلى ف .

(١٨) لونها : ساقطة من م .

(١٩) بأن : إن د ، ف .

ذاته لون فإذا أضواء اشتدت لإضاءته حتى يبهل البصر فلم يميز اللون ، ومنه ما يكون له مكان اللون الضوء وهو الشيء الذي يكون الضوء له طبيعيا لازما غير مستفاد ، وبعض الأشياء مختلط الجوهر من ذلك الأمر ، إما اختلاط تركيب أجزاء مضيئة وأجزاء ذوات ألوان كالتار ، وإما اختلاط امتزاج الكيفيات كما للمريخ ولزحل .

• وليس يمكنني أن أحكم في أمر الشمس الآن بشيء فقد عرفنا حال الضوء وحال النور وحال اللون وحال الإشفاف . فالضوء هو كيفية هي كمال بذاتها للإشفاف من حيث هو شفاف ، وهو أيضا كيفية مّا المبصر بذاته لا بعلة غيره . ولا شك أن المبصر بذاته أيضا يحجب عن إبصار ما وراءه ، والنور كيفية يستفيد بها الجسم غير الشفاف من المضيء فيكمل بها الشفاف شفافا بالفعل . واللون كيفية تكمل بالضوء من شأنها أن يصير الجسم مانعا لفعل المضيء فيما يتوسط ذلك الجسم بينه وبين المضيء . فالأجسام مضيئة وملونة وشفافة .

ومن الناس من قال : إن من الأجسام ما يرى بكيفية في ذاته ومنها ما يرى بكيفية في غيره ، وجعل القسم الآخر هو الشفاف . وأما القسم الأول فقد جعله أولا قسمين : أحدهما ما يرى في الشفاف بذاته وبحضوره وهو المضيء ، وثانيهما ما ليس كذلك . ثم قسم هذا بقسمين : أحدهما ما يشترط في رؤيته الضوء مع شرط المشف وهو الملون ، والثاني ما يشترط في رؤيته الظلمة مع شرط المشف كالحيوانات التي تلمع في الليل من حيث تلمع كاليراعة ، وبعض الحشب المتعفن وبعض الدود . وقد رأيت أنا بيضة دجاجة بهذه الصفة ، وجرادة ميتة بهذه الصفة ، وصرارة ميتة بهذه الصفة .

(١) لون : لون لون م .

(٢) مختلط : مختلط ك .

(٤) وأجزاء : أجزاء م || وازحل : والزلحل ك .

(٥) الضوء : الصور م .

(٦) وحال اللون : ساقطة من || م فالضوء : والضوء م .

(٧) لا بلمة : لا لمة د ، ف .

(٨) إبصار : إبصارنا م || يستفيدها : يستفيد د || غير : الغير د ، ف ، ك .

(١٢) ذاته : ذاتها د ، ك .

(١٣) غيره : غيرها د ، ك || الآخر : الأخير م .

(١٤) بذاته : لذاته ف ، م .

(١٥) قسم : قسموا د ، ك .

(١٨) المتعفن : المتعفن م .

(١٩) وصرارة ... الصفة : ساقطة من ك .

- وليست هذه القسمة بمرضية ولا صحيحة ، فإن المضيء يرى لذاته في الظلمة وفي الضوء جميعا . فإن اتفق أن كان الرائي في الضوء الذي يفعله رؤى ، وإن اتفق أن لم يكن فيه رؤى أيضا ، كالنار يراها الإنسان في الضوء سواء كان ضوءها أو ضوء غيرها ويراها في الظلمة . وأما الشمس فإنما ليس يمكننا أن نراها في الظلمة بسبب أنها حيث تكون مقابلة لبصر الرائي تكون .
- قد ملأت العالم ضوءاً ولم تترك مكاناً مظلماً . وأما الكواكب فإنها إنما ترى في الظلمة ، لأن ضوءها يقصر عن ضوء الشمس فلا تضئ الأشياء ولا تنورها ، بل لا يمتنع أن توجد فقد يمكن أن تكون ومعها ظلمة فترى في الظلمة لا لأن الظلمة سبب لأن ترى هي باللات ، بل يجب أن يعلم أن بعض الأنوار يغلب بعضها حتى لا يرى ، كما أن ضوء الشمس يغلب ضوء النار الضعيفة وضوء الكواكب فلا ترى مضيئة عند ضوء الشمس فلا ترى ، لا لأجل الحاجة في رؤيتها إلى الظلمة ، بل للحاجة إلى أن تكون في أنفسها مضيئة غير مظلمة بالقياس إلى أبصارنا . فإذا كانت الشمس غائبة ظهرت ورؤيت ، لأنها صارت مضيئة بالقياس إلى أبصارنا ولحال في أبصارنا . وربما كان حكم النار والقمر عند ضوء مّا هو أضعف منهما هذا الحكم بعينه . ويجب في ذلك الضوء أن لا يكون موجودا بالقياس إلينا عند ظهور نار أو قمر ، فيلزم أن تكون ظلمة حتى يظهر ، أو يلزم أن لا يكون باهرا حتى يرى ويتمكن البصر من إدراكه . وأنت تعلم أن الهباء الذي في الجو ليس من جنس ما لا يرى المستنير منه إلا في الظلمة ، لكن إن كان الإنسان في الظلمة وقد وقع على هذه الهباءات شعاع الشمس أمكن أن ترى تلك الهباءات ، وإن كان الإنسان في الشعاع لم يمكن ، وذلك لأمر في بصر الإنسان لا لأمر في ضوء الهباءات ، فإن بصر الإنسان إذا

(٣) رؤى (الأولى والثانية) : رأى ك ، م .

(٧) لأن : أن م .

(١٠) الأنوار : الألوان م .

(١٢) فلا ترى (الأولى) : ولا ترى ك || ضوء : ساقطة من ف .

(١٥) ولحال : والحال م .

(١٧) موجودا : موجود د ؛ موجودة م .

(١٨) باهرا : باهر د ، ف .

(٢١) وإن : إن م .

(٢٢) لا لأمر : لا أمر م .

كان مغلوبا بضوء كثير لم يرها ، وإن لم يكن مغلوبا رآها . وكذلك هذه اللوامع في الليل ليست جنسا آخر ، بل هي المضيئات وتخالفها لا في جملة الطبع ، بل في الضعف ، ولو كانت هذه مخالفة للمضيئات في جملة الطبع ، فالكواكب كذلك . ولا يتحصل لهذه القسمة محصل صادق ، إلا أن يقال : إن بعض المضيئات باهرة لبعض وبعضها مبهورة لبعض . ومعنى ذلك البهر ليس تأثيرا منها فيها ، بل في إبصارنا ، كما أن بعض الصلابات أصلب وبعضها أضعف فلا يجب إذن أن يقال : إن اللوآقي تلمع في الليل نوع أو جنس مفرد خارج عن الملونات والمضيئات ، بل هي من جملة المضيئات التي يهرها ما فوقها في الإضاءة فلا ترى معها لعجز إبصارنا حيثئذ ، بل إنما يقوى عليها إبصارنا عند فقدان سلطان البادرة لإبصارنا من المضيئات . ١٠

فإن ذهبوا إلى هذا فالقسمة جيدة ، إلا أنهم ليسوا يذهبون إلى هذا بل يوهمون أن المضيئات طبقة ، والملونات طبقة ، وهذه طبقة .

(٣) فالكواكب : بالكواكب م .

(٦) مزا : ساقطة من م .

(٧) نوع : أنواع م .

(٨) يهرها : يهرها م .

الفصل الرابع

في تأمل مذاهب قيلت في الألوان وصورها

ومما يجب أن نفرغ عنه تأمل مذهب آخر في أمر الألوان والضوء ، فلما لم نفرغ عنه لم يكن سبيل إلى أن ندل على صحة ما ذهبنا إليه بطريق القسمة :

- فنبقول : إن من المذاهب في أمر الألوان مذهب من يرى أن اللون الأبيض إنما هو تكونه من الهواء والضوء ، وأن الأسود تكونه من ضد ذلك ، وأن حدوث اللون الأبيض هو من الشفاف إذا انقسم إلى أجزاء صغار ثم ارتكمت فإنه يعرض هناك أن تقبل سطوحها النور فتضيء ، ولأنها شفافة يؤدي بعضها لإضاءة بعض ، ولأنها صغار يكون ذلك فيها كالم متصل ، ولأن المشف لا يرى إلا بلون غيره ، فإن شفيفها لا يرى ، لكن العكس عن السطوح المتراكمة منها ترى متصلة فيرى الجميع أبيض .
- قالوا : ولهذا ما كان زبد الماء أبيض بمخالطة الهواء ، والثلج أيضا أبيض لأنه أجزاء صغار جامدة شفافة خالطها الهواء ونفذ فيها الضوء ، والباور المسحوق والزجاج المسحوق لا يشف ، وأي هذه اتصلت سطوحها اتصالا لا يبطل به انفراد كل شخص منها بنفسه عادت شفافة ، والشفاف الكبير الحجم إذا عرض فيه شق رمى ذلك الموضع منه إلى البياض . قالوا : فأما السواد فيتمخيل لعدم غور الجسم وعمقه الضوء والإشفاق معا .

ومنهم من جعل الماء سببا للسواد . قال : ولذلك إذا بليت هذه الأشياء مالت إلى السواد . قال : وذلك لأن الماء يخرج الهواء ولا يشف إشفاقه ولا ينفذ فيه

(١) الفصل الرابع : فصل ٤ ف .

(٣) عنه (الأولى) : منه م || فإننا : ساقطة من د ، ك ، م .

(٤) سبيل : + لنا ف .

(٥) اللون : الكون م .

(٥-٦) إنما هو : أما م .

(٨) فتضيء : وتضيء د || بعض : ساقطة من د .

(١٢) لا يبطل : يبطل ف .

(١٥) رمى : رؤى د ، ك ، م .

(١٧) بليت : ابليت ف || هذه : ساقطة من د ، ف .

(١٩) قال : قالوا د ، ف ، م .

الضوء إلى السطوح فتبقى مظلمة . ومنهم من جعل السواد لونا بالحقيقة وأصل الألوان . قال : ولذلك لا ينسلخ ، وأما البياض فعارض للمشف بتراكمه ولذلك يمكن أن يصبغ . ولا يبعد أن يكون المنهّب الأول في السواد يؤدي إلى هذا المذهب أيضا ، إذ جعل السواد حقيقة ما لا يشف من جهة ما لا يشف وهو حقيقة اللون المنعكس عنه .

وقال قوم : إن الأسطوانات كلها مشفة ، وإنما إذا تركبت حدث منها البياض على الصفة المذكورة ، وبأن يكون ما يلي البصر سطوحا مسطحة من المشف فينفذ فيها البصر ، وأن السواد يعرض إذا كان ما يلي البصر من الجسم زوايا تمنع الإشفاف للأطراف التي تقع فيها فهي وإن أضاءت فيها لا ينفذ فيها الضوء نفوذا جيدا فتظلم .

والذي يصعب من هذه الجملة فصل القول فيه تولد البياض من الضوء ، وكون السواد لونا حقيقيا . فلما نعرف أن المشفات تبيض عند السحق والخلط بالهواء ، وكذلك اللخالخ ، والناطف يبيض لاجتماع احتقان الهواء فيه مع الإشفاف الذي في طبعه ، ونعلم أن السواد لا يقبل لونا البتة كما يقبل البياض ، فكأن البياض لإشفافه موضوع معرى مستعد ، والمعري عن الكيفيات قابل لها من غير حاجة إلى إزالة شيء ، والمشغول بواحدة لا يقبل غيرها إلا بزوالها . فهؤلاء قوم يجعلون مخرج الألوان من الإشفاف وغير الإشفاف . ويلزاه هؤلاء قوم آخرون لا يقولون بالإشفاف البتة ، ويرون أن الأجسام كلها ملونة ، وأنه لا يجوز أن يوجد جسم إلا وله لون . ولكن الثقب والمنافذ الخالية إذا كثرت في الأجسام نفذ فيها الشعاع الخارج من المضيء إلى الجهة الأخرى ، ونفذ أيضا شعاع البصر فيرى ما وراءها .

(١) وأصل : وهو أصل ك ، ومن أصل م .

(٤) إذ : إذا ، د ، ك .

(٦) الأسطوانات : الاستقصات ف ، م .

(٩) فيما : في باد ، ك ، م .

(١٠) فتظلم : تظلم د ، ف ، ك .

(١١) وكون : ولون م .

(١٢) احتقان : احتقان ف .

(١٤) كا : + أن د ، ف ، م || يقبل البياض : البياض يقبل د ، ف ، م .

(١٥) معرى : ومعري ك .

(١٩) ولكن : وليكن م .

(٢٠) فيرى : فرؤى د ، ك ، م || ما وراءها : ما وراء د ، م .

فأما المذهب الأول فلإننا نقول : لعمري إنه قد يظهر من دق المشف وخاطه بالهواء لون أبيض ، ولكن إنما يكون ذلك لا في جسم متصل ومجتمع ، بل إنما يظهر ذلك اللون في الركام منه ، وأنه إذا جمع وبل زال عنه البياض عند الاجتماع والجفوف . وليس الجص على ما ظنه ويوجبه غالب ظني أن ما يبيض بياضه لذلك فقط ، بل لأن الطبخ يجعله بحيث إذا بل ثم جف أبيض بياضا شديدا بمزاج يحدث فيه . والدليل على ذلك أنه لو كان فعل النار في الجص ليس إلا تسهيل التفريق ، وأن تسهيل التفريق قد يوصل إلى الهيئة التي ذكر أنها سبب لكون البياض ، لكان السحق الكثير المؤدى إلى غاية تصغير الأجزاء يفعل ذلك الفعل في الجص وفي النورة وفي غيره ، ولكان المهيب بالسحق والتحويل إذا اجتمع بالماء فعل فعل الجص من البياض ، وليس كذلك .

- ١٠ . ثم لنفرض أن الجص يتكون فيه ذلك البياض على الصورة المذكورة ، فليس كل بياض يحدث على هذه الصفة ، فإن البيض إذا سلق يصير بياضه الشفاف أبيض وليس يمكن أن يقال إن النار زادته تخلخلا وتفرقا فلإنها قد زادته تكاثفا على حال ، ولا أنه قد حدث فيه هوائية وخالطته . فأول ذلك أن بياض البيض يصبر عند الطبخ أثقل وذلك لما يفارقه من الهوائية . وثانيا أنه لو كانت هوائية داخلت رطوبته فيبيضته لكانت خثورة لا انعقادا ، وقد علمت هذا قبل . وأيضا فإن الدواء الذي يتخذونه أهل الحيلة ويسمونه لبن العنواء يكون من خل طبخ فيه المر داسنج حتى انحل فيه ، ثم صفي حتى بقي الخل في غاية الإشفاف والبياض ، وخلط بماء طبخ فيه القلي ، وصفي غاية التصفية حتى صار كأنه دمة . فإنه إن قصر في هذا لم ياتم منها المزاج الذي يطلبونه . فكما يخلط هذان الماءان يتعقد فيه المنحل الشفاف من المرتك ٢٠ . أبيض في غاية البياض كاللبن الرائب ، ثم يحف ، فليس ذلك لأن هناك شفاقا

(١) قد : ساقطة من م .

(٤) أن ما : إنما م .

(٥) شديدا بمزاج : شديد المزاج م .

(٧) وأن : فإن ف || وأن تسهيل التفريق : ساقطة من د ، م .

(١٠) البياض : ساقطة من م . (١١) يتكون : متكون ف .

(١٣) وتفرقا : وتفريقاف || فلإنها : فإنه د ، ك ، م || زادته (الثانية) : زاده د ؛ زاد م ||

تكاثفا : تكاثفم .

(١٤) فأول : وأول د .

(١٥) لا : بما ك .

(٢٠) فكما : وكما م .

عرض له التفرق ، فإن ذلك كان متفرقا منجلا في الخل ولا أجزاء مشقة صفارا جدا تدانت وتقاربت ، بل إن كان ولا بد فقد ازدادت في ماء القلي تفرقا ولا أيضا خالطها هواء من خارج بوجه من الوجوه ، بل ذلك على سبيل الاستحالة ، فليس كل تولد بياض فيما أحسب على الصفة المذكورة .

ولو لم يكن البياض إلا ضوءا والسواد إلا ما قيل ، لم يكن تركيب السواد والبياض إلا أخذنا مسلكا واحدا . بيان هذا أن البياض يتجه إلى السواد قليلا قليلا من طرق ثلاثة : أحدها طريق الغبرة وهو الطريق الساذج ، فإنه إذا كان السلوك ساذجا يتوجه إلى الغبرة ثم منها إلى العودية ، ثم كذلك حتى ايسود . فيكون سالكا طريقا لا يزال يشتد فيه السواد وحده يسيرا يسيرا حتى يمحض . والثاني الطريق الآخذ إلى الحمرة ، ثم إلى القتمة ، ثم إلى السواد . والثالث الطريق الآخذ إلى الخضرة ، ثم إلى النياية ، ثم إلى السواد . وهذه الطرق إنما يجوز اختلافها ، لجواز اختلاف ما تتركب عنه الألوان المتوسطة . فلن لم يكن إلا بياض وسواد ، ولم يكن أصل البياض إلا الضوء وقد استحال ببعض هذه الوجوه ، لم يمكن في تركيب البياض والسواد إلا الآخذ في طريق واحد لا يقع الاختلاف إلا فيه وقوعا بحسب النقص والاشتداد فيه فقط ، ولم تكن طرق مختلفة . فلن كانت طرق مختلفة ، فيجب أن يكون شوب من غير البياض والسواد مع أن يكون شوبا من مرثى وليس في الأشياء شيء بظن أنه مرثى ، وليس سوادا ولا بياضا ولا مركبا منها إلا الضوء عند من يجعل الضوء شيئا غيرهما . فلن بطل مذهبه امتنع استحالة الألوان في طرق شتى ، وإن أمكنت هذه الاستحالة

-
- (١) صفارا : صفار م .
 - (٢) من (الأولى) : ساقطة من م .
 - (٤) أحسب : حسب ك .
 - (٥) ولو لم : ولم م .
 - (٦) بيان : بأن م .
 - (٧) الطريق : طريق م .
 - (٨) يتوجه : + منها ك ، م .
 - (٩) حتى : ساقطة من م .
 - (١٠) القتمة : القيمة م .
 - (١٣) لم : ولم ك .
 - (١٤) إلا فيه : فيه إلا ك || إلا : ساقطة من م .
 - (١٥) فإن ... مختلفة : ساقطة من م .
 - (١٨) أمكنت : أمكنه م .

وجب أن يكون مرئى ثالث خارج عن أحكام البياض والسواد ، ولا وجه أن يكون هذا المرئى الثالث موجودا إلا أن يجعل الضوء غير اللون . فمن ههنا يمكن أن تركيب الألوان فيكون البياض والسواد اذا اختلطا وحدهما كانت الطريقة هى طريقة الاغبرار لا غير ، فإن خالط السواد ضوء فكان مثل الغمامة التى تشرق عليها الشمس ومثل الدخان الأسود تخالطه النار ، كان حمرة إن كان السواد غالبا ، أو صفرة إن كان السواد مغلوبا وكان هناك غلبة بياض مشرق . ثم إن كان هناك صفرة خلطت بسواد ليس فى أجزائه إشراق حدثت الخضرة . وبالحملة إذا كان الأسود أبطن والمضى أظهر والحمرة بالعكس ، ثم إن كان السواد غالبا فى الأول كانت قتيمة ، وإن كان السواد غالبا فى الثانى كانت كراثية تلك الشديدة التى لا اسم لها ، وإن خلط ذلك ببياض كانت كهوبة زنجارية ، وإن خلط بالكراثية سواد وقليل حمرة كانت نيلية ، وإن خلطت بالحمرة نيلية كانت أرجوانية . فهنا يمكن تأليف الألوان سواء كان بامتزاج الأجرام أو بامتزاج الكيفيات ، ولو كانت هذه لا تكون إلا باختلاط الأجسام .

وقد علم أن السواد لا يصيغ منه الضوء بالعكس جسما البتة أسود لكان يجب أن تكون الألوان الأخضر والحمرة إنما ينعكس منها البياض ولا ينعكس من الأجزاء السوداء شىء ، وخصوصا وهى ضعيفة منكسرة . فإن قيل : فقد نراها تنعكس عن المخلوط . فالجواب أن ذلك لأن الخلط يوجب الفعل والانفعال ، ويجب بسبب ذلك امتزاج الكيفية سواء فعلته الصناعة أو الطبيعة . على أن الطبيعة تقدر على الامتزاج الذى على سبيل الاستحالة ، والصناعة لا تقدر عليه ، بل تقدر على الجمع . فربما أوجبت الطبيعة بعد ذلك استحالة . والطبيعة تقدر على تلطيف المزج الذى على سبيل

(٣) تركيب : تتركب ف .

(٤) لاغير : ساقطة من د ، ف ، م || فكان : وكان م .

(٥) كان (الأولى) : فكان ك . (٦) هناك : ساقطة من د .

(٧) ليس : + له ف ، م || حدثت : حديث م . (٨) إن : ساقطة من م .

(١٠) وإن (الثانية) : + كان د .

(١١) خلطت : خلط د ، ف ، م .

(١٤) السواد : الأسود د ؛ الأسود ف ، م .

(١٨) سواء : وسواء ف ، ك ، م || الامتزاج : المزاج د ، ف ، م .

(١٩) الجمع : الجميع ك ، م .

(٢٠) المزج : المزاج ف ، م .

الخلط وتصغير الأجزاء ، والصناعة تعجز عن ذلك الاستقصاء . والطبيعة لا تتناهى
مذاهبها فى القسمة والنسبة قوة وفعلا ، والصناعة لا يمكن أن تخرج جميع ما فى
الضمير منها إلى الفعل .

فقد بان من هذا أن البياض بالحقيقة فى الأشياء ليس بضوء . ثم لسا نمنع
أن يكون للهواء تأثير فى أمر التبييض ، ولكن نيس على الوجه الذى يقولون ،
بل بإحداث المزاج المبيض . ولذلك ليس لنا أن نقول : إن بياض الناطف كله من
الجهة التى يقولون ، بل من المزاج ، فإن الهواء يوجب لونا أبيض لا بحسب المخالطة
فقط ، بل بحسب الإحالة أيضا . ولو كان مذهبهم صحيحا لكان يمكن أن يبلغ
بالشئ الأبيض والملون بشدة الترقيق حتى يذهب تراكمه إلى أن يشف أو إلى قريب
منه ، وهذا مما لا يكون . وأما قولهم : إن الأسود غير قابل للون آخر ، فلما أن
يعنوه على سبيل الاستحالة أو على سبيل الصبغ . فإن عنوا على سبيل
الاستحالة ، فقد كذبوا ، وما يكذبهم الشباب والشيب . وإن عنوا على سبيل
الصبغ ، فلذلك حال مجاورة لا حال كيفية . فلا يبعد أن يكون الشئ الأسود
لا يكون مسودا إلا وفيه قوة نافذة متعلقة قباضة . فيخالط ، وينفذ ويلزم ، وأن
يكون ما هو موجود فى الأشياء أبيض بخلاف ذلك فى طبعه ، فلا يمكنه أن يغشى
الأسود ويدخله ويلزمه . على أن ذلك ليس أيضا مما لا يمكن ، فإنه إذا
احتيل بمثل الاسفيداج وغيره حيلة ما حتى يغوص ويتخلل السواد صبغه
أبيض .

وأما المذهب الثانى فإن ذلك المذهب لا يستقيم القول به إلا إذا فرض الخلاء
موجودا وذلك لأن المسام التى يذكرونها لا يخلو إما أن تكون مملوءة من جسم
أو تكون خالية . فإن كانت مملوءة من جسم ، فلما أن يكون ذلك الجسم
يشف من غير مسام ، أو تكون له أيضا مسام ، وبتى لا محالة : إما إلى مشف لا
مسام له ، وهذا خلاف قولهم . وإما إلى خلاء ، فيكون مذهبهم يقتضى وجود
الخلاء ، والخلاء غير موجود . ثم بعد ذلك فلإنهم يقولون : إنه ليس كل مسام

(٦) المبيض : التبييض د ، م ؛ للتبييض ك .

(٩) الترقيق : الرقق م .

(١٤) فيخالط : فتخالطه ك .

(١٥) أبيض : البيض ك .

(١٧) حيلة : ساقطة من م || ويتخلل : ويحلل د ، ب .

(١٩) المذهب : المذاهب م .

(٢٢) مسام : سام ك .

- تصلح لتخييل الإشفاف ، بل يجب أن تكون المسام مستقيمة الأوضاع من غير تعرج حتى تنفذ فيها الشعاعات على الاستقامة . فلنخرط كرة من جمد ، بل من بلور ، بل من ياقوت أبيض شفاف ، فهذه المسام التي تكون فيها شفافة مستقيمة هبها تكون كذلك طولا ، فهل تكون كذلك أيضا عرضا ، وهل تكون كذلك قطرا ومن أى جهة أثبت ، فكيف تكون مستقيمتا تداخل مستقيمتا فتكون من أى جهة تأملتها لا تنعرج . فمن الضرورة أن يعرض من بعض الجهات خلاف الاستقامة ووقوف الأجزاء التي لا مسام لها في سمت الخطوط التي تتوهم خارجة على الاستقامة من العين أو يكون الجسم خلاء كله ، وهذا محال . فيجب أن تكون الكرة إذا اختلف منك المقامات في استشفافها يختلف عليك شفافها ضرورة ، ثم كيف يكون حال جسم فيه من المسام والمنافذ ما ينحني لونه حتى تراه كأنه لا لون له ، وله في نفسه لون ، ولا يستر لونه شيئا ملصقا مما وراءه ، بل يؤدي ما وراءه بالحقيقة . فإن أحدث سترا فلنما يحدث شيئا ، كأنه ليس ، فتكون لا عمالة الثقب التي فيه أكثر كثيرا من الملاء الذي فيه ، فكيف يجوز أن يكون لها استمسك الياقوت وهو كله فرج . ولو أن إنسانا أحدث في الياقوت منافذ ثلاثة أو أربعة ، ثم حمل عليه بأضعف قوة لانترض وانكسر ؛ فهذا المذهب أيضا أيضا محال .
- فالألوان إذن موجودات ، وليس وجودها أنها أضواء ، ولا الأضواء ظهورات لها ، ومع ذلك فليست هي مما هي بالفعل بغير الأضواء . والمشف أيضا موجود ، وهذا ما أردنا بيانه إلى هذه الغاية . وقد بقى علينا أن نخبر عن حال الإبصار أنه كيف يكون ، ويتعلق بذلك تحقيق كيفية تأدى الأضواء في المشف .

(٣) هبها : ههنا م .

(٩) اختلف : اختلفت م || يختلف : اختلفت ف || استشفافها : استشفافها م .

(١١) ملصقا : ملتصقات .

(١٢) الملاء : الملاء ف .

(١٥) وانكسر : ولا نكسر م .

(١٨) فليست : فليس ك ، م || ما : ما ف .

(١٩) وهذا : فهذا م .

الفصل الخامس

في اختلاف المذاهب في الرؤية وإبطال المذاهب الفاسدة بحسب الأمور أنفسها

فتقول : إن المذاهب المشهورة في هذا الباب مذاهب ثلاثة ، وإن كان كل
مذهب منها يتفرع : أحدها مذهب من يرى أن شعاعات خطية تخرج من البصر
على هيئة مخروط يلي رأسه العين وقاعدته المبصر ، وأن أصحها إدراكها هو السهم
منها ، وأن تبصر الشيء هو نقل السهم فيه . ومنها مذهب من يرى أن الشعاع
قد يخرج من البصر على هيئة ، إلا أنه لا يبلغ من كثرتة أن يلاق نصف كرة السماء
إلا بانتشار يوجب انتشار الرؤية . لكنه إذا خرج واتصل بالهواء المضيء ، صار ذلك آلة له
وأدرك بها . ومنها مذهب من يرى أنه كما أن سائر المحسوسات ليس يكون إدراكها بأن
يرد عليها شيء من الحواس بارزا إليها متصلا بها أو مرسلا رسولا إليها ،
كذلك الإبصار ليس يكون بأن يخرج شعاع البتة فيلقى المبصر ، بل بأن تنتهي
صورة المبصر إلى البصر بتأدية الشفاف إيها .

وقد استدلل الفريقان الأولان وقالوا : إنما جاز في سائر الحواس أن تأتيها
المحسوسات ، لأنها يصح إدراكها بالملاسة كاللمس ، وكالدوق ، وكالشم الذي

(١) الفصل الخامس : فصل هـ ف .

(٥) خطية : خطية م

(٦) مخروط : مخروطة د ، ك .

(٧) نقل : فعل د .

(٨) لا يبلغ من : لا تبلغ ك ، م .

(٩) يوجب : فوجب م .

(١٣) إيها : إيها د ، ك ، م .

(١٤) جاز : صار د

(١٥-١٤) أن تأتيها المحسوسات : ساقطة من م .

(١٥) كالمس : كالمس ف .

- يستقرب الروائح بالتشوق ليلاقيا وينفعل بها ، وكالصوت الذى ينتهى به التموج إلى السمع . ثم أن البصر ليس يمكن فيه ذلك لأن المرئى منفصل ، ولذلك لا يرى المقرب منه ولا أيضا من الجائز أن ينتقل إليه عرض موجود فى جسم مرئى أعنى لونه وشكله ، فإن الأعراض لا تنتقل . فإذا كانت الصورة على هذا ، فبالحرى أن تكون القوة الحاسة ترحل إلى موضع المحسوس لتلاقيه . ومحال أن تنتقل القوة إلا بتوسط جسم يحملها ولا يكون هذا الجسم إلا لطيفا من جنس الشعاع والروح ، فلذلك سميناه شعاعا . ولوجود جسم مثل هذا فى العين ما يرى الإنسان فى حال الظلمة أن نورا قد انفصل من عينه وأشرق على أنفه أو على شيء قريب يقابله . وأيضا فإن الإنسان إذا أصبح ودعاه دهش الانتباه إلى حلك عينيه فإنه يتراءى له شعاعات قدام عينيه . وأيضا فإن الثقبه العينية تمتلئ من إحدى العينين إذا غمضت الأخرى ، وفى التحديق المفرط أيضا فلا محالة أن جسما بهذه الصفة ينصب إليها . ثم أن الفرقه الثانية استنكرت أن يكون جسم مثل العين يسع من الشعاع ما يتصل خطا واحدا بين البصر والكواكب الثابتة فضلا عن خطوط تنتهى إلى ما يرى من العالم ، وخصوصا ولا يرى ما يرى منها إلا متصلا مستوى الاتصال ، فيجب أن يكون ما يرى به متصلا . واستنكرت أيضا أن يتحرك هذا الشعاع الخارج فى زمان غير محسوس حركة من العين إلى الثوابت ، وقالت يجب أن تكون نسبة زمان حركتك نحو شيء بينه وبينك ذراعان إلى زمان الحركة إلى الكواكب الثابتة نسبة المسافتين ، فيجب أن يظهر بين الزمانين اختلاف . وربما احتج بهذا أصحاب المذهب الثالث أيضا على أصحاب الشعاع الخطى ، ولم يعلموا أن هذا فاسد ، وذلك لأنه يمكن أن يفرض زمان غير محسوس قصرا أو أكبر زمان غير محسوس قصرا ، فتحصل فيه الحركة التى للشعاع إلى الثوابت ، ثم يمكن أن ينقسم هذا الزمان إلى غير النهاية فيمكن أن يوجد فيه جزء أو بعض

(١) الروائح : الريح د ، م || ليلاقيا : ليلاقيه د ، ك ، م || بها : به د ، ك ، م || به : ساقطة منك ||

التموج د ، ك ، م

(٢) أن : ساقطة من د .

(٥) ترحل : ترحل ك . (٨) أنفه : أنفه م .

(١٦) وقالت : وقالوا ف .

(١٧) ذراعان : ذراعات م .

(١٩) أصحاب (الاولى) : صلب م .

(٢٠) أكبر : أكثر د ، ك

(٢١) || فتحصل : ونحصل د ؛ فتحصل ك ، م .

(٢٢) يمكن : ساقطة من م || النهاية : نهاية م || أو بعض : بعض ك .

نسبته إليه نسبة المسافة المستقصرة إلى المسافة المستبعدة ، فيكون الزمانان اللذان بينهما البعد كلاهما غير محسوسين قصرا .

- لكن لأصحاب الشعاعات حجة في حايها أدنى صعوبة وهو قولهم : إن المرايا تشهد بوجود هذه الشعاعات وانعكاسها ، وذلك أنه لا يخلو إما أن يكون البصر تتأدى إليه صورة المرأة وقد تأدى إليها صورة المرئى متمثلة منشبهة فيها ، وإما أن يكون ما نقوله من أن الشعاع يخرج فيبقى المرأة ، ثم بصير منها إلى أن يأتى ما ينعكس عليه على زاوية مخصوصة . وإذا بطل القول الأول ، بقى القول الثانى . ومما يتضح به بطلان القول الأول أنه لو كانت هذه الصورة منشبهة في المرأة لكافت لاحتالة تشبيح في شىء بعينه من سطحها ، كما إذا انعكس الضوء واللون معا فتأديا في المشف إلى غير الحامل الأول لهما فلنما يتمثل المتأدى من ذلك في بقعة واحدة بعينها يرى فيها على اختلاف مقامات الناظرين . وليس الشبح الذى في المرأة بهذه الصفة ، بل ينتقل فيها بانتقال الناظر ، ولو كان إنما ينتقل بانتقال المرئى فقط لم يكن في ذلك إشكال . وأما انتقاله بانتقال الناظر فدليل على أنه ليس هناك بالحقيقة موضع تشبيح فيه الصورة . ولكن الناظر إذا انتقل انتقل مسقط الخط الذى إذا انعكس إلى المرئى فعل الزاوية المخصوصة فرأى بذلك الخط بعينه المرئى ورأى جزءا من المرأة آخر ، فتحيل أنه في ذلك الجزء الآخر من المرأة ، وكذلك لا يزال ينتقل . قالوا : ومما يدل على صحة هذا أن الناظر الذى للإنسان قد ينطبع فيه شبح مرئى ينعكس عنه إلى بصر ناظر حتى يراه . هذا الناظر الثانى ، ولا يراه صاحب الحدقة التى تمثل فيها الشبح بحسب التخيل ، ولو كان للملك حقيقة انطباع في ناظره لوجب على منهج أصحاب الأشباح أن يعساوى كل منهما في إدراكه ، فإن عندهم أن حقيقة الإدراك تمثل شبح في الناظر فيكون كل من تمثّل في ناظره شبح رآه . قالوا :

(٢) محسوسين : محسوس ف .

(٣) المرايا : المرائى م .

(٦) ثم يصير : ويصير ك ، م .

(٧) الأول : ساقطة من م .

(٩) كما إذا : وإذا ك ؛ فإذا م .

(١٠) يتمثل : تمثّل ك .

(١٤) انتقل انتقل : انتقل م .

(١٥) ورأى ؛ + به د ، ك || جزاء : جزؤه .

(١٦) فتخيل : فيتخيل ك ، م || وكذلك : ولذلك ك || قالوا : وقالوا له .

فمن هذا نحكم ونقول إن الناظر في المرأة يتخيل له في المرأة أنه يرى صورته وليس كذلك ، بل الشعاع إذا لاقى المرأة فأدركها كمر منعكسا فلاق صورة الناظر فأدركها ، فإذا رأى المرأة ونفسه في سميت واحد من مخرج الخط الشعاعي بتخيل أن أحدهما في الآخر . قالوا : والدليل على أن ذلك ليس منطبعاً في المرأة أنه يرى المرئي في المرأة بحيث لا يشك أنه ليس في سطح المرأة ، وإنما هو كالفأثر فيه والبعيد عنه . وهذا البعد لا يخلو إما أن يكون بعداً في غور المرأة ، وليس للمرأة ذلك الغور ، ولا أيضاً إن كان لها ذلك الغور كانت المرأة مما يرى ما يتشبع في باطنها ، فبتى أن يكون ذلك البعد بعداً في خلاف جهة غوره فيكون بالحقيقة إنما أدرك الشيء بذلك البعد من المرأة ، فلا يكون قد انطبع شبعه في المرأة .

١٠

فيلزمنا أول شيء أن نبطل المذهبين الأولين ، فثبت صحة مذهبنا وهو الثالث ، ثم نكر على هذه الشبهة فنحلها فنقول : إن الشيء الخارج من البصر لا يخلو إما أن يكون شيئاً قائماً بالذات ذا وضع ، فيكون جوهرًا جسيماً ؛ وإما أن يكون شيئاً لا قوام له بذاته وإنما يقوم بالشيء المشف الذي بين البصر والمبصر . ومثل هذا الشيء فلا يجوز أن يقال له بالحقيقة : إنه خارج من البصر ، ولكن يجب أن يقال : إنه انفعال للهواء من البصر ، ويكون الهواء بذلك الانفعال معيناً في الإبصار . وذلك على وجهين : إما على سبيل إعانة الواسطة ، وإما على سبيل إعانة الآلة .

وقبل الشروع في التفصيل ، فإني أحكم حكماً كائناً أن الإبصار ليس يكون باستحالة من الهواء إلى حالة تعين البصر البتة ، وذلك لأن تلك الحالة لا محالة تكون هيئة في الهواء ليست معنى إضافياً بحسب ناظر دون ناظر . فلما لانمنع وجود هذا القسم ، بل نقول لا بد منه ، ولا بد من إضافة تحدث للهواء مع الناظر

(١) هذا : + ما د ، ك ، م || يتخيل : يتمثل م .

(٢) فأدركها : فأدركه د .

(٣) فأدركها : فأدركه د .

(٤) يتخيل : تخيل ف || قالوا : قال د ، ف ، ك .

(٧) ذلك (الأولى) : ساقطة من م || الغور : البعد ك .

(١٢) الشبه : الشبهة ك .

(١٣) ما : ساقطة من ف || فيكون : ويكون د ، ك ، م .

(١٥) البصر : المبصر م .

(٢١) دون ناظر : ساقطة من م .

عند نظره بتلك الإضافة يكون الإبصار وإنما نمنع وجود حالة وهيئة قارة في نفس الهواء وذاته يصير بها الهواء ذا كيفية أو صفة في نفسه وإن كانت لا تدوم له ولا توجد عند مفارقة الفاعل الموجد لأن مثل هذه الهيئة لا يكون له بالقياس إلى بصر دون بصر ، بل يكون موجودا له عند كل شيء ، كما أن الأبيض ليس أبيض بالقياس إلى شيء دون شيء ، بل هو أبيض بذاته وأبيض عند كل شيء وإن كان لا يبقى أبيض مع زوال السبب المبيض . ثم لا يخلو إما أن تكون تلك الهيئة تقبل الشدة والضعف فتكون أضعف وأقوى ، أو تكون على القدر واحد . فإن كان على قدر واحد فلا يخلو إما أن تكون العلة الموجبة تقبل الأشد والأنقص أو لا تقبل . فإن كانت طبيعة العلة تقبل الأشد والأنقص وتلك الطبيعة للماتية تكون علة ، فيجب أن يتبعها المعلول في قبول الأشد والأنقص . فإنه من المحال أن يفعل الضعيف الفعل الذي يفعل القوى نفسه إذا كانت قوته وضعفه أمرا في طبيعة الشيء بما هي علة . فيجب من ذلك أن القوى المبصرة الفاعلة في الهواء إذا كثرت وازدحمت ، كان حدوث هذه الحالة والهيئة في الهواء أقوى وأن يكون قوى البصر أشد في إحالة الهواء إلى هذه الهيئة من ضعيف البصر ، وخصوصا وليس هذا من باب ما لا يقبل الأشد والأضعف لأنه من باب القوى والحالات في القوى . ولا تكون قوتها كما ذكرنا بقياس بصر دون بصر ، بل بنفسها كما قلنا . فيجب أن يكون ضعفاء الإبصار إذا اجتمعوا رأوا أقوى وإذا تفرقوا رأوا أضعف . وأن ضعيف البصر إذا تعد بنجب قوى البصر رأى أشد . وذلك لأن الهواء يستحيل إلى تلك الهيئة كيف كانت باجتماع العال الكثيرة والقوية استحالة أشد ، فيكون أداؤه الصورة ومعوته في الإبصار أقوى ، وإن كان ضعف نفس البصر يزيد خلافا في ذلك . فاجتماع الضعفين معا ليس كحصول ضعف واحد ، كما أن ضعيف البصر لا يستوى حال إبصاره في الهواء الكدر

(٣) الموجد : أو توجد د ، ك ، م .

(٧-٨) واحد ... قدر : ساقطة من م .

(١٣) الحالة : الآلة م || قوى : القوى م .

(١٤) البصر : المبصر (الاول) م || في : ساقطة من د || ضعيف : الضعيف م .

(١٥) وليس : + في م .

(١٧) ضعفاء : الضعفاء م .

(١٨) ضعيف : الضعيف م || قوى : القوى م .

(٢٠) في الإبصار : للإبصار م .

(٢١) ضعف : أضعف م || الضعفين : الضعفين ف ، م || كحصول : لحصول م .

(٢٢) ضعف : ضعيف ف || ضعيف : الضعيف م .

والهواء الصافي ، لأن الضعيف إذا وجد معونة من خارج كان لاحالة أقوى فعلا .
ثم نحن نشاهد ضعيف البصر لا يزيده اقتران أقوياء البصر به ، أو اجتماع كثرة
ضعفاء البصر معه شيئا في إبصاره . فبين أن المقدم باطل .

- ولنعد إلى التفصيل الذي فارقناه فنقول : إنه لا يخلو الهواء حيثئذ إما أن يكون
آلة ، وإما أن يكون واسطة . فإن كان آلة فلإما أن تكون حساسة ، وإما أن تكون
مؤدية . ومحال أن يقول قائل : إن الهواء قد استحال حساسا حتى أنه يحس الكواكب
ويؤدي ما أحسه إلى البصر . ثم ليس كل ما نبصره يلامسه الهواء ، فلإنا قد نرى
الكواكب الثابتة والهواء لا يلامسها . وما أقبح بنا أن نقول : إن الأفلاك الى
في الوسط أيضا تنفعل عن بصرنا وتصير آلة له كما يصير الهواء آلة له ، فإن هذا
مما لا يقبله عاقل محصل . أو نقول : إن الضوء جسم مبعوث في الهواء ، والفلك
يتحد بأبصارنا ويصير آلة لها ، فإن ساعدنا على هذا القبيح فيجب أن
لا نرى كلية جسم الكواكب بعد تسليمنا باطلا آخر وهو أن في الفلك مساما ،
وذلك لأنه لا تبلغ مسامها أن تكون أكثر من نصف جرمها . فيجب أن تكون
الكواكب المنظور إليها إنما ترى منها أجزاء ولا ترى أجزاء ، ثم ما أشد قوة إبصارنا
حتى تحجب الهواء كله والضياء المبعوث في أجسام الأفلاك بزعمهم إلى قوة حساسة
أو أية قوة شئت . ثم الهواء والضوء ليسا متصلين ببصر دون بصر ، فلم يؤديان
ما يحسانه إلى بصر دون بصر . فإن كان من شرط البصر الذي يرى أن يقع في مسامته المرئي
حتى يؤدي حيثئذ الهواء إليه ما أحس ، فليس إحساس الهواء بعلة لوصول المحسوسات
إلى النفس ، ولكن وقوع البصر من المبصر على نسبة وتوسط الهواء بينهما . فلإن كان
الهواء يحس بنفسه ويؤدي أيضا فما علينا من إحساسه في نفسه ، بل إنما المنتفع به
في أن نحس نحن تأديته المرئي إلينا . ولا نبالي أنه يحس في نفسه أو لا يحس في نفسه ،
اللهم إلا أن يجعل إحساسه لإحساسنا ، فيكون الهواء والفلك كله يحس لأجلنا .
وأما إذا لم يجعل ذلك آلة ، بل واسطة تنفعل أولا من البصر ثم يستقم كونها واسطة ،

(٩) له (الأولى) : ساقطة من ك || له (الثانية) : ساقطة من د ، ك .

(١١) يتحد : يتخذ م .

(١٢) في الفلك : للفلك م || مساما : مسام ف ، م .

(١٣) جرمها : جزء منها م .

(١٤) الكواكب : الكوكب د ، ف || إليها د ، ف ، م || منها : منه د ، ف ، م .

(١٧) كان : كانت م .

فبالحرى أن نتأمل أنه أى انفعال يفعل حتى يؤدي ؟ أبأن تقبل من البصر قوة حياة وهو أسطقس بسيط ، هذا لا يمكن . أو يصير بالبصر شافا بالفعل . فالشمس أقوى من البصر في تصييره شافا بالفعل وأكفى ، فليت شعري ماذا يفعل البصر بهذا الهواء . وإن كان البصر يسخنه ، فيجب إذا برد الهواء أن يمنع الإبصار أو يبرده ، فيجب إذا سخن أن يمنع الإبصار ، وكذلك الحال في باقى الأضداد .
 ٥ . ولجميع الأضداد التى يستحيل بها الهواء أسباب غير البصر إن اتفقت كفت الحاجة إلى إحالة البصر وإن اتفق أضدادها لم تغن إحالة البصر أو عساه لا يحدث إشغافا ولا كيفية ذات ضد من المعلومات ؛ بل يحدث خاصية غير منطوق بها ، فكيف عرفها أصحاب هذا المذهب ، ومن أين توصلوا إليها . أما نحن فقد قدمنا مقدمة كلية تمنع هذه الاستحالات كلها سواء كانت منسوبة إلى خاصية أو طبيعة ،
 ١٠ . منطوق بها أو غير منطوق بها . وبعد ذلك فلإننا نظن أن الهواء إذا كان شفافا بالفعل وكانت الألوان ألوانا بالفعل وكان البصر سليما ، لم يحتاج إلى وجود شيء آخر في حصول الإبصار .

ولنضع الآن أن الخارج جوهر جسمانى شعاعى كما يميل إليه الأكثر منهم فنقول : حيثئذ إن أحواله لا تخلو عن أربعة أقسام : إما أن يكون متصلا بكل
 ١٥ . المبصر وغير منفصل عن المبصر ، وإما أن يكون متصلا بكل المبصر ومنفصلا عن المبصر ، وأما أن يكون متصلا ببعض المبصر دون بعض كيف كان حاله مع المبصر ، ولما أن يكون خارجا عن المبصر وغيره متصل بالمبصر . فأما القسم الأول فإنه محال جدا ، أعنى أن يخرج من البصر جسم متصل بملأ نصف العالم ويلاقى
 ٢٠ . الأجسام السماوية ، ثم كما يطبق الجفن يعود إليه ، ثم يفتح فيخرج آخر مثله ، أو كما يطبق تعود الجملة إليه ، ثم كما يفتح مرة أخرى يخرج عنها ، حتى كأنها واقفة

(٢) أسطقس : استقص م .

(٣) بالفعل : ساقطة من ك ، م || فليت : وليت م .

(٤) وإن : فإن ف . (١٠) كانت : كان م .

(١٤) الأكثر : الأكبر م .

(١٨) بالمبصر : ساقطة من م || فأما : وأما د ، ف ، ك .

(١٩) يملأ نصف : بما يصف م .

(٢٠) يعود إليه : فيعود إليه ك ؛ ساقطة من د || فيخرج : يخرج د .

(٢١) أو كما : وكما ك ؛ ثم كما م || عنها : عنه ف || حتى : ساقطة من م || كأنها واقفة : كأنه واقف ف .

- على نية المغمض . ثم كيف لا يرى الشيء البعيد بشكله وعظمه إن كانت الرؤية بوصوله إليه وملامسته إياه . فإن العظم أولى بأن يدرك باللماسة بتمامه من اللون ، لأن الشعاع ربما تفرق وتهلhel فرأى اللون كما يرى الخلط من اللون ، وأما القدر فيراه حينئذ كما يرى الخلط من المقدار والخلط من المقدار الجسماني ، وإن كان متخلخلا كأنه مركب من مقدار جسماني ومن لا شيء أو لا جسم لا ينقص من عظم كليته ولا تنفعهم الزاوية إلى عند البصر إنما ينفع ذلك أصحاب الأشباح إذ يقولون : إن الشبح يقع على القطع الواقع في المخروط الموهوم عند سطح الجليدية الذي رأسه في داخل . فإن كانت الزاوية أكبر لأن الشيء أقرب كان القطع أعظم والشبح الذي فيه أعظم ، وإن كانت الزاوية أصغر لأن الشيء أبعد كان القطع أصغر والشبح الذي فيه أصغر . وأما على مذهب من يجعل المبصر ملموسا ١٠ بآلة البصر فما تغني هذه الزاوية .

- وأما القسم الثاني فهو أظهر بعدا واستحالة ، وهو أن يكون ذلك الخارج يقارق المبصر ويمضي إلى الفرقدين ويلمسهما ولا وصلة بينه وبين المبصر فيحس المبصر بما أحس هو ، ويكون كمن يقول : إن لامسا يقدر أن يلمس بيد مقطوعة وأن الحية يقادى إلى بدنha ما يلمسه ذنها المقطوع المفصول عنها وقد بقي ١٥ فيه الحس ، إلا أن يقال إنه أحال المتوسط وحمله رسالة إلى المبصر فيكون الهواء مؤديا مستحيلا معا ، وقد قلنا على هذا ما فيه كفاية . وإن كان متصلا ببعض المبصر وجب أن لا يراه كله ، بل ما يلاقيه منه فقط . فإن جعل الهواء مستحيلا إلى طبيعته وصار معه كشيء واحد فما الذي يقال في الفلك ، إذا أبصرناه ، أنرى الفلك يستحيل أيضا إلى طبيعته ذلك الشعاع الخارج ويصير حساسا معه كشيء واحد حتى يلاقى ٢٠ كوكب زحل بكليته فيراه والمشتري وسائر الكواكب العظام ، وهذا ظاهر الفساد

(١) إن : وإن م .

(٢) بوجه : بوصله ، ف ، م || إياه : + إذا كان م || العظم : العظيم م .

(٣) وتهلhel : يحللhelك || فرأى : ورأى ك ، م .

(٤) فيراه : فرآه ك .

(٥) وإن : فإن ك ، م || ومن لا شيء أو لا جسم : ولا من شيء ولا جسم م .

(٦) كليته : كلية ك || البصر : ساقطة من م .

(١٣) ويلمسها : ويلمسها د ، ك .

(١٨) فقط : ساقطة من م || الهواء : ساقطة من د ، ك ، م .

بعيد جدا . ثم قد قلنا في فساد هذه الاستحالة ما قلنا . فإن قالوا : إن الهواء المشف ليس يتحد به كشيء واحد ولكن يستحيل إلى طبيعة مؤدية ، فما يلاقيه الشعاع بدركه الشعاع ، وما يلاقيه يؤدي إليه الهواء صورته باستحالة عرضت له . فأول جواب ذلك أن الهواء لم لا يستحيل عن الحدة وحدها ويؤدي إليها إن كان من شأنه الأداء فلا يحتاج إلى جسم خارج . وأما ثانيا فقد فرغنا من بيان استحالة هذه الاستحالات . وأما ثالثا فلأن الهواء المتوسط بين خطين خارجين يجب أن يؤدي إلى كل خط منهما ما يؤدي إلى الآخر فيكون آخر الأمر قد تأدى إلى جملة الشعاع من جملة الهواء المتخلل للخطوط صورة المحسوس مرتين أو مرارا ، فيجب أن يرى المحسوس مرتين أو مرارا ، خصوصا إن كان على مافي بعض مذاهب القوم من أن الخطوط لا تدرك بنفسها ، بل بما يؤدي إليها الهواء . ثم إن كان الأداء إلى الحدة من الجميع أعني الخطوط والهواء معا فالهواء مؤد للأشباح على مثل ما قال المعلم الأول . ومن عرف أن لاخلاء وأن أجرام الأفلاك مصمتة لا فرج فيها ولا فطور عرف أن ذلك مستحيل لا يمكن وأنه لا يمكن أن ينفذ فيها هذا الخارج ، بل كيف ينفذ هذا الشعاع في الماء إن لم يكن فيه خلأ حتى يلاقى جميع الأرض تحته ويراه وهو متصل ، والماء لا يربو حجمه لما خالطه منه . وإن كان هناك خلأ ، فكيف يكون متدار تلك الفرج الخلائية التي تكون في الماء مع ثقل الماء ونزوله في الفرج وملئه إياها . فيرى أن الماء فرج كله أو أكثره أو مناصفه حتى يمكن الخارج أن ينفذ فيه إلى جميع مافي قعر الماء ويلاقيه ويماسه وهو غير منقطع عن البصر ، وإن انقطع فذلك أعجب

وإن قال قائل : إنا نرى الشيء القليل ينفذ في الماء الكثير حتى يستولى على

(١) جدا : ساقطة من د ، ف ، م || قد : ساقطة من م || فإن : وإن ك ، م .

(٥) فرغنا : عرفنا م || من : عن د ، ف ، ك .

(٦) فإن : فلان ك .

(٧) فيكون : فيكن ك || تأدى : تؤدي ك .

(٨) للخطوط : الخطوط م .

(٩) خصوصا : وخصوصا ك .

(١٠) بما : ما د .

(١٢) ومن : من م .

(١٨) يمكن : يكون م || فيه ساقطة من م .

- كليتته مثل الزعفران يصبغ قليله كثيرا من الماء . فنقول : إن انصباغ الماء الكبير بالزعفران القابل لا يخلو من وجهين : إما أن يكون الصبغ الحادث في الماء غير موجود إلا في الأجزاء الزعفرانية وأجزاء الماء بحالها ، وإما أن تكون أجزاء الماء استحالت أيضا في نفسها إلى الصبغ كما تستحيل إلى الحر والبرد والرائحة . لأن جوهرها داخلها ، إما استحالة إلى صبغ حقيقى وإما استحالة إلى صبغ خيالى ، أعنى بالخيالى كما ترى على سطح الماء شىء يلقى فيه غير محاذ للبصر ، وكما يتخيل من الماء أنه على لون إنائه ، وذلك مما إذا كثُر وعم أرى جميع وجه الماء بذلك الصبغ وهو فيه قليل . فإن كان هذا الانصباغ على مقتضى القسم الأخير فلانفعه لهذا الاعتراض فى الغرض ، لأن الماء يكون قد استحال أو تشبَّح لأن الصبغ القليل نفذ فى كله ، وقد يستحيل كثير المقدار من كثير القوة قليل المقدار . وبالجملة ١٠ إن كان حال الهواء فى استحالته عن الأشعة هذه الحال ، عرض ما سلف منا منعه ، ووجب أن تكون الأشعة إذا كثرت جدا ازداد الهواء استحالة نافعة فى الإبصار . وإن كان على سبيل التأدية دون الاستحالة وطبيعة الهواء مؤدية للأشباح إلى القوابل فليؤد أيضا إلى الإبصار . وإن لم يكن على مقتضى القسم الثانى ، بل على سبيل القسم الأول ، فإننا لا يمكننا أن نشك فى أن الماء متجزئ بين أجزاء الزعفران ١٥ والزعفران متجزئ بين أجزاء الماء ، وأن أجزاء الماء لامحالة أعظم حجما من أجزاء الزعفران ، وأن بين كل جزئين من أجزاء الزعفران متوالين مياها صرفة ، وأن هذه المياه الصرفة فى أكثر المواضع التى بين جزئى الزعفران أعظم كثيرا من أجزاء الزعفران ، حتى تكون نسبة الأجزاء إلى الأجزاء إذا أخذت واحدا إلى الآخر كنسبة

(١) الزعفران : + أن د ، ك .

(٣) بحالها : تخالطها ك .

(٦) شىء : ساقطة من م || يلقى : ملق م .

(٨) الأخير : الآخر ، د ، ك م .

(٩) الاعتراض : الإعراض م || لأن : لا أن م .

(١٢) منعه : منعه د .

(١٣) وطبيعة : فطبيعة ك ، م .

(١٤) فليؤد : وليؤد ك .

(١٥) فإننا : فإنه ك .

(١٧) مياها صرفة : مياه صرفه د ؛ ماء صرف ك ؛ ماء صرفام .

(١٨) كثيرا : جزءام .

(١٩) إذا : ساقطة من د || أخذت . . . الآخر : ساقطة من د .

الكل إلى الكل. فإذا كان كذلك كانت مقادير أجزاء الزعفران صغارا ولم يحز أن تستولى على الماء كله ، فما كان ينبغي أن ينصبغ الماء بالكلية ، بل هذا الوجه باطل وإنما يرى الماء مصبوغا كله لأحد الأمرين : إما لأن كل واحد من أجزاء الماء وأجزاء الزعفران من الصغر بحيث لا يدركه الحس متميزا ، وذلك لا يمنع أن يكون أحدهما أكثر كثيرا جدا من الآخر لأن الجسم ينقسم إلى غير النهاية فيمكن أن يكون جزء من الماء هو ألف ضعف جزء من الزعفران وهو مع ذلك في الصغر بحيث لا يحس مفردا .

فإذا كان كذلك ، لم يكد البصر يفرق بين أجزاء الزعفران وبين أجزاء الماء فيرى منهما صبغا واحدا شائعا بين الأحمر والشاف ، فهذا وجه . وإما أن تكون الأجزاء المحسوسة من الزعفران ليست على أوضاع متسامية متوازية ، بل إذا حصل بين جزئين من ترتيب بحال جزء من الماء محسوس القدر ، فإن أجزاء أخرى من تحت تقع مواقع لو رفعت لغطت سطحها مع الأول ، فيكون بعضها يرى لأنه في السطح الأعلى ، وبعضها يرسل شبحها إلى السطح الأعلى ، فتتوافى الأشباح بصبغ واحد إذا الماء يؤدي لون كل واحد منها لإشغافه ، فيرى الجميع متصلا في سطح واحد ، ويتمخيل مستويا على الماء ولا يكون . ويصحح هذا القول قلة ما يرى من الصبغ في الرقيق الذي لا تخن له ، وكثرة ما يرى في الكثيف العميق ، وإن كانت النسبة متشابهة ، فكانت نسبة الزعفران الذي في الرقيق إلى الرقيق كنسبة الزعفران الذي في العميق إلى العميق فعلى هذين الوجهين يمكن أن يستولى القليل على الكثير . وأما في الحقيقة فإن القليل لا يستولى على الكثير بالكمية ، بل عسى بالكيفية الحياة هذا . وأما إن جعلوا الخارج

(١) ولم : فلم ك .

(٢) فما : فلما || الماء : + أى ك .

(٤) بحيث : حيث ك .

(٥) الجسم : الأجسام د || النهاية : نهاية م || فيمكن : يمكن م || الماء : الهواء م

(٦) جزء من : من جزء ك ؛ جزء م .

(٨) صبغا : صبغام .

(٩) أوضاع : + متشابهة ك

(١٠) بحال : حال م ؛ ساقطة من ف .

(١١) رفعت : وقعت م || لنطت : لقطت ك .

(١٤) القول : القسم د || الصبغ : المصبغ ك .

(١٥) فكانت : فكان د ، م ؛ وكان ف .

(١٨) الكثير : الكثير م .

ينفذ قليل نفوذ في الهواء ولا يتصل بالمبصر ، ثم الهواء البعيد يؤدي إليه ويؤدي هو إلى المبصر فلما أن يؤدي إليه الهواء لإشفافه فقط من غير استحالة ، فلم لا يؤدي إلى الحدة فيكنى ذلك مؤنة خروج الروح إلى الهواء وتعرضه للآفات ، وإن كان بالاستحالة فقد قيل في ذلك ما قيل ثم لم لا يستحيل من الحدة من غير حاجة إلى الروح .

(٢) المبصر : البصر د || يؤدي : + إليه ف ، د
(٤) فقد : وقدم || ما قيل : ما قد قيل ك || من (الأولى) : و ك .

الفصل السادس

في إبطال مزاهبهم من الأشياء المقولة في مزاهبهم

ولنقبل الآن على عد بعض المحالات التي تلزمهم بحسب أوضاعهم : فمن ذلك وضعهم أن أجزاء الخارج عن البصر تنعكس عن الأجسام إلى أجسام أخرى ، فإذا رأت جسما انعكست عنه إلى جسم آخر فرأته ورأت ذلك الجسم الآخر المنعكس إليه ، مثلاً لما وصلت إلى المرأة رأت المرأة ، ثم لما انعكست عن المرأة إلى جسم آخر رأته أيضاً معا ، فيكون شيء واحد رأى شيئين معا ، فيتخيل أن أحد الشيئين يراه في الآخر ويلزم وضعهم هنا مباحث عليهم .

من ذلك أن انعكاس هذا الشعاع هو عن الصلب أو عن الأملس أو عن مجتمعهما ، لكن هذا العكس مما قد يروونه يقع عن أملس غير صلب مثل الماء فليست الصلابة ١٠ هي الشرط ، فيبقى أن يكون السبب فيه هو الملاسة . فإذا كان السبب فيه هو الملاسة ، فلا يخلو إما أن يكفى لذلك أى سطح أملس اتفق ، أو يحتاج إلى سطح متصل الأجزاء أملس : فإن كان الشرط هو القسم الثاني لم يجوز أن ينعكس عن الماء ، لأنه لا اتصال لسطحه عندهم لكثرة المسام التي يضعونها فيه التي بسببها يمكن أن يرى ما وراءه بالتمام ، وإن ١٥ كان ليس من شرطه الاتصال فيجب أن يوجد هذا العكس عن جميع الأجرام وإن كانت خشنة ، لأن سبب الخشونة الزاوية أو ما يشبه الزاوية مما يتقعر عن الحذبة . ولا بد

(١) الفصل السادس : فصل ٦ ف .

(٣) الآن : ساقطة من م .

(٤) عن : على د ؛ من ك || الأجسام : أجسام ف .

(٥) آخر : ساقطة من د ، ف ، م .

(٦) ثم لما : وربما م .

(٧) رأى : يرى ك ، م .

(١٠) فليست : فليس د ، ف ، ك .

(١١) هي : هود ، ف ، ك || فيبقى : بل بقی ك ؛ فبقی د ، ف || هو : ساقطة من م .

(١٤) يضعونها : يصفونها ك .

- فى كل ذى زاوية من سطح ليست فيه زاوية فيكون أملس ، وإلا لذهبت الزوايا إلى غير النهاية أو انتهت قسمة من السطح إلى أجزاء ليست بسطوح ، وكلاهما محال . فإذا ن كل جرم مؤلف السطح من سطوح ملمس ، فيجب أن يكون عن كل سطح منها عكس ، أو يقال أمران : أحدهما أن السطوح الصغار لا ينعكس عنها الشعاع ، والثانى أن السطوح المختلفة الوضع ينعكس عنها الشعاع إلى جهات شى فيتشذب المنعكس .
- ولا ينال شيئا لعدم الاجتماع : فأما القسم الأول فباطل ، فإن من المعاموم أنه إن كان يخرج من البصر جسم حتى ينتشر فى نصف كرة العالم دفعة أنه يكون عند الخروج فى غاية تصغر الأجزاء وتشتتها ، وأنه إذا انعكس فإنما يلاقى كل جزء صغير منه ، وكل طرف خط دقيق منه لاحالة جزءا مساويا له وينعكس عنه ولا ينفج ولا يضمر فى ذلك ماوراءه ، عسى أن اتفق أن كان السطح الأملس الذى يلاقيه أصغر منه لم ينعكس عنه . لكننا إذا تأملنا لم نجد هذا المعنى هو السبب والشرط فى منع الانعكاس فى الأشياء الموجودة عندنا لأنه قد يتفق أن يكون شىء خشن نعام يقينا أن لأجزائه التى لها سطوح ملمس مقداراً متالانشاك فى أنه أعظم من مقدار أطراف الشعاعات الخارجة ومع ذلك لا تنعكس عنها . وهذا مثل الزجاج المدقوق والملح الجريش والبلور الجريش الذى نعلم أن سطوح أجزائه ماس وليس بغاية الصغر حتى تكون أصغر من أجزاء الشعاع الخارج ، وإذا اجتمعت لم ينعكس عنها الشعاع ، بل ولا من أشياء أكبر من ذلك أيضا . ثم من البعيد أن تقبل الأجرام الكثيفة الأرضية تجزيثا إلى أجزاء أصغر من الأجزاء التى يقبل إليها الجسم الشعاعى التجزى ، حتى يوجد جزء للكثيف أصغر مما ينقسم للطيف إلى مثله . ثم إن كان علة العكس عن الأماس عدمه المنفذ وهناك حفز من ورائه ، فذلك موجود للخشن . وإن كان لاحافز من ورائه

(٣) مؤلف : فتواف د ، ف ، ك .

(٤-٥) لا ينعكس السطوح : ساقطة من م .

(٦) فأما : وأما ف || إن : ساقطة من م .

(٨) منه : ساقطة من م .

(٩) مساويا : متساويا م . (١٥) وليس : وليست ف .

(١٦) اجتمعت : جمعت م .

(١٧) أكبر : أكثر م

(١٧) تجزيثا : تجزؤا د ؛ تجزىا ف ، تجرما م .

(١٨) التجزى : المتجزى ك .

(١٩) عدمه : عدم ك .

ولاعدم منفذ فليس يجب أن ينعكس عن شيء ، فإن الجسم لا تكون له بالطبع حركات مخالفة ، بل بالقسر . وأنت تعلم أنه إذا كان المضيء قد أماله بالطبع فلا ينعطف الا بالقسر . ثم الملاسة ليست من الهيئات الفاعلة في الأجسام فتغير طبيعة ما يلاقيها ، ولا هي من القوى الدافعة عن أجسامها شيئا حتى تقسر الأجسام إلى التباعد عنها ، ولو كانت الملاسة علة لتباعد الجسم عن الجسم لكانت تبعد ما بينهما وإن تماسست على أى وضع كان ، ولكان يجب أن ينعكس البصر عن المرآة إلى يلاستها الشعاع الخارج مخطوطا عليها لا إذا لاقاها بالطرف فقط . وإن كان السبب في الانعكاس هو الحفر من خلف أو النبوكما يعرض للكورة ، وجب أن ينعكس عن كل صلب لا منفذ فيه وإن لم يكن أملس . وأما على مذهب أصحاب الأشباح فلذلك وجه ، وهو أنهم يجعلون الملاسة علة لتأدية الشبح ، وكل ملاسة عظمت أو صغرت فهي علة لتأدية شبح ما . لكن الأشباح التي تؤديها السطوح الصغار تكون أصغر من أن يميزها البصر ، فلا تحس . فإن الجرم الخشن تختلط فيه الظلدة بالنور فيظلم كل غور ، ويكون كل نتوء أصغر من أن يؤدي شبحا يميزه الحس ولو كان متصلا لم يعرض ذلك . فأما أصحاب العكس فهذا الصغر ليس بعذر لهم في عدم العكس عنه . ١٥

وأما إن لم يجعلوا العلة الصغر ، بل التشذب فإن هذا التشذب موجود أيضا عن المرايا المشكلة أشكالا ينعكس عنها الشعاع إلى نصف كرة العالم بالتعام مما يعلم في علم المرايا . وعسى أن لا يكون العكس عن الخشن يبلغ في تشديه للشعاع ما يتأخه تلك المرايا ، بل ربما تراكت خطوط منه على نقطة واحدة ، فهذا أحد ٢٠ المباحث .

(٢) المضيء : مضيء د || أماله : ماله م .

(٣) الملاسة : الملاسة م .

(٥) الملاسة : الملاسة م || لكانت : لكان م .

(٨) الحفر : الحفر م .

(١٠) الملاسة : الملاسة م || ملاسة : ملاسة م .

(١٤) فأما : وأما ف .

(١٦) التشذب فإن هذا : ساقطة من م .

(١٨) تشديه : تشديه ك .

(١٩) تراكت : تراحت م || فهذا : وهذا م .

والببحث الثاني أنه ينعكس عن الماء وقتا وينفذ تحته وقتا وكذلك عن البلور ،
 فيجب إذن أن يدخل في أحد الأمرين نقصان عن الآخر إما أن يكون المبصر تحت
 الماء لا يرى صحيحا ، بل ترى منه نقط عند الحس متفرقة لاصورة كاملة ، أو
 المنعكس إليه لا يرى بالتمام ، بل ترى منه نقط عند الحس متفرقة لاصورة كاملة
 وإن رؤى أحدهما أتم رؤى الآخر بحسبه أنقص ، وليس الأمر كذلك .

- والببحث الثالث هو أن المنعكس عن الشيء الذي قد فارقه وواصل غيره ثم ترى
 به صورتها معا لا يخلو إما أن تكون مفارقة الشعاع المنعكس لا توجب انسلاخ صورة
 المحسوس عن الشعاع أو توجب . فإن كانت لا توجب فكيف لا ترى ما أعرضنا
 عنه وفارقه الشعاع ، فإننا لا نعرف هناك علة إلا أن الشعاع استبدل به موقعا غيره .
 وإن كانت المفارقة توجب انسلاخ تلك الصورة عنه ففي الوقت الواحد كيف ترى
 المرآة والصورة معا ، فإن كان القائم على المرآة من الشعاع يرى صورة المرآة والزائل
 عنه إلى شيء آخر يرى صورة ذلك الشيء ، فقد اختص بكل واحد من
 المبصرين جزء من الشعاع فيجب أن لا يريا معا ، كما أن الشعاع الواقع على زيد
 والشعاع الواقع على عمرو في فتح واحد من العين معا لا يوجب أن يتخيل المرئي
 من زيد مخالطا للمرئي من عمرو . فإن قيل : إن السبب فيه أن ذلك الشعاع يؤدي
 الصورة من طريق ذلك الخط إلى النفس فيكون خط واحد يؤديهما معا وما تؤدي
 من خط واحد رؤى واحدا في الوضع . قيل : أما أولا فقد أبطلت مذهبك ومنعت أن
 يكون الخط الخارج مبصر من خارج ، بل مؤديا ؛ وأما ثانيا فإنه ليس بمنع أن يخرج
 خط ثان يلاقى الخط المنعكس ويتصل به ، فإن كان إنما يؤدي بما يتصل به من
 الخطوط ثم تحس القوة التي في العين لا الخارجة ، فحينئذ كان يجب أن يرى الشيء
 من الخططين معا فترى الصورة مع صورة المرآة ومع غير تلك الصورة ، وكان يجب
 أن يتفق مرارا أن يرى الشيء متضاعفا لا بسبب في البصر ولكن لاتصال خطوط شتى
 بصرية بخط واحد ، وهذا مما لا يكون ولا يتفق ، فإننا إنما يمكننا أن نرى الشيء في المرآة

أنه : + كيف ف .

(٢) نقط : فقط م .

(٥) رؤى أحدهما أتم رؤى : رأى أحدهما أتم رأى د ، ك ، م .

(٨) كانت : كان د ، ك ، م . (١٢) عنه : عنها ف .

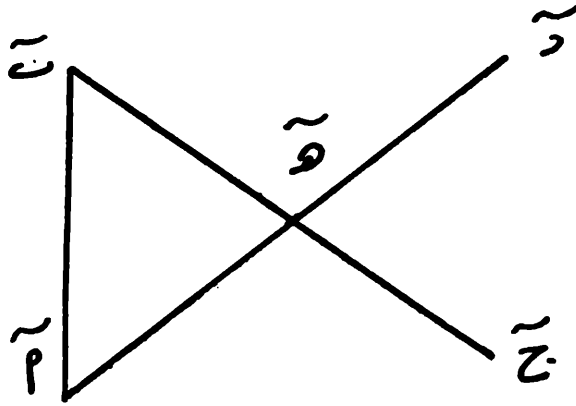
(١٣-١٤) زيد . . . على : ساقطة من م . (١٦) تأدى : يؤدي ك .

(١٧) رؤى : يرى ك || الوضع : الموضع د ، ك .

(١٩) ثان : بأن م ؛ + بأن ك .

(٢٣) فإننا : فأما ك .

ونراه وحده إذا كان مقابلا للبصر ، وأما إذا لم يكن مقابلا فلإنا نراه في المرآة فقط .
فليكن على أصلهم آ نقطة البصر و ب موضع المرآة وليكن خط آ ب يخرج من البصر
ثم انعكس إلى جسم عند ج وليخرج خط آخر وهو آ د ويقطع خط ب ج على هـ



ويتصل به هناك . فأقول : يجب على أصولهم أن يكون شبح د يرى مع شبح ج
وب يرى شبح ج من طرفي هـ وب وخطي هـ آ وب آ . وذلك لأن أجزاء هذه
الخطوط الخارجة من الأبصار إما أن تكون متصلة وإما أن تكون متماسة ، فإن
كانت متصلة وكان من شأن بعضها كما فرضناه أن يقبل الأثر مع بعض إذا اتصلت
حتى تؤديه إلى الحلقة ، وكان الأثر في كلية الجرم نفسه لاني سطح منه مخصص بمجهة ،
وليس ذلك التأدية اختياريا ولا صناعيا ، بل طبيعيا ، فإذا حصل المنفعل ملاقيا للفاعل
الذي يفعل بالملاقاة وجب أن يتفعل عنه : فإن الحكم في خروج التهيؤات الطبيعية التي
في جواهر الأشياء إلى الفعل هو أن تكون طبيعة التهيؤ موجودة في ذات المنفعل وإن
لم تكن بسبب شيء من طبيعة الفاعل ، والأمر الذي عنه الفعل موجودا في ذات
الفاعل ، وإن لم يوجد مثلا في المنفعل . وإذا حصل ذلك لم يتوقف الخروج إلى
الفعل إلا على وصول أحدهما إلى الآخر . فإذا وصل الفاعل إلى المنفعل وارتفعت
الوسائط ، وهذا فيه قوة الفعل وذلك فيه قوة الانفعال ، وجب الفعل والانفعال الكائنان
بينهما بالطبع على أي نحو كان الاتصال ، ولم يكن للزاوية الكائنة بحال معنى ، ولا

(٢) وليخرج خط : ولنخرج خطا ف .

(٦) متماسة : متماسة د ، ك ، م .

(٨) تؤديه : تؤدي د ، تؤدي ك ، م .

(٩) فإذا : فلأن ك .

(١٠) يفعل : ساقطة من م || بالملاقاة : بالملاقات ك .

(١١) بسبب : لسبب م .

(١٢) وإذا : فإذا ف .

(١٥) الانفعال : الانفعال ك .

- لفقدان المنفذ وفناء المشف عند المرأة أثر . فإنه سواء في المنفذ واتصل به خطوط أو كان غير فلان واتصل به خطوط ، فإن الفاعل يجب أن بفعل والمنفعل يجب أن ينفع . فإن كان الشبح والأثر مثالا ليس في الحرم الشعاعى الممتد نفسه ولكن في سطح منه أو نقطة هي فناؤه ونهايته، وليست في جهة ذلك الخط بحيث يتصل به ذلك الخط من تلك الجهة فينفع عنه، بل على غير امتداد ذلك الخط ، فيجب أن لا ينفع ما بين أول الخط وآخره ، بل يقع الشبح من السطح الملاصق إلى السطح الثانى دفعة من غير انفعال الأجزاء في الوسط . وذلك لأن المتصل لا مقطوع له بالفعل ، أو وجب أن يكون الأداء على الخط المستقيم ولا يؤدي على زاوية البتة ، لأن لنقطة الزاوية إعراضا عن الاستقامة وهذا مما لا يقال .
- فبين من هذا أن انفعال خط هـ آ من خط جـ هـ كانفعال خط بـ آ من خط هـ بـ ، بل هو أولى وأقرب : فيجب أن يتأدى شبح جـ من كلا خطي هـ آ بـ آ ، فيجب أن يرى جـ حينئذ لاشيئا واحدا بل شيئين . وأيضا يجب أن يتأدى شبح دـ مع شبح جـ ويضعون أن شبح بـ متأد مع شبح جـ ، فيجب أن ترى الأشباح الثلاثة معا ، وجميع هذا غير كائن . وعلى هذا القياس إن كانت متماسة فلأنها إن كان كل جزء منها يقبل الأثر بجميع جرمه وجب بمماسه الفعل والتأثير في الذى يليه ، وإن كان لا يؤثر إلا في السطوح التى تقابل المبصر لم يجز في شئ من الزوايا التى تقع حادثة عن ذلك السطح أن يتأدى منها المبصر إلى البصر .
- فإن سئلنا نحن أنكم ما بالكم توجبون أن تقع تأدية هذا الشبح على الاستقامة أو على هيئة مّا وقوعا إلى بعض الأبصار المماسة له دون بعض، فنقول : أما نحن بالحقيقة فلا نقول : إن الهواء مؤد على أنه قابل شئ البتة من الرسوم والأشباح من شئ ليحمله إلى شئ ، بل نقول : إن من شأن النير أن يتأدى شبحه إلى المقابل له إن لم يكن بينهما عائق هو الملون ، بل كانت الواسطة بينهما مشقة . ولو كانت الواسطة قابلة أولا ثم مؤدية لأدت إلى الأبصار كلها كيف كان وضعها كما تؤدي الحرارة إلى إلى الملاصق كلها كيف كان وضعها :

(٢) واتصل : واتصلت م .

(٢) فإن : وإن ف .

(٤) فناؤه : فناءه ف ، ك || بحيث . . . الخط : ساقطة من م .

(٧) وذلك : + محال ف . (٨) لنقطة : النقطة ك .

(١٢) متأد : متأدى ك .

(١٤) بمماسه : بماسة ك || والتأثير : وأما التأثير م .

(١٥) لا يؤثر : لا د ، ف ، م .

(١٨) وقوعا : وقوعها م .

ثم من الأمور التي يجب أن يبحث عنها في هذا الموضوع هو أننا كثيرا ما نرى الشبح
 وذا الشبح معا دفعة واحدة ونراهما متميزين ، أغنى أنا نرى في المرأة شبح شيء
 ونراه أيضا بنفسه من جانب وذلك معا ، وعسى أن ذلك إنما يقع بسبب خطي شعاع
 أحدهما يصير إليه بالاستقامة ، والآخر على زاوية عكس . ولأن الواقعين على الشيء
 اثنان ، فمن جهة ذلك نراه اثنين فنحصل الآن هذا هل هو ممكن أو ليس بممكن .
 فنقول : إن وقوع جزئين على المبصر لا يوجب أن يرى الشيء الواحد اثنين ، فإن
 الشعاع عندهم كلما اجتمعت أجزاؤه على المبصر وتراكمت كان إدراكها إياه أشد
 تحقيقا وأبعد عن الغلط في العدد . والخصوم معترفون بهذا ولا يوجبون أن شعاعا
 واحدا إذا رأى الشيء وحده كان واحدا ، فإن وقع عليه شعاع آخر واتصل به صار
 في الرؤية بسببه غلط . على أنه لا يمكن أن يلمس شيئا واحدا شعاعان معا لا شعاعا
 أصل ولا شعاعا أصل وعكس . والشعاع جسم على مايروونه ، لأن الجسم لا ينفذ
 في الجسم ، بل يجوز أن يقع شعاع على شعاع . فإن سلكنا هذه السبيل لم يكن الإبصار
 بكليهما على سبيل اللمس ؛ بل يكون أحدهما يلمس والآخر يقبل منه ، وسواء
 كان الشعاعان طرفي خطين خرجا على الاستقامة أو أحدهما والآخر من جانب
 العكس . ١٥

فلإذن إن كان ههنا سبب فليس وقوع شعاعين على واحد مطلقا ، بل بشرط وهو
 أن أحد الشعاعين وقع عليه وحده ، والشعاع الثاني أيضا وقع معه على غيره . وهذا
 القسم يبطل بممرأتين توضعان متقابلتين ، فإن الأشعة لا تفرق فيهما من هذه الجهة ،
 بل كل شعوب شعاع فهو واقع على الاثنين جميعا . ومع ذلك فإن البصر يرى
 كل مرآة وشبحها دفعة . والشعاعان ههنا لا يفرقان ، فلا يجوز أن يؤدي شعاع ٢٠

(١) أنا : أن ك .

(٣) إنما : ساقطة من ف .

(٤) الواقعين : الواقع م .

(٥) فنحصل : فنحصل ك .

(٦) الشيء : ساقطة من ف .

(٧) لأجزاء : أجزاء ف ، ك .

(١٠) في الرؤية : بالرؤية ف ؛ في الزاوية م .

(١٢) ههنا : ههنا د ، ف ، ك .

(١٦) بشرط : بشرط د ؛ بالشرط ك ، م .

(١٩) شعوب : شعوب ك .

(٢٠) والشعاعان : والشعاعات م .

- شبحا والآخر غير ذلك الشبح ، فإن كل واحد منهما أدرك ما أدرك الآخر والمدرَك واحد فيجب أن لا يكون الإدراك والأداء اثنين ، بل يجب أن يأتي البصر صورة كل مرآة مرة غير مكررة . وإن تكررت بسبب العكس وكان لذلك وجه وعنصر متكلف لنسامح في تسليمه ، فلا يجب أن يقع تكرار بعد تكرار فما بال كل واحدة من المرأتين تتأذى عنها أشباح كثيرة حتى ترى المرآة الواحدة مرارا كثيرة ، مرة واحدة ترى نفسها كما هي ومرارا كثيرة جدا شبحها فإن قلنا : إن الشماع لما انعكس من هذه المرآة إلى الأخرى في هذه المرآة ، ثم لما انعكس مرة أخرى إلى الأولى رأى الأولى في هذه الأخرى ، فإذا انعكس مرة أخرى فلم لا يرى كما رآه مرة أولى ، إلا أن يقولوا إن الأول رآه بجزء والآخر رآه بجزء آخر . فإن كانت الأجزاء مؤدية لإرابطته فليس تؤدي أشياء أخرى ، بل ذلك الشبح بعينه واختلاف وقوعها عليه بعد كونه واحدا بعينه لا يوجب اختلافا في الرؤية . فقد بينا ذلك أيضا ، فإن عندهم أن أجزاء المنعكس تحتاز على المبصر المنعكس عنه اجتيازاً ، فيجب أن تتبدل صورته في تلك الأجزاء . ومع ذلك فليس يجب من تبدلها عليه أن تزيد في عدد ما يدرك أولاً وثانياً إذ كان ما يؤدي من الصورة واحداً ، وإن كانت الأجزاء بأنفسها رائية وجب ما قلنا في امتناع رؤية شبح المنعكس إليه في شبح المنعكس عنه . ثم لم يجب أن ترى الأشباح عن قليل وقد صغرت .

فعمى أن يقولوا : إن الشماع إذا تردد طالت مسافته فرأى كل مرة أصغر فقارق الأول الثاني بالصغر ، فيجب أن يكون أولاً المخطوط الشعاعية إذا تراكمت لا تكون كخط واحد أغلظ وأقوى من الأول ، بل تبقى خطوطاً معطوفة موضوعة بعضها

(١) ما أدرك : ساقطة من د .

(٢) فيجب : فلا يجب كـ || لا يكون : يكون كـ || صورة : ساقطة من د .

(٣) لذلك : كذلك م .

(٤) واحدة : واحد ، كـ ، م .

(٦) شبحها : أشباحها كـ .

(١٠) لإرابطته : لأرائية فـ .

(١١) لا يوجب : ساقطة من د .

(١٢) اجتيازاً : واختياراً م .

(١٣) من : في د .

(١٤) واحداً : واحدة م .

(١٧) أن يقولوا : أنهم يقولون د || فرأى : فرؤى م .

(١٩) خطوطاً : خطوط كـ .

يجنب بعض محفوظة القوام لاتتحد . وهذا الحكم عجيب . وبعد ذلك فإنهم لايجدون للتصغير بالبعد المنعرج من تحدد الزاوية ما يوجد للبعد المستقيم . ثم مايقولون في ذلك المرئى بعينه ، فإنه إذا بوعد به أضعاف ما تقتضيه المساحة بين الانعكسات لم ير بذلك الصغر . مثلاً إنه إذا انعكس البصر من مرآة A إلى مرآة B فرأى صورة B في مرآة A ثم انعكس البصر من مرآة B إلى مرآة A فرأى صورة A في مرآة B ، ثم انعكس البصر من مرآة A إلى مرآة B فرأى صورة B . ثم كذلك رأى صورة A في مرآة B والبعد بينهما شبران فيجب أن يكون ما قطعه الشعاع من مسافته المنعرجة ما بين العين وإحدى المرأتين ثمانية أشبار . ولو أننا بعدنا مرآة B عن مركزها عشرة أشبار فما فوقها لم نكن نراها بذلك الصغر . على أن العجب فيما ذكرناه هو من افتراق الصورة المأخوذة عن الشيء بذاته ، والمأخوذة عنه بالانعكس ، أو المأخوذة عنه بعكسين ، فإن جميع ذلك متفرق عند البصر . والصورتان المأخوذتان هما عن مادة واحدة في قابل واحد فيماذا تفترقان . لأن افتراق الصور إما بالخلود والمعاني وإما في القوابل ؛ والصورتان معنيهما واحد وحاملهما الأول واحد ، وقابلهما الثاني واحد ، فيجب أن لا تكونا اثنتين .

أما على مذهبنا ، فإن هذه الشناعة غير لازمة ، لأن الصورتين عندنا مأخوذتان عن قابلين : أحدهما حاملهما الأول ، والثاني الجسم الصقيل القابل لشبههما نوعاً من القبول أو الفاعل لصورهما في العين نوعاً من الفعل . ثم العجب من أمر الشعاع بعد الشعاع ، فإنه إن كان الأمر على ما قلنا من أن الشعاع الثاني لا يجب أن ينفذ في الأول ، بل يماسه من خارج فكيف يلامس الشعاع المنعكس المرئى فيراه ، وإنما يلامس ماغطاه من لامسه السابق . فإن كان يرى ما رآه ذلك بحسب الانفعال منه

(٢) للتصغير : للتصغير ك || تحدد : عدد د ، ك ، م .

(٤) من : ساقطة من م .

(٥) صورة : + مرآة د || ب (الثانية) : آ د ، ك ، م .

(٧) آ في مرآة ت : ب في مرآة آ د ، ك ، م .

(٨) وإحدى : وأجد م .

(٩) فوقها : فوقه د || نراها : نراه د ، ك ، م .

(١٠) أو المأخوذة : والمأخوذة ف . (١٣) معنيها : معناها ك ، م .

(١٦) لشبههما : لشبهها م .

(١٧) أو الفاعل : والفاعل ف ، ك || لصورهما : لصورتهما د ، ك ؛ تصورها م || من : في ك .

(١٨) بعد الشعاع : ساقطة من م || الأمر : الأمر م .

(١٩) فكيف : وكيف د || فيراه : فرآه ك .

وقبول ما قبله بسبب الاتصال به ، بطلت شريطة الانفعال على الزاوية المعينة ، وكان أيضا إنما أدرك ما أدرك الأول لا شيئا غيره بالعدد بوجه من الوجوه، وإن كان كل يلامس شيئا من أجزاء الشيء غير ما يلامسه الآخر ، فليس ولا واحد منهما بمستقصى الإدراك ولا إدراكهما لشيء واحد .

الفصل السابع

في حل الشبه التي أوردوها في إتمام القول في البصيرة
التي لها أوضاع مختلفة من مشقات ومن صقيلات

فلنحل الآن الشبه المذكورة . فأما ما تعلقوا به من أن القرب يمنع الإبصار
• وأن انتقال الألوان والأشكال عن موادها مستحيل ، فهذا إنما كان يصح
لهم لو قيل : إن الإبصار أو شيئا من الإحساسات إنما هو بنزع الصورة من
المادة على أنه أخذ نفس الصورة من المادة ونقلها إلى القوة الحاسة . وهذا
شيء لم يقل به أحد ، بل قالوا إن ذلك على سبيل الانفعال . والاتفعال
ليس أن يسلخ المنفعل قوة الفاعل أو كيفيته ، بل أن يقبل منه مثلها أو جنسا
غيرها . ونحن نقول : إن البصر يقبل في نفسه صورة من المبصر مشاكلة للصورة
التي فيه لأعين صورته ، وهذا الذي يحس أيضا بالتقريب كالمشموم والملموس
فليس يسلب الحاس بذلك صورته ، بل إنما يوجد فيه مثل صورته . لكن
من الأشياء ما إلى الانفعال عنه سبيل بالملاقاة ، ومنها ما إذا لوقى انقطع عنه
شيء يحتاج إليه حتى يؤثر أثره ، وهو في هذا الموضع هو الشعاع المحتاج إلى
اتصاله بالصورة المرئية في أن يلتقي ذو الصورة شبحا عن صورته في غيره مناسبة
لما نراه من إلقائه شبحه المؤكد إذا اشتد عليه الضوء ، حتى أنه يصبغ ما يقابله

(١) الفصل السابع : فصل ٧ ف .

(٢) أوردوها : يوردها د .

(٣) ومن : وفي د || صقيلات : صقيلة م .

(٥) مستحيل : يستحيل م .

(٦) من : من ك .

(٩) إن : ساقطة من ك .

(١٣) عنه : منه د ، ك ، ا || ومنها : ومنه د ، م || لوقى : لوق د ، ف .

(١٤) هو : ساقطة من م .

بصبغه فأداه متحققا إذا كان مايقابله قابلا لذلك ولو بتوسط مرآة أيضا ، ومع الاحتياج إلى استنشاء المرئي فإنه يحتاج أيضا إلى متوسط كالألة تعيينه عليه وهو الإشفاف ، وأن يكون للمقدار منه حد محدود لا يقع الأصغر منه فيه .

- ومن الدليل على أن المدرك يأخذ شبعا من المدرك ما يبقى في الخيال من صورة المرئي حتى يتخيله متى شاء ، فترى أن ذلك المتخيل هو صورة الشيء في نفسه ، وقد انتقل إلى الخيال وتجرد تجرد الشيء عن صورته ، كلا بل هو شيء غيره مناسب له . وأيضا فإن بقاء صورة الشمس في العين مدة طويله إذا نظرت إليها ثم أعرضت عنها بذلك على قبول العين للشبح ، وكذلك تخيل القطرة النازلة خطا والنقطة المتحركة على الاستدارة بالمعجاة دائرة ، ولا يمكنك أن تتخيل ذلك وتراه إلا أن ترى امتدادا مّا ، ولا يمكن أن ترى امتدادا من نقطة متحركة في غير زمان ولا من غير أن تتخيل ذلك الشيء في مكانين . فيجب أن يكون تكون القطرة فوق ثم تحت وامتدادها فيما بين ذلك ، وكون النقطة على طرف من المسافة التي تستدير فيها وعلى طرف آخر ، وامتدادها فيما بين ذلك ، متصور الشبح عندك . وليس ذلك بحسب آن واحد ، فيجب إذن أن يكون شبح ماتقدم مستحفظا بعده باقيا عقيبه ، ثم ياحقه الإحساس بما تأخر ويجتمعان امتدادا كأنه محسوس . وذلك لأن صورته راسخة وإن كانت القطرة أو النقطة قد زالت عن أى حد فرضت ولم تبقى فيه زمانا .

وأما ما ذكره من أمر النور الذي يتخيل بين يدي العين ، فالسبب في

(٢-١) ومع أيضا : ساقطة من م .

(٢) أيضا : ساقطة من ك .

(٦) وتجرد تجرد الشيء : يتحرك الشيء د || تجرد : ساقطة من م .

(٨) أعرضت : أعرض م || بذلك : بذلك م .

(٩) على : عن د .

(١٠) امتدادا ما : امتدادها ك .

(١١) ذلك : ساقطة من ف .

(١٢) يكون : + [ذلك] ف || تكون : لكون د ، ف ، م || وامتدادها : وامتداد م || فيما :

ما د ، ك ، م .

(١٣) ذلك : ساقطة من م || وكون : كون م || من : ساقطة من ك ، م || تستدير : تستبين م .

(١٦) بما : لما م .

غلطهم به أن ذلك عندهم ليس يكون إلا على وجه واحد ، حتى ظنوا أنه لا يجوز أن تكون العين شيئاً له في جوهره ضوء كالأشياء اللوامع التي ذكرناها فيما سلف . فإذا كانت ظلمة لمع وأضاء ما قدمه بكيفية يؤثرها لا شيء ينفصل عنه وكأنه لا يجوز أيضاً أن يكون الحك واللمس قد يحدث شعاعات نارية لطيفة في الظلمة ، كما يتفق من مس ظهر السنور وإمرار اليد على الخدعة واللمحة في الظلمة . وقد يظهر لك أنه لا يبعد أن تكون الخدعة نفسها مما يلمع ليلاً ويضيء وبلقي شعاعها على ما يقابلها ، فإن عيون كثير من الحيوان بهذه الصفة كعين الأسد والحية . فإذا كانت كذلك جاز أن ينير المظلم . ولهذا ما كان كثير من الحيوانات ترى الظلمة لإنارتها الشيء بنور يفيض من عينيها ولقوة عينيها . ١٠

وأما حديث امتلاء الخدعة عند تغميض الأخرى فمن الذي ينكر أن يكون في العصبية المخوفة جسم لطيف هو مركب القوة الباصرة ، وهو الذي يسمى الروح الباصرة ، وأنه يتحرك تارة مستبطناً هارباً وتارة مستظهراً محدقاً . فإذا غمضت إحدى العينين هرب من التعطل ومن الظلمة طبعاً ، فمال إلى العين الأخرى ، لأن المنفذ فيها مشترك على ما يعرفه أصحاب التشريح . وليس إذا امتلا شيء من شيء ، يجب من ذلك أن يكون في طبع المائي بروز وخروج وذهاب في الأرض ومسافة إلى أقطار العالم . ١٥

وأما حديث المرأة فيلزم سؤالهم جميع من عنده أن المرأة تنطبع فيها صورة المحسوس . لكن الأجوبة التي يمكن أن يجاب بها عن ذلك ثلاثة : ٢٠ جواب كأنه مبنى على مذهب مشهور ، وهو أن الصورة لا تنطبع في المرأة على الهيئة التي تنطبع الصورة المادية في موادها وبحيث لا تجتمع فيها الأضداد ، بل هذه الصورة تنطبع كليتها في كلية المرأة ، ولا بأس أن يجتمع فيها شبح بياض

(٤) وكأنه : وكان م .

(٥) ظهر : ظهور د .

(٧) عيون : عيون د || كثير : كثيرة د .

(٨) كانت : كان ك .

(٩) عينيها ولقوة : ساقطة من م .

(١٢) وهو الذي يسمى : وهي التي تسمى د ، م .

(١٣) الباصرة : الباصرك || وأنه : أنه ك .

(١٤) هرب : هربت د ، ف ، م || قال : قالت د ، ف ، م .

(٢١) لا تجتمع : لا تجمع م || فيها : فيه د ، ك ، ه منه م .

وسواد معا لأنهما فيها لا على سبيل التكيف بها ، بل كما يكون في المعقول .
والعقول تعقل السواد والبياض من غير تعاند ولا انقسام . ثم إنما يتأدى إلى
البصر ما يكون على نسبة ^{١٠} بين الثلاث أعني المبصر والمرأة والبصر . ولا تتفق
نسبة الجميع من كل جزء من المرأة ، بل يكون جزء منها يؤدي البياض بعينه
و جزء آخر يؤدي السواد بعينه ويتحدد بينهما حد في الرؤية ، فتكون جملة
الآداء والتحدد محصلة الصورة مثل المبصر في البصر . وهذا الجواب مما لا أقول
به ولا أعرفه ، ولا أفهم كيف تكون الصورة تنطبع في جسم مادي من غير
أن تكون موجودة فيه ، وقد يخلو الجسم عنها وهي منطبعة فيه ، وكيف يكون
غير خال عنها وهي لا ترى فيه ، بل ترى صورته التي له ، مع أن من شأن
ذلك أيضا أن يرى . أو كيف يكون خاليا بالقياس إلى واقف دون واقف
وهذا اشتطاط وتكلف بعيد . ومما فيه من التكلف أنهم لا يجعلون للشكل
انطبعا فيه ، فإن جعلوا جعلوا الشكل غير محدود ؛ ومما فيه من التكلف أن
يجعلوا صورة السواد في جسم من غير أن يكون ذلك سوادا للجسم ،
وأن يجوزوا أيضا اجتماع البياض فيه في وقت واحد ويجعلوا صورة السواد
غير السواد وصورة البياض غير البياض : وأما حديث العقل والمعقول فدعه
إلى وقته .

وأما الجوابان الآخران اللذان يمكن أن يجيب بهما مجيب : أحدهما متشدد فيه
والآخر مقارب فيه . فأما المتشدد فيه فأن يقال : أما أولا فليس يجب إذا كان شيء
يحتاج إليه ، أن يفعل شيء في شيء أن يكون المحتاح إليه مثل المرأة ، والمشف
ههنا ينفعل من المبدأ مثل الفعل الذي ينفعل به الثالث ، فبرى أن السيف
إذا أولم به ألم ، والهدية إذا سُر بها سرّت ؛ وأما ثانيا فليس بينا بنفسه ولا

(١) فيها : فيها م || لا عل : عل د .

(٣) الثلاث : الثلاثة م .

(٤) منها : منه د ، ك ، م .

(٦) محصلة : محصلا ف ، م || الصورة : لصورة م .

(٩) رمى : وهلك م ، || فيه : فيها ك .

(١١) وهذا : وهذه ك || اشتطاط : لإشتطاط .

(١٢) جعلوا جعلوا : جعلوا ك ، م .

(١٨) فأما : أما د ؛ وأما ك .

(١٩) إليه (الثانية) : ساقطة من د .

ظاهر الا شك فيه أن كل جسم فاعل يجب أن يكون ملاقيا للملموس ، فإن هذا وإن كان موجودا بالاستقراء في أكثر الأجسام فليس واجبا ضرورة أن يكون كل فعل وانفعال باللقاء والتماس ، بل يجوز أن تكون أفعال أشياء في أشياء من غير ملاقاته . فكما يجوز أن يفعل مالمس بجسم في الجسم من غير ملاقاته كالبارى والعقل والنفس ، فليس ببدع أن يكون جسم يفعل في جسم بغير الملاقاة ، فتكون أجسام تفعل بالملاقاة وأجسام تفعل لا بالملاقاة . وليس يمكن أحد أن يقيم برهانا على استحالة هذا ولا على أنه لا يمكن أن يكون بين الجسمين نصبة ووضع يجوز أن يؤثر أحدهما في الآخر من غير ملاقاته، إنما يبقى ههنا ضرب من التعجب كما لو كان اتفق أن كانت الأجسام كلها إنما يفعل بعضها في بعض بمثل تلك النصبة المباشرة، فكان إذا اتفق أن شوهد فاعل بفعل بالملاقاة تعجب منه كما يتعجب الآن من مؤثر بغير ملاقاته. ١٠

فلذا كان هذا غير مستحيل في أول العقل وكان صحة مذهبنا المبرهن عليه يوجبه وكان لا برهان البتة ينقضه فنقول : إن من شأن الجسم المضىء بذاته والمستنير الملون أن يفعل في الجسم — الذى يقابله إذا كان قابلا للشبح قبول البصر وبينهما جسم لا لون له — تأثيراً هو صورة مثل صورته من غير أن يفعل في المتوسط شيئا ، إذ هو غير قابل لأنه شفاف . فلذا كان غير بين بنفسه ولا قام عليه برهان أن لا يكون جسم يفعل في مقابل له بتوسط شفاف البتة ، وكان هذا مجوزا في أول العقل ومتضحاً بما برهنا عليه من كيفية الإدراك، وكان ذلك غير محال ، فكذلك غير محال أيضا أن يكون بدل المتوسط الواحد متوسطان : المتوسط ومتوسط آخر ، وبدل النصبة والوضع نصبتان ووضعان: النصبة والوضع المذكوران ، مع وضع ونصبة أخرى . فيكون بدل هذا المتوسط الشفاف وحده متوسط ملون صقيل مع الشفاف ، وبدل نصبة المقابلة مع هذا المضىء والمستنير النصبة والمقابلة مع ذلك الصقيل الذى له النصبة والوضع

(٤) فكما : كما ك .

(٥) جسم (الأولى) : ساقطة من د .

(٧) ولا على : وعلى م || يكون : ساقطة من د .

(١١) ملهنا : مله م .

(١٣) الملون : ساقطة من م .

(١٦) أن لا : ألا د ؛ إلا أن ؛ أن م .

(٢٠) المذكوران : المذكورة د .

(٢١) ملون : يكون م .

المذكوران مع الماضي المستنير المرئى . فيكون من شأن هذا الجسم أن يفعل في كل ماقابل مقابلا له صقيلا يكون مقابله في شفيف ولو صقيل بعد صقيل إلى غير النهاية بعد أن يكونا على وضع محدود فعلا هو مثل صورته من غير أن يفعل في الصقيل البتة . فيكون المشف والصقيل شيئين محتاج إليهما حتى يفعل شيء في شيء آخر ولا يكون ذلك الفعل بعينه فيهما . فإذا كان كذلك واتفق أن وافي خيال الصقيل إلى البصر وخيال الشيء الآخر معا ورثيا معا في جزء من الناظر واحد ، ظن أن الخيال يرى في الصقيل بعكس ما كانوا في الشعاعات .

وأما الطريق المساهل فيه فهو أنه ليس يجب أن يؤثر كل شيء في كل شيء مثل نفسه ، كما يجوز أن يؤثر أيضا مثل نفسه . فالماضي والمستنير يجوز أن يؤثر في الهواء أثرا متا ، ذلك الأثر ليس أن يتشبح بشبح مثل صورة الماضي والمستنير ، بل يؤثر فيه أثرا لا يدرك بالحواس البصرى أو غيره من الحواس ، وكذلك يجوز أن يؤثر في الصقيل أثرا متا إما بواسطة المشف أو بغير واسطة . ثم المشف أو الصقيل يفعل في آلة البصر أثرا ، ذلك الأثر هو مثل صورة ما أثر في كل واحد منهما أولا ، فيكون كل واحد من المؤثرين يؤثر أثرا خلاف ما فيه ، أعني بالمؤثرين : المرئى الذى يؤثر في المشف أو الصقيل ، والمشف أو الصقيل الذى يؤثر في البصر . ومثل هذا كثير ، أعني أن يكون شيء يؤثر في شيء أثرا خلاف طبيعته ، ثم يؤثر هو في شيء آخر مثل طبيعة الأول ، مثل الحركة فإنها تحدث في جرم شيء سخونة فتسخن الشيء ، ثم تلك السخونة تحدث حركة غير الحركة الأولى بالعدد ومثلها في النوع . وقد يمكن أن يشاهد هذا بمرآة ينعكس عنها ضوء ولون إلى حائط بحيث يستقر في الحائط ولا ينتقل بحسب مقامات الناظر ولا يكون مستقرا البتة في المرآة . وهذا المستقر يعلم أنه

(٢) يكون : + كل ف .

(٣) النهاية : نهاية م .

(٧) ما قالوا : ما قالوه م .

(١١) يؤثر : يؤثر ف || الحواس : + إلا في سطحه الذى يتأق إليه ويتقابل الجهة التى فيها ذو الشبح د .

(١٢) يؤثر : يؤثر ف .

(١٣) أو الصقيل : والصقيل د || البصر : + أولا بتوسط فعلها في سطح الهواء الذى يليه د ||

ذلك : وذلك د || هو : ساقطة من د .

(١٥) بالمؤثرين : بالمؤثر د ، م ؛ المؤثر ك .

(١٦) أو الصقيل : والصقيل د ، م || كثير : كثيرا م .

(١٨) شيء : ساقطة من م .

وارد من طريق المرأة إلى الحائط ، وهو وإن كان يرى في المرأة فلا يرى مستقرا فيها فتكون المرأة أثرت أثرا مثل كيفية ما أثرت فيها أثرا ليس مثل كيفية في الاستقرار ، وعلى ذلك حال البصر .

وأما حديث الانعطاف عن الماء فقد قال أصحاب الشعاع إن الشعاع إذا وقع عليه انبسط وانكسر أولا فأخذ مكانا أكثر ثم نفذ فراه مع أكثر مما يحاذيه .
 ٥ وأما أصحاب الأشباح فقد قال بعضهم : إن السبب فيه أن بعض ما يحاذي يؤدي على أنه منفذ في المحاذاة ، وبعضه على أنه مرآة ، ولا يبعد أن يظن أن الجميع يؤدي على أنه مرآة ، والمرآة من داخل خلاف المرأة من خارج . وقال فاضل قديما المفسرين : إن البصر يعرض له لما يفوته من استقصاء تأمل الشيء أن يراه أبعد ويتفرق البصر لتأمله فيعظم شبحه . ويمكن أن يؤكد هذا القول بأن الشيء الذي اعتمد أن يرى من بعد ما على قدر ما فإذا تخيل أبعد من حيث هو ولم ير قدره القدر الذي يخيله ذلك البعد ، بل أعظم منه لأنه بالحقيقة قريب رؤى له مقدار أعظم من المقدار الذي يستحقه ببعده فيتخيل أعظم من المعهود . ثم في هذا فضل نظر يحتاج أن يظن له المتحقق للأصول ، ويكون بحيث لا ينحني عليه كيف ينبغي أن يكون الحق في ذلك . ثم هذه الشبهة ليست مما تخص بلزومها لإحدى الفرقتين دون الأخرى فإن الانكسار الذي يقوله أصحاب الانكسار إن كان للصك فلم يبق على حاله ولم لا يرجع كرة أخرى فيستوى ، إذ طبيعة الشعاع أن ينفذ على الاستقامة . فإن كان هذا مستحيلا في الشعاع النافذ إليه إذا لاقاه ثم ازداد الشيء غورا فلم يعرض له أن يزداد لغوره انكسارا ولم لا يزداد بامتداده انتظاما ، فإن القياس يوجب أن يحدث له بالامتداد اتصال لا ينسبط : وبالحملة فنعم ما قال المعلم الأول حين قال : لأن يمتد المبصر من سعة إلى ضيق فيجتمع فيه

(١) وإن : إن د ، ك ، م .

(٢) ما أثرت : ما أثر ف || أثرا : ساقطة من ك .

(٣) كيفية : كيفيته ف .

(٤) إن الشعاع : ساقطة من م .

(٦) فقد : وقد م .

(١١) تخيل : يتخيل ك .

(١٥) ويكون : ويمكن م .

(١٦) بلزومها : بلزومه ف || الأخرى : أخرى ك .

(١٧) إذ : إذن م .

(٢٠) اتصال : اتصالا ك || لا ينسبط : لا تجسط ف .

(٢١) فنعم : نعم ك ، م .

يكون ذلك فيه أعون على تحقيق صورته من أن يخرج الرائي من العين منتشرا في السعة .

- ومما يتصل بهذا الموضع حال ما نقوله من أوضاع المرئي والرائي والضوء والمرآة ، فنقول : قد يعرض أن يكون المرئي والمضيء والرائي في شفاف واحد ، وقد يعرض أن يكون المضيء والمرئي في شفافات بينها سطوح ، فإن كان وضع السطح في المحاذاة التي بين الرائي والمضيء الفاعل للاستنارة لم ير ذلك السطح كسطح الفلك والهواء ، وإن كان السطح خارجا عن ذلك كسطح الماء ونحن في الهواء ، والمضيء ليس في هذه المحاذاة ، فإن ذلك السطح ينعكس عنه الضوء الآتي من المضيء إلى البصر ، فيرى متميزا ، فقد علمت ما نغني بالعكس . وإن كان في داخل السطح المنعكس عنه مرئي أراه ما هو فيه على أنه مشف وأراه على أنه مرآة ، وكانت المرآة التي هناك مطابقة لما يحاذي المرئي إن كان مكشوبا للرائي ، وإن كان مستورا كانت المرآة ملتقى الخط الخارج من البصر والعمود الخارج من المرئي الذي في الماء ، فإن شبحه يتأدى عنه على استقامة . فلأنك إن ألقيت خاتما في الطشت بحيث لا تراه ثم ملأته ماء رأيت ، وإن كان المرئي خارجا عن شفاف متوسط غير الشفاف الذي فيه الرائي والمضيء ، فإن المشف المتوسط يريه وإن كان ليس كذلك ، بل هو من جهة الرائي ، فإن سطح ذلك المشف لا يريه إلا أن يجعل له لون غريب بشئ يوضع من ذلك الجانب حتى يرى ككرة البلور الملون أحد جانبيها .

(٣) والضوء : ساقطة من م .

(٥) شفافات : شفافين ك || بينهما : بينهما ك .

(٩) مرئي : مرأي م .

(١٠) المرآة : + هي د .

(١١) كانت : وكانت د ، ك .

(١٢) المرئي : المرأي م .

(١٣) الطشت : طشت د ، الطشت م .

(١٤) متوسط : يتوسط م .

(١٦) يوضع : بموضع م .

الفصل الثامن

في سبب رؤية الشيء الواحد لشيئين

لنقل في سبب رؤية الشيء الواحد كشيئين فإنه موضع نظر ، وذلك لأنه أحد ما يتعلق به أصحاب الشعاعات أيضا . ويقولون : إنه إذا كان الإبصار بشيء خارج من البصر يلقى المبصر ثم يتفق أن ينكسر وضعه عند البصر ، وجب أن يرى الشيء الواحد لا محالة كشيئين متباينين فيرى اثنين . وليسوا يعلمون أن هذا يلزمهم الشناعة بالحقيقة ، وذلك لأن الإبصار إن كان بمماسة أطراف الشعاعات وقد اجتمعت عليه ، فيجب أن يَرى على كل حال واحدا . ولا يضر في ذلك انكسار أطراف الشعاعات المنكسرة ، بل الحق هو أن شبح المبصر يتأدى بتوسط الشفاف إلى العضو القابل المنتهيء الأملس النير من غير أن يقبله جوهر الشفاف أصلا من حيث هو تلك الصورة ، بل يقع بحسب المقابلة لا في زمان ، وأن شبح المبصر أول ما ينطبع إنما ينطبع في الرطوبة الجليدية ، وإن الإبصار بالحقيقة لا يكون عندها ، وإلا لكان الشيء الواحد يرى شيئين لأن له في الجليديتين شبحين كما إذا لمس باليدين كان لمسين . ولكن هذا الشبح يتأدى في العصبتين المحوكتين إلى ملتقاهما على هيئة الصليب ، وهما عصبتان نبيين لك حالهما حين نتكلم في التثريح . وكما أن الصورة الخارجة يمتد منها في الوهم مخروط يستدق إلى أن يوقع زاويته وراء سطح الجليدية ، كذلك الشبح الذي في الجليدية يتأدى بوساطة الروح المؤدية

(١) الفصل الثامن : فصل ٨ ف ؛ ساقطة من د .

(٢) الواحد : ساقطة من د || كشيئين : شيئين ف ، م .

(٤) به : منه د .

(٦) فيرى : فرأى د ، ك .

(٧) بالحقيقة : ساقطة من م .

(١٠) المنتهىء : المهيا لف ؛ ساقطة من د ، م .

(١١) وأن : فإن ك .

(١٣) الجليديتين : الجليديتين م .

(١٣) شبحين . . . ولكن : ساقطة من م .

(١٤) ولكن : لكن ف .

(١٧) بوساطة : بوساطة ف .

التي في العصبيتين إلى ملتقاهما على هيئة مخروط فيلتقي المخروطان ويتقاطعان هناك فتتحد منهما صورة شبحية واحدة عند الجزء من الروح الحامل للقوة الباصرة . ثم أن ما وراء ذلك روحا مؤدية للبصر لا مدركة مرة أخرى ، وإلا لافترق الإدراك مرة أخرى لافتراق العصبيتين . وهذه المؤدية هي من جوهر المبصر وتنفذ إلى الروح المصبوبة في الفضاء المقدم من الدماغ فتنتطبج الصورة المبصرة مرة أخرى في تلك الروح الحاملة لقوة الحس المشترك فيقبل الحس المشترك تلك الصورة وهو كمال الإبصار :

والقوة المبصرة غير الحس المشترك ، وإن كانت فائضة منه وهو مدبر لها . لأن القوة الباصرة تبصر ولا تسمع ولا تشم ولا تلمس ولا تذوق ، والقوة التي هي الحاسة المشتركة تبصر وتسمع وتشم وتلمس وتذوق على ما ستعلم . ثم إن القوة التي هي الحاس المشتركة تؤدي الصورة إلى جزء من الروح يتصل بجزء من الروح الحامل لها فتنتطبج فيه تلك الصورة ويخزنها هناك عند القوة المصورة وهي الخيالية - كما ستعلمه - فتقبل تلك الصورة وتحفظها . فإن الحس المشترك قابل للصورة لا حافظ ، والقوة الخيالية حافظة لما قبلت تلك ، والسبب في ذلك أن الروح التي فيها الحس المشترك إنما تثبت فيها الصورة المأخوذة من خارج منطبجة مادامت النسبة المذكورة بينها وبين المبصر محفوظة أو قريبة العهد . فإذا غاب المبصر انمحت الصورة عنها ولم تثبت زمانا يعتد به . وأما الروح التي فيها الخيال فإن الصورة تثبت فيها ، ولو بعد حين كثير ، على ما سيتضح لك عن قريب . والصورة إذا كانت في الحس المشترك كانت محسوسة بالحقيقه فيه ، حتى إذا انطبج فيه صورة كاذبة في الوجود أحسها

(٢) شبحية : شبيحية م .

(٨) والقوة المبصرة : فالقوة م || كانت : كان د ، م || فائضة : فائضاد ، م || منه : منا

د ، م || وهو : ساقطة من د ، ك ، م || مدبر : مدبراد ، ك ، م .

(٩) التي هي : ساقطة من ف .

(١٢) فيه : فيها د ، ك ، م || ستعلمه : ستعلمها د ، ف ، ك .

(١٥) بينها : بينهما ك .

(١٦) انمحت : امتنحت ك .

(١٧) التي فيها : الذي فيه د || الصورة : الصور ف ، م .

(١٨) حين : ساقطة من د ، م || عل : وعل د ، ك ، م .

(١٩) فيه (الأولى والثانية) : فيها د ، ك ، م .

كما بعرض للمسورين ، وإذا كانت في الخيال كانت متخيلة لا محسوسة .

ثم إن تلك الصورة التي في الخيال تنفذ إلى التجويف المؤخر إذا شاءت القوة الوهمية فتفتح الدودة بتباعد ما بين العضوين المسميين إلیی الدودة ؛ فانصلت بالروح الحاملة للقوة الوهمية بتوسط الروح الحاملة للقوة المتخيلة التي تسمى في الناس مفكرة ، فانطبعت الصورة التي في الخيال في روح القوة الوهمية . والقوة المتخيلة خادمة للوهمية مؤدية ما في الخيال إليها ، إلا أن ذلك لا يثبت بالفعل في القوة المتوهمة ، بل ما دام الطريق مفتوحا والروحان متلاقين والقوتان متقابلتين فإذا أعرضت القوة المتوهمة عنها بطلت عنها تلك الصورة . والدليل على صحة القول بأن حصول هذه الصورة في الوهم غير حصولها في الخيال ، أن الخيال كالتخازن وليست الصورة التي فيه متخيلة للنفس بالفعل دائما ، ولما كان يجب أن نتخيل معاصورا كثيرة أي صورة كانت في الخيال ، ولا هذه الصور أيضا في الخيال على سبيل ما بالقوة ولما لكان يحتاج إلى أن تسترجع بالحس الخارج مرة أخرى ، بل هي مخزونة فيه ، والوهم بتوسط المفكرة أو المتخيلة يعرضها على النفس وعنده يقف تأدي الصورة المحسوسة ، وأما الذكر فهو لشيء آخر كما نذكره بعد . فهذه أصول يجب أن تكون عتيقة عندك .

ولنرجع إلى غرضنا فنقول : إن السبب في رؤية الشيء الواحد اثنين أربعة أسباب : أحدها انتقال الآلة المؤدية للشبح الذي في الجليدية إلى ملتقى العصبين فلا يتأدى الشبحان إلى موضع واحد على الاستقامة ، بل ينتهي كل عند جزء من الروح الباصرة المرتبة هناك على حدة ، لأن خطي الشبحين لم ينمنا نفوذا من شأنه يتقاطعا عند مجاورة ملتقى العصبين ، فيجب لذلك أن ينطبع من كل شبح ينفذ

(١) كانت : لكانت م .

(٣) المسميين إلیی الدودة : المسمتين بالدودة ف ؛ المسميين الدودة م || فاتصلت : فاقصل م .

(٧-٨) بل ما دام . . . المتوهمة : ساقطة من م .

(٨) بطلت عا : ساقطة من م .

(٩) في (الأولى) : ساقطة من م .

(١١) صورة : صور لك || الصور : الصورة م .

(١٢) إلى : ساقطة من ف ، م .

(١٣) أو المتخيلة : والمتخيلة ، ك ، م .

(١٧) انتقال : انتقال م .

(١٨) على الاستقامة : ساقطة من ف .

(١٩) الباصرة المرتبة : الباصر المرتب ف ، ك .

عن الجليدية خيال على حدة وفي جزء من الروح الباصرة على حدة ، فيكون كأنهما خيالان عن شيئين مفترقين من خارج ، إذ لم يتحد الخطان الخارجان منهما إلى مركز الجليديتين نافذتين في العصبيتين ، فلهذا السبب ترى الأشياء كثيرة متفرقة .

والسبب الثاني حركة الروح الباصرة وتموجه بمنة ويسرة حتى يتقدم الجزء المدرك مركزه المرسوم له في الطبع آخذاً إلى جهة الجليديتين آخذاً متموجاً مضطرباً فيرتسم فيه الشبح والخيال قبل تقاطع المخروطين فيرى شبحين ، وهذا مثل الشبح المرتسم من الشمس في الماء الراكد الساكن مرة واحدة والمرتسم منها في المتموج ارتساماً متكرراً . وذلك أن الزاوية الحاصلة بين خط البصر إلى الماء وخط الشمس إلى الماء التي عندها يكون إِبصار الشيء على طريق التأدي من المرأة لشيء لا تبقى واحدة ، بل يتلقاها الموج في مواضع فتكثر هذه الزاوية فتنتطبع أشباح فوق واحد .

١٠

والسبب الثالث من اضطراب حركة الروح الباطنة التي وراء التقاطع إلى قدام وخلف حتى تكون لها حركتان إلى جهتين متضادتين : حركة إلى الحس المشترك ، وحركة إلى ملتقى العصبيتين ، فتأدي إليها صورة المحسوس مرة أخرى قبل أن ينمحي ما تؤديه إلى الحس المشترك ، كأنها كما أدت الصورة إلى الحس المشترك رجع منها جزء يقبل ما تؤديه القوة الباصرة وذلك لسرعة الحركة ، فيكون مثلاً قد ارتسم في الروح المؤدية صورة فنقلتها إلى الحس المشترك ، ولكل مرتسم زمان ثبات إلى أن ينمحي ، فلما زال القابل الأول من الروح عن مركزه لاضطراب حركته خَلَفَهُ جزء آخر فقبل قبوله قبل أن ينمحي عن الأول ، فتجزأت الروح للاضطراب إلى جزء متقدم كان في سمت المرئي فأدركه ثم زال ، ولم تزل عنه الصورة دفعة ،

١٠

(١) على حدة . (الثانية) : ساقطة من د .

(٢) يتحد : ينفذ م .

(٣) الأشياء : الأشباح م || متفرقة : مفترقة م .

(٤) الباصرة : الباصرف .

(٧) متكرراً : تكرر م .

(٨) التي : الذي ك .

(٩) لشيء : ساقطة من ك ، م || واحدة : واحد د .

(١٠) واحد ٤ واحدة ك ، م .

(١١) الباطنة التي : الباطن الذي د ، ك ، م .

(١٢) متضادتين : مضادتين م .

(١٧) فلما : قلماً ف .

(١٨) خلفه : تخلف د || فقبل : فيقبل د ؛ وقبل ف || ينسحب : انمحي د ، ف ؛ يمحى م .

بل هي فيه وإلى جزء آخر قابل للصورة أيضا بحصوله في السميت الذي في مثله يدرك الصورة عاقبا للجزء الأول والسبب الاضطراب . وإذا كان كذلك حصل في كل واحد منها صورة مرئية ، لأن الأولى لم تنمح بعد عن الجزء القابل الأول المؤدى إلى الحس المشترك أو عن غير المؤدى إليه حتى انطبعت في الثاني . والفرق بين هذا القسم والقسم الذي قبله أن هذه الحركة المضطربة إن قدام وخلف ، وكانت تلك إلى يمنة ويسرة .

ولمثل هذا السبب ما يرى الشيء المريع الحركة إلى الجانبين كشبهتين . لأنه قبل أن انمحى عن الحس المشترك صورته وهو في جانب يراه البصر وهو في جانب آخر فتوافى إدراكاه في الجانبين معا . ولذلك إذا دارت نقطة ذات لون على شيء مستدير رؤيت خطأ مستديرا ، وإذا امتدت بسرعة على الاستقامة رؤيت خطأ مستقيما . ونظير هذه الحركة اللوار ، فإنه إذا عرض سبب من الأسباب المكتوبة في كتب الطب فحرك الروح الذي في التجويف المقدم من الدماغ على الدور ، وكانت القوة الباصرة تؤدي إلى ما هناك صورة محسوسة ، فالجزء من الروح القابل لها لا يثبت مكانه ، بل ينتقل ويخلفه جزء آخر يقبل تلك الصورة بعد قبوله وقبل انمحائها عنه . وكذلك على الدور ، فيتخيل أن المرثيات تدور وتبدل على الرائي ، وإنما الرائي هو الذي يدور ويتبدل على المرئي . وإذا كان القابل ثابتا وتحرك الشيء المبصر بسرعة انتقل لا محالة شبحه الباطن من جزء من القابل إلى جزء آخر ، فإنه لو كان الشبح يثبت في ذلك الجزء بعينه لكان نسبة القابل مع المقبول واحدة ثابتة . فإذا عرض الحامل الشبح أن ينتقل عن مكانه انتقل الشبح لا محالة ، فتغيرت نسبته إلى الجسم الذي من خارج ،

(٣-٤) الأول غير : ساقطة من م .

(٤) غير : ساقطة من ف || إليه : ساقطة من م || انطبعت : انطبع د ، ك .

(٧) إلى ساقطة من م

(٨-١٩) المشترك خارج : ساقطة من د .

(٨) يراه : رآه ف .

(٩) فتوافى : فيتوافق ك .

(١٠) رؤيت : رأيت ك .

(١٣) فالجزء : والجزء ك .

(١٤) انمحائها : انمحائها ك || عنه : ساقطة من م .

(١٥) فيتخيل : فيخيل م .

(١٦) وإذا : فإذا م .

(١٩) لا محالة : محالة م || نسبته : نسبة م .

- فعرض مثل ما يعرض لو كان الشيء الذى من خارج ينتقل . وأيضاً فإن الناظر فى الماء شديد الجرى يتخيل له أنه هو ذا يميل عن جهة ويسقط إليها ، والسبب فى ذلك أنه يتخيل الأشياء كلها تميل إلى خلاف جهة ميل الماء ، فإن شدة الحركة الموجبة لسرعة المفارقة توهم أن المفارقة من الجانبين معا ، والسبب انتقال الشبح فى القابل مع ثباته فى كل جزء تفرضه زماناً مآ . ويجب أن يعلم أن مع هذه الأسباب سبباً آخر معيناً لها مادياً ، وذلك أن جوهر الروح جوهر فى غاية اللطافة وفى غاية سرعة الإجابة إلى قبول الحركة ، حتى أنه إذا حدث فيه سبب موجب لانتقال الشبح من جزء إلى جزء يلزمه أن يتحرك جوهر الروح حركة مآ - وإن قلت - إلى سمت ذلك الجزء . والسبب فى ذلك أن لكل قوة من القوى المدركة انبعاثاً بالطبع إلى مدركها ، حتى أنها تكاد تلتذ به وإذا انبعث نحوه مال حاملها إليه أو مالت بحاملها إليه . ولهذا ما كان الروح الباصر يندفع جملة إلى الضوء وينقبض عن الظلمة بالطبع ، فإذا مال الشبح إلى جزء من الروح دون جزء كانت القوة كالمدفعة إلى جهة ميل للشبح بآلتها . فإن الآلة مجيبة لها إلى نحو الجهة التى تطلبها القوة فيحدث فى الروح تموج إلى تلك الجهة للطافتها وسرعتها إلى قبول الأثر كأنها تتبع حركة الشبح . ولهذا السبب إذ أطال الإنسان النظر إلى شئ يدور يتخيل له أن سائر الأشياء تدور لأنه تحدث فى الروح حركة مستديرة لاتباعها لانتقال الشبح . وكذلك إذا أطال النظر إلى شئ سريع الحركة فى الاستقامة تحدث فى الروح حركة مستقيمة إلى ضد تلك الجهة ، لأن جهة حركة الشئ مضادة لجهة حركة ذى الشبح ، فحينئذ ترى الأشياء كلها تنتقل إلى ضد تلك الجهة ، لأن أشباح الأشياء لا تثبت .
- والسبب الرابع اضطراب حركة تعرض للثقبه العينية ، فإن الطبقة العينية سهلة

(١٥-١) فعرض . . . يدور : ساقطة من د .

(١) مثل : ساقطة من ف ، م .

(٤) ثباته : أنه م .

(٥) تفرضه : يعرضه م .

(٧) حدث : أحدث م || موجب : يوجب م .

(٨) ما : ساقطة من ك .

(١٠) انبعث : انبعث له ، م || مال : سال م || حاملها : حامله ك || أو مالت : أو مال ك ؛

وسال م || بحاملها : بحامله ك ؛ حامله م .

(١١) الباصر : الباصرة ك .

(١٣) للشبح : الشبح م .

(١٥) أطال : طال م .

(١٨) مضادة : متضادة ك || ذى : ساقطة من ف ، م || كلها : كأنها م .

(١٨) لاثقبه : لثقبه م || الطبقة : الطيعة م || العينية : الغيبية م .

الحركة إلى هيئة تتسع لها الثقبية وتضيق تارة إلى خارج ، وتارة إلى داخل على الاستقامة أو إلى جهة ، فيتبع اندفاعها إلى خارج انضغاط يعرض لها واتساع من الثقبية ، ويتبع اندفاعها إلى داخل اجتماع يعرض لها وتضيق من الثقبية . فإذا اتفق أن ضاقت الثقبية رؤى الشيء أكبر ، وإذا اتسعت رؤى أصغر ، أو اتفق أن مالت إلى جهة رؤى في مكان آخر . فيكون كأن المرئى أولا غير المرئى ثانيا ، وخصوصا إذا كان قد تمثل قبل انمحاه الصورة الأولى صورة أخرى .

ولقائل أن يقول : فلم لا تثبت الصورة واحدة مع انتقال القابل كما تبقى صورة الضوء واحدة مع انتقال القابل ، فيكون إذا زال القابل عن المحاذاة بطلت الصورة عنه وحدثت فيما يقوم مقامه ، فلم تكن صورتان ، فلم تكن رؤيتان ، ولا اتصال خط من نقطة ، ولا رؤيت الأشياء تستدير . فنقول : لا يبعد أن يكون من شأن الروح التي للحس المشترك أن لا تكون إنما تضبط الصورة بالمحاذاة فقط ، وإن كانت لا تضبطها بعد المحاذاة مدة طويلة فيكون لا كضبط المستنير بالضوء للضوء الذي يبطل دفعة ولا كضبط الحجر للنقش الذي يبقى مدة طويلة ، بل بين بين . وتكون تخليته عن الصورة بسبب يقوى ويعان بعد المحاذاة بزمان مّا لأسباب نجدها مذكورة فيما تفتت حركته وفيما يعود إلى طبيعته حيث يتكلم في مثاله .

ومن هذا يعلم أن قبول الروح الباطن للخيالات المبصرة ليس كقبول الشبح الساذج الذي يزول مع زوال المحاذاة . وبالحري أن تكون الحواس هي هذه المشهورة ، وأن تكون الطبيعة لا تنتقل من درجة الحيوانية إلى درجة فوقها ، أو توفى جميع ما يكون في تلك الدرجة . فيجب من ذلك أن تكون جميع الحواس محصلة عندنا ، ومن رام أن يبين هذا بقياس واجب فقد تكلف شططا . وجميع ما قيل في هذا فهو غير

(٤) رؤى (الأولى) : يرى ك : م || وإذا اتسعت : أو اتسعت د ، ف ، ك .

(٥) تمثل : تتمثل ك .

(٧) يقول : يقال د .

(٧-٨) كما تبقى . . . انتقال القابل : ساقطة من د .

(٨) إذا زال القابل : القابل إذا زال د ، ف ؛ الضوء إذا زال م .

(١٠) من (الأولى) : عن د ، ف ، م .

(١١) التي : الذي ف || كانت : كان د ، ف ، ك .

(١٢) فيكون : + تضبط د ، ك ؛ + ضبطه ف .

(١٣) بل : ساقطة من م .

(١٤) تفتت : نهيد م .

مبرهن ، أو لست أفهمه فهم المبرهن عليه ويفهمه غيرى ، فليتعرف ذلك من غير كلامنا .

فالحواس المفردة والمحسوسات المفردة ما ذكرناه ، وههنا حواس مشتركة ومحسوسات مشتركة .

- فلنتكلم أولا في المحسوسات المشتركة فنقول : إن الحواس منا قد تحس مع ما تحس أشياء أخرى لو انفردت وحدها لم تحس ، وهذه الأشياء هى المقادير والأوضاع والأعداد والحركات والسكونات والأشكال والقرب والبعد والماسة وما هو غير ذلك مما يدخل فيه . وليس إنما تحس هذه بعرض ، وذلك لأن المحسوس بالمرض هو الذى ليس محسوسا بالحقيقة ؛ لكنه مقارن لما يحس بالحقيقة مثل لبصارنا أبا عمرو وأبا خالد ، فإن المحسوس هو الشكل واللون ، ولكن عرض أن ذلك مقارن لشيء مضاف ؛ فنقول : إنا أحسنا بالمضاف ولم نحسه البتة ولا فى أنفسنا خيال أو وهم ولا رسم لأبى خالد من حيث هو أبو خالد يكون ذلك الرسم ، أو الخيال مستفادا من الحس بوجه من الوجوه . وأما الشكل والعدد وغير ذلك فإنه وإن كان لا يحس بانفراده ، فإن رسمه وخیاله يلزم خيال ما يحس وما يدرك بأنه لون أو حرارة أو برودة مثلا ، حتى يمنع ارتسام أمثال هذه فى الخيال دونها أيضا . وليس إذا كان الشيء متمثلا ومدركا لشيء فى شيء بتوسط شيء فهو غير متمثل فيه بالحقيقة فإن كثير من الأمور التى هى بالحقيقة وليست بالعرض فإنها تكون بمتوسطات . وهذه المحسوسات المشتركة لما كان إدراكها بهذه الحواس ممكنا لم يحتج إلى حاسة أخرى ، بل لما كان إدراكها بلا توسط غير ممكن استحال أن تفرد لها حاسة . فالبصر يدرك العظم والشكل والعدد والوضع والحركة والسكون بتوسط اللون ، ويشبه أن يكون إدراك الحركة والسكون مشوبا بقوة غير الحس ، واللمس يدرك جميع هذا بتوسط صلابة أو لين فى أكثر الأمور ، وقد يكون بتوسط الحر والبرد .

(٣-٥) مشتركة منا : ساقطة من م .

(١٠) وأبا خالد : وأخا خالد ف ، م || فإن : وإن م .

(١١) أو وهم : ساقطة من ف .

(١٢) هو : ساقطة من ك || الرسم : الوهم ك .

(١٦) فيه : ساقطة من ك .

(١٧) بمتوسطات : متوسطات م .

(١٨) حاسة : حواس ك .

(٢٠) بتوسط اللون : ساقطة من م .

(٢١) ويشبه والسكون : ساقطة من م || مشوبا : مشوية م .

(٢٢) هذا : هذه م .

والذوق يدرك العظم بأن ينوق طعاما كثيرا منتشرا ، ويدرك العدد بأن يجد طعوما كثيرة في الأجسام ، وأما الحركة والسكون والشكل فيكاد أن يدركه أيضا ولكن ضعيفا، يستعين في ذلك باللمس . وأما الشم فيكاد لا يدرك به العظم والشكل والحركة والسكون إدراكا متميلا في الشام ، بل يدرك به العدد بأن يتمثل في الشام ، ولكن النفس تدرك ذلك بضرب من القياس أو الوهم بأن تعلم أن الذي انقطعت رائحته دفعة قد زال والذي تبقى رائحته هو ثابت. وأما السمع فإن العظم لا يدركه ولكن السمع قد يدل النفس عليه دلالة غير مستمرة على الدوام ، وذلك من جهة أن الأصوات العظيمة قد ينسبها إلى أجسام عظيمة، وكثيرا ما تكون من أشياء صغيرة وبالعكس. ولكن قد يدرك العدد ويدرك الحركة والسكون بما يعرض للصوت الممتد من ثبات أو اضمحلال يكون مصيره إلى ذلك الاختلاف في تحدد مثل ذلك البعد . ولكن هذا الإدراك من جملة ما تدركه النفس للعادة التي عرفتها . وقد يمكن أن يسمع الصوت عن الساكن على هيئة الصوت الذي يسمع عن المتحرك وعن المتحرك على هيئة الذي يسمع عن الساكن ، فلا تكون هذه الدلالة مركونا إليها ولا تنجب وجوبا ، بل تكون في أكثر الأمر . وأما الشكل فلا يدركه السمع إلا شكل الصوت لا شكل الجسم ، وأما الذي يسمع عن الخوف فيوقف على تجويفه فهو شيء يعرض للنفس وتعرفه النفس على سبيل الاستدلال . وتأمل منهج العادة فيه ويشبه أن يكون حال البصر في كثير مما يدركه هذه الحال أيضا إلا أن إدراك البصر لما يدركه من ذلك أظهر .

فهذه هي المحسوسات التي تسمى مشتركة، إذ قد تشترك فيها عدة من الحواس .

(١) يدوق : يدرك ك .

(٢) يدركه : يدركها م .

(٣) في ذلك : ساقطة من م || لا يدرك : أن يدرك م .

(٧) النفس عليه : عليه النفس ك ، م || الدوام : الدوم ف ، م .

(٩) ويدرك : وقد يدرك ك .

(١٠) تحدد : تجدد م .

(١١) ما تدركه : ما تدرك ك .

(١٢) الصوت هيئة : ساقطة من د .

(١٦) وتأمل : وتأمل م .

(١٨) من : عن ك .

(١٩) هي : ساقطة من م .

والعدد كأنه أولى ما يسمى مشتركاً فإن جميع الحواس تشترك فيه . وقد ظن بعض الناس أن لهذه المحسوسات المشتركة حاسة موجودة في الحيوان تشترك فيها وبها تدرك ، وليس كذلك . فأنت تعلم أن من ذلك ما يدرك باللون لولا اللون لما أدرك . وأن منه ما يدرك باللمس لولا الملموس لما أدرك . فلو كان يمكن أن يدرك شيء من ذلك بغير المتوسط من كيفية هي مدرك أولى لشيء من هذه الحواس ، إكان ذلك ممكناً ، وأما أن يستحيل فينا إدراكه إلا بتوسط مدرك لحاسة معلومة أو استدلال من غير توسط الحاسة فليس لها حاسة مشتركة بوجه من الوجوه .

(٢-١) فيه . . . المشتركة : ساقطة من م .

(٤) الملموس : القس د ، ك .

(٥) أولى : أولاً ك ؛ أول م .

(٦) أن : إذ ف || مدرك : مدركة م || لحاسة : بحاسة ك || أو استدلال : واستدلال م .

(٧) الوجوه : + تمت المقالة الثالثة من الفن السادس من الطبيعيات من كتاب النفس والحمد لله

وحسن توفيقه د ؛ + تمت المقالة الثالثة من الفن السادس بحمد الله وحسن توفيقه م .

المقالة الرابعة في الحواس الباطنة أربعة فصول

(٢) في الحواس الباطنة : من الفن السادس من الطبيعيات م || الباطنة : + وهي د .
(٣-٢) في الحواس الباطنة أربعة فصول : ساقطة من ف .
(٣) فصول : (تذكر نسخة د بعد هذه الكلمة عناوين الفصول الأربعة)

الفصل الأول

فيه قول كل على الحراس الباطنة التي للحيران

- وأما الحس المشترك فهو بالحقيقة غير ما ذهب إليه من ظن أن للمحسوسات المشتركة حساً مشتركاً ، بل الحس المشترك هو القوة التي تتأدى إليها المحسوسات كلها ، فإنه لو لم تكن قوة واحدة تدرك المألون والملموس لما كان لنا أن نميز بينهما قائلين : إنه ليس هذا ذاك . وهب أن هذا التمييز هو للعقل ، فيجب لا محالة أن يكون العقل يجدهما معا حتى يميز بينهما ، وذلك لأنها من حيث هي محسوسة وعلى النحو المتأدى من المحسوس لا يدركها العقل كما سنوضح بعد . وقد نميز نحن بينها ، فيجب أن يكون لها اجتماع عند مميز إما في ذاته وإما في غيره ، ومحال ذلك في العقل على ما ستعلمه : فيجب أن يكون في قوة أخرى ، وأولم يكن قد اجتمع عند الخيال من البهائم التي لا عقل لها المائلة بشهوتها إلى الحلاوة مثلاً أن شيئاً صورته كذا هو حلو لما كانت إذا رآته همت بأكله ، كما أنه لولا أن عندنا نحن أن هذا الأبيض هو هذا المغنى لما كنا إذا سمعنا غناؤه الشخصية أثبتنا عينه الشخصية وبالعكس : ولو لم يكن في الحيوان ما تجتمع فيه صور المحسوسات لتعذرت عليها الحياة ، ولم يكن الشم دالاً لها على الطعم ، ولم يكن الصوت دالاً إياها على الطعم ، ولم تكن صورة الخشبة تذكرها صورة الألم
- ١٠

(١) الفصل الأول : فصل ١ ف .

(٣) الحس : + الذي هو د ، ك .

(٤) المشتركة : ساقطة من م .

(٦) التمييز : التمييز ك .

(٧) يميز : يميز ك .

(٩) بينهما : بينهما د ، ك ، م .

(١٣) أن (الأولى) : ساقطة من د || هذا (الثانية) : ذلك ك .

(١٥) ولم (الأولى والثانية) : ولو لم م .

حتى تهرب منها . فيجب لا محالة أن يكون لهذه الصور مجمع واحد من باطن .

وقد يدلنا على وجود هذه القوة اعتبارات أمور تدل على أن لها آلة غير الحواس الظاهرة مما نراه من تخيل المدورية أن كل شيء يدور ، فذلك إما عارض عرض في المراتب أو عارض عرض في الآلة التي بها تتم الرؤية ، وإذا لم يكن في المراتب كان لا محالة في شيء آخر . وليس الدوار إلا بسبب حركة البخار في الدماغ وفي الروح التي فيه فيعرض لتلك الروح أن تدور ، فتكون إذن القوة المرتبة هناك هي التي يعرض لها أمر قد فرغنا منه . وكذلك يعرض للإنسان دوار من تأمل ما يدور كثيرا على ما أنبأنا به . وليس يكون ذلك بسبب أمر في جزء من العين ، ولا في روح مصبوب فيه وكذلك نتخيل استعجال المتحرك النقطة مستقيما أو مستديرا على ما سلف من قبل ، ولأن تمثل الأشباح الكاذبة وسامع الأصوات الكاذبة قد يعرض أن تفسد لهم آلات الحس أو كان مثلا مغمضا لعينه ، ولا يكون السبب في ذلك إلا تمثلها في هذا المبدأ . والتخيلات التي تقع في النوم إما أن تكون لارتسام في خزانة حافظة المصور ، ولو كان كذلك لوجب أن يكون كل ما اختزن فيها متمثلا في النفس ليس بعضها دون بعض حتى يكون ذلك البعض كأنه مرثى أو مسموع وحده أو أن يكون يعرض لها التمثل في قوة أخرى ، وذلك إما حس ظاهر وإما حس باطن ، لكن الحس الظاهر معطل في النوم ، وربما كان الذي يتخيل ألوانا مّا مسمول العين فبقى أن يكون حسا باطنا ، وليس يمكن أن

(١) منها : منه م .

(٤) ما : منها ما ك .

(٦) بسبب : بحسب ف .

(٧) التي : الذي ك || لتلك : لذلك ك ، م .

(٨) وكذلك : ولذلك ك .

(٩) يكون : ساقطة من م .

(١٠) وكذلك : ولذلك ف || نتخيل : يخيل ك ، م .

(١٣) تمثلها : لتمثيلها د ، ك .

(١٤) لارتسام : + الصورة د ، ف || للصور : للصورة د ، م .

(١٦) التمثل : التمثيل م .

(١٧) وإما حس : أو حس ك || لكن : لكان م || معطل : تمطل ك || كان : + فلك ك .

(١٨) يتخيل : يخيل م || حسا باطنا : حس باطن د ، ف ، ك .

يكون إلا المبدأ للحواس الظاهرة . والذي كان إذا استولت القوة الوهمية وجعلت تستعرض ما في الخزانة تستعرضه بها ولو في البقطة ، فإذا استحكم ثباتها فيها كانت كالمشاهدة .

- فهذه القوة هي التي تسمى الحس المشترك وهي مركز الحواس ، ومنها تتشعب الشعب ، وإليها تؤدي الحواس ، وهي بالتحقيقة هي التي تحس : لكن إمساك ما تدركه هذه هو للقوة التي تسمى خيالا وتسمى مصورة وتسمى متخيلة ، وربما فرق بين الخيال والمتخيلة بحسب الاصطلاح ، ونحن ممن يفصل ذلك . والحس المشترك والخيال كأنهما قوة واحدة ، وكأنهما لا يختلفان في الموضوع ، بل في الصورة . وذلك أنه ليس أن يقبل هو أن يحفظ ، فصورة المحسوس تحفظها القوة التي تسمى المصورة والخيال ، وائس إليها حكم البتة ، بل حفظ . وأما الحس المشترك والحواس الظاهرة فلأنها ١٠ تحكم بجهة ما أو بحكم ما ، فيقال إن هذا المتحرك أسود وإن هذا الأحمر حامض ، وهذا الحافظ لا يحكم به على شيء من الموجود إلا على ما في ذاته بأن فيه صورة كذا .

- ثم قد نعلم يقينا أنه في طبيعتنا أن نركب المحسوسات بعضها إلى بعض ، وأن نفصل بعضها عن بعض ، لا على الصورة التي وجدناها عليها من خارج ١٥ ولا مع تصديق بوجود شيء منها أو لا وجوده . فيجب أن تكون فينا قوة نفعل ذلك بها ، وهذه هي التي تسمى إذا استعملها العقل مفكرة ، وإذا استعملتها قوة حيوانية متخيلة .

- ثم إنا قد نحكم في المحسوسات بجماع لا نخسها ، إما أن لا تكون في طبائعها محسوسة البتة ، وإما أن تكون محسوسة لكننا لا نخسها وقت الحكم . أما التي ٢٠

(١) كان : + فهي د .

(٢) بها : لها ك .

(٤) وهي : هي د .

(٥) بالتحقيقة هي : ساقطة من م .

(٧) ذلك : + والصور التي في الحس المشترك د ، ك ، م .

(٩) أنه : لأنه د ، ك ، م .

(١٠) إليها : لها د ، ك .

(١٤) نركب : مركب م .

(١٥) عن : من د ، ك ، م || الصور : الصور ك ، م .

(٢٠) لكننا : لكننا د ، لكننا م .

لا تكون محسوسة في طبائعها فمثل العداوة والرداءة والمنافرة التي تدركها الشاة في صورة الذئب ، وبالجملة المعنى الذي يفهمها عنه ، والموافقة التي تدركها من صاحبها ، وبالجملة المعنى يؤنسها به . وهذه أمور تدركها النفس الحيوانية ، والحس لا يدلها على شيء منها . فإذن القوة التي بها تدرك ، قوة أخرى ولتسم الوهم . وأما التي تكون محسوسة فلإننا نرى مثلا شيئا أصفر فنحكم أنه عسل وحلو ، فإن هذا ليس يؤديه إليه الحاس في هذا الوقت ، وهو من جنس المحسوس ، على أن الحكم نفسه ليس بمحسوس البتة وإن كانت أجزاؤه من جنس المحسوس ، وليس يدركه في الحال ، إنما هو حكم نحكم به ربما غلط فيه وهو أيضا لتلك القوة . وفي الإنسان للوهم أحكام خاصة من جملتها حملته النفس على أن تمنع وجود أشياء لا تتخيل ولا ترسم فيه ويأبى التصديق بها . فهذه القوة لا محالة موجودة فينا ، وهي الرئيسة الحاكمة في الحيوان حكما ليس فصلا كالحكم العقلي ، ولكن حكما تخيلا مقرونا بالجزئية وبالصورة الحسية ، وغنها تصار أكثر الأفعال الحيوانية .

وقد جرت العادة بأن يسمى مدرك الحس صورة ومدرك الوهم معنى ، ولكل واحد منهما خزانة . فخزانة مدرك الحس هي القوة الخيالية ، وموضعها مقدم الدماغ . فلذلك إذا حدثت هناك آفة فسد هذا الباب من التصور ، إما بأن تتخيل صوراً ليست أو يصعب استنبات الموجود فيها . وخزانة مدرك الوهم هي

(١) لا تكون : لا تكن ك || والرداءة : والرواية م .

(٢-١) التي تدركها . . . والموافقة : ساقطة من م .

(٢) وبالجملة . . . صاحبها : ساقطة من د .

(٥) شيئا : شاء م .

(٦) إليه الحاس : الحاس إليه د ، ك .

(٧) أجزاؤه : أجزاء ف ، ك .

(٨) ربما : وربما ك .

(٩) خاصة : خاصة ك || جملة : ساقطة من د ، م || حملة : حملها د ، ك ، م .

(١٠) ويأبى : وتأبى د ، ف ؛ وثانيها م || وهي : وهو د .

(١٢) وغنها : وعنه د ، ك ، م .

(١٤) الحس : + المشترك ك .

(١٥) ولكل : لكل م || مدرك : ساقطة من ك || الحس : + وهو الصور د || هي : هو د ، م .

(١٦) فلذلك : ولذلك ف .

(١٨) الوهم : المعنى ك ، م + وهو المعنى د || هي : هو د ، ك ، م .

- القوة التي تسمى الحافظة ، ومعانها مؤخر الدماغ ، ولذلك إذا وقع هناك آفة وقع الفساد فيما يختص بحفظ هذه المعاني . وهذه القوة تسمى أيضا متذكرة ، فتكون حافظة لصيانتها ما فيها ، ومتذكرة لسرعة استبعادها لاستنباطه ، والتصور به مستعملة إياه إذا فقد ، وذلك إذا أقبل الوهم بقوته التخيلة فجعل يعرض واحدا واحدا من الصور الموجودة في الخيال ليكون كآزده يشاهد الأمور التي هـ هذه صورها . فإذا عرض له الصورة التي أدرك معها المعنى الذي بطل ، لاح له المعنى حينئذ . كما لاح من خارج ، واستثبته القوة الحافظة في نفسها كما كانت حينئذ تثبت فكان ذاكرة . وربما كان المصير من المعنى إلى الصورة ، فيكون التذكر للمطلوب ليست نسبته إلى ما في خزانة الحفظ ، بل نسبته إلى ما في خزانة الخيال . فكان إعادته إما في وجه العود إلى هذه المعاني التي في الحفظ حتى يضطر المعنى إلى لوح ١٠ الصورة فتعود النسبة إلى ما في الخيال ثانيا ، وإما بالرجوع إلى الحس . مثال الأول أنك إذا نسبت نسبته إلى صورة وكنيت عرفت تلك النسبة تأملت الفعل الذي كان يقصد منها ، فلما عرفت الفعل ووجدته وعرفت أنه أي طعم وشكل ولون يصلح له فاستثبت النسبة به وألفت ذلك وحصلته نسبة إلى صورة في الخيال وأعدت النسبة في الذكر ، فإن خزانة الفعل هو الحفظ لأزده من المعنى . فإن كان أشكل ذلك عليك ١٥ من هذه الجهة أيضا ولم يتضح فأورد عليك الحس صورة الشيء ، عادت مستقرة في الخيال وعادت النسبة إليه مستقرة في التي تحفظ .

(٣) لا استنباطه : لا استنباطها ك .

(٤) به : بها ك || إياه : إياها د || فقد : فتدت د ، ك || بقوته : بقوة م .

(٧) واستثبته : واستثبته ك .

(٨) ذاكرة : ذكر د ، ف ، ك .

(٨-٩) التذكر المطلوب : المتذكر المطلوب ف ، ك ، م .

(٩) ليست نسبته : ليس نسبته د ؛ ليس له نسبة ف ؛ ليس نسبة م || نسبته : نسبة د ، ف ، م .

(١٠) إما : ما م || يضطر : يصير ك .

(١٢) أنك : ساقطة منك || نسبته : نسبة ف ، م .

(١٣) منها : عنها ك || وعرفت : عرفت د .

(١٤) فاستثبت : فاستثبت م || وألفت : فآلفت د ، م ، فآلفت ك || وحصلته : وحصلت ك ؛

وحصله م || نسبة : نسبته ك || في : ساقطة منك .

(١٥) فإن : وإن د .

(١٦) الشيء عادت : شيء عادت د ؛ شيء م .

وهذه القوة المركبة بين الصورة والصورة ، وبين الصورة والمعنى ، وبين
 المعنى والمعنى ، هي كأنها القوة الوهمية بالوضع ، لامن حيث تحكم ، بل من
 حيث تعمل لتصل إلى الحكم . وقد جعل مكانها وسط الدماغ ليكون لها اتصال بخزانتى
 المعنى والصورة . ويشبه أن تكون القوة الوهمية هي بعينها المفكرة والمتخيلة والذاكرة ،
 . وهي بعينها الحاكمة فتكون بذاتها حاكمة وبحركاتها وأفعالها متخيلة وذاكرة ، فتكون
 متخيلة بما تعمل في الصور والمعاني ، وذاكرة بما ينتهي إليه عملها . وأما الحافظة فهي قوة
 خزانتها ، ويشبه أن يكون التذكر الواقع بالقصد معنى للإنسان وحده ، وأن خزانة
 الصورة هي المصورة والخيال ، وأن خزانة المعنى هي الحافظة . ولا يمتنع أن تكون
 الوهمية بذاتها حاكمة متخيلة ، وبحركاتها متخيلة وذاكرة .

(٣) الحكم : الحاكم د || وسط : واسط د ، ف || بخزانتى : لخزانتى د ، ك .

(٦-٥) فتكون متخيلة : ساقطة من د .

(٦) الصور : الصورة م || عملها : ساقطة من م .

(٦-٩) وأن خزانة . . . وذاكرة : ساقطة من م .

(٨) الصورة : الصور ف .

(٩) وذاكرة : ذاكرة ك .

الفصل الثاني

في أفعال القوة المصورة والمفكرة من هذه الحواس بالإنابة

وفيه القول على النوم واليقظة والرؤيا الصادقة والكاذبة وضرب من خواص

النبوة .

- فلنحصل القول في القوة المصورة أولا فنقول : إن القوة المصورة التي هي الخيال
هي آخر ما تستقر فيه صور المحسوسات ، وإن وجهها إلى المحسوسات هو الحس
المشترك ، وإن الحس المشترك يؤدي إلى القوة المصورة على سبيل استخزان ما
تؤديه إليه الحواس فتخزنه . وقد تخزن القوة المصورة أيضا أشياء ليست من المأخوذات
عن الحس ، فإن القوة المفكرة قد تتصرف على الصور التي في القوة المصورة بالتركيب
والتحليل لأنها موضوعات لها ، فإذا ركبت صورة منها أو فصلتها أمكن أن تستحفظها
فيها ، لأنها ليست خزانة لهذه الصورة من جهة ما هذه الصورة منسوبة إلى شيء
وواردة من داخل أو خارج ، بل إنما هي خزانة لها لأنها هذه الصورة بهذا النحو
من التجريد ، فلو كانت هذه الصورة على نحو ما فيها من التركيب والتفصيل ترد
من خارج لكانت هذه القوة تستثبتها . فكذلك إذا لاحت لهذه القوة من صلب
آخر ، وإذا عرض لسبب من الأسباب إما من التخيل والفكر وإما لشيء من
التشكلات السماوية أن تمثلت صورة في المصورة وكان الذهن غائبا أو ساكنا عن
اعتباره ، أمكن أن يرتسم ذلك في الحس المشترك نفسه على هيئته فيسمع ويرى
ألوانا وأصواتا ليس لها وجود من خارج ولا أسبابها من خارج . وأكثر ما يعرض

(١) الفصل الثاني : فصل ٢ ف .

(٢) القوة : ساقطة من د ، ف ، م .

(١٠) منها : ساقطة من د .

(١٣) فلو : ولوك ، م .

(١٤) فكذلك : ولذلك م .

(١٥) لسبب : بسبب ك .

(١٧) نفسه : + يعينه ك || على هيئته : إلى تبيانته د ، م ؛ على هيئته ف .

هذا عند سكون القوى العقلية أو غفول الوهم ، وعند اشتغال النفس النطقية عن مراعاة الخيال والوهم . فهناك تقوى المصورة والمتخيلة على أفعالها الخاصة حتى يتمثل ما تورده من الصور محسوسة .

ولتزد هذا بيانا فنقول : إنه سيتبين بعد أن هذه القوى كلها لنفس واحدة .
 • وأنها خوادم للنفس ، فلنسلم ذلك وضعاً ، ولنعلم أن اشتغال النفس ببعض هذه بصرفها عن إعانة القوى الأخرى على فعلها أو عن ضبطها عن زيغها أو عن حملها على الصواب ، فإن من شأن النفس إذا اشتغلت بالأمور الباطنة أن تغفل عن استنبات الأمور الخارجة فلا تستثبت المحسوسات حقها من الاستنبات ، وإذا اشتغلت بالأمور الخارجة أن تغفل عن استعمال القوى الباطنة ، فلإنها إذا كانت تامة الإصغاء إلى المحسوسات الخارجة ففي وقت مّا تكون منصرفة إلى ذلك يضعف تخيلها وتذكرها ، وإذا انصببت إلى أفعال القوة الشهوانية انكسرت منها أفعال القوة الغضبية ، وإذا انصببت إلى أفعال القوة الغضبية انكسرت منها أفعال القوة الشهوانية ؛ وبالحملة إذا انصببت إلى استكمال الأفعال الحركية ضعفت الأفعال الإدراكية ، وبالعكس . فإذا لم تكن النفس مشغلة بأفعال قوى عن أفعال قوة مّا بل كانت وادعة كأنها معترلة عرض لأقوى القوى وأعملها أن تغلب ، وإذا اشتغلت بقوة مّا وعارض مّا عن تثقيف قوة ، إنما تضبطها عن حركاتها المفرطة مراعاة النفس أو الوهم إياها استولت تلك القوة ونفذت في أفعالها التي بالطبع قد خلا لها الجوار وتثقت . وهذا الذي يعرض للنفس من أن لا تكون مشغلة بفعل قوة أو قوى فقد يكون

(١) عن : من ك .

(٢) الخامة : الخامة ك .

(٤) سيتبين : سبين د ، ك ؛ + لاف ، م .

(٥) للنفس : النفس م .

(٦) زيغها : زيغها ك .

(٩) أن : ساقطة من ك .

(١٢) الشهوانية : الغضبية م || الغضبية ... القوة : ساقطة من م .

(١٣) الحركية : الحركة م || ضعف : + عن م .

(١٤) كانت : كان د .

(١٧) ونفذت : نفذت ك || بالطبع : في الطبع د || وتثقت : ساقطة من د ، ف ، ك .

لآفة أو لضعف شاغل عن الاستكمال ، كما في الأمراض وكما في الخوف ؛ ولما أن يكون لاستراحة مآ ، كما في النوم ؛ ولما أن يكون لكثرة انصراف الهمة إلى استعمال القوة المنصرف إليها عن غيرها .

- ثم إن القوة المتخيلة قوة قد تصرفها النفس عن خاص فعلها بوجهين :
- ٥ تارة مثل ما يكون عند اشتغال النفس بالحواس الظاهرة وصرف القوة المصورة إلى الحواس الظاهرة وتحريكها بما يورد عليها منها حتى لا تسلم للتخيلة المفكرة فتكون المتخيلة مشغولة عن فعلها الخاص وتكون المصورة أيضا مشغولة عن الانفراد بالتخيلة ويكون ما تحتاجان إليه من الحس المشترك ثابتا واقعا في شغل الحواس الظاهرة وهذا الوجه هو وجه ، وتارة عند استعمال النفس لإياها في أفعالها التي تتصل بها من التمييز والفكرة . وهذا على وجهين أيضا : أحدهما أن تستولى ١٠ على المتخيلة فتستخدمها والحس المشترك معها في تركيب صور بأعيانها وتحليلها على جهة يقع للنفس فيها غرض صحيح ، ولا تتمكن المتخيلة لذلك من التصرف على ما لها أن تصرف عليه بطباعها ، بل تكون منجزة مع تصريف النفس النطقية لإياها انجرارا ؛ والثاني أن تصرفها عن التخييلات التي لاتنطبق الموجودات من خارج فتكننها عن ذلك استبطالا لها فلا تتمكن من شدة تشبيحها ١٥ وتمثيلها . فإن شغلت المتخيلة من الجهتين جميعا ضعف فعلها ، وإن زال عنها الشغل من الجهتين كليهما — كما يكون في حال النوم أو من جهة واحدة كما يكون عند الأمراض التي تضعف البدن وتشغل النفس عن العقل والتمييز وكما عند

(٣-٤) القوة ... إن : ساقطة من م .

(٥) تارة : ساقطة من م .

(٦) وتحريكها : تحريكها م .

(٧) المصورة : الصورة م .

(٨) بالتخيلة : بالجملة م || من : ساقطة من م .

(٩) الظاهرة : الظاهر م .

(١٠) التمييز : التميز ك .

(١١) فتستخدمها : فليستخدمها م || معها : مسا م || وتحليلها : وتخييلها م .

(١٢) فيها : نفيها م .

(١٢-١٣) لذلك من التصرف : عز. جهة تقع م .

(١٣) عليه : ساقطة من د || تصريف : تعريف م .

(١٧) كليتيهما : كليهما ك .

(١٨) والتمييز : والتمييز ك .

الخوف حتى تضعف النفس وتكاد تجوز ما لا يكون وتكون منصرفة عن العقل جملة لضعفها وغلوفها وقوع أمور جسدانية فكأنها تترك العقل وتديره - أمكن التخیل حيثئذ أن يقوى ويقبل على المصورة ويستعملها ويتقوى اجتماعهما معا فتصير المصورة أظهر فعلا فتلوح الصور التي في المصورة في الحاس المشترك فتري كأنها موجودة خارجا ، لأن الأثر المدرك من الوارد من خارج ومن الوارد من داخل هو ما يتمثل فيها وإنما يختلف بالنسبة . وإذا كان المحسوس بالحقيقة هو ما يتمثل ، فإذا تمثل كان حاله كحال ما يرد من خارج . ولهذا ما يرى الإنسان المجنون والخائف والضعيف والنائم أشباحا قائمة كما يراها في حال السلامة بالحقيقة ويسمع أصواتا كذلك ، فإذا تدارك التمييز أو العقل شيئا من ذلك وجذب القوة المتخيلة إلى نفسه بالنبية اضمحلت تلك الصور والخيالات . ١٠

وقد يتفق في بعض الناس أن تخلق فيه القوة المتخيلة شديدة جدا غالبية حتى أنها لاتسوى عليها الحواس ولا تعصبها المصورة ، وتكون النفس أيضا قوية لا يسبطل التفاتها إلى العقل وما قبل العقل انصبابها إلى الحواس . فهؤلاء يكون لهم في اليقظة ما يكون لغيرهم في المنام من الحالة التي سنخبر عنها بعد وهي حالة إدراك النائم مغيبات يتحققها محالها أو بأمانة تكون لها . فإن هؤلاء قد يعرض لهم مثلها في اليقظة ، وكثيرا ما يكون لهم في توسط ذلك أن يغيبوا آخر الأمر عن المحسوسات ويصيبهم كالإغماء وكثيرا ما لا يكون ، وكثيرا ما يرون الشيء بحاله ، وكثيرا ما يتخيل لهم مثاله للسبب الذي يتخيل للنائم مثال ما يراه مما نوضحه بعد ، وكثيرا ما يتمثل لهم شبح ويتخيلون أن ما يدركونه خطاب من ذلك الشبح بالفاظ مسموعة تحفظ وتتل ، وهذه هي النبوة الخاصة بالقوة المتخيلة . وههنا نبوات أخرى سيتضح أمرها . ٢٠

(٢) ولخوفها : ولخوفها م || فكأنها : فكأنه م || أمكن : أنكر م .

(٣) اجتماعهما : اجتماعها م .

(٤) الصور : الصورة ك .

(٦) فيها : فيه ف .

(٩) التمييز : التمييز ك || وجذب : وجدت م .

(١٠) الصور : الصورة م .

(١٢) لا تستوى : تستوى د .

(١٤) من الحالة ... النائم : ساقطة من م .

(١٧) ما لا يكون وكثيرا : ساقطة من د .

(١٩) أن ما : إنما ما ك . || تحفظ : تحفظه ك ، م .

(٢٠) نبوات : قوات د .

وليس أحد من الناس لانصيب له من أمر الرؤيا ومن حال الإدراكات التي تكون في اليقظة ، فإن الخواطر التي تقع دفعة في النفس إنما يكون سببها اتصالات ما لا يشعر بها ولا بما يتصل بها لاقبلها ولابعدها ، فتنقل النفس منها إلى شيء آخر غير ما كان عليه مجراها . وقد يكون ذلك من كل جنس ، فيكون من المعقولات . ويكون من الإنذارات ، ويكون شعرا ، ويكون غير ذلك بحسب الاستعدادات والعادة والخلق . وهذه الخواطر تكون لأسباب تعن للنفس مسارقة في أكثر الأمر وتكون كالتلويحات المستتلة التي لا تتقرر فتذكر إلا أن تبادر إليها النفس بالضبط الفاضل ، ويكون أكثر ما تفعله أن تشغل التخيل بجنس غير مناسب لما كان فيه .

- ومن شأن هذه القوة المتخيلة أن تكون دائمة الإكباب على خزانتي المصورة والذاكرة ، ودائمة العرض للصور مبدئة من صورة محسوسة أو مذكورة ، منتقلة منها إلى ضد أو ند أو شيء هو منه بسبب ، وهذه طبيعتها . وأما اختصاص انتقالها من الشيء إلى ضده دون نده ، أو نده دون ضده ، فيكون لذلك أسباب جزئية لا تخصي . وبالجملية يجب أن يكون أصل السبب في ذلك أن النفس إذا جمعت بين مراعاة المعاني والصور انتقلت من المعنى إلى الصورة التي هي أقرب إليها إما مطلقا وإما لانفاق قرب عهد مشاهدته لتألفهما في حس أو في وهم ، وانتقلت كذلك من الصورة إلى المعنى . ويكون السبب الأول الذي يخصص صورة دون صورة ومعنى دون معنى أمرا قد ورد عليه من الحس فخصصه به ، أو من العقل ، أو الوهم فخصصه به ، أو لأمر سماوي . فلما تخصص بذلك صار استمراره وانتقاله متخصصا لتخصيص المبدئين ، ولأجل أحوال تقارن في العادة ولقرب العهد ببعض الصور والمعاني . وقد يكون ذلك لأحوال أيضا سماوية ، وقد يكون لطوالع من العقل والحس بعد التخصيص الأول تضاف إليه :

(٣) آخر : ساقطة من م .

(٤) عليه : عليها د ، ك .

(٥) الاستعدادات : الاستعداد ف .

(٦) مسارقة : مشاركة م .

(٧) المستتلة : المستتية د .

(٨) تشغل : تشغل م .

(٩) الإكباب : الإكباب م .

(١٠) للصور : للصورة ك ، م .

(١٤) إليها : إليه ف . (١٦) كذلك : لذلك م .

(١٨) لتخصيص : لتخصص ك ؛ بمخصص م ؛ ساقطة من د || المبدئين : المتداين م || تقارن :

مقارن د ، ك || في : من د ، ك م || ولقرب : لقرب د ؛ أو لقرب له .

واعلم أن الفكر النطقى ممنو به هذه القوة وهو من غريزة هذه القوة فى شغل شاغل ، فإنه إذا استعملها فى صورة مّا استعمالا موجهها نحو غرض مّا انتقلت بسرعة إلى شىء آخر لا يناسبه ومنه إلى ثالث وأنست النفس أول ما ابتدأت عنه حتى تحوج النفس إلى التذكر فازعة إلى التحليل بالعكس حتى تعود إلى المبدأ . فإذا اتفق فى حال اليقظة أن أدراك النفس شيئا أو فى حال النوم أن اتصلت بالملكوت اتصالا على ما ينصفه بعد وصفا ، فإن هذه القوة إن مكنتها بسكونها أو بانقهارها من حسن الاستثبات ولم تغلبها مقصرة عليها زمان الاستثبات لما يلوح لها من تخيلات ، تمكنت تلك الصورة من الذكر تمكنا جيدا على وجهه وصورته فلم تحتج إن كان يقظة إلى التذكر ، وإن كان نوما إلى التعبير ، وإن كان وحيا إلى التأويل ، فإن التعبير والتأويل ههنا يذهبان مذهب التذكر . فإن لم تستثب النفس مارأته من ذلك فى قوة الذكر على ما ينبغي ، بل كانت القوة المتخيلة توازى كل مفرد من المرئى فى النوم بخيال مفرد أو مركب ، أو توازى مركبا من المرئى فى النوم بخيال مفرد أو مركب فلا تزال تحاذى ما يرى هناك بمحاكاة مؤلفة من صور ومعان كان استثبات النفس فى ذاتها لما يراها أضعف من استثبات المصورة والمتذكّرة لما يورده التخيل ، فلم يثبت فى الذكر ما أرى من الملكوت وثبت ماحوكى به .

ويتفق كثيرا أن يكون ما يرى من الملكوت شيئا كالرأس وكالابتداء ، فيستولى التخيل على النفس استيلاء يصرفها عن استتمام ماتراها ، وتنتقل بعده انتقالا بعد انتقال لا تحاكي بتلك الانتقالات شيئا مما يرى من الملكوت ، إذ ذلك قد انقطع ،

-
- (٤) فازعة : نازعة كـ ، م || تود : تقودم || المبدأ : المبتدأ م || فإذا : وإذا ف .
(٦) مكنتها : مكنته ك || بانقهارها : بانقهارها ك || حسن : خيس ك .
(٩) التعبير : تعبير د ، ف ، م || إلى التأويل : إلى تأويل د ، ف م || يذهبان : يذهب د ، ف ، ك .
(١١) المرئى : الذى م .
(١٢) المرئى : الذى م || أو مركب : ساقطة من د .
(١٣) بمحاكاة : محاكاة م || كان : وكان م .
(١٤) يراها : تراه ك ، م || المصورة : الصورة د .
(١٥) وثبت : ويثبت ك .
(١٧) يصرفها : يصرفه د .

فيكون هذا ضربا من الرؤيا . إنما موضع العبارة منه شيء طفيف وبقية أضغاث أحلام ، فما كان من الرؤيا من الجنس الذي السلطان فيه للتخيل فإنه يحتاج إلى عبارة ضرورة .

- وربما رأى الإنسان تعبير رؤياه في رؤياه فيكون ذلك بالحقيقة تذكرا ، فإن القوة المفكرة كما أنها قد تنتقل أولا من الأصل إلى الحكاية المناسبة بينهما ،^٥ كذلك لا يبعد أن تنتقل عن الحكاية إلى الأصل ، فكثيرا ما يعرض لها أن تتخيل فعلها ذلك مرة أخرى فتري كأن مخاطبا يخاطبها بذلك ، وكثيرا ما لم يكن كذلك ، بل كان كأنها تعانين الشيء معاينة صحيحة من غير أن تكون النفس اتصلت بالملكوت ، بل تكون محاكاة من المتخيلة للمحاكاة فترجع إلى الأصل .
- وهذا الضرب من الرؤيا الصحيح قد يقع عن التخيل من غير معونة قوة^{١٠} أخرى وإن كان الأصل فيه ذلك فيرجع ، وربما حاكت هذه المحاكاة محاكاة أخرى فتحتاج إلى تعبير المعبر مرة أخرى ، وهذه أشياء وأحوال لا تضبط .
- ومن الناس من يكون أصبح أحلاما ، وذلك إذا كانت نفسه قد اعتادت الصدق وقهر التخيل الكاذب وأكثر من يتفق له أن يعبر رؤياه في رؤياه هو من كانت همته مشغولة بما رأى ، فلذا نام بقى الشغل به بحاله ، فأخذت القوة المتخيلة تحاكيه بعكس ما حاكت أولا . وقد حكى أن هرقل الملك رأى رؤيا شغلت قلبه ولم يجد عند المعبرين ما يشفيه ، فلما نام بعد ذلك عبرت له في منامه تلك الرؤيا ، فكانت مشتملة على إخبار عن أمور تكون في العالم وفي خاص مدينته ومملكته ، فلما دوت تلك الإنذرات خرجت على نحو ما عبر له في منامه ، وقد جرب هذا في غيره .
- والذين يرون هذه الأمور في اليقظة منهم من يرى ذلك لشرف نفسه وقوتها

(١) منه : عنه ك || وبقية : وما فيه ك .

(٥) تنتقل : انتقلت له ، م .

(٧) مخاطبا : مخاطبة د ؛ مخاطبه م .

(١٠) عن : من م .

(١١) محاكاة : بمحاكاة ك .

(١٤) وقهر : وقهرت ف || يمبر : + تأويل د ، ك .

(١٥) المتخيلة : المخيلة م .

(١٦) حكى : روى م .

(١٧) عبرت : عبر د ، ف ، ك .

(٢٠) جرب : خبرت د ؛ عبرت مثل ك .

وقوة متخيلة ومتذكرته فلا تشغلها المسحوسات عن أفعالها الخاصة ، ومنهم يرى ذلك لزوال تمييزه ولأن النفس التي له منصرفة عن التمييز . ولذلك فإن تخيله قوى ، فهو قادر على تلقى الأمور الغيبية في حال اليقظة . فإن النفس محتاجة في تلقى فيض الغيب إلى القوة الباطنة من وجهين : أحدهما ليتصور فيها المعنى الجزئى تصورا محفوظا ، والثانى لتكون معينة لها منصرفة في جهة إرادتها ، لا شاغلة لإياها ، جاذبة إلى جهتها ، فيحتاج إلى نسبة بين الغيب وبين النفس والقوة الباطنة المتخيلة ونسبة بين النفس والقوة الباطنة المتخيلة فإن كان الحس يستعملها أو العقل يستعملها على النحو العقلى الذى ذكرناه لم تفرغ لأمر أخرى ، مثل المرأة إذا شغلت عن جهة وحركت نحو جهة فإن كثيرا من الأمور التى من شأنها أن ترسم في تلك المرأة مغافصة ومباغته لنسبة ما بينهما لا ترسم . وسواء كان هذا الشغل من الحس أو من ضبط العقل ، فإذا فات أحدهما أو شك أن تتفق النسبة المحتاج إليها ما بين الغيب وبين النفس والقوة المتخيلة ، وبين النفس وبين القوة المتخيلة ، فيلوح فيها اللانح على نحو ما يلوح .

ولأننا قد انتقل بنا الكلام في التخيل إلى أمر الرؤيا فلا بأس أن نادل يسيرا على المبدأ الذى تقع عنه الإنذارات في المنام بأمر نضعها وضعها . وإنما يتبين لنا في الصناعة التى هى الفلسفة الأولى ، فنقول : إن معانى جميع الأمور الكائنة في العالم مما سلف ومما حضر ومما يريد أن يكون موجودة في علم البارئ والملائكة العقلية من جهة وموجودة في أنفس الملائكة السماوية من جهة ، وستضح لك الوجهتان في موضع آخر . وإن الأنفس البشرية أشد مناسبة لتلك الجواهر الملكية منها للأجسام المحسوسة ، وليس هناك احتجاب ولا بخل ، إنما الحجاب للقوابل إما لانغمارها في الأجسام وإما لتدنسها بالأمور الجاذبة إلى الجنبه السافله . وإذا

(٢) تمييزه : تميزه كـ || التمييز : التميز كـ .

(٦) جاذبة : + لها ف .

(٧ - ٨) أر العقل : والعقل م .

(٩) وحركت : وحركة م .

(١٠) ومباغته : ومباغية كـ .

(١١) فات : مات م .

(١٢) ما بين : بين ت .

(١٤) بنا : مثا كـ .

(١٥) يتبين : تبين كـ .

(١٧) حضر : خص م .

(١٨) العقلية الملائكة : ساقطة من م .

- وقع لها أدنى فراغ من هذه الأفعال حصل لها مطالعة لما ثم ، فيكون أولى ماتستثبته مايتصل بذلك الإنسان أو بدويه أو ببلده أو بإقليمه . فلذلك أكثر الأحلام الذى تذكر تختص بالإنسان الذى حلم بها وبين يله ، ومن كانت همته المعقولات لاحت له ، ومن كانت همته مصالح الناس رآها واهتدى إليها ، كذلك على هذا القياس . وليست الأحلام كلها صادقة ، وبحيث يجب أن يشتغل بها ، فإن القوة المتخيلة ليس كل محركاتها إنما تكون لما يفيض على النفس من الملكوت ، بل أكثر ما يكون منها ذلك إنما يكون إذا كانت هذه القوة قد سكنت عن محاكاة أمور هي أقرب إليها . والأمور التي هي أقرب إليها منها طبيعية ، ومنها إرادية . فالطبيعية هي التي تكون من ممازجة قوى الأخلط للروح التي تمتطيها القوة المصورة والمتخيلة ، فإنها أول شيء إنما تحكيما وتشتغل بها . وقد تحكى أيضا آلاما تكون في البدن وأعراضا فيه ، مثل ما يكون عندما تتحرك القوة الدافعة للمنى إلى الدفع ، فإن المتخيلة حينئذ تحكى صورا من شأن النفس أن تميل إلى مجامعتها ، ومن كان به جوع يحكى له مأكولات ، ومن كان به حاجة إلى دفع فضل حكيه موضع ذلك ، ومن عرض لعضو منه أن سخن أو يبرد بسبب حر أو برد يحكى له أن ذلك العضو منه موضوع في نار أو في ماء بارد . ومن العجائب أنه كما يعرض من حركة الطبيعة لدفع المنى تخيل مآ ، كذلك ربما عرض تخيل مآ لصورة مشتاة بسبب من الأسباب ، فتنبعث الطبيعة إلى جمع المنى وإرسال الريح الناشرة لآلة الجماع وربما قلقت المنى ، وقد يكون هذا في النوم واليقظة جميعا وإن لم يكن هناك هيجان وشبق .
- ١٠ أما الإرادية فإن يكون في همة النفس وقت اليقظة شيء تنصرف النفس إلى تأمله وتدبره ، فإذا نام أخذت المتخيلة تحكى ذلك الشيء وما هو من جنس ذلك الشيء ، وهذا هو من بقايا الفكر التي تكون في اليقظة ، وهذه كلها أضغاث أحلام . وقد تكون أيضا من تأثيرات الأجرام السماوية ، فإنها قد توقع بحسب مناسباتها ومناسبات نفوسها
- ٢٠

(١) حصل : حصلت م .

(٢) فلذلك : ولذلك ف ؛ فكذلك م .

(٩) من ممازجة : بممازجة ك ، م || تمتطيها : تميطنها د ؛ تمتطيها ك .

(١٣) ومن كان : وكان د .

(١٤) له : به د .

(١٨) الناشرة : الناشر م .

(١٩) هناك : + أيضا د ، ف ، م .

صوراً في التخيل بحسب الاستعداد ليست عن تمثيل شيء من عالم الغيب والإندار .
وأما الذي يحتاج أن يعبر وأن يتأول فهو ما لم ينسب إلى شيء من هذه الحملة ،
فيعلم أنه قد وقع من سبب خارج وأن له دلالة مما ، فلذلك لا يصح في الأكثر
رؤيا الشاعر والكذاب والشرير والسكران والمريض والمغموم ومن غلب عليه سوء مزاج
أو فكر . ولذلك أيضاً إنما يصح من الرؤيا في أكثر الأمر ما كان في وقت السحر ،
لأن الخواطر كلها تكون في هذا الوقت ساكنة ، وحركات الأشباح تكون قد هدأت .
وإذا كانت القوة التخيلية في حال النوم في مثل هذا الوقت غير مشغولة بالبدن ولا
مقطوعة عن الحافظة والمصورة ، بل متمكنة منهما ، فبالحرى أن تحسن خدمتها
لنفس في ذلك ، لأنها تحتاج لأمحالة فيما يرد عليها . من ذلك أن ترسم صورته في
هذه القوة ارتساماً صالحاً إما هي أنفسها وإما محاكياتها .

١٠

ويجب أن يعلم أن أصبح الناس أحلاماً أعدهم أمزجة ، فإن اليابس المزاج وإن
كان يحفظ جيداً فإنه لا يقبل جيداً ، والرطب المزاج وإن كان يقبل سريعاً فإنه يترك
سريعاً فيكون كأنه لم يقبل ولم يحفظ جيداً ، والحر المزاج متشوش الحركات ،
والبارد المزاج بليد ، وأصحهم من اعتاد الصدق : فإن عادة الكاتب والأفكار الفاسدة
تجعل الخيال رديء الحركات غير مطاوع لتسديد النطق ، بل يكون حاله حال
خيال من فسد مزاجه إلى تشويش .

١٠

وإذا كان هذا مما يتعلق بالنوم واليقظة ، فيجب أن ندل ههنا باختصار على
أمر النوم واليقظة . فنقول : إن اليقظة حالة تكون النفس فيها مستعملة للحواس
أو للقوى المحركة من ظاهر بالإرادة التي لا ضرورة إليها ، فيكون النوم عدم هذه
الحالة ، وتكون النفس فيه قد أعرضت عن الجهة الخارجة إلى الجهة الداخلة

٢٠

-
- (٢) وأن يتأول : ساقطة من د || الحملة : الجهة ك ، م .
(٣) فذلك : ولذلك د . (٤) الشاعر : للشاعر م .
(٦) ساكنة : ساكن د .
(٧) حال : ساقطة من ف ، م .
(٨) والمصورة : المصورة م || تحسن : تحسن م .
(١٠) القوة : القوى ف .
(١٣) ولم يحفظ : ولا يحفظ د ، ف ، ك || جيداً : ساقطة من م .
(١٤) بليد : بليداً م .
(١٧) مما يتعلق : ما يتعلق ف .
(١٨) النفس : للنفس م .
(٢٠) وتكون : فتكون ف .

وإعراضها لا يخلو من أحد وجوه : إما أن يكون لكلال عرض لها من هذه الجهة ، وإما أن يكون لهم عرض لها في تلك الجهة ، وإما أن يكون لعصيان الآلات إياها .

والذى يكون من الكلال هو أن يكون الشيء الذى يسمى روحا وتعرفه في موضعه قد تحلل وضعف فلا يقدر على الانبساط فيغور وتتبعه القوى النفسانية . وهذا الكلال قد يعرض من الحركات البدنية وقد يعرض من الأفكار وقد يعرض من الخوف . فإن الخوف قد يعرض منه النوم ، بل الموت ، وربما كانت الأفكار تنوم لامن هذه الجهة ، بل بأن تسخن الدماغ فتجذب الرطوبات إليه فيمتلئ الدماغ فينوم بالترطيب .

والذى لهم في الباطن هو أن يكون الغذاء والرطوبات قد اجتمعت من داخل فتحاج إلى أن يقصدها الروح بجميع الحار العزى لئى بهضمها التام فيتعطل الخارج .

والذى يكون من جهة الآلات فأن تكون الأعصاب قد امتلأت وانسدت من أبخرة وأغذية تنفذ فيها إلى أن تنهم ، أو الروح ثقلت عن الحركة لشدة الترطب .

وتكون اليقظة لأسباب مقابلة لهذه . من ذلك أسباب تجفف مثل الحرارة واليبوسة ، ومن ذلك جمام وراحة حصلت ، ومن ذلك فراغ عن الهضم فتعود الروح منتشرة ، ومن ذلك حالة رديئة تشغل النفس عن الغور ، بل تستدعيها إلى خارج كغضب أو خوف لأمر قريب أو مقاساة لمادة مؤلمة . وهذا قد دخل فيما نحن فيه بسبيل العرض ، وإن كان من حق النوم واليقظة ان يتكلم فيه في حوارض ذى الحس .

(١) أن يكون : ساقطة من م .

(٢) لهم : لم ك || لعصيان : العصيان م ؛ + تلك د .

(٤) الشيء : لشيء ك .

(٨) فتجذب : فتجذب ف || فيمتلئ : ويمتلئ د .

(١٥) الترطب : الترطيب ك ، م .

(١٦) مقابلة : متقابلة ك || تجفف : تخفف ك .

(١٧) جمام : جام د ، ف ، م || حصلت : ساقطة من د .

(١٨) منتشرة : + كثيرة ك ، م || الغور : الغور ك .

(١٩) كغضب : لغضب م || مؤلمة : مؤلمة م .

(٢١) الحس : النفس د .

الفصل الثالث

في أفعال القوى المتذكرة والرهمة وفي أن أفعال هذه القوى كلها بآلات جسمانية

كأننا قد استقصينا القول في حال التخيلة والمصورة . فيجب أن نتكلم في حال
المتذكرة ، وما بينها وبين المفكرة ، وفي حال الوهم ، فنقول : إن الوهم
هو الحاكم الأكبر في الحيوان ، ويحكم على سبيل انبعاث تخيل من غير أن
يكون ذلك محققا ، وهذا مثل ما يعرض للإنسان من استقذار العسل لمشابهته المزار ،
فإن الوهم يحكم بأنه في حكم ذلك ، وتتبع النفس ذلك الوهم وإن كان العقل
يكذبه . والحيوانات وأشباهاها من الناس إنما يتبعون في أفعالهم هذا الحكم من الوهم
الذى لا تفصيل منطقياً له ، بل هو على سبيل انبعاث ما فقط ، وإن كان الإنسان قد
يعرض لحواسه وقواه بسبب مجاورة النطق ما يكاد أن يصير قواه الباطنة منطقية
مخالفة للبهائم . فلذلك يصيب من فوائد الأصوات المؤلفة والألوان المؤلفة والروائح
والطعوم المؤلفة ومن الرجاء والتمنى أموراً لا تصيبها الحيوانات الأخرى ، لأن
نور النطق كأنه فائض سائح على هذه القوى . وهذا التخييل أيضاً الذى للإنسان قد
صار موضوعاً للنطق بعد ما أنه موضوع للوهم في الحيوانات ، حتى أنه ينتفع به
في العلوم وصار ذكره أيضاً نافعا في العلوم كالتجارب التى تحصل بالذكر والأرصاد
الجزئية وغير ذلك .

(١) الفصل الثالث : فصل ٣ ف .

(٢) القوى : القوة م .

(٤) كأننا : كما ف .

(٧) وهذا : ساقطة من م || لمشابهته : لمشابهة د ، ك ؛ لمشابهته ف .

(١٠) منطقياً : منطقياً ك .

(١١) بسبب : بحسب د ؛ بسبب ك .

(١٦) في العلوم ... نافعا : ساقطة من د || ذكره : ما ذكره م || تحصل : يحفظها ك .

- ولنرجع إلى حديث الوهم . فنقول : إن من الواجب أن يبحث الباحث ويتأمل أن الوهم الذى لم يصحبه العقل حال توهمه كيف ينال المعانى التى هى فى المحسوسات عندما ينال الحس صورتها من غير أن يكون شئ من تلك المعانى يحس و هو غير أن يكون كثير منها مما ينفع ويضر فى تلك الحال : فنقول : إن ذلك للوهم من وجوه : من ذلك الالهامات الفائضة على الكل من الرحمة الإلهية ، مثل حال الطفل ساعة يولد فى تعلقه بالثدى ، ومثل حال الطفل إذا أقل وأقيم فكاد يسقط من مبادرته إلى أن يتعلق بمستمسك لغريزة فى النفس جعلها فيه الإلهام الإلهى ، وإذا تعرض لحدقته بالقذى بادر فأطبق جفنيه قبل فهم ما يعرض له وما ينبغى أن يفعل بحسبه كأنه غريزة لنفسه لا اختيار معه وكذلك للحيوانات إلهامات غريزية ، والسبب فى ذلك مناسبات موجودة بين هذه الأنفس ومبادئها هى دائمة لا تنقطع غير المناسبات التى يتفق أن تكون مرة وأن لا تكون ، كاستكمال العقل وكخاطر الصواب ، فإن الأمور كلها من هناك . وهذه الإلهامات يقف بها الوهم على المعانى المخالطة للمحسوسات فيما يضر وينفع ، فيكون الذئب يحذر كل شاة وإن لم تره قط ولا أصابها منه نكبة ، وتحذر الأسد حيوانات كثيرة ، وجوارح الطير يحذر سائر الطير وتنشع عليها الطير الضعاف من غير تجربة ؛
- فهذا قسم .

- وقسم آخر يكون لشئ كالتجربة ، وذلك أن الحيوان إذا أصابه ألم أو لذة أو وصل إليه نافع حسى أو ضار حسى مقارنا لصورة حسية ، فارتسم فى المصورة صورة الشئ وصورة ما يقارنه ، وارتسم فى الذكر معنى النسبة بينها والحكم فيها فإن الذكر لذاته ولجبلته ينال ذلك . فإذا لاح للمخيلة تلك الصورة من خارج

(١) ولنرجع : ونرجع د ، ك .

(٣-٤) ومن غير أن يكون كثير ... الحال : ساقطة من د .

(٥) من ذلك : منها م .

(٦) أقل : أقبل م .

(٧) بمستمسك لغريزة فى النفس : ويعتصم لشئ لغريزة د .

(٨) جفنية : جفنه ف ، ك ؛ ساقطة من د .

(٩) للحيوانات : للحيوان د ، م .

(١١) لا تنقطع : لا تقطع ك .

(١٢) وكخاطر : وخاطر م .

(١٩) الشئ وصورة : ساقطة من د .

(٢٠) فيها : فيها م ؛ بينهما م || ولجلته : ويجبلته ك .

تحركت في المصورة وتحرك معها ما قارنها من المعاني النافعة أو الضارة ، وبالحملة
المعنى الذى فى الذكر على سبيل الانتقال والاستعراض الذى فى طبيعة القوة المتخيلة
فأحس الوهم بجميع ذلك معا فرأى المعنى مع تلك الصورة ، وهذا هو على سبيل
يقارب التجربة ، ولهذا تخاف الكلاب المدر والخشب وغيرها . وقد تقع للوهم
أحكام أخرى بسبيل التشبيه بأن تكون للشيء صورة تقارن معنى وهميا فى بعض
المحسوسات وليس تقارن ذلك دائما وفى جميعها ، فباتت مع وجود تلك الصورة
إلى معناها ، وقد يختلف .

- فالوهم حاكم فى الحيوان يحتاج فى أفعاله إلى طاعة هذه القوى له ، وأكثر .
ما يحتاج إليه هو الذكر والحس ، وأما المصورة فيحتاج إليها بسبب الذكر والتذكر
والذكر قد يوجد فى سائر الحيوانات ، وأما التذكر وهو الاحتيال لاستعادة ما اندرس
فلا يوجد على ما أظن إلا فى الإنسان ، وذلك لأن الاستدلال على أن شيئا كان
فقات إنما يكون للقوة النطقية ، وإن كان لغير النطقية فعسى أن يكون للوهم
المزبن بالنطق . فسائر الحيوانات إن ذكرت ذكرت ، وإن لم تذكر لم تشتق إلى
التذكر ، ولم يخطر لها ذلك بالبال ، بل إن هذا الشوق والطلب هو للإنسان .
والتذكر هو مضاف إلى أمر كان موجودا فى النفس فى الزمان الماضى ، ويشاكل
التعلم من جهة ويخالفه من جهة . أما مشاكلته للتعلم فلأن التذكر انتقال من
أمر تترك ظاهرا أو باطنا إلى أمور غيرها ، وكذلك التعلم فإنه أيضا انتقال من
معلوم إلى مجهول ليعلم ، لكن التذكر هو طلب أن يحصل فى المستقبل مثل
ما كان حاصلا فى الماضى ، والتعلم ليس إلا أن يحصل فى المستقبل شيء آخر ، وأيضا
فإن التذكر ليس يصار إلى الغرض فيه من أشياء توجب حصول الغرض ضرورة ،

(١) أو الضارة : والضارة د .

(٢-١) وبالحملة المعنى : والمعنى د .

(٣) معا : ساقطة من م .

(٤) يقارب : تقارن ك .

(٧) يختلف : يخالف د ، ف .

(١٠) والذكر : ساقطة من م .

(١٢) فقات : فغاب ك ، م .

(١٣) لم تذكر : ساقطة من م .

(١٤) هو : ساقطة من د .

(١٧) أمور : أمر د ، ف ، م .

(١٩) إلا : ساقطة من د . (٢٠) حصول الغرض ضرورة : ضرورة حصول الغرض ك ، م .

- بل على سبيل علامات إذا حصل أقربها من الغرض انتقلت النفس إلى الغرض في مثل تلك الحال ، ولو كانت الحال غير ذلك لم يجب - وإن أخطر صورة الأقرب أو معناه - أن تنتقل ، كمن يخطر بباله كتاب بعينه فتذكر منه معلمه الذى قرأ عليه ذلك الكتاب . وليس يجب من إخطار صورة ذلك الكتاب بالبال وإخطار معناه أن يخطر ذلك المعلم بالبال لكل إنسان . وأما العلم فإن السبيل •
الموصلة إليه ضرورة النقل إليه وهى القياس والحد .

- ومن الناس من يكون التعلم أسهل عليه من التذكر ، لأنه يكون مطبوعا على ضروريات النقل ، ومن الناس من يكون بالعكس ، ومن الناس من يكون شديد الذكر ضعيف التذكر ، وذلك لأنه يكون يابس المزاج فيحفظ ما يأخذه ، ولا يكون حرك النفس مطاوع المادة لأفعال التخيل واستعراضاته ، ومن الناس من يكون بالعكس . وأسرع الناس تذكرا أبطئهم للإشارات ، فإن الإشارات تفعل نقلا عن المحسوسات إلى معان غيرها ، فمن كان فطنا في الإشارات كان سريع التذكر . ومن الناس من يكون قوى الفهم ولكن يكون ضعيف الذكر ويكاد أن يكون الأمر في الفهم والتذكر بالتضاد ، فإن الفهم يحتاج إلى عنصر للصور الباطنة شديد الانطباع ، وإنما تعين عليه الرطوبة ، وأما الذكر فيحتاج إلى مادة يعسر انفساخ ما يتصور فيها ويتمثل ، وذلك يحتاج إلى مادة يابسة ، فلذلك يصعب اجتماع الأمرين . فأكثر من يكون حافظا هو الذى لا تكثر حركاته ولا تنقن هممه ، ومن كان كثير الهمم كثير الحركات لم يذكر جيدا ، فيحتاج المذكر مع المادة المناسبة إلى أن تكون النفس مقبلة على الصورة وعلى المعنى المستثبتين إقبالا بالحرص غير مأخوذة عنها باشتغال آخر ، ولذلك كان الصبيان مع رطوبتهم يحفظون جيدا ، لأن نفوسهم غير مشغولة بما تشتغل به نفوس البالغين ، فلا تذهل عما •
١٥
٢٠

(١) انتقلت : انتقل د ، ف ، ك .

(٢) كانت : كان م .

(٥) العلم : المعلم د ؛ التعلم ك .

(٦) وهى : وهود ، ف ، ك .

(٩) حرك : حركة ك || مطاوع : تطاوع ك ؛ مطاوعة م .

(١٧) كثير الهمم : ساقطة من د || الهمم : الفهم م

(١٨) إلى : ساقطة من ك || المستثبتين : المستبين في .

(١٩) باشتغال آخر : بأشغال أخرى ف || كان : فإن د ، ف .

(٢٠) جيدا : جدا ك || لأن نفوسهم : لا نفوسهم م || نفوس : النفوس م .

هى مقبلة عليه بغيره : وأما الشبان فلحرارتهم واضطراب حركاتهم مع ييس مزاجهم لا يكون ذكرهم كذكر الصبيان والمترعرعين ، والمشايخ أيضا يعرض لهم من الرطوبة الغالبة أن لا يذكروا ما يشاهدون .

وقد يعرض مع التذكر من الغضب والحزن والغم وغير ذلك ما يشاكل حال وقوع الشيء ، وذلك أنه لم يكن سبب وقوع الغم والحزن والغضب فيما مضى إلا انطباع هذه الصورة في باطن الحواس ، فإذا عادت فعلت ذلك أو قريبا منه ، والأمانى والرجاء أيضا تفعل ذلك ، والرجاء غير الأمنية ، فإن الرجاء تخيل أمر ما مع حكم أو ظن بأنه في الأكثر كائن ، وأما الأمنية فهي تخيل أمر وشهوته والحكم بالتأذ يكون إن كان ، والخوف مقابل الرجاء على سبيل التضاد ، واليأس عدمه ، وهذه كلها أحكام للوهم .

فلنقتصر الآن على ما قلناه من أمر القوى المدركة الحيوانية ، ولنبين أنها كلها تفعل أفعالها بالآلات ، فنقول : أما المدرك من القوى للصور الجزئية الظاهرة على هيئة غير تامة التجريد والتفريد عن المادة ولا مجردة أصلا عن علائق المادة كما تدرك الحواس الظاهرة ، فالأمر في احتياج إدراكه إلى آلات جسمانية واضح سهل . وذلك لأن هذه الصور إنما تدرك ما دامت المواد حاضرة موجودة ، والجسم الحاضر الموجود إنما يكون حاضرا موجودا عند جسم ، وليس يكون حاضرا مرة وغائبا أخرى عند ما ليس بجسم ، فإنه لانسبة له إلى قوة مفردة من جهة الحضور والغيبية . فإن الشيء الذى ليس في مكان لا تكون للشيء المكانى إليه نسبة في الحضور عنده والغيبية عنه ، بل الحضور لا يقع إلا على وضع وبعد للحاضر عند الحضور : وهذا

(٢) كذكر : لذكر في م .

(٤) التذكر : الذكر ك ، م || من : معنى م .

(٥) وقوع : ساقطة من د ، ف ، ك || إلا انطباع : الانطباع م .

(٦) باطن : + هله م .

(٧) أيضا : ساقطة من ك ، م .

(٩) مقابل : يقابل ف .

(٨) وأما الأمنية : والأمنية د ، ف || فهمي : فهو ك ؛ ساقطة من د ، ف .

(١٠) أحكام : تكون أحكاما ك ، م .

(١٢) أفعالا : أفعالا ك || بالآلات : بالآلات ف .

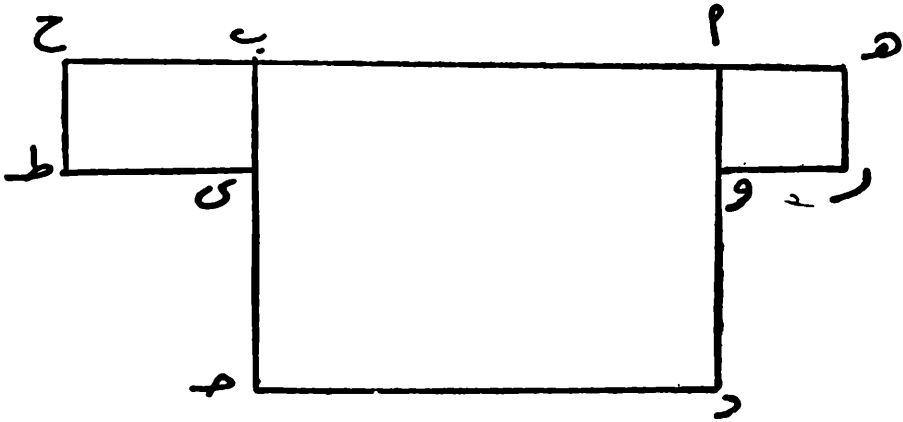
(١٣) تدرك : تدركه د ، ك ، م .

(١٤) آلات جسمانية : الآلات الجسمانية ك ، م .

(١٨) عنده : + الغيبية عنه ك .

(١٩) وبعد : أو بعد ك .

- لا يمكن إذا كان الحاضر جسماً إلا أن يكون المحضور جسماً أو في جسم . وأما المارك للصور الجزئية على تجريد تام من المادة وعدم تجريد البنية من العلاقات المادية كالخيال فيحتاج أيضاً إلى آلة جسمانية ، فإن الخيال لا يمكنه أن يتخيل إلا أن ترسم الصورة الخيالية فيه في جسم ارتساماً مشتركاً بينه وبين الجسم ؛ فإن الصورة المرشمة في الخيال من صورة شخص زيد على شكله ونخطيطه ووضع أعضائه بعضها عند بعض التي تتميز في الخيال كالمنظور إليها لا يمكن أن تتخيل على ما هي عليه إلا أن تلك الأجزاء والجهات من أعضائه يجب أن ترسم في جسم وتختلف جهات تلك الصورة في جهات ذلك الجسم وأجزاؤها في أجزائه . ولتنقل صورة زيد إلى صورة مربع ا ب ج د المحدود المقدار والجهة والكيفية واختلاف الزوايا بالعدد ، وليكن متصلاً بزاويتي ا ب منه مربعان كل واحد منهما مثل الآخر ، ولكل واحد جهة معينة ولكنهما متشابهان . الصورة ، فترسم من الجملة صورة شكل مجنح جزئى واحد بالعدد مقرر في الخيال . فنقول : إن مربع ا ه ر و وقع غيراً بالعدد لمربع ب ح ط ي ووقع في الخيال منه بجانب اليمين متميزاً عنه بالوضع المتخيل المشار إليه في الخيال فلا يخلو إما أن يكون



لصورة المربعة لذاتها أو لعارض خاص له في المربعة غير صورة المربعة، أو يكون للمادة التي هي تنطبع فيها د

- (٣) الخيالية : الخالية م
(٤) بينه : بين القوة د .
(١٠) منها : منهم م .
(١٢-١٣) منه بجانب اليمين : بجانب اليمين منه ك ، م .
(١٣) متميزاً : ومتميز ك ، م .
(١٤) لصورة : للصورة م || لذاتها : ساقطة من د ، ك ، م .
(١٤-١٥) خاص له ... فيها : ساقطة من م . (١٥) تنطبع : منطبع ك .
حاشية : الشكل المين في هذه الصفحة ساقط من نسختي ك ، م .

ولا يجوز أن تكون مغايرته له من جهة صورة المربعة ، وذلك لأننا فرضناهما
متساكِلين متشابهين متساويين . ولا يجوز أن يكون ذلك لعارض ينحصره ، أما أولا
فلأننا لا نحتاج في تخيله يمينا إلى إيقاع عارض فيه ليس في ذلك غير جهات المادة ،
وأما ثانيا فلأن ذلك العارض إما أن يكون شيئا فيه نفسه لذاته أو يكون شيئا له
بالقياس إلى ما هو شكله في الموجودات حتى يكون كأنه شكل متزوع عن موجود
هو لهذا الخيال ، أو يكون شيئا له بالقياس إلى المادة الحاملة . ولا يجوز أن يكون
شيئا له في نفسه من العوارض التي تخصه ، لأنه إما أن يكون لازما أو زائلا
ولا يجوز أن يكون لازما له بالذات إلا وهو لازم لمشاركه في النوع ، فلأن المربعين
وضعا متساويين في النوع فلا يكون لهذا عارض لازم ليس لذلك ؛ وأيضا فإنه
لا يجوز إن كان هو في قوة غير متجزئة تجزؤ القوى الجسمانية أن يعرض له شيء
دون الآخر الذي هو مثله ومحلهما واحد غير متجزئ وهو القوة القابلة . ولا يجوز أن يكون
زائلا ، لأنه يجب إذا زال ذلك الأمر أن تتغير صورته في الخيال ، فيكون الخيال إنما
يتخيله كما هو لأنه يقرن به ذلك الأمر ، فإذا زال تغير ، والخيال إنما
يتخيله هكذا لا بسبب شيء يقرنه به ، بل يتخيله كذلك كيف كان ، ولا إلى الخيال
أن يلحق بالآخر هذا العارض فيجعله كالأول ، بل مادام موجودا فيه يكون كذلك
ويعتبره الخيال كذلك من غير التفات إلى أمر آخر يقرنه به .

ولهذا لا يجوز أن يقال : إن فرض الفارض جعله بهذه الحال ، كما يجوز أن

(١) لأننا : أنا د .

(٢-١) ولا يجوز ... لعارض : ساقطة من م .

(٣) عارض : عارض ك .

(٤) فيه شيئا : ساقطة من م .

(٦) لهذا الخيال : بهذه الحال م || الحاملة : الحاصلة د ، ك ، م || ولا يجوز : لا يجوز م .

(٩) لذلك : كذلك د .

(١٠) تجزؤ : غير د ؛ تجزؤ ك .

(١٢) ذلك : ساقطة من م .

(١٣) لأنه : لأنه ك || زال : أزاله ف .

(١٥) فيجعله : فيتخيله د ، ك .

(١٧) الفارض : العارض ك .

يقال في مثله في المعقول ، وذلك لأن الكلام يبقى بحاله فيقال ما الذى فعله الفارض حتى خصصه بهذه الحال متميزا عن الثانى . وأما في الكلى فهناك أمر يقرنه به العقل وهو حد التيامن أوحد التياسر ، فإذا قرن بمربع حد التيامن صار بعد ذلك متيامنا ، والحد إنما يكون لأمر معقول كلى وفى مثله يصح لأنه أمر فرضى يتبع الفرض في التصور . وأما هذا الجزئى الذى ليس يكون بالفرض ، بل إنما تتصور في الخيال صورة عن محسوس من غير اختلاف فتثبت منظورا إليها متخيلة بعينها ، فليس يمكن أن يقال إنها يوجد لها هذا الحد دون صاحبها إلا لأمر به يستحق زيادة هذا الحد دون صاحبها ، ولا الخيال يفرضها كذلك بشرط يقرنه بها ، بل يتخيلها كذلك دفعة على أنها في نفسها كذلك لافرضها ، فيتخيل هذا المربع يمينا وذلك يسارا ، لا بسبب شرط يقرن بذلك وبهذا ، وبعد لحوقه يفرض ذلك يمينا وهذا يسارا . وأما في صقع العقل فإن حد التيامن وحد التياسر يلحق المربع - وهو مربع لم يعرض له شيء آخر - لحق الكلى بالكلى ، فإنه يجوز أن يثبت في العقل كلى من غير إلحاق شيء به ، ويكون معدا لأن يلحق به ما يلحق . وأما الخيال فما لم يتشخص المعنى فيه بما يتشخص به لم يتمثل للخيال ، فلذلك يجوز أن يكون في ساطان العقل أن يقرن معنى بمعنى على سبيل الفرض . وأما الخيال فما لم يقع للمتمثل فيه أولا وضع محدود جزئى لم يرتسم في الخيال ، ولا كان شيئا يجرى عليه فرض .

فقد بطل أن يكون هذا التمييز بسبب عارض في ذاته لازم أو غير لازم في ذاته أو مفروض ، فنقول : ولا يجوز أن يكون ذلك بالقياس إلى الشيء الموجود

(١) في (الأولى) ساقطة من م || المعقول : المعقولات ك || لأن : أن ف || الفارض : العارض ك .

(١٨-١) فيقال ... الموجود : ساقطة من د .

(٢) أمر : ساقطة من ك .

(٦) عن : غير م || من : أو م .

(٧) يقال : ساقطة من ف ، م || إنها : ساقطة من ف ، م || لها : له م .

(٨) صاحبها (الأولى والثانية) : صاحبها ك ، صاحبها م || إلا لأمر : الأمر م || يفرضها : يفرضه م .

(٩) بها : به م || يتخيلها : يتخيله م || أنها : أنه م || نفسها : نفسه م || لا يفرضها : لا يفرضه م .

(١٠) فيتخيل : يتخيل م || لا بسبب : إلا بسبب ك ، م || يقرن : يقرن ك ، م .

(١٢) يلحق : + في ك || يعرض : يفرض ك .

(١٥) يقرن : يقرن ك .

(١٦) لم يقع : لا يقع ف .

الذى هو خياله ، وذلك لأنه كثيرا ما يتخيل ما ليس بموجود . وأيضا فإن وقع لأحد المربعين نسبة إلى جسم والمربع الآخر نسبة أخرى ، فليس يجوز أن تقع ومحاكما غير منقسم ، فإنه ليس أحد المربعين الخياليين أولى بأن ينسب إلى أحد المربعين الخارجين من الآخر إلا أن يكون قد وقع هذا في نسبة من الجسم الموضوع له العادل إياه إلى أحد الخارجين لا يقع الآخر فيها . فيكون إذن محل هذا غير محل ذلك ، وتكون القوة منقسمة ولا تنقسم بذاتها ، بل بانقسام ما هي فيه فتكون جسمية . وتكون الصورة مرتسمة في جسم ، فليس يصح أن يفترق المربعان في الخيال لافتراق المربعين الموجودين وبالقياس إليهما ، فبقى أن يكون ذلك إما بسبب افتراق الجزئين في القوة القابلة أو الجزئين من الآلة التي بها تفعل القوة .

- ١٠ وكيف كان ، فإن الحاصل من هذا القبيل أن الإدراك إنما يتم بقوة متعلقة بمادة جسمية . فقد اتضح أن الإدراك الخيالي هو أيضا إنما يتم بجسم . وما يبين ذلك أنا نتخيل الصورة الخيالية كصورة الناس مثلا أصغر أو أكبر كأننا ننظر إليهما . ولا محالة أنها ترسم وهي أكبر ، وترسم وهي أصغر في شيء لا في مثل ذلك الشيء بعينه ، لأنها إن ارتسمت في مثل ذلك الشيء فالتفاوت في الصغر والكبر إما أن يكون بالقياس إلى المأخوذ عنه الصورة وإما بالقياس إلى الآخذ وإما لنفس الصورتين : ولا يجوز أن يكون بالقياس إلى المأخوذ عنه الصورة ، فكثير من الصور الخيالية غير مأخوذة عن شيء البتة ، وربما كان الصغير والكبير صورة شخص واحد . ولا يجوز أن يكون بسبب الصورتين في أنفسهما فإنهما لما اتفقتا في الحد والماهية واختلفتا في الصغر والكبر فليس ذلك لنفسيهما ، فإذن ذلك بالقياس إلى الشيء القابل ، ولأن الصورة تارة ترسم في جزء منه أكبر وتارة في جزء منه أصغر وأيضا فإنه ليس يمكننا نتخيل السواد والبياض في شبح خيالي واحد سارين فيه معا ، ويمكننا ذلك في جزئين منه يلحظهما الخيال مفترقين . ولو كان الجزءان

(٢٢-١) الذى . . . الجزعان : ساقطة من د .

(١) بموجود : ساقطة من م . (٦) ما هي فيه : ما فيك ، م .

(٧) جسم : الجسم كـ || يفترق : يفترق م || لا فتراق : لا فتران م .

(٨) افتراق : اقتران م .

(١٤) إن : إذا ف .

(١٥ - ١٦) وإما بالقياس إلى الآخذ وإما لنفس الصورتين : وإما بالقياس إلى نفس الصورتين وإما بالقياس إلى الآخذ م .

(١٦) ولا يجوز : وليس يجوز ف || الصور : الصورة كـ . (١٩) لنفسيهما : لنفسهما كـ .

(٢٢) مما : ساقطة من ك ، م .

لا يتميزان في الوضع ، بل كان كلا الخيالين يرتسمان في شيء غير منقسم ،
لكن لا يفرق الأمر بين المتعذر منهما والممكن . فإذا انجزنا متميزان في الوضع
والخيال يتخيلهما متميزين في جزئين .

فإن قال قائل : وكذلك العقل ، فنجيبه ونقول : إن العقل يعقل السواد
والبياض معا في زمان واحد من حيث التصور ، وأما من حيث التصديق فيمتنع .
أن يكون موضوعهما واحدا . وأما الخيال فلا يتخيلهما معا لا على قياس التصور
ولا على قياس التصديق . على أن فعل الخيال إنما هو على قياس التصور لا غير ،
ولا فعل له في غيره ، ولما علمت هذا في الخيال ، فقد علمت في الوهم الذي
ما يدركه إنما يدركه متعلقا بصورة جزئية خيالية على ما أوضحناه :

(١-٨) لا يتميزان . . . فقد علمت : ساقطة من د .

(٢) الأمر بين : الأمرين م .

(٣) يتخيلهما : ويتخيلهما م .

(٥) فيمتنع : فيمتنع م .

(٦) التصور : الصور م :

(٩) ما أوضحناه : ما أوضحناك ، م .

الفصل الرابع

في أهوال القوى المحركة وضرب منه النبوة المتعلقة بها

وإذ قلنا في القوى المدركة من قوى النفس الحيوانية فخليق بنا أن نتكلم في القوى المحركة منها فنقول : إن الحيوان ما لم يشتق اشتياقا إلى شيء شعر باشتياقه أو تخيله أو لم يشعر به ، لم ينبعث إلى طلبه بالحركة . وليس ذلك الشوق هو شيء من القوى المدركة ، فليس لتلك القوى إلا الحكم والإدراك ، وليس يجب إذا حكم أو أدرك بحس أو وهم أن يشتاق ذلك الشيء ، فإن الناس يتفقون في إدراك ما يحسون ويتخيلون من حيث يحسون ويتخيلون ، لكن يختلفون فيما يشتاقون إليه مما يحسون ويتخيلون : والإنسان الواحد قد يختلف حاله في ذلك ، فإنه يتخيل الطعام فيشتاقه في وقت الجوع ولا يشتاقه في وقت الشبع . وأيضاً فإن الحسن الأخلاق إذا تخيل اللذات المستكرهه لم يشتاقها ، والآخر يشتاقها . وليس هذان الحالان للإنسان وحده ، بل وللحيوانات كلها .

والشوق قد يختلف ، فمنه ما يكون ضعيفاً بعد ، ومنه ما يشتد حتى يوجب الإجماع . والإجماع ليس هو الشوق فقد يشتد الشوق إلى الشيء ولا يجمع على الحركة البتة ، كما أن التخيل يقوى فلا يشتاق إلى ما يتخيل ، فإذا صح الإجماع أطاعت القوى

(١) الفصل الرابع : فصل ٤ ف .

(٢) وضرب : وفي ضرب ك .

(٤) منها : ساقطة من د .

(٧) يشتاق : + إلى ك .

(٨) لكن : ولكن ك .

(١٠) فيشتاقه : ويشتاقه ك ، م || وقت . . . في : ساقطة من م .

(١٢) هذان : هذا ك || والحيوانات : والحيوان م .

(١٣) بعد : بميداك لا الإجماع : ساقطة من م .

(١٤) ولا يجمع : فلا يجمع د ، م .

الحركة التى ليس لها إلا تشنيج العضل وإرسالها . وليس هذا نفس الشوق ولا الإجماع ، فإن المنوع من الحركة لا يكون ممنوعا من شدة الشوق ومن الإجماع ، لكنه لا يجد طاعة من القوى الأخرى التى لها أن تحرك فقط ، وهى التى فى العضل . وهذه القوة الشوقية من شعبها القوة الغضبية والقوة الشهوانية . فالتى تنبعث مشتاقة إلى اللذيذ والمتخيل نافعا لتجلبه هى الشهوانية ، والتى تنبعث مشتاقة إلى الغلبة وإلى المتخيل منافيا لتدفعه فهى الغضبية .

وقد نجد فى الحيوانات انبعاثات لا إلى شهواتها ، بل مثل نزاع التى ولدت إلى ولدها والذى ألف إلى إلفه ، وكذلك اشتياقها إلى الانفلات من الأقداس والقيود ، فهنا وإن لم يكن شهوة للقوة الشهوانية فإنه اشتياق مّا إلى شهوة للقوة الخيالية . فإن القوة المدركة تخصها فيما تدرك وفيما تنقلب فيه من الأمور التى تتجدد ١٠ بالمشاهدة أو من الصور مثالا لذة تخصها ، فإذا تأملت بفتدائها اشتاقت إليها طبعاً ، فأجمعت القوة الإجماعية على أن تحرك إليها الآلات كما تجمع لأجل الشهوة والغضب ، ولأجل الجميل من المعقولات أيضاً . فيكون للشهوة اشتداد الشوق إلى اللذيذ ، وللقوة التزوعية الإجماع ، وللغضب اشتداد الشوق إلى الغلبة ، وللقوة التزوعية الإجماع ، وكذلك للتخيل أيضاً ما يخصه وللقوة التزوعية الإجماع . ١٥ والخوف والغم والحزن عن عوارض القوة الغضبية بمشاركة من القوى المدركة ،

(١) تشنيج : تشنيج ف ؛ تشنيج م .

(٢) ومن : من د .

(٤) وهذه : فهذه ك || الشوقية : ساقطة من م .

(٥) لتجلبه : لتحيله م .

(٦) وإلى : + دفع ك || فهى : وهى م .

(٨) الانفلات : الانقلاب م .

(٩) فهذا : + أيضاً د .

(١٠) وفيما : فيما م .

(١١) فإذا : وإذا || تأملت : تأملت د ، ك .

(١٢) تحرك : تتحرك م .

(١٣) الشوق : ساقطة من م .

(١٣-١٤) إلى الشوق : ساقطة من د .

(١٤-١٥) والغضب ... للإجماع : ساقطة من م .

فلإنها إذا انخللت اتباعا لتصور عقلى أو خيالى كان خوف ، وإذا لم تخف قويت .
 ويعرض لها النغم من الذى يوجب الغضب إذا كان غير مقدور على دفعه أو كان
 مخوفا وقوعه . والفرج الذى من باب الغلبة فإنه غاية لهذه القوة أيضا . والحرص
 والنهم والشهوة والشبق وما أشبه ذلك فهى للقوة البهيمية الشهوانية : والاستئناس
 والسرور من عوارض القوى الإدراكية : وأما القوى الإنسانية فتعرض لها أحوال
 تخصها ستتكم فيها بعد : والقوى الإجتماعية تتبع للقوى المذكورة ، فلإنها إذا اشتد
 نزاعها أجمعت وهى كلها تتبع أيضا القوة الوهمية ، وذلك أنه لا يكون شوق
 البتة إلا بعد توهم المشتاق إليه وقد يكون وهم ، ولا يكون شوق : لكنه قد
 يتفق أحيانا لآلام بدنية تتحرك الطبيعة إلى دفعها أن توجب تلك الحركة انبعاث
 التوهم ، فتكون تلك القوى ساقطة للتوهم إلى مقتضاها ، كما أن التوهم فى أكثر
 الأمر يسوق القوى إلى التوهم ، فالوهم له السلطان فى حيز القوى المدركة فى
 الحيوانات ، والشهوة والغضب لهما السلطان فى حيز القوى المحركة وتتبعهما القوة
 الإجتماعية ثم القوى المحركة التى فى العضل :

فنقول الآن : إن هذه الأفعال والأعراض هى من العوارض التى تعرض
 للنفس وهى فى البدن ولا تعرض بغير مشاركة البدن ، ولذلك فلإنها تستحيل معها
 أمزجة الأبدان . وتحدث هى أيضا مع حدوث أمزجة الأبدان ، فإن بعض
 الأمزجة يتبعه الاستعداد للغضب ، وبعض الأمزجة يتبعه الاستعداد للشهوة ،
 وبعض الأمزجة يتبعه الجبن والخوف . ومن الناس من تكون سجيته سجية مغضب

(١) انخللت : تحركت ك ؛ + وضعفت بعد تصور خيالى أو عقل حدثت هذه الأعراض إذا
 تحركت ك || وإذا : وإن ف .

(٢) لها : لهذا م .

(٣) فإنه غاية : ساقطة من د .

(٤) والشهوة : ساقطة من د ، ف ، م

(٦) فيما : فيما د || تبع : تتبع ك .

(٧) لا يكون شوق : لا شوق د .

(٨) شوق : + البتة ك ، م .

(١٠) ساقطة : سابقة ك ، م || أن : + أكثر د ، ك ، م .

(١١) فالوهم : ساقطة من م .

(١٢) القوة : القوى د .

(١٣) القوى : القوة ف . (١٤) الآن : ساقطة من م .

(١٨) يتبعه : يتبعها د || تكون : ساقطة من د ، ك ، م || سجيته سجية : سحنه سحنه م .

فيكون سريع الغضب ، ومن الناس من يكون كأنه مذعور مرعوب فيكون جبانا مسرعا إليه الرعب . فهذه الأحوال لا تكون إلا بمشاركة البدن .

والأحوال التي للنفس بمشاركة البدن على أقسام : منها ما يكون للبدن أولا ولكن لأجل أنه ذونفس ، ومنها ما يكون للنفس أولا ولكن لأجل أنها في

بدن ، ومنها ما يكون بينهما بالسوية . فالنوم واليقظة والصحة والمرض أحوال هي للبدن ومبادئها منه ، فهي له أولا ، ولكن إنما هي للبدن بسبب أن له

نفسا : وأما التخيل والشهوة والغضب وما يجرى هذا المجرى فإنها للنفس من جهة ما هي ذات بدن ، وللبدن من جهة أنها لنفس البدن أولا ، وإن كان

من جهة ما للنفس ذات بدن ، لست أقول من قبل البدن ، وكذلك الهم والغم والحزن والذكر وما أشبه ذلك ، فإن هذه ليس فيها ما هو عارض للبدن من حيث

هو بدن ، ولكن هذه أحوال شيء مقارن للبدن لا تكون إلا عند مقارنة البدن ، فهي للبدن من قبل النفس ، إذ هي للنفس أولا وإن كانت للنفس من

قبل ما هي ذات بدن ، لست أقول من قبل البدن . وأما الألم من الضرب ومن تغير المزاج فإن العارض فيه موجود في البدن ، لأن تفرق الاتصال والمزاج من

أحوال البدن من جهة ما هو بدن ، وأيضا موجود في الحسن الذي يحسه من جهة ما يحسه ولكن بسبب البدن . ويشبه أن يكون الجوع والشهوة من هذا القبيل .

وأما التخيل والخوف والغم والغضب فإن الانفعال الذي تعرض به يعرض أولا للنفس ، وليس الغضب والغم من حيث هو غضب أو غم انفعالا من الانفعالات المؤلمة

للبدن ، وإن كان يتبعه انفعال بدني مؤلم للبدن ، مثل اشتعال حرارة أو خمودها وغير ذلك . فإن ذلك ليس نفس الغضب والغم ، بل هو أمر يتبع الغضب والغم : ونحن

لا نمنع أن يكون أمر الأخلق به أن يكون للنفس من حيث هي في بدن ثم تتبعه في البدن

(١) فيكون : + هو د . (٤) ولكن : + يكون ك .

(٧) فإنها : فإنه ف ، ك .

(٨) من جهة : ساقطة من م || كان : + للنفس ك .

(٩) ما للنفس ذات بدن : ما النفس دون بدن د ؛ ما النفس ذون بدن ف ؛ ما هو ذون بدن ك .

(١٠) والذكر : ساقطة من ك . (١٢) كانت : كان د ، ك .

(١٣) ما هي ذات : ما هو ذون د ، ف ، ك .

(١٧) وأما التخيل : ساقطة من ف || به : له ماك ؛ بها م .

(١٨) والغم : أر الغم ف || أر غم : وغم ك ، م

(٢٠) هو أمر : أمرا ف ؛ أمر م .

(٢١) أمر : الأمر ك || هي : هو د ، ف ، ك || في ساقطة من م .

انفعالات خاصة بالبدن ، فإن التخيل أيضا من حيث كونه إدراكا ليس من الانفعالات التي تكون للبدن بالقصد الأول ، ثم قد يعرض من التخيل أن ينتشر بعض الأعضاء ، وليس ذلك بسبب طبيعي أوجب أن مزاجا قد استحال وحرارة قوية وبخارا تكوّن ونفذ في العضو حتى نشره ، بل لما حصلت صورة في وهم أوجبت الاستحالة في مزاج وحرارة ورطوبة وريحا ، ولولا تلك الصورة لم يكن في الطبيعة ما يحركها .

ونحن نقول بالجملة إن من شأن النفس أن يحدث منها في العنصر البدني استحالة مزاج تحصل من غير فعل وانفعال جسماني فتحدث حرارة لا عن حار ، وبرودة لا عن بارد ، بل إذا تخيلت النفس خيالا وقوى في النفس لم يلبث أن يقبل العنصر البدني صورة مناسبة لذلك أو كيفية . وذلك لأن النفس من جوهر بعض المبادئ التي هي تلبس المواد ما فيها من الصور المقومة لها ، إذ هي أقرب مناسبة لذلك الجوهر من غيره ، وذلك إذا استتم استعدادها لها . وأكثر استعداداتها إنما تكون بسبب استحالات في الكيف ؛ كما قلنا فيما سلف ، وإنما تستحيل في الأكثر عن أضرار تحيلها . فإذا كانت هذه المبادئ قد تكسو العنصر صورة مقومة لنوع طبيعي لنسبة ما تتقرر بينهما ، فلا يبعد أيضا أن تكسوها الكيفيات من غير حاجة إلى أن تكون هناك مماسة وفعل وانفعال جسماني يصدر عن مضادة ، بل الصورة التي في النفس هي مبدأ لما يحدث في العنصر ، كما أن الصورة الصحية التي في نفس الطبيب مبدأ لما يحدث من البرء ، وكذلك صورة السرير في نفس التجار لكنه من المبادئ التي لا تنساق إلى إصدار ما هي موجهة له إلا بآلات ووسائل ، وإنما تحتاج إلى هذه الآلات لعجز وضعف وتأمل حال المريض الذي توهم أنه قد صح والصحيح الذي توهم أنه مريض ، فإنه كثيرا ما يعرض من

(١) ليس : + هو ك ، م .

(٢) أوجب : لوجب م .

(٥) ولولا : لولا ك .

(٧) منها : منه د ، ف ، ك .

(٨) تحصل : تحدث ف .

(١٢) لها : ساقطة من د ، ك ، م .

(١٨) الطبيب : + هي د .

(١٩) نفس : ذات د ، ف ، م || ما هي موجهة : ما هو موجب د ، ك ، م .

(٢٠) لعجز : بعجز د ، ك .

(٢١) مريض : مريض ك .

ذلك أن يكون إذا تأكدت الصورة في نفسه وفي وهمه انفعال منها عصره فكانت الصحة أو المرض ، ويكون ذلك أبلغ مما يفعله الطبيب بآلات ووسائل. ولهذا السبب ما يمكن الإنسان مثلا أن يعدو على جذع مطروح في القارعة من الطريق وإن كان موضوعا كالجسر وتحت هاية لم يجسر أن يمشي عليه ديبيا إلا بالهوبنا ، لأنه يتخيل في نفسه صورة السقوط تخيلا قويا جدا فتجيب إلى ذلك طبيعته وقوة أعضائه ولا تجيب إلى ضده من الثبات والاستمرار .

- فالصورة إذا استحکم وجودها في النفس واعتقاد أنها يجب أن توجد فقد يعرض كثيرا أن تنفعل عنها المادة التي من شأنها أن تنفعل عنها وتكون ، فإن كان ذلك في النفس الكلية التي للسماء والعالم جاز أن يكون مؤثرا في طبيعة الكل ، وإن كان في نفس جزئية جاز أن يؤثر في الطبيعة الجزئية . ١٠
- وكثيرا ما تؤثر النفس في بدن آخر كما تؤثر في بدن نفسها تأثير العين العائنة والوهم العامل ، بل النفس إذا كانت قوية شريفة شبيهة بالمبادئ أطاعها العنصر الذي في العالم وانفعل عنها ووجد في العنصر ما يتصور فيها . وذلك لأن النفس الإنسانية سنين أنها غير منطبعة في المادة التي لها ، لكنها منصرفه الهمة إليها . فإن كان هذا الضرب من التعلق يجعل لها أن تحيل العنصر البدني عن مقتضى طبيعته ، فلا بدع أن تكون النفس الشريفة القوية جدا تجاوز بتأثيرها ما يختص بها من الأبدان إذا لم يكن انغماسها في الميل إلى ذلك البدن شديدا قويا وكانت مع ذلك عالية في طبقتها قوية في ملكتها جدا ، فتكون هذه النفس تبرىء المرضى ، وتمرض الأشرار ، ويتبعها أن تهدم طبائع ، وأن تؤكد طبائع ، وأن تستحيل لها العناصر فيصير غير النار نارا وغير الأرض أرضا ، ٢٠
- وتحدث بارادتها أيضا أمطار وخصب كما يحدث خسف ووباء كل بحسب الواجب العقلي . وبالحملة فإنه يجوز أن يتبع إرادته وجود ما يتعلق باستحالة العنصر

(١) أن يكون : أو يكون م .

(٣) ما يمكن : يمكنك || مطروح : ملق ف ، م ، يلقى ك .

(٤) كالجسر : لجسر م . (٥) تخيلا : ساقطة من م .

(٧) واعتقاد أنها : واعتقاداتها ك ، م .

(١١) نفهمها : نفسه د ، ك || تأثير : تأثر د || العائنة : الغاية م .

(١٨) وكانت : وكان د ، ك م || عالية : عالياد ، م غالبا || طبقتها : طبقته د ، م ؛ طبيعته ك ||

قوية : قويا ك || ملكتها : ملكته د ، ك ، م .

(٢١) بإرادتها : بإرادته د ، م || أيضا : ساقطة من ف .

فى الأضداد ، فإن العنصر بطبعه بطبعه ويتكون فيه ما يتمثل فى إرادته ، إذ العنصر بالحملة طوع للنفس وطاعته لها أكثر من طاعته للأضداد المؤثرة فيها . وهذه أيضا من خواص القوى النبوية . وقد كنا ذكرنا خاصية قبل هذه تتعلق بقواها المتخيلة وتلك خاصية تتعلق بالقوى الحيوانية المدركة ، وهذه خاصية تتعلق بالقوى الحيوانية المحركة الإجتماعية من نفس النبى العظيم النبوة .

فنعول : إنه لما تبين أن جمع القوى الحيوانية لا فعل لها إلا بالبدن ، ووجود القوى أن يكون بحيث تفعل ، فالقوى الحيوانية إذن إنما تكون بحيث تفعل وهى بدنية فوجودها أن تكون بدنية ، فلا بقاء لها بعد البدن . وقد تكلمنا فى كتبنا الطبية فى أسباب استعدادات الأشخاص المختلفة بجبلتها وبحسب اختلاف أحوالها للفرح والغم والغضب والحلم والحقد والسلامة وغير ذلك ١٠ . كلاما لا يوجد للمتقدمين ما يجرى مجراه فى تفصيله وتحصيله فليقرأ من هناك .

(٢) المؤثرة : والمؤثرة د || فيها : فيه ف ، م .

(٧-٨) فالقوى تفعل : ساقطة من د

(٨) فوجودها : موجودها د .

(٩) أسباب : سبب د ، ف ، م .

(١٠) والحلم : والحكم د ؛ ساقطة من ك || والحقد : + والحسد ك .

(١١) هناك : + تمت المقالة الرابعة من الفن السادس فى الطبيعيات من كتاب النفس بحمد الله وحسن

توفيقه د .

المقالة الخامسة

الفصل الأول

في خواص الأفعال والانفعالات التي للإنسان

وبين قوى النظر والعمل للنفس الإنسانية

- قد فرغنا من القول في القوى الحيوانية أيضا ، فحري بنا أن نتكلم الآن في القوى الإنسانية . فنقول : إن الإنسان له خواص أفعال تصدر عن نفسه ليست موجودة لسائر الحيوان . وأول ذلك أنه لما كان الإنسان في وجوده المقصود فيه يجب أن يكون غير مستغن في بقائه عن المشاركة ولم يكن كسائر الحيوانات التي يقتصر كل واحد منها في نظام معيشته على نفسه وعلى الموجودات في الطبيعة له . وأما الإنسان الواحد فللم يكتف في الوجود إلا هو وحده وإلا الأمور الموجودة في الطبيعة له لملك أو لساءت معيشته أشد سوء ، وذلك لفضيلته ونقيصة سائر الحيوان على ما ستعلمه .
- في مواضع أخرى ، بل الإنسان محتاج إلى أمور أزيد مما في الطبيعة - مثل الغذاء المعمول واللباس المعمول والموجود في الطبيعة من الأغذية - ما لم تدبر بالصناعات فإنها لا تلائم ولا تحسن معها معيشته. والموجود في الطبيعة من الأشياء التي يمكن أن تلبس أيضا ، فقد تحتاج أن تجعل بهيئة وصفة حتى يمكنها أن يلبسها . وأما الحيوانات الأخرى فإن لباس كل واحد معه في الطباع ، فلذلك يحتاج الإنسان أول شيء إلى الفلاحة .
- وكذلك إلى صناعات أخرى ، لا يتمكن الإنسان الواحد من تحصيل كل ما يحتاج إليه من ذلك بنفسه ، بل بالمشاركة حتى يكون هذا ينجز لذلك ، وذاك ينسج لهذا ، وهذا ينقل شيئا من بلاد غريبة إلى ذلك ، وهذا يعطيه بإزاء ذلك شيئا من قريب .

(١) الفصل الأول : فصل ١ ف .

(٧) الحيوانات التي : الحيوان الذي د ، ك ، م .

(٩) له : ساقطة من د ، ف .

(١٠) لساءت : لساق د .

(١٣) تحسن : تحسم || معيشته : معيشة ك ، م .

(١٧) هذا ينجز لذلك وذلك : هذا ينجز لذلك وذلك د ؛ من ينجز لهذا وذلك ك ؛ هذا يحرق لهذا وهذا م .

فلهذه الأسباب ولأسباب أخرى أخفى وأكد من هذه ما احتاج الإنسان أن تكون له في طبعه قدرة على أن يعلم الآخر الذى هو شريكه ما في نفسه بعلامة وضعية ، وكان أخلق ما يصلح للملك هو الصوت لأنه ينشعب إلى حروف تتركب منها تراكيب كثيرة من غير مؤونة تلحق البدن وتكون شيئا لا يثبت ولا يبقى فيؤمن وقوف من لا يحتاج إلى شعوره عليه . وبعد الصوت الإشارة فإنها كذلك ، إلا أن الصوت أدل من الإشارة ، لأن الإشارة إنما تهدي من حيث يقع عليها البصر ، وذلك يكون من جهة مخصوصة ، ويحتاج أن يكلف المراد إعلامه أن تحرك حلقته إلى جهة مخصوصة حركات كثيرة يراعى بها الإشارة . وأما الصوت فقد تغنى الاستعانة به عن أن يكون من جهة مخصوصة ، وتغنى أيضا عن أن تراعى بحركات ، ومع ذلك فليس يحتاج في أن يدرك إلى متوسط كما لا يحتاج اللون إليه ، لا كحاجة الإشارات ، فجعلت الطبيعة للنفس أن تؤلف من الأصوات ما يتوصل به إلى إعلام الغير . وفي الحيوانات الأخرى أيضا أصوات يقف بها غيرها على حال في نفسها . لكن تلك الأصوات إنما تدل بالطبع وعلى جملة من الموافقة أو المنافرة غير محصلة ولا مفصلة .

والذى للإنسان فهو بالوضع ، وذلك لأن الأغراض الإنسانية تكاد أن لا تنتهى ، فما كان يمكن أن تطبع هى على أصوات بلا نهاية ، فما يختص بالإنسان هذه الضرورة الداعية إلى الإعلام والاستعلام لضرورة داعية إلى الأخذ والإعطاء بقدر عدل وللضرورات أخرى ، ثم اتخذ الجميع واستنبط الصنائع .

وللحيوانات الأخرى وخصوصا للطير صناعات أيضا ، فإنها تصنع بيوتا ومساكن لاسيما النحل . لكن ذلك ليس مما يصدر عن استنباط وقياس ، بل عن إلهام وتسخير ، ولذلك ليس مما يختلف ويتنوع ، وأكثرها لصلاح أحوالها وللضرورة النوعية ليست للضرورة الشخصية .

(١) ولأسباب : وأسباب ك || أخرى أخفى : أخرى أخرى د .

(٨) فقد : قد د || به : ساقطة من م :

(١٠) كحاجة : حاجة م .

(١٢) تدل : تعلمها د || أو المنافرة : والمنافرة ك ، م .

(١٦) فسا : فهام .

(٢٠) لاسيما : لاسياك .

- والذى للإنسان فكثير منه للضرورة الشخصية ، وكثير لصالح حال الشخص بعينه . ومن خواص الإنسان أنه يتبع إدراكاته للأشياء النادرة انفعال يسمى التعجب ويتبعه الضحك ، ويتبع إدراكه للأشياء المؤذية انفعال يسمى الضجر ويتبعه البكاء . ويخصه في المشاركة أن المصلحة تدعو إلى أن تكون في جملة الأفعال التي من شأنه أن يفعلها أفعال لا ينبغي له أن يفعلها ، فيعلم ذلك صغيرا وينشأ عليه . ويكون قد تعود منذ صباه سماع أن تلك الأفعال ينبغي أن لا يفعلها ، حتى صار هذا الاعتقاد له كالعزيمى ، وأفعال أخرى بخلاف ذلك ، وتسمى الأولى قبيحة ، والأخرى جميلة . وليس يكون للحيوانات الأخرى ذلك ، فإن كانت الحيوانات الأخرى تترك أفعالا لها أن تفعلها مثل أن الأسد المعلم لا يأكل صاحبه ولا يأكل ولده . فليس سبب ذلك اعتقادا في النفس ورأيا ، ولكن هيئة أخرى نفسانية ، وهى أن كل حيوان يؤثر بالطبع وجود ما يلذه وبقائه ، وأن الشخص الذى يمونه ويداعمه قد صار لذينا له لأن كل نافع لذيد بالطبع عند المنفوع ، فيكون المانع عن فرسه ليس اعتقادا ، بل هيئة وعارضا نفسانيا آخر . وربما وقع هذا العارض في الجلبة ومن الإلهام الإلهى كحب كل حيوان ولده من غير اعتقاد البتة ، بل على نوع تخيل بعض الإنسان لشيء نافع أو لذيد ونفرتة عنه إذا كان في صورته ما ينفر عنه . والإنسان قد يتبع شعوره بشعور غيره أنه فعل شيئا من الأشياء التي قد أجمع على أنه لا ينبغي أن يفعلها انفعال نفسانى يسمى الخجل ، وهذا أيضا من خواص الناس . وقد يعرض للإنسان انفعال نفسانى بسبب ظنه أن أمرا في المستقبل يكون مما يضره ، وذلك يسمى الخوف . والحيوانات الأخرى إنما يكون ذلك لها بحسب الآن في غالب الأمر ، أو متصلا بالآن ، وللإنسان بليزاء الخوف الرجاء ، ولا يكون للحيوانات الأخرى إلا متصلا بالآن ، ولا يكون فيما يبعد من الآن من الزمان ذلك . والذى تفعله من الاستظهار فليس ذلك لأنها تشعر بالزمان وما يكون فيه ، بل ذلك أيضا

(١) فكثير : فكثر م || وكثير : + منه ك .

(٥) فيعلم : ساقطة من د .

(٩) تفعلها : تفعل د || أن تفعلها مثل : ساقطة من م .

(١٠) اعتقادا : اعتقاد د ، ف ، ك || ورأيا : ورأى د ، ف ، ك .

(١٥) ونفرتة : أو نفرتة ك ، م || صورته : صورة م .

(١٦) شعوره بشعور : شعور م .

(٢٠) أو متصلا : ومتصلة د ؛ أو متصلة ك .

(٢١) إلا متصلا : إلا متصلة د ، ك ؛ متصلا م || ذلك : ساقطة من م .

ضرب من الإلهام . والذي يفعله النمل من نقل الميرة بالسرعة إلى جحرتها منذرة بمطر يكون ، فلأنها تتخيل أن ذلك هوذا يكون في هذا الوقت . كما أن الحيوان يهرب عن الضد لما يتخيل أن هوذا يريد أن يضربه في الوقت . ويتصل بهذا الجنس ما للإنسان أن يروى فيه من الأمور المستقبلية أنه هل ينبغي له أن يفعلها أو لا ينبغي . فيفعل ما يصح أن توجب رويته أن لا يفعله وقتا آخر أو في هذا الوقت بدل ما روى ، ولا يفعل ما يصح أن توجب رويته أن يفعل وقتا آخر أو في هذا الوقت بدل ما روى . وسائر الحيوانات إنما يكون لها من الإعدادات للمستقبل ضرب واحد مطبوع فيها وافقت عاقبتها أو لم توافق .

وأخص الخواص بالإنسان تصور المعاني الكلية العقلية المجردة عن المادة كل التجريد على ما حكيناه وبيناه ، والتوصل إلى معرفة المجهولات تصديقا وتصورا من المعلومات العقلية . فهذه الأحوال والأفعال المذكورة هي مما يوجد للإنسان ، وجلها يختص به الإنسان وإن كان بعضها بدنيا ، ولكنه موجود لبدن الإنسان بسبب النفس التي للإنسان التي ليست لسائر الحيوان ، بل نقول : إن للإنسان تصرفا في أمور جزئية وتصرفا في أمور كلية والأمور الكلية إنما يكون فيها اعتقاد فقط ولو كان أيضا في عمل ، فإن من اعتقد اعتقادا كلياً أن البيت كيف ينبغي أن يبنى ، فإنه لا يصدر عن هذا الاعتقاد وحده فعل بيت مخصوص صدورا أوليا ، فإن الأفعال تتناول أموراً جزئية وتصدر عن آراء جزئية ، وذلك لأن الكلى من حيث هو كلى ليس يختص : بهذا دون ذلك . ولنؤخر شرح هذا معولين على ما يأتيك في الصناعة الحكيمة في آخر الفنون فتكون للإنسان إذن قوة تختص بالآراء الكلية ، وقوة أخرى تختص بالروية في الأمور الجزئية ، فيما ينبغي أن يفعل ويترك مما ينفع ويضر ، وما هو جميل وقبيح وخير وشر ، ويكون ذلك بضرب من القياس والتأمل صحيح أو سقيم غايته

(١) من (الثانية) : فد ، ك ، م || بالسرعة : ساقطة من ف || جحرتها : أبحرتهاد .

(٣) يتخيل : + من ف || يريد أن : ساقطة من ك ، م .

(٤) من : فد ، ك ، م || الأمور المستقبلية : أمور مستقبلية د .

(٥) بدل : يدل م || ماروى : مادوى د .

(٦) أوفى : أولا في م || بدل : يدل م .

(٨) وافقت : وافق م .

(١١) العقلية : الحقيقية ك ، م .

(١٣) للإنسان : الإنسان م .

(١٦) أموراً : بأمورك .

(١٩) فتكون : ساقطة من د ، م .

(٢٠) ويترك : أو يترك ك || وما : بما ك .

- أنه يوقع رأيا في أمر جزئي مستقبل من الأمور الممكنة ، لأن الواجبات والمنتعات لا يروى فيها لتوجد أو تعدم ، وما مضى أيضا لا يروى في إيجادها على أنه ماض . فإذا حكمت هذه القوة تبع حكمها حركة القوة الإجماعية إلى تحريك البدن ، كما كانت تتبع أحكام قوى أخرى في الحيوانات ، وتكون هذه القوة استمدادها من القوة التي على الكليات ، فمن هناك تأخذ المقدمات الكبرى فيما تروى وتنتج في الجزئيات .
- فالقوة الأولى للنفس الإنسانية قوة تنسب إلى النظر فيقال عقل نظري ؛ وهذه الثانية قوة تنسب إلى العمل فيقال عقل عملي ؛ وتلك للصدق والكذب وهذه للخير والشر في الجزئيات ، وتلك للواجب والممتنع والممكن وهذه للقيح والجميل والمباح ، ومبادئ تلك من المقدمات الأولية ومبادئ هذه من المشهورات والمقبولات والمظنونات والتجربيات الواهية التي تكون من المظنونات غير التجربيات الوثيقة . ولكل واحدة ١٠ من هاتين القوتين رأى وظن ، فالرأى هو الاعتقاد المجزوم به ، والظن هو الاعتقاد المميل إليه مع تجويز الطرف الثاني . وليس كل من ظن فقد اعتقد ، كما ليس كل من أحس فقد عقل ، أو من تخيل فقد ظن أو اعتقد أو رأى ، فيكون في الإنسان حاكم حسي وحاكم من باب التخيل وهمي وحاكم نظري وحاكم عملي ، وتكون المبادئ الباعثة لقوته الإجماعية على تحريك الأعضاء وهم خيالي وعقل عملي ١٥ وشهوة وغضب ، وتكون للحيوانات الأخرى ثلاثة من هذه .
- والعقل العملي يحتاج في أفعاله كلها إلى البدن وإلى القوى البدنية ، وأما العقل النظري فإن له حاجة مّا إلى البدن وإلى قواه لكن لا دائما ومن كل وجه ، بل قد يستغنى بذاته . وليس لا واحد منهما هو النفس الإنسانية ، بل النفس هو الشيء الذي له هذه القوى : وهو كما تبين جوهر منفرد وله استعداد نحو ٢٠

(١) أنه : أنك || يوقع : موقع م || والمنتعات : أو المنتعات ف .

(٣) فإذا : وإذا ك ، م .

(٥) التي : ساقطة من م .

(٦) وهذه : + القوة م .

(٧) وتلك : وذلك د ، ك || وهذه : وهذا ك .

(٨) وتلك : وذلك ك || وهذه : وهذا ك .

(١١) القوتين : القولين م .

(١٥) وهم خيالي وعقل عملي : خياليا وعقلام .

(١٦) وغضب : وغضبا م .

(١٧) القوى : القوة م .

(٢٠) القوى : القوة م || وهو : هو م .

أفعال بعضها لا يتم إلا بالآلات وبالإقبال عليهما بالكلية ، وبعضها يحتاج فيه إلى الآلات حاجة مّا ، وبعضها لا يحتاج إليها البتة . وهنا كله سنشرحه بعد . فجوهر النفس الإنسانية مستعد لأن يستكمل نوعا من الاستكمال بذاته ومما هو فوقه لا يحتاج فيه إلى مادونه ، وهذا الاستعداد له هو بالشئ الذى يسمى العقل النظرى ؛ ومستعد لأن يتحرز عن آفات تعرض له من المشاركة ، كما سنشرحه فى موضعه ، وأن يتصرف فى المشاركة تصرفا على الوجه الذى يليق به . وهذا الاستعداد له بقوة تسمى العقل العملى ، وهى رئيسة القوى التى له إلى جهة البدن . وأما مادون ذلك فهى قوى تنبعث عنه لاستعداد البدن لقبولها ولمنفعتها . والأخلاق تكون للنفس من جهة هذه القوة كما قد أشرنا إليه فيما سلف . ولكل واحدة من القوتين استعداد وكمال ، فالاستعداد الصرف من كل واحدة منهما يسمى عقلا هيولانيا سواء أخذ نظريا أو عمليا . ثم بعد ذلك إنما يعرض لكل واحدة منهما أن تحصل لها المبادئ التى بها تكمل أفعالها ، إما للعقل النظرى فالمقدمات الأولية وما يجرى معها ، وإما للعملى فالمقدمات المشهورة وهيئات أخرى . فحينئذ يكون كل واحد منهما عقلا بالملكة ، ثم يحصل لكل واحد منهما الكمال المكتسب . وقد كنا شرحنا هذا من قبل ، فيجب أول كل شئ أن نبين أن هذه النفس المستعدة لقبول المعقولات بالعقل الهيولانى ليس بجسم ولا قائم صورة فى جسمه .

(٤) مادونه : ماهو دونه ك .

(٥-٦) كما . . . المشاركة : ساقطة من د .

(٦) به : ساقطة من د .

(٧) العقل : + الكل د .

(٨) فهى : فهو د ، ف .

(٩) واحدة : واحد م .

(١٠) واحدة : واحد د ، ك .

(١١) واحدة : واحد د ، ف ؛ واحد واحد ك || لها : له ف ، ك .

(١٢) أفعالها : أفعالها ف || النظرى : + الهيولانى د ، م .

(١٣) للعمل : العمل م .

(١٤) يحصل : حصل د || من : ساقطة من م .

(١٤-١٥) أول كل شئ : ساقطة من ك ، م .

الفصل الثاني

في إثبات أن قوام النفس الناطقة غير نطبع في مادة جسمانية

إن مما لا شك فيه أن الإنسان فيه شيء وجوهر مما يتلقى المعقولات
بالقبول .

فنعول : إن الجوهر الذي هو محل المعقولات ليس بجسم ولا قائم بجسم
على أنه قوة فيه أو صورة له بوجه . فإنه إن كان محل المعقولات جسما
أو مقدارا من المقادير ، فلما أن تكون الصورة المعقولة تحل منه شيئا وحدانيا
غير منقسم ، أو تكون إنما تحل منه شيئا منقسما . والشيء الذي لا ينقسم
من الجسم هو طرف نقطى لا محالة .

ولنمتحن أولا أنه هل يمكن أن يكون محلها طرفا غير منقسم : فنقول
إن هذا محال ، وذلك لأن النقطة هي نهاية ما لا تميز لها عن الخط في الوضع
أو عن المقدار الذي هو منتهى إليها تميزا يكون له النقطة شيئا يستقر فيه شيء
من غير أن يكون في شيء من ذلك المقدار ، بل كما أن النقطة لا تنفرد
بذاتها وإنما هي طرف ذاتي لما هو بالذات مقدار كذلك إنما يجوز أن يقال
بوجه مما أنه يحل فيها طرف شيء حال في المقدار الذي هي طرفه ،
فهو متقلر بذلك المقدار بالعرض ، وكما أنه يتقلر به بالعرض كذلك

(١) الفصل الثاني : فصل ٢ ف .

(٢) أن : ساقطة من د ، ف .

(٣) منطبع : منطبعة د ، ف ، م .

(٦) ليس : ساقطة من م || ولا : + هو ك ، م || قائم : قائم || بجسم : في جسم ف ، م .

(٨) أو مقدارا : ومقدارا م .

(١١) أنه : ساقطة من ف .

(١٤) شيء من : ساقطة من م .

(١٦) هي : هو د ، ك .

يتناهى بالعرض مع النقطة ، فتكون نهاية بالعرض مع نهاية بالذات ، كما يكون امتداد بالعرض مع امتداد بالذات . ولو كانت النقطة منفردة تقبل شيئا من الأشياء لكان يتميز لها ذات . فكانت النقطة إذن ذات جهتين : جهة منها تلى الخط الذى تميزت عنه ، وجهة منها مخالفة له مقابلة فتكون حينئذ منفصلة عن الخط بقوامها . ولالخط المنفصل عنها نهاية لا محالة غيرها تلاقيها ؛ فتكون تلك النقطة نهاية الخط لا هذه . والكلام فيها وفى هذه النقطة واحد ، ويؤدى هذا إلى أن تكون النقط متشافة فى الخط إما متناهية وإما غير متناهية . وهذا أمر قد بان لنا فى مواضع أخرى استحالته ، فقد بان أن النقط لا يتركب بتشافعها جسم ، وبان أيضا أن النقطة لا يتميز لها وضع خاص ، ولا بأس بأن نشير إلى طرف منها فنقول : إن النقطتين اللتين تليان نقطة واحدة من جنبتيها حينئذ إما أن تكون النقطة المتوسطة تحجز بينهما فلا تتماسان ، فيلزم حينئذ أن تنقسم الواسطة على الأصول التى قد علمت ، وهذا محال ، وإما أن تكون الوسطى لا تحجز المكتنفتين عن التماس فحينئذ تكون الصور المعقولة حالة فى جميع النقط وجميع النقط كنقطة واحدة . وقد وضعنا هذه النقطة الواحدة منفصلة عن الخط ، فللخط من جهة ما ينفصل عنها طرف غيرها به ينفصل عنها ، فتكون تلك النقطة مباينة لهذه فى الوضع . وقد وضعت النقط كلها مشتركة فى الوضع فهذا خلف .

فقد بطل إذن أن يكون محل المعقولات من الجسم شيئا غير منقسم ، فبقي أن يكون محلها من الجسم - إن كان محلها فى الجسم - شيئا منقسما . فلنفرض

-
- (٢) منفردة : ساقطة من ك .
 - (٤) منها (الأولى) : ساقطة من ك .
 - (٥) لا محالة : ولا محالة ك .
 - (٦) تلاقيها : ملاقيها ك .
 - (٧) النقط : النقطة ك .
 - (٩) النقط : النقطة د ، ك || النقطة : النقط ف .
 - (١٠) منها : منها ك ؛ منه م .
 - (١١-١٣) فلا تتماسان : تتماسان م .
 - (١٢) قد : ساقطة من د ، ف ، م .
 - (١٤) وجميع النقط : ساقطة من م .
 - (١٧) فهذا خلف : هذا خلف د ؛ وهذا محال ك ، م .
 - (١٨) فقد : وقد ك || المعقولات : المعقول م .
 - (١٩) إن كان محلها فى الجسم : ساقطة من ك ، م || فى : ساقطة من د .

الفصل الرابع عشر

فصل في

انفعالات العناصر بعضها من بعض، وإستحالاتها في حال البساطة وفي حال التركيب، وكيفية تصرفها تحت تأثير الأجسام العالية

- ٥ فقد تبين مما سلف أن العناصر للكائنات الفاسدات أربعة لا غير . وإذا اعتبر المعتبر صائد النبات والحيوانات المتكونة في حيز الأرض مستمدة من الأرض ومن الماء ومن الهواء ، ووجودها (تم) باتحاد المنضج . فالأرض تفيد الكائن تماسكا وحفظا لما يفاد من التشكيل والتخليق ؛ والماء يفيد الكائن سهولة قبول للتخليق والتشكيل ، ويستمسك جوهر الماء بعد سيلانه بمخالطة الأرض ، ويستمسك جوهر الأرض عن نشته لمخالطة الماء ، والهواء والنار يكسران عنصرية هذين ويفيدانها اعتدال الامتزاج. والهواء يخلخل ويفيد وجود المنافذ والمسام ، والنار تنضج وتطبخ وتجمع .
- ١٠ وهذه الأربعة قد ظهر أنها يتكون بعضها من بعض ، وأن لها عنصرا مشتركا ، وأن ذلك بالحقيقة هو العنصر الأول . ومع ذلك فإن تكون بعض منها من بعض أسهل ، وتكون بعض منها من بعض أعسر ، وتكون لبعض منها من بعض وسط .

(١) م ، ط ، د : الفصل الرابع عشر (٢) سا ، ب ، نج : فصل في (٣) سا : حالة (٤) م : وكيف // نج : بحسب تأثير (٥) م : الكائنات // ط ، د : الفاسدة (٦) م : صادق // سا : المتكونة // د : مستمرة (٧) م ، سا ، ب ، ط : ووجدما التشكيل ووجدما (٨) م ، سا ، ط ، د : يفاده // ط : الكائن + منه // سا : للتخلق وفي ط : التخليق (٩) سا ، ب : لمخالطة (١٠) م تشبه (٩) م ، سا : لمخالطة (١١) م : تخلخل ويفسد // سا : يفسد // م : يتضج ويجمع + هذه الأربعة قد ظهر (١٢) م : بعضها من بعض (١٣) م : ويكون // ط : بعضها من بعض الثانية (١٤) ط : بعضها // ط : وسطا

فأما السبل فاستحالة عنصر إلى مشاركته في إحدى الكيفيتين وهو فيها ضعيف ، مثل استحالة الهواء إلى الماء . فإن الهواء يشارك الماء في كيفية الحرارة ، وكيفية الحرارة فيه ضعيفه ، والبرد في الماء قوى . فإذا قوى عليه الماء ، وحاول أن يحمله باردا في طبعه ، أنفعل سهلا ، وبقيت رطوبته ، وكان ماء ، ليس لأن استحالاته في هذه الكيفية هي كونه ماء ؛ بل يستحيل ، مع ذلك ، في صورته التي شرحنا أمرها . وصورته أشد إذعانا لازوال عن مادته إلى صورة المائية من صورة النار .

وأما العسر فإن يحتاج المتكون إلى استحالة الكيفيتين جميعاً في طبعه . وأما الوسط فيحتاج إلى استحالة كيفية واحدة فقط ، لكنها قوية مثل ما يحتاج إليه الأرض في استحالاتها إلى النارية ، والماء في استحالاته إلى الهوائية .

١٠ لكل واحد من هذه العناصر عرص في قبوله الزيادة والنقصان في كفيته . فإنه قد يزيد في كفيته الطبيعية أو العرضية وينقص ، وهو حافظ بعد لصورته ونوعه . لكن للزيادة والنقصان في ذلك طرفان محدودان ، إذا جاوزهما بطل عن المادة التبؤ التام لصورته ، واستعدت استعداداً تاماً لصورة أخرى . ومن شأن المادة إذا استعدت استعداداً تاماً للصورة أن تفاض تلك الصورة عليها من عند واهب الصور للمواد فتقبلها . وبسبب ذلك ما يتخصص المواد المتشابهة في أنها مواد لصور مختلفة ، وذلك من عند واهب الصور .

(٢) م : - إلى الماء . فإن الهواء // م : تشارك (٣) ب ، ط : والبرودة // م : يحاول
(٤) م : منهلا // د : في هذا // يخ «هى» ، وفي بقية النسخ هو (٥) م : - ماء // م : يستحيل
(٦) ط : صورته المائية // سا : الماء (٨،٧) م : - « المتكون إلى استحالة الكيفيتين » حتى « وأما الوسط فيحتاج » (٨) م ، ط : يحتاج (الثانية) (٩) ط ، د : أو الماء (١٠) سا : للزيادة .
// ط : كيفية (١١) م ، سا ، ط ، د : - في بيج : وهو // سا : تزيد (١٢) م : إذ جاوزها (١٣) ب : لصورتها // سا : أفسد ، وفي د : اشتد (١٤) م : - « لصورة أن » ، ط : لصورة الأخرى ، وفي « د » : لصورته (١٥) م ، ط ، د : فيقبلها // د : ما ينحصر // م ، د : بصور ، وفي ط « بصورة // سا ، د : - وذلك

ويجب أن نعلم أن القوة شيء ، وأن الاستعداد التام شيء آخر . والمادة فيها جميع الأضداد بالقوة ، لكنها تختص بواحد من الأضداد ، من جملة الأمور المختلفة بما يحدث فيها من استعداد تام يخصه بها أمر . فإن المحكوك والمحرك معد لقبول الحرارة إعداداً خاصاً ، وإن كان هو أيضاً في طبعه قابلاً للبرودة .

- ٥ وليس هذا للعناصر وحدها ، بل للمكونات أيضاً ، ولكل واحد منها مزاج . ومزاجه يقبل الزيادة والنقصان إلى حد ما محصور العرض بين طرفين . وإذا جاوز ذلك بطل استعداده للملابسته لصورته .

وهذه المركبات تختلف أمزجتها لاختلافها في مقادير العناصر فيها :

- فمن الكائنات ما الأرضية فيه غالبية ، وهي جميع ما ترسب في الهواء والماء من المعدنيات والنبات والحيوان . وقد يجوز ألا يرسب بعض ما الأرضية فيه غالبية . فإنه يجوز أن تكون الأرضية غالبية لمفرد أسطقس وليس غالباً لمجموع أسطقسين خفيفين .

- ١٠ ومنها ما المائية فيه غالبية . ومنها ما الهوائية . ويعسر امتحان ذلك من جهة الطفو والرسوب . وذلك لأن الجسم ، وإن كانت المائية فيه غالبية ، وفيه هواء ونار قليل فهو ، لاحالة ، لا يكون بسبب مائته أثقل من الماء ، حتى يرسب فيه ، إلا أن تكون أرضيته كثيرة تزيد ثقلاً على مائته :

- ١٥ ومنه ما النارية فيه غالبية . وهذا جميع ما يعلو في الجو . وقد يجوز أن يكون فيه مالا يعلو لنظير ما قلناه في الغالب فيه الأرضية . وهذه الغلبة قد تكون بالفعل ،

(١) م ، ط : يعلم // سا ، د : فالمادة // ب ، ج . لجميع (٢) م ، ط : يختص جملة // م : ومن جملة // سا : فما يحدث (٣) ط ، ب : يخصها به // م : المحلول .
 // ط : يعد (٥) ط : العناصر // م ، سا : لكل (٨) م ، ط : يختلف ، وفي « د » يختلف (١٠) ط : النباتات والحيوانات (١١) م ، ط : يكون // م : المفرد في م ، سا : أسطقس وليس غالباً لمجموع // ب استقصين (١١) د : ومنها ماء (ومنها ما ، الأولى والثانية :
 (١٤) د : فهولاء « بدلا » من « فهولا محالة » // ط ، د : بسبب + كثرة .
 // م ، ط : يكون ... يزيد (١٦) سا : النار // ط : منها غالبية // م : - مالا يعلو //
 (١٧) م : لنظر // ط : يكون

وقد تكون بالقوة . والذي بالقوة فهو الذي ، إذا فعل فيه الحار الغريزي من أبدان الحيوان ؛ استحال إلى غلبة بعض الأسطقتات .

ولهذه الأسطقتات غلبة في المركب من وجهين : أحدهما بالكم والآخر بالكيف والقوة . وربما كان أسطقس مغلوبا في الكمية ، لكنه قوى في الكيفية ، وربما كان بالعكس . ويشبه أن يكون الغالب في الكم يغلب في الميل لامحالة ، وإن كان قد لا يغلب في الكيف الفعلي والانفعالي . فإن الميل ، عندما يلزم من الصورة ، يكون شديد اللزوم للصورة أشد من لزوم الكيف الفعلي والانفعالي . وإن لم يكن دائم اللزوم للصورة فإنه قد يبطل إذا عرض عائق قوى .

والمترج فكثيراً ما يعرض له من الأسباب الخارجة أن يغلب من أسطقتاته ما ليس بغالب . فإنها إذا عادت كيفية غير الغالب ، حتى قوى ، غلب ، وأحال الآخر إلى مشابهته ، فظهر سلطانه .

فقول الآن : إن الكون والفساد والاستحالة أمور مبتدأة ، ولكل مبتدأة سبب ولابد ، على ما أوضحنا في الفنون الماضية ، من حركة مكانية . فالحركة المكانية هي مقربة الأسباب ومبعتها ، ومقوية الكيفيات ومضعفها . ومبادئ الحركات كلها ، كما أوضح ، من المستديرة .

فالحركات المستديرة السماوية المقربة لقوى الأجرام العالية والمبعتها هي أسباب أولى إلى الكون والفساد . وعوداتها ، لامحالة ، أسباب لعود أدوار الكون والفساد . والحركة الحافظة لنظام الأدوار والعودات ، الواصلة بينها ، والمسرعة بما لو ترك لأبطأ

(١) م ، ط : يكون // سا : والتي بالقوة (٢) ب : الاستقصات (٤) د : - والقوة // ب : استقص // م : ولكنه . (٧) م : للصور فاسد // م : - والانفعالي (٧) م : فيه اضطراب بتكرار جزء من السطر السابق هو « أشد من لزوم الكيف الفعلي والانفعالي (٨،٧) م + وإن لم يكن دائم اللزوم (٩) ب : استقصاته (١٢) ط ، د : الاستحالات // م ، ط : أمور متبدلة ولكل متبدل (١٣) ب : والحركة (١٤) م : مضعفها (١٦) سا : - الحركات المستديرة // د : المقوية // م : والمبعتها (١٧) م : يعود . (١٨) م ، سا : العورات ، وفي ب : الحوادث // م : والمواصلة // د : لو نزل // ط : الابطأ .

ولم يعدل تأثيره ، هي الحركة الأولى . ونشرح هذا المعنى فنقول :

إنه لو لم يكن للكواكب حركة في الميل لكان التأثير يختص بقعة واحدة على جهة واحدة ، فيخلو ما يبعد عنها ، ويتشابه فيها ما يقرب منها . فيكون السلطان هناك لكيفية واحدة يوجبها ذلك الكوكب ، فإن كانت حارة أفنت مواد الرطوبات ، وأحالت الأجسام التي تحاذيها الكواكب إلى النارية فقط ، ولم يكن مزاج به تتكون الكائنات الهوائية ، ولم يثبت شيء من النباتية ثباتاً يُعتمدُ به ، بل صار حظ ما يحاذيه الكوكب في الغالب كيفية ، وحظ ما لا يحاذيه في الغالب كيفية مضادة لها ، وحظ المتوسط في الغالب كيفية متوسطة . فيكون في موضع ميل صيف شديد دائم ، وفي آخر ميل شتاء شديد دائم ، وفي آخر ربيع دائم أو خريف دائم . وفي ميل الربيع والخريف لا يتم النضج ، وفي الشتاء تكون النهوة ، وفي دوام الصيف الاحتراق .

١٠

وعلى هذا ، فيجب أن تعتبر حال الكيفيات الأخرى ، والقوى الأخرى :

ولو لم تكن عودات متتالية ، وكان الكوكب يتحرك حركته البطيئة بميل ، أو بغير ميل ، لكان الميل قليل الغناء والتأثير ، شديد الإفراط لا يتدارك بالضد المخالط ، وكان التأثير مقباً في بقعة صغيرة مدة طويلة لا يدور في البقاع كلها ، إلا في مدد متراخية ، وكان يعرض أيضاً قريب مما يعرض ، لو لم يكن مثل ما ذكرناه .

١٥

(١) م : يعدل (٢) م : يختص بقعة (٤) م ، سا ، د : الكواكب // م : أفنت (٥) م ، ط : يحاذيها // سا : الكوكب // م ، ط يتكون . (٦) م : عن النباتية // د : نباتا (٧) م : - في (٨) م ، د ، ط ، سا : مثل وكذلك في السطر التاسع (٨) م : - دائم (٩) م : في الشتاء (١٠) سا : دوم : // سا ، م : الاحتراق (١١) م ، ط : يعتبر (١٢) م ، ط : يكن // د : فكان // م : الكواكب (١٣) م : غير (١٤) سا نا ومدة (١٥) م ، سا : تدور // سا : - كلها (١٥) سا ، ب ، ط ، د : قريب // م : سا : ما // م : ذكرنا (١٦) ط : - فكذلك ، وفي د : سقطت « كذلك » // م ، ط : لنفسها وفي سا : بأنفسها (١٧) سا : يقرب منها (١٨) سا : مثل // ط : لحفظ // م ، ط ، د : يزيله

أخرى بقدر الحاجة في كل جهة . فوجب أن يبطل المائل في جهة ميله ، حتى يبقى ، في كل جهة برهة ، (لستم) بذلك تأثيره ، وأن يتكرر على المدار ، مع ذلك ، ليتشابه فعله في جميع الجهة التي هو مائل إليها ، ولا يفرط تأثيره في بقعة يقيم عليها . وبالجمله ليكون جميع الجهة ينال منه التأثير نيلا معتدلا غير مفسد ، ولا يزال كذلك إلى (تمام) الحاجة . وذلك إنما (لستم) بحركة أخرى سريعة ضرورة . فجعل لذي الميل حركة بطيئة ، وجعلت له حركة أخرى تابعة لحركة سريعة ، حتى يوجد الغرضان .

واعتبر هذا من الشمس . فإن الشمس تميل بحركتها إلى الشمال ، فتبقى مدة في تلك الجهة ، لادائمة على سمت واحد ، بل متكررة اتباعاً للحركة الأولى . فإنها إن بقيت دائماً أفسدت ، كما لو دام هجيرها ، ولقصر أيضاً فعلها وتأثيرها عن جميع الأقاليم الأخرى . فلما جعل لها ذلك التكرار صار للشمس أن تحرك المواد إلى غزو النبات والحيوانات ، حتى إذا فعلت فعلها في الشمال ، وجذبت المواد الكامنة في الأرض زالت إلى الجنوب ، قبل أن تفسد بالإحراق والتجفيف ، ففعلت هناك فعلها ههنا ، وبرد ، وجه الأرض ههنا ، فاحتقنت الرطوبات ، واجتمعت في باطن الأرض ، كأنها تخزن وتعد لعود الشمس مرة أخرى لتنفق على النبات والحيوانات نفقة بالقسط . وبين الأمرين تدريج ربيع وخريف ، لئلا ينتقل من إفراط إلى إفراط دفعة ، وليكون الفعل مدرجاً فيه . فسبحان الخالق المدير بالحكمة البالغة والقوة الغير المتناهية .

وبالحري أن يلحق بهذا القول في الأدوار والآجال .

(٢) سا : لم يتكرر // ط ، د : مع ذلك + سريعاً (٣) سا ، د : فيكون (٤) ط : جميع الجهات // سا : منه + جميع (٥) د : لحركة // ب : لدى الميل ، وفي م ، ط ، د : الذي للميل (٦) ب : الوجهان ، وفي ط : الغرضان (٧) ط : يعيل // م : فيبقى ، وفي سا : فيبقى (٨) د : مثل متكررة (٩) م ، سا ، د : هجير وفي ب : هجيرها // ط : وانقصر // د : على (١٠) ط : يتحرك المواد // ط : غذاء (١١) د : فعل // د : - فعلها // سا : وحذفت (١٢) ط : والتجفيف // ط : وفعلها ههنا (١٣) م ، ب : واحتقنت وفي « ب » واختفت // د : مخزن (١٤) م ، ط : م لينفق (١٥) م : متدرجاً (١٦) م . هير .

الفصل الخامس عشر

فصل في

أدوار السكون والفساد

من الكائنات ما يكفي في تكونه جزء دورة واحدة . وربما كانت مدته متمة تلك الدورة فما دونها ، كضرب من الحيوانات القرسية والنبات الزغبي ، فيكون في يوم واحد ، ويفسد فيه .

ومن الكائنات ما يحتاج ، في تكونه ، إلى أدوار من الفلك ، ومنها ما يحتاج إلى عودات جملة جملة من أدوار ، حتى تتم تكونها ، وكل كائن ، كما ظهر ، فاسد ، وله مدة ينشئ فيها ، ومدة يقف فيها ، ومدة يضمحل وينتهي إلى أجله .
ad finem
(ajali)

ولا يمكننا أن نقول قولاً كلياً في نسب هذه المدد بعضها إلى بعض . فهي مختلفة لا تضبط . ومن رام حصر ذلك صعب عليه . والذي سمعنا فيه لم يقنعنا ، فلعلنا لم نفهمه حق الفهم ؛ وعسى أن يكون غيرنا يفهمه على وجهه .

ولسكل كائن أصل يستحقه بقوته المدبرة لبدنه . فإنها قوة جسمية متناهية بتناهي فعلها ضرورة . ولو كانت غير متناهية لكانت المادة لا تحفظ الرطوبة ، إلا إلى أجل لأسباب محللة للرطوبة خارجة وباطنة ، وأسباب عاققة عن الاعتياض مما يتحلل .

(١) م ، ط ، د : الفصل الخامس عشر (٢) سا ، ب : فصل في (٣) د : « الخامس عشر » .

(٤) ط م : - جزء (٥) د م دونه (٧) م : في كونه // سا : سقط منها : ما يحتاج ، في تكونه إلى أدوار من الفلك (٨) ب : أدواره // ب : تكونه // م : ويحل كائن (٩) سا : مدة يتسق وفي « د » ينتهوا (١١) م ، ط : يضبط // م : ولم (١٢) سا : وجه (١٣) م : - بقوته وفي د « بقوة » (١٤) سا : فلو (١٤) ط : يحفظ (١٥) ب : للرطوبات // م : فأسباب (الثانية) .

قوة من قوى البدن ، ولكل مادة ، حد يقتضيه كل واحدة منهما ، ولا يحتمل مجاوزته ، وذلك إن جرت أسبابها على ما ينبغي ، هو الأجل الطبيعي .

وقد تعرض أسباب أخرى من حصول المفسد أو فقدان النافع المعين ، فيعرض لتلك القوة أن تقتصر في فعلها عن الأمد . فمن الآجال طبيعية ، ومنها اخترامية ، وكل بقدر .

وجميع الأحوال الأرضية منوطة بالحركات السماوية ، وحتى الاختيارات والإرادات فإنها ، لاحتالة أمور تحدث بعد ما لم تكن . ولكل حادث بعدما لم يكن علة وسبب حادث . وينتهي ذلك إلى الحركة ، ومن الحركات إلى الحركة المستديرة .

فقد فرغ من إيضاح هذا . فاختياراتنا أيضاً تابعة للحركات السماوية . والحركات والسكنات الأرضية المتوافية على اطراد متسق ، تكون دواعي إلى القصد وبواعث عليه ، وهذا هو القدر الذي أوجبه القضاء .

والقضاء هو الفعل الأولي الإلهي الواحد المستعلي على الكل الذي منه ينشعب المقدرات . وإذا كان كذلك ، فالحرى أن يشكل على الناظرين أمر العود ، وأنه هل يجب ، إذا عاد إلى فلك شكل بعينه كما كان ، أن تعود الأمور الأرضية إلى مثل ما كان أما عود ما بطل بعينه بالشخص فذلك مما لا يكون ، ولا الشكل بعينه يعود بالعدد ، ولا الأمور الأرضية تعود بأعيانها بالعدد ؛ فإن الغائب لا يعود بعينه . والذي يخالف في هذا فسيبيله أن يستحي من نفسه ، إلى أن تكشف فضيحتة في الفلسفة الأولى .

فمن الناس من أوجب هذا العود المائل .

(١) م ، ط ، د : يقتضيه كل واحد // م : لا (٢،١) د : ذلك وإن (٣) م ، ط : يعرض // م : المفيد // م : - المعين ، وفي سا ، ب : للمعين (٤) م ، ط : يقصر // م ، سا ، ب : الطبيعة .
// م : مقدر (٥) د . منوط // م : حتى (٦) سا ، ط : يكن (٧) م : من // م : - إلى الحركة (٨) م ، سا : - إيضاح (٩) م ، سا : المواتية . وفي «ط» م : المتوافقة // م ، ط : يكون (١١) م : الأول (١٢) سا : الشعب ، وفي : يخ ينبغي // م : وأدراكنا كذلك // م ، ط : يعود . (١٤) م : - أما // ب : يعود بالشخص (١٥) م : ولا الأحوال . (١٦) سا : ينكشف

ومن الناس من لم يجوز هذا العود، واحتج بأن الأمور العالمية مختلطة من طبيعية واختيارية مثل كثير من النسل والحرث . وعود الشكل السماوي، إن أوجب إعادة، فإنما يوجب إعادة الأمر الطبيعي لا الاختياري، ولا المركب من الطبيعي والاختياري . وإذا لم يجب عود واحد من الأسباب المبني عليها مجرى الكل اختل العود كله فلم يجب أن يكون كما كان .
 ٥ وذهب عليه أن الاختيار أيضاً مما يجب عوده ، إن كانت العودة تصح .
 فإن الاختيار مستند أيضاً إلى الأسباب الأول .

والذي عندي في هذا أنه إن كان يتفق أن يعود تشكل واحد بعينه، كما هو، فستعود الأمور إلى مثل حالها . لكن السبيل إلى إثبات عود الشكل الواحد مما لا يمكن بوجه من الوجوه. وذلك أنه إنما يمكن أن تقع للأمر المختلفة عودات جامعة، إذا كانت نسبة العودات الخاصة بعضها إلى بعض نسبة عدد إلى عدد فكانت مشتركة في واحد بعدها، فيوجد حينئذ ١٠
 لجميعها عدد بعدها، مثلاً أن تكون إحدى العودات عددها خمسة والآخر سبعة والثالث عشرة تشترك في الوحدة، فيكون عدد السبعين عوداً مشتركاً بعده هذه الأعداد. فيكون إذا عاد صاحب الخمسة أربع عشرة عودة، أو صاحب السبعة عشرة، وصاحب العشرة سبعة، اجتمع الجميع معاً . ثم جعل يعود في المدد المتساوية أشكال متشابهة، لما سلف،
 ١٥ وإن لم تكن نسبة مدد العودات نسبة عدد إلى عدد . وذلك جائز لأن المدد متصلة، لا منفصلة . ولا يستحيل أن يكون المتصل مبيناً للمتصل، كان مستقيماً أو مستديراً .
 فلا تكون نسبته إليه نسبة عدد إلى عدد . فقد صح وجود هذا في المقادير، فيصح في الحركات والأزمنة لا محالة . واستحال وجود شيء جامع تشترك فيه، إذ قد ثبت

(٢) سا : الحرث والنسل // ط : التشكل . (٣) ط : فإذا (٤) م ، سا : - كله
 (٥) سا ، ط : يصح (٦) سا : مستندة // سا : - أيضاً // م : الأولى (٧) د : قد يتفق
 // م . مما هو، وفي : كما يكون (٨،٧) ط : فيمود الأمور (٩) د : الأمور (١٠) ط : وكانت
 // بخ : فيوجه (١٢) م : تعده // م ، ط : يكون // م : - عددها // م : التسعين // ط ، د : تعدها
 (١٣) م : عشر + عورات // م : سبع + عورات (١٤) م : متشابهة ، وفي «ب» : مشابهة
 (١٥) ب ، سا : نسب // د : ومدد // م : المدة (١٦) م ، سا : - لا منفصلة // ط : وقد لا يستحيل
 وفي ب : للمنفصل (١٧) م : نسبة ، وفي ط : ينسب // م : قد صح // د . + فيصح في المقادير
 (١٨) ، سا ، ب م : « استحالة » ، وفي « ط » . استحالة // م : يشترك

في صناعة الهندسة أن المقادير التي تشارك مقداراً فهي مشتركة ، والمتباينات غير مشتركة ، فلا تشارك مقداراً واحداً ، فلا يوجد لها مقدار مشترك يجمعها . وإذا لم يوجد استحال عود التشكل بعينه .

فإن كانت الحركة الأولى ، ثم حركة الثوابت ، ثم حركات الأوجات والجوزهرات ، ثم حركة السيارات ، تشارك مدد عوداتها الخاصة في واحد بعدها ، فستكون الإعادة المدعاة واجبة .

وان كان كلها ، أو واحدا منها ، غير مشارك لم يكن ذلك .

لكن طريق إحاطتنا بهذه الأمور هو الرصد ، والرصد هو على التقريب بأجزاء الآلات المقسومة . ومثل هذا التقريب لا يحصل التقدير الحقيقي . وحساب الأوتار والقسي وما يبنى عليها أيضاً مستعمل فيها الجذور الصم . وقد سوّح في أجزائها مجرى المنطقيات والتفاوت بين المنطق والأصم مما لا يضبطه الحس ، فكيف يحققه الرصد .

فاذن لا سبيل إلى إدراك ذلك من جهة الرصد والحساب المبنى عليه . وليس عندنا فيه سبيل غيره .

وأما تقسيم العلماء الزمان بالشهور والأيام والساعات وأجزائها ، وتقسيمهم الحركة بإزائها ، وإيقاعهم بينهما نسبة عددية ، فذلك على جهة التقريب ، مع علمهم بأنه غير ضروري ، إلا أنه مما لا يظهر تفاوته في المدد المتقاربة . لكنه ، وإن لم يظهر في المدد المتقاربة ، فيشبه أن يظهر في المدد المتباعدة .

(١) د : فهو مشترك (٢) ط ، د : فلا يشارك (٣) م : مضطرب ، وفيه زيادة هي تكرار كما سبق : « فلا تشارك مقداراً واحداً فلا يوجد حد لها مقدار مشترك // م : يعمده (٤) ط : الحركات الأولى ثم حركات // ط : ثم الجوزهرات (٥) ط : حركات السيارات يشارك // سا : تشارك // م : بعدها // م : فيكون » ، وفي ط : فيكون (٧) م : كانت (٨) ب : لتكن // سا : احتياطاً // م : القريب (٩) م : التعريف (١٠) ط : يبنى // ط ، د : أجزائها // م ، ط المنطقات (١١) سا : والتقارب بين المنطق // م : بتحقيقه (١٢-١٤) سا : - والحساب المبنى عليه « إلى قوله : بالشهور والأيام » (١٥) م : بينها // م : وجه (١٦) ط : لم يظهر (الأولى) (١٧) م : المتفاوتة وفي د : التفاوتة

وأكثر ما يمكن أن يُحدس في هذا هو أنه يجوز أن تكون عودات متقاربة الأحوال ، وإن لم تكن متشابهة بالحقيقة . ويكون حال الكلئ منها قريبا من حال العودات الجزئية ، كصيف يشبه صيفا ، وربيع يشبه ربيعا ، أو يكون أشد مشابهة من ذلك ، أو لعل الأمر يكون بخلاف هذا الحدس .

- ٥ فاذا قد فرغنا من هذا البيان أيضا فبالحرى أن نختم هذا الفن بإشارة مختصرة إلى علل الكون والفساد ، فنقول :

إن لكل كائن مادة وصورة ، وعلة فاعلة ، (وغاية) تخصه يؤخذ ذلك بالاستقراء ، وعلى سبيل الوضع .

فأما جملة الكون والفساد واتصاله فعلته الفاعلية المشتركة التي هي أقرب ، هي الحركات السماوية ، والتي هي أسبق فالحرك لها .

١٠ .

والعلة المادية المشتركة هي العنصر الأول .

والعلة الصورية المشتركة هي الصورة التي للمادة قوة على غيرها مما لا يجتمع معها .

(والعلة الغائية) استبقاء الأمور التي لا تبقى بأعدادها واستحفاظها بأنواعها .

فإن المادة العنصرية لما كانت كما تلبس شيئا قد خلعت غيره ، وكان الشيء كما

- ١٥ يكون هو قد فسد غيره ، ولا سبيل إلى بقاء الكائنات بأشخاصها ، دبر في استبقاء أنواعها بالتناسل والتحارث والتعاقب المتعلق بالكون والفساد .

(١) م : وأكثر مما يحدس // م ، ط : يكون (٢) م : - تسكن // م : في الحقيقة

(٣) سا : صيفا // م ربيع يشبه ربيعا (٤) م : ولعل (٥) ب ، ط : وإذا // م : - أيضا

(٦) م : ونقول (٧) م ، ط : يخصه (٩) سا ، ط : - هي (الأولى) (١١) سا : « والمادة »

بدلا من « والعلة المادية » (١٣) م : أعدادها (١٤) ط : فقد (١٦) م : والتجارب ، وفي ط : التحادث

والأسبق من ذلك هو الجود الإلهي المعطى كل موجود ما في وسع قبوله ، وإبقاؤه
إياه ، كما يحتمله ، إما بشخصه ، كما للأجرام السماوية ، وإما بنوعه ، كما للعنصریات .
تم الفن الثالث من الطبيعيات بحمد الله ومنه .

(١) ب : من هذا // م لسكل ، وفي ط : المعطى هو كل (٢) م : - كما يحتمله إما يشخصه
// بح كالعنصریات (٣) ينتهى مخطوط د هكذا : تم الفن الثالث من جملة الطبيعيات ، وتم
كتاب الكون والفساد بحمد الله وحسن توفيقه .
وينتهى مخطوط طهران هكذا : هذا آخر كتاب الكون والفساد ، ويلوّه الفن الرابع وهو
كتاب الأفعالی والانفعالات .
وينتهى «ب» بما يأتي : تم الفن الثالث ، والحمد لله مستحق الحمد وأهله وصلواته على سيد المرسلين
محمد وآله أجمعين وسلامه .
ولا توجد خاتمة في نسخة : سا .

الفن الرابع من الطبيعيات في الأفعال والانفعالات

مقالتان

قد فرغنا من تعريف الأمور العامة للطبيعيات ، ثم من تعريف الأجسام والصور والحركات الأولية في العالم واختلافها في طبائعها ، ثم من تعريف أحوال الكون والفساد وعناصرها ، فحقيق بنا أن نتكلم عن الأفعال والانفعالات الكلية التي تحصل عن الكيفيات العنصرية بمعاوضة من تأثيرات الأجرام السماوية ، فإذا فرغنا من ذلك شرعنا حينئذ في تفسير أحوال طبقات الكائنات ، مبتدئين بالآثار العلوية والمعدنيات ، ثم ننظر في حال النفس . فإن النظر في النفس أعم من النظر في النبات والحيوانات ، ثم ننظر في النبات ثم في الحيوانات .

ونختم هذه الجملة الطبيعية .

(١) تبدأ مخطوطة « سا » هكذا : الفن الرابع من جملة الطبيعيات الأفعال والأفعالات المقالة الأولى من هذا الفن تسعة فصول قد فرغنا . أما مخطوطة « ب » فتبدأ : الفن الرابع من الجملة الثانية وفي بخ : الفن الرابع من الجملة الثانية . في الآثار العلوية مقالتان ، المقالة الأولى تسعة فصول . أما مخطوطة « ط » فتبدأ هكذا :

بسم الله الرحمن الرحيم — الفن الرابع من الجملة الثانية في الفعل والانفعال مقالتان . أما مخطوط « د » فتبدأ هكذا الفن الرابع في الآثار العلوية — قسم هذا الكتاب إلى فئتين منه : الآثار العنصرية الهاوية « بمعاوضة تأثير الأجرام السماوية ، ومنه الآثار العلوية وفي المعدنيات على تبين في التقرير : بسم الله الرحمن الرحيم توكل يكن . قد فرغنا إلخ . // د : — الطبيعيات .

(٤) م : وقد // ب ، ط : من تعديد الأمور : — « الأمور العامة للطبيعيات ثم من تعريف » // سا // الطبيعية // م : الصورية (٥) م : الأولى // سا : ثم (٦) ط ، ب ، سا : عناصرها ، ط : يحصل // د : — التي // م ، ط : يحصل (٨) سا العلويات (١١) في م زيادة هي : والله المستعان على ذلك ، وفي ط : زيادة وهي إنشاء الله تعالى .

المقالة الاولى

من هذا الفن تسعة فصول

الفصل الأول

في طبقات العناصر

هذه العناصر الأربعة تشبه أن تكون غير موجودة على محوضتها وصراقها في أكثر الأمر . وذلك لأن قوى الأجرام السماوية تنفذ فيها ، فتحدث في السفليات الباردة حرّاً بخالطها ، فتصير بذلك بخارية ودخانية ، فتختلط بها نارية وهوائية . وترقى إلى العلويات أيضاً أبخرة مائية وأدخنة أرضية ، فتخلطها بها ، فيكاد أن تكون جميع المياه وجميع الأهوية مخلوطة ممزوجة .

ثم إن توهمت صرافة فيشبه أن تكون للأجرام العلوية من النارية . فإن الأبخرة والأدخنة أثقل من أن تبلغ ذلك الموضع بحركتها . وإذا بلغت فما أقوى تلك النار على إحالتها سريعاً .

ويشبه أن يكون باطن الأرض البعيد من أديمها إلى غورها قريباً من هذه الصفة . فإن لم يكن بد من أن يكون كل جزء من النار والأرض كائناً فاسداً باطنه وظاهره إلا أن ما يخلص إلى مجاورة الفلك من النار يمحض ، ولا تكسر محوضته بشائب ؛

(٢) ب : د - : تسعة فصول // د فيها زيادة وهي : أنها نذكر عناوين الفصول التسعة تفصيلياً (٣، ٢) العنوان سبق في سا ، ب (٣) سا ، ب : فصل في (٥) م ، ب : تشبه // م ، ط : يكون (٦) سقط من د : « في أكثر الأمر وذلك لأن قوى الأجرام السماوية تنفذ فيها فتحدث » م : السماوية // ط : ينفذ ... فيحدث (٧) ط : فيصير // م ، د : فيختلط (٨) م : - مائية // م ، ط : فيخلطها // م : - أن // م ، ط : يكون (١٠) م : الأجرام ، وفي ب . د : للأجزاء ، وفي سا : الأجزاء (١١) م ، ط : يبلغ // سا : قوى (١٣) م . غورتها ، وفي د : غورما (١٤) سا ، ط ، د : وإن لم (١٥) م : بمحض // د : يتمحض // م : لا يكسر ، وفي سا : لا تنكسر .

وكذلك ما يخلص إلى المركز من الأرض يشبه المحض ، فلا ينفذ فيه تأثير من السماويات نفوذاً يعتدّ به ، ولا ينفذ إليه شائب ؛ إذ لا يقبل رسوباً إلى ذلك الحد .

فيشبه لذلك أن تكون الأرض ثلاث طبقات : طبقة تميل إلى محوطة الأرضية وتغشاها طبقة مختلطة من الأرضية والمائية هي طين ؛ وطبقة منكشفة عن الماء جفف وجهها الشمس ، وهو البر والجبل . وما ليس بمنكشف فقد ساح عليه البحر ، وهو أسطقس الماء .

ويستحيل أن يكون للماء أسطقس وكلية غير البحر . وذلك لأنه لا يخلو إما أن يكون باطناً غائراً ، أو ظاهراً . فإن كان ظاهراً فهو لا محالة بحر ليس غير البحر .

وإن كان باطناً لم يخل إما أن يكون مستقراً في الوسط ، أو منحازاً إلى بعض الجنبات . فإن كان مستقراً في الوسط ، فإما أن يكون بالطبع ، فتكون الأرض أخف من الماء ، وهذا محال ؛ وإما بالقسر ، فيكون ههنا قاسر للماء إلى حفر غور الأرض والانحياز فيه ، وهذا أيضاً محال .

وإن كان منحازاً في جنبه واحدة ، فتكون كلية الماء محصورة في بقعة صغيرة من الأوض وكلية الماء لا تقل ، لا محالة ، عن الأرض ، إن لم تزد عليه . ثم يكون مقدار ماء البحر غير قاصر عن مبلغه . فلم لا يكون البحر كلية دونه ؟ ولم لا تفيض الأنهار في « طراطوس » ؛ بل في البحر لا غير ، ولا يوجد الى « طراطوس » مفيض ؟

على أن لا نشك أن في الأرض أغواراً مملوءة ، إلا أنها لا تبلغ في الكثرة مقادير

(١) م ، سا : إلى مركز الأرض // د : ولا ينفذ (٢) م : السماويات // ط : ولا يقبل // بخ ولا يقبل نفوذاً (٣) م ، ط : يكون ... يميل // د : - تميل // سا ، د : المحوطة

(٦) في جميع النسخ : هو طين // م : من الماء // م . ب : خفف (٥) م : ينكشف // م :

— البحر (٦) ب : استقص (٧) ب : استقص // ب : — ولا يخلو (٨) م : - فإن كان ظاهراً

(٩) د : الجنبات (١٥) م ، ط : فيكون (١٤، ١٣) م : - من الأرض (١٤) م ، ط : يزد

(١٥) م : قاسر (١٥ ، ١٦) سقط من م : « ولم لا تفيض » إلى قوله « مفيض » // ط :

يفيض ، وفي سا ، ب : تفيض (١٧) ط : أغوار مملوءة // ط : يبلغ

البحار ؛ ولا الأرض يكثر فيها التجويفات كثرة يكون لها تأثير بالقياس إلى كلية الأرض، كما ليس للجيال تأثير في كرتيها .

والهواء أيضاً فهو طبقات : طبقة بخارية ، وطبقة هواء صرف ، وطبقة دخانية . وذلك لأن البخار ، وإن صعد في الهواء صعوداً ، فإنه إنما يصعد إلى حد ما . وأما الدخان فيجاوزه ويعلوه ؛ لأنه أخف حركة وأقوى نفوذا لشدة الحرارة فيه . وأعنى بالبخار

ما يتصعد من الرطب ، من حيث هو رطب ، وأعنى بالدخان ما يتصعد عن اليابس من حيث هو يابس . ولأن البخار ، بالحقيقة ، على ما بيناه ، ماء متخلخل متصغر الأجزاء ، وطبيعة الماء أن يبرد بذاته ، ومن صورته ، إذا زال عنه المسخن وبعد عهده به ، فيجب أن يكون الجزء البخارى من الهواء بارداً بالقياس إلى سائر الهواء . لكن ما يلي الأرض منه

يسخن بمجاورة الأرض المسخنة بشعاع الشمس المستقر عليها استقرار الكيفيات لا الأجسام . وما يبعد عنه يبرد . فتكون طبقة الهواء السافلة بخاراً يسخن بمجاورة الشعاع ، ثم تليه طبقة بخارية باردة ، ثم يليه هواء أقرب إلى المحوطة ، ثم يليه هواء دخانى ، وكأنه خلط من هواء ونار وأرض ، ثم تليه نار ، فتكون هذه الصفات ثمانية :

أرض إلى الخلوص ماء وطين ، وبر مع الجبال ، والبحر كطبقة واحدة مركبة ، وهواء مسخن بالشعاع ، وهواء بارد ، وهواء أقرب إلى المحوطة ، وهواء دخانى نارى ونار . فهذه طبقات العناصر في ترتيبها ووضعها .

(١) د : البخار // سا : كثرة (٢) ما عدا «م» : كرتيه (٣) م : — فهو .

(٧) م : يتخلخل // سا : متصغر متخلخل (٨) ط : — ومن // سا : عنه (١٠) سا : والمتسخنة

(١١) م : لا أجسام // م : وما يبعد عنها // م ، ط : فيكون // سا ، د : بخارية تسخن

(١٢، ١١) م : بمجاورة الشمس أعنى شعاعها // م ، ط ، د : يليه (١٤) م : وأرض // م : تليه نار

«مطموسة» // ط : يليه (الأولى) (١٣) م ، ط : فيكون (١٤) م : ثمانية «وفى : الثمانية // الخلوص

ما هي « هكذا في م ، ب وفى النسخ الأخرى مائى (١٥) م : وهواء مسخن بالشعاع ، وفى «سا» :

وهواء يتسخن بالشعاع ، وفى د : ومى متسخنة ، وفى ط : وهواء متسخن (١٥) م : — نارى ونار

(١٦) م ، ط : وهذه .

يفسد بسبب يخصصه . لكن فساد البدن يكون بسبب يخصصه من تغير المزاج أو التركيب .
فمحال أن تكون النفس تتعلق بالبدن تعلق المتقدم بالذات ، ثم يفسد البدن البتة بسبب في
بنفسه ، فليس إذن بينها هذا التعلق . وإذا كان الأمر على هذا ، فقد بطلت أنحاء
التعلق كلها وبقي أن لاتعلق للنفس في الوجود بالبدن ، بل تعلقها في الوجود بالمبادئ
لأخرى التي لا تستحيل ولا تبطل .

- وأقول أيضا : إن سببا آخر لا يعدم النفس البتة ، وذلك أن كل شيء من
شأنه أن يفسد بسبب ما فيه قوة أن يفسد ، وقبل الفساد فيه فعل أن يبقى ، وتهيؤه
للفساد ليس لفعله أنه يبقى ، فإن معنى القوة مغاير لمعنى الفعل ، وإضافة هذه القوة
مغايرة لإضافة هذا الفعل ، لأن إضافة ذلك إلى الفساد وإضافة هذا إلى البقاء .
فإذن لأمرين مختلفين ما يوجد في الشيء هذان المعنيان . فنقول : إن الأشياء
المركبة والأشياء البسيطة التي هي قائمة في المركبة يجوز أن يجتمع فيها فعل أن يبقى
وقوة أن يفسد ، وفي الأشياء البسيطة المفارقة للذات لا يجوز أن يجتمع هذان
الأمران . وأقول بوجه مطلق : إنه لا يجوز أن يجتمع في شيء أحلى الذات
هذان المعنيان ، وذلك لأن كل شيء يبقى وله قوة أن يفسد فله أيضا قوة أن
يبقى ، لأن بقاءه ليس بواجب ضروري . وإذا لم يكن واجبا كان ممكنا ، والإمكان
الذى يتناول الطرفين هو طبيعة القوة ، فإذا كان يكون له في جوهره قوة أن يبقى
وفعل أن يبقى . وقد بان أن فعل أن يبقى منه لاحالة ليس هو قوة أن يبقى
منه ، وهذا يتبين ، فيكون فعل أن يبقى منه أمرا يعرض للشيء الذى له قوة أن
يبقى ، فتلك القوة لا تكون للذات ما بالفعل ، بل للشيء الذى يعرض لذاته
أن تبقى بالفعل ، لا أنه حقيقة ذاته . فيلزم من هذا أن تكون ذاته مركبة من

(١) أو التركيب : والتركيب ك .

(٣) بطلت : بطل د ، ف ، ك .

(٤) تعاقبها : تعلقه د ، ك || الأخرى : الآخر د ، ك ؛ الأجزاء م .

(٦) وأقول : فأقول د ؛ ونقول م . (٧) وقبل : وقيل م .

(٨) لفعله : بفعله ك ؛ لفعل م || أنه : أن ك ، م || مغاير : مغايرة ك ، م || القوة (الثانية) :
لقطة من م .

(٩-٨) لمعنى مغايرة : ساقطة من م .

(١١) المركبة (الثانية) : المركب ك .

(١٨) منه (الأولى) : ساقطة من ك .

(٢٠) لا أنه : لأنه م .

شيء إذا كان ، كانت به ذاته موجودة بالفعل وهو الصورة في كل شيء ، وعن شيء حصل له هذا الفعل وفي طباعه قوته وهو مادته . فإن كانت النفس بسيطة مطلقة لم تنقسم إلى مادة وصورة ، وإن كانت مركبة فلترك المركب ولننظر في الجوهر الذى هو مادته ، ولنصرف القول إلى نفس مادته ولنتكلم فيها .

• فنقول : إن المادة إما أن تنقسم هكذا دائما ونثبت الكلام دائما ، وهذا

محال . وإما أن لا يبطل الشيء الذى هو الجوهر والسنخ . وكلامنا في هذا الشيء

الذى هو السنخ والأصل وهو الذى نسميه النفس ، وليس كلامنا في شيء مجتمع منه

ومن شيء آخر . فبين أن كل شيء هو بسيط غير مركب ، أو هو أصل مركب وسنخه ،

فهو غير مجتمع فيه فعل أن يبقى وقوة أن يعدم بالقياس إلى ذاته . فإن كانت فيه

قوة أن يعدم فمحال أن يكون فيه فعل أن يبقى ، وإذا كان فيه فعل أن يبقى

وأن يوجد فليس فيه قوة أن يعدم .

فبين إذن أن جوهر النفس ليس فيه قوة أن يفسد ، وأما الكائنات التى تفسد

فإن الفاسد منها هو المركب المجتمع ، وقوة أن يفسد أو يبقى ليس في المعنى الذى

به المركب واحد ، بل في المادة التى هى بالقوة قابلة كلا الضدين . فليس إذن في الفاسد

المركب لا قوة أن يبقى ولا قوة أن يفسد ، فلم تجتمعا فيه . وأما المادة فلما أن تكون

باقية لا بقوة تستعد بها للبقاء كما يظن قوم ، وإما أن تكون باقية بقوة بها تبقى

وليس لها قوة أن تفسد ، بل قوة أن تفسد شيء آخر يحدث فيها . والبسائط التى

في المادة فإن قوة فسادها في جوهر المادة لا في جوهرها . والبرهان الذى يوجب أن كل كائن

فاسد من جهة تنأى قوى البقاء والبطلان، إنما يوجب فيما هو كائن من مادة وصورة ،

وتكون في مادته قوة أن تبقى فيه تلك الصورة وقوة أن تفسد هى منه معا ، كما

(١) كانت : كان ف ، ك ؛ ساقطة من د || موجودة : موجودا د ، ف ، ك || الصورة :

صورة م || وعن : ومن م .

(٢) قوته : + به ك .

(٣) وإن : فإن ك .

(٥) فنقول : ونقول د ، ك ، م .

(٩-١٠) فيه قوة كان : ساقطة من م .

(١١) قوة : ساقطة من م .

(١٦) باقية : ساقطة من ك ، م || بها : لها د .

(١٨) جوهر : || هو م .

(١٩) قوى : قوق ف .

(٢٠) قوة (الأولى) : + إلى ك || منه معا : منها معا ف ؛ منه ك ؛ منها م .

قد حلمت . فقد بان إذن أن النفس الإنسانية لا تفسد البتة ، وإن هذا سقنا كلامنا والله الموفق .

- وقد أوضحنا أن الأنفس إنما حدثت وتكثرت مع تهيؤ من الأبدان . على أن تهيؤ الأبدان يوجب أن يفيض وجود النفس لها من العلل المفارقة ، وظهر من ذلك أن هذا لا يكون على سبيل الاتفاق والبخت ، حتى يكون وجود النفس الحادثة ليس لاستحقاق هذا المزاج نفسا حادثة مدبرة ، ولكن قد كان وجدت نفس واتفق أن وجد معها بدن فتعلق بها ، فإن مثل هذا لا يكون حلة ذاتية البتة للتكثر ، بل حصى أن تكون عرضية . وقد عرفنا أن العلل الذاتية هي التي يجب أن تكون أولا ، ثم ربما تليها العرضية ، فإذا كان كذلك ، فكل بدن يستحق مع حدوث مزاج مادته حدوث نفس له ، وليس بدن يستحقه وبدن لا يستحقه ، ١٠ إذ أشخاص الأنواع لا تختلف في الأمور التي بها تقوم . وليس يجوز أن يكون بدن إنسانى يستحق نفسا يكمل بها وبدن آخر هو فى حكم مزاجه بالنوع ولا يستحق ذلك ، بل إن اتفق كان وإن لم يتفق لم يكن ، فإن هذا حينئذ لا يكون من نوعه . فإذا فرضنا أن نفسا تناسختها أبدان ، وكل بدن فإنه بذاته يستحق نفسا تحدث له وتتعلق به ، فيكون البدن الواحد فيه نفسان معا . ثم العلاقة بين النفس ١٥ والبدن ليست هي على سبيل الانطباع فيه ، كما بيناه مرارا ، بل العلاقة التي بينهما هي علاقة الاشتغال من النفس بالبدن ، حتى تشعر النفس بذلك البدن ، وينفعل البدن عن تلك النفس . وكل حيوان فإنه يستشعر نفسه نفسا واحدة هي المصرفة والمدبرة للبدن الذى له ، فإن كان هناك نفس أخرى لا يشعر الحيوان بها ولا هي بنفسه ولا تشغل بالبدن ، فليست لها علاقة مع البدن . لأن العلاقة لم تكن ٢٠ إلا بهذا النحو ، فلا يكون تناسخ بوجه من الوجوه . وبهذا المقدار لمن أراد الاختصار كفاية ، بعد أن فيه كلاما طويلا .

(٣) وقد : فقدك ، م .

(٤) يوجب : بموجب م || يفيض : يقبض م .

(٦) ليس : ساقطة من م || وجدت : حدث ف .

(٧) نفس : النفس ك ، م . (٩) فإذا : فإن م .

(١٢) هو : وهو م .. (١٣) إن : ساقطة من م .

(١٦) ليست هي : ليس هو د ، ف ، ك .

(١٩) المصرفة : المتصرفه ك .

(٢٠) هي : هو د || بنفسه : بنفسه م || ولا تشغل : ولا تشغل م || بالبدن ك .

الفصل الخامس

في العقل الفعال في أنفسنا والعقل المنفصل عنه أنفسنا

نقول : إن النفس الإنسانية قد تكون عاقلة بالقوة ، ثم تصير عاقلة بالفعل ، وكل ما خرج من القوة إلى الفعل فلما يخرج بسبب بالفعل يخرج .
فهنا سبب هو الذي يخرج نفوسنا في المعقولات من القوة إلى الفعل ، وإذ هو السبب في إعطاء الصور العقلية ، فليس إلا عقلا بالفعل عنده مبادئ الصور العقلية مجردة ، ونسبته إلى نفوسنا كنسبة الشمس إلى إبصارنا . فكما أن الشمس تبصر بلماتها بالفعل ويبصر بنورها بالفعل ما ليس مبصرا بالفعل ، كذلك حال هذا العقل عند نفوسنا ، فإن القوة العقلية إذا اطلعت على الجزئيات التي في الخيال وأشرق عليها نور العقل الفعال فيها الذي ذكرناه ، استحالت مجردة عن المادة وعلائقها ، وانطبعت في النفس الناطقة ، لا على أنها أنفسها تنتقل من التخيل إلى العقل منا ، ولا على أن المعنى المغمور في العلائق وهو في نفسه واعتباره في ذاته مجرد يفعل مثل نفسه ، بل على معنى أن مطالعتها تعد النفس لأن يفيض عليها المجرد من العقل الفعال . فإن الأفكار والتأملات حركات معدة للنفس نحو قبول الفيض ، كما أن الحلود الوسطى معدة بنحو أشد تأكيداً لقبول النتيجة ، وإن كان الأول على سبيل والثاني على سبيل أخرى ، كما ستقف عليه . فتكون النفس الناطقة إذا وقعت لها نسبة ما إلى هذه الصورة بتوسط إشراق العقل الفعال حدث فيها منه شيء من جنسها من وجه

(١) الفصل الخامس : فصل هـ ف .

(٤) وكل : فكل د .

(٧) كنسبة : نسبة ف ، م ؛ ساقطة من د .

(٨) يبصر : وتبصر ف || كذلك حال : ساقطة من م || هذا العقل : ساقطة من م .

(٩) اطلعت : طلعت م .

(١١) أنفسها : نفسها ك .

(١٦) أخرى : آخر ك .

(١٧) الصورة : الصور ك || حدث : أحدث م || فيها : فيه د || منه : منها ف ؛ ساقطة من د .

وليس من جنسها من وجه ، كما أنه إذا وقع الضوء على الملونات فعل في البصر منها أثرا ليس على جملتها من كل وجه . فالتحيلات التي هي معقولات بالقوة تصير معقولات بالفعل ، لا أنفسها ، بل ما يلتقط عنها ؛ بل كما أن الأثر المتأدى بواسطة الضوء من الصور المحسوسة ليس هو نفس تلك الصور ، بل شيء آخر مناسب لها يتولد بتوسط الضوء في القابل المقابل ، كذلك النفس الناطقة إذا طالعت تلك الصور الخيالية واتصل بها نور العقل الفعال ضربا من الاتصال استعدت لأن تحدث فيها من ضوء العقل الفعال مجردات تلك الصور عن الشوائب :

- فأول ما يميز عند العقل الإنساني أمر الذات من العرض وما به تتشابه تلك الخيالات وما به تختلف ، فتصير المعاني التي لا تختلف تلك بها معنى واحدا في ذات العقل بالقياس إلى التشابه لكنها فيها بالقياس إلى ما تختلف به تصير معاني كثيرة ، فتكون للعقل قدرة على تكثير الواحد من المعاني وعلى توحيد الكثير . أما توحيد الكثير فمن وجهين : أحدهما بأن تصير المعاني الكثيرة المختلفة في المتخيلات بالعدد ، إذا كانت لا تختلف في الحدد معنى واحدا . والوجه الثاني بأن يركب من معاني الأجناس والفصول معنى واحدا بالحد ، ويكون وجه التكثير بعكس هذين الوجهين . فهذه من خواص العقل الإنساني ، وليس ذلك لغيره من القوى ،
- ١٠ فإنها تدرك الكثير كثيرا كما هو ، والواحد واحدا كما هو ، ولا يمكنها أن تدرك الواحد البسيط ، بل الواحد من حيث هو جملة مركبة من أمور وأعراضها ، ولا يمكنها أن تفصل العرضيات وتنزعها من الذاتيات . فإذا عرض الحس على الخيال والخيال على العقل صورة ما أخذ العقل منها معنى ، فإن عرض عليه صورة أخرى من ذلك النوع وإنما هي أخرى بالعدد لم يأخذ العقل منها البتة صورة ما
- ٢٠ غير ما أخذ إلا من جهة العرض الذي يخص هذا من حيث هو ذلك العرض ، بأن يأخذه مرة مجردا ومرة مع ذلك العرض . ولذلك يقال : إن زيدا وعمروا لهما

(٣) بل : ساقطة من ك . (٨) الإنساني : + في د .

(١٠) لكنها فيها : لكنه فيه د ، ك ، م .

(١١) الواحد ... الكثير : الواحد وعلى توحيد الكثير من المعاني ك .

(١٣) بالعدد : ساقطة من م .

(١٤) التكثير : الكثير م .

(١٩) والخيال : ساقطة من م || أخذ : فأخذ د ، ك ؛ وأخذ م .

(٢٠) هي أخرى : هو آخر م .

(٢٢) بأن يأخذه : فإن أخذه ك ، م || ولذا : ولأجل ذلك د || لها : له م

معنى واحد فى الإنسانية ، ليس على أن الإنسانية المقارنة لخواص عمرو هى بعينها الإنسانية التى تقارن خواص زيد ، وكأن ذاتا واحدة هى لزيد ولعمرو كما يكون بالصدقة أو بالملك أو بغير ذلك ، بل الإنسانية فى الوجود متكررة فلا وجود لإنسانية واحدة مشترك فيها فى الوجود الخارج حتى تكون هى بعينها إنسانية زيد وعمرو ، وهذا يستبين فى الصنعة الحكيمة . ولكن معنى ذلك أن السابق من هذه إذا أفاد النفس صورة الإنسانية ، فإن الثانى لا يفيد البتة شيئا ، بل يكون المعنى المنطبع منهما فى النفس واحدا هو عن الخيال الأول ؛ ولا تأثير للخيال الثانى ، فإن كل واحد منهما كان يجوز أن يسبق فيفعل هذا الأثر بعينه فى النفس ليس كشخصى لإنسان وفرس .

١٠. هذا ، ومن شأن العقل إذا أدرك أشياء فيها تقدم وتأخر أن يعقل معها الزمان ضرورة ، وذلك لا فى زمان ، بل فى آن . والعقل يعقل الزمان فى آن ، وأما تركيبه القياس والحد فهو يكون لا محالة فى زمان ، إلا أن تصوره النتيجة والمحدود يكون دفعة .

والعقل ليس يحجزه عن تصور الأشياء التى هى فى غاية المعقولة ، والتجريد عن المادة لأمر فى ذات تلك الأشياء ، ولالأمر فى غريزة العقل ، بل لأجل أن النفس مشغولة فى البدن بالبدن ، فتحتاج فى كثير من الأمور إلى البدن ، فيبعدها البدن عن أفضل كما لاتها . وليست العين إنما لا تطبق أن تنظر إلى الشمس لأجل أمر فى الشمس وأنها غير جليلة ، بل لأمر فى جيلة بدنها . فإذا زال عن النفس منا هذا الغمور وهذا العوق كان تعقل النفس لهذه أفضل التعقلات للنفس وأوضحها وألذها . ولأن كلا منا فى هذا الموضع إنما هو فى أمر النفس

(١) لخواص : بخواص ك .

(٢) وكان : كان ف || لزيد : ل م .

(٥) زيد : ساقطة من م || يستبين : تستبين ف ، سنبين ك ؛ سيبين م .

(٦) أفاد : أفادت د ، ك || لا يفيد : يفيد د || شيئا : + آخر ك .

(٧) منهما : منها د ، ك || من : من ك ، م .

(٨) فإن : وإن د .

(١٠) هذا : ساقطة من ك ، م .

(١٢) فى : ساقطة من د .

(١٦) نحتاج : ونحتاج د .

(١٨) جليلة : جيلته ك .

- من حيث هي نفس ، وذلك من حيث هي مقارنة لهذه المادة . فليس ينبغي لنا أن نتكلم في أمر معاد النفس - ونحن متكلمون في الطبيعة - إلى أن نتقل إلى الصناعة الحكيمة وننظر فيها في الأمور المفارقة . وأما النظر في الصناعة الطبيعية فيختص بما يكون لائقاً بالأمور الطبيعية ، وهي الأمور التي لها نسبة إلى المادة والحركة ، بل نقول : إن تصور العقل يختلف بحسب وجود الأشياء ، فالأشياء القوية • الوجود جداً قديقصر العقل عن إدراكها لغلبتها ، والأشياء الضعيفة الوجود جداً كالحركة والزمان والهوى فقد يصعب تصورها ، لأنها ضعيفة الوجود والأعدام ، لا يتصورها العقل وهو بالفعل مطلقاً ، لأن العلم يدرك من حيث لا تدرك الملكة فيكون مدرك العلم من حيث هو عدم والشر من حيث هو شر شيء هو بالقوة وعدم كمال ، فإن أدركه عقل فإنما يدركه لأنه بالإضافة إليه بالقوة ١٠ فالعقول التي لا يخالطها ما بالقوة لاتعقل العلم والشر من حيث هو عدم وشر ولا تتصورهما ، وليس في الوجود شيء هو شر مطلقاً .

(١) هي نفس : هو نفس ك || هي مقارنة : هو مقارن ك .

(٥) فالأشياء : والأشياء م .

(٦) الوجود (الأول) : ساقطة من د ، ف .

(٨) والأعدام : والأعدام م .

(٩) مدرك : يدرك ك || شيء : شيئاً م .

(١٢-١١) ولا تتصورهما : فلا تتصورهما د .

الفصل السادس

في مراتب أفعال العقل وفي أعلى مراتبها

وهو العقل القدسي

فنعول : إن النفس تعقل بأن تأخذ في ذاتها صورة المعقولات مجردة عن المادة ، وكون الصورة مجردة إما أن يكون بتجريد العقل إياها ، وإما أن يكون لأن تلك الصورة في نفسها مجردة عن المادة ، فتكون النفس قد كفت المؤنة في تجريدتها .

والنفس تتصور ذاتها ، وتصورها ذاتها يجعلها عقلا وعاقلا ومعقولا ، وأما تصورها لهذه الصور فلا يجعلها كذلك ، فإنها في جوهرها في البدن دائما بالقوة عقل ، وإن خرج في أمور ما إلى الفعل . وما يقال من أن ذات النفس تصير هي المعقولات ، فهو من جملة ما يستحيل على ؛ فإنني لست أفهم قولهم : إن شيئا يصير شيئا آخر ، ولا أعقل أن ذلك كيف يكون ، فإن كان بأن يخلع صورة ثم يلبس صورة أخرى ، ويكون هو مع الصورة الأولى شيئا ، ومع الصورة الأخرى شيئا ، فلم يصر بالحقيقة الشيء الأول الشيء الثاني ؛ بل الشيء الأول قد بطل وإنما بقي موضوعه أو جزء منه ، وإن كان ليس كذلك فليُنظر كيف يكون فنقول : إذا صار الشيء شيئا آخر ، فإما أن يكون إذ هو قد صار ذلك الشيء موجودا أو معدوما ، فإن كان موجودا ، فالثاني الآخر إما أن يكون موجودا أيضا أو معدوما ، فإن كان موجودا ، فهما موجودان لا وجود واحد ، وإن كان معلوما ، فقد صار هذا الموجود شيئا معدوما لا شيئا آخر موجودا ، وهذا غير معقول . وإن كان الأول قد عدم فما صار شيئا آخر ، بل عدم هو وحصل شيء .

(١) الفصل السادس : فصل ٦ ف .

(٥) الصورة : الصور م || إما : فإما د .

(١٥) فليُنظر : فلننظر ف .

(١٨) موجودا : ساقطة من م .

آخر . فالنفس كيف تصير صور الأشياء ، وأكثر ماهوتس الناس في هذا هو الذى صنف لهم إيساغوجى وكن حريصا على أن يتكلم بأقوال مخيلة شعرية صوفية يقتصر منها انفسه ولغيره على التخيل ، ويدل أهل التمييز على ذلك كتبه فى العقل والمعقولات وكتبه فى النفس . نعم إن صور الأشياء تحل فى النفس وتحليلها وتزيتها ، وتكون النفس كالمكان لها بتوسط العقل الهولانى ، ولو كانت النفس صورة شئ من الموجودات بالفعل ، والصورة هى الفعل ، وهى بذاتها فعل ، وليس فى ذات الصورة قوة قبول شئ ، إنما قوة القبول فى القابل للشئ ، وجب أن تكون النفس حينئذ لا قوة لها على قبول صورة أخرى وأمر آخر . وقد نراها تقبل صورة أخرى غير تلك الصورة ، فإن كان ذلك الغير أيضا لا يخالف هذه الصورة فهو من العجائب ، فيكون القبول واللاقبول واحدا ؛ وإن كان يخالفه ، فتكون النفس لا محالة إن كانت هى الصورة المعقولة قد صارت غير ذاتها ، وليس من هذا شئ ، بل النفس هى العاقلة ، والعقل إنما يعنى به قوتها التى بها تعقل ، أو يعنى به صور هذه المعقولات فى نفسها . ولأنها فى النفس تكون معقولة ، فلا يكون العقل والعقل والمعقول شيئا واحدا فى أنفسنا ، نعم هذا فى شئ آخر يمكن أن يكون على ما ستلمحه فى موضعه . وكذلك العقل الهولانى إن عنى به مطابق الاستعداد للنفس فهو باق فينا أبدا ما دمت فى البدن . وإن عنى بحسب شئ شئ فإن الاستعداد يبطل مع وجود الفعل .

وإذ قد تقرر هذا فنقول : إن تصور المعقولات على وجوه ثلاثة أحدها التصور الذى يكون فى النفس بالفعل مفصلا منظما ، وربما يكون ذلك التفصيل والنظام غير واجب ، بل يصح أن يغير ، مثاله أنك إذا فصلت فى نفسك معانى

(١) تصوير : تصور م .

(٢) مخيلة : مختلفة م .

(٤) فى (الثانية) : ساقطة من ف . ك .

(٥) وتحليلها : وتحليله د || وتزيتها : || النفس (الثانية) : + صارت ف .

(٧) قوة : قول م .

(٩) فإن ... الصورة : ساقطة من م .

(١٢) إنما : إمام .

(١٣) صور : صورة ك || نفعها : أنفعها ك .

(١٥) ستلمحه : ستلمحه ك || وكذلك : فلذلك م .

(١٦) فهو باق : فهى باقية د ، ك .

(١٨) قد : ساقطة من م .

(١٩) بالفعل : ساقطة من د || يكون : كان د ، ف .

الألفاظ التي يدل عليها قولك : كل إنسان حيوان ، وجدت كل معنى منها كليا لا يتصور إلا في جوهر غير بدني ، ووجدت لتصورها فيه تقدما وتأخيرا ؛ فإن غيرت ذلك حتى كان ترتيب المعاني المتصورة الترتيب المعاكس لقولك : الحيوان محمول على كل إنسان لم تشك أن هذا الترتيب من حيث هو ترتيب معان كلية لم يترتب إلا في جوهر غير بدني ، وإن كان أيضا يترتب من وجه ما في الخيال فمن حيث المسموع لا من حيث المعقول ، وكان الترتيبان مختلفين ، والمعقول الصرّف منهما واحد ؛ والثاني أن يكون قد حصل التصور واكتسب ، لكن النفس معرضة عنه ، فليست تلتفت إلى ذلك المعقول ، بل قد انتقلت عنه مثلا إلى معقول آخر ، فإنه ليس في وسع أنفسنا أن تعقل الأشياء معا دفعة واحدة . ونوع آخر من التصور وهو مثل ما يكون عندك في مسألة تسأل عنها مما علمته أو مما هو قريب من أن تعلمه فحضرك جوابها في الوقت ، وأنت متيقن بأنك تجيب عنها مما علمته من غير أن يكون هناك تفصيل البتة ، بل إنما تأخذ في التفصيل والترتيب في نفسك مع أخذك في الجواب الصادر عن يقين منك بالعلم به قبل التفصيل والترتيب .

١٥ فيكون الفرق بين التصور الأول والثاني ظاهرا ، فإن الأول كأنه شيء قد أخرجته من الخزانة وأنت تستعمله ، والثاني كأنه شيء لك مخزون متى شئت استعملته ، والثالث يخالف الأول بأنه ليس شيئا مرتبا في الفكر البتة ، بل هو كبداً لذلك مع مقارنته لليقين ، ويخالف الثاني بأنه لا يكون معرضا عنه ، بل منظورا إليه نظرا ما بالفعل يقينا إذ تخصصص معه النسبة إلى بعض ما هو كالمخزون .

٢٠ فإن قال قائل : إن ذلك علم أيضا بالقوة ولكن قوة قريبة من الفعل ، فذلك باطل ، لأن لصاحبه يقينا بالفعل حاصلا لا يحتاج أن يحصله بقوة بعيدة أو قريبة . فذلك اليقين لأنه متيقن أن هذا حاصل عنده إذا شاء علمه ، فيكون تيقنه بالفعل

(٤) إنسان : + إن ك .

(٧) منما : منه د ، ك ، م .

(٩) مما : منه م .

(١١) من أن تعلمه : ما تعلمه ك .

(١٢) عن : من ك .

(١٦) تستعمله : متعلمه م .

(١٧) بل : + ما ك .

(٢٢) اليقين : + إما د ، ك ، م .

بأن هذا حاصل تيقنا به بالفعل ، فإن الحصول حصول لشيء ، فيكون هذا الشيء الذى نشير إليه حاصلًا بالفعل ، لأنه من المحال أن نتيقن أن المجهول بالفعل معلوم عنده مخزون ، فكيف نتيقن حال الشيء إلا والأمر هو من جهة ماتيقنه معلوم . وإذا كانت الإشارة تتناول المعلوم بالفعل من المتيقن بالفعل أن هذا عنده مخزون فهو بهذا النوع البسيط معلوم عنده ، ثم يريد أن يجعله معلوما بنوع آخر . ومن العجائب أن هذا المجيب حين يأخذ في تعليم غيره تفصيل ما هجس في نفسه دفعة يكون مع ما يعلمه يتعلم العلم بالوجه الثانى فترتب تلك الصورة فيه مع ترتب ألفاظه .

فأحد هذين هو العلم الفكرى الذى إنما يستكمل به تمام الاستكمال إذا ترتب وتركب ، والثانى هو العلم البسيط الذى ليس من شأنه أن يكون له في نفسه صورة بعد صورة ولكن هو واحد تفيض عنه الصور في قابل الصور فذلك علم فاعل للشيء .
الذى نسميه علما فكريا ومبدأ له ، وذلك هو للقوة العقلية المطلقة من النفوس المشاكلة لعقول الفعالة . وأما التفصيل فهو للنفس من حيث هي نفس ، فإلم يكن له ذلك لم يكن له علم نفساني ، وأما أنه كيف يكون للنفس الناطقة مبدأ غير النفس له علم غير علم النفس ، فهو موضع نظر يجب عليك أن تعرفه من نفسك .

واعلم أنه ليس في العقل المحض منهما تكثر البتة ولا ترتيب صورة فصورة ،
بل هو مبدأ لكل صورة تفيض عند على النفس . وعلى هذا ينبغي أن تعتقد الحال في المناقشات المحضة في عقلها الأشياء ، فإن عقلها هو العقل الفعال للصور والخلق لها لا الذى يكون للصور أو في صور . فالنفس التى للعالم من حيث هي نفس فإن تصورها هو التصور المرتب المفصل ، فلذلك ليست بسيطة من كل وجه ، وكل إدراك عقلى

(١) لشيء : الشيء ك ، م .

(٢) نتيقن أن : تيقن أن ك || معلوم : ساقطة من د .

(٣) نتيقن حال : تيقن حال ك || ما نتيقنه : ما تيقنه ك .

(٤) المعلوم : للمعلوم ك .

(٥) يريد : قد يؤيد ك || ومن : من م .

(٦) ما هجس : ما هجس ك .

(٧) فترتب : فترتب ف || ترتب : ترتب ك .

(١٠) ولكن : لكن م .

(١١) القوة : القوة ك ، م .

(١٢) هي : هو د ، ك .

(١٧) الأشياء : للأشياء د ، م || والخلق : الخلق ف ، م .

(١٨) التى : د ، ك ، م || فالنفس : والنفس د ، ك .

فإنه نسبة مآ إلى صورة مفارقة للمادة ولأعراضها المادية على النحو المذكور . فللنفس ذلك بأنها جوهر قابل منطبع به ، وللعقل بأنه جوهر مبدأ فاعل خلاق ، فما يخص ذاته من مبدئيتها لها هو عقليته بالفعل ، وما يخص النفس من تصوراتها وقبولها لها هو عقليتها بالفعل .

والنبي ينبغي أن يعلم من حال الصور التي في النفس هو ما أقوله : أما المتخيلات وما يتصل بها فلأنها إذا عرضت عنها النفس كانت مخزونة في قوى هي للعرض ، وليست بالحقيقة مدركة ، وإلا لكانت مدركة وخزانة معا ، بل هي خزانة إذا رجعت القوة المدركة الحاكمة إليها وهي الوهم أو النفس أو العقل وجعلتها حاصلة ، فإن لم تجدها احتاجت إلى استرجاع بتحسس أو بتذكر . ولولا هذا العذر لكان من الواجب أن يشك في أمر كل نفس إذا كانت ذاهلة عن صورة ، أثلك الصورة موجودة أم ليست بموجودة إلا بالقوة ، ويتشكك في أنها كيف ترجع ، وإذا لم تكن عند النفس فعند أي شيء تكون ، والنفس بأي شيء تتصل حتى تعاود هذه الصورة .

لكن النفس الحيوانية قد فرقت قواها ، وجعلت لكل قوة آلة مفردة ، فجعلت للصور خزانة قد يغفل عنها الوهم ، والمعاني خزانة قد يغفل عنها الوهم ، إذ ليس الوهم موضع ثبات هذه الأمور ، ولكن الحاكم . فلنا أن نقول : إن الوهم قد يطالع الصور والمعاني المخزونة في حيزي القوتين ، وقد يعرض عنها ، فإذا نقول الآن في الأنفس الإنسانية والمعقولات التي تكتسبها وتذهل عنها إلى غيرها ، أ تكون موجودة فيها بالفعل التام فتكون لا محالة

(١) عل : ساقطة من م || فللنفس : النفس م .

(٢) فما : فيما م .

(٣-٤) وما يخص النفس بالفعل : ساقطة من د .

(٥) المتخيلات : المتخيلات ك .

(٦) عرضت : أعرض د ، ف ، م || النفس : ساقطة من م .

(٨) أو النفس : والنفس ك || وجعلتها : وجدها د ، ك .

(٩) استرجاع : الاسترجاع ك ، م || بتحسس : بتحسين د ؛ بتذكر : تذكر د ، ك .

(١٠) أمر : أن ك ، م .

(١١) ترجع : ترجع ك .

(١٢) فجعلت : فجعل د ؛ جعلت ك .

(١٤) للصور : للصورة ك ، م || الوهم : الوهم ك ، م .

(١٥) الحاكم : الحاكم م .

(١٦) والمعقولات : والمعقولات د .

- عاقلة لها بالفعل التام ، أو تكون لها خزانة تخزنها فيها : وتلك الخزانة إما ذاتها وإما
 بدننها أو شيء بدني لها . وقد قلنا : إن بدننها وما يتعلق ببدننها مما لا يصلح لذلك ،
 إذ لم يصلح أن يكون محلا للمعقولات ، ولا يصلح أن تكون الصور العقلية ذات وضع
 وكان اتصالها بالبدن يجعلها ذات وضع ، وإذا صارت في البدن ذات وضع بطل أن
 تكون معقولة . أو نقول : إن هذه الصور العقلية أمور قائمة في أنفسها ، كل صورة •
 منها نوع أمر قائم في نفسه ، والعقل ينظر إليها مرة وينقل عنها أخرى ، فإذا نظر إليها
 تمثالت فيه ، وإذا أعرض عنها لم تمثل ، فتكون النفس كمرآة وهي كأشياء خارجة ، فتارة
 تناوح فيها وتارة لاتلوح ، وذلك بحسب نسب تكون بين النفس وبينها ، أو يكون المبدأ الفعال^٢
 يفيض على النفس صورة بعد صورة بحسب طاب النفس ، وأن يكون إذا أعرضت
 عنه انقطع الفيض . فإن كان هذا هكذا فلم لاحتياج كل كرة إلى تعام من رأس . ١٠
 فنقول : إن الحق هو القسم الآخر ، وذلك أنه من المحال أن نقول إن هذه
 الصورة موجودة في النفس بالفعل التام ولا تعقلها بالفعل التام ، إذ ليس معنى
 أنها تعقلها إلا أن الصورة موجودة فيها ، ومحال أن يكون البدن لها خزانة ،
 ومحال أن تكون ذاتها خزانتها ، إذ ليس كونها خزانة لها إلا أن تلك
 الصورة معقولة موجودة فيها وبهذا تعلقها . وليس كذلك الذكر والمصورة ، فإن ١٥
 إدراك هذه الصورة ليس لها ، بل حفظها فقط ، وإنما إدراكها لقوة أخرى ،
 وليس وجود الصورة المذكورة والمتصورة في شيء هو إدراك ، كما ليس وجود
 الصور المحسوسة في الشيء هو محس ، ولذلك ليست الأجسام وفيها صور المحسوسات

(٢-١) وإما بدننها : أو بدننها ك .

(٢) وقد : فقد م .

(٣) ولا يصلح : ولا يصلح ك ، م .

(٤) وضع (الثانية) : ساقطة من م || بطل : بطلت د .

(٥) الصور : الصورة م .

(٦) أمر : آخر ك || أخرى : ساقطة من د ، ك ، م .

(١٠) فإن : وإن ك .

(١٣) أنها : أنه د ، ك .

(١٣-١٢) موجودة الصورة : ساقطة من م .

(١٣) أن (الأولى) : له ق د .

(١٦) لقوة : بقوة ك .

(١٧) والمتصورة : والمصورة ف .

(١٨) الصور المحسوسة : صورة المحسوسات د ، ك || الشيء : شيء ف || صور : صورة ك .

بمدركة ، بل الإدراك يحتاج أن يكون لما من شأنه أن يتطبع بذلك الصورة تطبعا
مما بما هو قوة مدركة . وأما الذكر والمصورة فإنما تتطبع فيهما الصور بما هي
آلة ولها جسم يحفظ تلك الصور قريبا من حامل القوة الإدراكية وهي الوهم حتى ينظر
إليها متى شاء ، كما يحفظ الصور المحسوسة قريبا من الحس ليتأملها الحس متى شاء .

فهذا التأويل يحتمله الذكر والمصورة ولا تحتمله النفس ، فإن وجود الصورة
المعقولة في النفس هو نفس إدراكها لها ، وأيضا سنبين بعد في الحكمة الأولى أن
هذه الصورة لا تقوم منفردة ، فبقي أن يكون القسم الصحيح هو القسم الأخير ،
ويكون التعلم طلب الاستعداد التام للاتصال به ، حتى يكون منه العقل الذي
هو البسيط فتفيض منه الصور مفصلة في النفس بتوسط الفكرة ، فيكون الاستعداد
قبل التعلم ناقصا ، والاستعداد بعد التعلم تاما . فإذا تعلم يكون من شأنه أنه إذا
خطر بباله ما يتصل بالمعقول المطلوب ، وأقبلت النفس على جهة النظر - وجهة
النظر هو الرجوع إلى المبدأ الواهب للعقل - اتصل به ففاضت منه قوة العقل
المجرد الذي يتبعه فيضان التفصيل ، وإذا أعرض عنه عادت فصارت تلك الصورة
بالقوة ، ولكن قوة قريبة جدا من الفعل . فيكون التعلم الأول كمعالجة العين ،
فإذا صارت العين صحيحة فمتى شاءت نظرت إلى الشيء الذي منه تأخذ صورة
مما ، وإذا أعرضت عن ذلك الشيء صار ذلك بالقوة القريبة من الفعل . ومادامت
النفس البشرية العامة في البدن ، فإنه ممتنع عليها أن تقبل العقل الفعال دفعة ،
بل يكون حالها ما قلنا . وإذا قيل : إن فلانا عالم بالمعقولات ، فمعناه أنه بحيث
كلما شاء أحضر صورته في ذهن نفسه ، ومعنى هذا أنه كلما شاء كان له
أن يتصل بالعقل الفعال اتصالا يتصور فيه منه ذلك المعقول ، ليس أن ذلك
المعقول حاضر في ذهنه ومتصور في عقله بالفعل دائما ، ولا كما كان قبل التعلم . وتحصيل

(١) يتطبع : ينطبع كـ || الصورة : الصور د ، ف || تطبعا : انطبعا كـ .

(٢) والمصورة : والمصور م || فيهما : فيها د ، ف ، م .

(٤) الصور : والصورة د ، م || ليتأملها : ليقابلها م .

(٧) القسم (الأولى) : التقسيم م || الأخير : الآخر كـ .

(١٠) فإذا : وإذا ك ، م .

(١٥) صحيحة : مصححة م .

(٢٢) في (الأولى) : ساقطة من د ، م || ومتصور : ويتصور ك || التعلم : التعليم م || وتحصيل :

ويحصل د ؛ و بتحصيل ك ، م .

هذا الضرب من العقل بالفعل ، وهو القوة تحصل للنفس أن تعقل بها ما تشاء ، فإذا شئت اتصلت وفاضت فيها الصورة المعقولة ، وتلك الصورة هي العقل المستفاد بالحقيقة ، وهذه القوة هي العقل بالفعل فينا من حيث لنا أن نعقل .

وأما العقل المستفاد فهو العقل بالفعل من حيث هو كمال . وأما التصور الأمور

المتخيلة فهو رجوع من النفس إلى الخزان للمحسوسات . والأول نظر إلى فوق ، وهذا نظر إلى أسفل . فإن خلص عن البدن وعوارض البدن فحينئذ يجوز أن يتصل بالعقل الفعال تمام الاتصال وبلقى هناك الجمال العقلي والمادة السرمدية كما نتكلم عليه في بابه .

واعلم أن التعلم سواء حصل من غير المتعلم أو حصل من نفس المتعلم فإنه متفاوت فيه ، فإن من المتعلمين من يكون أقرب إلى التصور ، لأن استعدادة الذي قبل

الاستعداد الذي ذكرناه أقوى ، فإن كان ذلك للإنسان فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد القوى جدا . وهذا الاستعداد قد يشتد في بعض الناس ، حتى لا

يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعال إلى كثير شيء وإلى تخريج وتعليم ، بل يكون شديد الاستعداد لذلك كأن الاستعداد الثاني حاصل له ، بل كأنه يعرف كل

شيء من نفسه . وهذه الدرجة أعلى درجات هذا الاستعداد ، ويجب أن تسمى هذه الحالة من العقل الهولاني عقلا قدسيا ، وهي من جنس العقل بالملكة ، إلا

أنه رفيع جدا ليس مما يشترك فيه الناس كلهم . ولا يبعد أن يفيض بعض هذه الأفعال المنسوبة إلى الروح القدسية لقوتها واستعلائها فيضانا على المتخيلة ، فتحاكيها

المتخيلة أيضا بأمثلة محسوسة ومسموعة من الكلام على النحو الذي سلفت الإشارة إليه . ومما يحقق هذا أن من المعلوم الظاهر أن الأمور المعقولة التي يتوصل إلى

اكتسابها إنما تكتسب بحصول الحد الأوسط في القياس . وهذا الحد الأوسط قد يحصل من ضربين من الحصول ، فتارة يحصل بالحدس ، والحدس هو فعل

للذهن يستنبط به بذاته الحد الأوسط والذكاء قوة الحدس ؛ وتارة يحصل بالتعليم ، ومبادئ التعليم الحدس ، فإن الأشياء تنتهي لا محالة إلى حدوس

(١) القوة : + التي ك || تحصل : تحصيل د || بها : + النفس ك || ما تشاء : ماشاء لك ؛ ما شاء م .

(٢) وفاضت : وفاض لك . (٣) لنا : لها ك ، م .

(٤) بالفعل : ساقطة من د . (٥) الخزائن : الخزائن م .

(١٠) سمي : ساقطة من د . (١٣) لذلك : وكذلك ك .

(١٥) وهي : + شيء ف .

(١٧) فيضانا : فيضانا ك .

(١٨) سلفت : سلف م .

(٢١) من (الأول) : ساقطة من ف .

استنبطها أرباب تلك الحادوس ثم أدوها إلى المتعالمين . فجاز إذن أن يقع للإنسان بنفسه الحادوس وأن يعتقد في ذهنه القياس بلا معلم ، وهذا مما يتفاوت بالكم والكيف . أما في الكم فلأن بعض الناس يكون أكثر عدد حدس للحدود الوسطى ، وأما في الكيف فلأن بعض الناس أسرع زمان حدس . ولأن هذا التفاوت ليس منحصرًا في حد ، بل يقبل الزيادة والنقصان دائمًا ، وينتهي في طرف النقصان إن من لا حدس له البتة ، فيجب أن ينتهي أيضًا في طرف الزيادة إلى من له حدس في كل المطلوبات أو أكثرها ، وإني من له حدس في أسرع وقت وأقصره . فيمكن إذن أن يكون شخص من الناس مؤيد النفس لشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية إلى أن يشتعل حاسا ، أعني قبولًا لها من العقل الفعال في كل شيء وترسم فيه الصور التي في العقل الفعال ، إما دفعة . وإما قريبًا من دفعة ، ارتسامًا لا تقليديًا ، بل بترتيب يشتمل على الحدود الوسطى . فإن التقليديات في الأمور التي إنما تعرف بأسبابها ليست يقينية عناية . وهذا ضرب من النبوة ، بل أعلى قوى النبوة ، والأولى أن تسمى هذه القوة قوة قدسية . وهي أعلى مراتب القوى الإنسانية .

-
- (٢) بلا معلم : بلا تعلم ك || يتفاوت : + فيه ك .
(٣) أما : وأما ك || حدس : حدساد ؛ حدوس م .
(٨) فيمكن : فممكن ك ؛ ممكن م .
(٩) وترسم : فترسم د .
(١٠) الصور : الصورة ك .
(١١) التي : ساقطة من م || يقينية : عينية م .
(١٢) قوى : قوة م .
(١٣) قوة : ساقطة من م .

الفصل السابع

في علم المذاهب الموروثة عن القدماء في أمر النفس وأفعالها

وأنها واحدة أو كثيرة وتصحيح القول الحق فيها

- ٥ إن المذاهب المشهورة في ذات النفس وفي أفعالها مختلفة . فمنها قول من زعم أن النفس ذات واحدة ، وأنها تفعل جميع الأفعال بنفسها باختلاف الآلات . ومن هؤلاء من زعم أن النفس عالمة بذاتها ، تعلم كل شيء ، وإنما تستعمل الحواس والآلات المقربة للمدركات منها بسبب أن تنبيهه به لما في ذاتها . ومنهم من قال : إن ذلك على سبيل التذكر لها ، فكأنها عرض لها عنده أن نسيته .
- ١٠ ومن الفرق الأولى من قال : إن النفس ليست واحدة ، بل عدة ، وأن النفس التي في بدن واحد هي مجموع نفوس : نفس حساسة دراية ، ونفس غضبية ، ونفس شهوانية . فمن هؤلاء من جعل النفس الشهوانية هي النفس الغذائية . وجعل موضعها القلب ، وجعل له شهوة الغذاء والتوليد جميعا . ومنهم من جعل التوليد لقوة من هذا الجزء من أجزاء النفس فائضة إلى الانثيين في الذكر والأنثى . ومنهم من جعل النفس ذاتا واحدة ، وتفيض عنها هذه القوى ، وتختص كل قوة بفعل ، ١٥ وأنها إنما تفعل ما تفعله من الأمور المذكورة بتوسط هذه القوى .
- فمن قال : إن النفس واحدة فعالة بذاتها احتج بما سيحتج به أصحاب المذهب

(١) الفصل السابع : فصل ٧ ف ؛ فصل م .

(٥) المشهورة : ساقطة من د ، ف ، م .

(٨) منها : منه د ، ك ، م || تنبيه : تنبيه ك .

(١٢) فمن : ومن ك .

(١٦) ما تفعله : ما تفعل ف .

(١٧) احتج : واحتج ك || بما : بهاد || سيحتج : يحتج ك .

الآخر مما نذكره . ثم قال : فإذا كانت واحدة غير جسم استحال أن تنقسم في الآلات وتتكرر ، فإنها حينئذ تصير صورة مادية ، وقد ثبت عندهم أنها جوهر مفارق بقياسات لا حاجة لنا إلى تعدادها ههنا ، قالوا فهي بنفسها تفعل ما تفعل بالآلات مختلفة . والذين قالوا من هؤلاء : إن النفس علامة بذاتها ، احتجوا وقالوا : لأنها إن كانت جاهلة عادمة للعلوم فلما أن يكون ذلك لها لجوهرها أو يكون عارضا لها ، فإن كان لجوهرها استحال أن تعلم البتة ، وإن كان عارضا لها فالعارض يعرض على الأمر الموجود للشيء . فيكون موجودا للنفس أن تعلم الأشياء لكن عرض لها أن جهلت بسبب ، فيكون السبب إنما يتسبب للجهل لا للعلم . فإذا رفعنا الأسباب العارضة بقي لها الأمر الذي في ذاتها ، ثم إذا كان الأمر الذي لها في ذاتها هو أن تعلم فكيف يجوز أن يعرض لها بسبب من الأسباب أن تصير لا تعلم وهي بسيطة روحانية لا تتفعل ، بل يجوز أن يكون عندها العلم وتكون معرضة عنه مشغولة ، إذا نهت علمت ، وكان معنى التنبيه ردها إلى ذاتها وإلى حال طبيعتها ، فتصادف نفسها حاملة بكل شيء . وأما أصحاب التذكر فإنهم احتجوا وقالوا : إنه لو لم تكن النفس علمت وقتا ماتجهله الآن وتطلبه لكانت إذا ظفرت به لم تعلم أنه المطلوب ، كطالب العبد الآبق ؛ وقد فرغنا عن ذكر هذا في موضع آخر وعن نقضه . والذين كثروا النفس ، فقد إحتجوا وقالوا : كيف يمكننا أن نقول : إن الأنفس كلها نفس واحدة ، ونحن نجد النبات وله النفس الشهوانية ، أعني التي ذكرناها في هذا الفصل ، وليس له النفس المدركة الحاسة المميزة ، فتكون لا محالة النفس هذه شيئا منفردا بذاته دون تلك النفس ، ثم نجد الحيوان وله هذه النفس الحساسة الغضبية ، ولا تكون هناك النفس النطقية أصلا ، فتكون هذه الأنفس البهيمية نفسا على حدة . فإذا اجتمعت هذه الأمور في الإنسان ، علمنا أنه قد اجتمع فيه أنفس متباينة محتلفة اللوات ، قد يفارق

(١) فإذا : فإذا || استحال : استحالت د ، م .

(٥) لجوهرها : بجوهرها ك .

(٨) يتسبب : ينسب م .

(١٤) لكانت : لكان د ، ك ، م .

(١٧) وله : ولها د ، م .

(١٨) له : لها د ، م || الحاسة : الحاسة ك .

(٢٠) وله : ولها د ، م .

(٢١) الأنفس : النفس ف .

(٢٢) متباينة : سائلة م .

بعضها بعضا ، فلذلك تختص كل واحدة منها بموضع ، فيكون للمميزة الدماغ ، ويكون للغضبية الحيوانية القلب ، ويكون للشهوانية الكبد .

- فهذه هي المذاهب المشهورة في أمر النفس وليس يصح منها إلا المذهب الأخير مما عد أولا فلتبين صحته . ثم نقبل على حل الشبه التي أوردوها فنقول : قدبان مما ذكرناه أن الأفعال المتخالفة هي بقوى متخالفة وأن كل قوة من حيث هي .
- فإنما هي كذلك من حيث يصدر عنها الفعل الأول الذي لها فتكون القوة الغضبية لاتنفل من اللذات ولا الشهوانية من المؤذيات ولا تكون القوة المدركة متأثرة مما تتأثر عنه هاتان ولا شيء من هاتين من حيث هما قابل للصور المدركة متصور لها . فإذا كان هذا متقرا فتقول : إنه يجب أن يكون لهذه القوى رباط يجمعها كلها فتجتمع إليه ، وتكون نسبته إلى هذه القوى نسبة الحس المشترك إلى الحواس ١٠ التي هي الرواضع . فإننا نعلم يقينا أن هذه القوى يشغل بعضها بعضا ، ويستعمل بعضها بعضا ، وقد عرفت هذا فيما سلف . ولولم يكن رباط يستعمل هذه فيشتغل ببعضها عن بعض فلا يستعمل ذلك البعض ولا يدبره ، لما كان بعضها يمنع بعضها عن فعله بوجه من الوجوه ولا ينصرف عنه . لأن فعل قوة من القوى إذا لم يكن لها اتصال بقوة أخرى ، لا يمنع القوة الأخرى عن فعلها إذا لم تكن الآلة مشتركة ولا المحل ١٥ مشتركا ولا أمر يجمعهما غير ذلك مشتركا . ونحن نرى أن الإحساس يثير الشهوة ، والقوة الشهوانية لاتنفل من المحسوس من حيث هو محسوس ، فإن انفل لا من حيث هو محسوس لم يكن الانفعال الذي يكون لشهوة ذلك المحسوس ، فيجب لا محالة أن يكون هو الذي يحس . وليس يجوز أن تكون القوتان واحدة ، فيبين

(١) واحدة : واحد م .

(٤) نقبل : لتقبل ف .

(٩) يجمعها : يجمع ك ، م .

(١٠) إليه : البتة ك .

(١١-١٢) ويستعمل بعضها بعضا : ساقطة من ف .

(١٢) سلف : + لك ف || ببعضها : بعضها ك .

(١٣) لما كان : لكان كما كان م .

(١٦) ونحن : وكيف ونحن د ؛ كيف ونحن ف || يثير : تثيره ك .

(١٧) من (الأولى) : عن ك .

(١٨) لشهوة : بشهوة د ، ك .

(١٨-١٩) لا محالة : ساقطة من ك .

أن القوتين لشيء واحد ، فلهذا يصدق أن نقول : إنا لما أحسننا اشتبهنا ، أو لما رأينا كذا غضبنا .

وهذا الشيء الواحد الذى تجتمع فيه هذه القوى هو الشيء الذى يراه كل منا ذاته ، حتى يصدق أن نقول لما أحسننا اشتبهنا . وهذا الشيء لا يجوز أن يكون جسما .

• أما أولا ، فلأن الجسم بما هو جسم ليس يلزمه أن يكون مجمع هذه القوى ، وإلا كان كل جسم له ذلك ، بل لأمر به يصير كذلك ، ويكون ذلك الأمر هو الجامع الأول ، وهو كمال الجسم من حيث هو مجمع ، وهو غير الجسم ، فيكون إذن المجمع هو شيء غير جسم وهو النفس .

وأما ثانيا ، فقد تبين أن من هذه القوى ما ليس يجوز أن يكون جسمانيا مستقرا ١٠ في جسم ، فإن تشكك فليل : إنه إن جاز أن تكون هذه القوى لشيء واحد ، مع أنها لا تجتمع معا فيه ، إذ بعضها لا يحل الأجسام وبعضها يحلها ، فتكون مع افتراقها من غير أن تكون بصفة واحدة منسوبة إلى شيء واحد ، فلم لا يكون كذلك الآن وتكون كلها منسوبة إلى جسم أو جسماني . فنقول لأن هذا الذى ليس بجسم ، يجوز أن يكون منبع القوى فيفيض عنه بعضها في الآلة ، وبعضها يختص ١٥ بذاته ، وكلها يؤدي إليه نوعا من الأداء . واللواتي تكون في الآلة تجتمع في مبدأ يجمعها في الآلة ذلك المبدأ ، وهو فائض عن الغنى عن الآلة كما نبين حاله بعد في حل الشبه . وأما الجسم فلا يمكن أن تكون هذه القوى كلها فائضة منه ، فإن نسبة القوى إلى الجسم ليس على سبيل الفيضان ، بل على سبيل القبول ، والفيضان يجوز أن يكون على سبيل مفارقة للفيض عن المفيض ، والقبول لا يجوز أن يكون ٢٠ على تلك السبيل .

(٢-١) أولا : ولما ، ف .

(٤-١) اشتبهنا أحسننا : ماقطة من م .

(٣) منا : + أنه ك .

(٤) لا يجوز أن يكون : لا يكون م .

(٦) لأمر به يصير : الأمر يصير م .

(١٣) كذلك : لذلك م .

(١٤) عنه : عنها ، ك ، م .

(١٥) بذاته : بذاتها ، م .

(١٧) الشبه : الشبهة ك .

(١٨) الفيضان : النقصان م .

(١٩) للفيض : الفيض ك .

وأما ثالثا فإن هذا الجسم إما أن يكون جملة البدن ، فيكون إذا نقص منه شيء لا يكون ما نشعر به أنا نحن موجودا ، وليس كذلك ، فإنى أكون أنا وإن لم أعرف أن لى يدا ورجلا أو عضوا من هذه الأعضاء ، على ماسلف ذكره فى مواضع أخرى ، بل أظن أن هذه توابعى ، وأعتقد أنها آلات لى أستعملها فى حاجات ، لولا تلك الحاجات لما احتيج إليها لى ، وأكون أيضا أنا . أنا وليست هى .

ولنعد إلى ما سلف ذكره منا فنقول : لو خلق لإنسان دفعة واحدة ، وخلق متباين الأطراف ، ولم يبصر أطرافه ، واتفق أن لم يمسه ، ولا تماسه ، ولم يسمع صوتا ، جهل وجود جميع أعضائه ، وعلم وجود إنثته شيئا واحدا مع جهل جميع ذلك . وليس المجهول بعينه هو المعلوم ، وليست هذه الأعضاء لنا فى الحقيقة إلا كالثياب التى صارت لدوام لزومها إيانا كأجزاء منا عندنا . وإذا تخيلنا أنفسنا لم نتخيلها عرا ، بل تخيلناها ذوات أجسام كاسية ، والسبب فيه دوام الملازمة . إلا أنا قد اعتدنا فى الثياب من التجريد والطرح ما لم نعتد فى الأعضاء ، فكان ظننا الأعضاء أجزاء منا أكد من ظننا الثياب أجزاء منا . وأما إن لم يكن ذلك جملة البدن ، بل كان عضوا مخصوصا ، فيكون ذلك العضو ١٥ هو الشيء الذى أعتقد أنه لذاته أنا ، أو يكون معنى ما أعتقد أنه أنا ليس هو ذلك العضو ، وإن كان لا بد له من العضو . فإن كان ذات ذلك العضو وهو كونه قلبا أو دماغا أو شيئا آخر أو عدة أعضاء بهذه الصفة هويتها أو هوية مجموعها هو الشيء الذى أشعر به أنه أنا ، فيجب أن يكون شعورى بأنا هو شعورى بذلك الشيء . فإن الشيء لا يجوز من جهة واحدة أن يكون مشعورا به وغير مشعور به ، وليس الأمر كذلك ، فإنى إنما أعرف أن لى قلبا ودماغا

(٤) ذكره : ساقطة منك || مواضع أخرى : موضع آخر د .

(٥) احتيج : احتج لك || لى : ساقطة منك .

(٦-٥) أيضا أنا أنا : أنا أيضا أنا لك ، م .

(١١) لدوام : لدرم د || عندنا : ساقطة منك د .

(١٤) فكان : وكان لك . (١٦) أنه لذاته : أنا ولذاته م .

(١٧) ذات : ساقطة منك م .

(١٨) عدة : عدم م .

(١٩) أشعر به : أشعرته لك ، م .

(٢١) وغير : غير د ، لك ، م || وليس : ثم ليس د ، لك .

بالإحساس والسمع والتجارب ، لا لأنى أعرف أنى أنا ، فيكون إذن ليس ذلك العضو لنفسه الشيء الذى أشعر به أنه أنا بالذات ، بل يكون بالعرض أنا ، ويكون المقصود بما أعرفه منى أنى أنا الذى أعنيه فى قولى : أنا أحسست وعقلت وفعلت ، وجمعت هذه الأوصاف شيئا آخر هو الذى أسميه أنا . فإن قال هذا القائل : إنك أيضا لا تعرفه أنه نفس فأقول : إني دائما أعرفه على المعنى الذى أسميه النفس ، وربما لا أعرف تسميته باسم النفس . فإذا فهمت ما أعنى بالنفس ، فهمت أنه ذلك الشيء ، وأنه المستعمل للآلات من المحركة والدراكة . وإنما لا أعرف مادمت لا أفهم معنى النفس ، وليس كذلك حال قلب ولا دماغ فأنى أفهم معنى القلب والدماغ ولا أعلم ذلك ، فأنى إذا عنيت بالنفس أنه الشيء الذى هو مبدأ هذه الحركات والإدراكات التى لى ومنتهاها فى هذه الحملة عرفت أنه إما أن يكون بالحقيقة أنا أو يكون هو أنا مستعملا لهذا البدن ، فكأنى الآن لا أقدر أن أميز الشعور بأننا مفردا عن مخالطة الشعور بأنه مستعمل للبدن ومقارن للبدن . وأما أنه جسم أو ليس بجسم ، فليس يجب عندى أن يكون جسما ، ولا يتخيل هو لى جسما من الأجسام البتة ، بل يتخيل لى وجوده فقط من غير جسمية . فيكون قد فهمت من جهة أنه ليس بجسم ، إذا لم أفهم الجسمية ، مع أنى فهمته . ثم إذا حققت فأنى كلما عرضت جسمية لهذا الشيء الذى هو مبدأ هذه الأفعال ، لم يجر أن يكون ذلك الشيء جسما ، فبالحرى أن يكون تمثله الأول فى نفسى أنه شيء مخالف لهذه الظواهر وأن تغلطنى مقارنة الآلات وشاهدتها وصدور الأفعال عنها ، فأظن أنها كالأجزاء منى ، وليس إذا غلط فى شيء وجب اه حكم ، بل الحكم لما يلزم أن يعقل . وليس إذا كنت طالبا لوجوده ولكونه غير جسم فقد كنت جاهلا بهذا جهلا مطلقا ، بل كنت غافلا عنه . وكثيرا ما يكون العلم بالشيء قريبا ، فيغفل عنه ، ويصير فى حد المجهول ، ويطلب من موضع أبعد .

(٢) أشعر به : أشعرته ك ، م .

(٣) أعنيه : أعينته م .

(٤) أنا : ماقطة من د .

(٥) دائما : وإلما ك .

(١٢) ومقارن : وقارن د .

(١٤) جسمية : جسيمته ك .

(١٥) إذا : إذ ك || ثم إذا : وإلزام .

(١٦) عرضت : فرضت ك .

(٢٠) يلزم : وجب م || لوجوده : الوجود م .

وربما كان العلم القريب جاريا مجرى التنبيه ، وكان مع خفة المؤونة فيه كالمذهب عنه ، فلا ترجع الفطنة إلى طريقه لضعف الفهم ، فيحتاج أن يؤخذ فيه مأخذ بعيد .
فبين من هذا أن لهذه القوى مجعما هو الذى تؤدى كلها إليه ، وأنه غير جسم وإن كان مشاركا للجسم أو غير مشارك . وإذ قد بينا صحة هذا الرأى فيجب أن نحل الشبه المذكورة .

أما الشبهة الأولى ، فنقول : إنه ليس يجب إذا كانت النفس واحدة الذات أن لا تفيض عنها في أعضاء مختلفة قوى مختلفة ، بل من الجائز أن يكون أول ما يفيض عنها في البزر والمنى قوة الإنشاء ، فتنشئ أعضاء على حسب موافقة أفعال تلك القوة . ويستعد كل عضو لقبول قوة خاصة لتفيض عنه ، ولولا ذلك لكان خلق البدن معطلا لها .

١٠

وأما من تشكك فجعل النفس عالمة لذاتها فهو غاسد ، فإنه ليس يجب إذا كان جوهر النفس خاليا بذاته عن العلم أن يستحيل له وجود العلم . فإنه فرق بين أن يقال : إن جوهر الشيء باعتبار ذاته لا يقتضى العلم ، وبين أن يقال : إن جوهره بذلك الاعتبار يقتضى أن لا يعلم ، فلأن لزوم الجهل مع كل واحد من القولين مختلف . فلأنا وإن سلمنا أن النفس بجوهرها جاهلة ، فلأنا نعى أن جوهرها إذا انفرد ولم يتصل به سبب من خارج لزمه الجهل ، بشرط الانفراد مع شرط الجوهر ، لا بشرط الجوهر وحده . ولأنا نعى بهذا أن جوهرها جوهر لا يعرى عن الجهل ، وإن لم نسلم ، بل قلنا : إن ذلك أمر عارض لها ، فليس يجب أن يكون مثل هذا العارض واردا على الأمر الطبيعى ، فإنه ليس إذا قلنا : إن الخشبة خالية عن صورة السريرية ، وأن ذلك اخلو ليس لجوهرها ، بل أمر عارض لها جائز الزوال . كان هذا القول كأنك تقول : يجب أن يكون قد كانت فيه صورة السريرية ثم انفسخت .

١٥

٢٠

(١) القريب : بالقريب د . (٤) الرأى : ساقطة من د .

(٨) أول : أولا حسب موافقة أفعال د || فتنشئ : فتنشأ د .

(٩-٨) حسب موافقة أفعال : ساقطة من د .

(٩) عنه : عنها ف . (١١) لذاتها : بذاتها ل .

(١٥) وإن : إذا ك ، م .

(٢١) لجوهرها : بجوهرها ك || لها : له د ، ك ، م .

(٢١) كأنك : كأنا د .

(٢٢) فيه : فيها ف || ثم انفسخت : وانفسخت م .

ومن المحال أيضا ما قاله المتشكك من ارتداد الشيء إلى ذاته ، فإن الشيء لا يغيب البتة عن ذاته ، بل ربما قيل إنه قد يغيب عن أفعال تختص بذاته ، وتم بذاته وحدها . وإنما يتوسع فيقال هذا ، لأن هذه الأفعال لا تكون موجودة له ، بل لا تكون موجودة أصلا . وأما ذاته فكيف تكون غير موجودة لنفسها وبالحقيقة ، فإن أفعاله لا يجوز أن يقال فيها إنه يغيب عنها . لأن الغائب هو موجود في نفسه غير موجود للشيء ، وهذه الأفعال ليست موجودة أصلا إلا وقت ما يوجد لها فلا يكون غائبا عنها ، وأما ذات الشيء فلا يغيب الشيء عنه ولا يرجع إليه .

وأما أصحاب التذكر فقد نقض احتجاجهم في الصناعة الآلية . وأما حجة هؤلاء الذين يجزئون النفس فقد أخذ فيها مقدمات باطلة ، من ذلك قولهم : إنه توجد النفس النباتية مفارقة للحساسة ، فيجب أن يكون في الإنسان شيء آخر غيره . فإن هذه المقدمة سوفسطائية ، وذلك لأن المفارقة تتوهم على وجوه ، والتي يحتاج إليها ههنا وجهان : أحدهما أنه قد تتوهم لها مفارقة ، كما للون عن البياض وللحيوان عن الإنسان إذ توجد هذه الطبيعة في غير البياض وتلك في غير الإنسان بأن يقارن كل فصلا آخر . وقد تتوهم مفارقة ، كما للحلاوة المقارنة للبياض في جسم ، فإنها قد توجد مفارقة له . فتكون الحلاوة والبياض قوتين مختلفتين لا يجمعهما شيء . وألحق المفارقات بالنفس النباتية للنفس الحساسة هو القسم الأول ، وذلك لأن النفس النباتية الموجودة في النخلة لا تشارك القوة النامية

(٢) إنه : ساقطة من ك ، م || أفعال : قد + ف .

(٣) وإنما : + هو ك || هذا : بهذا ك .

(٥) فيها : فيه د ، م .

(٧) فلا يكون غائبا : فلا تكون غائبة ك .

(٩) التذكر : التذكير م .

(١١) النفس : للنفس م .

(١٣) يحتاج : نحتاج ف || لها : له ك .

(١٥) يقارن : يفارق ك .

(١٦) البياض : البياض م || قد : ساقطة من د .

(١٧) شيء : + واحد ك .

(١٨) لأن : أن ك ، م .

- الموجودة في الإنسان البتة في النوع ، فإن تلك القوة ليست بحيث تصلح لأن تقارن النفس الحيوانية البتة ، ولا القوة النامية التي في الحيوان تصلح لأن تقارن النفس النخلية ، ولكن يجمعهما معنى واحد وهو أن كل واحدة منهما تغذى وتنسى وتولد وإن كانت بعد ذلك تفصل بفصل مقوم منوع ، لا بعرض فقط . والمعنى الموجود فيهما جميعا هو جنس القوة النباتية التي للإنسان ، ويفارق على جهة ما يفارق المعنى الجنسي . ونحن لا نمنع أن يوجد جنس هذه القوى لأشياء أخرى ، وليس في ذلك أنه يجب أن لا تجتمع هذه القوى في الإنسان لنفس واحدة ، بل ليس يجب من ذلك أن لا تكون الطبيعة النامية الموجودة في الحيوان مقولة على نفس الحيوانية التي له حتى تكون نفسه الحيوانية هي تلك القوة ، كما أن الإنسان ليس شيئا غير حصته في جنس الحيوانية . وهذا شيء قد تحقق لك في المنطق ، فهذا ١٠ ليس يوجب أن تكون النفس النامية التي في الإنسان غير النفس الحيوانية ، فضلا عن أن تكونا قوتى نفس واحدة ، فليس إذن النباتية التي في الإنسان توجد البتة مفارقة بنوعها للإنسان . واحتجاجهم غير منتفع به إذا كانت القوة لا تفارق بنوعيتها ، بل يجنسيتها ، وهما مختلفتان . ومع ذلك فلنضع القوة النباتية في الحيوان مخالفة للقوة الحيوانية فيه ، كأن كل واحدة منهما نوع محصل منفرد بنفسه ، ١٥ وليس أحدهما الآخر ، ولا مقولا عليه ، فما في ذلك مما يمنع أن تكون القوتان جميعا في الحيوان لنفس الحيوان ، كما أنه ليس إذا وجدت الرطوبة في غير الهواء ، ولست مقارنة للحرارة ، يجب من ذلك أن لا تكون الرطوبة والحرارة في الهواء لصورة واحدة أو لمادة واحدة ، وليس إذا كانت حرارة توجد غير صادرة عن الحركة ، بل عن حرارة أخرى ، يجب من ذلك أن الحرارة في موضع ٢٠ آخر ليست تابعة للحركة .

(٣) النخلية : + التي فيه د || واحدة : واحد د ، ك ، م .

(٤) كانت : كان د ، ك ، م || بعد ذلك تنفصل : تنفصل بعد ذلك د ؛ تنفصل بعد ذلك عنه

ك ، م .

(٦) أخرى : آخر ك ، م . (٧) في : ساقطة من ف || لا تجتمع : لا تجمع م .

(٨) نفس : النفس د ، ك .

(١١) النامية : النباتية ك .

(١٢) تكونا : تكون ك || قوتى : قوى د ، ك ، م

(١٤) مختلفتان : مختلفان د ، ك ، م .

(١٥) واحدة : واحد د ، ك ، م .

ونقول : ليس بمتنع أن تكون هذه القوى متغايرة بالنوع أيضا ، وتنسب إلى ذات واحدة هي فيها . فأما كيفية تصور هذا فهو أن الأجسام العنصرية تمنعها صرفة التضاد عن قبول الحياة ، فكلما أضعف من هدم طرف من التضاد ورده إلى التوسط الذي لاضد له جعلت تضرب إلى شبه بالأجسام السماوية ، فتستحق بذلك قبول قوة محيية من الجوهر المفارق المدبر ، ثم إذا ازدادت قربا من التوسط ازدادت قبول حياة حتى تبلغ الغاية التي لا يمكن أن يكون أقرب منها إلى التوسط ، ولا أهدم منها للطرفين المتضادين : فتقبل جوهرها مقارب الشبه من وجه . أما للجوهر المفارق كما للجواهر السماوية ، فيكون حينئذ ما كان يحدث في غيره من المفارق يحدث فيه من نفس هذا الجوهر المقبول المتصل به الجوهر . ومثال هذا في الطبيعيات : لتوهيم مكان الجوهر المفارق نارا أو شمسا ، ومكان البدن جرمًا يتأثر عن النار وليكن كرة ما ، وليكن مكان النفس النباتية تسخينها لإياها ، ومكان النفس الحيوانية إنارتها فيها ، ومكان النفس الإنسانية إشعالها فيها نارا . فنقول : إن ذلك الحرم المتأثر كالكرة ، إن كان ليس وضعه من ذلك المؤثر فيه وضعًا يقبل الاشتعال منه نارا ولا إضاءة وإنارته ، ولكن وضعًا يقبل تسخينه لم يقبل غير ذلك . فإن كان وضعه وضعًا يقبل تسخينه ، ومع ذلك هو مكشوف له أو مستشف أو ١٥ على نسبة إليه يستنير بها عنه استنارة قوية ، فإنه يسخن عنه ويستضيء معا ، ويكون الضوء الواقع فيه منه هو مبدأ أيضا مع ذلك المفارق لتسخينه . فإن الشمس إنما تسخن بالشعاع ، ثم إن كان الاستعداد أشد وهناك ما من شأنه أن يشتعل عن المؤثر الذي من شأنه أن يحرق بقوته أو شعاعه اشتعل فحدثت الشعلة جرمًا شبيها بالمفارق من وجه ، وتكون تلك الشعلة أيضا مع المفارق علة للتنوير والتسخين معا حتى لوبيقيت وحدها لاستتم أمر التنوير والتسخين . ومع هذا فقد

(٢) فيا : فيه د ، ك ، م .

(٤) شبه : تشبه ك .

(٩) الجوهر (الثانية) : ساقطة من د .

(١١) كرة : قوة م || وليكن (الثانية) : ولكن م .

(١٢) إشعالها : اشتعالها ك .

(١٤) ولا إضاءته وإنارته : ولا إضاءة ولا إنارة ك .

(١٦) نسبة : نسبه ك || يسخن : يتسخن ك .

(١٩) عن : من ف .

كان يمكن أن يوجد التسخين وحده ، أو التسخين والتنوير وحدهما ، ولم يكن المتأخر منهما مبدأ يفيض عنه المتقدم ، وكان إذا اجتمعت الجملة يصير حينئذ كل ما فرض متأخرا مبدأ أيضا للمتقدم وفائضا عنه المتقدم .

فهكذا فليتصور الحال في القوى النفسانية وسيأتى في بعض الفنون المتأخرة ما يشرح صورة الأمر في هذا حيث نتكلم في تولد الحيوان .

•

الفصل الثامن

في بيان الآلات التي للنفس

وبالحرى أن نتكلم الآن في الآلات التي للنفس ، فنقول : إنه قد أفرط الناس في أمر الأعضاء التي تتعلق بها القوى الرئيسة من النفس إفراطا في جنبتي الاجاج ، وركنوا إلى تعسف كثير وتعصب شديد مال إليه كل واحد من الفريقين حتى خرج من الحق . وأكثرهم غلطا من جعل النفس ذاتا واحدة وقضى مع ذلك أن الأعضاء الرئيسة كثيرة ، فإنه لما خالف فيه الفلاسفة القائلة بتكثر أجزاء النفس ، ووافق من قال بوحدايتها ، لم يعلم أنه يلزمه أن يجعل العضو الرئيس واحدا ، وهو الذي يكون به أول تعلق النفس . وأما المكثرون لأجزاء النفس فما عليهم أن يجعلوا لكل جزء منه معدنا مخصوصا ومركزا مفردا .

فنقول أولا : إن القوى النفسانية البدنية مطيتها الأولى جسم لطيف نافذ في المنافذ روحاني ، وإن ذلك الجسم هو الروح ، وإنه لولا أن قوى النفس المتعلقة بالجسم تنفذ محمولة في جسم لما كان سد المسالك حابسا لنفوذ القوى المحركة والحساسة والمتخيلة أيضا ، وهو حابس ظاهر الحبس عند من جرب التجارب الطبية ، وهذا الجسم نسبته إلى لطافة الأخلاط وبخاريتها نسبة الأعضاء إلى كثافة الأخلاط ، وله مزاج مخصوص ، ومزاجه يتغير أيضا بحسب الحاجة إلى اختلاف يقع فيه ليصير به حاملا لقوى مختلفة ، فإنه ليس يصلح المزاج الذي معه يغضب للمزاج الذي معه يشهى أو يحس ،

(١) الفصل الثامن : فصل ٨ ف ؛ فصل م .

(٢) في للنفس : ساقطة من م .

(٣) وبالحرى : فبالحرى ك || في للنفس : ساقطة من م . (٤) القوى : القوة م .

(٦) غلطا : + مع ك . (٩) وأما المكثرون : لو أن المكثرو د .

(١١) مطيتها : مظنتها م . (١٢) وإن : فإذن د .

(١٦) ليصير به - حاملا : يصير به ملاء م .

(١٧) فإنه : وإنه م || معه (الأولى) : منه ك ، م .

ولا المزاج الذى يصلح للروح الباصر هو بعينه الذى يصلح للروح المحرك . ولو كان المزاج واحدا لكانت القوى المستقرة فى الروح واحدة وأفعالها واحدة ، فإذا كانت النفس واحدة فيجب أن يكون لها أول تعلق بالبدن ، ومن هناك تدبره وتنميه ، وأن يكون ذلك بتوسط هذا الروح ، ويكون أول ما تفعل النفس : يفعل العضو الذى بوساطته تنبث قواها فى سائر الأعضاء بتوسط هذا الروح ، وأن يكون ذلك العضو أول متكون من الأعضاء وأول معدن لتولد الروح . وهذا هو القلب ، يدل على ذلك ما حققه التشريح المتقن ، وستزيد هذا المعنى شرحا فى الفن الذى فى الحيوان .

فيجب أن يكون أول تعلق النفس بالقلب ، وليس يجوز أن تعلق بالقلب ثم بالدماغ ، فإنها إذا تعلقت بأول عضو صار البدن نفسانيا ، وأما الثانى فإنما تفعل فيه لامحالة بتوسط هذا الأول . فالنفس تحيى الحيوان بالقلب ، لكن يجوز أن تكون قوى الأفعال الأخرى تفيض من القلب إلى الأعضاء الأخرى ، لأن الفيض يجب أن يكون صادرا من أول متعلق به ، فيكون الدماغ هو الذى يتم فيه مزاج الروح الذى يصلح لأن يكون حاملا لقوى الحس والحركة إلى الأعضاء حاملا يصلح معه أن تصدر عنها أفعالها . وكذلك حال الكبد بالقياس إلى قوى التغذية ، ولكن يكون القلب هو المبدأ الأول الذى أول تعلقه به ومنه تنفذ إلى غيره ويكون الفعل فى أعضاء أخرى . كما أن مبدأ الحس عند مخالفى هذا القول إنما هو فى الدماغ ، لكن أفعال الحس لا تكون به وفيه ، بل فى أعضاء أخرى كالجلد وكالعين وكالأذن . وليس يجب من ذلك أن لا يكون الدماغ مبدأ ، كذلك أيضا يجوز أن يكون القلب مبدأ لقوى التغذية ولكن أفعالها فى الكبد . ولقوى التخييل والتذكر والتصور لكن أفعالها فى الدماغ . بل ينبغى أن يكون المبدأ للقوى المختلفة غير صالح لأن يصدر عن معدنه جميع أفعالها . بل يجب أن تتفرع فى آلات مختلفة تتخلق بعد ذلك العضو تخلقا وتفيض من ذلك العضو إليها قوة ملائمة لمزاج ذلك الفرع واستعداده ، على ما ستقف عليه فى ذكر الحيوان ،

(٢) أول : ساقطة من م .

(٥) هذا : هله م .

(٧) المعنى : الشيء ك .

(٢١) لكن : ولكن د ، ك .

(٢٤) ما ستقف : ما تقف د .

حتى لا يكون على العضو الذى هو المبدأ ثقل . ولذلك خلقت العصب للدماغ والأوردة للكبد ، كان الدماغ والكبد مبدئين أوليين للحسن والحركة والتغذية أو كانا مبدئين ثانيين . وإذا فاض من القلب قوة التكوين والتخليق إلى الدماغ فتكون الدماغ ؛ فلا كثير بأس بأن يكون الدماغ يرسل من نفسه آلة يستمد بها الحس والحركة من القلب ، أو يكون القلب ينفذ إليه الآلة التى بتوسطها ينفذ إليه الحس والحركة . فلا يجب أن يقع من المضايقة فى أمر خلقة العصب أن مبدؤها من القلب أو من الدماغ ما هو ذا يقع ، بل نسلم أنه من الدماغ ويستمد من القلب ، كما أن الكبد يرسل إلى المعدة ما يستمد منها فيه ولها أيضا عروق تمد غيرها بها . فليس يجب أن يكون العضو الذى هو مبدأ قوة فيه أيضا أول أفعال تلك القوة ، وأن يكون آلة لأفعال تلك القوة ، بل يجوز أن تكون الآلة خلقت للاستمداد من شيء آخر ، وأن يكون إنما يستمد بعد تخلقها ، حتى يكون الدماغ أول ما تخلق لم يكن مبدأ للحس والحركة بالفعل ، بل مستعدا لأن يصير مبدأ مّا للأعضاء التى بعده إذا استمد من غيره بعد أن تتخلق آلة الاستمداد من غيره له ، فلما تخلق منه عصب ذاهب إلى القلب استمد الحس والحركة منه حيثئذ . ويمكن أن يكون مع تخلق هذا المنفذ بلا تأخر فلا تكون فى نفوذه عنه إلى القلب حجة أيضا ولا شبه حجة ، بل كما تخلق الدماغ يخلق معه من مادته شيء نافذ إلى القلب غريب عن القلب استمد منه الحس والحركة . على أن نبات هذا العصب من الدماغ ومصيره منه إلى القلب ليس شيئا يظهر الظهور الذى يظنه مدعى نبات العصب الذى بين الدماغ والقلب من الدماغ إلى القلب لامن القلب إلى الدماغ ، على ما سنوضحه فى موضعه من كلامنا فى طبائع الحيوان ونطول الكلام فيه طولا يشفى ويقنع .

ومع ذلك فلنعد إلى معاملة أخرى ، فنقول : إنه ليس بمستحيل أن يكون مبدأ وجود قوة هو فى عضو ، فتنفذ من ذلك العضو إلى عضو آخر ، وهناك تتم القوة وتتكامل ، ثم تنعطف إلى هذا العضو الأول فترفده . فإن الغذاء إنما يصير إلى الكبد من المعدة ، ثم إذ صار هناك على نحو ما عادت فغذى المعدة فى عروق تنبعث من الطحال والأجوف وتنبت فى المعدة ، فلا ضير أن يكون مبدأ القوة

(٣-٤) فتكون الدماغ : ساقطة من د .

(٣) فتكون : وتكون م .

(٢٣) وهناك : وهناك ك ، م .

(١٨) نبات : ثبات م .

(٢٥) هناك : هناك ك ، م || فغنى : فغداد ، ك ، م .

ينبعث من القلب مثلاً ولا تكون القوة في القلب كاملة تامة ثم إنها تفيد القلب إذا استكملت في عضو آخر . وهكذا حال الحس المشترك ، فإن مبدأ القوة الحساسة الجزئية منه ، ثم إنها تعود إليه بالفائدة .

- على أن حس القلب نفسه - وخصوصاً اللس - أعظم من حس الدماغ نفسه ، ولذلك أوجاعه لا تحتمل ، وعلى أنه ليس بممتنع في القوى أن تصير أقوى وأشد .
- في غير مبادئها لمصادفة مواد تجعلها بتلك الحال . ويشبه أن تكون قوة أطراف الأوتار على الجذب أشد من قوة أوائها التي تلي العصب . فالقلب مبدأ أول تفيض منه إلى الدماغ قوى : فبعضها تتم أفعالها في الدماغ وأجزائه كالتهيل والتصور وغير ذلك ، وبعضها تفيض من الدماغ إلى أعضاء خارجة عنه كما تفيض إلى الحدة وإلى العضل المحركة ، وتفيض من القلب إلى الكبد قوة التغذية . ثم تفيض ١٠ من الكبد بتوسط العروق في جميع البدن وتغذي القلب أيضاً ، فتكون القوة مبدؤها من القلب ، والمادة مبدؤها من الكبد .

- وأما القوى الدماغية فإن البصر يتم بالرطوبة الجليدية التي هي كالماء الصافي ، فتقبل صور المبصرات وتؤديها إلى الروح الباصر ، ويكون تمام الإبصار عند ملتقى العصبية المخوفة ، على ما علم من تشريحه وتعريف حاله . وأما الشم فبزائدين ١٥ في مقدم الدماغ كحلمتى اللى . وأما الذوق فبأعصاب دماغية تأتى اللسان والحنك وتؤتيها قوة الحس بالحركة . وأما السمع فبأعصاب دماغية أيضاً تأتى الصماخ فتغشى السطح المحيط به . وأما اللمس فبأعصاب دماغية ونخاعية تنتشر في البدن كله .
- وأكثر عصب الحس من مقدم الدماغ . لأن مقدم الدماغ ألين ، واللين أنفع في الحس ، ومقدم الدماغ كما يتأدى إلى خاف وإلى النخاع ٢٠ يصير أصاب ليتأرجح إلى النخاع الذى يجب أن تعين دقته الصلابة . وأكثر عصب الحركة التي من الدماغ إنما تنبت من مؤخر الدماغ ، لأنه أصلب ، والصلابة أنفع في الحركة وأعون عليها . والعصب الذى للحركة في أكثر الأمر

(٣) منه : منها د ، ك ، م .

(٧) تفيض : وتفيض د . (٨) فبعضها : بعضها ك ، م .

(١٤) الباصر : الباصرة ك .

(١٥) العصبية : العصب ك .

(١٧) وتؤتيها : وتؤتيها م || قوة : ساقطة من ف .

(١٩) لأن مقدم الدماغ : ساقطة من م .

(٢١) يصير : فيصير ك ، م .

تتولد منها العضل ، فإذا جاوزت العضل حدث منها ومن الرباطات الأوتار ، وأكثر اتصال أطرافها بالعظام وقد تتصل في مواضع بغير العظام : وقد تتصل العضلة نفسها بالعضو المحرك من غير توسط وتر . والنخاع كجزء من الدماغ ينفذ في ثقب الفقارات ، لئلا يبعد ما يتولد من العصب من الأعضاء ، بل يتولد منها العصب مرسلة بالقرب إلى الموضع المحتاج كونها به . وأما القوة المصورة والحس المشترك فهما من مقدم الدماغ في روح تملأ ذلك التجويف ، وإنما كانا هناك ليطلا على الحواس التي أكثرها وإنما تنبعث من مقدم الدماغ ، فبقى الفكر والذكر في التجويفين الآخرين ، لكن الذكر قد تأخر موضعه ليكون مكان الروح المفكرة متوسطا بين خزانة الصور وبين خزانة المعنى ، وتكون مسافته بينهما واحدة ، والوهم مستول على الدماغ كله وسلطانه في الوسط . ١٠

وأخلق بأن يتشكك متشكك فيقول : كيف ترسم صورة جبل بل صورة العالم في الآلة اليسيرة التي تحمل القوة المصورة ؟ فنقول له : إن الإحاطة بانقسام الأجسام إلى غير نهاية تكفي مؤونة هذا التشكك ، فإنه كما يرسم العلم في مرآة صغيرة وفي الحديقة بأن ينقسم ما يرسم فيها بجزاء انقسامه ، إذ الجسم الصغير ينقسم بحسب قسمة الكبير عددا وشكلا ، وإن كان يخالف القسم القسم في المقدار ، فكذلك حال ارتسام الصور الخيالية في موادها . ثم تكون نسبة ما ترسم فيه الصورة الخيالية بعضه إلى بعض في عظم ما يرسم فيه وصغر ما ترسم فيه ، نسبة الشئين من خارج في عظمهما وصغرهما مع مراعاة التشابه في البعد . ١٥

وأما قوة الغضب وما يتعلق بها فلم تحتج إلى عضو غير المبدأ ، لأن فعالها فعل واحد وتلائم المزاج الشديد الحرو وتحتاج إليه ، وليس تأثير المتفق منه أحيانا تأثير المتصل من الفكرة والحركة حتى يخاف أن يشتعل اشتعالا مفرطا ، وذلك لأنه مما يعرض أحيانا ، وذانك كاللازم ، مثل الفهم والفكرة وما يشبههما مما يحتاج إلى ثبات وإلى قبول . ويجب ٢٠

(٨) المفكرة : ساقطة من ك . (٩) الصور : الصورة ك .

(١٢) تحمل : تحتل ف .

(١٣) مؤونة : مؤنة ف ، ك ، م .

(١٤) بجزاء : بحسب ك .

(١٦) الصورة : الصور ك .

(١٦-١٧) ما ترسم وصغر : ساقطة من م .

(١٧) بعضه : بعضا د ، ك .

(٢٢) وذانك : وذيئك د ؛ وذلك ك ، م .

أن يكون العضو المعد له أرطب وأبرد ، وهو الدماغ ، لئلا يشتعل الحار الغريزي اشتعالا شديدا ، وليقلوم الالتهاب النكاثن بالحركة . ولما كانت التغذية مما يجب أن يكون بعضو عديم الحس حتى يمتلىء من الغذاء ويفرغ منه ، فلا يوجعه ذلك ، ولا يتألم كثيرا بما ينفذ فيه ومنه وإليه ، وأن يكون أرطب جدا كيما يحفظ الحار القوى بالمعادلة والمقاومة ، فجعل ذلك العضو الكبد وجعل قوة التوليد في عضو آخر شديد الحس ليعين على الدعاء إلى الجماع بالشبق ، وإلا لم يكن يتكلف ذلك لو لم يكن فيه لذة وإليه شبق ، إذ لا حاجة إليه في بقاء الشخص . واللذة تتعلق بعضو حساس فجعل له الأنثيان وأعيتتا بآلات أخرى بعضها لجذب المادة وبعضها لدفعها ، كما يأتيك ذكره حيث نتكلم في الحيوان .

(١) له : لها ؛ لهاك .

(٨) وأعيتتا : وأعيتاد ، م ؛ وأحسننا له .

(٩) الحيوان : + تم كتاب النفس وهو الفن السادس من الطبيعيات والحمد لله وحسن توفيقه

د ؛ + هذا آخر كتاب النفس وهو الفن السادس من الطبيعيات له ؛ + آخر كتاب النفس م .

معجم عربي لاتيني لأهم المصطلحات الفلسفية

LEXIQUE ARABE-LATIN

DES PRINCIPAUX TERMES TECHNIQUES

1. Ce lexique est sélectif : il ne mentionne que certain nombre de termes techniques qui nous ont paru intéressants soit en eux-mêmes soit pour la manière dont ils ont été traduits en latin au Moyen-Age. En second lieu, les références aux passages où se trouvent mentionnés ces termes ne sont pas exhaustifs : nous n'avons généralement indiqué que le premier passage où se rencontre le terme.
2. Le premier chiffre en caractères latins renvoie à l'édition latine du *De Anima* de Mlle Van Riet ; le second chiffre à notre édition arabe du Caire.
3. Quand plusieurs termes latins traduisent un même terme arabe, nous avons signalé par un astérisque le terme latin qui est plus fréquemment employé. On trouvera dans le lexique préparé par Mlle Van Riet la liste complète des passages pour chaque terme.

(١) ليس هذا المعجم شاملا ، بل هو مقصور على بعض المصطلحات الفلسفية الهامة ؛ وبوجه أخص المتصلة بعلم النفس . وقد اخترنا الكلمات لأهميتها الذاتية أو للوقوف على طريقة ترجمتها إلى اللاتينية في القرون الوسطى . ومن جهة أخرى ، لم نذكر جميع المواضع التي وردت فيها كل كلمة ، بل اكتفينا بذكر أول موضع وردت فيه .

(٢) يشير الرقم الأول (بالحروف اللاتينية) إلى الطبعة اللاتينية لكتاب النفس التي حققها الأنسة فان ريت ويشير الرقم الثاني إلى طبعتنا القاهرية .

(٣) عندما توجد عدة ترجمات لاتينية لكلمة عربية واحدة ، نشير إلى الكلمة الأكثر استعمالا بنجمة صغيرة . ومن أراد الاطلاع على جميع مواضع استعمالها فليرجع إلى معجم الأنسة فان ريت .

أدرك

33,99 apprehendere

إدراكات

70,85 apprehensiones

أذن

138,93 auditis

استعداد

64,10 aptitudo

استقصات

48,81 elementa

9,9 subjecta

أصل

123,77 fundamentum

139,21 origo

اعتبار

20,42 respectus

اعتدال

142,63 aequilitas

اعتقاد

II 74,69 conceptio

68,60 comprehensio

65,25 credulitas

تألف

II 21,86 conjunctio

تأليف

57,12 collectio

43,28 compositio

54,62 conjunctio*

مؤلفات

43,31 res compositae

ألم

260,93 dolare

137,90 dolere*

- 1 -

آلة

51,17 instrumentum

آلى

29,62 instrumentalis

آلات

29,59 instrumenta*

141,45 membra

آفات

127,28 languores

234,84 nocumenta

آن

261,9 modus

187,54 momentum

16,80 nunc*

أثر

263,55 actio

94,10 affectio*

263,45 impressio

277,98 motus

أثر

65,25 afficere*

263,54 agere in

256,38 efficere

263,42 imprimere

260,5 operari

تأثير

261,16 actio

245,68 passio

55,81 affectio

اختيارى

243,31 voluntarius

أخذ

94,16 apprehendere*

253,92 assumere

١٣ ، ٢ ؟	12,47 corporalis	بدني
٢٢ ، ٢٩ ؟	74,43 separatus	بريء
١٨ ، ١٧٦ ؟	II 63,16 sanitas	برء
١٣ ، ٥١ ؟	II7,88 abstrahere	برأ
١٤ ، ٥١ ؟	II7,89 abstractio	تبرئة
١٩ ، ٥٢ ؟	120,28 denudatus	مبرأ
٨ ، ٤٨ ؟	II0,7 frigiditas	برء
١٩ ، ١٥ ؟	43,22 frigiditas	برودة
٩ ، ٢٠ ؟	55,76 frigidus	بارد
٥ ، ١٠٨ ؟	224,30 infrigidare	برء
٢ ، ٦٢ ؟	139,15 humor crystallinus	بردية
٢ ، ٨٥ ؟	183,87 claritas	بريق
٢١ ، ٨٩ ؟	189,82 illuminatio	
٥ ، ٨٦ ؟	184,99 splendor*	
١٢ ، ٧٩ ؟	171,18 radiositas	
٤ ، ٨٦ ؟	184,97 splendor	براقية
٢ ، ٤٧ ؟	107,66 corpus	بزر
٨ ، ٤٧ ؟	108,76 semen	
١٤ ، ٥٢ ؟	119,20 simplicitas	بساطة

١٥ ، ٢٥ ؟	66,31 dolor	ألم
٦ ، ٥٩ ؟	133,20 dilatatio	اتساع
٧ ، ٢ ؟	12,38 homo	إنسان
٢ ، ٦٦ ؟	147,36 homo	ناس
١٤ ، ٣٠ ؟	76,63 homines	
١٦ ، ١ ؟	II,24 humanus	إنساني
١٨ ، ١٩ ؟	54,59 humanitas	إنسانية
٣ ، ٢١٣ ؟	136,68 docti homines	أهل التميز
١٧ ، ٦٧ ؟	204,00 deceptores	أهل الحيلة
٢١ ، ٣٧ ؟	92,81 prima (per se nota)	الأوليات
٨ ، ٢٢٠ ؟	II 153,11 inspiratus	مؤيد
٤ ، ٥٣ ؟	120,36 ubi	أين
— ب —		
١١ ، ٨ ؟	23,81 considerare	بخت
٢٠ ، ١١٦ ؟	240,79 objectio	
١٤ ، ١٠ ؟	27,35 tractatus	
٥ ، ٢٠٧ ؟	II 124,99 fatum	بخت
١٣ ، ٢ ؟	12,49 corpus	بدن

٦٠١٧ ؟	47,74 vanus	إبطال
٢٠١٠٢ ؟	212,30 destructio	بَنطَاسِيا (هَكَذا)
٢١٠٣٥ ؟	87,20 fantasia	مَسْتَبْطِنًا
١٣٠١٢٦ ؟	257,52 occultando se	باطن
٥٠٣٥ ؟	86,95 interior	
١١٠١٣٥ ؟	273,28 latens	
١٣٠١٣ ؟	37,56 occultus	(رَحْس) باطن
٦٠٣٥ ؟	86,4 (sensus) interior	بليد
٥٢٠٣٢ ؟	11 32,52 piger	بَلَّور
١٣٠٨٣ ؟	178,21 crystallus	بال
٣٠١٦٥ ؟	11 41,80 mens	(ت)
		تَأْمَل
٣٠١١ ؟	25,1 attendere	
٤٠١٨ ؟	49,00 considerare*	
٦٠١٠١ ؟	211,7 inspiscere	
١٢٠١٣ ؟	36,54 videre	تبع
٦٠١٠ ؟	28,43 consequi	
٤٠٥ ؟	14,71 sequi	تَفِه
٨٠٦٥ ؟	145,10 insipidum	تَفِه
٧٠٦٥ ؟	145,10 insipiditas	تَوَلِيد

١٩٠٦ ؟	19,20 simplex	بسيط
١٩٠٢٠ ؟	56,91 simplicia	بَسائِط
١٣٠٨ ؟	23,85 carnalis	بَشَر
١٠٠١٣ ؟	36,50 visus	بَصَر
١٩٠١٠٨ ؟	226,51 oculus	
٥٠١٠٢ ؟	212,34 pupilla	
١٢٠١٢٦ ؟	257,51 videns	بَاصِر
٩٠١٣٣ ؟	269,58 visibilis*	أَبْصَر
٣٠٥٦ ؟	127,32 videre	إبصار
٩٠١٣٩ ؟	280,52 sentire	
١٠٦٥ ؟	144,00 videre*	
١٢٠١٠٢ ؟	214,45 visio	قُوَّة مُبْصِرَة
٨٠١٣٣ ؟	269,57 virtus visibilis	مُبْصِر
٣٠١٢٧ ؟	258,69 quod videtur	تَبْصُر
٧٠١٠٢ ؟	213,37 videre	بَطَل
٦٠٥٧ ؟	129, n. 69 conversio	
٨٠١٣٤ ؟	271,87 deleri	
٢١٠١٥ ؟	43,27 destrui	بُطْلان
٢٠١٨ ؟	49,96 destructio	بَاطِل
١٢٠١٠٧ ؟	223,5 absurditas	
٤٠١٦ ؟	44,38 falsus*	

٤٠ ، ٣٩ ؟	94,18 denudare
١٨ ، ٥١ ؟	117,95 denudatio
	مُجَرَّد
٥٠ ، ٥٠ ؟	114,54 abstractus
٤٠ ، ١٩ ؟	52,33 nudus*
٩٠ ، ٩٠ ؟	190,99 solus
	جَرم
١٠ ، ٣٤ ؟	84,73 corpus
	أَجْرام
٥٠ ، ١ ؟	9,6 corpora
	الأجزاء التي لا تتجزأ
١٥ ، ١٤ ؟	40,87 atomi
١٧ ، ١٤ ؟	40,92 corpora indivisibi
	مُجْزِئَات
٨ ، ٢٣ ؟	80,12 particularia
	تَجَسُّس
١٧ ، ٦٥ ؟	146, n. 24 sentire
	جَسَدَانِي
٢٥ ، ٥٥ ؟	127,25 corporalis
	جِسْم
١٣ ، ١ ؟	10,19 corpus
	غير جسم
١٣ ، ١٤ ؟	39,85 incorporeus
	جُفُوف
٤٠ ، ٩٧ ؟	202,80 siccitas
	جِلْد
١٧ ، ٣٤ ؟	85,82 corpus
١٤ ، ٣٤ ؟	84,77 cutis
	جَلِيدِي
١٢ ، ١٣٢ ؟	268,39 crystaleidus
١٣ ، ١٠٩ ؟	227,67 crystallineus
	رَطُوبَة جَلِيدِيَة
٢٠ ، ٣٤ ؟	83,60 humor crystallinus

١٠ ، ٢ ؟	11,28 generare
١٠ ، ٢٢ ؟	58,33 generatio
	(ث)
	ثَغْن
	234,74 spissitudo
	ثَقَل
١٦ ، ١١٠ ؟	230,14 gravis
٩٠ ، ٥٩ ؟	133,26 gravitas
	ثَقِيل
٤٠ ، ٤٨ ؟	110,00 gravis
	ثَوَابِت
١٦ ، ١٠٣ ؟	215,75 stellae fixae
	(ج)
	جَبِيلَة
٣٠ ، ٩١ ؟	192,19 natura
	جَذَب
١٨ ، ٣٣ ؟	83,53 contrahens
	جَاذِب
١٤ ، ٤١ ؟	101,8 attractivus
	اِنْجِذَاب
٤٠ ، ٧١ ؟	156,62 (modus) attrahendi
	جَرَب
٢٠ ، ١٥٧ ؟	11 26,57 experiri
	تَجَرِبَة
١٧ ، ١٦٣ ؟	39,39 experientia
١٥ ، ١٣٦ ؟	39,37 discretio
	جَرَد
٧٠ ، ٥٠ ؟	115,61 abstrahere
١٧ ، ٥١ ؟	117,94 denudare*
١٥ ، ٥٢ ؟	119,21 expoliare
	تَجْرِيْد
٧٠ ، ٢٩ ؟	74,39 abstractio*

١٣٠٢٥ ؟	66,30 contingere	
١٧٠١٩ ؟	54,57 fieri	
٦٠٣٤ ؟	84,66 provenire	حُجَّة
١٦٠٦٦ ؟	148,56 ratio	حُجْم
٩٠٩٥ ؟	200,38 corpus	
١٥٠١١٠ ؟	230,12 moles	
٤٠٦٤ ؟	149,67 quantitas	حَدّ
٢٣٠٩ ؟	27,30 definitio	
١٠١٨ ؟	49,95 differentia	
٥٠١٢٧ ؟	258,71 distinctio	
٣٠٥١ ؟	115,74 modus	
٢١٠٦٧ ؟	151,94 terminus	محدود
٢٠٠٣٧ ؟	92,82 definitus	
١٢٠١٢٧ ؟	259,81 terminatus	غير محدود
٢٠٠٦ ؟	18,19 indeterminatus	أرباب الحدوس
١٠٢٢٠ ؟	II 152,99 homines ingeniosi	حدّس
٢١٠٢١٩ ؟	II 152,95 ingenium	
١١٠٢١٩ ؟	II 151, n. 79 subtilitas	
٤٠٢٧ ؟	68,57 subtilis	حدّقة
١٤٠٥٤ ؟	124,80 pupilla	تحديق
١١٠١٠٣ ؟	215,67 intueri	محازاة
٥٠١٣١ ؟	266,5 oppositio	محازي
٦٠١١١ ؟	231,31 oppositus	

٩٠١ ؟	10,13 res congelatae	جمادات
١٠٢٣ ؟	59,48 inanimalitas	جمادى
١٢٠٩٤ ؟	199,33 inanimatus	جامد
١٥٠٣٠ ؟	76,64 pulchrum	الجميد
١٨٠٦ ؟	18,17 genus	جنس
٤٠٢ ؟	11,33 generalis	جنسى
١٩٠٢٣ ؟	62,77 genus	جهات
٧٠١٦٧ ؟	II 46,50 dimensiones	مجوف
١٠٢٦ ؟	139,13 concavus	تجويف
٦٠٣٤ ؟	84,67 concavitas	عَصَبَة مجوّفة
٢٠٣٤ ؟	83,59 nervus opticus	جوهر
١٤٠٥ ؟	15,79 essentia	
١٧٠٦ ؟	18,15 substantia	
	(ح)	محبّة
١١٠٤٧ ؟	42,14 amor	حب
١١٠٤٧ ؟	108,81 appetere	أَحَبّ
١٤٠٢٥ ؟	65,23 appetere	حدّث
١٤٠١٧ ؟	48,86 accidere	

محسوسات	
١٠٠١٢٩	33,99 sensibilia
١٠٠٢٨٩	70,95 sensata
محسوس	
١٢٠٢٨٩	70,97 sensatus
١٥٠٦٩	18,13 sensibilis
حواس	
١١٠٢٨٩	70,96 sensus
حاسة	
١٣٠٢٠٩	55,83 sensus
حاس	
٣٠٥٠٩	114,50 sensibilis
٨٠٥٣٩	120,42 sentiens*
غير حساس	
١٠٠٢٠٩	55,78 non sentiens
حساس	
١٢٠٢١٩	57,12 sentiens
الحسيات	
٥٠٢٨٩	70,88 (apprehensiones) sensibiles
الحس الباطن	
٥٠٣٥٩	86,95 sensus interior
رحس	
٦٠٥٣٩	120,38 sensibilis
الحس الظاهر	
٥٠٣٥٩	86,95 sensus exterior
لا حس له	
٩٠١٩	10,13 (res) insensibilis
رحس	
١٧٠٦١٩	138,8 sensatum
٢٢٠١١٩	33,99 sensus
حفز	
٢٠٠١١٠٩	238,47 repercussio
الحافظة	
٢٠٢٧٩	89,53 (virtus) memorialis

حرارة	
١٠٠٥٩٩	134,28 caliditas
١٦٠١٢٩	35,25 calor
حار	
٨٠٢٠٩	55,75 calidus
حرص	
١٩٠١٦٥٩	11 43,6 studium
حرافة	
٧٠٦٥٩	145,9 acuitas
حروف	
١٧٠٣٩٩	95,3 elementa
حركة	
٥٠١٩	9,6 motus
حرك	
٢٠١٥٩	40,94 movere
متحرك	
٢٠١٢٩	33,2 mobilis
مُحرك	
٥٠٣٠٩	75,49 motivus
تحريك	
١٣٠١٦٩	45,50 motio
حزن	
٦٠١٦٦٩	11 43,15 tristitia
رحس	
١٦٠٢٤٩	64,2 sensibilitas
٢٠١١٩	30,69 sentire
إحساس	
١٧٠٧٩	21,52 sentire
١٢٠٢٠٩	55,80 sensus
أحس	
١٣٠١٣٩	36,52 sentire*
١٣٠٦٧٩	161,43 audire
١٦٠٤٨٩	111,20 sensificare
١٠٧٣٩	160,24 videre

٨٠٢٧٩	68,63 dulcis	حُلُو
١٠٥٤٩	123,74 dulcedo	حلاوة
٧٠١٢٩	12,37 dispositio	حال
١٣٠٦٧٩	203,96 modus	حامل
١٠٠١٠٤٩	217,99 subjectum	حامض
١٠٠٦٤٩	143,83 acetosus	حموضة
١١٠٦٤٩	143,85 acidus	استحالات
٧٠٦٥٩	145,9 acetositas	حالات
١٣٠٦٧٩	150,82 permutationes	أحوال
١٦٠١٠٦٩	221,76 dispositiones	حيوان
٦٠١٩	9,7 dispositiones	حياة
١٠٢٩	11,27 animal	حيات
١٩٠١٠٩	29,60 vita	خازن
٩٠١٣٤٩	271,91 (imaginatio) conservatrix	خزانة
١٤٠١٤٦٩	11,4,46 thesaurus	خشونة
٤٠٤٧٩	107,69 asperitas	خلط
١٠٠٦٤٩	143,83 humor	

٢٠١٤٩٩	11 9,9 (virtus) custoditiva	حفظ
٦٠١٥٠٩	11 11,48 (virtus) retentiva	حفظ
١١٠١٤٧٩	11 6,66 retinere*	حق
١٩٠١٥٤٩	11 19,60 tenere	حق
٤٠٢٣٧٩	11 184,17 conservare	تحقق
٨٠١٣٩	36,47 veritas	تحقيق
١٠٠٢٩٩	73,24 verum	تحقيق
٦٠١٩	9,7 certificare	حقيقة
٢٠٤٥٩	103,2 certificare*	حقيقة
٧٠٢٦٩	89,29 certitudo	حاكي
١٠٩٦٩	200,49 certificatio	حاكي
٤٠٥٤٩	123,67 certitudo	حاكي
٩٠١٥٧٩	11 25,38 repraesentare	حاكم
١٨٠١٥٦٩	11 24,26 assimilare	حاكم
١٣٠١٥٦٩	11 24,22 conformare	حاكم
١٥٠٩٣٩	196,89 iudicium	حاكم
١٨٠١٧٩	49,91 iudicare	حاكم
١٣٠٨١٩	175,80 subjectum	حاكم
١٤٠٢٣٩	61,68 advenire	حاكم
١٦٠٦٩	18,15 existere	حاكم
٤٠١٢٤٩	253,88 solvere	حاكم
١٩٠٢٨٩	71,8 resolvi	حاكم
٩٠٦٦٩	148,46 resolutio	حاكم

١٣٠٣٠ ؟	76,62 imaginari
٦٠٣٠ ؟	75,51 virtus imaginativa
١٥٠١٥١ ؟	II 13,70 imaginatio
	متخيلة
١٠٠٢٩ ؟	74,37 (virtus) imaginativa
	تخيالية
٩٠٤١ ؟	101,96 (virtus) imaginativa

— د —

	دبر
١١٠١١ ؟	31,82 regere
	تدبير
٥٠٤٨ ؟	110,1 actio
٢٠٠١٦ ؟	106,56 dominium
٤٠٤٧ ؟	107,70 gubernatio
١٩٠٢٤ ؟	64,7 rector

داخل

١٥٠٩٧ ؟	204,98 infundi
٨٩٠١٠٠ ؟	210,89 penetrare
٥٠١١١ ؟	231,27 permisceri

دسومة

٧٠٦٥ ؟	146,9 unctuositas
	ذقة
٢١٠٢٣٥ ؟	II 182,69 tenuitas

دل

١٠٠٢٦ ؟	67,49 demonstrare
٥٠٢٩ ؟	72,18 indicare
٢٠١٨ ؟	49,96 ostendere
١٠٠١٢ ؟	34,15 significare

دلالة

٧٠١٤٠ ؟	282,85 ostensio
٢٢٠٧ ؟	22,61 significatio

دليل

٨٠١٣٤ ؟	271,89 probatio
٨٠٥٢ ؟	118,12 ratio

تخلخل

١٣٠٩٧ ؟	203,95 raritas
---------	----------------

خلق

٦٠١٥٥ ؟	II 20,70 mores
---------	----------------

اختلاف

١١٠٨ ؟	23,81 diversitas
١٠٢٨ ؟	69,81 differentia

خفة

٩٠٥٩ ؟	133,26 levitas
--------	----------------

تخليق

٢٠٤٧ ؟	107,66 creare
٧٠٣٣ ؟	82,38 generare

خلق

١٠٠١٣ ؟	36,50 creare
---------	--------------

أخلاق

٢٢٠٢ ؟	13,65 mores
--------	-------------

خواطر

٢٠١٥٥ ؟	II 19,64 inspirationes
٦٠١٦٠ ؟	II 32,40 cogitationes

خير

٢١٠١٨٤ ؟	II 77,24 bonum
٦٠٥٢ ؟	118,10 bonitas

خاص

٤٠١٨ ؟	49,00 proprius
--------	----------------

خوف

١٠٠٣٥ ؟	86,2 timere
---------	-------------

خيال

١٠٠٢٨ ؟	70,94 imaginatio*
١٧٠١٣٣ ؟	270,71 (virtus) imaginativa

تخييلات

١٠٠٣١ ؟	78,93 imaginationes
---------	---------------------

تخييل

مذوق

٧٠٣١ 78,89 gustatum

— ر —

رؤيا

٣٠١٥١ II 12,53 somnium

٣٠١٠٢ 212,29 visus

رأى

٣٠١٨ 49,96 sententia

مرآة

٥٠١٠٤ 216,90 speculum

مرئيات

١٥٠١٣٦ 276,66 visibilia

مربية

١٢٠٤٦ 106,46 (virtus) augmentativa

مرتبة

١٦٠٤١ 102,12 ordo

رجح

١٥٠٢٠٣ II 117,96 praeponderare

رحمة

٥٠١٦٣ II 37,20 clementia

رداءة

١٠١٤٨ II 7,83 malitia

راسخ

١٧٠١٢٥ 256,30 impressus

رسم

١٢٠٣٢ 80,18 descriptio

رسول

١١٠١٠٢ 214,45 nuntius

رسوم

١٩٠١١٩ 246,76 descriptiones

٢٠٠٦٥ 147,28 discretones

رطوبة

٨٠١٥ 41,4 humiditas

استدلال

١٦٠١٤٠ 282,98 considerare

١٤٠١٤١ 283,14 significatio

دماغ

١٣٠١٣ 37,56 cerebrum

دوار

١٦٠١٣٦ 275,59 vertigo

— ذ —

ذكاء

٢٢٠٢١٩ II 152,96 subtilitas

متذكرة

٢٠١٤٩ II 9,12 (virtus) memorialis

١٠١٥٨ II 26,60 memoria

ذكر

٢١٠٢٩ 74,40 dicere*

٦٠٨٢ 177,3 enumerare

٢٠٣٨ 92,85 nominare

١٤٠١٣٤ 272,99 ostendere

١١٠٥ 16,81 praedicare

١٧٠٣٩ 96,38 praeponinare

ذات

٥ 16,84 essentia*

١٢٠١١٨ 244,37 natura*

٨٠١٤ 39,78 seipsum

بالذات

٢١٠١٢ 35,30 essentialiter

ذاهل

٢٠٠١٣ 37,67 stupidus

ذهن

٥٠١٩٧ II 102,00 ratio

١٩٠٢١٨ II 149,58 mens

١٦٠١٥١ II 13,72 intellectus

ذوق

١١٠٣٤ 84,74 gustus

— ز —

زمان	
١٠٠٧٤ ؛	163,68 tempus
زاوية	
٧٠١٠٤ ؛	217,94 angulus
— م —	
سبب	
١٢٠١٤ ؛	39,83 causa
سجية . . .	
١٨٠١٧٤ ؛	II 60, n. 55 facies
سخونة . . .	
١٨٠١٢٩ ؛	264,60 calor
مُسْرَعَة	
٣٠١٤٩ ؛	II 9,13 velocitas
سرمدى	
٧٠٢١٩ ؛	II 150,73 perennis
سرور	
١١٠٢٥ ؛	65,26 gaudium
سطح	
٩٠١٠٤ ؛	217,98 superficies
ساكن	
٢٣٠١٦ ؛	46,65 quietes
سكون	
٥٠١٦ ؛	44,40 quies
سقيم	
٢١٠١٨٤ ؛	II 77,25 falsus
سلب	
١٢٠١٢٤ ؛	254,00 abstrahere
سلطان	
١٢٠١٧٤ ؛	II 59,45 dominium
١٥٠١٦٦ ؛	II 50,18 potentia
تسليم	

رطوبة جليدية

٢٠٣٤ ؛	83,60 humor crystallinus
رُعْب	
٢٠١٧٥ ؛	II 60,57 terreri
تركيب	
١٥٠٣٤ ؛	85,80 compositio
مركَّب	
١٠٧ ؛	19,24 compositus
أركان	
١٢٠٤٨ ؛	III,14 anguli
راحة	
١٧٠١٦١ ؛	II 34,82 quies
رائحة	
٩٠٣٤ ؛	84,72 odor
روائح	
٢٠٥٥ ؛	125,00 odores
أراد	
٨٠٢ ؛	12,39 intendere
١٢٠١٣ ؛	80,18 velle
إرادة	
٢١٠٣٦ ؛	89,48 velle
٢٠١٢ ؛	33,3 voluntas
إرادات	
٦٠٢٩ ؛	72, n. 20 voluptates
إرادى	
١٠٠١ ؛	10,14 voluntarius
روح	
٩٠٥٦ ؛	128,42 spiritus
روية	
٧٠١٠ ؛	28,44 cogitare
٦٦٠٣٧ ؛	90,65 cogitatio
١٤٠٣٠ ؛	76,64 meditari
رباضى	
٢١٠٢ ؛	13,62 disciplinalis

	شبيهه	
٧ ، ٣٣ ؟	82,36 similis	
١٥ ، ١٥ ؟	42,16 similitudo	
	شبهه	
١٦ ، ١٩ ؟	54,56 similitudo	
	مُشابهة	
١١ ، ١٩ ؟	104,20 similitudo	
	شخص	
٩ ، ٩٥ ؟	199,36 pars	
١٦ ، ٤٥ ؟	105,26 singularis	
٦ ، ٢٦ ؟	67,44 singularitas	
	شر	
٧ ، ٥٢ ؟	118,10 malitia	
	شرف	
٢١ ، ١٥٩ ؟	11 26,59 nobilitas	
	مشاركة	
١٧ ، ٥٢ ؟	119,25 convenientia	
	اشترك	
٢٠ ، ٧ ؟	21,59 aequivocatio	
	اشترك	
١٧ ، ١١ ؟	32,90 convenire	
	بالاشتراك	
٢٠ ، ٧ ؟	21,59 aequivocatio	
	مشارك	
٩ ، ٢ ؟	12,41 communis	
	شرط	
١١ ، ١١٤ ؟	236,1 causa	
١٦ ، ١٣ ؟	37,60 necessarium	
١١ ، ١١٥ ؟	238,32 neccesitas	
	شعاع	
٥ ، ٧٩ ؟	170,8 radius	
	شعاعية	
٤ ، ٨٦ ؟	184,97 radiositas	

١٢ ، ١٠٧ ؟	223,4 concedere	
٤ ، ١٢١ ؟	249,20 credere	
	اسم	
٨ ، ٥ ؟	15,79 nomen	
	تسمية	
٢٣ ، ٦٥ ؟	147,32 appellatio	
	سمي	
١٤ ، ٨ ؟	24,87 appellare	
٦ ، ٢٤ ؟	62,87 dicere	
٨ ، ٥ ؟	15,78 imponere nomen	
٧ ، ٣٨ ؟	92,93 nominare	
٣ ، ٥ ؟	14,70 vocare*	
	اشترك الاسم	
٨ ، ٣٧ ؟	90,63 aequivoce	
	سمع	
٤ ، ٣٤ ؟	84,63 auditus	
	سمع	
١٦ ، ٥٧ ؟	130,78 audire	
	سماع	
٩ ، ١٧٧ ؟	11 64,34 coelum	
	سوفسطائي	
٥٦ ، ٢٢٨ ؟	11 169,56 sophisticus	
	سياسة	
٢١ ، ١٦٦ ؟	11 101,90 gubernatio	
	— ش —	
	شبح	
٤ ، ٦٦ ؟	147,39 corpus	
١١ ، ١٠٤ ؟	217,1 effigies	
٤ ، ١١٨ ؟	243,24 forma	
٢٢ ، ١٢٦ ؟	258,64 similitudo	
١٩ ، ١٠٤ ؟	218,15 simulacrum*	
	مُشابهة	
١٢ ، ١٠٥ ؟	219,39 oppositio	
٢ ، ١٢٤ ؟	253,85 quaestiuncula	

١٠ ، ٤١ ؛	101,00 (virtus) concupiscibilis	شوق
١٣ ، ١٧٢ ؛	II 55,96 voluntas	صاحب
٥ ، ١٧٢ ؛	II 55,84 velle	
١٤ ، ١٦٤ ؛	II 41,68 desiderium	شوقية
٥ ، ٣٠ ؛	75,50 (vis) desiderativa	شيف
	— ص —	
		صاحب
١ ، ٤٨ ؛	109,95 auctor	
١٨ ، ١٠٤ ؛	218,14 dominus	صدّر
٦ ، ٥ ؛	15,76 emanare	
١٣ ، ١٢ ؛	34,19 provenire	صدى
٥ ، ٧٠ ؛	154,35 tinnitus	صداقة
٣ ، ٢١٠ ؛	II 130,92 amicitia	صادق
٤ ، ٩٤ ؛	197,4 verus	تصديق
٢٥ ، ٣٩ ؛	97,47 credere	
١٠ ، ٢٥ ؛	65,24 credulitas	صلابة
١٠ ، ٥٩ ؛	134,27 durities	بحسب الاصطلاح
٧ ، ١٤٧ ؛	II 5,62 ad placitum	صقيل
١٧ ، ٨٥ ؛	183,82 politus	
٤ ، ٣٤ ؛	84,62 tersus*	مصلحة
٤ ، ١٨٣ ؛	II 74,65 utilitas	صناعة

١٢ ، ٧٣ ؛	161, n. 35 esse sensibile	شعر
٣ ، ٢ ؛	11,33 percipere	
١٧ ، ٢٠٧ ؛	II 125,19 cognoscere	استشعار
٨ ، ٢٥ ؛	65,22 percipere	شيف
٢ ، ٧٥ ؛	164,87 claritas	
١٢ ، ٨٣ ؛	178,20 pervietas	شفاف
١٣ ، ٨٣ ؛	178,21 crystallinus	
٣ ، ٣٤ ؛	84,62 radiosus	
٢٠ ، ٨١ ؛	176,90 pervius	
١١ ، ٨٠ ؛	172,40 translucens*	شك
١٢ ، ١٣ ؛	36,54 dubitare	شك
٦ ، ٢٧ ؛	68,59 dubitatio	إشراق
٧ ، ٦٦ ؛	207,46 splendor	شكل
٥ ، ١٠ ؛	27,42 figura	مشاكلة
٣ ، ٣٣ ؛	81,30 similitudo	إشكال
١٣ ، ١٠٤ ؛	217,4 difficultas	شم
١٩ ، ٦٦ ؛	149,61 odoratus	
٨ ، ٣٤ ؛	84,69 olfactus*	شنيع
٦ ، ٢٠ ؛	55,73 absurdus	شهيد
٥ ، ٥ ؛	14,71 videre	شهوة

	مضادة	
١٥ ، ٣٤ ؟	85,79 contrarietas	
	تضاد	
١٧ ، ٣٤ ؟	85,82 contrarietas	
	ضار	
١ ، ١٦٤ ؟	II 39,48 nocivus	
١٨ ، ١٦٣ ؟	II 39,41 nocumentum	
	ضعف	
١٥ ، ٢٥ ؟	66,32 debilitas	
٧ ، ١٠٦ ؟	220,63 remissio	
	أضغاث أحلام	
١ ، ١٥٧ ؟	II 25,28 illusio	
٢٢ ، ١٥٩ ؟	II 31,28 illusiones domniis	
	ضوء	
٥ ، ٨٧ ؟	186,28 claritas	
١٧ ، ٢٩ ؟	74,36 lumen	
	— ط —	
	طبيع	
٢ ، ١٦ ؟	43,34 natura	
	طباع	
١٤ ، ٢٢ ؟	59,38 natura	
	انطباع	
١٩ ، ١٠٤ ؟	218,15 impressio	
	طبيعيات	
٢ ، ١ ؟	9,3 naturalia	
	انطبع	
٢ ، ٣٤ ؟	83,60 formari	
١٥ ، ٤٠ ؟	99,73 imprimi*	
	طعم	
١١ ، ٥٤ ؟	123,75 gustus	
٩ ، ٢٧ ؟	68,65 sapor*	
	طعوم	
١٤ ، ٥٨ ؟	132,3 gustus	

١٥ ، ٣٩ ؟	96,34 ars	
١٠ ، ٩ ؟	25,12 doctrina	
	صانع	
١٣ ، ٢٤ ؟	63,98 efficiens	
٥ ، ٢٦ ؟	67,42 perficiens	
	صواب	
٧ ، ١٥٢ ؟	II 14,84 rectitudo	
	صماخ	
١٨ ، ٧٢ ؟	159,15 nervus	
٤ ، ٣٤ ؟	84, n. 64 nervus opticus	
٢١ ، ٧١ ؟	158, n. 87 nervus receptibilis soni	
١٧ ، ٢٣٥ ؟	II 181,63 cartilago	
	صوت	
١٢ ، ٧٠ ؟	155,50 sonitus	
	تصوّر	
٣ ، ١٤٩ ؟	II 9,16 formare*	
١ ، ١٧٤ ؟	II 58,28 formatio	
٥ ، ١٦٩ ؟	II 49,2 informare	
٨ ، ١٩٧ ؟	II 102,4 intelligere	
٢١ ، ٢٣٣ ؟	II 177,90 (virtus) formalis	
	صورة	
	passim forma	
	المصورة	
٢ ، ٣٦ ؟	88,23 (vis) informans	
	تصوّر	
١٦ ، ٣٦ ؟	89,42 formare	
٩ ، ٥٣ ؟	121,44 informari	
	— ض —	
	ضجر	
٣ ، ١٨٣ ؟	II 74,64 anxietas	
	ضحك	
١٥ ، ٣٧ ؟	91,73 risus	
	ضد	
١١ ، ٢٠ ؟	55,79 contrarius	

عدم

٦ ، ٨٤ ؛ 180,35 annihilatio
٥ ، ٢٧ ؛ 68,58 privatio

عداوة

١ ، ١٤٨ ؛ II 7,82 inimicitia

عدوبة

٨ ، ٧٥ ؛ 165,93 sapiditas

غرض

٢١ ، ٧ ؛ 22,60 accidere

عرض

١٢ ، ٥ ؛ 16,82 accidens

عرف

١٤ ، ٥ ؛ 16,84 cognoscere

٧ ، ١٢٧ ؛ 258,73 intelligere

٢٠ ، ٩ ؛ 26,54 scire*

معرفة

٥ ، ١ ؛ 9,6 cognitio

٥١ ، ٢ ؛ 13,51 scientia

١٣ ، ٥٨ ؛ 132,99 scire

تعسف

٥ ، ٢٣٢ ؛ II 174,40 arrogantia

عصب

٤ ، ٣٤ ؛ 84,63 nervus

عصبة مجوفة

٢٣ ، ٣٤ ؛ 83,59 nervus opticus

عضلة

٨ ، ٣٠ ؛ 75,55 musculus

عضو

١٥ ، ١٣ ؛ 37,59 membrum

عقوصة

٧ ، ٦٥ ؛ 145,9 ponticitas

عقل عملي

١٨ ، ٣٧ ؛ 91, n. 77 actio

مطلق

٢٢ ، ٣٠ ؛ 78,77 absolute

١٩ ، ٢٣ ؛ 62,77 absolutus

— ظ —

ظلمة

٥ ، ٨١ ؛ 174,69 obscuritas

٧ ، ٨٩ ؛ 188,64 tenebra

ظن

٧ ، ٨٣ ؛ 178,12 dicere

١٨ ، ٨ ؛ 24,93 putare*

ظن

٤ ، ٢٧ ؛ 67,56 opinio

ظهر

١٩ ، ٢٠ ؛ 56,92 apparere

٦ ، ١٢٦ ؛ 257,42 patere

ظواهر

١٨ ، ١٥ ؛ II 166,1 sensibilia

ظهور

168,39 apparentia

٨ ، ٨٣ ؛ 178,15 evidentialia

٧ ، ٨٣ ؛ 178,13 manifestatio

١٤ ، ٨٦ ؛ 185,13 ostensio

— ع —

تعبير

٤ ، ١٥٧ ؛ II 25,30 interpretatio

١٤ ، ١٥٦ ؛ II 23,11 significatio

تعجب

٨ ، ١٢٨ ؛ 260,6 admiratio

عدم

٥ ، ٢٧ ؛ 68,58 privatio

عدم

١٠ ، ٦٨ ؛ 152,9 annihilari

١٢ ، ٥٨ ؛ 132,97 destructus

٤ ، ٨ ؟	22,70 intelligere	
١٧ ، ٥ ؟	16,86 scire*	علم
١١ ، ١ ؟	10,16 scientia*	
١٣ ، ١ ؟	10,19 cognitio	علاقة
١٠ ، ٢١ ؟	57,9 colligare	
٤ ، ٤١ ؟	100,88 colligatio	
	23,34 comparatio	
١٥ ، ٣٨ ؟	94,4 debitum	
١٤ ، ٣٨ ؟	93,3 habitus	
٢ ، ٤١ ؟	100,85 obligatio	
		معلول
١٠ ، ١٠٦ ؟	221,68 causatum	
		علة
٩ ، ٢٢ ؟	58,32 causa	
		أعمال
١٩ ، ٣٧ ؟	91,79 actiones	
		عام
٤ ، ١ ؟	9,4 communis	
٦ ، ٤٩ ؟	112,36 generalis	
٩ ، ٢٤ ؟	62,91 universalis	
		عناصر
١٠ ، ١ ؟	10,14 elementa	
		معنى
١٦ ، ٦ ؟	18,13 intellectus	
٤ ، ٢ ؟	11,33 intentio*	
		معاني
٢ ، ٣٥ ؟	85,89 intentiones	
		عين
٥ ، ٣١ ؟	78,87 oculus	
	(موجود) في الأعيان	
١٧ ، ٢٣ ؟	61,74 (esse) sensible	
		معين

٤ ، ٤٠ ؟	97,54 intelligere	عقل
		عقل
٢٠ ، ١١ ؟	32,95 intellectus	
		عقل مستفاد
١٢ ، ٤٠ ؟	98,69 intellectus accomodatus	
		عقل
٦ ، ٢١ ؟	57,4 intelligibilis	
		عقل نظري
١٨ ، ٣٧ ؟	91,78 intellectus contemplans	
		العقليّات
٥ ، ٢٨ ؟	70,86 (apprehensions) intelgibiles	
		عقل قدسي
٣ ، ٢١٢ ؟	11 134,40 intellectus sanctus	
		معقول
١٢ ، ٢١ ؟	57,13 (res) intellecta	
٦ ، ٣٠ ؟	75,51 (virtus) intellectiva	
١٦ ، ٦ ؟	18,13 intelligibilis	
		معقولات
٣ ، ١٥٩ ؟	11 29,96 intelligibilia	
٥ ، ٢٠٨ ؟	11 126,33 res intelligibiles	
٩ ، ٣٠ ؟	76,63 intelligibilia	
		المعقولات الأولى
٢٣ ، ٣٩ ؟	96,46 per se nota	
٢٤ ، ٣٩ ؟	97,47 prima intelligibilia	
		انعكاس
١٤ ، ٨٤ ؟	180,48 reverberatio	
		منعكس
٢ ، ١٠٥ ؟	218,23 repercussus	
٥ ، ١١٥ ؟	237,20 reverberatus	
		عكس
١٤ ، ٩٩ ؟	208,56 reverberatio	
		علم
٤ ، ٤٥ ؟	103,8 cognoscere	

	انفراد	
١٣ ، ٩٥ ؟	200,37 esse solum (per se)	
	مُفرد	
٧ ، ٩٤ ؟	197,9 per se	
٦ ، ١١٢ ؟	233,60 separatim	
٣ ، ١٣٩ ؟	280,43 singuli	
	31,85 solitarius	
١٠ ، ٩٠ ؟	190,1 solus	
	فرض	
١ ، ١٦٨ ؟	II 46,67 ponere*	
٨ ، ١٩١ ؟	II 90,12 assignare	
	تفریع	
٥ ، ٤٨ ؟	110,1 ramificare	
	فرق	
١٥ ، ٣٢ ؟	81,22 differentia	
	فرقة	
١٠ ، ٢٢١ ؟	II 154,31 secta	
	تفرق	
١ ، ٩٨ ؟	205,8 divisio	
٢ ، ٩٨ ؟	205,11 dispersio	
٧ ، ٦٠ ؟	135,54 solutio	
	تفرق الاتصال	
٧ ، ٦٠ ؟	135,54 solutio continuationis	
	مفارق	
٤ ، ١٩١ ؟	II 89,5 separatus	
	مفارقة	
٧ ، ٢٣ ؟	60,57 separatio	
	فُرْقَان	
١٢ ، ٣١ ؟	79,97 differentia	
	فساد	
٧ ، ١ ؟	9,9 corruptio	
٦ ، ٢١ ؟	57,3 destructio	
	تفصیل	
١١ ، ١٧٨ ؟	II 67,74 distinctio	

١٤ ، ٢٩ ؟	73,31 designatus	
	— غ —	
	غذاء	
١٦ ، ١٤ ؟	40,89 nutrimentum	
	الغاذية	
٧ ، ٣٣ ؟	81,29 (vis) nutritiva	
	غريزة	
١ ، ١٥٦ ؟	II 22, n. 98 natura	
	غريزى	
١٨ ، ١٥ ؟	43,21 naturalis	
	غرض	
١٠ ، ٢٧ ؟	68,65 intentio	
١٦ ، ١٣٤ ؟	272,1 propositio	
	غضب	
١٩ ، ١٦١ ؟	II 34,85 ira	
١٠ ، ٤١ ؟	101,1 (virtus) irascibilis	
	غفول	
١ ، ١٥٢ ؟	II 13,76 esse negligens	
	غلط	
٣ ، ٤٨ ؟	109,98 error	
	غم	
١١ ، ٢٥ ؟	65,26 dolor	
	غيب	
٦ ، ١٥٨ ؟	II 27,69 absentia	
	غاية	
٣ ، ١٧٤ ؟	II 58,32 finis	
	مُغیرات	
٧ ، ٢٥ ؟	65,19 permutantia	
	تغایر	
٦ ، ٢٦ ؟	67,44 alteritas	
	— ف —	
	فرح	
١٤ ، ٢٥ ؟	66,29 gaudium	

مفكرة

٤ ، ١٣٤ ؛ 271,82 (virtus) cogitationis

فكر

١٥ ، ١٥١ ؛ II 13,71 cogitatio

٥ ، ١٦٠ ؛ II 32,38 sollicitudo

فلكى

٢٢ ، ١٠ ؛ 29,65 (anima) coeli

فن

٣ ، ١ ؛ 9,4 liber

فنتاسيا

٩ ، ٤١ ؛ 101,99 fantasia

فهم

٢ ، ١٠ ؛ 27,37 cognoscere

٦ ، ٨ ؛ 23,74 intelligere

مستفاد

١٧ ، ٤٠ ؛ 99,74 accomodatus

١٢ ، ١٣٩ ؛ 280,57 acquisitus

العقل المستفاد

١٢ ، ٤٠ ؛ 98,69 intellectus accomodatus

فيض

١٤ ، ٢٠٨ ؛ II 127,49 emanatio

— ق —

قباضة

١٤ ، ١٠٠ ؛ 209,86 (virtus) constrictionis

قابل

١٨ ، ٢٩ ؛ 74,36 receptibilis

٢٢ ، ٣٠ ؛ 78,77 recipiens*

مقابل

١ ، ٢٣ ؛ 60,49 oppositius

قدر

٤ ، ١٠٦ ؛ 226,61 dimensio

١١ ، ١٣٠ ؛ 265,82 mensura

٣ ، ٤٠ ؛ 97,52 modus

١٣ ، ١٥١ ؛ II 13,68 divisio

فاض

١١ ، ٧٩ ؛ 171,17 emanans

٩ ، ١٢٦ ؛ 257,47 procedere

فضيلة

١٠ ، ١٨١ ؛ II 70,15 nobilitas

فطن

١٤ ، ١٣٠ ؛ 265,86 percipere

فطنة

٢ ، ٢٢٧ ؛ II 167,10 ingenium

انفعل

١٨ ، ٣٠٠ ؛ 72,72 affici

١١ ، ٢٠ ؛ 55,79 pati

فعالة

١٧ ، ٢٢١ ؛ II 155,42 (anima) agens

فعال

٢ ، ٢٠٨ ؛ II 126,27 agens

أفعال

٧ ، ١ ؛ 9,10 actiones

١٣ ، ٢ ؛ 12,47 affectiones

١٩ ، ١٠ ؛ 29,60 opera

منفعل

٥ ، ٣٨ ؛ 92,89 passibilis

٩ ، ١١٨ ؛ 243,32 patiens

٩ ، ٤٨ ؛ 110,8 passivus

بالفعل

١ ، ٦ ؛ 17,92 in actu

فعل

٩ ، ٦ ؛ 18,5 actio

فعل

١٠ ، ٣٢ ؛ 80,14 agere

١٢,46 facere

١٩ ، ٢٤ ؛ 64,6 efficere

٢٢ ، ١٠ ؛ 30,66 operari*

٣٠٤٧٠	107,68 dimensio
١٦٠١١٠٠	230,13 magnitudo
٦٠٤٦٠	105,36 mensura
١٠٠١١١٠	231,37 moles
١٠١١٢٠	232,52 quantitates
٧٠٣٢٠	80,9 quantum

استقراء

٢٠١٢٨٠	260,97 inductio
--------	-----------------

قدسي

٣٠٢١٢٠	II 134,40 sanctus
--------	-------------------

مقدمة

٢٠٣٧٠	92,81 propositio
-------	------------------

تقدم

٧٠٢٠٤٠	II 118,10 prioritas
--------	---------------------

١٠٠٢١٠٠	II 131,4 prius
---------	----------------

قديم

١٢٠١٩٩٠	II 107,76 aeternus
---------	--------------------

قرع

٩٠٧٠٠	155,41 percussio
-------	------------------

مقارن

٩٠٤٩٠	II 13,42 adjunctus
-------	--------------------

٩٠٣٩٠	280,51 conjunctus
-------	-------------------

قصص

١٤٠٣٩٠	95,33 appetere
--------	----------------

قصم

١٧٠٥١٠	II 7,93 abstractio
--------	--------------------

قلب

١٣٠١٣٠	37,56 animus
--------	--------------

٥٠٦٢٠	139,19 cor
-------	------------

قيوام

16,90 constitutio

١٤٠٦٢٠	140,25 essentia
--------	-----------------

١٠١٢٢٠	250,45 existentia
--------	-------------------

١٢٠٢٣٠	60,63 (causa) perficiendi
--------	---------------------------

passim potentia
virtus*

قوى

٢٠٢٠٠	11,29 vires
١٠٣٨٠	92,84 virtutes

— ك —

كثرة

١٠٠١١٠٠	32,87 multiplicitas
---------	---------------------

٧٠١١٢٠	234,74 multitudo
--------	------------------

تكاثف

١٨٠٧٤٠	164,81 constrictio
--------	--------------------

كثافة

١٠٠٢٣٢٠	II 175,57 spissitudo
---------	----------------------

كذب

١٢٠١٠٠٠	209,82 mentiri
---------	----------------

كراهية

٩٠٢٥٠	65,23 odium
-------	-------------

مستكره

١١٠١٧٢٠	II 55,93 turpis
---------	-----------------

ممكنسب

٦٠٤٠٠	98,57 adeptus
-------	---------------

كل

٢٠٢١٠٠	55,96 totus
--------	-------------

كلام

١٠١٦٦٠	II 49,95 verbum
--------	-----------------

مكلى

١٠٢٨٠	69,79 communis
-------	----------------

٣٠٥٠٠	II 4,51 generalis
-------	-------------------

١٨٠٢٣٠	61,76 universalis
--------	-------------------

الأمور الكلية

١١٠٣٢٠	80,15 universalia
--------	-------------------

كمية

	لمس	
١٤ ، ٣٤ ؟	84,77 tactus	
	ملسوسات	
١٩ ، ٦٥ ؟	146,27 tacta	
	لمعان	
١٨ ، ٨٦ ؟	185,19 lumen	
٥ ، ٨٧ ؟	186,29 splendor	
	لون	
	passim color	
	إلهام	
١٩ ، ١٨٢ ؟	II 73,55 instinctus insitus	
١ ، ١٨٤ ؟	75,95 instinctus naturae	
	إخامات	
١٠ ، ١٦١ ؟	II 38,28 cautelae	
٥ ، ١٦٢ ؟	II 37,20 cautela	
	ملونات	
٢ ، ٨٥ ؟	183,87 colorata	
	لين	
١٠ ، ٥٦ ؟	134,27 mollities	
	— م —	
	مبدأ	
٢٠ ، ١٢٧ ؟	260,91 primum	
٧ ، ٥ ؟	15,77 principium*	
	مثل	
١٩ ، ٦٥ ؟	146,26 similitudo	
	مادة	
١٣ ، ١ ؟	10,19 materia	
	مذعور	
١ ، ١٧٥ ؟	II 60,57 timidus	
	مرارة	
٧ ، ٦٥ ؟	145,8 amaritudo	
	مرض	
٢ ، ١٧٧ ؟	II 64,23 infirmitas	

٨ ، ١١٢ ؟	234,78 quantitas	كمال
١٣ ، ٦ ؟	18,10 perfectio	
		كامن
١٧ ، ٦٥ ؟	146,23 occultus	
		كوكب
١٠ ، ١١ ؟	31,81 stella	
		كيف
٤ ، ٣١ ؟	78,85 qualitas	
		كيفية
٨ ، ١ ؟	9,10 qualitas	
	— ل —	
		ملاحظة
٧ ، ١٣ ؟	36,47 (virtus) inspiciendi	
		لواحق
٧ ، ٥١ ؟	116,80 accidentia	
٧ ، ٥٠ ؟	115,61 appendicia	
		لذة
٧ ، ٢١٩ ؟	II 150,73 delectatio	
١١ ، ١٧٣ ؟	II 57,17 delectamentum	
١٨ ، ١٦٣ ؟	II 39,40 deliciae	
٩ ، ٦٠ ؟	136,57 voluptas	
		لزوجة
١ ، ٥٩ ؟	134,27 viscositas	
		لسان
٦ ، ٣١ ؟	78,87 lingua	
		لطيف
١٧ ، ٦٧ ؟	151,66 subtilis	
٥ ، ١٢٦ ؟	256,40 tenuis	
		لعابي
٥ ، ٦٤ ؟	143,80 (humor) salivae	
		ملافاة
١٩ ، ٦٧ ؟	151,90 occurrere	
٤ ، ١٢٨ ؟	260,99 offensio	

	نباتية	
١٠ ، ٤٨ ؛	II 0, n. 12 (virtus) animativa	
٢ ، ٤٩ ؛	II 2,32 vegetabilitas	
١٧ ، ٢٤ ؛	64,5 (vis) vegetandi	
	نبى	
٥ ، ١٧٨ ؛	II 66,64 propheta	
	نبوة	
٢٠ ، ١٥٤ ؛	II 19,61 prophetia	
	تشبيه	
١٠ ، ١٥٤ ؛	II 18,44 excitare	
	استنباط	
١٤ ، ٣٠ ؛	76,64 adinvenire	
	نحى	
٢ ، ٤٧ ؛	II 7,65 appetere	
	نخاع	
٢١ ، ٢٣٥ ؛	II 181,68 spina	
٢ ، ٢٣٦ ؛	II 182,79 nucha	
	نزع	
١٠ ، ٥١ ؛	II 6,85 abstrahere	
	نزع	
٦ ، ٥٠ ؛	II 4,59 abstractio	
	نزوعية	
١١ ، ٣٣ ؛	82,44 vis vel virtus appetitiva	
	نسبة	
٦ ، ٢ ؛	12,36 comparatio	
	متناسب	
٥ ، ٣٣ ؛	82,33 proportionalis	
	تناسخ	
٢ ، ٢٠٢ ؛	II 113,45 transferri	
	استنشاق	
٢٠ ، ١٥ ؛	43,24 attractio	
١٨ ، ٦٥ ؛	146,24 olfacere	
	نطق	
١٩ ، ١١ ؛	32,94 rationalitas	

٥ ، ١٧٥ ؛	II 60,62 aegritudo	
	مزاج	
١٢ ، ١٥ ؛	43,25 complexio*	
١٢ ، ٩١ ؛	192,31 commixtio	
	تماسة	
٧ ، ١٣٩ ؛	280,49 contactus	
١٤ ، ٦١ ؛	138,4 tactus	
	تماسات	
١٥ ، ٦١ ؛	138,5 tangencia	
	تماسك	
١٠ ، ٤٨ ؛	II 0,10 retentio	
	مقلّة	
٤ ، ٦٩ ؛	154,28 oculus	
	ملاسة	
٤ ، ٤٧ ؛	107,69 lenitas	
	ملكة	
٥ ، ٢٧ ؛	68,59 habitus	
	ملال	
٢ ، ١٩٥ ؛	II 97,29 mutabilitas	
	ماهية	
١٤ ، ٥ ؛	16,84 quid sit	
١ ، ١٨ ؛	49,94 essentia	
١٠ ، ٥٠ ؛	115,62 substantia	
	غير مائت	
١٠ ، ١٤ ؛	39,81 immortalis	
	ميز	
١٢ ، ١١٦ ؛	239,66 cognoscere	
١ ، ٦٢ ؛	193,43 sentire	
	ميل	
٣ ، ٦٠ ؛	135,48 inclinatio	
	— ن —	
	نبات	
١١ ، ١ ؛	10,17 vegetabile, vegetabilia	

	نما	
٣ ، ٢٢٩ ؟	II 170,69 augmentare	
	نامية	
١٢ ، ٤١ ؟	IOI,5 (virtus) augmentativa	
٨ ، ٢٥ ؟	65,22 (virtus) vegetabilis	
	نور	
١٥ ، ٧٩ ؟	171,22 lumen	
	نوع	
٢ ، ٢ ؟	II,30 species	
٢٠ ، ٢٩ ؟	74,39 modus	
	نوم	
٣ ، ١٥١ ؟	II 12,53 somnus	
	نوم و يقظة	
٣ ، ١٥١ ؟	II 12,53 somnus et vigiliae	
	— ه —	
	هباء ، هبثات	
١٧ ، ١٤ ؟	40,91 atomi	
	هم	
١٢ ، ١٤٥ ؟	II 2,19 appetere	
	هم	
٩ ، ١٧٥ ؟	II 61,68 sollicitudo	
	هيئة	
١٢ ، ٨ ؟	23,85 affectio	
٦ : ١٠٢ ؟	212,34 modus	
	هيولى	
١٠ ، ٢٦ ؟	67,48 hyle	
١٤ ، ٩ ؟	26,17 materia	
	— و —	
	واردات	
١٢ ، ٦٢ ؟	140,30 accidentia	
	وتر	
٣ ، ٢٣٦ ؟	II 182,78 corda	

	نقطة	
١٥ ، ١٩ ؟	53,48 punctum	
	منطق	
١٠ ، ٩ ؟	25,12 ars logica	
	نظر	
٣ ، ٩ ؟	25,1 considerare	
٤ ، ١٨ ؟	49,00 inspicere	
	نظر	
١١ ، ١ ؟	10,16 considerare	
١٤ ، ١٣٠ ؟	265,86 consideratio	
١٥ ، ١٣٧ ؟	277,99 inspicere	
١٩ ، ٢ ؟	13,61 tractare de	
٨ ، ٨ ؟	23,77 videre	
٤ ، ٢ ؟	II,34 tractatus	
	نظام	
٨ ، ١٨١ ؟	II 70,11 ordo	
٢٠ ، ٢١٣ ؟	II 138,93 ordinatio	
	(عقل) نظرى	
١٨ ، ٣٧ ؟	91,78 intellectus contemplans	
١٧ ، ٤٠ ؟	99,75 intellectus contemplativus	
	(قوة) نظرية	
١٧ ، ٣٩ ؟	96, n. 37 perfectio contemplativa	
١٦ ، ٣٨ ؟	94,6 virtus contemplativa	
	نافذ	
١٤ ، ١٠٠ ؟	209,86 (virtus) penetrabilitatis	
	نفس	
	passim anima	
٣ ، ١٠ ؟	27,38 mens	
	نفسى	
٤ ، ١٩ ؟	52, n. 33 animalitas	
	نفسانى	
٢ ، ٢ ؟	II,29 animalis	
	النقيض	
٧ ، ٢٧ ؟	68,60 contradictoria	

٢٠٦٤	17,93 subjectum	موضوع
٤٠٤١٤	100,89 aestimatio	وهم
٢١٠٣٦٤	89,48 (virtus) aestimationis	وهمية
٩٠٦٨٤	152,8 cogitare	توهم
٩٠١٣٠٤	36,49 putare	
٦٠١٣٤٤	271,85 (virtus) aestimationis	متوهمه
—	—	—
١٧٠٤١٤	102,14 siccitas	يبوسة
١٩٠١٥٩٤	II 31,25 vigilia	يقظة
٢٠٣٧٤	68,57 certitudo	يقين

١١٠٢٠٩٤	II 128,70 adunatio	توحيد
٣٠١٩٢٤	II 91,37 unitas	وحدة
٤٠٢٣٠٤	II 172,00 temperentia	توسط
١٦٠٢٠٤	55,86 medium	واسطة
١٠٠١٨٢٤	II 72,40 medius	متوسط
٢٠١٤٨٤	II 7,84 concordia	موافقة
١٥٠٤٠٤	99,73 conjunctio	اتصال
٧٠٦٠٤	135,54 continuitas*	
١٠١٩٤	52,29 situs	وضع
٣٠٢٠٤	54,68 positio	
١١٠٨٤	23,81 locus	موضع

Latin Vol. I	Le Caire	Oxford	Latin Vol. I	Le Caire	Oxford
اللاتيني ج ٢	القاهرة	اكسفورد	اللاتيني ج ٢	القاهرة	اكسفورد
144,63	١٨٠ ٢١٥		166,00	١٦٠ ٢٢٦	
145,75	٥٠ ٢١٦		167,10	٢٠ ٢٢٧	
145,86	١٣٠ ٢١٦	245	167,15	٦٠ ٢٢٧	258
146,91	١٤٠ ٢١٦		168,26	١٢٠ ٢٢٧	
147,10	٧٠ ٢١٧		168,40	٢٢٠ ٢٢٧	259
147,14	١٠٠ ٢١٧	246	169,43	٢٠ ٢٢٨	
148,28	١٠ ٢١٨		170,61	١٥٠ ٢٢٨	
148,41	٦٠ ٢١٨	247	170,66	١٨٠ ٢٢٨	260
149,42	٨٠ ٢١٨		171,76	٧٠ ٢٢٩	
150,59	١٩٠ ٢١٨		171,90	١٦٠ ٢٢٩	261
150,64	٢٠ ٢١٩	248	172,93	١٨٠ ٢٢٩	
151,75	٨٠ ٢١٩		173,14	١٢٠ ٢٣٠	
151,87	١٦٠ ٢١٩	249	173,15	١٣٠ ٢٣٠	262
152,89	١٧٠ ٢١٩		174,31	٢٠ ٢٣١	
153,08	٧٠ ٢٢٠		174,37	٣٠ ٢٣٢	
153,13	١٠٠ ٢٢٠	250	174,39	٤٠ ٢٣٢	
154,23	٥٠ ٢٢١		175,44	٧٠ ٢٣٢	263
155,33	١١٠ ٢٢١		176,61	١٧٠ ٢٣٢	
155,38	١٤٠ ٢٢١	251	176,66	٤٠ ٢٣٣	264
156,54	٦٠ ٢٢٣		177,78	١٣٠ ٢٣٣	
156,67	١٥٠ ٢٢٣	252	177,95	٢٤٠ ٢٣٣	265
157,71	١٦٠ ٢٢٣		178,97	١٠ ٢٣٤	
158,90	٦٠ ٢٢٣		179,14	١٢٠ ٢٣٤	
158,92	١٥٠ ٢٢٣	253	179,23	١٥٠ ٢٣٤	266
159,05	١٥٠ ٢٢٣		180,31	٢٢٠ ٢٣٤	
159,17	٣٠ ٢٢٤	254	181,44	٦٠ ٢٣٥	
160,21	٦٠ ٢٢٤		181,47	٨٠ ٢٣٥	267
161,37	١٥٠ ٢٢٤		182,69	٢١٠ ٢٣٥	
161,44	١٠ ٢٢٥	255	182,78	٣٠ ٢٣٦	268
162,50	٥٠ ٢٢٥		183,89	٨٠ ٢٣٦	
163,61	١٢٠ ٢٢٥		184,05	١٩٠ ٢٣٦	
163,67	١٦٠ ٢٢٥	256	184,06	٢٠٠ ٢٣٦	269
164,76	١٠ ٢٢٦		185,25	٨٠ ٢٣٧	
165,86	٨٠ ٢٢٦				
165,93	١٢٠ ٢٢٦	257			

Latin Vol. I	Le Caire	Oxford	Latin Vol. I	Le Caire	Oxford
اللاتيني ج ٢	القاهرة	اكسفورد	اللاتيني ج ٢	القاهرة	اكسفورد
93,61	٢٠٠١٩٢	217	119,16	١١٠٢٠٤	
94,66	٢٠١٩٣		120,30	٢٠٢٠٥	
95,81	١١٠١٩٣		120,32	٤٠٢٠٥	231
95,91	١٧٠١٩٣	218	121,48	١٤٠٢٠٥	
96,96	١٠١٩٤		121,59	١٠٢٠٦	232
97,09	٨٠١٩٤		122,66	٤٠٢٠٦	
97,20	١٤٠١٩٤	219	123,83	١٥٠٢٠٦	
97,30	٢٠١٩٥		123,88	١٨٠٢٠٦	233
98,48	١٤٠١٩٥	220	124,91	١٩٠٢٠٦	
100,68	٦٠١٩٦		125,04	٨٠٢٠٧	
100,77	١٢٠١٩٦	221	125,12	١٣٠٢٠٧	234
101,84	١٦٠١٩٦		126,25	٢١٠٢٠٧	
102,97	٤٠١٩٧		127,35	٣٥٠٢٠٨	
102,01	٦٠١٩٧	222	127,37	٨٠٢٠٨	235
103,10	١٠٠١٩٧		128,51	١٥٠٢٠٨	
104,26	٢٠١٩٨	223	128,62	٦٠٢٠٩	236
105,28	٣٠١٩٨		129,66	٨٠٢٠٩	
106,45	١٣٠١٩٨		129,89	٢٢٠٢٠٩	237
106,50	١٦٠١٩٨	224	130,90	١٠٢١٠	
107,63	٤٠١٩٩		131,99	٥٠٢١٠	
107,77	١٣٠١٩٩	225	131,13	١٨٠٢١٠	238
108,78	١٣٠١٩٩		132,14	١٨٠٢١٠	
109,87	١٨٠١٩٩		133,26	٦٠٢١١	
110,98	٥٠٢٠٠		134,41	٤٠٢١٢	239
110,04	٨٠٢٠٠	226	135,51	١١٠٢١٢	
111,14	١٣٠٢٠٠		136,61	١٩٠٢١٢	240
112,32	٣٠٢٠١	227	137,70	٤٠٢١٣	
113,41	٩٠٢٠١		138,86	١٥٠٢١٣	241
114,47	٣٠٢٠٢		139,99	٣٠٢١٤	
114,54	٩٠٢٠٢	228	140,11	١٠٠٢١٤	242
115,59	١٢٠٢٠٢		141,23	١٨٠٢١٤	
116,81	٧٠٢٠٣	229	141,36	٣٠٢١٥	243
117,89	١١٠٢٠٣		142,38	٤٠٢١٥	
118,03	٢٠٢٠٤		143,55	١٣٠٢١٥	
118,07	٥٠٢٠٤	230	143,59	١٦٠٢١٥	244

Latin Vol. I اللاتيني ج ٢	Le Caire القاهرة	Oxford اكسفورد	Latin Vol. I اللاتيني ج ٢	Le Caire القاهرة	Oxford اكسفورد
47,68	٢٠١٦٨		72,37	٧٠١٨٢	
47,71	٤٠١٦٨	190	72,44	١٣٠١٨٢	204
48,75	٦٠١٦٨		73,49	١٤٠١٨٢	
49,92	١٤٠١٦٨		74,63	٢٠١٨٣	
49,95	١٠١٦٩	191	74,71	٩٠١٨٣	205
50,04	١٠١٦٩		75,79	١٣٠١٨٣	
50,18	١٥٠١٦٩	192	75,95	٢٢٠١٨٣	206
51,20	١٦٠١٦٩		76,96	١٠١٨٤	
52,38	٨٠١٧٠		77,13	١٣٠١٨٤	
52,44	١١٠١٧٠	193	77,16	١٦٠١٨٤	207
54,71	٦٠١٧١		78,29	٢٠١٨٥	
54,74	٨٠١٧١	194	79,42	٩٠١٨٥	
54,80	٣٠١٧٢		78,29	٢٠١٨٥	
55,84	٥٠١٧٢		79,42	٩٠١٨٥	
55,95	١٣٠١٧٢	195	79,45	١١٠١٨٥	208
56,98	١٤٠١٧٢		80,53	١٥٠١٨٥	
57,07	٤٠١٧٣		80,70	٦٠١٨٦	209
58,25	١٦٠١٧٣	196	81,72	٧٠١٨٦	
59,33	٤٠١٧٤		82,91	٦٠١٨٧	210
59,47	١٢٠١٧٤	197	83,02	١٣٠١٨٧	
60,51	١٥٠١٧٤		84,17	٦٠١٨٨	211
61,66	٨٠١٧٥		85,31	١٦٠١٨٨	
61,70	١١٠١٧٥	198	85,41	٣٠١٨٩	212
62,86	٢٠٠١٧٥		86,48	٩٠١٨٩	
62,96	٧٠١٧٦	199	87,61	١٦٠١٨٩	
63,06	١٢٠١٧٦		87,64	١٩٠١٨٩	213
64,18	١٩٠١٧٦		88,76	٤٠١٩٠	
64,23	٢٠١٧٧	200	88,87	١٣٠١٩٠	214
65,35	٩٠١٧٧		89,94	١٦٠١٩٠	
66,49	٢٠٠١٧٧	201	90,09	٦٠١٩١	
67,66	٦٠١٧٨		90,11	٨٠١٩١	215
69,05	٤٠١٨١	202	91,25	١٧٠١٩١	
70,11	٧٠١٨١		91,38	٤٠١٩٢	216
70,23	١٦٠١٨١	203	92,41	٦٠١٩٢	
71,28	١٠١٨٢		93,54	١٤٠١٩٢	

Latin Vol. I اللاتيني ج ٢	Le Caire القاهرة	Oxford أكسفورد	Latin Vol. I اللاتيني ج ٢	Le Caire القاهرة	Oxford أكسفورد
1,04	٣ ٠ ١٤٥		23,05	٥ ٠ ١٥٦	
1,06	٦ ٠ ١٤٥	163	23,09	٧ ٠ ١٥٦	176
2,14	٩ ٠ ١٤٥		24,14	١٥ ٠ ١٥٦	
2,24	١٦ ٠ ١٤٥	164	25,28	١ ٠ ١٥٧	
3,27	١ ٠ ١٤٦		25,36	٧ ٠ ١٥٧	177
4,42	١١ ٠ ١٤٦		26,47	١٤ ٠ ١٥٧	
4,49	١٦ ٠ ١٤٦	165	27,63	٢ ٠ ١٥٨	
5,53	١٨ ٠ ١٤٦		27,67	٥ ٠ ١٥٨	178
6,66	٨ ٠ ١٤٧		28,75	١٠ ٠ ١٥٨	
6,74	١٤ ٠ ١٤٧	166	29,89	٢٠ ٠ ١٥٨	
7,82	٢٥ ٠ ١٤٧		29,93	٢ ٠ ١٥٩	179
8,93	٨ ٠ ١٤٨		30,03	٧ ٠ ١٥٩	
8,97	١٠ ٠ ١٤٨	167	31,19	١٧ ٠ ١٥٩	
9,06	١ ٠ ١٤٩		31,22	١٩ ٠ ١٥٩	180
10,20	٨ ٠ ١٤٩		32,34	٢ ٠ ١٦٠	
10,21	٩ ٠ ١٤٩	168	32,51	١٣ ٠ ١٦٠	181
11,39	١ ٠ ١٥٠		33,54	١٤ ٠ ١٦٠	
11,46	٥ ٠ ١٥٠	169	34,73	٨ ٠ ١٦١	
12,55	٥ ٠ ١٥١		34,78	١٣ ٠ ١٦١	182
12,62	١٠ ٠ ١٥١	170	35,94	٤ ٠ ١٦٢	
13,66	١١ ٠ ١٥١		35,00	٨ ٠ ١٦٢	183
14,82	٤ ٠ ١٥٢		36,04	١٠ ٠ ١٦٢	
14,86	١٦ ٠ ١٥٢	171	37,14	١ ٠ ١٦٣	
15,97	١٧ ٠ ١٥٢		38,22	٦ ٠ ١٦٣	
16,06	٢ ٠ ١٥٣		39,36	١٤ ٠ ١٦٣	184
16,12	٧ ٠ ١٥٣	172	39,48	٢ ٠ ١٦٤	185
17,18	١١ ٠ ١٥٣		40,53	٤ ٠ ١٦٤	
18,33	٣ ٠ ١٥٤		41,67	١٣ ٠ ١٦٤	
18,35	٤ ٠ ١٥٤	173	41,71	١٧ ٠ ١٦٤	186
19,54	١٥ ٠ ١٥٤		42,86	٧ ٠ ١٦٥	
19,62	١ ٠ ١٥٥	174	42,98	١٤ ٠ ١٦٥	187
20,20	٤ ٠ ١٥٥		44,17	١٤ ٠ ١٦٥	
21,82	١٢ ٠ ١٥٥		44,23	٦ ٠ ١٦٦	188
21,86	١٥ ٠ ١٥٥	175	45,32	١١ ٠ ١٦٦	
22,95	٢٠ ٠ ١٥٥		46,49	١٥ ٠ ١٦٦	189

Latin Vol. I	Le Caire	Oxford	Latin Vol. I	Le Caire	Oxford
اللاتيني ج ١	القاهرة	أكسفورد	اللاتيني ج ١	القاهرة	أكسفورد
236,98	٨ ٠ ١١٤		256,25	١٣ ٠ ١٢٥	
236,01	١١ ٠ ١١٤	I30	257,41	٥ ٠ ١٢٦	
237,15	٢ ٠ ١١٥		257,48	١١ ٠ ١٢٦	I44
237,29	١٠ ٠ ١١٥	I31	258,60	١٩ ٠ ١٢٦	
238,31	١١ ٠ ١١٥		258,73	٧ ٠ ١٢٧	I45
239,48	٢٠ ٠ ١١٥		259,75	٧ ٠ ١٢٧	
239,56	٥ ٠ ١١٦	I32	260,91	١٩ ٠ ١٢٧	
240,67	١٢ ٠ ١١٦		260,95	٢١ ٠ ١٢٧	I46
240,81	٢ ٠ ١١٧	I33	261,07	٨ ٠ ١٢٨	
241,86	٥ ٠ ١١٧		261,21	١٧ ٠ ١٢٨	I47
242,04	١٥ ٠ ١١٧		263,42	٨ ٠ ١٢٩	
242,09	١٨ ٠ ١١٧	I34	263,45	١٠ ٠ ١٢٩	I48
243,21	٢ ٠ ١١٨		264,60	١٧ ٠ ١٢٩	
243,30	٨ ٠ ١١٨	I35	264,71	٥ ٠ ١٣٠	I49
244,37	١٢ ٠ ١١٨		265,78	٩ ٠ ١٣٠	
245,54	٦ ٠ ١١٩		266,00	١٣ ٠ ١٣١	I50
245,57	٨ ٠ ١١٩	I36	266,92	١٨ ٠ ١٣٠	
246,69	١٤ ٠ ١١٩		267,12	٩ ٠ ١٣١	
246,83	١ ٠ ١٢٠	I37	267,25	١ ٠ ١٣٢	I51
247,86	٢ ٠ ١٢٠		268,29	٥ ٠ ١٣٢	
248,02	١٣ ٠ ١٢٠		269,47	١٥ ٠ ١٣٢	
248,09	١٨ ٠ ١٢٠	I38	269,48	١ ٠ ١٣٣	I52
249,18	٣ ٠ ١٢١		270,65	١٣ ٠ ١٣٣	
250,33	١٢ ٠ ١٢١		270,67	١٤ ٠ ١٣٣	I53
250,34	١٣ ٠ ١٢١	I39	271,79	٣ ٠ ١٣٤	
251,50	٣ ٠ ١٢٢		271,84	٦ ٠ ١٣٤	I54
251,56	٧ ٠ ١٢٢	I40	273,10	١ ٠ ١٣٥	
252,63	١١ ٠ ١٢٢		273,14	٤ ٠ ١٣٥	I55
252,76	١٩ ٠ ١٢٢	I41	274,31	١٢ ٠ ١٣٥	
253,82	٢ ٠ ١٢٣		274,41	١٩ ٠ ١٣٥	I56
253,88	٤ ٠ ١٢٤		275,47	٢ ٠ ١٣٦	
254,95	٩ ٠ ١٢٤		276,64	١٤ ٠ ١٣٦	
254,00	١٢ ٠ ١٢٤	I42	276,70	١٧ ٠ ١٣٦	I57
255,12	٣ ٠ ١٢٥		277,82	٥ ٠ ١٣٧	
255,23	١٢ ٠ ١٢٥	I43	277,97	١٤ ٠ ١٣٧	I58
			278,04	١٨ ٠ ١٣٧	
			279,24	١٠ ٠ ١٣٨	I59
			280,43	٣ ٠ ١٣٩	
			280,51	٩ ٠ ١٣٩	I60
			281,61	١٤ ٠ ١٣٩	
			281,79	٣ ٠ ١٤٠	I61
			282,83	٥ ٠ ١٤٠	
			283,00	٢ ٠ ١٤١	I62

Latin Vol. I	Le Caire	Oxford	Latin Vol. I	Le Caire	Oxford
اللاتيني ج ١	القاهرة	اكسفورد	اللاتيني ج ١	القاهرة	اكسفورد
188,55	١٥٠٨٨		211,05	٤٠١٠١	
189,72	١٣٠٨٩		211,08	٧٠١٠١	115
189,74	١٥٠٨٩	102	212,23	١٧٠١٠١	
190,90	٣٠٩٠		212,34	٥٠١٠٢	116
190,04	١٢٠٩٠	103	214,45	١١٠١٠٢	
191,07	١٣٠٩٠		214,57	٥٠١٠٣	117
192,19	٣٠٩١		215,62	٧٠١٠٣	
192,33	١٤٠٩١	104	216,77	١٧٠١٠٣	
193,38	١٧٠٩١		216,83	٢١٠١٠٣	118
194,58	١١٠٩٢	105	217,08	١٥٠١٠٤	119
195,64	١٤٠٩٢		218,09	١٦٠١٠٤	
196,78	٧٠٩٣		219,27	٥٠١٠٥	
196,83	١١٠٩٣	106	219,40	١٢٠١٠٥	120
197,94	١٨٠٩٣		220,44	١٥٠١٠٥	
197,09	٨٠٩٤	107	221,64	٧٠١٠٦	
198,11	٨٠٩٤		221,67	٩٠١٠٦	121
198,19	٣٠٩٥		222,92	٤٠١٠٧	122
199,24	٦٠٩٥		223,97	٦٠١٠٧	
199,35	١٢٠٩٥	108	224,15	١٨٠١٠٧	
200,37	١٤٠٩٥		224,19	٢١٠١٠٧	123
201,51	٦٠٩٦		225,32	٦٠١٠٨	
201,57	١١٠٩٦	109	226,47	١٥٠١٠٨	124
202,67	١٤٠٩٦		227,62	٤٠١٠٩	
202,81	٥٠٩٧	110	227,71	١٠٠١٠٩	125
203,83	٥٠٩٧		228,77	١٤٠١٠٩	
204,97	١٤٠٩٧		229,92	١٠١١٠	126
204,06	٢١٠٩٧	111	229,00	٧٠١١٠	
205,08	٢١٠٩٧		230,08	١٣٠١١٠	
206,36	١٣٠٩٨		231,24	٢٠١١١	
207,40	٢٠٩٩	112	231,25	٣٠١١١	127
208,54	١٢٠٩٩		232,54	٢٠١١٢	128
208,58	١٥٠٩٩	113	233,57	٤٠١١٢	
209,71	٤٠١٠٠		234,73	١٤٠١١٢	
209,85	١٤٠١٠٠	114	234,80	٨٠١١٢	129
210,87	١٤٠١٠١		235,90	٣٠١١٤	

Latin Vol. I	Le Caire	Oxford
اللاتيني ج١	القاهرة	اكسفورد
I40,27	١٤٠٦٢	73
I41,39	١٨٠٦٢	
I41,52	٥٠٦٣	74
I42,58	٩٠٦٣	
I43,73	١٠٦٤	75
I43,74	٣٠٦٤	
I44,90	١٣٠٦٤	
I44,96	١٥٠٦٤	76
I45,08	٦٠٦٥	
I46,20	١٤٠٦٥	
I46,23	١٦٠٦٥	77
I47,28	٢١٠٦٥	
I48,43	٧٠٦٦	
I48,48	١٠٠٦٦	78
I49,59	١٧٠٦٦	
I49,74	٨٠٦٧	79
I50,76	٩٠٦٧	
I51,86	١٦٠٦٧	
I51,96	١٠٦٨	80
I52,03	٥٠٦٨	
I53,18	١٥٠٦٨	
I53,19	١٦٠٦٨	81
I54,27	٣٠٦٩	
I54,32	٣٠٧٠	82
I55,39	٧٠٧٠	
I56,54	١٦٠٧٠	
I56,60	٣٠٧١	83
I57,70	٩٠٧١	
I57,85	١٩٠٧١	84
I58,87	٢١٠٧١	
I59,00	٧٠٧٢	
I59,06	١٢٠٧٢	85
I60,19	١٩٠٧٢	
I60,32	١٠٠٧٣	86
I61,34	١١٠٧٣	

Latin Vol. I	Le Caire	Oxford
اللاتيني ج١	القاهرة	اكسفورد
I62,48	١٩٠٧٣	
I62,59	٣٠٧٤	87
I63,63	٥٠٧٤	
I64,73	١٢٠٧٤	
I64,80	١٨٠٧٤	88
I65,91	٦٠٧٥	
I65,05	١٦٠٧٥	89
I66,06	١٦٠٧٥	
I68,35	١٧٠٧٦	90
I69,01	١٠٧٩	91
I69,04	٣٠٧٩	
I70,07	٥٠٧٩	
I71,23	١٥٠٧٩	92
I72,28	٢٠٨٠	
I73,44	١٣٠٨٠	
I73,50	١٧٠٨٠	93
I75,73	٨٠٨١	
I75,74	٩٠٨١	94
I76,87	١٧٠٨١	
I77,00	٤٠٨٢	95
I77,08	٤٠٨٣	
I78,11	٦٠٨٣	
I78,23	١٥٠٨٣	96
I79,24	١٦٠٨٣	
I80,35	٦٠٨٤	
I81,53	١٧٠٨٤	97
I82,70	٨٠٨٥	
I83,81	١٦٠٨٥	98
I84,96	٣٠٨٦	
I84,03	٧٠٨٦	99
I85,11	١٣٠٨٦	
I86,27	٣٠٨٧	
I86,30	٦٠٨٧	100
I87,41	٤٠٨٨	
I87,50	١١٠٨٨	101

Latin Vol. I	Le Caire	Oxford
اللاتيني ج١	القاهرة	اكسفورد
95,19	٤٠ ٣٩	
96,34	١٤٠ ٣٩	
96,39	١٨٠ ٣٩	49
97,47	١٩٠ ٣٩	
98,56	٦٠ ٤٠	
98,61	١٤٠ ٤٠	50
99,70		
100,85	٢٠ ٤١	
100,92	٥٠ ٤١	51
100,96	٧٠ ٤١	
102,12	١٥٠ ٤١	
103,02	١٠ ٤٥	52
103,04	٣٠ ٤٥	
104,12	٧٠ ٤٥	
105,25	١٥٠ ٤٥	
105,28	١٠ ٤٦	53
106,41	١٠٠ ٤٦	
106,54	١٨٠ ٤٦	54
107,61	٢٣٠ ٤٦	
108,78	٩٠ ٤٧	
108,80	١٠٠ ٤٧	55
109,89	١٦٠ ٤٧	
110,00	٤٠ ٤٨	
110,06	٧٠ ٤٨	56
111,13	١١٠ ٤٨	
111,26	١٩٠ ٤٨	
112,31	٢٠ ٤٩	57
113,40	٥٠ ٤٩	
114,48	١٠٥٠	58
114,50	٣٠٥٠	
115,60	٨٠٥٠	
115,70	١٥٠٥٠	59
116,75	٣٠٥١	
117,86	١٢٠٥١	
117,93	١٧٠٥١	60

Latin Vol. I	Le Caire	Oxford
اللاتيني ج١	القاهرة	اكسفورد
118,01	١٠٥٢	
119,15	١٠٠٥٢	
119,19	١٢٠٥٢	61
120,26	١٧٠٥٢	
121,44	٩٠٥٢	
121,45	١٠٠٥٣	62
122,54	١٦٠٥٣	
123,64	٢٠٥٤	
123,72	٨٠٥٤	63
124,80	١٤٠٥٤	
125,94	٢٤٠٥٤	
125,98	٢٦٠٥٤	64
126,10	٩٠٥٥	
126,21	١٩٠٥٥	65
127,25	٢٠٠٥٥	
128,42	٨٠٥٦	
128,48	١٢٠٥٦	66
129,58	١٨٠٥٦	
130,73	٧٠٥٧	
130,74	٩٠٥٧	67
131,85	٥٠٥٨	
132,96	١١٠٥٨	
132,99	١٣٠٥٨	68
133,12	١٠٥٩	
133,25	٨٠٥٩	69
134,27	٩٠٥٩	
135,37	١٥٠٥٩	
135,54	٧٠٦٠	70
136,56	٨٠٦٠	
137,71	١٨٠٦٠	
137,76	٢١٠٦٠	71
138,91	٧٠٦١	
138,04	١٥٠٦١	72
139,10	١٨٠٦١	
140,22	٧٠٦٢	

Latin Vol. I اللاتيني ج ١	Le Caire القاهرة	Oxford اكسفورد	Latin Vol. I اللاتيني ج ١	Le Caire القاهرة	Oxford اكسفورد
48,78	٨ ٠ ١٧		71,01	١٤ ٠ ٢٨	
48,82	١١ ٠ ١٧	22	72,14	٢ ٠ ٢٩	
49,89	١٧ ٠ ١٧		72,21	٨ ٠ ٢٩	36
50,04	٦ ٠ ١٨		73,24	٩ ٠ ٢٩	
50,07	٧ ٠ ١٨	23	74,35	١٧ ٠ ٢٩	
51,13	١١ ٠ ١٨		74,44	٢١ ٠ ٢٩	37
52,29	١٩		75,46	٢ ٠ ٣٠	
52,30	٢ ٠ ١٩	24	76,58	١١ ٠ ٣٠	
53,39	٧ ٠ ١٩		76,66	١٦ ٠ ٣٠	38
54,55	١٦ ٠ ١٩		77,67	١٧ ٠ ٣٠	
54,58	١٨ ٠ ١٩	25	78,77	٢٢ ٠ ٣٠	
55,72	٦ ٠ ٢٠		78,87	٥ ٠ ٣١	39
55,82	١٣ ٠ ٢٠	26	79,94	١٠ ٠ ٣١	
56,88	١٦ ٠ ٢٠		80,06	٥ ٠ ٣٢	
57,03	٦ ٠ ٢١		80,11	٨ ٠ ٣٢	40
57,07	٨ ٠ ٢١	27	81,20	١٣ ٠ ٣٢	
58,23	٣ ٠ ٢٢		82,32	٤ ٠ ٣٣	
59,29	٧ ٠ ٢٢	28	82,36	٦ ٠ ٣٣	41
59,37	١٢ ٠ ٢٢		83,46	١٢ ٠ ٣٣	
60,49	١ ٠ ٢٣		84,62	٤ ٠ ٣٤	42
60,51	٦ ٠ ٢٣	29	85,78	١٤ ٠ ٣٤	
61,64	١٢ ٠ ٢٣		85,86	٢٠ ٠ ٣٤	43
62,77	١٩ ٠ ٢٣	30	86,93	٤ ٠ ٣٥	
63,94	١٠ ٠ ٢٤		87,09	١٤ ٠ ٣٥	
63,99	١٥ ٠ ٢٤	31	87,15	١٨ ٠ ٣٥	44
64,01	١٥ ٠ ٢٤		88,23	٢ ٠ ٣٦	
65,14	٣ ٠ ٢٥		89,40	٤٠ ٠ ٣٦	45
65,23		32	90,59	٥ ٠ ٣٧	
66,27	١٢ ٠ ٢٥		90,67	١٠ ٠ ٣٧	46
67,42	٤ ٠ ٢٦		91,70	١٣ ٠ ٣٧	
67,47	٩ ٠ ٢٦	33	92,81	١٩ ٠ ٣٧	
68,57	٤ ٠ ٢٧		92,89	٥ ٠ ٣٨	47
69,71	١٤ ٠ ٢٧	34	93,94	٧ ٠ ٣٨	
70,83	٢ ٠ ٢٨		94,04	١٤ ٠ ٣٨	
70,97	١٢ ٠ ٢٨	35	94,15	١ ٠ ٣٩	48

**TABLE DE CONCORDANCE DES EDITIONS DU CAIRE, D'OXFORD
(FAZLUL RAHMAN) ET DE LA VERSION LATINE (Mlle Van RIET)**

جدول مقابلة صفحات طبعات القاهرة وأكسفورد والترجمة اللاتينية

Latin Vol. I اللاتيني ج ١	Le Caire القاهرة	Oxford أكسفورد	Latin Vol. I اللاتيني ج ١	Le Caire القاهرة	Oxford أكسفورد
9,04	٤٠١	1	28,43	٦٠١٠	
10,13	٥٠١		28,53	١٤٠١٠	12
10,20	١٤٠١	2	29,58	١٧٠١٠	
11,23	١٥٠١		30,66	٢٢٠١٠	
12,36	٥٠٢		31,77	٧٠١١	13
12,45	١٢٠٢	3	32,86	١٤٠١١	
14,65	١٠٥	4	32,95	٢٠٠١١	14
14,69	٣٠٥		33,97	٢١٠١١	
15,75	٦٠٥		34,09	٦٠١٢	
16,80	٩٠٥		34,18	١٢٠١٢	15
16,82	١٢٠٥	5	35,24	١٦٠١٢	
17,92	١٠٦		36,43	٥٠١٣	
18,05	٩٠٦		36,46	٧٠١٣	16
18,09	١٢٠٦	6	37,55	١٢٠١٣	
19,20	١٩٠٦		38,69	١٠١٤	17
20,31	٤٠٧		38,71	٣٠١٤	
20,34	٦٠٧	7	39,77	٧٠١٤	
21,46	١٣٠٧		40,89	١٦٠١٤	18
22,59	٢٠٠٧	8	41,00	٥٠١٥	
23,73	٥٠٨		42,13	١٣٠١٥	19
23,85	١٣٠٨	9	42,19		
24,86	١٣٠٨		43,20	١٧٠١٥	
25,00	٢٠٩		44,35	٢٠١٦	
25,06	٦٠٩	10	44,38	٥٠١٦	20
26,14	١١٠٩		45,42	٩٠١٦	
27,29	٢٢٠٩		46,58	١٨٠١٦	
27,31	٢٤٠٩	11	46,62	٢١٠١٦	21
27,35	١٠١٠		47,69	١٠١٧	

Melli 580

Meshkat 241

243

Sépehsalar 1438

1439

8331

Tabataba's 865

LEIDEN 1444

1445 (881 H.)

PRINCETON 861 (972 H.)

OXFORD

Bodleiana Pock 114

116

125

435 (571 H.)

LONDRES

British Museum 1655 (576 H.)

2873 (1072 H.)

7500

Indian Office 474-477

**Liste des manuscrits du De Anima du Shifa'
existant dans le monde**

ISTANBUL

Ahmet III 3261 (677 H.)
3262 (9e s.)
3263 (9e s.)
3445(11e s.)

Atef 1597

Aya Sofya 2389 (6)
2441 (7e s.)
2442 (671 H.)

Ayyub 883

Damad 822 (6-7es. H.)
823 (697 H.)
825 (837 H.)
Feyzullah 1207
1208 (837 H.)
Halet 514 (10-11s. H.)
Halet 514 (10-11 s. H.)
796 (11es. H.)
Hekim (Millet) 857
Jarullah 1332 (882 H.)
1333
1424 (694 H.)

Köprölü 894

Laleli 2550

Nur Osmaniyya 2708 (10 s.H.)
2709 (894 H.)
2710 (666 H.)
2711 (11 e s.)

Ragheb Pasha 866
1461

Razwa 1/872, 873, 875

Sha'ban (Awpa) 572

Shedid 1748 (879 H.)

Umumi 3969

Université 766 (1060 H.)

Yeni Jamii 770 (888 H.)
771 (885 H.)

LE CAIRE

Azhar 331 (Bekhit 44988).

Dar al-Kotob 262 (1919 A.D.)
675 (1177 H.)
753 (1074 H.)
894

Tal'at 342

402

Taymur 56
140

TEHERAN

Majlis 135 (871 H.)
137

Malak 1041
1110
1243 (880 H.)
1275
2484

Manuscripts utilisés par les différentes éditions

	Bakosh	Oxford (F. Rahman)	(Anawati-Zayed) Le Caire
Bodl. Poc. 114 (603 H./1206)	+		+
Bodl. Poc. 116 (603 H./1206)	+	+	+
Bodl. Poc. 125 (771/1369)	+		+
Brit. Mus. Or. 2873 (1072/1662)	+		+
Brit. Mus. Or. 7500			+
Indian Of. Loth 476	+	+	+
Indian Off. Loth 477		+	+
Azhar 331 (Bekhit)		+	+
Dar al-Kotob 262			+
Dar al-Kotob		+	+
Damad 822		+	+
Leiden 1444		+	+
Ed. Imprimée du Najat (Le Caire)		+	+
Lithographie de Téhéran		+	+
Manusc. lat. de Bâle D III 7		+	+
Texte latin de Venise		+	+
K. al-Shifa' (autre que la psychologie)		+	+

الشفاء

الطبيعيات

٧ - النبات

راجعته وقدم له

الدكتور ابراهيم مذكور

بتحقيق

الدكتور عبد الحليم منقصر سعيد زايد عبد الله اسماعيل

الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م

مَنْشُورَات مَكْتَبَةِ آيَةِ اللَّهِ الْعُظْمَى الْمُرْعَشِي الْجَنَفِي
قَمِ الْقَدَسَةِ - اِيْرَان ١٤٠٤ ق

الفهرس

صحة

تصدير للدكتور إبراهيم مذكور	د - ح
مقدمة للدكتور عبد الحليم متصر	ط - ل

الفن السابع فى النبات

من جملة الطبيعيات ، وهو مقالة واحدة

تتضمن على سبعة فصول

الفصل الأول — فصل في تولد النبات واغتذائه وذكره وأنبأه وأصل مزاجه ... ٣

» الثاني — في أعضاء النبات في أول النشو وبعد ذلك ... ٨

» الثالث — في مبادئ التغذية والتوليد والتولد في النبات ... ١٢

» الرابع — في حال تولد أجزاء النبات وحال اختلافها واختلاف النبات بحسب البلاد ... ١٥

» الخامس — في تعريف أحوال السوق والغصون والورق خاصة ... ٢١

» السادس — فيما يتولد عن النبات من الثمر والبذور والشوك والصموغ وما يشبهها ... ٢٦

» السابع — فيه كلام كلي في أصناف النبات يتبعه الكلام في أمرجة الأشياء التي لها نفس غاذية ... ٣٢

فهرس المصطلحات ... ٣٩

تصدير

للدكتور إبراهيم مذكور

ها هي ذه ثمرة أخرى من ثمار عقلية ابن سينا الشاملة وعبقريته الجامعة ، وكأنه لم يدع بابا من أبواب المعرفة في عصره إلا طرقه . وما أشبهه في هذا بأرسطو ، وربما زاد عليه ، والكتاب الذي بين أيدينا شاهد على ذلك ، فإنه لم يصلنا شيء مما كتبه الفيلسوف اليوناني في النبات ، برغم أنه كانت في اللوقيوم دراسات نباتية . أما كتاب "De Plantis" الذي يعزى إليه ، والذي لم يعرف إلا عن طريق اللاتينية ، المأخوذة عن العربية ، والمترجمة حديثا في طبعة بيكر إلى اليونانية ، فمن المحقق أنه منحول ، وإن اشتمل على آراء أرسطية ومشائية . وأغلب الظن أن أرسطر ، أبا التاريخ الطبيعي وعلم الأحياء ، لم يعن بالنبات كثيرا^(١) .

نشأ ابن سينا (١٠٣٧) في العصر الذهبي للعلوم الإسلامية ، ووجد أمامه دراسات نباتية أفاد منها وأخذ عنها . ويرجع بعضها إلى أصل عربي ، مثل "رسالة النبات والشجر" للأصمعي (٨٢٨) ، و "كتاب النبات" لأبي حنيفة الدينوري (٨٩٥) ، أو إلى أصل مختلط ، مثل "الفلاحة النبطية" لابن وحشية (٨٠٠) . وهو كتاب غريب فيه معلومات عن بعض النباتات وأماكن نموها ، مع قدر من الخرافات والأقاصيص ، مستمد في الغالب من أصول سامية ، ثم ترجم فيما ترجم إلى اللغة العربية عن السورانية . ومنها ما يرجع إلى أصل يوناني ،

(١) G. Sarton, *A. History of Science*, Cambridge, 1952, t. 1, p. 546

وفي مقدمته "كتاب النبات" المنحول والذي يرجح أنه من وضع نقولا الدمشقي (القرن الأول ق. م) ، وكتاب "أسباب النبات" لتيوفراسطس ، خايفة أرسطو والنباتى الأول بين اليونان^(١) ، و "كتاب الحشائش" لديسقوريدس^(٢) . وأضاف إليها قسطنطين لوقا (٩٠٠) ، أحد كبار المترجمين عن اليونانية والسريانية ، كتابا من وضعه هو "الفلاحة اليونانية" .

والنبات عند ابن سينا أحد أجزاء العلم الطبيعى ، وهو القسم السابع على نحو ما عدّه الفارابى (٩٥١) فى "إحصاء العلوم"^(٣) . ولذا وقف عليه الفن السابع من طبيعيات "الشفاء" ، وتدارك به ما فات الفلاسفة الإسلاميين الطبيعيين السابقين ، وعلى رأسهم الكسندى (٨٧٣) والرازى (٩٢٥) .

ويظهر أن النبات لم يدرس فى البداية لذاته ، وإنما قصد إلى تعرّف أسرارهِ السحرية والطبية ، وجمع الأعشاب سابق على الدراسات النباتية فى الحضارات القديمة على اختلافها . وطب أبقرراط بوجه خاص ، فى الحضارة اليونانية ، مدين فى قدر منه لما أمده به جامعوا الأعشاب من بيانات عن خصائص البذور والجذور . وإذا كان ابن سينا قد عرض للنبات فى "الشفاء" ، فإنه لم يهمله فى "القانون"^(٤) ، وآراؤه فى كليهما يكمل بعضها بعضا .

ويحاول فى هذا الجزء الذى نقّدم له أن يعرض ، كعادته ، آراءه فى وضوح ودقة ، وترتيب وتنسيق . يعالج القضايا الكبرى والمسائل الرئيسية ، دون وقوف

(١) ابن النديم ، لفهرست ، القاهرة ١٣٤٨ هـ ، ص ٣٥٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٠٧ — ٤٠٨ .

(٣) الفارابى ، إحصاء العلوم ، القاهرة ١٩٣١ ، ص ٦٠ .

(٤) ابن سينا ، القانون ، القاهرة ١٢٩٤ هـ ، « الكتاب الثانى فى الأدوية المفردة » .

عند التفاصيل والجزيئات . يقارن دائماً بين النبات والحيوان ، ويحاول أن يحدد ذلك الفاصل بين المملكة الحيوانية والمملكة النباتية^(١) . يشرح مبادئ تغذية النبات وتوليده وتولده^(٢) ، ويبين أجزاءه من سوق وغصون وورق^(٣) ، وما يتولد عنه من ثمار وبذور^(٤) ، ويلخص أصنافه باختصار^(٥) . وهو بهذا يعد بحق دراسة في علم النبات العام ، ويلتقي في كثير من أبوابه مع أبواب "كتاب النبات" المعزول إلى أرسطو . وكان لهذه الدراسة أثرها في النباتيين المتأخرين ، وخاصة ابن البيطار (١٢٤٨) ، ونأمل أن يكون في نشرها ما يعين على ربط حلقات تاريخ علم النبات في الإسلام بعضها ببعض .

* *

وقل أن يتوفر لتحقيق نص ما توفر لهذا الجزء الصغير ، تولى أمره ثلاثة عالمان وفلاسوف ، هم الدكتور عبد الحليم منتصر والأستاذان سعيد زايد وعبد الله اسماعيل . عاشوا مع ابن سينا ، وألفوا أسلوبه ، وعولوا على مصادر وثيقة هي :

- (١) مخطوط الأزهر : (ب) ؛ وهامشه : (نج) .
- (٢) » دار الكتب : (د) .
- (٣) » المتحف البريطاني : (م) .
- (٤) » داماد الجديدة : (سا) .
- (٥) نسخة طهران المطبوعة : (ط) ؛ وهامشها : (طا) .

(١) ابن سينا ، الطبيعيات ، (٧) النبات ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٩ — ١٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨ — ٢٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٧ — ٣١ .

(٤) ابن سينا ، الطبيعيات (٧) النبات ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٣٣ — ٣٧ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٣٨ — ٤٤ .

بجاء نصهم مستوفيا لوسائل التحقيق العلمى . وحرص الدكتور منتصر على أن يقدم له بمقدمة مستفيضة ، تلخص أهم ما ورد فيه من آراء ونظريات ، وتربط بعضها ببعض الآراء النباتية الحديثة . والتزموا ما أخذت به لجنة الشفاء من إضافة معجم المصطلحات ، وهى هنا جد نافعة لما تحوى من إشارة أحيانا إلى الأصول اليونانية .

وكل ذلك ولا شك مجهود جدير بالتقدير .

إبراهيم مذكور

مقدمة

للدكتور عبد الحلیم منتصر

يكون النبات الفن السابع من طبيعيات الشفاء وقد أفرد له ابن سينا مقالة واحدة تشتمل على سبعة فصول . تناول في الفصل الأول منها الكلام في تولد النبات واغتذائه وذكره وأثناء وأصل مزاجه . وفي الفصل الثاني تكلم عن أعضاء النبات في أول نشوئها وما يلي ذلك من مراحل . أما الفصل الثالث فقد تناول فيه مبادئ التغذية والتوليد والتولد في النبات . وفي الفصل الرابع عالج حال تولد أجزاء النبات وحال اختلافها واختلاف النبات بحسب البلاد . وعرف في الفصل الخامس أحوال السوق والغصون والورق . وتكلم في الفصل السادس فيما يتولد عن النبات من الثمر والبذور والشوك والصمغ وما يشبهها . أما الفصل السابع والأخير فقد تناول فيه الكلام عن أصناف النبات وعن أمزجة الأشياء التي لها نفس غاذية .

واهتمام ابن سينا بعلم النبات لا يقتصر على ما أورده في كتاب الشفاء .

فلقد تناول دراسة النباتات في كتاب القانون في الفصل الذي سماه ”الكتاب الثاني في الأدوية المفردة“ فقسم الجملة الأولى فيه إلى ست مقالات ، في تعرف أمزجة الأدوية المفردة بالتجربة والقياس وقواها . الخ ، وقسم الجملة الثانية إلى عدة ألواح وقواعد ، وقد ذكر في كل فصل النباتات التي تتخذ منها الأدوية وقليلاً من الحيوانات والمعادن التي تستخلص منها عقاقير نافعة ، ونحا في ذكر هذه النباتات منهاجا خاصا ، فكان يذكر الماهية ، وفيها يصف النبات وصفا دقيقا مقارنة هذا النبات بنظامه ، موردا صفاته الأساسية ، من أصل أو جذر أو زهر أو ثمر أو ورق ، ناقلا ما ذكره من تقدمه من العلماء أمثال ديسقوريدس أو جالينوس أو غيرهما . ثم يذكر بعد ذلك الاختبار فالطبع والخواص ، والجزء الأول من هذا كله هو ما يهمننا في هذا المقام ، فهو وحده الوصف النباتي الدقيق ، الذي يمكن بواسطته التعرف على النبات وتمييزه من غيره . وقد استقصى ابن سينا نسبة كبيرة من النباتات المعروفة آنئذ ، وأورد مزاجا من هذه النباتات الشجرية والعشبية والزهرية وغير الزهرية ، الفطرية والطحلبية ؛ ذكر الأجناس المختلفة من النبات ، والأنواع المختلفة من الجنس الواحد ، ثم يتكلم عن المتشابه وغير المتشابه ، كما يذكر موطن

النبات والتربة التي ينمو بها إن كانت ملحة أو غير ملحة ، أو كان ينمو على الماء ، وافتن في ذكر ألوان الأزهار والثمار جافها وطريها ، والأوراق العريضة أو الضيقة ، كاملة الحافة أو مشرقتها .

وتتميز كتابة ابن سينا في هذا المجال ، بأمانة العالم ، فهو ينسب رأى لنفسه ، بقوله ” أقول “ أو ينسبه إلى ديسقوريدس أو غيره ، فيقول قال فلان . . وإنه ليتفق مع غيره ، فيبين أوجه الاتفاق أو يختلف معهم في الرأى فيعرض أوجه الخلاف في مهارة وأمانه .

ومن خير ما أورده ابن سينا الأسماء المختلفة لبعض النباتات ، فهذا يسمى بالإغريقية كذا وذلك يسمى كذا ، كما أورد الأسماء المحلية لبعض النباتات ، فهذا النبات يسمى هنا كذا ، ويسمى هناك باسم آخر ، وهذا النبات يأتي من الهند أو من الصين ، كما فرق بين البستاني أو المزارع والبرى ، وقال إن الأول أكثر مائة من الثانى . وتكلم ابن سينا عن ظاهرة المساهنة في الأشجار والتخيل وغيرها ، وذلك بأن تحمل الشجرة سنة حملا ثقيلًا وسنة حملا خفيفا أو تحمل سنة ولا تحمل سنة أخرى ، وأشار إلى اختلاف الرائحة والطعم في النبات ، وهما صفتان يمايز بهما كثير من النباتات فطن لها ابن سينا منذ أكثر من ألف عام ، ويعتمد عليهما في تمييز كثير من فصائل النبات وأجناسه وأنواعه ، نظرا لوجود مواد كيميائية خاصة ، كما في نباتات الفصيلة القرنية والخيمية والصلبية وغيرها ، وإذن يكون ابن سينا قد سبق ” كارل متز “ الذى قال بأهمية التشخيص بواسطة العصارة في سنة ١٩٣٤ . وقد اعتمد ابن سينا في وصفه للنباتات على مصدرين رئيسيين : الأول الطبيعة ، فيصف النبات غضا طريا ، ويتكلم عن طوله وغلظه وورقه وشوكه وزهره وثمره ، مما يتفق وعلم الشكل النباتى الحديث . أما المصدر الثانى ، فهو ما يباع جافا عند العطارين من أخشاب أو قشور أو ثمار أو أزهار مما يتفق وعلم النبات الصيدلى .

على أن ابن سينا قد تناول في كتاب الشفاء كثيرا من النظريات والآراء حول تولد النبات ، وذكره وأثناءه ، وأصل مزاجه ، فقال إن النبات قد شارك الحيوان في الأفعال والانفعالات المتعلقة بالغذاء إيرادا على البدن وتوزيعا ، ويكون الغذاء على سبيل جذب الأعضاء منها بالقوة الطبيعية ، ليست عن شهوة جنسية ، وليس له من الغذاء إلا ما ينجذب إليه ، لا عن إرادة كالأعضاء ، فليس هناك شهوة بالخرى إن لم يعط النبات شيئا ، إذ كان لاسبيل له إلا الحرب عن ضار والطاب لنافع ، فكأنه يجعل القول في عمليات الامتصاص وانتقال العصارة وصعودها ، وتوزيعها على أعضاء النبات المختلفة . ثم يقول ، وأبعد الناس عن الحق ، من جعل للنبات مع الحياة عقلا وفهما ، فإذا كان التصرف في الغذاء يسمى حياة حى ، وإن كان من

(ك)

تشرط الحياة أن يكون مع ذلك إدراك وحركة وإرادية ، فلا يجوز أن يجعل للنبات حياة بوجه من الوجوه ، فهو مع قوله بحياة النبات وإحساسه وانفعالاته ، ينفى عنه العقل والفهم ، فالتصرف في الغذاء يدل على الحياة ولكنه لا يدل على الإدراك والإرادة ، ويقول عن الذكورة والأنوثة في النبات فإن عني عان بالذكر حتماً ، من شأنه أن يكون مبدأ من وجه من الوجوه لتحريك مادة من المواد الموجودة ، من مشاركة في النوع أو معه ، انتهى إلى صورة مثل صورة هذا النوع أو مقارنة له ، لم يبعد أن يكون في النبات ذكر وأنثى ، ولم يبعد أن يكون من النبات الواحد ذكر وأنثى . وظاهر من إرادته هذه العبارة أنه يؤمن بظاهرة الذكورة وإن لم يتبين هذه الأعضاء في النبات على نحو من الأنحاء .

وتكلم عن الثمار في النباتات المختلفة ، فقال منها ما له غطاء صلب ، أصلب من الموق كالحوز واللوز ، ومنها ما هو لين متخلخل ، وعن ترتيب البذور في الثمار ووجود أو عدم وجود حواجز فيما بينها ، يقول والشوك منه شوك أصلي وشوك زور ، والشوك الأصلي كالسلاح للشجرة وربما كان للزينة وربما كان لمنفعة تتعلق بالشجرة ، وكثير من الأشجار ، تشوك في حداتها ثم يسقط الشوك إذا استعاض عنه بالخلاء الصلب ، يقول ، وربما انتاك ما لا شوك له . يقول ، ومن النبات ما هو شجر مطلق وهو القائم على ساقه ، ومنه ما هو حشيش مطلق ، وهو الذي تنبسط ساقه على الأرض ، ومن النبات ما هو بقل مطلق ، وأما الحشائش البقلية وربما سميت عشبية ، فهو الذي له توريق من أسفله ، والنبات البقل كثير منه لاساق له متصب ، كالخس والماض والسلق ، وذلك بحسب أغراض الطبيعة ، فإن من النبات ما الغرض الطبيعي في عوده وساقه ، ومنه ما هو في أصله ، ومنه ما هو في غصنه ، ومنه ما هو في قشره ، ومنه ما هو في شعره وورقه .

وتكلم عن توزيع الغذاء في النبات وبين أعضائه المختلفة ، فقال إن الغذاء يجب أن يكون رطباً حسن القبول للتشكل منه ، ولم يكن بد أن يكون بين الغذاء وبين الجسد من الأشجار جرم أنحف جوهرًا يسهل فيه نفوذ الغذاء إلى المقتضى ، ويجب أن يمتد فيه جميعه امتداد المخ في العظام ، ووجب أن يقع في الوسط ليكون القسمة الصادرة عنه عادلة . وهذه ملاحظات وآراء لها قيمتها رغم أن ما أسماه الباب قد لا يكون له شأن كبير في توزيع الغذاء ، ويقول إن ما يعظم حجمه ويطول قده في مدة قصيرة امتنع أن يكون صلباً ، فإن الصلب يحتاج إلى مادة خاصة ومدة طامحة .

وتكلم عن أعضاء النباتات المتشابهة مثل اللحاء والخشب واللباب الذى فى الوسط والأعضاء المركبة مثل الساق والفصن والأصل (الجذر) ، وقال لبعض النباتات أشياء شبيهة بالأعضاء الأصلية وليست منها .

وكذلك تكلم عن النبات السيفى أو الساحلى والسبخى والرملى والمائى والجبل . قال : ومن النبات ما يقبل الوصل بغيره لعله يريد التطعيم بمختلف وسائله ، يقول والوصل قد يكون بلحام الموصول بالموصول به ، فيحتاج أن يتلاقى القشران على تماس . ويقول عن الفجل إنه يهضم ولا يهضم ، لأنه لا يهضم بجميع أجزائه بل بالجوهر اللطيف الذى فيه ، فإذا تحلل ذلك عنه ، بقى الجوهر الكثيف الذى فيه عاصيا على القوة الهاضمة لزجا .

وتكلم ابن سينا عن النباتات المستديمة الخضرة ، وتلك التى تسقط أوراقها فى مواسم معينة . وقد عالج بطريقته الفذة كثيرا من المسائل النباتية ، وحالفه التوفيق فى كثير منها ، وسبق علماء الغرب المحدثين فى بعضها .

رحم الله الشيخ الرئيس بقدر ما أسدى للعلم والإنسانية من أياد وفتوحات خالدة على الزمان .

بسم الله الرحمن الرحيم^(١)

الفن السابع

في النبات من جملة الطبيعيات

وهو مقالة واحدة

تتضمن على سبعة فصول

(١) بسم الله الرحمن الرحيم : ساقطة من د ، ع ، سا (٢ - ٥) الفن السابع . . . سبعة فصول :
كتاب النبات من كتاب الشفاء ب ، م ؛ الفن السابع من الطبيعيات في النبات وهو مقالة واحدة تتضمن على
سبعة فصول د [ثم تذكر النسخة عناوين الفصول كلها] ؛ الفن السابع من الطبيعيات في النبات وهو سبعة
فصول سا .

[الفصل الأول]

(١) فصل

في تولد النبات واغذائه وذكره وأثناء وأصل مزاجه

- أما النبات فقد يشارك الحيوان في الأفعال والانفعالات المتعلقة بالغذاء ، إيرادا على البدن ، وتوزيما ، وإبانة للفضل ، وتوليدا للبذر المتولد عنه . ويكون جذبہ للغذاء على سبيل جذب الأعضاء منا ، التي تجذب بقوة طبيعية ليست عن شهوة حسية ، تخص عضوا عضوا ، كما يخص الجذب عضوا عضوا . وهذه الشهوة هي التي مع تخيل ما ، وإنما يجب أن تكون مثل هذه الشهوة لما له أن يتحرك إلى طلب غذائه وتحصيله كالإنسان والفرس أو ينسبط إليه ويتقبض عنه كالصدف في غشائه . وأما ما لا سبيل له إلى تحصيل الغذاء بالكسب التابع للانتقال إليه أو الانبساط إليه على حال ، بل ليس له من الغذاء إلا ما يتصل به كالنبات ، وما يجذب إليه لا عن إرادته كالأعضاء ، فليس هناك شهوة ، ولا يحتاج هذا إلى فضل قوة فيه .

- وبالحري إن لم يعط النبات حسا ، ولو أعطى لكان معطلا ، إذ كان لا سبيل له إلى الحرب من ضرر ، والطلب لنافع . وأبعد الناس من الحق من جعل للنبات مع الحس عقلا وفهما ، مثل أنكساغورس وأنبادقليس وديمقريطيس . فإن كان التصرف في الغذاء يسمى حياة ، حتى يكون الجسم إذا كان له أن يبقى بالاغذاء كان حيا ، فإذا عجز عن استبقاء شخصه بالغذاء وتسلب عليه المفسد من خارج حتى غير مزاجه وحال قوته كان ميتا ، فبالحري أن يقال إن للنبات حياة ، وإن كان من شرط الحياة أن يكون مع ذلك إدراك وحركة ما إرادية ، فلا يجوز أن تجعل للنبات حياة بوجه من الوجوه . وأكثر الخصام في هذا لفظي .

٢٠

- (٢) فصل : فصل ا ب ؛ الفصل الأول د ، ط . (٤) والانفعالات : والانفعال ط . (٥) للبذر : بالبزرب ، د ، سا ، ط || المتولد : للتولد || للغذاء : الغذاء م . (٧) عضوا (الأولى) : ساقطة من د || التي : تكون سا . (١٠) للانتقال : إلى الانتقال ط || إله (الأولى) : ساقطة من سا || أو الانبساط : والانبساط ط || على : في م . (١٢) قوة : قول ط . (١٤) الحس : حس ط (١٨) يقال إن : يقال د ، سا ، ط ، م || من : ساقطة من د ، سا ، ط (١٩) ما إرادية : بالإرادة ط .

وأما لفظة الحيوان فتشبه أن تكون موضوعة لما لا حس وحركة إرادية . فحينئذ يُشَبَّه أن لا يسمى النبات حيوانا البتة .

وقد فرق قوم بين الحى والحيوان فرقا من هذا القبيل . وهذا التفريق بين مفهوم لفظة ذى الحياة ولفظة الحيوان اختلافٌ لا يعرفه أصحاب اللغات . ولما كان النبات لا حس له ، لم يكن له نوم ولا يقظة ، إذ كان النوم تعطلاً للحس ، واليقظة نهوضاً ما من الحس . وأما الذكورة والأنوثة فلتأصل أن يقول في النبات ذكر وأنثى ، ولقائل أن يمنع ذلك ، فإن عنى بالذكر جسماً من شأنه أن يكون مبدءاً بوجه من الوجوه لتحريك مادة من المواد الموجودة في مشاركة في النوع ، أو مقارنة إلى صورة مثل صورته في النوع ، أو مقارنة له ؛ وبالأنثى جسماً يكون فيه المبدأ المنفعل القابل للصورة على النحو المذكور ، لم يبعد أن يكون في النبات ذكر وأنثى ، ولم يبعد أن يكون النبات الواحد ذكراً وأنثى ، فيكون من حيث تتولد فيه المادة المذكورة أنثى ، ومن حيث فيه قوة تصورها ذكراً . وإن عنى بالذكر لا هذا ، بل الذى من شأنه أن ينفصل عنه بأفعال يتولاها جسم من طريق آلات معدة له إلى قابل له ، يؤثر هذا الجسم في مادة في ذلك القابل الأثر المذكور ، وتكون الأنثى الذى بإزائه ، وهو الذى يقبل هذا ويستودعه . فلا يوجد في النبات ذكر وأنثى ، فضلاً عن أن يجتمع في شخص واحد .

ولنسأح الآن ونضع أن القوة التى تفضل من النبات فضلاً يدخل في قوام ما يتولد عنه المثل هى قوة الأنوثة ، وأما القوة التى تتصرف في هذا الفضل بالتصوير فهى قوة الذكورة . وقد تتلاقى القوتان في الحيوان عن اقتراق في شخصين تلاقيا في أحد الشخصين ، كما يقع عند الحبل ؛ وربما تلاقيا وفارقتا بعده الشخصين ، مثل ما يعرض في الطيور إذا باضت ، فإن البيضة حينئذ تستعمل على قوة مؤلدة وعلى قوة قابلة للتصوير والتوليد ، ولذلك

(١) موضوعة : موضوعاً سا || حس : جنس سا . (٣) وهذا : وبهذا ، ط ؛ وهل م || التفريق : الفريق سا (٥) إذ : إذا ، سا (٦) من الحس : للحس ط (٧) جسماً : جسماً ما ط (٩) وبالأنثى : والأنثى د || المنفعل : المنفصل د ؛ المنفصل المنفعل سا || القابل : المقابل سا (١٠) لم : ولم ط || يكون (الثانية) : ساقطة ط ؛ + في النبات م (١١) حيث (الأولى) : + أن ط (١٢) وإن : فإن ط (١٧) عنه : منه ، سا || هى : هو سا || قوة (الأولى) : القوة ط (١٩) وفارقتا : وفارقتا د ، سا ، ط ، م (٢٠) مولدة : ساقطة من سا || وعلى قوة : ساقطة من سا .

ما يتولد فيها الفرخ ويتصور . ويشبه أن يكون حال البزور في النبات هذه الحال ، إلا أن القوتين لا تتلاقيان فيها عن افتراق في شخصين ، بل تحصلان لما من شخص واحد . والبذر يتولد منه النبات عن مبدأ محرك فيه ، وربما تولد عنه تولدا من غير مدد من خارج يستد به ، كما ينبت الباقي . وربما احتاج إلى استمداد مدد يستحيل إلى مشاكلة الجزء المنفصل من أجزائه ، وهو الذى يقوم مقام منى الأنثى ، فتمده القوة النفسانية ، وهو الغذاء . وليس ٥ الغرس حكمه من البذر حكم نظفة الأنثى ، بل حكمه حكم الغذاء . ولا يختلف حكمه عند ابتداء توليد النبات من البزور ، وعند ما يولد ويقتذى ، ولكن حكمه منه حكم الغذاء .

وفي النبات شئ يقوم مقام الرحم والذكر جميعا ، وشئ يقوم مقام البيضة . فأما الشئ الذى هو كالرحم فالهناك التى توجد فى عقد الأغصان والزرع ، وقد توجد أيضا فى البزور . وهى أشياء متميزة من تلقائها تتولد الأغصان فى النبات نفسه ، وفى بزر النبات ، أو ١٠ ما يقوم مقام الأغصان . وليس يجب أن نظن أن تلك الأشياء هى كالمنى الذكورية ، بل تلك الأشياء مجامع للقوتين جميعا . فهناك تفعل المولدة فى المتولدة فعلها ، وهناك تُستحفظ القوتان جميعا ومادتا القوتين ، وهى فى النبات كالأرحام المشتملة ، وفى البزور فكأشياء فى البيض منها تفيض قوة التوليد والتولد معا . وذلك أن فى البيض مبادئ منها يكون مبدأ انبعاث القوتين المجتمعتين . وقد تتميز فى الحس عن سائر أجزاء البيض ، وتكون كأنها فى ١٥ البيض رحم ثان ، فكان البيض غذاء لذلك الرحم .

وبالجملة فإن هذه الأشياء فى البزور والنبات ما دامت صحيحة موجودة ولدت البزور والنبات ، وإن أصابها آفة لم تولد . وفيها يستحفظ قوة التوليد والتولد . وليس يجب أن نقول التوليد وحده دون التولد ، بل كلا الفعلين يمان هناك وينبعثان من هناك . وما كان

-
- (١) الفرخ : القروح سا . (٢) والبذر : فالبذر ، سا ، ط ، م (٤) الباقي :
 الباقلاء سا ، ط ، المباقلى م (٦) الغرس : المغرس د ، سا (٧) البزور : البزرد ، سا ، ط ، م
 (٩) الأغصان : الأعصاب م (١٠) متميزة : مثمرة م || بزر : بزور ط (١٤) يكون :
 ما يكون سا || مبدأ : ساقطة من ب (١٦) فكان : وكان د ، سا ، ط (١٧) والنبات :
 وفى النبات ط (١٧) ولدت : ولذات م (١٨) تولد : متولد م || والتولد : والتوالد ب
 (١٩) نقول : + أن ب .

من الحيوان متميز الأعضاء الآلية لفعل فعل متميز الذكورة والأنوثة ، وكان إنما يتولد من
فضلة تنفصل عن الذكر والأنثى إلى عضو خاص من الأنثى قابل له لم يمكن أن يكون
ما يتولد من نوعه مثله متصلا به ، لأن الشخص الواحد لا يكمل لذلك ، لأن فيه مبدأ
واحد . وأما إن كان من الحيوان شئ مداخل الأعضاء ، أى ليس لمبدأ حسه عضو مفرد ،
ولغذائه عضو مفرد ، بل ينفذ البعض في البعض ، ولا تتميز فيه الذكورة من الأنوثة ، فليس
توليد من الغير ، بل من أجزائه ، وليس بعض أجزائه أولى أن يحدث فيه مبدأ كون مثله
من بعض ، فليس ما يتولد عنه يجب أن يكون منفصلا عنه لا غير ، فيجوز في مثل هذا
الحيوان أن يبقى بعد البتر . والنبات حكمه حكم هذا الحيوان ، وهو في ذلك أشد كثيرا ،
فكذلك ما يتولد عن النبات نفسه أغصان بعد أغصان ، كأنها أعضاء بعد أعضاء ، إلا
أنها متشابهة جدا في ظاهر الأمر . وتتولد فيها مبادئ مختلفة للتوليد في مواضع مختلفة ،
فتتولد فيها أغصان كثيرة وأصول كثيرة ، وتعود بعد القطع . وإن كان ذلك ليس على
ما ظن بعض الناس أنه غير محدود ، بل لذلك حد في القدر والعدد ، وحد في الزمان
لا محالة يأخذ بعده في الذبول . وربما ظهر جدا ، وربما لم يظهر الذبول في الحجم لصلابة
النبات وامتناع الاجتماع نحو التصغير والذبول على أجزائه ، بل يكون ذبوله في تخلخله لا في
تصغره . ولو لم يكن النبات مستعد الشخص للفناء الذى بعد الذبول الذى بعد الوقوف ،
لما كان إلى إحداث البذر حاجة حتى يتولد عنه مثله من مسقطه .

على أن من النبات ما فيه تميز أعضاء بوجه من الوجوه ، فإذا نطح منه مبدأ عضو
مخصوص بطل كالنخل . ويشبه أن يكون من النبات ما يقوم مقام الذكر بأن تكون ملاقاته
بوجه من الوجوه معينة على توليد البذر أو الثمرة ، وهذا كالنخل أيضا . ويشبه أن يكون
النبات لأجل الحيوانات ، والحيوانات الأخرى لأجل الإنسان . ولذلك خلق للنبات

(١) متميز (الأولى) : متميزة ط || متميز (الثانية) : يتميز م (٢) خاص : خالص سا . || يمكن :
يمكن سا ، م (٣) ما يتولد : إنما يتولد م || من : عن سا || مثله : مثل د (٦) بل : ساقطة من م
|| أن : بأن ط || كون : لكون ط (٩) بعد (الأولى) : هذا م (١٠) وتتولد : ومتولد م .
(١٣) الحجم : الجسم ط (١٤) النبات : النبات سا (١٥) بعد الذبول الذى : ساقطة من د
(١٦) مثله من : في د || مسقطه : تسقطه م (١٨) بطل : بطل د || كالنخل : كالنخل ب ، سا
(١٩) معينة : معينا د ، سا (٢٠) الحيوانات (الأولى) : الحيوان د ، سا || للنبات : النبات م .

أحوال بعضها ينفعها في أنفسها ، مثل كونها ذوات عروق منها تقتذى ، وذوات لحاء بها تتقى ، وبعضها يلتفع بها غيرها من الحيوان ، كما زين بعضها بالترايين ، التي إنما ينفع بها الحاس لا غير ، وينتفع بها لا المزين ، بل غيره ، مثل النقوش الحسنة والأراييح الطيبة .

ولما كان التكون بالتصور والتشكل ، والتصور والتشكل لا تنقاد له إلا الرطوبة ،

- فلا بد في التصور الأول من رطوبة ، ولأن قوام المغتذى بالغذاء على أنه شبه بالقوة ،
والغذاء يغذو بالاتصال ، والاتصال لا يسهل إلا بالرطوبة . وأيضا فلا بد في بقاء المتصور
من رطوبة ، وذلك لأن المتصل والمتصل به يتشابهان بالفعل إذا صار الغذاء غذاء بالفعل ،
فيكون الأصل أيضا رطبا في نفسه إذ كان الوارد شبيها به ولم يجرى في المجارى إلا رطبا .
ولما كان الغذاء يحتاج إلى سهولة الاقتراق ، وسهولة السيلان ، لم يكن أيضا بد من
رطوبة . ولما كان الطبخ والتسيل والتفريق بالتحليل لا يصدر إلا عن الحار ، لم يكن
بد للبدن المغتذى من حرارة .

- فإذن الحياة النباتية ، وبالجملة الغذائية ، تتعلق بالرطوبة والحرارة . فمزاج كل نبات
رطب حار في نفسه ، وهو الغالب عليه . وإن كان منه ما هو بالقياس إلى أبداننا يابس
بارد . وستكلم في هذا الباب بعض الكلام إذا عرض وقته . وإذا كانت هذه الحياة
بالرطوبة والحرارة ، فالموت المقابل إنما يعرض لفناء مادة الرطوبة وطفوء الحرارة .
وذلك لأن هذه الحياة لجرم رطب وحار ، والرطب الحار يتحلل والمتحلل ينتهى تحله أو
يأتيه بدل ، فالبدل رطب ، فإذا انقطعت مادة الرطوبة وطفئت الحرارة المتعلقة بها على
سبيل التغذى ، وعلى نحو ما قيل في مواضع أخرى ، وعلى ما بسطنا في كل البسط في كتابنا
الكبير في صناعة الطب ، لزم أن يفسد جوهر الذى له هذه الحياة . فإذن استحالة مزاج
مثله إلى برد ويس ناء .

٢٠

- (١) ينفعها : لنفعها د || لحاء : الحاء د ، سا (٢) بالترايين : بالترايين م .
(٣) المزين : المتزين سا (٥) رطوبة : الرطوبة ط (٧) يتشابهان : يتشابهان ط
(١٤) عرض : أعرض م (١٥) وطفوء : واطفاء ط .

[الفصل الثانى]

(ب) فصل

فى أعضاء النبات فى أول النشوء وبعد ذلك

أنه كما أن للحيوان أعضاء أصلية متشابهة الأجزاء ، وأعضاء مركبة ، وللحيوان أشياء ليست بأعضاء أصلية ، بل توابع للأعضاء ، وكالأعضاء ، قد تحدث وقد تبين مثل الشعر والظفر . وللحيوان فضول تنتفض ، بعضها يجمع إلى منفعة النفض منفعة أخرى كالمنى ، وبعضها يقتصر على المنفعة التى تعقب النفض لا غير كالرمص .

كذلك للنبات أعضاء أصلية متشابهة الأجزاء ، مثل اللحاء والخشب واللباب الذى فى الوسط ، وأعضاء مركبة مثل الساق والفصن والأصل . وللنبات أشياء شبيهة بالأعضاء الأصلية وليست بها ، كالورق والزهر وكالثمر ، فإنها ليست أعضاء أصلية ، لكنها أجزاء كالية ، كالشعر والظفر للناس . وأيضا للنبات انتفاض فضل نظير للقسم الأول كالثمار والبرور ، وانتفاض فضل نظير للقسم الثانى كالصموغ والألبان والسيالات .

وليس الثمرة كالبرر ، فإن الثمرة ليس يحتاج إليها فى جميع أجزائها ليكون للنبات أعضاء أصلية أو يكون لها توليد ، وأما البرر فإنه يحتاج إليه فى جميع أجزائه لا فى أن يكون للنبات عضو أصلى ، ولكن ليكون له توليد . والثمره والبرر يشتركان فى أنهما أشباه الأعضاء ، ويفارقان المنى . فإن المنى ليس من أشباه الأعضاء ، ولكن من أشباه

(٢) فصل : فصل ب ب ، الفصل الثانى د ، ط (٣) النشوء : النشوء ؛ [نشوت فى بنى فلان ربيت (نادر) وهو محمول من نشأت . ونشأ ينشولفة فى نشأ ينشأ (اللسان)] (٤) أصلية : صلبة م (٥) تبين : تنثرم (٦) وللحيوان : للحيوان م || بعضها : فبعضها د (٧) لاغير ساقطة من سا || كالرمص : كالعضود ؛ كالرمض سا ، م ؛ [الرَّمَصُ فى العين : كالقَمَص وهو قذى تلفظ به (اللسان)] (٨) الذى : التى د (١٠) وكالثمر : والثرط (١١) نظير : نظيراد ، سا ؛ نظرم || للقسم : القسم ط (١٢) نظير : نظيراد ، سا ؛ نظرم || للقسم : القسم ط . (١٤ — ١٥) لافى . . . أصل : ليكون للنبات أعضاء أصلية أو يكون لها توليد وأما البرر فإنه يحتاج إليه فى جميع أجزائه ليكون للنبات أعضاء أصلية م (١٦) الأعضاء : للأعضاء ط .

الأخلاط . والنبات وإن كان ممتيز الأجزاء ، فإن أجزائه تذهب في جهاته معا ، وليس كذلك أجزاء الثمرة ولا أجزاء الحيوان .

واعلم أن البذر إذا فعلت فيه القوة المولدة والقوة المتولدة من إصعاد أجزاء وحدر أجزاء لم يجوز أن يقال إن الثقل يرسب والخفيف يطفو . فقد علمت هذا علما بل ينسب كل شيء منه إلى جهة تحريك النفس ، وإن كان الثقل للإحدار وأقبل والخفيف للإصعاد ٥ أطوع .

ولم يحسن من ظن أن الشجر الحار المزاج إنما تقل أصوله ويقل غوصها بسبب قلة الثقل فيه ، كأن الثقل لو كثر فيه لنفذ في الأرض نفوذ ثاقب لا يزال يتخلل ثخن الأرض . وقال : إن الأشجار الحارة المزاج لا تعرق عروقا كثيرة ، وإن عظمت ، كالصنوبر . وهذا فساد ظن ، فإن ثقل أجزاء الشيء الأرضي لا ينفذ بها في خلل الأرض ، ولو كان ١٠ كذلك لكانت أشياء من العروق المذكورة إذا لاقت سطح الأرض امتنعت عن النفوذ فيه . وليس كذلك ، بل العروق تحدث عن توليد من القوى ، وتنفذ عن طاعة من قواها المنفعلة للقوى الفاعلة . وما كان أرضيا من الأشجار تستجمع فيه عدة من الموجبات لكثرة التعريق . من ذلك أنه أضعف قوى جذب ، فيحتاج إلى تكثير الآلات . ومن ذلك أنه أحوج إلى امتصاص من خالص الأرض والماء ، فيحتاج إلى التعميق . ومن ذلك أنه ١٥ أثقل من الهواء المزاج والناري إذا قاربه في الحجم ، فيحتاج إلى فضل استظهار يأمن به من التزعزع عند المصادمات ، وخصوصا وفي طبعه ما يحطه إلى السقوط . وأما الأشجار الحارة فهي مع فقدان هذه العلل شديدة الحاجة إلى اجتذاب الهوائية والنارية في جملة ما تمتصه ليتولد منها ومن امتصاصها الأرضية غذاء أشبه بيوهرها ، فيجب لذلك أن تقرب فوهات العروق من النسيم . ولما كان الحيوان معضودا بالحركة الاختيارية ، وكانت ٢٠

(٢) الحيوان : الحيوانات ب ، ساقطة من د (٣) فعلت : فعل ب ، د ، سا ، م (٣-٤) وحدر أجزاء : واحدا وأجزاء د ، ط ، وانحدار سا (٤) هذا : بهذا ط ، م (٥) منه : عنه د ، (٧) الحار : الخارج سا || غوصها : غوصه ط . (٨) الثقل (الأولى) : الثقل د ، الثقل م . (١٣) الفاعلة : الفاعلة ب || تستجمع : سيجمع د ، سا ، م (١٦) والناري : والنارية ب ، د ، سا ، م . (١٧) من : ساقطة من د ، سا || التزعزع : الزعزع ط || وخصوصا : خصوصا سا || طبعه : طبيعه د || ما يحطه : ما يحط م (٢٠) النسيم : المنهم د ، سا ، م .

أعضاؤه متميزة الأوضاع ، لم يحتاج إلى كثرة الآلات للاغتذاء . وأما النبات ، فلما كان مركوزا في موضع واحد، فلو اقتصر فيه على عرق واحد يأتيه الغذاء من جهته، لكان معرضا للتحلل . فإنه كان إنما يصل إليه من الغذاء ما يؤديه ذلك العرق وحده ، وكان لا يبعد أن يكون ما يؤديه ذلك العرق بالامتصاص الطبيعي لا بالمضغ والبلع الإرادى قاصرا عن الكفاية . وخصوصا ، ويحتاج قبل الامتصاص أو معه إلى إحالة ما إذا قبلها الغذاء صالح حينئذ للتوزيع، وقبل ذلك إنما هو أرض وماء وما موحا ، أو شيء قريب منها . وربما كانت الجهة التي ينبعث إليها العرق ضعيفة الطعم ، أو قد عرض لها آفة من الآفات، وليس للعرق أن يخرف عنها اختيارا انحراف الحيوان عن مثلها ، ليستبدل الخصب على الجذب ، ويختار السالم من المتخص على المؤوف . فكثرة ذلك عروته ، ليس لأن النبات كثير الأوائل فيحتاج كل أول إلى عرق أو يعرض لعدة منها عرق . لأنه قد كان يجوز أن يكون عرق واحد يقوت الأوائل الكثيرة ، أو عروق كثيرة تقوت أولا واحدا، بل السبب فيه ما ذكرنا .

ولهذا في الحيوان نظير معلوم ، فإن المعدة لما كان ما يأتيها عن اختيار وعن آلات معدة للاختيار ، صار المنفذ الواحد يكفيها . وأما الكبد فلما كان امتصاصه للغذاء طبيعيا شيئا بامتصاص النبات، كثرت عروقه، وتشعبت شعبا آخذة في جهات شتى تجتمع إلى ساق واحد . ومن شأن العرق المنبعث عن الهيئة الرحمية التي في البذر أن يأخذ في جهة، ومن شأن الشعبة النباتية الساقية والفرعية أن تأخذ إلى جهة، وينسلخ البذر متعلقا منهما في طرف . وذلك لأنه ليس كل البذر هو المبدأ المذكور بل جزء منه ، وسائر كالمادة التي ترسل فيما تنبت قليلا قليلا على سبيل التغذية، كذلك إلى أن يستحكم قوته، وينبغ

- (٢) يأتيه : فأتيه م (٣) وكان : فكان سا ، ط ، م (٦) وما معها : ويتبعها د .
 (٧) العرق : العروق سا ، ط (٨) عنها : عنه د ، سا ، ط ، م || انحراف : كانحراف ط .
 (٩) المنخص : الماص د ؛ الماص سا || المؤوف : ووف د (٩) ليس : وليس ط (١٠) أو يعرض : يعرض د ؛ أو يعرض سا || لعدة : لكل عدة سا ؛ بعده م (١١) تقوت : تعول د ، سا ، م .
 (١٣) نظير : نظرم (١٥) شيئا : شيها م || وتشعبت : وشعبت ب ، د ، ط ، م ||
 شعبا : شعوباب ، د ، سا ، م . (١٧) في : من ط . || النباتية : الثانية د ، م ؛
 النباتية سا ، ط . || وينسلخ : وينسلم د ، سا ، طا ،

أن يمتص من الأرض ، كما يتدرج ولد الحيوان من الاغذاء بدم الطمث من السرة ، إلى أن يكون له أن يقتدى باللبن من الثدي بالإرادة ثم باللبن إلى أن يكون له أن يقتدى بما تنقله إليه يده من الأغذية التي تلتقط وتجن وتحصل بالإرادة . فيكون أول ما يقتدى به طبيعيا مطلقا ، والثاني طبيعي التولد إرادى التناول باستعمال عضو واحد ، والثالث صناعي التولد إرادى التحصيل والتناول معا .

•

وكذلك المبدأ المولد في النبات يهئ من نفسه أولا عرقا صغيرا يمتص منه مصاصة قليلة من خارج يستعين به على إنشاء الفرع والعرق القوى النائد في الأرض ، فإنه يكتفى بمعونة مادة يسيرة رطبة من خارج في تغذية ما يشاء منه فرعا وعرقا . وأكثر ما ينفق عليه إنما هو من الموجود في محله ، وهو البذر وبعد ذلك فإنه لا يزال النبات يزداد امتصاصا من خارج وإرسالا من داخل ، حتى يتوافى فناء المادة التي من داخل وانتعاش القوة المنتصة من خارج . فحينئذ يكون حشو البذر قد توزع في التوليد ، واستقل الناشئ بالاغذاء ، وتعطل الغشاء الذي كان لغرض وقايته ، لا لكونه مادة تعطل المشيمة وما معها ، وتبأت الشعبة العرقية الصغيرة للسقوط لتعطلها ، كالسرة عند الاستغناء عنها .

-
- (١) أن يمتص : إلى أن تمتص ط || الاغذاء : الفلور ب ، د ، سا ، م .
 (٢) يقتدى (الأولى) : يقتدى سا (٤) والثالث : والثاني د (٥) والتناول : والتناول د . (٦) وكذلك :
 فذلك د ؛ فكذلك سا ، ط ، م . (٧) فإنه : فإنها د ، سا ، ط ، م (٨) وعرقا : عرقا ط .
 (٩) امتصاصا : امتصاصه م || من خارج : ساقطة من ب ، م (١٠) وإرسالا : إرسالا ط ، م
 (١١) واستقل : واشتغل ط (١٢) لغرض : لعرق م || مادة : - - متولد د ، سا :
 || تعطل : وتعطل م .

[الفصل الثالث]

(ج) فصل

في مبادئ التغذية والتوليد، والتولد في النبات

هذه المبادئ الرحمة التي منها ينبت النبات عن بزره وعن غصنه، يختلف حالها في الغصن والبزر. وذلك لأنه إما في البذر فيكون في أكثر النبات مبدأ توليده وتغذيته هو بعينه مبدأ التولد عنه، وإما في الغصن فإنه يقتدى بجذبه بما يندفع إليه من عروق جملة الشجر لا من هذه المبادئ. وذلك لأن الغصن يحتاج في كونه غصنا إلى أن يكون متصلا بأحد أطرافه من الساق اتصال الشبه بالشبه مشاركا له فيما يقتدى منه، ولا يمكنه أن يكون ملاقيا بالمبادئ التي يتفرع عنه أصلها، لأنها إنما تتفرع إلى فوق الغصن أيضا، وتزيد في حجم النبات على سبيل الازدياد في النمو، وتستمد من تحت على أنه جزء.

وأما البزر فإنه كشيء متميز ومخالف الجوهر للجوهر ما ينبت منه، وليس مما يتم جوهره مما ينبت ويزيد فيه على سبيل النمو فإن النبات لا يصير أعظم بزره، بل بعظم ساقه وأغصانه. فيجوز أن يكون الجزء الذي يقتدى به أولا، هو الجزء الذي يولده عنه ثانيا في زمانين، وأن لا يحتاج إلى مبادئ توليدات للازدياد ليست في جهة اغتذائه. وأما الغصن والنبات فيُفرع إلى فوق ويقتدى من أسفل، وذلك له في زمان واحد، فيجب أن يفترق أولاه.

ولما كانت المبادئ في البزور بهذه الصفة افتراق أوضاعها بحسب انتراق المصالح، وكان في بعضها وهو في الأكثر يل الطرف الأعلى، لأن أكثر الغرض في البزر التوليد، وتوليد التفرع، والتفرع إلى فوق، فلذلك جعل في الأكثر إلى فوق، لكنه لم يجعل في الطرف نفسه، لئلا يعسر امتصاص الغذاء به، إذ كان الغذاء إنما يأتيه من تحت، وفي بعضها جعل إلى الوسط من طوله، إذا كان المزاج من البزر أضعف، ومنازعه

(٢) فصل : فصل حب في الفصل الثالث د، ط . (٤) عن بزره : غريزية م . (٦) في : ساقطة من ط || يقتدى : يتندى سا || بجزمه : بجزمه د، سا ي بجذبه ط || بما : لما ط . (٩) عنه : ساقطة من م || أصلها : أصلها ب، م . (١١) كشيء : شيء م . (١٢) ويزيد : يزيد ط . (١٥) فيفرع : فيفرع د، يتفرع ط . || أولاه : أولا ط . (١٩) تحت : ساقطة من د . (٢٠) ومنازعه : ومنازعه د، سا .

فيما يأتيه من الغذاء أقوى ، مثل الخنطة والشعير . وفي بعضها جعل المبادئ إلى تحت ، إذ كانت الدواعي إلى ذلك أشد ، مثل ما عرض لحبوب الفواكه الكثيرة الحبوب عددا الصغيرتها حجما .

- ولما كان البذر ليس الغرض فيه نمو نفسه ، بل نشوء غيره عنه ، لم يحتج إلى أن تكون فيه مبادئ كثيرة ، سداجة النبات المحتاج إلى كثرة الفروع . وكفى في كل بذر مبدأ واحد ٥ يتولد منه نبت واحد ، ويتولد في ذلك النبت مبادئ كثيرة . ولما كان كذلك ، وكانت الطبيعة هديت بتسخير القوة الإلهية إلى تضعيف كل خب ولبه ، لتكون لآفة إذا عرضت لم تقش في الكل كمعادتها في أكثر ما يتولد عنها من أعضاء الحيوان ، إلا ما لا سبيل إلى تضعيفه لفساد يعرض عن تضعيفه ، خلقت هذه المبادئ في الحاد المشترك ، وملتمة من كل واحد منهما . فإن كان الثام الجزأين ضعيفا كان المبدأ أيضا ملتما من قطعتين التماما ١٠ ضعيفا ، كما في الباقي ، وإن لم يكن ضعيفا ، كان المبدأ كذلك ، كما في الخنطة . والتكون عن هذا المبدأ شيء كأن أوله هو لهذا المبدأ . وليس هو بالحقيقة كذلك ، لأن هذا المبدأ هو مكان للتكون والمغتذى ، لا نفس المتكون والمغتذى للنمو . لكن ما يشتمل عليه من المادة هو أول متصور ، وما يشتمل عليه سائر جوهر البذر والحب هو أول غذاء . والقوتان اللتان فيه تزدادان بالانتعاش والانتشار ، من حيث يصدر عنهما الغدو ، ويبطلان من ١٥ حيث هو التوليد ، ويتعطلان إلى أن يتخلق منوي .

هذا هو المشهور الظاهر ، إلا أن الحق هو أن النفس واحدة ، ولها قوى تنبعث عنها بحسب وجود القابل ، وأن هذه الوجوه كالجزم من النفس التي كانت في الأصل الذي

- (٤) نمو : هو م || نفسه : غيره سا (٦) واحد : واحدة ط (٨) أكثر : الأكثر ط (٩) لفساد : + ما ط || عن : من ط || وملتمة : وملتامة د (١٠) الجزأين : الحدين د ، سا || أيضا : + ضعيفا م || ملتما : مائتاما د (١٠ - ١١) أيضا . . . المبدأ : ساقطة من سا . (١١) الباقي : الباقل ط || والتكون : وإذا تكون سا . ط . (١٢) المبدأ (الأولى) : + هو م || هو (الأولى) : نمو سا ، ط (١٣) للتكون : للتكون م (١٥) بالانتعاش : بانتعاش د ، بالانتعاش ط || عنهما : منهما ب ، ط ، م || الغدو : التغذى ط (١٦) منوي : منوي د ، ط ، م . (١٧) هو : ساقطة من د .

تولد عنه للبر. وإذا كانت الأنفس النباتية والحيوانية قد تتجزأ بتجزؤ الموضوع، على ما سنعلم، فإذا حصلت في البر كان البر محلاً للقوة الغذائية، لصلوحها لاستعماله. وإلى أن تتخلق آلة التوليد تكون المولدة خير موجودة بالفعل مولدة، فإذا وجدت الآلة انبعثت المولدة عن تلك النفس الأولى، التي هي بالحقيقة غاذية ومولدة.

- وقد شرحنا هذا في كلامنا في النفس. ويكون نشوما ينشأ لتحريك القوة المولدة لا غير، ولا يكون لحركات الثقل والخفة فيه تأثير، إلا أن الثقل يكون أطوع لتحريك إلى أسفل منه لتحريك إلى فوق، على أنه قد يتحرك إلى فوق. والخفيف يكون أطوع لتحريك إلى فوق منه لتحريك إلى أسفل، على أنه يتحرك إلى أسفل. وربما حرك في بعضها الثقل إلى فوق، أكثر منه إلى أسفل، بل ذلك في الأكثر. وربما حرك في بعضها الخفيف إلى أسفل، أكثر منه إلى فوق، على حسب الأوفق لذلك الكائن.

(١) تجزؤ : ساقطة من د (٢) محلا : محلام || تتخلق : + له ط .
 (٣) ولا يكون : فلا يكون سا || لحركات : لتحريك ب ، الحركات م || والخفة : ساقطة من م .
 || إلا : لام (٧) لتحريك : إلى التحريك ط || على أنه قد يتحرك إلى فوق : ساقطة من ب ، سا
 (٧-٨) والخفيف . . . فوق : ساقطة من سا . (٨) منه : ساقطة من م || أنه : + قد د ، سا
 || حرك : خرق م .

[الفصل الرابع]

(د) فصل

في حال تولّد أجزاء النبات وحال اختلافها واختلاف النبات بحسب البلاد

- ويتولد أول ما يتولد عن النبات الشجرى أولية بالطبع؛ ليس يجب أن تكون بالزمان أو بالكمال طبقات ثلاث ، تقوم جرمه ، اللب وما يتصل به ، والعود من الخشب وما يشبهه وما يتصل به ، واللحاء وما يتممه وما يتصل به . وقد يصحب تكوّن ذلك تكوّن الورق ، فإن الورق خلق للوقاية ، وهو في مثل ذلك الوقت أوقى ، إذ الحاجة في مثل ذلك الوقت إلى الوقاية أشد . ولذلك ما يكون حجم الورق في أكثر الأحوال عند ابتداء النشو ، أعظم من حجم الساق . والسبب في ذلك اثنان : أحدهما من جهة الغاية ، والآخر من جهة الضرورة . أما من جهة الغاية ، فلا أنه كلما كان أعظم كان أوقى . ١٠ وأما من جهة الضرورة فلا أن الشيء العظيم القوى يتكون من مواد أيبس وأقل طاعة للتكون ، والشيء الضعيف الرخو حاجته إلى المادة اليابسة أقل ، وطاعته للتكون أكثر. وأيضا فإن المستعمل في ابتداء النشو من حاضر المواد ما هو أرطب ، والقوة تهجز عن امتصاص غير الرطب ، فيعرض أن تكون المادة الساقية أقل ، والمدة في جملة تكون الساق أطول ، وتكون المادة الورقية أكثر ومدتها في التكون أقصر . فلذلك ما يتكون ١٥ من الورق حينئذ أعظم حجما من الساق ، فيما من شأنه أن تكون ساقه أعظم من ورقه ، فكيف فيما يكون حجم ورقه أعظم من ساقه ، كما هو موجود في كثير من النبات .

ولست أعنى بالساق ههنا الساق المنتصب لا غير ، وهو الذي يختص بالشجر ؛ بل أعنى به كل ما هو حامل للورق والزهر ، وإن كان خروا مضطجعا ، كما لكثير من النبات .

(٢) فصل : فصل د ب ، م ؛ الفصل الرابع د ، ط (٣) حال (الأولى) : ساقطة من د ، سا . (٦) بالكمال : بالمكان ط || جرمه : جزء ط ؛ جزء ما منه م (١٠) الغاية : العناية م . || والآخر : والأنخرى ب ، م ؛ وللآخرى د || أما : فأما د || جهة (الثانية) : ساقطة من د . (١١ - ١٢) أما من جهة . . . الضرورة : ساقطة من م . (١٢) فلا أن : فإن م || القوى : الذي سا . (١٦) ومدتها : ومدته د ، سا ، ط ، م . (١٩) بل : ساقطة من م . (٢٠) هو : ساقطة من ط .

وأما النبات البقلى فكثير منه لا ساق له منتصب ولا مستند ، إنما هو ورق لا غير وأصل كالحس والتماض والساق . وذلك بحسب أغراض الطبيعة تجتمع مع اقتضاء المواد وطاعتها ، ومع مصالح تنضم إلى الأغراض يحتاج إليها في الأغراض . فإن من النبات ما الغرض الطبيعى في عوده وساقه ، ومنه ما هو في أصله ، ومنه ما هو في غصنه ، ومنه ما هو في قشره ، ومنه ما هو في ثمره وورقه ، ومنه ما للطبيعة في كل جزء منه غرض ، أو في بعضه . وإذا وقف الغرض على شيء واحد من هذه الجملة ، وكانت المادة المحتاجة في تكوينه لا يضطر جذبها إلى استصحاب فضل عليها ، وكان تكوين ذلك النبات لا يحوج إلى حدوث أعضاء له غير الغرض ، قنعت الطبيعة بتكوين المقصود . وإلا لم يكن بد من تكون غيره معه . إما لضرورة ، وإما لمصلحة .

ولما كان الشيء الصلب لا يجد غذاء شبيها به دفعة بلا تدريج ، لأن الغذاء كما علمت يجب أن يكون رطبا ، حسن القبول للتشكيل ، فبينه وبين الصلب مدة ودرجات ؛ فلم يكن بد من أن يكون بين الغذاء وبين الخشبية من الأشجار جرم أسخف جوهر ، يسهل فيه نفوذ الغذاء إلى أجزاء المغتذى ؛ ووجب أن يمتد في جميعه امتداد المنخ في العظام ، ووجب أن يقع في الوسط لتكون القسمة الصادرة عنه عادلة . وهذا هو الباب الموجود في الأشجار الخشبية .

وأما الأشجار الخمرعة الضعيفة القوام المتخلخلة الحجم ، فإنها لا تحوج إلى ذلك . وما كان غرض الطبيعة فيه منه أن يعظم حجمه ويطول قده في مدة قصيرة ، امتنع أن يكون صلبا . فإن الصلب يحتاج إلى مادة عاصية ومدة طابخة ؛ والتصرف في مثلها يحوج إلى طول زمان . فكان غير صلب ، بل متخلخلا رطبا خفيفا . وكل ما كان منها أطول

(١) إنما : وإنما ط (٢) بحسب : بسبب ط || للطبيعة : الطبيعة ط || اقتضاء : اقتضاب ب ، م ؛ اقتضات ط (٣) إليها : إليها م . (٥) في (الثالثة) : من م . (٧) جذبها : إلى جذبها ط || تكوين : تكوينها د ، سا ، ط ، م . (٨) غير : عن م . (٩) لضرورة : الضرورة ط . (١١) للتشكيل : للتشكل ط . || ودرجات : درجات م . (١٢) جرم : حزم سا ؛ + هو ط || يسهل : ليسهل ط . (١٩) صلب : صليب م || رطبا : رطبا سا .

قائمة ، وجب أن يكون أكثر تخلخلا . وكونه كثير التخلخل ، يعرضه للآفات . فلم يفرق تخلخله في جميع أجزائه ، بل جعل محيطه قويا ، وجعل في كثير منها بدل التخلخل المفروق خلاء أنبوبي ، ثم دعم ذلك بمقد في الوسط لتجمع بين الجوانب ، ولا يدعها تتبدد إلى التفرق . وكثير منها بلغ بتقوية محيطه وتصلبيه وترزينه المبلغ الأقصى ليجمع إلى الخلفة الوثاقة . فتكون الخلفة للأنبوبة والوثاقة للصلابة ، وهذه كالرماح . وكثير منها لما ضعف محيطه ، حشى أنبويه بمحشوقطني ، كاليراع .

ولا يجب أن يقال : إن الأنبوب إنما يحدث لتثقب عن نفوذ الحار إلى فوق في جوف النبات . والعقد إنما تكون لعصيان من الرطوبة ، واربجنان يعصى به ما يدفعه إلى فوق فيحبسه . فإنه ليس ذلك كذلك لهذا السبب ، بل للغاية المقصودة ؛ وإن كان لا بد من حار ينفذ فيه ورطوبة تثقل ، فيقف في المجرى ويعقد . ومن شأن الأنابيب القريبة من الأصل والأنابيب القريبة من الطرف الأقصى ، أن يكون ما بين عقدها أقصر ، ويشبه أن يكون الغرض في ذلك . أما في الأنابيب السفلى فإن يكون الحامل أقوى من المحمول ، وأما في الأنابيب العليا فإن يكون الطرف المنو بالدقة والخرابة مقصودا بالوثاقة ، والوسط مستغن عن كلا الأمرين لتوسطه . ويشبه أن يكون معين الغرض في ذلك ضرورة من الطبيعة ، فإن الغذاء الثقيل لا يطيع للصعود جدا ، فيبقى أكثره في الأسفل . وإذا كان كذلك تقاربت المعاونات للعقد هناك . والقوة لا تكون ثابتة على كمالها في أقصى الطرف ، فيكون له في إصعاده ما يصعده وقفات متقاربة . وهذا بعد ترخيص الغرض في الأمرين .

(١) كثير : بكثير ط || للافات : لافط ، م . (٢) يفرق : يفرق د ، سا جعل : جعله م || محيطه : محتطبة سا . (٣) المفرق : المتفرق ط || تبدد : تبدل م . (٥) للأنبوبة : للأنبوبة ب ، م || كالرماح : كالرماد د ؛ كالرياح ط . (٦) قطنى : وطنى م . (٧) لتثقب : لتثقيب د ، سا ، ط ، م ؛ لتقب ط || عن : من د ، سا ، ط ، م . (٨) جوف : حشوسا . (٩) فانه ليس ذلك كذلك : فان ذلك ليس كذلك ط . (١٠) فيه : ساقطة من د ، سا ، ط ، م (١٣) وأما في الأنابيب العليا فإن : وأن ب ، د ، سا ، م (١٤) والخرابة : وبالخرابة د ، سا ، ط ، م . (١٥) معين : معنى د . (١٦) فيبق : فيبق م || المعاونات : المعاونات د ، جا ، م ؛ المعاونات ط || للعقد : للعقد ب ، ط ، م .

واعلم أن الصلابة تكون لشدة اجتماع اليابس أو جمود الرطب ، والرزانة تكون لكثرة الأرضية . وكثرة الأرضية وحدها لا تفعل الصلابة إذا لم يكن فيما بينها اتصال لا يتخلله هوائية . ولا يفعل ذلك الاتصال زيادة ثقل كما في الرمل . والصلابة وحدها لا تفعل الرزانة ، كما في الحديد ، بل ربما اجتمع الشيطان معا ، فصلب الشيء ورزن معا ، وذلك إذا كانت الصلابة لشدة اكتناز الأرضية . والأرضية لا تناسك على الاكتناز ، وخصوصا في المصاعد ، وفي سوق الأشجار وغيرها ، إلا برطوبة . وذلك من شيئين : أحدهما بأن يدغم اليابس في الرطب فيجتمع بعضه إلى بعض ، ولولاه لما اجتمع . والثاني أن يلصق اليابس باليابس ، فيقيم معه . وأحد الشينين للحركة المؤدية إلى الاجتماع في المتغذيات ، والثاني للسكون الحافظ للاجتماع . وذلك بأن يتخلل من الرطب الفضل ، ويبقى الماسك الكائن قليلا ، فتكون الصلابة لشدة الاجتماع من اليابس ، والرزانة لكثرة الأرضية .

وقد غلط من ظن أن الرطوبة سبب للرزانة بالذات ، إنما هو سبب بالعرض ، وإنما سببه بالذات هو اليابس والبرد ، وبالجملة الأرضية . والمثال الذي غلطه في هذا هو حال رزانة ثقل البيضة المصعد عنها إذا صمم الإناء ، وخفتها إذا لم يصمم . فظن أن ذلك لاحتباس الرطوبة الكثيرة . وليس السبب في ذلك احتباس الرطوبة الكثيرة ، بل جمع الرطوبة التي تكون بقدر البيوسة . وأما الذي يكشف رأس إنائه ، فإن الرطوبة لا تختنق فيها ، وتجد مخرجا فتنفض كلها ويصحبها من اليابس ما يلزمها فيبقى اليابس غير مجتمع بل متبدا وناقضا أيضا ، بمفارقة ما صحب البخار الرطب من الدخان اليابس .

(٢) فيما : ساقطة من ط || بينها : بينهما د . (٤) الحديد : الحدود م || ورزن : ورزن سا ، م . (٥) الأرضية والأرضية : والأرضية سا ، على : عن ط . (٧) فيجتمع : فيجمع د ، سا || بعضه : بعضها ط . (٨) واحد : فأحد ، سا (٩) المتغذيات : المتفرقات د ، سا ، طا ، المتغذيات ط || للسكون : السكون ب ، سا ، م || للاجتماع : للاجماع م . (١٢) بالذات : بالذات ط . (١٣) والبرد : وبالبرد م . (١٣) والمثال : فالمثال سا || غلطه : غلط ب ، د ، سا ، م (١٤) وخفتها : ونفخته د ، سا ، م . (١٥) لاحتباس : الاحتباس م . (١٧) فتنفض : فتنفض سا ، فتنفض ط ، فتنقص م || كلها : كله د ، سا ، م || ويصحبها : ويصحبه د ، سا ، ط ، م || يلزمها : يلزمه د ، سا ، ط ، م .

والرطوبة الجامعة ربما كانت دهنية ، وربما كانت مائية ولكن لزجة .
أما الدهنية فمثل رطوبة العرعر والسرو ، وأما المائية اللزجة فمثل رطوبة الساج
والدُّب . وكل رطوبة دهنية لزجة ، ولا تنعكس .

وقد علمت أن الدهانة كيف تحدث ، وعلمت أن السبب فيها إما لاح الحار على
اليابس بتسخينه ، وتقرير السخونة منه في أجزاء يابسة تخالط دخانية ، ولزوجة تحدث
لغليان اليابس في الحار ، يشتد بها الاتحاد وتنفذ فيها الهوائية . ولذلك أكثر الأشجار التي
بهذه الصفة مَرَّة تعافها السَّرَفَة والأَرْضَة لبشاعتها . وأما الرطوبة اللزجة التي لا دهنية
فيها ، فلك التي لا يكون الحار قد فعل فيها هذا الفعل ، وربما عافت السرفة
والأرضة أشجارا مثل هذه لفقدان الدسومة أصلا فانهما إلى الدسم أميل إذا لم يكن
شديد المرارة .

١٠

ومع ذلك فإن الماسك الدهني أقبل للتغفن لحرارته من الماسك المائي، اللزج .
وأما الماسك المائي الغير اللزج ، فإنه معرض لسرعة اليبس ، وذلك معرض لسرعة
التغفن . ولذلك فإن الخلاف وما يجري مجراه سريع الفساد . وقصب الرياح ، فإن
الماسك فيها من الرطوبة أكثره مائي مع دهنية يسيرة . والبلاد الحارة الرطبة تصب
ما ينبت فيها ، وترزقه . أما كونها حارة نيعين في جذب القوة الغذاء ، وأما كونها رطبة
فيعين في سرعة انجذاب الغذاء الرطب السيل ، مستصعبا من الأرضية أكثر مما يستصعبه
الذي لا ينفذ ليبسه . فإِنَّ الغذاء اليابس كثير اليبس والأرضية في جوهره ، فإنه لا ينفذ
منه في المغتذى إلا شيء يسير . فالبلاد الحارة الرطبة تحدث في جملة الرطوبة التي في أرضها
أرضية كثيرة ، بل يتمكن من جذب الأرضية بإسالة الرطوبة إياها ، ثم تتحلل الرطوبة

(١) ربما : وربما سا ، م . (٥) اليابس : البارد د ، سا || تخالط : تخالط د || ولزوجة : ولزوجة ط .
(٦) ولذلك : وكذلك م . (٧) تعافها : تعافه ط || والأرضية : والأرضية د ، م
(٩) والأرضية : والأرضية د ، م || فإنها ب : فإنه د ، فإنه سا ، م || الدسم : الاسم ط .
(١٠) شديد : شديدة ط (١١) لحرارته : من الحرارة ب ، بحرارته ط ، ساقطة من م || اللزج :
واللزج م . (١٣) الخلاف : الصفصاف وهو شجر عظام [لسان العرب] || مجراه : مجراها ب .
(١٥) ما ينبت : ما ينبت ط . || الغذاء : للغذاء د ، سا ، ط ، ي ، ليبسه طا . (١٦) ما :
١٠ ، سا . (١٧) ليبسه : ليبسه ب ، ط ، م || كثير : الكثير ط .

بتفشية الحرارة وباستغناء القوة النباتية عن كثرتها ، فيما يحتاج إلى تصليه . وتحتبس هناك يبوسة كثيرة قد جمعتها الحرارة جمعا شديدا بماسك الرطوبة ، كما يفعل في تحجير القراميد .

ولهذا ما تتكون الأشجار العظيمة الصلبة في البلاد الحارة الرطبة ، وقد تكون في البلاد الباردة جدا الشمالية ، بسبب الحرارة أيضا والرطوبة . أما الحرارة فالمحتقنة في الأرض ، وأما الرطوبة فالكثيرة الأنداء ، وأن لا ناشف لها . ومع ذلك فإن البقاع تختلف في تربية أجزاء الأشجار ، فرب بقعة تصغر فيها ساق شجرة ، وتكبر ثمرتها ، وتعظم أوراقها ؛ ورب بلاد يكون الأمر فيها بالعكس . وذلك بحسب ما يوجد من المادة ، فربما كانت المادة الموافقة للساق فيها كثيرة ، والموافقة للثمرة قليلة ، وبالعكس .

(٢) يبوسة : رطوبة د || قد جمعتها : قد جمعها ب ، د ؛ وقد تجمعها م || بماسك : بمواسك د ، سا . (٤) تتكون : تكون ط || تكون : تتكون ط . (٥) الباردة : الحارة م || أما : وأما سا . (٦) تربية : تربيتها سا . (٨) فيها : ساقطة من م . (٩) وبالعكس : + والله المدبر بسر إلهيته سا .

[الفصل الخامس]

(هـ) فصل

في تعريف أحوال السوق والغصون والورق خاصة

- ما كان من النبات قوى قوة التوليد والتغذية ، وكان الغرض فيه الثمرة ، وكان مائى
 جوهر الثمرة ، أمكن القوة المولدة فيه أن تولد الثمرة بسرعة لقوته ولكثرة المادة ولطاعتها .
 ولم يحتاج إلى ساق عظيم منصب تكثر فيه مدة لبث المنشوف من الرطوبة ، بل احتاج
 إلى ساق عسى أن يكون مغيرا للمنشوف بسرعة ، ويكون مميزا لمنابت الثمار فإن أمثال
 هذه الثمار لا يحسن تعلق كثرة منها عظيمة الأفراد من البذر نفسه ، أو فرع قصير ينبت
 من البذر نفسه . فمثل هذا النبات يكون ساقه كثير التفرع ، لتكثر منه منابت الثمر ،
 ضعيفها لقلة الحاجة إلى حبسها للمادة فيه ، متداخلها ليسرع نفوذ الغذاء فيه ، منبسطة
 على الأرض لعجزه عن الإقلال . وهذا مثل شجرة الخيار والقرع والبطيخ ، فقد
 أعطيت هذه الشجرة بدل الاعتضاد بالساق تأتى الأغصان للتلحق بما يقرب منها ،
 ويشبه أن يكون من النبات ما الحاجة إلى تعجيل إنضاجه أقل ، وإلى تردد الغذاء
 بين مستقاه وبين منبت ثمره أكثر ، أعظم أسواقا ، وبين المنتصب والمنبسط كالكرمة .
 وأن يكون ما الحاجة إلى الأول منه أقل شديدا ، وإلى الثانى أكثر ، لأجل أن ثمرته
 وإن كانت رطبة فهي أشد أرضية من العنب ، فضلا عن البطيخ ، فهو أقوى ساقا ،
 بحيث لا ينحط إلى الأرض ، بل ينتصب ، ولكنه يكون له أحوال ما سلف ، من شدة

(٢) فصل : فصل هـ ب و الفصل الخامس د ، ط (٣) السوق : السوق د ،
 (٤) قوة : ساقطة من د || التوليد : + والتوليد م (٥) الثمرة (الأولى) : الثمر سا و التميز م || أمكن :
 يمكن م || ولطاعتها : وطاعته د ، سا ، م و لطاعتها ط (٦) ساق : [وردت كلمة ساق في صيفي
 المذكر ، والصحيح أنها مؤنثة كما ورد في لسان العرب] || فيه : فيها د (٧) مغيرا : معتدا
 د ، م و مغير ط || لانشوف : المنشوف ط || مميزا لمنابت : مميز منابت ب ، ط ، م (٨) كثرة :
 كثيرة ط || قصير : يصير م (٩) متخلخلها : يخللها ط و يخللها طا || منبسطة : منبسطة
 ط ، م (١٠) لعجزه : لعجزها ب || شجرة : شجر د || فقد : وقد د ، سا (١١) الاعتقاد :
 الإعتقاد سا ، م || تأتى : بأى م . (١٢) رطبة : ساقطة من د || فهو : وهو ط
 || ساقا : ساق ط (١٣) لا ينحط : لا يحط م || أحوال ما سلف من : من أحوال ما سلف د ، سا .

التخلخل ، وانتصاب الساق . وإذا كان شديد القوة متخلخل الجوهر ، أذعن صاقه للانتصاب والاستقامة أكثر من غيره مما هو صلب ثقيل . وإنما كان خشبه متخلخلا ، ليسرع نفوذ الغذاء الرطب فيه . ولا شك أن الجاذب في مثله الحار ، فبالحرى أن يكون لحاء مثله شديد التخلخل ، فيكون ليفيا ، والأسخن منه أجعد لحاء ، والأبرد الأرطب منه أسبط ، كالحال في شعور أمزجة الناس . ويشبه أن تكون النخلة ، إذ هي على هذه الصفة ، فإنها رطبة الثمرة ، ولكن أينس من الكرم ، وأسخن ، متخلخلة القوام ، حارة . ولأن أمثال النخل والكرم مغارسها الطبيعية غير البلاد الباردة جدا ، فإنها إذا غرست في البلاد الباردة ، وصينت بالكن ، فقد أفيدت مغرسا صناعيا . فإن مغرسها يكون قد غير طبعه بالصناعة والاعتبار ، مصروفا إلى الحكم الطبيعي ، والحكم الطبيعي لا يحوج مثل هذه الشجرة إلى كن شديد بتغليظ الجلد ، فإن الحر مجانس لها ، والبرد يضعف في مغارسها الطبيعية . فلهذا يكفيها ن اللحاء ما كان ليفيا سخيفا ، وفي ذلك يمكن لفضولها التي تكثر في خلل تخلخلها ، لسعتها ، وشدة القوة الجاذبة فيها من التخلخل .

وجملة الغرض في اللحاء الوقاية . وأول واق هو الورق . وأما الجلد ، فإنما يستحكم عندما تكثف الساق يسيرا ، وتتفصن الأغصان . وكل شجر كبير الغصن كثيفة قوية ، فإن الرطوبة اللزجة تصون غصنه عن الانكسار ، مما يعرض له من الثني والتأطر . وكل شجرة أنبوبية ، فإن منبت أوراقها وغصونها عند العقد ، وكذلك منبت اللحاء الغشائي الذي يغشيها . وذلك لأن العقد أولى بأن يخبس عندها الغذاء النافذ ، وأولى موضع ينصرف عنده الشيء من وجه إلى وجه هو الموضع الذي يعرض له فيه احتباس . وأما أجزاء الجلمة

- (٢) والاستقامة : المرضي للاستقامة د ي والمضى في الاستقامة سا || مما : بما د .
 (٣) الرطب : ساقطة من م . (٤) أجعد : أجود م . (٥) أسبط : أبسطد ، سا ، ط ، ي +
 لحاء د ، سا || ويشبه : ويمكن م . (٦) ولكن : ولكنها ط || القوام : القوائم م .
 (٧) الطبيعية : + في ط || وصينت : وسرت ط . (٨) فإن : وإن د || مغرسها : + قد ط
 (١٠) مجانس : يجانس د || يضعف : ضعف م . (١١) خلل : حال ط || تخلخلها : متخلخلها
 ط ي يحللها م . (١٢) التخلخل : التخلخل ط ، م . (١٣) الغرض : التعرض م || الوقاية :
 الوثاقعة م || وأما : فأما ط . (١٥) غصنه : نفسه م || والتأطر : ساقطة من . (١٦) شجرة :
 شجر سا ، ط || وغصونها : وغصونه ط . (١٧) وذلك : ساقطة من سا || عندها : عنده ط || وأولى :
 وأول م . (١٨) عنده : عنه د ، سا ، ط ، م || إلى وجه : ساقطة من د .

نفسها ، فكأنها تسدد الشيء إلى مقصد واحد تسديدا متفقا . فلهذه العلة ما ينبت الغصن الزائد واللحاء والورق من هذه المواضع .

- والورق خلق لغرضين : أحدهما الزينة ، وذلك لأجل الشيء الذى خلق له النبات ، أعنى الحيوان . والآخر ، المنفعة وهى لأجل النبات نفسه . وذلك لأنه يبقى الأجزاء الضعيفة من النبات آفة الحر والبرد ، مثل الأغصان الرطبة إلى أن يستحكم لحاؤها ، ومثل الثمار القريبة العهد بالتفح عن أكمامها . وليس يكفيا ضرر الحر والبرد فقط ، بل يكفيا ضرر الرياح النائرة لثمارها ، بنفضها لغصونها . وفى كل ورق خياطات تشعب كالأضلاع عن خط واحد كالصلب ، ليكون عمدة للورق ، وليأتى أجزاء الأوراق غذاؤها من قبلها ، كأنها رواضع العروق فى الحيوان . ومن الورق ما خياطته تسجيل غصنا ، فيكون لذلك محززا الخشب متشا كل الغصين ، وهذا كالسرو ، فيكون وقاية ومبدأ معا . والسبب ١٠ فى ذلك أن المادة التى يتكون منها الورق فى مثله قوية القوام ، دسمة دهنية ، إذ ليس لمثله من الشجر ثمر يعتد به يصرف إليه خالصة غذائه . وكأن غرضه فى غصنه وورقه فيصرف الخالصة من غذائه إلى ذلك ، فيكون ورقه ناشئا من خالص غذائه الصالح لجوهره ، وما يشبه فى الطبع جوهره من غصونه . ولهذا ما يصد فى مثله استحقاق ورقه صيفا وشتاء .
- وأما الورق الذى هو كالوقاية فيستغنى عنه عند نضج الثمر ، واستيكاع الغصن الرطب ، فيكون ١٥ ناضجه أولى من حفظه ، وخصوصا إذا كان من الطبيعة عليه معاون ، مثل كونه غير مقصود فى نفسه ، فيكون تولده من فضلة الغذاء ، دون صريحه ، فلا تعنى الطبيعة بإحكام أمره ، أو كونه مستعرضا ، ومع الاستعراض غير لزج الرطوبة الماسكة حارها متلززا ، بل مائيتها وضعيفها فى الجرم رقيقها ، فتنفش فى تغرية الورق ويفنيه التحليل . وربما

(١) متفقا : ضعيفا سا . (٤) والآخر المنفعة : والأخرى للنفعة ط . (٥) النبات : + عن ط . (٦) بالتفح : بالتفقيح ط ، م . (٨) كالصلب : كالنصاب د || الأوراق : الورق د . (١٠) محززا الخشب : محززا بخشب سا || الغصين : الغصين ب ؛ لغصين د . (١١) التى : ساقطة من ب || دسمة : دسمة ط || مثله : بمثله د . (١٢) ثمر : ثم ، د ، م || يصرف : ينصرف م || غذائه : غذائه ط . (١٥) الثمر : الثمرة ط ، م . (١٦) معاون : معاق د ؛ معاون ط ، م . (١٧) تولده : توليده سا || فلا تعنى : فلا يفشى م . (١٨) غير : عن د ، م || متلززا : متكرها سا ، م ؛ + مجتمعها د ؛ + مجتمعها سا ، ط ، م (١٩) رقيقها : دقيقها ط || تغرية : تغذية د ، سا ، ط ، م .

كان سبب سقوط الورق مع هذه الأسباب كثرة امتصاص الثمار لرطوبة الشجر ، ولا يفضل للورق فاضل ، فيعرض لها ما يعرض للكثير من الجماع من الصلع السريع .

والورق يستعرض ، إما بسبب الطبيعة ، وإما بسبب العناية . أما الذى بسبب الطبيعة ، فإذا كانت مادته رطبة مائية وقوته قوية على الإنشاء ، وخصوصا إذا لم يكن كثيرا ثقيلًا ، بل كان أيضا في قوام الشجرة ما يحتمله . وأما الذى بسبب العناية ، فإذا كانت الثمرة كثيرة العدد في موضع واحد ، فيحتاج إلى لحاف واسع كالعتقود من الكرم ، أو كانت كثيرة في فودانيتها عظيمة الحجم كالتين والأترج ، أو كان خلق الغصن في ابتدائه سريع النمو إلى حجم كبير مستعرض الورق قبل أن يستوكم كالذلب . وأكثر ما يستعرض من الورق فإنه يحزز ليستخف ، وأثلا يحمل عليه عصوف الريح ، بل ينفذ بين خالله ، ويكون مع وقايته الحر والبرد يمكن النسيم من التخلل . ومن شأن الورق أن يقل على الساق ، ويكثر على الغصن ، لأن الساق قوى في نفسه ، قوى في لحائه ، فلا يحتاج إلى وقاية ، يحتاج إلى مثلها الغصن .

وكثير من الأشجار ينقطع ورقه بعد ظهور ثمرته أجزاء صغارا ، وذلك للتخفيف إذا كانت الثمرة ليست ذاهبة في نضجها إلى الترطيب ، بل إلى الاستحكام والتجفيف ؛ كالحمص والحنطة ، وتبدار كتحفيف حجمه بكثرته . فإن الكثير إذا تفرق كان أخف محلا من واحد عظيم له علاقة واحدة عليها الحمل وحدها .

(١) الشجر : الشجرة ط ، م . (٣) العناية : الغاية ب ، د ، سا . (٤) رطبة : رطبة سا || الإنشاء : الإفشاء سا . (٥) الذى : ساقطة من ب ، د ، سا ، م || العناية : الغاية ب ، د || كانت : كان ب ، م || الثمرة : الثمر ب . (٦) كالعنقود . . كالعنقود د ، سا ، م || الكرم : الكرام م . (٧) عظيمة : عظيم ط . (٨) مستعرض : ساقطة من سا || الورق : ساقطة من ب ، د ، سا ، م (٩) فإنه : ساقطة من ط ، م || ليستخف : بتسخيف ب || بين : من ط ، م . (١١) إلى (الثانية) : ساقطة من م . (١٣) وكثير : فكثير ط . (١٤) الترطيب : الترطب د ، الترطيب ط ، الرطب م . (١٥) والحنطة : والحنطة د . (١٦) عليها : عليه سا .

إن من الشجر ما يكون لتوريقه وتفريعه نسبة محفوظة فيورق مثلاً ثلاثاً ثلاثاً وأرباعاً أربعاً وأرباعاً ، مثل النبات المسمى بنطافيلن ؛ فإنه ينبت له دائماً من كل عقدة خمسة أغصان ، وعلى كل غصن خمس أوراق . ومن النبات ما لا يحفظ ذلك ، ومن النبات ما يورق من غصونه ، ومنه ما يورق من خشبه ، ومنه ما يورق من أصله ، ومنه ما يورق من كل مكان .

(١) وتفریحه : وتفریغه ب د ، سا م ، م (١ — ٢) ثلاثا ... نحا : ثلاثا ثلاثا أو أربعاً أربعاً د ، سا ، ط ، ثلاثا وأربعاً م (٢) بنطافین : فطافلون ب ې بنطافین د ې بنطافین ط || دائماً : ساقطة من سا .

[الفصل السادس]

(و) فصل

فيما يتولد عن النبات من الثمر والبذور والشوك والصمغ وما يشبهها

- إن من ثمار الشجر ما هو مكشوف مثل العنب والتين ، وقشره الأول منفصل عنه ، وكله بارز . ومنه ما هو في غلاف قشري كالباقل . ومنه ما هو في غلاف غشائي كالحنطة . ومنه ما هو في قشر صدي كالبلوط . ومنه ما هو ذو عدة قشور كالجوز واللوز . ومنه ما هو سريع النضج جدا . ومنه ما هو أبطأ نضجا . ومنه ما يتكرر حدوث ثمره في السنة صرارا . ومنه ما لنضجه وقت معلوم . ومنه ما ليس لنضجه وقت معلوم ، بل ينضج في أوقات شتى كالأترج . ومنه ما يحمل كل سنة . ومنه ما يحمل سنة ولا يحمل سنة . ويشبه أن يكون ذلك في الأشياء اليابسة المادة ، فلا تسع مادتها لحمل كل سنة . ومنه ما يحمل سنة شيئا ، وسنة أخرى شيئا آخر أبيض منه أو أضعف منه .

- وقد تكلف المتكفون من إعطاء العلل في جميع ذلك ، ما لو شئنا لزدنا عليهم في تمييزها وتلقيحها ، لكنها كلها متحولة غير مقنعة للحاصلين ، حتى جعلوا حلة ما لا يثمر من كبار الشجر أو يقل ثمره كونه كبيرا ، وتفرق غذائه فيه ، كأنه ما كان يمكن أن تكون نسبة ما يقتنيه الكبير إلى حجمه على نسبة ما يقتنيه الصغير إلى حجمه ، فيكون التوزيع بالسوية ؛ بل يشبه أن تكون الأشجار التي قصدها خشبها قد بسط لها في الحجم ، والتي قصدها ثمرتها لم تحتج إلى أن تعظم جدا ، بل عظمت عظامها موافقا ، وصرف فضل غذائها إلى الثمار .

- (٢) فصل : فصل و ب ؛ الفصل السادس د ، ط (٥) وكله : وميله د ؛ وكله سا ، م || ومنه : ومنها ط || كالباقل : كالباقلا سا ، ط || ومنه (الثانية) : ومنها ط (٦) ومنه (الأولى والثانية والثالثة) : ومنها ط || ذو عدة : في عدة د ، سا (٧) ومنه (الأولى والثانية) : ومنها ط (٨) ومنه (الأولى والثانية) : ومنها ط (٩) ومنه (الأولى) : ومنها ب ، ط ، م || ومنه (الثانية) : ومنها ب ، م || ومنه ما يحمل سنة : ساقطة ط || سنة (الثالثة) : أخرى ط . (١٠) حمل : الحمل في سا || ومنه : ومنها ط (١١) أو أضعف : وأضعف سا ، م . (١٢) للحاصلين : للحصل سا || حتى : + لو سا (١٥) إلى (الثانية) : على م (١٦) والتي : والذي م (١٧) موافقا : متوافقا م .

وأما إذا كانت شجرتان من نوع واحد، وعرض لإحديهما أن كبرت جدا فهي في الأكثر أقل ثمرا. لأن السبب الذي عظم حجمها صرف المادة إلى خشبتها. لأنه إنما عظم حجمها لأنه لم يأتها من الغذاء ما يوافق لتكون الثمر، بل إنما سمح له المغرس بغذاء يوافق الخشب، ولولا ذلك لكان حجمه لا يعظم، أو لأن القوة تحتاج في صرف الغذاء إلى الثمر إلى أفعال كثيرة وتغيرات متتالية، ولا يحتاج إلى ذلك كله في صرف الغذاء إلى الخشب. وتكون الشجرة التي أمعنت في السن قد أخذت قواها في التقصان فتعجز عن التغيرات الثمرية، ولا تعجز عن تغيرات الغذاء، قدر ما يصلح للخشبية فينمو من أجله الخشب. والذي ضربوا به المثل من أن السمين أقل توليدا من القضيف، فليس لعظم الحجم، بل لرداء المزاج.

- ولثمار الشجر طعوم مختلفة، منها طبيعية، ومنها غير طبيعية أو مقصودة في الطبع، ١٠ كمرارة اللوز. وذلك إما لإفراط كالسبب في مرارة اللوز، وإما لتقصير كالسبب في حموضة العنب. وقد تصلح هذه الطعوم بأن يعدل المزاج، وقد تفسد بأن يورد على الشجرة ما يحيل مزاجه. فإنه إذا دهن غصن اللوز، فيكون ما ينبت عليه من اللوز مرا، كأن الدهنية تهى للاحتراق، ويستحقن الحار، فيحدث مزاج يطرد في جميع ما ينبت، من الموضع المدهون. وما كان من الثمر عظيما عظمت معاليقه، وما كان صغيرا ضعيفا ١٥ خفت معاليقه، وما كان يابس الجوهر يابس الغذاء كثرت الخيوط النافذة فيه، لأن غذاءه يكون يابسا من جنسه، فلا يطبع جذب الواحد جملة، ويطبع التفريق بالامتصاص. وما كان من الثمر صلبا أو لينا جدا، ففي الأكثر جعل غشاؤه صلبا. أما الصلب فليتناسب، ولأن الوقاية يجب أن تكون أصلب من الموق، وهذا كالجوز واللوز.

(١) لإحديهما: لأحدهما د، سا، م || كبرت: كبر ب، د، سا، م || فهي: قهوب، د، سا، م.

(٢) حجمها (الأولى): حجم ب، د، سا، م || خشبتها: خشبيت ب، د، سا، م || حجمها (الثانية):

حجم ب، د، سا، م (٣) يأتها: يأت ب، د، سا، م || لتكون: تكون د، سا، م ||

الثر: الثمرة ط (٥) ولا يحتاج: لا يحتاج ط (٦) التغيرات: التغيرات سا.

(٧) تغيرات: تغيرات ط، م || الخشبية: للخشبية ط || الخشب: الخشبية د، سا.

(٨) المثل من أن: من المثل أن د، سا (١٠) وثمار: وثمار ط (١٢) يعدل:

يعدله م (١٣) الشجرة: الشجر ط || ما يحيل: ما يحئل ط (١٤) ويستحقن: ويسحف م

(١٥) وما (الأولى): ما ب، د، سا، م (١٦) فيه: منه م (١٩) فليتناسب: فليتناسب ط.

وأما اللين جدا ، المتخلخل ، فلائنه سريع القبول للافة ، فيحتاج إلى غشاء وثيق ، مثل القطن ، ولذلك ما وزع القطن على غلف شتى . وأكثر ما له ثمر كبير وله بذر واحد ، فإن بذره صلب . وما هو متفرق البذر فإنه أقل صلابة . وأكثر ما له بذر ، وهو رطب ، فيبين وبين البذر وقاية حاجة . فإن كُن اللحم صلبا يابساً ، فرق بينه وبين النوى وبين الحاجر ، ولم يتصل اللحم بالقشر الحاجر ، لئلا يمتص رطوبته ، وهذا كالسفرجل . وما لم يكن كذلك ، ألق الغلاف باللحم ، واللحم بالغلاف ، ليحسن الاتصال . وأكثر الثمار الرطبة عليها أقماع ، وذلك لأنها تحتاج ضرورة إلى تفشى أبخرة ورطوبات ، وتحللها ، وذلك إلى الجهة العالية لها ، فيحتاج أن يكون هناك إما مسام واسعة كما في التفاح والكثيرى ، وإما فضل تخلخل غشاء كما في الرمان . ويحتاج أن يحتاط ، أيضا على المنتفش إما بشيء كالمنظلة لئلا يحمل التحليل الهوائى عليها ، أو بشيء كالصمام الخشبي ، أو المجرى ، لكثرة ما يتحلل من الأسباب الخارجة بعنف . ومثال الأول ما للرمان ، ومثال الثانى ما للتفاح ، والغرض فيه أن يقتصر التحليل على دفع الطبيعة بالقدر الكافى . وأما الباذنجان فلصلاية جلده وكثافته وليبوسة لحمه ، لم يحتاج إلى ذلك . وبذور الأشجار بعضها مصمتة ، وبعضها ذوات لب . وليس السبب فى الإصمات ذهاب الغذاء فى الجرم ، فإن مثل هذا الكلام كلام من يتحكم فى الطبيعة ؛ بل السبب فيه غرض طبيعى ، وليس يجب أن يكون لا محالة معلوما . ويشبه أن يكون السبب فيه غرض متعلق بما يتولد منه .

وكل بذر ذى لب دهنى ، فإنه محتاط فيه بتغليفه غلافا ثخيناً صلباً ، إلى الصدفية والمجوية ما هو ، ليشدد احتقان الحرارة فيه ، فيتمكن من تولد الدهنية . وما كان من هذا الجنس غير محرز فى حرز ثخين ، بل إنما عليه غلافه فقط ، وشيء يتصل به ، كأنه جزء

(١) فلائنه : فإنه ط . (٢) غلف : + بل غلاف د || وأكثر : أكثر ب ، سا ، م || ما : مما م || ثمر كبير : ثمرة كبيرة د ، سا (٣) وأكثر : أكثر ب ، سا ، م || ما (الثانية) : مما م (٤) فإن : وإن سا (٦) ألق : الترق د || وأكثر : أكثر ب ، د ، سا ، م . (٩) يحتاط : يحاط م || المنتفش : المنتفش سا . (١٠) يحمل : يحمل م || لكثرة : ليجس د ؛ ليجتس سا . (١٢) فيه : ساقطة من د (١٣) وليبوسة : ويبوسة ط . (١٥) فى : على ب ، سا ، ط ، م || الطبيعة : الطبيعية د (١٦) السبب : ساقطة من ط ، م (١٧) دهنى : دهين ب ، د ، م || محتاط : محملط ب ؛ محتاط ط || فيه : منه د (١٨) تولد : توليد د ، سا . (١٩) الجنس : ساقطة من سا .

منه ، فإن صدفه يكون أصلب مثل الجوز واللوز. وما له إلى غلافه محيط آخر عظيم مقصود بنفسه ليس على أنه كمال لغلافه ، لم يحتاج إلى تصليب غلافه جدا ، مثل السفرجل والتفاح ، وربما أعين بلزوجات تغطي القشر ، ويكون قوامها قواما كفيا . وما كان غلافه أعظم من ذلك ، وحجمه صغير ، فهو إلى ذلك أقل حاجة ، مثل حب البطيخ والقرع ، وكذلك ما هو أرق قشرا أو أشد الثامنا بتمشقه كالحنطة ، وما قشره غليظ فهو كالمبرئ عنه لثلا ٥ يلتصق به . واللبوب الدسمة بدنها وبين القشر الصلب قشر لطيف غرقى ، لتدريج الاتصال . وكثير من النوى والحب وخصوصا الصلب عليه تغير لأغراض ثلاثة :

أحدها ليكون مستقي له يستقيم فيه ماؤه وخصوصا فيما جرمه أصلب ، فيكون نشفه أبطأ .

والثاني ليكون له متنفس فيه . ١٠

والثالث ليكون المبدأ الرحمي الذي فيه كأنه كهف يؤويه ، فإن ذلك يحتاج إلى أن يكون ألطف وألين يسيرا . وإذا كان متصلا بالصلب جدا ، كان شديد التعرض للانفصال عنه بأذى سبب صادم ، فجعل في حرز ، وكثيرا ما يجعل حزره لا طولا بل عرضا ، فيكون عليه من الجانبين شبه جناح ، مثل ما على حب الباقل .

وهذه المبادئ ربما كانت في أعلى البذور والحبوب ، إذا كانت قوية القوة على ١٥ الجذب للغذاء ، ولا يحوجها الضعف إلى أن تحط عن جهة إليها النشو ، وهى الجهة العالية ، فإن لم تكن القوة قوية جدا كانت هذه الهيئات فى الأوساط ، وهذا فى الأشياء

(١) يكون : ساقطة من م || غلافه : غلاف د || عظيم : يحفظه سا (٢) تصليب : تصاب ب ، م (٣) وما كان : وكان د || أعظم : عظميا سا (٤) من ذلك : ساقطة من د ، سا || وكذلك : ولذلك ب ، سا ، م (٥) أو أشد : وأشد د ، سا ، ط ، م (٦) يلتصق : يتضرد ، سا ، ط ، يتصون م . || غرقى : غرقى ب . (٨) يستقيم : ليستقم ط || ماؤه : مادته ط (١٠) ليكون : ليكون د ، ليكن سا (١١) يؤويه : يأويه د ، سا (١٢) صادم : صادم سا || بفعل : يجعل م || لا طولا : لا طويلا د ، ط ، م (١٤) عرضا : عريضا د ، ط || على : عليه د ، سا || حب : جنب ب ، د ، سا ، م || الباقل : الباقل سا ، ط (١٦) ولا يحوجها : + إلى ط || الضعف : المضعف م || أن : ساقطة من د || تحط : تحط ط (١٧) قوية : + كانت ط || فى (الثانية) : من ط .

التي لا توجهها جهة الافتداء إلى الانحراف عن الموضع الأفضل . وأما إن أحوج ذلك .
مثل ما في حب السفرجل والتفاح إذ كان ما يحملها مقصودا بنفسه وجاذبا للغذاء إلى
ذاته ، فيكون الأصلح لحبه أن يعتدى من تلقاء قوة سبيل الغذاء ، أو يكون أسبق إلى
العين من غيره . فلذلك خلقت هياتها إلى تحت . وأما إذا كثرت الحبوب في وعاء
واحد ، ودق الفصن أو الساق ، فلم يف باتصال مماس جميع الحبوب به ، وكان في جرم
ما يحيط به فضل غذاء ورطوبة ، جعلت المماس إلى جرم ما يحيط به ، كحب البطيخ
الزرق أو أنشء من الأصل شيء شبيه بالعروق . والمشيمة تأتي الحبوب وتتصل بها فتكون
ساقية توجهها الطبيعة إليها كلها ، كحب البطيخ الآخر ، والقثاء ، وغيره . وكثير من
البذور تشتمل على طبعتين كالمقصودتين ، تكونان متضادتين في الطبيعة ، فيجمل بينهما
حاجز صلب ، مثل بذر قطلونا ، فإن عليه لعابية مبردة جدا ، وفيه لب دقيق حار جدا ،
وجعل بينهما غشاء صلب جدا مجاوز الحد ، حتى لا تتباطل المنفعتان . ولهذا فإنه إذا
دفن كان فعله غير فعله إذا أخذ غير مدقوق . ويبلغ من شدة صلابة الجراب الذي يسمى
دقيقه أنه إذا شرب خرج بحاله ، لم تحله الحرارة الغريزية ، ولا برز من باطنه شيء ،
ولمّا نالت الطبيعة لعابته فقط .

١٥ وليس كل شجرة تبرز وتحب في سنة واحدة ، بل كثير مما أصله قوى عظيم ، فينفرد
فيه الغذاء ، يبطئ إزاره ويتأخر إلى سنة قابلة مثل البصل ، والزهر يكون على البذر ،
أو على النبات للوقاية . فمنه ما هو وقاية عن ضرر الريح ، ومنه ما هو وقاية عن ضرر

(١) وأما : فأما ب || أحوج : أخرج سا ، أحوجت ط (٢) إذ : إذا د ، سا ، م
(٣) أو يكون : ويكون ط . (٤) وأما إذا : وإذاب ب ، وأما إذا د ، وأما م || كثرت :
كثرة م (٥) واحد : ساقطة من م (٧) أنشء : إنشاء ط || فتكون : ويكون ط (٨)
ساقية : ساقها سا ، + شبيه ط || الطبيعة : الطبيعة ط || كلها كحب : كالحب د ، سا || وكثير :
كثير د ، سا ، م (٩) البذور : الزرق ط || تشتمل : ويشتمل م || كالمقصودتين : مقصودتين د ،
سا ب كالمقصودين م || تكونان : وتكونان د ، سا ، ط || بينهما : لهما ط (١٠) قطلونا : القطلونا د ،
سا ب وقطلونا م (١٢) ويبلغ : وبلغ ط || الجراب : الحبر م || حشى : غشى سا ، م شى قام
(١٣) ولا برز : وما برز سا (١٤) لعابته : لعابية ط (١٥) وليس : ليس ب ، د ، سا ، م || تبرز :
تبرز د ، سا || فينفرد : فينفرد ط . (١٦) إزاره : إزاره سا || والزهر : الزهر
ب ، د ، سا ، م (١٧) للوقاية : + فهو ط .

- الماء في النبات المائي ، كما على التودرى . والشوك منه شوك أصلي ، ومنه شوك زور ، والشوك الزور إما أن يكون غصنا فرع فلم يتم تكونه لعوز المادة أو لضعف القوة ، وإما أن يكون فضلة ردية غير ملائمة دفعت . والفضول تندفع تارة على نحو ما يكون منها شيء قريب الشبه من الشيء ، كالثؤلول وكالشماء ، وكذلك إذا كان الفضل قريبا جدا من الغذاء ، والقوة جيدة التصرف فيما تفعل ؛ وتارة على نحو غريب غير مناسب اندفاع المخاط . ونظير ذلك في النبات الصموغ والسيالات . أو يشبه أن تكون الفضول منها ما هي فضول الهضم الأخير الذي يكاد أن يكون جزءا من المغتذى فيندفع حاكيا ذلك الجزء . وهذا الفضل ربما كان عن كفاية ، وربما كان عن قصور وفساد المغرس ، فلا يكون غذاؤه إلا فضلا ، ومن هذه الفضول يتولد الشوك والعقد الخارجة عن الطبيعة ، ومنها ما هي فضول الهضم الأول الرطب الذي لم يستوعب ، مثل الصموغ . ١٠

- وأما الشوك الأصلي فكالسلاح للشجرة عن الآفات وربما كان للزينة ، وربما كان لمنفعة لا تتعلق بالشجر ، كما يكون منها على النخل ، ليكون كالدرج إلى رأسه الشاقق . وكثير من الأشجار تشوك في حداتها ، ثم يسقط الشوك إذا استغنت عنه بالحاء الصلب ، وربما اشتاك ما لا شوك له بسبب مادة تغيرها . والصمغ فضل اللبنة ، واللبنية أول ما يتقوم بالرطوبة . والحر منه هو الذي أفرط فيه الحردفة ، الذي لو كان الحر معتدلا ١٥ والمدة أطول كان يكون دهناً أو دهنيا . وقد يكون من اللبن ما هو مائي أو تاري ، ومنه ما هو دهني أيضا ، مثل لبن البلسان الذي يعد من الأدهان . ومن الصموغ أيضا ما فيه دهانة ، مثل السندروس والسيالة التي تسمى الدوادم في بعض الشجر والدومة في الكرم فضلة المائية .

(١) التودرى : التودرى ب (٢) الزور : البزورد || فلم يتم تكونه : لم يتم بكونه م (٣) ما : ساقطة من د ، سا (٤) الشبه : التشبه ط || وكالشماء : والشامة سا ، م (٦) اندفاع : كاندفاع ط || أو يشبه : ويشبه سا ، ط (٧) الأخير : الآخرم || يكون : يتكون ب ، سا ، م (٩) المغرس : للغرس ط (١٠) الرطب : الرطب سا . (١٢) لا تتعلق : لم تتعلق ب ، ط ، م || ليكون : فيكون د (١٣) وكثير : كثير د ، سا || عنه : منه ط (١٤) اشتاك : اشتاكت د ، سا || تغيرها : يغيره ط || والصمغ : الصمغ ب ، د ، سا ، م (١٥) فيه : منه م ؛ ساقطة من سا (١٧) من : في ب ، ط ، م (١٨) والسيالة : فضلة المائية د ، سا || الدوادم : الدوادم ؛ الدوادم م (١٩) فضلة : فضل ه || فضلة المائية : ساقطة من د .

[الفصل السابع]

(ز) فصل

فيه كلام كلّي في أصناف النبات يتبعه الكلام في أمزجة الأشياء
التي لها نفس غاذية

- قد ذكرنا منافع أعضاء النبات ، وبقى علينا أن نتكلم في النبات كلاما كلياً . فإن من
النبات ما هو شجر مطلق ، وهو القائم على ساقه ؛ ومنه ما هو حشيش مطلق ، وهو الذي
تنبسط ساقه على الأرض . ومن النبات ما هو بقل مطلق ، وهو الذي لا ساق له أصلاً
مثل الخس . ومن النبات ما هو شجر حشيشي ، وهو الذي له ساق منتصب وساق منبسط
مستند على الأرض أو الذي ينضن ويفرع من أصله مع انتصاب كالقصب
١٠ ويسمى جنبه .

وأما الحشائش البقلية ، وربما سميت عشبية ، فهي التي لها توريق من أسفلها ولها مع
ذلك ساق كالملوكية .

- ومن النبات ما هو بستانى ، ومنه ما هو برى . وقد يجعل البرى بستانياً بالتريية ،
فيصير أرطب مزاجاً ، ونقول أيضاً من النبات ما هو سفي ، ومنه ما هو سبخى ، ومنه
١٥ ما هو رملي ، ومنه ما هو مائي ، ومنه ما هو جبلي . ومن النبات ما يقبل الوصل بغيره ، ومنه
ما لا يقبل الوصل . والوصل قد يكون بإلحام الموصول بالموصول به ، فيحتاج أن يتلاقى
القشران على تماس كالاتصال ، لتجذب المائية من القشر في القشر . وقد يكون بإلحام
الموصول به في الموصول ، بأن يهندم هيئته في غلاف هيئة ورقه .

(٢) فصل : فصادب في الفصل السابع د ، ط (٣) فيه : في ط || كلّي : ساقطة من م || في : على م
(٨) مثل : من م || حشيشي : حشيش ب ، م || منبسط : ساقطة من سا (٩) ويفرع :
ويفرع م (١٠) جنبه : حية ط (١١) الحشائش البقلية : الحشيش البقل د ، سا || وربما سميت عشبية :
وربما يسمى عشبا د ، وربما كان يسمى عشبا سا || عشبية : عشبة م || فهي : فهو ب ، د ، سا ، م
|| التي لها : الذي له ب ، د ، سا ، م || توريق : تورق م || أسفلها ولها : أسفلها وله ب ، د ،
سا ، م (١٣) ومن : من ب || بالتريية : بالتريية سا (١٥) جبلي : جبلي ط .

- والنبات المفروس قد يكون منه ما يحتاج إلى أن يغرس من أصله لا بحالة ؛ وقد يكون منه ما يقبل الغرس غصنه الموصول ؛ لا يتصل بما يبعد عنه جدا . وربما يوصل الشيء بالبعد منه ، كالعليق ، فإنه يوصل بأشجار شتى ، والبطم والزيتون . ومن النبات ما يستحيل إلى جنس آخر ، وذلك مثل النعام يصير نعناعا ، والبادروج إذا صار شاهسقرم . وقد اشتغل جماعة من الناس بإبانة علل في النبات متكلفة ، وبعضهم أخذ يلتمس علة ٥ كل خاصة ، حتى حاول أن يبين العلة في أصباغ النقوش واختلاف الأرائيج ، وذلك من محاولة محال ، فإنه ليس شيء من تلك يتبع موجب الطبائع وضرورة الهيولى ، بل يتبع تدبير النفس النباتية وتوزيعها ، وإن كان لا يحصل إلا بتوسط هذه الطبائع ، فإنه لن يسود شيء إلا بالاحتراق أو فرط الجود ، ولن يبيض الشيء إلا لشيء آخر مما قيل علله في موضع آخر .
- وإذا وقع منا الإحاطة بعلم ذلك وأسبابه ، علمنا أنه لم يحصل في النبات والحيوان ١٠ إلا من تلك العلل ، لكن تلك العلل لم تحصل في مواضعها من النبات بسبب طبيعي ، بل بسبب نفساني تحصل كل علة في خبيثة . فالاشتغال إذن بما اشتغلوا به فضل .
- على أنه لا يمنع أن يكون كثير من هذه الأحوال جاءت عن ضرورة المادة وحركة الطبيعة ، لا لغاية . فإن الغاية قد تتبعها أيضا ضرورات . وهذه أشياء قد بيناها في مواضع أخرى .
- والذي يلزمنا أن نوضح القول فيه الكلام في أمر أمزجة النبات بحسب القياس إلى أبداننا ، ليكون مبدءا ما للطب وما يجري مجراه .

١٥

(١) منه ساقطة من سا (٢) يوصل : وصل د ، سا (٣) الشيء : شيء سا || بالبعد منه : بالبعد عنه ط (٤) النعام : [النعام نبت طيب الريح (لسان العرب)] || نعناعا : نعناط || والبادروج : والناذروج د ؛ والبادروج سا ، م ؛ [الباذروج : نبت طيب الريح (لسان العرب)] ؛ [شاهسقرم : أى « ريجان الملك » (معجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى)] (٥) اشتغل : استعمل م (٦) خاصة : خاصة د ، سا (٧) تلك : ذلك ط (٨) وإن : فإن م || لن : ليس سا || شيء : + ما د . (٩) بالاحتراق : باحترق ما د ، سا ؛ باحترق م || أو فرط : وفرط ب ، ط ، م || الجود : جود د ، سا ؛ الجودة ط || ولن : ولم سا || الشيء : ساقطة من د ، سا || آخر (الأولى) : الآخر ط (١٠ — ١١) لم يحصل . . . العلل (الأولى) : ساقطة من ط . (١١) لكن تلك العلل : ساقطة من ط ، م || بسبب : لسبب سا (١٢) تحصل : حصل ب ، د ، سا ، م || خبيثة : جنسه ط || إذن : ساقطة من سا (١٧) مبدءا ما للطب : ميدانا للطلب سا .

فقول : قد بان لك مما سلف أن أركان جميع المركبات المعدنية والنباتية والحيوانية هي العناصر الأربعة ، وأنها تمتزج ، فيعمل بعضها في بعض ، حتى تستقر على تعادل ، أو على غالب فيما بينها ، وإذا استقرت على شيء فهو المزاج الحقيقي . وأن المزاج إذا حصل في المركب هياه لقبول القوى والكيفيات التي من شأنها أن تكون له . وبيننا أن المزاج بالجملة على كم قسم هو ، وأن المزاج المعتدل في الناس ماذا يراد به ، وأن المزاج المعتدل في الأدوية ماذا يراد به . وبيننا أنه يراد به أن البدن الإنساني إذا لاقاه وفعل فيه بجمراته الغريزية لم يعد فيؤثر في بدن الإنسان تبريدا أو تسخيناً أو ترطيباً أو تيبساً فوق الذي في الإنسان ، لسنا نغني أن مزاجه مثل مزاج الإنسان ، فإن مزاج الإنسان لا يكون إلا للإنسان .

وإذا تذكرت ذلك ، فاعلم أن المزاج على نوعين : مزاج أول ، ومزاج ثان . فالمزاج الأول هو أول مزاج يحدث عن العناصر . والمزاج الثاني هو المزاج الذي يحدث عن أشياء لها في أنفسها مزاج ، كمثل مزاج الأدوية المركبة ، ومزاج الترياق . فإن لكل دواء مفرد من أدوية الترياق مزاجاً يخصه . ثم إذا اختلطت وتركبت ، حتى تتخمر به ، ويتحد لها مزاج ، حصل مزاج ثان . وهذا المزاج الثاني ليس إنما يكون كله عن الصناعة ، بل قد يكون عن الطبيعة أيضاً ، فإن اللبن بالحقيقة ممتزج من مائة وجنية وسمنية ، وكل واحد من هذه الثلاثة غير بسيط في الطبع ، بل هو أيضاً ممتزج وله مزاج يخصه . لكن هذا المزاج الثاني في اللبن هو من فعل الطبيعة لا من فعل الصناعة ، فهو بخلاف الترياق .

والمزاج الثاني قد يكون على وجهين : إما مزاج قوى ، وإما مزاج سلس . والمزاج القوى مثل أن يكون كل واحد من البسيطين اتحاداً بالآخر اتحاداً يعسر تفريقه ، ولو على حرارة النار ، مثل جرم الذهب ، فإن المزاج بين رطبه ويابسده قد باغ مبلغاً تعجز النارية

- (١) أن : ساقطة من ب ، د || أركان : أن كان سا ، كان م (٢) وأنها : وإنما ب ، سا ، م (٣) أو على : وعلى ب ، د ، م || بينها : بينهما د ، سا ، ط ، م (٤) له : لها د ، سا ، ط ، م (٥) الناس : الإنسان ط (٦) وبيننا : وقد بينا ط . (٩) وإذا : فإذا د ، سا ، ط (١٠) مزاج : امتزاج د ، ط ، م || عن (الأولى) : ساقطة من م (١١) في : من سا || الأدوية : أدوية ط (١٢) وتركبت : فتركت سا (١٣) ثان : + وثان د (١٤) فإن اللبن : فاللبن ط (١٥) غير : عن م (١٦) فهو : وهو ط (١٧) والمزاج : فالمزاج د ، سا (١٨) بالآخر : بالأجزاء ب ، د ، سا ، ط . (١٩) الذهب : الزبيب م .

- عن التفريق بينهما، بل إذا سلت المائبة لتصعدها الحرارة، تثبتت بجميع أجزائها أجزاء الأرضية، فلم تقدر على تصعيدها وتحليلها لإرساب الأرضية إياها، كما تقدر على مثله في الخشب، بل في الرصاص والآثك. فإذا كان من المزاج ما استحكامه هذا الاستحكام، فلا يبعد أن يكون من المزاج الثاني ما تعجز الحرارة الغريزية التي فينا عن تفريق بسائطه.
- وما كان هكذا فهو المزاج الموثق. فإن كان معتدلا بقي في جميع البدن إلى أن يحيل الحر صورته ويفسده معتدلا فيحدثه معتدلا. وما كان مائلا إلى غلبة، بقي في البدن على غلبته إلى أن تفسد صورته؛ وبالجملة إنما يصدر عنه فعل واحد. وأما إذا لم يكن المزاج موثقا، بل رخوا سلسا مجيبا إلى الانفصال، فقد يجوز أن يفترق عند فعل طبيعتنا فيه، وتتزايد بسائطه، التي لها المزاج الأول بعضها عن بعض، وتكون مختلفة القوى، فيفعل بعضها فعلا ويفعل الآخر ضده. فإذا قال الأطباء إن دواء كذا قوته مركبة من قوى متضادة، فلا يجب أن يفهموا هم أنفسهم، ولا أنت عنهم، أن جزءا واحدا يحمل حرارة وبرودة، يفعل كل واحد منهما بانفراده كالتمييزين. فإن هذا لا يمكن، بل هما في جزأين منه مختلفين هو مركب منهما. وأيضا لا يجب أن نظن أن غير ذلك الجنس من الأدوية ليس مركبا من قوى متضادة، فإن جميع الأدوية مركبة من قوى متضادة، بل يجب أن يفهم من ذلك أنهم يعنون أنه بالفعل ذو قوى متضادة أو بقوة قريبة من الفعل، لأن منه أجزاء مختلفة لم يفعل بعضها في بعض فعلا تاما يجعل الكل متشابهة القوة، ولا تلازمت واتحدت، حتى إذا حصل بعضها في جزء عضو، لزم أن يحصل الآخر معه. لأنه إذا كانت متشابهة القوة، لم يختلف فعلها في البدن البتة. وإن كانت متلازمة الأجزاء ومختلفة القوى، جاز أن يختلف أيضا تأثيرها في البدن؛ بل كان إذا حصل جزء من بسيطها في عضو، وافقه أو مختلفة م

(١) سلت : سلت ط || لتصعدها : لتصعيد ط ؛ لتصعيدها م (٢) تصعيدها : تصعدها ط
(٤) التي : ساقطة من د، سا || عن : على م (٥) إلى : إلام (٦) ويفسده : يفسده د
|| معتدلا فيحدثه معتدلا : معتدلا ب، سا، م ؛ فيحدثه معتدلا ط || بقى غلبته : ساقطة
من ط || غلبته : غلبة م (٧) وأما إذا : وإذا ط (٨) إلى : أن م . (١٢) منه :
ساقطة من م (١٣) نظن : أيضا د، سا، ط، م (١٤) مركبة : ليس سا
(١٥) بقوة : لقوة ط || منه : فيه د، سا، ط (١٦) فعلا : ساقطة من م || متشابهة :
متشابه د (١٧) إذا (الأولى) : ساقطة من سا || إذا (الثانية) : إن د، سا (١٨) ومختلفة :
أو مختلفة م (١٩) وافقه : وافقه سا.

ما يلزمه من البسيط الآخر ، فحصل منهما الفعل والأثر الذى يؤدى إليه فعلاهما فى جميع أجزاء ذلك العضو على السواء . إذ كل واحد من أجزائه معه طائى من تمام فعله ، متمكن منه ، اللهم إلا أن يكون جزء عضو قابلا عن أحد البسيطين دون الآخر ، أو الطبيعة تستعمل أحدهما وترفض الآخر .

وقد يكون هذا كثيرا ، ولكن لابد من دلالة على أن امتزاجها بحيث يقبل التميز بتأثير الحرارة فيها ، وإن لم تترايل . فالأدوية المفردة ، التى نذكر أن لها قوى متضادة ، هى هذه التى ليس فيها ذلك الامتزاج الكلى . فمن هذه ما هو أقوى امتزاجا ، فلا يقدر الطبخ والغسل على التفريق بين قواها ، مثل البابونج الذى فيه قوة محللة وقوة قابضة إذا طبخ فى الضمادات لم تفارقه القوتان . ومنه ما يقدر الطبخ على التفريق بينهما ، مثل الكرنب ، فإن جوهره ممتزج من مادة أرضية قابضة ، ومن مادة لطيفة جلالة بورقية ، فإذا طبخ فى الماء تحلل الجوهر البورق الجالى منه فى الماء ، وبقي الجوهر الأرضى القابض ، فصار مائه مسهلا وجرمه قابضا . وكذلك العدس ، وكذلك الدجاج ، وكذلك الثوم ، فإن فيه قوة جلالة عرقة ، ورطوبة ثقيلة ، والطبخ يفرق بينهما ، وكذلك البصل والفجل وغيره . ولذلك قيل : إن الفجل يهضم ولا ينهضم ؛ لأنه يهضم لا بجميع أجزائه ، بل بالجوهر اللطيف الذى فيه ؛ فإذا تحلل ذلك عنه ، بقى الجوهر الكثيف الذى فيه عاصيا على القوة الهاضمة لزجا ، وذلك الجوهر الآخر يقطع الزوجة .

ومن هذا الباب ما يقدر الغسل على التفريق بين جوهريه ، مثل الهندباء وكثير من البقول ، فإن جوهرها مركب من مادة أرضية مائية باردة كثيرة ، ومن مادة لطيفة قليلة ، فيكون تبريدها بالمادة الأولى وتفتيحها السدد ، وتنفيذها أكثره بالمادة الأخرى ،

(١) منها : بينهما سا (٣) الآخر : الأجزاء ط (٥) امتزاجها : امتزاجهما ط
|| التميز : التميز د ، سا ، ط ، م (٦) وإن لم تترايل : ساقطة من سا || فالأدوية : الأدوية
(٧) الكلى : الثانى ط (١٠) من : عن ط (١١) البورق : + فى م || الجالى : الجالى ط
|| فصار : فيكون د ، سا (١٢) وكذلك العدس : ساقطة من سا (١٥) فإذا . . . فيه : ساقطة من ط .
(١٦) وذلك : وكذلك د (١٧) الهندباء : الهندباء ط ؛ الهندى م (١٩) أكثره :
أكثر د ، ط ، م ؛ ساقطة من سا .

ويكون جل هذه المادة اللطيفة منسطة على سطحها ، قد تصعدت إليه وانفرشت عليه ،
 فإذا غسلت تحللت في الماء ، ولم يبق منها شيء يعتد به ، ولهذا نهى عن غسلها شرما
 وطبا . ولهذا السبب كثير من الأدوية إذا تناولها الإنسان بردت تبريدا شديدا ، وإذا
 ضُمد بها حلت مثلا ، كالكربرة فإنها إذا تناولت اشتد تبريدها ، وإذا ضمد بها فربما
 حلت مثل الخنازير ، وخصوصا مخلوطة بالسويق . وذلك لأنها مركبة من جوهر أرضي
 مائي شديد التبريد ، ومن جوهر لطيف محلل ، فإذا تناولت أقلت الحرارة الغريزية ،
 فحللت عنها الجوهر اللطيف ، بل ولم تكن كثيرة المقدار فتؤثر في المزاج أثرا ، بل تفشت
 ونفذت ، وبقى الجوهر المبرد منه غاية في التبريد . وأما إذا ضمد بها فيشبه أن يكون الجوهر
 الأرضي لا ينفذ في المسام ، فلا يفعل فيها أثرا البتة . والجوهر اللطيف الناري ينفذ فيها
 وينضج ، فإذا استصحبت شيئا من الجوهر البارد نفع في الردع وقهر الحرارة الغريبة .
 وهذا قريب مما قيل من إحراق البصل ضمادا ، والسلامة منه مطعوما ، إذ جعل إحدى
 العلل فيه قريبة من هذا . فيجب أن يكون هذا المعنى معلوما .

ومن الأشياء النباتية ما يشبه أن يكون فيه جوهران متجاوران من غير امتزاج البتة . فمن
 ذلك ما هو ظاهر للحس كأجزاء الأترج ، ومنه ما هو أخفى ، فإن بذر قطونا يشبه أن
 يكون قشره وما على قشره قوى التبريد ، والدقيق الذي فيه قوى التسخين ، حتى يكاد
 أن يكون دواء محمرا أو مقرحا ، وقشره كالجباج الحار بينهما . وإن شرب غير مدقوق
 لم يُمكن صلابته جرمه من أن تُنفذ قوة دقيقه في باطنه ، بل فعل بظاهره ولعابه وإن دُق

- (١) ويكون : فيكون ط . (٢) غسات : غسل ب || ولهذا : فلهذا د ، سا ، ط ، م
 (٤) تناولت : تناولت م || بها : ساقطة من ب (٥) [الخنازير : قروح صلبة تحدث في الرقبة ،
 (لسان العرب)] . (٦) مائي : ومائي د ، سا || التبريد : البرد ط || محلل :
 يحلل د || فإذا : إذا ط || تناولت : تناولت م (٨) غاية في : في غاية ط .
 (٩) فلا يفعل : ولا يفعل د ، سا || أثرا : أثرط (١٠) استصحبت : استصحب ط
 || نفع : ونفع ط || وقهر : قهر م || الغريبة : الغريزية سا (١١) من : في د ، سا || منه :
 منه د ، سا || إذ : إذا د (١٢) معلوما : محكما د ، سا (١٣) من : ساقطة من م ||
 البتة : البتة سا (١٤) كأجزاء : كأنه جزاء د || أخفى : خفي ط || فإن : كأجزاء سا || بذر :
 البذر ط || قطونا : فأنه سا (١٦) أن : ساقطة من سا || دواء محمرا : ذو محرم || شرب :
 + على م (١٧) جرمه : جلده د ، سا || بظاهره : بظاهرب || ولعابه : ولعابه د ، سا ؛ والغاية م .

ظهر دقيقه . فعسى أن يكون الذى يقال من أنه مم ، إنما هو بسبب ظهور دقيقه وحشوه .
ويشبه أن يكون تفجير المدقوق منه للجراحات وتفجيج الصحيح منه إياها ، وردعه لها
بهذا السبب .

وهذا المقدار كاف فى إعطائنا هذا الأصل ولنختم كلامنا فى النبات ، فإننا إن اشتغلنا
بخواص جزئياته وأفعاله ، نكون كأننا قد نزلنا إلى صناعة جزئية . ٥

(١) ظهر دقيقه : ساقطة من د .

(٢) تفجير : تفجر م || وتفجيج : وتفنج د ي وتفنج ط || منه : منها م (٣) بهذا :
فهذا م (٤) المقدار : القدر سا || النبات : + ههنا سا || فإننا إن : فإن ط (٥) جزئياته وأفعاله :
جزئياتها وأفعالها د ، سا ، ط ، م || نكون : نكن ط || جزئية : + تم كتاب النبات من
الشفاء والحمد لله حق حمده ب + تم كتاب النبات وهو الفن السابع من الطبيعيات من الشفاء بحمد الله
وحسن توفيقه د + تم الفن السابع من جملة الطبيعيات ط ي + آخر كتاب النبات من الشفاء م .

المصطلحات

استقامة (الساق) ٢٨	آنك ٤١
استيكاع (الفصن) ٢٩	إبزار ٣٦
أصباغ النقوش ٣٩	اتحاد ٢٥
أصل (أصول) ١٢-١٤-١٥-١٨-	اتحد ٤٠
١٩-٢٢-٣١-٣٦-٣٨-٣٩-٤٤	أترج ٣٠-٣٢-٤٣
أصلى ١٤	اتصال ١٣-٣٨
إصمات ٣٤	أثر ٤٢-٤٣
اعتضاد ٢٧	إحالة ١٦
أعضاء آلية ١٢	احتقان الحرارة ٣٤
اشتذاء ٩-١٦-١٧-١٨-٣٦	اختبارى ١٥
آفة (آفات) ١١-١٦-١٩-٢٣-	إدراك ٩
٢٩-٣٤-٣٧	أدوية مركبة ٤٠
اكتناز (الأرضية) ٢٤	إرادة ٩
إلحاح ٢٥	بالإرادة ١٧
آلة (آلات) ١٠-١٥-١٦-٢٠-	إرادى ١٧
امتراج ٤٢-٤٣	أرض ١٥-١٦-١٧-٢٦
امتراج كلى ٤٢	أرضة ٢٥
امترج ٤٠	أرضى ٤٢
امتصاص ١٥-١٦-١٧-١٨-	أرضية ١٥-٢٣-٢٤-٢٥-٢٧-
٢١-٣٠-٣٣	٤١-٤٢
أمزجة الأشياء ٣٨	استحالة ١٣
أنبوب (أنايب) ٢٣	استحكام ٤١
انتصاب (الساق) ٢٨	استحكام (الثمرة) ٣٠
انتصاب (النبات) ٣٨	
انتعاش ١٧-١٩	

بزر (بزور) ٩ — ١١ — ١٤ — ١٥ —

١٦ — ١٧ — ١٨ — ١٩ — ٢٠ — ٢٧ —

٣٢ — ٣٤ — ٣٥ — ٣٦ —

بزور صلبة ٣٤

بزور مصمتة ٣٤

بسائط ٤١

بستاني (نبات) ٣٨

بسيط ٤٠ — ٤٢ —

البسيطان ٤٠ — ٤٢ —

بصل ٣٦ — ٤٢ — ٤٣ —

بطم ٣٩

بطيخ ٢٧

بطيخ زق ٣٦

بقل مطلق ٣٨

بقل ٢٢ — ٣٨ —

بقول ٤٢

البلاد الباردة ٢٦

بلسان ٣٧

بلوط ٣٢

بنطافيلن ٣١

بورقي ٤٢

بيضة (بيض) ١٠ — ١١ — ٢٤ —

(ت)

تباطل المنفعة ٣٦

تبريد ٤٠ — ٤٢ — ٤٣ —

تجفيف ٣٠

تججير ٢٦

انتفاض الفضل ١٤

أنثى النبات ٩ — ١٠ —

انجذاب (الغذاء) ٢٥

انحراف ٣٦

إنداء ٢٦

اندفاع ٣٧

إنشاء ٣٠

إنضاج ٢٧

انفعالات ٩

انكسار (الفصن) ٢٨

انهضم ٤٢

أنوثة ١٠ — ١٢ —

أول (أوائل) ١٦

(ب)

بازدروج ٣٩

بازنجان ٣٤

بارد ٤٢

باطن ٣٦ — ٤٣ —

باقل ١١ — ١٩ — ٣٢ — ٣٥ —

بخار (أبخرة) ٢٤ — ٣٤ —

بخار رطب ٢٤

بدن (أبدان) ٩ — ٣٩ — ٤٠ — ٤١ —

بذر قطونا ٣٦ — ٤٣ —

برد ١٣ — ٢٤ — ٢٨ — ٢٩ —

برودة ٤١

برى (نبات) ٣٨

تغرية ٢٩	تحصيل (الغذاء) ٩ — ١٧
تفصين ، تفصين ٢٨ — ٢٩	تحلل ١٦ — ٢٥ — ٤٢ — ٤٣
تغليف ٣٤	تحليل ١٣ — ٢٩ — ٣٤ — ٤١
تغيرات ثمرية ٣٣	تخلخل ١٢ — ٢٢ — ٢٣ — ٢٨ — ٣٤
تغيرات الغذاء ٣٣	تخمر ٤٠
تفاح ٣٤ — ٣٥ — ٣٦	تخيل ٩
تفتيح السدد ٤٢	تربية (النبات) ٣٨
تفرع ٢٧	تردد الغذاء ٢٧
تفريع ١٨ — ٣١	ترزين ٢٣
تفريق (تفريق الغذاء) ١٣ — ٣٣ —	ترطيب ٣٠ — ٤٠
٤٠ — ٤١ — ٤٢	ترياق ٤٠
نفشى (الأبنجرة) ٣٤ — ٤٣	تزاين ١٣
نفشية (الحرارة) ٢٦	تسخين ٢٥ — ٤٠ — ٤٣
نفقح الثمار ٢٩	تسيل (الغذاء) ١٣
تكون ١٣ — ١٩ — ٢١	تشكل ١٣
تماس ٣٨	تشكيل ٢٢
تماسك ٢٤	تصعد ٤١ — ٤٣
تميز ٤٢	تصعيد ٤١
تناول (الغذاء) ١٧	تصليب ٢٣ — ٢٦ — ٣٥
توابع ١٤	تصور ١٣
تودرى ٣٧	تصور أول ١٣
توريق (توريق الشجر) ٣١ — ٣٨	تصوير ١٠
توزيع (الغذاء) ١٦ ، ٣٢	تضعيف ١٩
تولد ٩ — ١١ — ١٧ — ١٨ — ٢١ —	تعريق ١٥
٢٩ — ٣٤	تعفن ٢٥
توليد ١٠ — ١١ — ١٢ — ١٤ — ١٥ —	تعلق (النبات) ٢٧
١٧ — ١٨ — ١٩ — ٢٠ — ٣٣	تغذية ١٦ — ١٧ — ٢٧
تيليس ٤٠	
تين ٣٠ — ٣٢	

جوهر ١٣-١٥-١٨-١٩-٢٢-

٢٥-٢٧-٢٨-٢٩-٣٣-٤٢

جوهر أرضى ٤٢-٤٣

جوهر أرضى مائى ٤٣

جوهر بارد ٤٣

جوهر بورقى ٤٢

جوهر جالى ٤٢

جوهر كثيف ٤٢

جوهر لطيف ٤٢-٤٣

جوهر لطيف محلل ٤٣

جوهر لطيف نارى ٤٣

جوهر مبرد ٤٣

(ح)

حاجز ٣٤-٣٦

حار ١٣-١٥-٢٣-٢٥-٢٨-

٢٩-٣٣-٣٧

حار رطب ٢٥-٢٦

حب (حبوب) ١٩-٣٥-٣٦

حجاب حاجز ٤٣

حجرية ٣٤

حجم ٣٠-٣٢-٣٣-٣٥

حرارة ١٣-٢٥-٢٦-٣٤-٤٠-

٤١-٤٢

حرارة غريزية ٣٦-٤٠-٤١

حرارة محقنة ٢٦

حركة ٩-١٠

حركة اختبارية ١٥

(ث)

ثخن (الأرض) ١٥

ثدى ١٧

ثمار رطبة ٣٤

ثمر صلب ٣٣

ثمر لين ٣٣-٣٤

ثمر متخلخل ٣٤

ثمرة (ثمر- ثمار) ١٢-١٤-١٥-

٢٢-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-

٣٢-٣٣-٣٤

ثؤلول ٣٧

نوم ٤٢

(ج)

جاذب للغذاء ٣٦

جبلى ٣٨

جبنية ٤٠

جذب ١٦

جذب (الغذاء) ٩-٢٥-٣٣-٣٥

جراحات ٤٤

جرم ٢٩-٣٤-٣٥-٣٦-٤٠-

٤٢-٤٣

جلاء ٤٢

جلد الثمرة ٢٨-٣٤

جود ٢٤-٣٩

جبنية ٣٨

جنس ٣٣-٣٤-٣٩-٤١

جوز ٣٢-٣٣-٣٥

١٦ خصب
 ٢٣ خلاء أنبوبي
 ٢٥ خلاف (نبات)
 ٣٠-٢٨ خلل
 خنازير [الخنازير قروح صلبة تحدث في الرقبة
 (لسان العرب)] ٤٣
 ٤٤ خواص
 ٢٧ خيار
 ٢٩ خياطة (خياطات) "ورق النبات"
 (د.)
 ٤٢ دجاج
 ٢٤ دخان يابس
 ٢٥ دخانية
 ٢٥ دسم
 ٣٥-٢٩ دسم
 ٢٥ دسومة
 ٤٤-٤٣ دقيق
 ٣٠-٢٥ دلب (نبات)
 ١٧ دم الطمث
 ٣٧ دمة
 ٣٧ دهانة
 ٣٧ دهن (أدهان)
 ٣٧-٢٩-٢٥ دهنى
 ٣٣-٢٥ دهنية
 ٤٣-٤١-٤٠ دواء (أدوية)
 ٤٠ دواء مركب (أدوية مركبة)
 ٤٢-٤٠ دواء مفرد (أدوية مفردة)
 ٣٧ دوادم

١٠ حركة إرادية
 ١٨ حرم
 ٤٣-١١-١٠-٩ حس
 ٣٨ حشائش بقلية (أو عشبية)
 ٤٤-٢٣-١٧ حشو (حشو البزر)
 ٣٨ حشيش مطلق
 ٢٨ حكم طبيعى
 ٤٣ حلل
 ٢٢ حماض
 ٣٠ حمص
 ٣٢ حمل (الأشجار من الثمر)
 ٣٣ حموضة
 ٣٥-٣٢-٣٠-١٩ حنطة
 ١٠-٩ حى
 ٩ حياة
 ١٤-١٣-١٢-١٠-٩ حيوان
 ٣٩-٢٩-١٧-١٦-١٥
 ٤٠ حيوانى
 (خ)
 ٣٩ خاصة
 ٢٩ خالص الغذاء
 ٢٣ خراطة
 ٣٨-٢٢ خس
 ٣٣-٣٢-٣١-٢٨-١٤ خشب
 ٤١
 ٣٣-٢٢ خشبية

(س)

ساج (نبات) ٢٥

ساق (سوق — أسواق) ١٤—١٦—

١٨—٢١—٢٦—٢٧—٢٨—٣٠—

٣٨

ساق مستندة ٢٢

ساق مضطجعة ٢١

ساق منبسطة (مستندة على الأرض) ٢٧—

٣٨

ساق متصبية ٢٢—٢٧—٣٨

سبخى ٣٨

سبيل الغذاء ٣٦

سُخونة ٢٥

سُخيف ٢٨

سُرفة ٢٥

سرو (نبات) ٢٥—٢٩

سرة ١٧

سفرجل ٣٤—٣٥—٣٦

سلق (نبات) ٢٢

سمنية ٤٠

سمين ٣٣

سندروس ٣٧

سيال ٢٥

سيالة، سيالات ١٤—٣٧

سينفى (نبات سينفى) ٣٨

(ذ)

ذبول ١٢

ذكر النبات ٩—١٠—١١

ذُكورة ١٠—١٢

(ر)

رأس النخلة ٣٧

رحم (أرحام) ١١

رزانة ٢٤

رصاص ٤١

رطب ١٧—٢٢—٢٤—٢٥—٢٧—

٢٨—٣٠—٣٤—٣٧—٤٠

رطوبة (رطوبات) ١٣—٢٣—٢٤—

٢٥—٢٦—٣٠—٣٤—٣٦—٣٧—

٤٢

رطوبة ثقيلة ٤٢

رطوبة لزجة ٢٥—٢٦—٢٨

رطوبة لزجة ماسكة ٢٩

رمان ٣٤

رمص ١٤

رملّى ٣٨

رياح ٢٩

ريح ٣٦

(ز)

زهر ١٤—٢١—٣٦

زيتون ٣٩

زينة ٣٧

(ش)

شاهسفرم (نبات) ٣٩

شامة ٣٧

شبه الخلط (أشباه الأخلاط) ١٥

شبه العضو (أشباه الأعضاء) ١٤

شجر حشيشى ٣٨

شجر مطلق ٣٨

شجرة (شجر—أشجار) ١٥—١٨—٢٢—

٢٤—٢٥—٢٦—٢٨—٢٩—٣٠—

٣١—٣٢—٣٣—٣٧—٣٩

شجرة أنبونية ٢٨

شخص ١٠—١١—١٢

شعبة عرقية ١٧

شعر ١٨

شهوة حسية ٩

شوك ٣٢—٣٧

شوك أصلى ٣٧

شوك زور ٣٧

(ص)

صبغ (أصباغ) ٣٩

صدف ٩—٣٥

صدفية ٣٤

صرف الغذاء ٣٣

صرف الفضل ٣٢

صریح (صریح الغذاء) ٢٩

صعود (الغذاء) ٢٣

صلابة ٢٣—٢٤—٣٤—٤٣

صلب ٢٥—٢٨—٣٤—٣٧

الصلب (العمود الفقارى) ٢٩

صلع ٣٠

صمام ٣٤

صمغ (صموغ) ١٤—٣٢—٣٧

صناعة ٤٠—٤٤

صنوبر ١٥

(ض)

ضمد، ضمادات ٤٢—٤٣

(ط)

طب ٣٩—٤٣

طبخ (طبخ الغذاء) ١٣—٤٢

طم (طعوم) ١٦—٣٣

طفوء الحرارة ١٣

طمت ١٧

طيور ١٠

(ع)

عدس ٤٢

بالعرض ٢٤

عرعر (نبات) ٢٥

عوق (عروق) ١٣—١٥—١٦—١٧

١٨—٣٦

عرق (الشجر) ١٥

عضو (أعضاء) ٩—١٢—١٤—١٦—

١٧—١٩—٢٢—٣٨—٤١—٤٢

غلاف غشائي (للثمرة) ٣٢

غلاف قشري (للثمرة) ٣٢

(ف)

فجل ٤٢

فردانية ٣٠

فرط ٣٩

{ فرع (فروع)

{ فرع (النبات)

٣٨—٣٧—٢٧—١٩—١٧

فساد ٣٧—٢٥—١٩

فضل (فضول) ٩ — ١٠ — ١٢ — ١٤ —

٢٢ — ٢٤ — ٢٨ — ٣٢ — ٣٤ — ٣٦ —

٣٩—٣٧

فضلة (فضل) الغذاء ٣٧ — ٣٢ — ٢٩

فعل (أفعال) ٩ — ١٠ — ١١ — ١٢ —

٢٥ — ٤١ — ٤٢ — ٤٤

(ق)

قائم (نبات قائم) ٣٨

قابض ٤٢

قواء ٣٦

قد ٢٢

قرايمد ٢٦

قشر ٢٢ — ٣٢ — ٣٤ — ٣٥ — ٣٨ —

٤٣

قشر صديقي (للثمرة) ٣٢

قشر غليظ ٣٥

عضو أصلي (أعضاء أصلية) ١٤

عضو مركب (أعضاء مركبة) ١٤

عُقد (الأغصان) ١١ — ٢٣ — ٢٨ — ٣١

عليق ٣٩

العناصر الأربعة ٤٠

عنب ٢٧ — ٣٢

عنصر (عناصر) ٤٠

عنقود الكرم ٣٠

عمود ٢٢

عوز المادة ٣٧

(غ)

غدة ٣٧

غذاء ٩ — ١١ — ١٣ — ١٥ — ١٦ —

١٧ — ١٨ — ١٩ — ٢٢ — ٢٣ — ٢٧ —

٢٨ — ٢٩ — ٣٢ — ٣٣ — ٣٦ — ٣٧ —

غذاء نافذ ٢٨

غرس ١١ — ٣٩

غرق (قشر غرق) ٣٥

غسل ٤٢ — ٤٣

غشاء ٩ — ٣٤ — ٣٦

{ غصن (أغصان — غصون)

{ غصن (النبات)

١١ — ١٢ — ١٤ — ١٨ — ٢٢ — ٢٧ —

٢٨ — ٢٩ — ٣٠ — ٣١ — ٣٣ — ٣٧ —

٣٨ — ٣٩

غصن موصول ٣٩

غلاف (ج غلف) ٣٤ — ٣٥ — ٣٨

قوة هاضمة ٤٢	قشر لطيف غرق ٣٥
قوة متضادة ٤٢-٤١	قصب (نبات) ٣٨
(ك)	قصب الرماح (نبات) ٢٥
كائن ٢٠	قضيف ٣٣
كشافة ٣٤	قطن ٣٤
كثيف ٤٢-٢٨	قمع (ج أقماع) الثمر ٣٤
كرمة - كرم ٣٧-٢٨-٢٧	قوام ٣٥-٣٠-٢٩
كرب ٤٢	قوة (قوى) ٣٣-٣٥-٣٧-٣٩-
كربة ٤٣	٤٢-٤١
كم - (أكام) ٢٩	قوة الأنوثة ١٠
كثري ٣٤	قوة التوليد ٢٧
كن ٢٨	قوة جاذبة ٢٨
(ل)	قوة جذب ١٥
لب (لبوب) ٣٦-٣٤-٢١-١٩	قوة جلالة ٤٢
لباب ٢٢-١٤	قوة الذكورة ١٠
لبن (ألبان) ٤٠-٣٧-١٧-١٤	قوة طبيعية ٩
لبن البلسان ٣٧	قوة غاذية ٢٠
لبن دهني ٣٧	قوة فاعلة ١٥
لبن مائي ٣٧	قوة قابلة (للتصوير والتوليد) ١٠
لبن نارى ٣٧	قوة متولدة ١٥
لبنية ٣٧	قوة محرقة ٤٢
لبوب دسمة ٣٥	قوة مركبة ٤١
لحاء ١٣-١٤-٢١-٢٨-٢٩-	قوة منفعة ١٥
٣٧-٣٠	قوة مولدة ١٠-١٥-٢٠-٢٧
لحاء أجعد ٢٨	قوة نباتية ٢٥
لحاء أسبط ٢٨	قوة نفسانية ١١

مبدأ (مبادئ) ١١-١٦-١٧-١٨-

١٩-٢٩-٣٥-٣٩

مبدأ التوليد ١٨

مبدأ الحس ١٢

مبدأ رحي (مبادئ رحيّة) ١٨-٣٥

مبدأ محرك ١١

مبدأ منفعل ١٠

متخلخل ٢٢-٢٧-٢٨-٣٤

متصور ١٩

متلزز (الطوبّة) ٢٩

متولد ١١

محزز (محزز الخشب) ٢٩

محال ٤٣

محمر (دواء محمر) ٤٣

مخ (العظام) ٢٢

مخاط ٣٧

مركب ٤٠-٤١

مركبات حيوانية ٤٠

مركبات معدنية ٤٠

مركبات نباتية ٤٠

مزاج (أمزجة) ٩-١٣-١٥-

١٨-٣٣-٣٨-٣٩-٤٠-

٤١-٤٣

مزاج الترياق ٤٠

مزاج أول ٤٠-٤١

مزاج ثان ٤٠-٤١

مزاج حقيق ٤٠

لحاء غشائي ٢٨

لحاء ليفي ٢٨

لحم (الثمرة) ٣٤

لزوج ٢٥-٢٩-٤٢

لزوجة (لزوجات) ٢٥-٣٠-٤٢

لزوجة ٢٥

لطيف ٤٢-٤٣

لعاب ٤٣

لعاية ٣٦

لوز ٣٢-٣٣-٣٥

(م)

ماء- مائي ١٦-٢٥-٢٧-٢٩-

٣٠-٣٧-٣٨-٤٢-٤٣

مائية ٢٥-٣٧-٣٨-٤٠-٤١

مادة ١٠-١٦-١٧-١٩-٢١-

٢٦-٢٧-٢٩-٣٠-٣٣-٣٧-

٣٩

مادة أرضية ٤٢

مادة أولى ٤٢

مادة بورقية ٤٢

مادة جلاءة ٤١

مادة عاصية ٢٢

مادة لطيفة ٤٢-٤٣

مادة موافقة ٢٦

ماسك (مائي، دهني) ٢٤-٢٥

مبادئ التغذية ١٨

موصول (نبات موصول) ٣٨	مزاج رخو ٤١
موصول به (نبات موصول به) ٣٨	مزاج سلس ٤٠ - ٤١
مولد ١١ - ٢٠	مزاج قوى ٤٠
مؤوف ١٦	مزاج معتدل ٤٠
(ن)	مزاج موثق ٤١
نارى (لبن نارى) ٣٧	مسام ٣٤ - ٤٣
نارى (نارى المزاج) ١٥	مستعرض ٢٩ - ٣٠
نارية ١٥ - ٤٠	مستقى ٢٧ - ٣٥
ناشف (للرطوبة) ٢٦	مسهل ٤٢
نبات ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٤ -	مشيمة ١٧ - ٣٦
١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢١ - ٢٢ -	مصاصة ١٧
٢٣ - ٢٧ - ٢٩ - ٣١ - ٣٦ - ٣٨ -	معاليق ٣٣
٣٩ - ٤٤	معذى ٤٠
نبات برى ٣٨	معدة ١٦
نبات بستانى ٣٨	مغرس - مغارس ٢٨ - ٣٣ - ٣٧
نبات بقلى ٢٢	مغرس صناعى ٢٨
نبات جبلى ٣٨	مغرس طبيعى ٢٨
نبات رملى ٣٨	مقرح (دواء مقرح) ٤٣
نبات سبخى ٣٨	ملوكية (نبات) ٣٨
نبات سيفى ٣٨	ممتزج ٤٠
نبات مائى ٣٧ - ٣٨	ممتص ١٧
نباتى ٤٠ - ٤٣	منبب (منابت) ٢٧
نبت ١٠ - ١٢ - ١٩	منوى ١٩
نخل - نخلة ١٢ - ٢٨ - ٣٧	منى ١٤
نشو - نشوء ١٤ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ -	منى الأثنى ١١
٣٠ - ٣٥	منى ذكورى ١١
نضج (الثمر) ٢٩ - ٣٠ - ٣٢	موجب الطبائع ٣٩

(هـ)

هاضم — هضم ٤٢
الهضم الأول ٣٧
الهضم الأخير ٣٧
هندبا (نبات) ٤٢
هوائية ١٥ — ٢٤ — ٢٥
هولى ٣٩

(و)

ورق (أوراق) ١٤ — ٢١ — ٢٢ — ٢٦ —
٢٧ — ٢٨ — ٢٩ — ٣١ — ٣٨
وصل (وصل النبات بغيره) ٣٨
وقاية ٢٨ — ٢٩ — ٣٣ — ٣٤ — ٣٦
وقاية حاجزة ٣٤

(ى)

يلس ١٣ — ٢٤
يبوسة ٢٤ — ٢٦

نطفة الأنثى ١١

نعناع ٣٩

نفس (انفس) ١٥ — ١٩ — ٢٠ —

٣٨ — ٤٠

النفس الأولى ٢٠

نفس حيوانية (أنفس حيوانية) ٢٠

نفس غاذية ٣٨

نفس نباتية (أنفس نباتية) ٢٠ — ٣٩

نفض (الورق — الفصول) ٢٩

نفض الفصول ١٤

نقوذ الغذاء ٢٢ — ٢٨

نقوش (النبات) ٣٩

نقير ٣٥

نمّام (نبات) ٣٩

نمو ١٨ — ١٩

نوع ١٠

نوى ٣٥